TIGHT BINDING BOOK

الجزء الثالث

{ من }

انسان العيون في سيرة الامين المامون المعروفة بالسيرة الحلبية تاليف الامام العالم العلامة الحبر البحر الفهامة على ابن برهان الدين الحلبي الشافعي نفع الله بعلومه آمين

{ وبهامشها }

السيرة النبوية والآثار المحمدية لمفتي السادة الشافعية بمكة المشرفة السيد أحمد زيني المشهور بدحلان نفع الله به المسلمين آمين

طبع على نفقة

محمد على صبيح واولاده

بميدان الازهر الشريف بمصر

{ سنة ١٣٥٣ هـ — سنة ١٩٣٥ م }

مطبعة محمد على صبيح ميدان الأزهر بمصر

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ غروة بى لحيان ﴾

بناحية عسفان ولحيان بكسر اللام وفتحها قبيلة من هذيل * لا يخفى ان بعد مضي ستة أشهر من غزوة
بنى قريظة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى لحيان يطلبهم باصحاب الرجيع أي وهم حبيب
واصحابه رضي الله عنهم الذين قتلوا ببئر معونة كما سياتي ذكر ذلك في السرايا اى لانه صلى الله عليه وسلم
وجد أى حزن وجدا شديدا على أصحابه المقتولين بالرجيع وأراد ان ينتقم من هذيل فامر أصحابه
بالتهيؤ وأظهر انه يريد الشام أى ليدرك من القوم غرة أي غفلة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم
رضى الله عنه وخرج في مائتي رجل ومعهم عشرون فرسا ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى المحل الذى
قتل فيه اهل الرجيع ترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة فسمعت به بنو لحيان فهربوا الى رؤس الجبال
() أي وارسل السرايا فى كل ناحية فلم يجدوا احدا () أي واقام على ذلك يومين فلما رأى صلى الله عليه
وسلم انه فاته ما اراده من غرتهم قال لو انا هبطنا عسفان لرأي اهل مكة انا قد جئنا مكة فخرج في مائتي
راكب من أصحابه حتى نزل عسفان وهذا يدل على أن أصحابه كانوا أكثر من مائتين وهو يخالف ما تقدم
انه خرج فى مائتى رجل الا ان يقال زادوا على المائتين بعد خروجه ثم بعث فارسين من أصحابه حتى
بلغا كراع الغميم ثم كرا راجعين وفي لفظ آخر وبعث ابا بكر رضى الله عنه فى عشرة فوارس القصة اى
وقد يقال لا منافاة بين اللفظين ثم توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة قال جابر رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجه أى توجه الى المدينة آيبون تائبون ان شاء الله
لربنا حامدون أى * لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر أى مشقة السفر وكآبة أي
حزن المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال قل وزاد بعضهم اللهم بلغنا بلاغا صالحا يبلغ الى الخير

مغفرتك

﴿ حجة الوداع ﴾

وفي سنة عشر من الهجرة
حج رسول الله صلى الله
عليه وسلم حجة الوداع
وسميت بذلك لانه ودع
الناس فيها و بعدها وما
عرف وداعه حتى توفى
بعدها قايل فعرفوا المراد
وأنه ودع الناس بالوصية
التي أوصاهم بها ان لا يرجعوا
بعده كفارا وأ [illegible]
باشهاد الله عليهم بانهم
شهدوا أنه بلغ ما أرسل
اليهم به وتسمى حجة
الاسلام لانه صلى الله عليه
وسلم لم يحج من المدينة بعد
فرض الحج غيرها
وحجة البلاغ لانه
بلغ الناس الشرع في الحج
قولا وفعلا وتسمى حجة
التمام والكمال لنزول
قوله تعالى اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم
الاسلام دينا ورسول الله
صلى الله عليه وسلم
واقف بعرفة وكان صلى
الله عليه وسلم بعد هجرته
من مكة قد اقام بالمدينة
يضحي كل عام ويغزو
المغازى ويبعث السرايا
والبعوث من حين أذن
له فى القتال فلما كان فى
ذى القعدة سنة عشر من
الهجرة خروج الى الحج فتجهز وامر الناس بالجهاز ولم يحج

معفرتك ورصوا ما قيل ولم يسمع هذا الدعاء منه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك وكانت غيبته عن المدينة أربع عشرة ليلة اه وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من بنى لحيان وقف على الابواء فنظر يمينا وشمالا فرأى قبر أمه آمنة فتوضأ ثم صلى ركعتين فبكى وبكى الناس لبكائه ثم قام فصلى ركعتين ثم انصرف الى الناس وقال لهم صلى الله عليه وسلم ما الذى أبكاكم قالوا بكيت وبكينا يارسول الله قال ماظننتم قالوا ظننا ان العذاب نازل علينا قال لم يكن من ذلك شئ قالوا ظننا ان أمتك كلفت من الاعمال مالا تطيق قال لم يكن من ذلك شئ ولكنى مررت بقبر أمي فصليت ركعتين ثم استأذنت ربى عزوجل ان استغفر لها فزجرت زجرا أى منعت عن ذلك منعا شديدا فابكاني وفي لفظ فعلي بكائي هذا أى فعلي هذا بكائي والذي في الوفاء انه صلى الله عليه وسلم وقف على عسفان فنظر يمينا وشمالا فابصر قبر أمه فورد الماء فتوضأ ثم صلى ركعتين قال بريدة فلم يفجأنا الا ببكائه فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فقال ما الذي أبكاكم الحديث ثم دعا براحلته فركبها فسار يسيرا فأنزل الله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم الى آخر الآيتين فلما سرى عنه الوحى قال اشهدكم انى برئ من آمنة كما برئ ابراهيم من أبيه اى وهذا السياق يدل على ان هاتين الآيتين غير مازجر به عن الاستغفار لها المقدم فى قوله فزجرت زجرا فليتأمل وفى مسلم عن ابى ايوب رضى الله عنه قال زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال استأذنت ربى في أن استغفر لها فلم يأذن لى واستأذنته في أن أزورها أى بعد ذلك فاذن لى فزوروا القبور فانها تذكر الموت وسياتي عن عائشة رضي الله عنها ان في حجة الوداع مر صلى الله عليه وسلم على عقبة الحجون ونزل وقال انما وقفت على قبر أمي وسياتي ان ذلك يدل على ان قبر أمه بمكة لا بالابواء وتقدم الجمع بين كونه بالابواء وكونه بمكة وسيأتى في الحديبية انه صلى الله عليه وسلم زار قبرها في فتح مكة ايضا وسيأتى الكلام على ذلك وان ذلك كان قبل احيائها له وايمانها به صلى الله عليه وسلم

﴿ غزوة ذى قرد ﴾

بفتح القاف والراء وقيل بضمهما أى وقيل بضم الاول وفتح الثانى اسم ماء والقرد فى الاصل الصوف الردىء ويقال لها غزوة الغابة والغابة الشجر الملتف * لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة بنى لحيان لم يقم بها الا ليالى قلائل حتى أغار عيينة بن حصن فى خيل من غطفان على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة اي وكانت اللقاح عشرين لقحة وهي ذات اللبن القريبة من الولادة اى لها ثلاثة اشهر ثم هى لبون وفيها رجل من بنى غفار هو ولد ابي ذر الغفارى وزوجة لابى ذر فقوله وامرأته أى لابى ذر رضى الله عنه لا لولده كما يعلم مما يأتى وكان راعيها يؤوب أى يرجع بلبنها كل ليلة عند المغرب الى المدينة اى فان المسافة بينها وبين المدينة يوم أو نحو يوم فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة مع

بعد أن هاجر غير هذه الحجة قال ابو اسحق السبيعى وحج وهو بمكة أخرى لكن قوله اخرى يوهم انه لم يحج قبل الهجرة الا واحدة وليس كذلك بل حج قبلها مرارا وقيل حج وهو بمكة حجتين وقيل ثلاث حجج والحق الذى لا ارتياب فيه كما فى شرح الزرقانى على المواهب انه لم يترك الحج وهو بمكة قط لان قريشا فى الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج وانما يتأخر منهم من لم يكن بمكة أو عاقه ضعف واذا كانوا وهم على غير دين يحرصون على اقامة الحج ويرونه من مفاخرهم التى امتازوا بها (٣) على غيرهم من العرب فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم انه يتركه وقد ثبت حديث جبير بن مطعم رضى الله عنه انه فى الجاهلية رأى النبى صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفة وانه من توفيق الله له وكانت قريش تقف بجمع ولا تخرج من أرض الحرم وكان صلى الله عليه وسلم يخالفهم ويصل الى عرفة ويقف بها مع بقية العرب وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يدعو قبائل العرب الى الاسلام فى ثلاث سنين متوالية قال العلامة الزرقانى فلا يقبل نفى ابن سعد انه لم يحج بعد النبوة الا حجة الوداع لان المثبت مقدم على النافى خصوصا وقد صحبه دليل اثباته ولم يصحب النافى دليل نفيه ولذلك قال ابن الجوزى حج صلى الله عليه وسلم حججا لا يعرف عددها وقال ابن الاثير في النهاية كان يحج كل سنة قبل ان يهاجر وكان خروجه صلى الله عليه وسلم لحجة الوداع من المدينة يوم السبت بين الظهر والعصر لخمس بقين من ذي القعدة سنة عشر واستعمل على المدينة ابا دجانة الساعدى رضى الله عنه وقيل سباع بن عرفطة الغفارى وكان نساؤه كلهن معه وقد طاف عليهن كلهن ليلة خروجه واغتسل ثم اغتسل ثانيا لاحرامه غير غسل الجماع وكان دخوله مكة رابعة من ذى الحجة يوم الاحد وخرج معه صلى الله عليه وسلم تسعون ألفا ويقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ويقال اكثر من ذلك وهذه عدة من خرج معه وأما الذين حجوا معه فاكثر من ذلك كالمقيمين بمكة والذين

أتوا من اليمن مع علي وابي موسي رضى الله عنهما وجاء في حديث ان الله وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله بالملائكة والكلام على مباحث حجة الوداع طويل مذكور في كتب السنة شهير شائع فلا حاجة الى الاطالة به

﴿ باب يذكر فيه ما يتعلق بالوفود ﴾ التي وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ما تقدم قد تقدم انه وفد عليه وفد هوازن بالجعرانة وكذا وفد عليه (٤) مالك بن عوف النصري وذلك في أواخر سنة ثمان وكذا وفد عليه بنو تميم في سرية عيينة بن حصن وكان ذلك في المحرم سنة تسع

﴿وفد نصارى نجران﴾

وفد عليه نصارى نجران بالمدينة بعد الهجرة وكانوا ستين راكبا جاؤه يجادلونه في شان عيسى عليه السلام ونجران بلدة كبيرة على سبع مراحل من مكة الى جهة اليمن تشتمل على ثلاث وسبعين قرية وكان وصولهم المدينة ودخولهم المسجد النبوى بعد دخول وقت العصر فقاموا يصلون فيه فاراد الناس منعهم لما فيه من اظهار دينهم الباطل فقال صلي الله عليه وسلم دعوهم تالفا لهم ورجاء لاسلامهم ولدخولهم بالامان فاقرهم على كفرهم سياسة فليس فيه اقرار على الباطل بل جعل ذلك وسيلة لدخولهم في الحق فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا لما دخلوا المسجد النبوي عليهم ثياب الحبرات واردية الحرير مختمين بخواتم الذهب ومعهم هدية وهى بسط فيها تماثيل ومسوح فصار الناس ينظرون للتماثيل فقال صلى الله عليه وسلم أما هذه البسط فلا حاجة لي فيها واما هذه المسوح فان تعطونيها أخذها فقالوا نعم نعطكها ولما راي فقراء المسلمين ما على هؤلاء من الزينة والزى الحسن تشوقت نفوسهم الي الدنيا فانزل الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ولما فرغوا من صلاتهم عرض صلى الله عليه وسلم عليهم رواية

اللقاح وعند ابن سعد كان فيها ابو ذر وولده اي وزوجة ابى ذر فقتلوا ولده اى واحتملوا المرأة قال جاء ان ابا ذر الغفارى رضى الله عنه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون فى اللقاح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تامن عيينة بن حصن ودونه ان يغيروا عليك فالح عليه فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم لكاني بك قد قتل ابنك واخذت امراتك وجئت تتوكا على عصاك فكان ابو ذر رضي الله عنه يقول عجبا لي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكاني بك وانا ألح عليه فكان والله ما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم فاني والله لفي منزلنا ولقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قد روحت وحلبت عتمتها ونمنا ولما كان الليل احدق بنا عيينة بن حصن في أربعين فارسا فصاحوا بنا وهم قيام على رؤسنا فاشرف لهم ابني فقتلوه وكان معه ثلاثة نفر فنجوا وتنحيت عنهم وشغلهم عنى اطلاق عقل اللقاح ثم صاحوا في ادبارها فكان اخر العهد بها ولما قدمت المدينة على رسول الله صلي الله عليه وسلم واخبرته تبسم اهـ اى وروى بدل عيينة بن حصن انه عبد الرحمن بن عيينة بن حصن قال بعضهم ولا منافاة لان كلا من عيينة بن حصن وعبد الرحمن بن عيينة كان في القوم وكان أول من علم بهم سلمة ابن الاكوع رضي الله عنه فانه غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له اى لطلحة يقوده فلقى غلاما لعبد الرحمن بن عوف فاخبره ان عيينة بن حصن قد اغار على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم في اربعين فارسا من غطفان فقال سلمة فقلت يا رباح اقعد على هذا الفرس فاخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم ان قد أغير على سرحه أى وهذا السياق يدل على أن رباحا غلامه صلى الله عليه وسلم كان مع سلمة اسقط الراوى ذكره ولم يقل ومعه رباح غلامه صلي الله عليه وسلم ويحتمل أن رباحا هذا هو غلام عبد الرحمن الذي اخبر سلمة خبر اللقاح ولا منافاة بين كون رباح غلامه صلى الله عليه وسلم وغلام عبد الرحمن لجواز ان يكون كان لعبد الرحمن ثم وهبه للنبى صلى الله عليه وسلم فهو غلام عبد الرحمن بحسب ما كان ثم رأيت ما يؤيد الاول وهو ما في بعض الروايات عن سلمة قال خرجت أنا ورباح عبد النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يؤذن بالاولى يعنى لصلاة الصبح نحو الغابة وانا راكب على فرس أبى طلحة الانصاري فلقيني عبد لعبد الرحمن بن عوف قال اخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من أخذها قال غطفان وفزارة وقد طوى في هذه الرواية ذكر غلام طلحة ثم رأيت الحافظ ابن حجر ذكر أنه لم يقف على اسم غلام عبد الرحمن بن عوف هذا أى الذي اخبر سلمة بامر اللقاح قال ويحتمل ان يكون هو رباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك احدهما وكان يخدم الآخر فنسب تارة الى هذا وتارة الى هذا هذا كلامه ولا يخفى بعده للتصريح بان رباحا غير غلام عبد الرحمن وان رباحا كان مع سلمة وان غلام عبد الرحمن هو الذى اخبر سلمة خبر اللقاح ولا منافاة بين كون الفرس لطلحة ولا بين كونها لابى طلحة ولا بين كون عبد طلحة كان قائدا لها و بين كون سلمة راكبا لها لانه يجوز ان يكون ركبها اثناء الطريق فليتامل (٢) وفى تسمية غلامه ﷺ رباحا مع نهيه صلي الله عليه وسلم ان الشخص يسمى رقيقه باحد أربعة أسماء أفلح ورباح ويسار ونافع وزاد فى

الاسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا وقالوا قد كنا مسلمين قبلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم الخنزير وزعمكم أن لله ولدا وروي بن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رهطا من نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ماشانك تذكر صاحبنا قال من هو قالوا عيسى تزعم أنه عبد الله قال أجل قالوا فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاء جبريل فقال له قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الى قوله الممترين * وفي رواية أن واحدا منهم قال له المسيح ابن الله لانه لا أب له وقال آخر المسيح هو الله لانه أحيا الموتى وأخبر عن الغيوب وأبرأ من الادواء كلها وخلق من الطين طيرا فقال له أوضاهم فعلام تشتمه وتزعم انه عبد فقال هو عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم فغضبوا وقالوا انما رضينا أن تقول هو اله وقالوا ان كنت صادقا فارنا عبدا لله يحيي الموتى ويشفي الاكمه والابرص ويخلق من الطين طيرا (٢) وينفخ فيه فيطير وسكت عنهم ونزل الوحي بقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ثم قال لهم ان الله أمرني ان لم تنقادوا للاسلام أباهلكم اى ندعوا ونجتهد في الدعاء باللعنة على الكاذب فقالوا له يا أبا القاسم نرجع فننظر في أمرنا فخلا بعضهم ببعض فقال بعضهم لبعض و الله قد علمتم ان الرجل نبي مرسل وما لاعن قوم نبيا الا استؤصلوا اى أخذوا عن آخرهم وان انتم أبيتم الا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا الى بلادكم وفي لفظ انهم ذهبوا الى بني قريظة و بني قينقاع واستشاروهم اى شاوروا من بقي منهم فاشاروا عليهم ان يصالحوه ولا يلاعنوه وفي لفظ انهم واعدوه على الغد فلما اصبح صلى الله

رواية خامسا وهو نجيح بهلا غيره صلى الله عليه وسلم اسمه ان كانت وقعت التسمية من غيره صلى الله عليه وسلم ويقال لم يغير صلى الله عليه وسلم ذلك الاسم اشارة الى ان النهي للتنزيه ثم ان سلمة رجع الى المدينة وعلا ثنية الوداع فنظر الى بعض خيولهم فصرخ باعلى صوته واصباحاه اى قال ذلك ثلاث مرات اى وقيل نادى الفزع الفزع ثلاثا ولا مانع ان يكون جمع بين ذلك وفي لفظ رقيت على تل بناحية سلع اي وفي لفظ علا أكمة وفي لفظ اخر فصعدت في سلع ولا مخالفة كما لا يخفى فجعلت وجهي من قبل المدينة ثم ناديت ثلاث مرات يا صباحاه اسمع ما بين لابتيها أى لسعة صوته اى ان ذلك وقع خرقا للعادة و ياصباحاه كلمة تقال عند استنفار من كان غافلا عن عدوه لانهم يسمون يوم الغارة يوم الصباح ثم خرج يشتد في أثر القوم كالسبع وقد كان يسبق الفرس جريا حتى لحق بهم فجعل يردهم بالنبل و يقول اذا رمي خذها وانا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع أي يوم هلاك اللئام فاذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا وهكذا يفعل قال كنت الحق الرجل منهم فارميه بسهم في رجله فيعقره فاذا رجع الى فارس منهم اتيت شجرة فجلست في اصلها ثم ارميه فاعقره فيولي عني فاذا دخلت الخيل في بعض مضايق الجبل علوت الجبل ورميتهم بالحجارة قال ولم أزل أرميهم حتى القوا أكثر من ثلاثين رمحا واكثر من ثلاثين بردة يستخفون بها ولا يلقون شيأ من ذلك الا جعلت عليه حجارة وجمعته على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وما زلت كذلك اتبعهم حتى ما خلق الله تعالى من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خلفته وراء ظهري وخلوا بينهم وبينه ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح بن الاكوع صرخ بالمدينة الفزع ياخيل الله اركبي قيل وكان اول ما نودي بها وفيه كما في الاصل انه نودي بها في بني قريظة كما تقدم وأول من انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان المقداد بن عمرو ويقال له ابن الاسود وتقدم أنه قيل له ذلك لانه كان في حجر الاسود بن عبد يغوث وتبناه فنسب اليه ثم عباد بن بشر وسعيد بن زيد ثم تلاحقت به الفرسان وامر عليهم سعيد بن زيد وقيل المقداد وجزم به الدمياطي رحمه الله و يدل له قول حسان رضي الله عنه في وصف هذه الغزوة غداة فوارس المقداد لكن في السيرة الشامية ان سعيد بن زيد رضي الله عنه غضب على حسان وحلف لا يكلمه أبدا وقال انطلق الى خيلي فجعلها للمقداد وان حسان رضي الله عنه اعتذر الى سعد بان الروي وافق في اسم المقداد وذكر ابياتا يرضي بها سعيد بن زيد فلم يقبل منه سعيد ذلك وهذا يدل للاول وعقد صلى الله عليه وسلم لذلك الامير لواء في رمحه ثم قال له اخرج في طلب القوم حتى الحقك بالناس فخرج الفرسان في طلب القوم حتى تلاحقوا بهم وكان شعارهم يومئذ أمت أمت واول فارس لحق بهم محرز بن نضلة و يقال له الاخرم الاسدي ووقف لهم بين ايديهم وقال لهم يامعشر بني اللكيعة اى اللئيمة قفوا حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والانصار فحمل عليه شخص من المشركين فقتله وعن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه انه قال ثم ان القوم جلسوا يتغدون وجلست على رأس قرن جبل فقال لهم رجل ما هذا قالوا لقينا من هذا البرح حتى انتزع كل شيء في ايدينا قال فليقم اليه منكم اربعة فتوجهوا الى

عليه وسلم اقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلى رضى الله عنهم وعند ذلك قال لهم الاسقف انى لارى وجوها لو سألوا الله تعالى أن يزيل لهم جبلا لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى فقالوا له صلى الله عليه وسلم لا نباهلك وعن عمر رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لولاعنتهم يا رسول الله بيد من كنت تاخذ قال آخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة وهذه زيادة (٦) موافقة لقوله تعالى ونساءنا ونساءكم ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال

أما والذى نفسى بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ولولا عفوى لمسخوا قردة وخنازير ولاضرم الوادى عليهم نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولا حال الحول على النصارى حتى يهلكوا ثم انهم صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على الجزية على الف حلة في صفر والف في رجب ومع كل حلة أوقية من الفضة وكتب لهم كتابا وقالوا ارسل معنا امينا فارسل معهم ابا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وقال لهم هذا أمين هذه الامة * وفى روايه هذا القوى الامين وكان لذلك يدعى في الصحابة بذلك أوفى اهل نجران وفي الرد عليهم انزل الله اكثر آيات سورة آل عمران وافتتحها بالتوحيد وبقوله يصوركم فى الارحام كيف يشاء أى بان يجعلكم من أم وأب اومن أم بلا أب فيكون في أول الكلام اشارة الى الرد عليهم وذلك براعة استهلال وهي من المحسنات البديعية وأما

﴿ وفد تميم الداري واصحابه ﴾ وفد عليه صلى الله عليه وسلم الداريون ابو تميم الداري واخوه نعيم واربعة آخرون وكانوا على دين النصرانية فاسلموا وحسن اسلامهم رضي الله عنهم وكان وفدهم عليه مرتين مرة بمكة قبل الهجرة ومرة بعدها وفى المرة الاولى سألوا رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يعطيهم ارضا من ارض الشام فقال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم سلوا حيث شئتم قال لهم

فهدىتهم أى وقد جاء عنه رضى الله عنه أنه قال لهم هل تعرفونى قالوا لا ومنا ات قالت أنا سلمة بن الاكوع والذى كرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم لا اطلب رجلا منكم لا أدركته ولا يطلبني فيدركني قال بعضهم انا نظن ذلك فرجعوا قال فما برحت مكانى حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمهم الاخرم الاسدي فلما رأيت الاخرم الاسدى أول الفرسان نزلت من الجبل واخذت بعنان فرسه وقلت له احذر القوم لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله صلى الله عليه واصحابه فقال ياسلمة ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر وتعلم ان الجنة حق وأن النار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة فخليت عنه فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة فعقر فرس عبد الرحمن وطعنه عبد الرحمن فقتله وتحول على فرسه ولحق عبد الرحمن ابو قتادة رضى الله عنه فعقر عبد الرحمن فرس ابى قتادة فقتله أبو قتادة وتحول ابو قتادة رضي الله عنه الى الفرس * أقول ولعل عبد الرحمن هذا هو حبيب بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة ابن عيينة فانى لم أقف على ذكر عبد الرحمن هذا فيمن قتل من المشركين في هذه الغزوة وان أباقتادة رضي الله عنه قتل حبيبا وغشاه برده كما سيأتى الا أن يقال جاز ان يكون له اسمان عبد الرحمن وحبيب ثم رأيت الحافظ ابن حجر أشار الى ذلك وقيل قاتل محرز مسعدة الفزاري وبه جزم الحافظ الدمياطى وذكر أن قاتل حبيب المقداد بن عمرو وقال وقتل أبو قتادة مسعدة فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه وقتل المقداد بن عمرو حبيب بن عيينة بن حصن والله اعلم ولم يقتل من المسلمين الا محرز بن نضلة الذى هو الاخرم الاسدى وكان رأى قبل ذلك بيوم أن سماء الدنيا فرجت وما بعدها حتى انتهى الي السماء السابعة ثم انتهى الى سدرة المنتهى فقيل له هذا منزلك فعرضها على أبى بكر رضى الله عنه وكان من أعلم الناس بالتعبير كما تقدم فقال له أبشر بالشهادة واقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين وقد استعمل على المدينة ابن ام مكتوم رضى الله عنه اى واستعمل على حرس المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه في ثلثمائة من قومه يحرسون المدينة فاذا حبيب بفتح الحاء المهملة وكسر الموحدة مسجى اي مغطي ببرد ابي قتادة فاسترجع المسلمون اي قالوا انا لله وانا اليه راجعون وقالوا قتل ابو قتادة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بابي قتادة ولكنه قتيل لابي قتادة وضع عليه برده ليعرف انه صاحبه اى القاتل له قال وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال والذي اكرمني بما اكرمني به ان اباقتادة على آثار القوم يرتجز فخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى كشف البرد عن وجه المسجى فاذا وجه حبيب فقال الله اكبر صدق الله ورسوله يارسول الله غير ابى قتادة وفي لفظ فخرج أبو بكر وعمر رضى الله عنهما حتى كشفا البرد الحديث وقيل الذى قتله ابو قتادة وغشاه ببرده هو مسعدة قاتل محرز رضي الله عنه لا حبيب على ما تقدم وفي رواية ان اباقتادة رضى الله عنه اشترى فرسا فلقيه مسعدة الفزارى فتعارض معه فقال له ابو قتادة اما انى اسأل الله ان القاك وانا عليها قال آمين فلما اخذت اللقاح ركب تلك الفرس وسار فلقي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي ﷺ امض ياأباقتادة صحبك الله قال فسرت حتى هجمت على القوم فرميت بسهم فى جبهتى فنزعت قدحه

وانا أظن اني ربعت الحديد فطلع على فارس وقال لقد القانيك الله يا أبا قتادة وكشف عن وجهه فاذا هو مسعدة الفزاري فقال ايما أحب اليك مجالدة او مطاعنة او مصارعة فقلت ذاك اليك فقال صراع فنزل وعلق سيفه في شجرة ونزلت وعلقت سيفي في شجرة وتواثبنا فرزقني الله الظفر عليه فاذا أنا على صدره واذا بشيء مس رأسي فاذا سيف مسعدة قد وصلت اليه في المعالجة فضربت بيدي الى سيفه وجردت السيف فلما رأى ان السيف وقع بيدي قال يا أبا قتادة استحيني قلت لا والله قال فمن للصبية قلت النار ثم قتلته وأدرجته في بردي ثم أخذت ثيابه فلبستها ثم استويت على فرسه فان فرسي نفرت حيث تعالجنا وذهبت للقوم فعرقبوها ثم ذهبت خلف القوم فحملت على ابن أخيه فدققت صلبه فانكشف من معه عن اللقاح فحبست اللقاح برمحي وجئت أحرسها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح وجهك يا أبا قتادة اى فقلت ووجهك يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو قتادة سيد الفرسان بارك الله فيك يا أبا قتادة وفى ولدك وولد ولدك وفي لفظ وفى ولد ولدك اه أى وقال له صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى بوجهك قلت سهم أصابني فقال ادن مني فنزع السهم نزعا رفيقا ثم رقى فيه ووضع راحته عليه فوالذي أكرمه بالنبوة ما ضرب على ساعة قط ولا قرح على * وفي رواية ولا دح وفى لفظ قال قتلت مسعدة قلت نعم ثم قال صلى الله عليه وسلم يدعو لابى قتادة اللهم بارك له في شعره وبشره فمات أبو قتادة رضى الله عنه وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة سنة أى واعطاه صلى الله عليه وسلم فرس مسعدة وسلاحه أي كما تقدم وقال بارك الله لك فيه وهذا السياق يدل على ان أبا قتادة رضي الله عنه انفرد عن الصحابة وتقدمهم وتخلف مسعدة عن قومه ومدة مصارعة ابى قتادة له وقتله ولا مانع من ذلك وقيل استنقذوا نصف اللقاح أى عشرة وفيها جمل ابي جهل الذى غنمه صلى الله عليه وسلم يوم بدر وأفلت القوم بالعشرة الاخرى اى ولا ينافيه ما تقدم من قول ابى قتادة فانكشفوا عن اللقاح وجئت أحرسها لان المراد جملة من اللقاح لكنه يخالف ما تقدم عن سلمة رضي الله عنه من قوله ما زلت ارشقهم يعنى القوم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خلفته وراء ظهرى وخلوا بينهم وبينه فيتأمل وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قرد ناحية خيبر ولاحقه الناس أي وقال له سلمة بن الاكوع يا رسول الله ان القوم عطاش فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما بقي في ايديهم من السرح وأخذت باعناق القوم أى وقد يقال لا يخالف هذا ما تقدم من قوله حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الا خلفته وراء ظهرى وخلوا بينهم وبينه لجواز أن يكون صدر عنه ما تقدم لظنه ان ذلك هو جميع اللقاح التى أخذت ثم تحقق ان الذى استنقذه هو وأبو قتادة جملة منها وما فى البخاري من قوله واستنقذوا اللقاح كلها يجوز أن يكون قائل ذلك ظن ان الذى استنقذ من أيدى القوم هو جميع ما اخذوه من اللقاح كما ان سلمة رضي الله عنه اعتقد أن جميع اللقاح التى أخذت هى التى جعلها خلف ظهره كما تقدم وكل من سلمة وابي قتادة خلف نصف اللقاح التى هى العشرة التى خلصت من أيدي القوم * وفي رواية عن سلمة قال قلت يا رسول

هند وهو من اصحاب تميم فنهضنا من عنده نتشاور في أي الاراضي ناخذ فقال تميم نساله بيت المقدس وكورتها فقال له ابو هند هذا محل ملك العجم وسيصير محل ملك العرب فاخاف ان لا يتم لنا فقال تميم نساله بيت جيرون وكورتها فنهضنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فدعا بقطعة من أدم وكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين أعطاه الله الارض فوهب لهم بيت عينون وجيرون والمرطوم وبيت ابراهيم الى الابد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب ثم أعطانا كتابا وقال انصرفوا حتى تسمعوا انى قد هاجرت قال ابو هند فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يجدد لنا كتابا آخر فكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أنطى محمد رسول الله لتميم الدارى واصحابه انى انطيتكم بيت عينون وجيرون والمرطوم وبيت ابراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم من بعدهم ابد الابد فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد ابو بكر بن أبي قحافة وعمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب ومعاوية بن ابي سفيان وكتب * ومن فضائل تميم الدارى رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه حيث خطب فقال في خطبته حدثني تميم الداري وذكر خبر الجساسة أي لان فيما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه ركب البحر فتاهت بهم سفينتهم فسقطوا الى جزيرة فخرجوا اليها يلتمسون الماء فلقي انسانا يجر شعره فقال له من أنت فقال انا الجساسة قالوا فاخبرنا قال لا اخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فاذا رجل مقيد فقال من انتم قلنا ناس من العرب قال ما فعل هذا النبي الذي خرج فيكم قلنا قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه قال ذلك خير لهم قال افلا تخبروني عن عين زغر ما فعلت فاخبرناه عنها فوثب وثبة ثم قال ما فعل نخل بيسان هل

أطعم بعد ما خبر ماه انه قد اطعم فوثب مثلما ثم قال اما لو قد أذن لي في الخروج لوطئت البلاد كلها غير طيبة قال فاخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناس وقال هذه طيبة وذاك الدجال قال ابن عبد البر وهذا أولى مما يخرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار قال أهل السير ولما فتحت مكة ودانت له صلى الله عليه وسلم قريش عرفت العرب انهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعداوته لان قريشا كانت قادة العرب فلما اسلموا دخل الناس في دين الله افواجا وتتابعت الوفود

عليه صلى الله عليه وسلم

﴿ وفد كعب بن زهير رضي الله عنه وقد تقدمت قصته في فتح مكة ﴾

(وفد ثقيف) ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان قدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف وكان من خبرهم انه لما انصرف صلى الله عليه وسلم من محاصرتهم تبع اثره عروة ابن مسعود حتى ادركه قبل ان يصل الى المدينة فاسلم رضي الله عنه وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجع الى قومه يامرهم بالاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوك فقال عروة يارسول الله انا أحب اليهم من ابكارهم أى اولادهم * وفي رواية من ابصارهم فخرج يدعو قومه الي الاسلام رجاء ان لا يخالفوه لمرتبته فيهم لانه كان محببا مطاعا وفيه كانوا يقولون كما حكي الله عنهم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فالقريتان مكة والطائف والرجلان الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف فتوجه الى قومه فلما اشرف لهم على علية دعاهم الي الاسلام واظهر دينه فرموه بالنبل من كل جانب فاصابه سهم فقتله وفي لفظ انه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم الى الاسلام ونصح لهم فعصوه واسمعوه من الاذى مالم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده ولما كان السحر وطلع الفجر قام على غرفة في داره وتشهد فرماه رجل

الله بعث معي فوارس لندرك القوم فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن ضحك صلى الله عليه وسلم ملكت فاسجح أي فارفق والمعنى قدرت فاعف وانما كانوا عطاشا لان سلمة رضي الله عنه ذكر انه تبعهم الى قبيل غروب الشمس الى أن عدلوا الى شعب فيه ماء يقال له ذو قرد فنحاهم أي طردهم عنه ومنعهم الشرب منه وتركوا فرسين وجاء بهما سلمة رضي الله عنه يسوقهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل هذا كان من سلمة رضى الله عنه بعد أن رجعت الصحابة عنهم واستمر تابعهم وقال له صلى الله عليه وسلم شخص يارسول الله القوم الآن يغبقون بارض غطفان أى يشربون اللبن بالعشى الذى هو الغبوق فجاء رجل من غطفان فقال مروا على فلان الغطفاني فنحر لهم جزورا فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة وتركوها وخرجوا هرابا ولما نزل صلى الله عليه وسلم بالمحل المذكور لم تزل الخيل تأتي والرجال على اقدامهم وعلى الابل حتى انتهوا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكث يوما وليلة أى وعن سلمة رضي الله عنه وأتانى عمي عامر بن الاكوع بسطيحة فيها ماء وسطيحة فيها لبن فتوضأت وشربت ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الماء الذى أجليتهم عنه فاذا هو صلى الله عليه وسلم قد أخذ كل شيء استنقذته منهم ونحر لهم بلال رضي الله عنه ناقته ولا مخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم ذهب الى الماء بعد ان كان مكثه بالمحل المذكور وصلى صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف أى لخوف ان العدو يجيء اليهم ولعل هذه هي صلاة بطن نخل وهي على مارواه الشيخان بجعل القوم فرقتين وصلاها مرتين كل مرة بفرقة والاخرى تحبس أي تكون في وجه العدو أى في المحل الذى يظن مجيئهم منه وذلك كان لغير جهة القبلة ولان العدو لم يكن بمرأى منهم وهذه الصلاة لم ينزل بها القرآن * أقول لكن رأيت في الامتاع وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ صلاة الخوف فقام الى القبلة وصف طائفة خلفه وطائفة مواجهة العدو وصلى بالطائفة التي خلفه ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا فقاموا مقام أصحابهم وأقبل الآخرون فصلى بهم ركعة وسجد سجدتين وسلم وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتان ولكل رجل من الطائفتين ركعة ولا يخفى ان هذه الكيفية هى صلاة عسفان والله أعلم ولما أصبح صلى الله عليه وسلم قال خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالتنا سلمة رضي الله عنهما وعند خروجه صلى الله عليه وسلم وتلاحق بعض الفرسان به قال لابى عياش لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك للحق بالناس قال أبو عياش فقلت يارسول الله انى أفرس الناس قال أبو عياش فوالله ماجرى بى خمسين ذراعا حتى طرحني فعجبت لذلك وقسم صلى الله عليه وسلم في كل مائة من اصحابه جزورا ينحرونها وكانوا خمسمائة وقيل سبعمائة وبعث سعد بن عبادة رضي الله عنه باحمال تمر وبعشر جزائر فوافت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى قرد أي وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم سعدا وآل سعد نعم المرء سعد بن عبادة فقالت الانصار هو سيدنا وابن سيدنا من بيت يطعمون في المحل ويحملون الكل ويحملون عن العشيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار الناس في الاسلام خيارهم في الجاهلية اذا فقهوا في الدين واقبلت

من ثقيف بسهم فقتله فقيل له قبل ان يموت ماترى فى دمك قال كرامة اكرمني الله بها وشهادة ساقها الى فليس فى الا مافى الشهداء
الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يرتحل عنكم فادفنونى معهم فدفنوه معهم وقال فى حقه صلى الله عليه وسلم ان
مثله فى قومه كمثل صاحب يس انه قال لقومه اتبعوا المرسلين الآيات فقتله قومه والمراد المذكور فى سورة يس وقد قال صلى
الله عليه وسلم مثل هذه المقالة فى حق شخص آخر يقال له قرة بن حصن او ابن الحرث بعثه صلى الله عليه وسلم الى

وأقبلت امرأة أبي ذر رضى الله عنهما على ناقة من ابل رسول الله صلي الله عليه وسلم أى من جملة اللقاح
وهى القصوي أفلتت من القوم فطلبوها فاعجزتهم وفى لفظ وانفلتت المرأة من الوثاق ليلا فاتت الابل
فجعلت اذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء فلم ترغ فقعدت على عجزها ثم زجرتها
وعلموا بها فطلبوها فاعجزتهم ونذرت ان نجاها الله عز وجل لتنحرنها فلما أخبرت النبى صلى الله عليه
وسلم الخبر قالت يارسول الله قد نذرت ان انحرها ان نجاني الله عليها اى وآكل من كبدها وسنامها
فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بئسما جزيتها ان حملك اى لاجل ان حملك الله عليها ونجاك
بها ثم تنحرينها لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين وفى لفظ لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك
ابن آدم انما هي ناقة من ابلى ارجعى الى أهلك على بركة الله تعالى ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة أى وهذا السياق يدل على أن المرأة قدمت عليه صلى الله عليه وسلم بتلك الناقة قبل
قدومه المدينة وفى السيرة الهشامية أنها قدمت عليه صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبرته الخبر ثم قالت
يارسول الله انى نذرت لله الحديث وهو يخالف ماياتي من قوله ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على ناقته العضباء أى ولعل مافى الاوسط للطبرانى بسند ضعيف عن النواس بن سمعان رضى الله
عنه ان ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم سرقت فقال لئن ردها الله على لاشكرن ربى وقد وقعت
فى حى من أحياء العرب فيهم امرأة مسلمة ورأت من القوم غفلة فقعدت عليها فصبحت المدينة الى
آخره لاينافى ماهنا لجواز تعدد الواقعة ورجع رسول الله ﷺ وهو على ناقته العضباء مردفا سلمة
ابن الاكوع رضي الله عنه وقد غاب عنها خمس ليال واعطى صلى الله عليه وسلم سلمة بن الاكوع سهم
الراجل والفارس جميعا اى مع كونه كان راجلا وهذا استدل به من يقول ان للامام ان يفاضل فى الغنيمة
وهو مذهب أبى حنيفة واحدي الروايتين عن احمد وعند مالك وامامنا الشافعى رضى الله تعالى
عنهما لا يجوز ولعله لعدم صحة ذلك عندهما وتبعت فى تقديم هذه الغزوة على غزوة الحديبية الاصل
وهو الموافق لقول بعضهم اجمع أهل السير على ان غزوة الغابة قبل الحديبية ولقول ابى العباس شيخ
القرطبي صاحب التذكرة والتفسير لا يختلف اهل السير ان غزوة ذى قرد كانت قبل الحديبية
والشمس الشامى ذكرها بعد الحديبية تبعا لما فى صحيح البخارى انها بعد الحديبية وقبل خيبر بثلاثة ايام
وفى مسلم نحوه ففيه عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه فرجعنا أى من غزوة ذى قرد الى المدينة فلم نلبث
الا ثلاث ليال حتي خرجنا الى خيبر ويؤيده قول الحافظ شمس الدين بن امام الجوزية قدوهم جماعة من
اصحاب المغازى والسير فذكروا غزوة الغابة قبل الحديبية قال الحافظ بن حجر مافى البخارى اصح مما
ذكره اهل السير قال ويحتمل فى طريق الجمع ان تكون اغارة عيينة بن حصن على اللقاح اى فى الغابة
وقعت مرتين مرة قبل الحديبية ومرة بعد الحديبية قبل الخروج الى خيبر اي ويلزم ان يكون فى كل
كان خروجه ﷺ وان أول من علم باخذ اللقاح سلمة بن الاكوع ووقع له صلى الله عليه وسلم
ولاصحابه ماتقدم هذا حقيقة التكرار والافهل الذي خرج فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم

بني هلال بن عامر يدعوهم
الى الاسلام فقتلوه فقال
صلى الله عليه وسلم مثله
مثل صاحب يس ثم
ان ثقيفا اقامت بعد قتل
عروة اشهرا ثم انهم
ائتمروا بينهم فراوا انهم
لا طاقة لهم بحرب من
حولهم من العرب فاجمعوا
ان يرسلوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
رجلا فكلموا فى ذلك
عبد ياليل بن عمرو وكان
فى سن عروة بن مسعود
فابى لانه خشي ان يفعل
به كما فعل بعروة وقيل
كلموا مسعود بن عبد ياليل
فقال لست فاعلا حتي
ترسلوا معى رجالا فبعثوا
معه خمسة انفار منهم
شرحبيل بن غيلان احد
اشراف ثقيف ويقال
وفد عليه صلي الله عليه
وسلم تسعة عشر رجلا
هم اشراف ثقيف فيهم
كنانة بن عبد ياليل وهو
رئيسهم يومئذ وفيهم
عثمان بن ابي العاص وهو
اصغرهم فلما قربوا من
المدينة رآهم المغيرة

﴿ ٢ - حل - ث ﴾ ابن شعبة الثقفى فذهب مسرعا ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقي أبا بكر رضى الله عنه
فاخبره فقال له أبو بكر رضى الله عنه اقسمت عليك لا تسبقنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي اكون انا احدثه ففعل فدخل أبو
بكر رضى الله عنه على رسول الله صلي الله عليه وسلم فاخبره بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة وعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه
وسلم فابوا الا تحية الجاهلية وهى عم صباحا ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب لهم قبة فى ناحية المسجد ليسمعوا القرآن

ووقع فيها السلمة ولغيره من الصحابة ماوقع كانت أولا اوثانيا فليتامل ثم رأيت عن الحاكم رحمه الله تعالى انه ذكر في الاكليل ان الخروج الى ذي قرد تكرر أي ثلاث مرات ففي الاولى خرج اليها زيد بن حارثة قبل احد وفي الثانية خرج اليها رسول الله ﷺ سنة خمس والثالثة هي المختلف فيها أي ومعلوم ان هذه المختلف فيها خرج اليها صلى الله عليه وسلم فليتامل والله تعالى أعلم

﴿ غزوة الحديبية ﴾

بالتخفيف تصغير حدباء وعلى التشديد عامة الفقهاء والمحدثين واشار بعضهم الى انه لم يسمع من فصيح ومن ثم قال النحاس سألت كل من لقيت ممن اثق بعلمه عن الحديبية فلم يختلفوا في أنها بالتخفيف وفي كلام بعضهم اهل الحديث يشددون وأهل العربية يخففون وفي كلام بعض آخر اهل العراق يشددون واهل الحجاز يخففون وهي بئر وقيل شجرة سمي المكان باسمها وقيل قرية قريبة من مكة اكثرها في الحرم قال وسببها أنه ﷺ رأى في النوم انه دخل مكة هو واصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين اي بعضهم محلق وبعضهم مقصر وانه دخل البيت واخذ مفتاحه وعرف مع المعرفين انتهى اي وطاف هو واصحابه واعتمر واخبر بذلك اصحابه ففرحوا ثم اخبر اصحابه انه يريد الخروج للعمرة فتجهزوا للسفر فخرج ﷺ معتمرا ليامن الناس اي اهل مكة ومن حولهم من حربه وليعلموا انه ﷺ انما خرج زائرا للبيت ومعظما له وكان احرامه صلى الله عليه وسلم بالعمرة من ذي الحليفة اي بعد ان صلى بالمسجد الذي بها ركعتين وركب من باب المسجد وانبعثت به راحلته مستقبل القبلة احرم واحرم معه غالب أصحابه ومنهم من لم يحرم الا بالجحفة اي وكان خروجه في ذي القعدة وقيل كان خروجه في رمضان وهو غريب ولفظ تلبيته ﷺ لبيك اللهم لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة الشريفة نميلة بن عبد الله الليثي اي وقيل ابن ام مكتوم وقيل أبارهم كلثوم بن الحصين اي وقيل استخلف ابا رهم مع ابن ام مكتوم جميعا وكان ابن ام مكتوم على الصلاة وكان ابورهم حافظا المدينة وكان خروجه صلى الله عليه وسلم بعد ان استنفر العرب ومن حوله من اهل البوادي من الاعراب ممن اسلم غفار ومزينة وجهينة واسلم القبيلة المعروفة خشية من قريش أن يحاربوه وان يصدوه عن البيت كما صنعوا فتثاقل كثير منهم وقالوا أنذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم واعتلوا بالشغل باهاليهم وأموالهم وانه ليس لهم من يقوم بذلك فانزل الله تعالى تكذيبهم في اعتذارهم بقوله يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وخرج صلى الله عليه وسلم بعد ان اغتسل ببيته ولبس ثوبين وركب راحلته القصوى من عند بابه وخرج معه ام سلمة وأم عمارة وأم منيع وأم عامر الاشهلية رضي الله عنهن ومعه المهاجرين والانصار ومن لحق بهم من العرب وابطأ عليه كثير منهم كما تقدم وساق معه الهدى سبعين بدنة اي وقد جللها اي في ذي الحليفة بعد ان صلى بها الظهر ثم اشعر منها عدة وهي موجهات للقبلة في

ويزوا الناس اذ صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم ويخلفون عثمان بن ابي العاص عند متاعهم فكان عثمان رضي الله عنه اذا رجعوا ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم يساله عن الدين ويستقرئه القرآن واذا وجد النبي صلى الله عليه وسلم نائما ذهب الى ابي بكر رضي الله عنه وكان يكتم ذلك من اصحابه فاعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحبه وروي ابن منده وغيره عن عثمان بن ابي العاص رضي الله عنه قال استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اصغر الذين وفدوا عليه من ثقيف لاني كنت قرأت سورة البقرة في مدة اقامتهم وعنه رضي الله عنه قال قلت يارسول الله ان القرآن يتفلت مني فوضع يده على صدري وقال ياشيطان اخرج من صدر عثمان فما نسيت شيا بعده أريد حفظه وعنه رضي الله عنه قلت يارسول الله ادع الله ان يفقهني في الدين ويعلمني قال ماذا قلت فاعدت عليه القول فقال لقد سالتني عن شيء ماسالني عنه احد من اصحابك اذهب فانت أمير عليهم وعلى من تقدم عليه من قومك وفي صحيح مسلم عن عثمان بن ابي العاص قال قلت يارسول الله ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي فقال ذاك الشيطان يقال له خنزب فاذا احسست به فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت فاذهبه الله عني وكان في هذا الوفد رجل مجذوم فارسل صلى الله عليه وسلم يقول له انا بايعناك فارجع وفي الخبر المرفوع لاتديموا النظر الى المجذومين وجاء كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح او رمحين وهذا معارض بقوله صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولا طيرة وبما جاء في احاديث اخر انه صلى الله عليه وسلم اكل مع المجذوم طعاما واخذ يده وجعلها مع يده في القصعة وقال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه واجيب بان الامر باجتناب المجذوم ارشادا ومواكلته لبيان الجواز وجواز المخالطة في حق من قوي ايمانه وعدم جوازها في حق من ضعف ايمانه ومن ثم باشر صلى الله عليه

الشق

الشق الايمن اى من سنامها ثم أمر صلى الله عليه وسلم ناجية بن جندب وكان اسمه ذكوان فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وسماه ناجية لما انه نجا من قريش فاشعر ما بقي وقلدهن نعلا نعلا واشعر المسلمون بدنهم وقلدوها والاشعار جرح بصفحة سنامها والتقليد ان تقلد فى عنقها قطعة جلد او نعلا بالية ليعلم انه هدى ويكف الناس عنه وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وقيل كانوا أربع عشرة مائة وقيل خمس عشرة وقيل ست عشرة وقيل كانوا الفا وثلثمائة وقيل واربعمائة وقيل وخمسمائة وخمسة وعشرين اى وقيل الف وسبعمائة اى وليس معهم سلاح الا السيوف فى القرب وقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتخشى يا رسول الله من ابي سفيان واصحابه ولم تاخذ للحرب عدتها فقال لست احب ان احمل السلاح معتمرا وكان معهم مائتا فرس فاقبلوا نحوه صلى الله عليه وسلم اى فى بعض الحال وكان بين يديه صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضأ منها فقال ما لكم قالوا يا رسول ليس عندنا ماء نشربه ولا ماء نتوضأ منه الا ما فى ركوتك فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه الشريفة امثال العيون اى وفى لفظ فجعل الماء ينبع من بين اصابعه الشريفة وفى لفظ آخر ورأيت الماء يخرج من بين اصابعه وفى لفظ آخر ورأيت الماء ينبع من بين اصابعه واستدل به بعضهم على ان الماء خرج من نفس بشرته الشريفة صلى الله عليه وسلم قال ابو نعيم فى الحلية وهو اعجب من نبع الماء لموسى عليه الصلاة والسلام من الحجر فان نبعه من الحجر متعارف معهود واما من بين اللحم والدم فلم يعهد قال بعضهم وانما لم يخرجه صلى الله عليه وسلم بغير ملابسة ماء فى اناء تأدبا مع الله تعالى لانه المنفرد بابتداع المعدومات من غير اصل قال جابر رضى الله عنه فشربنا وتوضأنا ولو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة ولما كانوا بعسفان جاء اليه صلى الله عليه وسلم بشر بن سفيان العتكى اي وقد كان صلى الله عليه وسلم ارسله الى مكة عينا له فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بخروجك واستنفروا من اطاعهم من الاحابيش واجلبت ثقيف معهم ومعهم النساء والصبيان وفي لفظ يخرجوا ومعهم العوذ المطافيل اى النياق ذوات اللبن التي معها اولادها ليتزودوا بذلك ولا يرجعون خوف الجوع قال السهيلي والعوذ جمع عائذ وهى الناقة التى معها ولدها وانما قيل للناقة عائذ وان كان الولد هو الذى يعوذ بها لانها عاطف عليه كما قالوا تجارة رابحة وان كانت مربوحا فيها لانها فى معنى نامية وزاكية هذا كلامه او العوذ المطافيل النساء معهن اطفالهن اى انهم خرجوا بنسائهم معهن اولادهن ليكون ادعى لعدم الفرار اى ويجوز ان يكونوا اخرجوا ذلك جميعه وقد لبسوا جلود النمر اى اظهروا العداوة والحقد وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله ان لا يدخلها عليهم عنوة ابدا وهذا خالد بن الوليد اى رضى الله عنه لانه اسلم بعد ذلك فى خيلهم قد قدموها الى كراع الغميم اى وكانت مائتى فرس اى وقد صفت الى جهة القبلة فامر صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر رضى الله عنه فتقدم فى خيله فقام بازاء خالد وصف اصحابه رضي الله عنهم اى وحانت صلاة الظهر فاذن بلال رضى الله عنه واقام فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة وصف الناس خلفه

وسلم الصورتين ليقتدى به فيأخذ قوى الايمان بطريق التوكل وضعيف الايمان بطريق التحفظ والاحتياط ولا تأثير الا لله وما يتخيل من العدوي فى امثال ذلك من جملة الاسباب العادية التي لا تأثير لها بل يحصل الشيء عندها لا بها والفعل لله وحده الله خالق كل شيء * وعند انصراف وفد ثقيف قالوا يا رسول الله امر علينا رجلا يؤمنا فامر عليهم عثمان بن ابي العاص لما رأي من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين وقال الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انى رأيت هذا الغلام من احرصهم على التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن وفي رواية ان عثمان بن ابي العاص رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله اجعلنى امام قومي قال انت امامهم وقال له اذا اممت فاخف بهم الصلاة واتخذ مؤذنا لا يأخذ على اذانه أجرا وكان خالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنه هو الذى يمشى بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم حتى كتب لهم كتابا وكان الكاتب له خالد المذكور ومن جملته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد من وجد يفعل ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه ووج واد بالطائف وقيل هو الطائف والعضاه كل شجر له شوك واحده عضة كشفة وشفاه وروى ابو داود وغيره الا ان صيد وج وعضاهه حرام محرم والقول بأخذ سلب المتعرض لصيد وج والمدينة هو أحد قولين للشافعي رضي الله عنه والمشهور عنه في وج وحرم المدينة انه يحرم التعرض لصيدهما من غير جزاء وهذا مذهب الجمهور من العلماء وكان هؤلاء الوفد لا يطعمون طعاما يأتيهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى اسلموا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يترك لهم الصلاة فقال لا خير فى دين لا صلاة فيه وفى لفظ لا ركوع فيه وان يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فابى ذلك وسألوه ان يترك لهم الطاغية التي هى صنمهم لا يهدمها الا بعد ثلاث سنين من مقدمهم

وهي اللات وكانوا يقولون لها الربة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يتركها سنة فأبى حتى سألوه شهرا واحدا وارادوا بذلك ليدخل الاسلام في قومهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم وذراريهم بهدمها فأبى عليهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند خروجهم قال لهم كنانة انا اعلمكم بثقيف اكتموا اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال واخبروهم ان محمدا سألنا امورا عظيمة فأبيناها عليه سألنا ان نهدم الطاغية (١٢) وان نترك الزنا والربا وشرب الخمر فلما رجعوا وجاءتهم ثقيف يسألونهم قالوا جئنا رجلا فظا غليظا قد ظهر بالسيف ودان له الناس فعرض علينا امورا شدادا وذكروا ما تقدم قالوا والله لا نطيعه ولا نقبل هذا ابدا فقالوا لهم اصلحوا السلاح وتهيؤا للقتال ورموا حصونكم فمكث ثقيف كذلك يومين او ثلاثة ثم ألقى الله الرعب في قلوبهم وقالوا والله ما لنا به من طاقة فارجعوا اليه واعطوه ما سأل فعند ذلك قالوا اللهم قد قاضيناه وأسلمنا فقالوا لهم لم كتمتمونا قالوا أردنا ان ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان فاسلموا ومكثوا اياما فقدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث صلى الله عليه وسلم اباسفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما لهدم الطاغية فهدماها كما تقدم واخذا مافيها من المال والحلي فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم امر صلى الله عليه وسلم ابا سفيان ان يقضي دين عروة واخيه الاسود من مال الطاغية فقضاه وذلك ان ابامليح ابن عروة بن مسعود وابن عمه قارب ابن الاسود واخو عروة بن مسعود سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وكان قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين لما قاتلت ثقيف عروة بن مسعود وقبل ان تسلم ثقيف كما تقدم فاجابهما الى ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ وفد بني عامر بن صعصعة ﴾ وفيهم عدو الله عامر بن الطفيل واربد بن قيس وجبار بن سلمى بضم السين وفتحها وكان هؤلاء

فركع بهم وسجد ثم سلم فقال المشركون لقد امكنكم محمد واصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم وفي لفظ قال خالد بن الوليد رضي الله عنه قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم اصبنا منهم ولكن تأتي الساعة صلاة اخرى هي احب اليهم من انفسهم وابنائهم اي التي هي صلاة العصر وبهذا استدل على انها الصلاة الوسطى واستدل له ايضا بانه كان في اول ما انزل حافظوا على الصلوات وصلاة العصر ثم نسخ ذلك اي تلاوته بقوله تعالى والصلاة الوسطى فنزل جبريل عليه السلام بين الظهر والعصر بقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الايات وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم جميعا حتى عباد بن بشر واصحابه جميعا الذين قاموا بازاء خالد رضي الله عنهم وكانت صلاة العصر فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة الخوف اي على ما ذكره الله تعالى فلما جعل المسلمون يسجد بعضهم وبعضهم قائم ينظر اليهم قال المشركون لقد اخبروا بما اردناه بهم واهل هذه الصلاة هي صلاة عسفان لان كراع الغميم بالقرب منه كما تقدم وهي على ما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم صفهم صفين وانه احرم بهم وركع واعتدل بهم جميعا ثم لما سجد سجد معه الصف الاول سجدتيه وتخلف الصف الثاني في اعتداله للحراسة فلما قام وقام معه من سجد سجد الصف الثاني ولحقه في القيام وتقدم الصف الثاني وتأخر الصف الاول ثم ركع واعتدل بهم جميعا ثم سجد سجد معه الصف الثاني الذي تقدم واستمر الصف الاول الذي تأخر على الحراسة في اعتداله فلما جلس للتشهد اتموا بقية صلاتهم وجلسوا معه للتشهد فتشهد وسلم بهم جميعا وعلى هذه الصلاة حمل ائمتنا ما جاء فرضت الصلاة في الخوف ركعة اي انها ركعة مع الامام ويضم اليها اخرى ثم رأيت في الدر المنثور التصريح بان هذه الصلاة هي صلاة عسفان عن ابن عياش الزرقي قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه وهم بيننا وبين القبلة فصلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم الظهر فقالوا قد كانوا على حال غرة الحديث المتقدم واشترط ائمتنا في هذه الصلاة وهي اذا كان العدو في جهة القبلة ولا ساتر ان يكون كل صف مقاوما للعدو وان كل واحد لاثنين والا لم تصح الصلاة لما فيه من التغرير بالمسلمين واهل صلاته صلى الله عليه وسلم بالصفين كانت كذلك وهذه الصلاة لم ينزل بها القرآن كصلاة بطن نخل فعلم ان القرآن لم ينزل الا بصلاة ذات الرقاع وبصلاة شدة الخوف ولم اقف على انه صلى الله عليه وسلم صلى صلاة شدة الخوف وهي ان يلتحم القتال او لم يأمنوا هجوم العدو ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بان قريشا تريد منعه عن البيت قال اشيروا علي ايها الناس اتريدون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال ابو بكر يارسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل احد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه أي وفي الامتاع فقال المقداد رضي الله عنه يارسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون والله يارسول الله لو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا معك ما بقي منا رجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فامضوا على اسم الله فساروا ثم قال ياويح قريش نهكتهم الحرب اي اضعفتهم وفي لفظ أكلتهم الحرب

ماذا

الثلاثة رؤساء القوم وكان عامر بن الطفيل سيدهم كان ينادي مناديه بسوق عكاظ هل من راحل فنحمله أو جائع فنطعمه أو خائف فنؤمنه وكان من أجمل الناس وكان مضمر الغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال لاربد وهو أخو لبيد الشاعر اذا قدمنا على الرجل فاني شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف وقد قال له قومه يا عامر ان الناس قد أسلموا فاسلم فقال والله لقد كنت آليت على نفسي أى حلفت أن لا أنتهى حتى تتبع عقبي فانا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ولما قدموا على رسول الله

ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب فان هم أصابوني كان ذلك الذى أرادوا وان أظهرني الله عليهم دخلوا فى الاسلام وافرين أى كاملين وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فما تظن قريش فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثني الله به حتي يظهره الله او تنفرد هذه السالفة اى وهي صفحة العنق فهو كناية عن القتل ثم قال صلى الله عليه وسلم هل من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها فقال رجل من اسلم انا يارسول الله أي ويقال انه ناجية بن جندب رضى الله عنه فسلك بهم طريقا وعرا فلما خرجوا منه وقد شق عليهم ذلك وافضوا الى ارض سهلة قال رسول الله ﷺ للناس قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها اى قول استغفر الله للحطة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يقولوها ثم ان خالدا رضى الله عنه لم يشعر بهم الا وقد نزلوا بذلك المحل فانطلق نذيرا لقريش وقد جاء فى تفسير الحطة انها المغفرة اى طلب المغفرة اى اللهم حط عنا ذنوبنا وهذا هو المناسب لقوله صلى الله عليه وسلم قولوا استغفر الله الى آخره وجاء فى تفسيرها ايضا انها لا اله الا الله فلم يقولوا حطة بل قالوا حنطة حبة حمراء فيها شعيرة سوداء استهزاء وجراءة على الله تعالى وفى البخاري فقيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم اي اطيازهم وقولوا حبة فى شعيرة وقد جاء اهل بيتى فيكم مثل باب حطة فى بنى اسرائيل من دخله غفر له الذنوب اى المذكورة في قوله تعالى وادخلوا الباب أى باب اريحاء لمدالجبارين سجدا اى خاضعين متواضعين وقولوا حطة اى حط عنا خطايانا قال بعضهم فكما جعل الله لبنى اسرائيل دخولهم الباب على الوجه المذكور سببا للغفران فكذا حب اهل البيت سبب للغفران ثم امر رسول الله ﷺ الناس ان يسلكوا طريقا تخرجهم على مهبط الحديبية من اسفل مكة فسلكوا ذلك الطريق فلما كانوا به اى بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت ناقته صلى الله عليه وسلم اي القصوى فقال الناس حل حل فالحت أى تمادت واستمرت على عدم القيام فقالوا خلأت القصوى اى حرنت يقال خلأت الناقة وألح الجمل بالحاء المعجمة فيهما وحرن الفرس فقال رسول الله ﷺ ما خلأت وما هو لها بخلق وفى لفظ ما ذاك لها بعادة ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة اى منعها الله عن دخول مكة اي علم ﷺ ان ذلك صد له من الله عن مكة ان يدخلها قهرا والذي نفس محمد بيده لا تدعني قريش اليوم الى خطة اى خصلة يسالون فيها صلة الرحم الا اعطيتهم اياها اي وفى رواية فيها تعظيم حرمات الله تعالى الا اعطيتهم اياها اى من ترك القتال فى الحرم والكف عن اراقة الدم ثم زجرها صلى الله عليه وسلم فقامت فولى راجعا عوده على بدئه ثم قال للناس انزلوا فقالوا يارسول الله ما بالوادى ماء ننزل عليه فاخرج صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته فاعطاه ناجية بن جندب رضى الله عنه سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم او البراء بن عازب رضى الله عنه او خالد بن عبادة الغفارى فنزل في قليب فغرزه فى جوفه فجاش اى علا وارتفع بالرواء اي الماء العذب حتى ضرب الناس عليه بعطن وفى لفظ حتى صدروا عنها بعطن اى حتي رووا ورويت ابلهم حتي بركت حول الماء لان عطن الابل مباركها قال ولما نزل رسول الله صلى الله عليه

صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل يا محمد خالي أى اجعلني خليلا وصديقا لك قال صلى الله عليه وسلم لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له قال يا محمد خالني وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يأتي بشيء ويدمت يده على السيف فلم يستطع سله * وفى رواية لما جاءه عامر وسده أي ألقى له وسادة ليجلس عليها ثم قال له أسلم يا عامر فقال عامر لى اليك حاجة قال أقرب مني فقرب منه حتى حنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتجعل لى الامر بعدك ان أسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك ولا لقومك اي انما ذلك الى الله يجعله حيث شاء ولكن لك أعنة الخيل قال أنا الآن فى اعنة خيل نجد أتجعل لى الوبر ولك المدر قال لا * وفي رواية قال له يا محمد مالى ان اسلمت فقال له لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال اما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا وفى رواية خيلا جردا ورجالا مردا ولاربطن بكل نخلة فرسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعك الله عز وجل ومكث صلى الله عليه وسلم اياما يدعو الله ويقول اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث له داء يقتله واهد قومه ثم قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو اسلم واسلمت بنو عامر لزاحمت قريشا على منابرها فحينئذ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا قوم

آمنوا ثم قال اللهم اهد بني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل كيف شئت وانى شئت وفي البخاري انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ولي اهل الوبر أو اكون خليفتك من بعدك أو أغزوك من غطفان بالف اشقر والف شقراء فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لاربد ويلك يا اربد أين ما كنت امرتك به وما كان على وجه الارض رجل اخافه على نفسي غيرك وايم الله لا اخافك بعد اليوم ابدا فقال لا ابالك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي امرتني به الا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما ارى غيرك أفاضربك بالسيف وفي رواية الا رأيت بيني وبينه سورا من حديد وفي رواية لما وضعت يدي على السيف يبست فما أستطيع احركها وفي رواية لما أردت فصل سيفي نظرت فاذا فحل من الابل فاغرفاه بين يدي يهوي الي فوالله لو سللته لخفت ان يبلع رأسي ولا مانع من تكرير عزمه على الفعل وعند كل مرة يرى واحدا مما ذكره ثم خرج عامر بن الطفيل ومن معه راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فاوى الى بيت امرأة من بني سلول وكانوا موصوفين باللؤم فسار يتاسف على مجيء الموت له في بيتها ويمس الطاعون ويقول يا بني عامر غدة كغدة البعير في بيت امرأة من بني سلول ائتوني بفرسي ثم ركب فرسه واخذ رمحه وصار يجول حتى سقط عن فرسه ميتا وان وكان يقول وهو يجول ابرز يا ملك الموت وفي لفظ يا موت ابرز لي لا قاتلك فلم يزل كذلك حتى اماته الله وهذا دليل على فرط حماقته وقد وهم بعضهم فادعى بقاء عامر بن الطفيل على الاسلام الى ان مات وذلك انما هو عامر ابن الطفيل الاسلمي فانه صحابي رضي الله عنه قال يا رسول الله زودني كلمات اعيش بهن قال يا عامر أفش السلام واطعم الطعام واستحي من الله كما تستحي من رجل من

وسلم باقصى الحديبية على ثمد وهو حفرة فيها ماء من ثمادها قليل الماء يتربضه الناس تربضا اى يأخذونه قليلا قليلا ثم لم يلبث الناس حتى نزحوه فاشتكى الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلة الماء وفي لفظ العطش أي وكان الحر شديدا فنزع صلى الله عليه وسلم سهما من كنانته ودفعه للبراء فقال اغرز هذا السهم في بعض قلب الحديبية ففعل والقليب جاف فجاش الماء وقيل دفعه لناجية بن الاعجم فعنه رضي الله عنه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شكى اليه قلة الماء فاخرج سهما من كنانته ودفعه الي ودعا بدلو من ماء البئر فجئته به فتوضأ فمضمض ثم مج الماء في الدلو ثم قال انزل بالدلو في البئر واثر ماءها بالسهم ففعلت والذى بعثه بالحق ما كدت اخرج حتى يغمرني الماء وفارت كما يفور القدر حتى طمت واستوت شفيرها يغترفون من جوانبها حتى نهلوا عن آخرهم وعلى البئر نفر من المنافقين منهم عبد الله بن ابي سلول فقال له أوس بن خولي رضي الله عنه ويحك يا ابا الحباب ما آن لك تبصر ما انت عليه ابعد هذا شيء فقال انى رأيت مثل هذا فقال له اوس رضي الله عنه قبحك الله وقبح رأيك ثم اقبل اى عبد الله المذكور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب انى رايت اي كيف رأيت مثل ما رأيت اليوم قال ما رأيت مثله قط قال فلم قلت ما قلت فقال يا رسول الله استغفر لي وقال ابنه عبد الله يا رسول الله استغفر له فاستغفر له وفي لفظ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية أربع عشر مائة والحديبية بئر نتربضها من البرض وهو الماء الذى يقطر قليلا قليلا فلم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا ماشيتنا وركابنا وفي لفظ فرفعت اليه الدلو فغمس يده فيها وقال ما شاء الله ان يقول ثم صب الدلو فيها فلقد لقيت آخرنا اخرج بثوب خشية الغرق ثم ساحت نهرا فليتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها وقد يقال لا مانع من وقوع جميع ذلك لكن يبعد ان يكون ذلك في قليب واحد قال بعضهم فلما ارتحلوا اخذ البراء رضي الله عنه السهم وجف الماء كان لم يكن هناك شيء وفي كلام هذا البعض ان ابا سفيان قال لسهيل بن عمرو رضي الله عنهما قد بلغنا انه ظهر بالحديبية قليب فيه ماء فقم بنا ننظر الى فعل محمد فاشرفا على القليب والعين تنبع تحت السهم فقالا ما رأينا كاليوم قط وهذا سحر محمد قليل وفيه ان ابا سفيان رضي الله عنه لم يكن حاضرا في الحديبية وحمل ذلك على ان ذلك كان من ابي سفيان بعد ارتحاله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ينافيه ما قدمه هذا البعض ان عند ارتحالهم من الحديبية رفع السهم وجف القليب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه بديل بن ورقاء وكان سيد قومه رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك يوم الفتح فكان من كبار مسلمة الفتح في رجال من خزاعة وكانت خزاعة مسلمها ومشركها لا يخفون عليه صلى الله عليه وسلم شيئا كان بمكة بل يخبرونه به وهو بالمدينة وكانت قريش ربما تفطن لذلك فسالوه ما الذى جاء به فاخبرهم انه لم يأت يريد حربا وانما جاء زائرا للبيت ومعظما لحرمته وفي المواهب انه صلى الله عليه وسلم قال لبديل ما تقدم من قوله وان قريشا قد نهكتهم الحرب الى آخره

وان بديلا رضي الله عنه قال له ما لمفهوم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال انا جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال هذا كلامه والرواية المشهورة ان بديلا ومن معه من خزاعة لما رجعوا الى قريش فقالوا يا معشر قريش انكم تعجلون على محمد وان محمدا لم يات لقتال وانما جاء زائرا لهذا البيت فاتهموهم وجبهوهم أي قابلوهم بما يكرهون وقالوا ان كان جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أي قهرا ابدا ولا تتحدث بذلك عنا العرب أي وفي لفظ انهم قالوا ايريد محمد ان يدخلها علينا في جنوده معتمرا تسمع العرب انه قد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا والله لا كان هذا ابدا ومنا عين تطرف ثم بعثوا اليه صلى الله عليه وسلم مكرز بن حفص اخا بني عامر فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال هذا الرجل غادر أي * وفي رواية فاجر فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل فرجع الى قريش واخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعثوا اليه صلى الله عليه وسلم الحليس بن علقمة وكان سيد الاحابيش يومئذ وتقدم عن الاصل ان الاحابيش هم بنو الهون بن خزيمة وبنو الحرث بن عبد مناف بن كنانة وبنو المصطلق بن خزيمة أي وانه قيل لهم ذلك لانهم تحالفوا تحت جبل باسفل مكة يقال له حبشي هم وقريش على انهم يد واحدة على من عاداهم ما سجا ليل ووضح نهار وما رسا حبشي فسموا احابيش قريش () فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون أي يتعبدون ويعظمون أمر الاله وفي لفظ يعظمون البدن وفي لفظ يعظمون الهدي فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدي يسيل عليه بقلائده من عرض الوادي بضم المهملة أي ناحيته واما ضده الطول فبفتح المهملة قد أكل اوباره من طول الحبس عن محله بكسر الحاء المهملة موضعه الذي ينحر فيه من الحرم أي يرجع الحنين واستقبله الناس يلبون قد شعثوا صاح وقال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا عن البيت ابى الله ان يحج لخم وجذام ونهد وحمير ويمنع ابن عبد المطلب هلكت قريش ورب الكعبة ان القوم اتوا عمارا أي معتمرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل يا أخا بني كنانة () وقيل انه بمجرد ان رأي هذا الامر رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال لهم في ذلك اي قال اني رأيت ما لا يحل منعه رأيت الهدي في قلائده قد أكل أوباره أي معكوفا عن محله والرجال قد شعثوا وقملوا فقالوا له اجلس فانما انت اعرابي ولا علم لك اي فما رايت من محمد مكيدة فعند ذلك غضب الحليس وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم يصد عن بيت الله من جاء معظما والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له اولا نفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له مه أي كف يا حليس حتى ناخذ لانفسنا ما نرضى به ثم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وهذا هو الذي شبهه صلى الله عليه وسلم بعيسى بن مريم عليه السلام ولما قتله قومه قال صلى الله عليه وسلم مثله في قومه كصاحب يس كما

أهلك واذا أسأت فاحسن فان الحسنات يذهبن السيآت وأما عامر بن الطفيل العامري فهو الكافر وقد مات على كفره وقدم صاحباه بعد موته على قومهما فقال لاربد ما وراءك يا أربد قال لا شيء والله لقد دعانا الى شيء لوددت انه عندي الآن فارميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جمله يتبعه فارسل الله عليه وعلى جمله صاعقة أحرقتهما وكان ذلك يوم صحو وقائظ وانزل الله قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء واما جبار بن سلمى الذي هو ثالثهم فقد أسلم مع من أسلم من بني عامر وحسن اسلامه رضي الله عنه

﴿وفد ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه﴾

قيل انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في سنة خمس والصواب كما قاله الحافظ ابن حجر انه سنة تسع قال ابن عباس رضي الله عنهما ما سمعنا بوافد وفد كان افضل من ضمام بن ثعلبة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه متكئا جاءه رجل من أهل البادية على جمل فاناخه في المسجد ثم عقله وقال ايكم ابن عبد المطلب * وفي رواية أيكم محمد قالوا هذا المتكيء فقال اني سائلك فمشدد عليك فلا تجد علي فقال سل عما بدا لك فقال يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا انك تزعم ان الله ارسلك قال صدق فقال أنشدك برب من قبلك ورب من بعدك * وفي رواية انشدك بالذي خلق السموات والارض ونصب هذه الجبال آلله امرك ان تامرنا ان نعبد الله وحده ولا نشرك به شيا وان نخلع هذه الانداد التي كان آباؤنا يعبدونها قال اللهم نعم قال انشدك بالله آلله امرك ان ناخذ من أموال اغنيائنا فنرده على فقرائنا قال اللهم نعم قال وانشدك بالله آلله امرك ان نصوم هذا الشهر من اثني عشر شهرا قال اللهم نعم قال وانشدك بالله آلله امرك ان نحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال آمنت وصدقت وانا ضمام بن ثعلبة ولما رجع الى قومه كان اول شيء تكلم به ان سب اللات والعزي فقال له قومه ياضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون فقال

و يلكم انهما والله لا يضران ولا ينفعان ان الله تعالى قد بعث رسولا وانزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه واني اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما امركم به ونهاكم عنه فلم يبق من القوم رجل ولا امراة الا واسلم ﴿وفد عبد القيس﴾ وكانت منازلهم بالبحرين وكان ممن وفد فيهم الجارود وكان نصرانيا قد قرا الكتب فقال ابياتا يخاطب بها النبي صلى الله عليه وسلم (١٦) منها قوله يانبي الهدى اتاك رجال * قطعت فدفدا وآلا فآلا تتقى وقع يوم عبوس *

اوجل القلب ذكره ثم هالا والفدفد المفازة والآل مايرفع الشخوص في اول النهار وفي آخره وقيل السراب قيل كان مجيئهم سنة عشرة فعرض صلى الله عليه وسلم الاسلام على الجارود بعد انشاده الابيات وقال يامحمد اني كنت على دين واني تارك ديني لديك فتضمن لي ديني فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم انا ضامن ان قد هداك الى ما هو خير منه فاسلم واسلم اصحابه وجاء في رواية انه كان مع الجارود سلمة وابن عياض الاسدي وان الجارود قال لسلمة ان خارجا خرج يزعم انه نبي فهل لك ان تخرج اليه فان راينا خيرا دخلنا فيه وانا ارجو ان يكون هو النبي الذي بشر به عيسى ابن مريم لكن يضمر كل واحد منا ثلاث مسائل يساله عنها لا يخبر بها صاحبه فلعمري ان اخبرنا بها انه لنبي يوحى اليه فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم قال له الجارود بم بعثك ربك يامحمد قال بشهادة ان لا اله الا الله واني عبد الله ورسوله والبراءة من كل نديعبد من دون الله وباقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة لحقها وصوم رمضان وحج البيت بغير الحاد من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد قال الجارود يامحمد ان كنت نبيا اخبرنا عما اضمرنا عليه فخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة كانها سنة ثم رفع راسه والعرق يتحدر عنه فقال اما انت ياجارود فانك اضمرت ان تسالني عن دماء الجاهلية

سيا في ذلك فقال يامعشر قريش اني رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه الى محمد اذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتم انكم والد واني ولد فقالوا صدقت وهذا يدل على ان ذهاب عروة بن مسعود رضي الله عنه انما كان بعد تكرر الرسل من قريش اليه ﷺ وبه يعلم ما في المواهب ان عروة لما سمع قريشا توبخ بديلا ومن معه من خزاعة قال اي قوم ألستم بالوالد الى آخره وفي لفظ الستم كالوالد والدي كل واحد منكم كالوالد لي وانا كالولد له وقيل انتم حي قد ولدني لان امه سبيعة بنت عبد شمس قالوا بلى قال او لست بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا ما انت عندنا بمتهم فخرج حتى اتى رسول الله ﷺ فجلس بين يديه ثم قال يامحمد جمعت أوباش اي اخلاط الناس ثم جئت بهم الى بيضتك اي اصلك وعشيرتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر يعاهدون الله ان لا تدخلها عليهم عنوة ابدا وايم الله لكاني بهؤلاء قد انكشفوا عنك اي انهزموا غدا وفي لفظ الله لارى وجوها اي عظاما واني ارى اسرابا من الناس خليقا اي حقيقا ان يفروا ويدعوك وابو بكر رضي الله عنه جالس خلف رسول الله ﷺ فقال له امصص بظر اللات والبظر قطعة تبقى في فرج المراة بعد الختان وقيل التي تقطعها الخاتنة انحن ننكشف عنه قال من هذا يامحمد قال صلى الله عليه وسلم هذا ابن ابي قحافة فقال اما والله لولا يد كانت لك عندي لكافاتك بها اي على هذه الكلمة التي خاطبتني بها ولكن هذه بها * وفي رواية والله لولا يد لك عندي لم اجزك بها لاجبتك بها وتلك اليد التي كانت لابي بكر رضي الله عنه عند عروة هي ان عروة استعان في حمل دية فاعانه الرجل بالواحد من الابل والرجل بالاثنين واعانه ابو بكر رضي الله عنه بعشرة ابل شواب ثم جعل عروة يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه اي وهذه عادة العرب ان الرجل يتناول لحية من يكلمه خصوصا عند الملاطفة وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير لكن كانه صلى الله عليه وسلم انما لم يمنعه من ذلك استمالة وتاليفا له والمغيرة بضم الميم وكسرها ابن شعبة واقف على راس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد وعليه المغفر فجعل يقرع يد عروة اذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم اي بنعل السيف وهو ما يكون اسفل القراب من فضة او غيرها ويقول اكفف يدك عن وجه* وفي رواية عن مس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان لا تصل اليك فانه لا ينبغي لمشرك ذلك وانما فعل ذلك المغيرة رضي الله عنه اجلالا لرسول الله ﷺ ولم يبطر لما هو عادة العرب فيقول للمغيرة ويحك ما افظك وما اغلظك اي ما اشد قولك وفي رواية فلما اكثر عليه غضب عروة وقال ويحك ما افظك وما اغلظك ليت شعري من هذا الذي آذاني من بين اصحابك والله اني لا احسب فيكم الأم منه ولا شر منزلة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا ابن اخيك المغيرة بن شعبة اي لان عروة كان عم والد المغيرة فالمغيرة يقول له ياعم لان كل قريب من جهة الاب يقال له عم وليس في الصحيح لفظ ابن اخيك فقال اي غدر اي ياغادر وهل غسلت غدرتك وفي لفظ سوأتك وفي لفظ الست اسعى في غدرتك الا بالامس وفي لفظ ياغدر والله ماغسلت عنك غدرتك لكاظ الا بالامس وقد اورثتنا العداوة

وعن حلف الجاهلية وعن النيحة ألا وان دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الاسلام ألا وان أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة أو ابن شاة وأما انت ياسلمة فانك اضمرت أن تسألني عن عبادة الاوثان وعن يوم السباسب وعن عقل الهجين فاما عبادة الاوثان فان الله تعالى يقول انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وأما يوم السباسب فقد اعقب الله ليلة خيرا من الف شهر فاطلبوها في العشر الاواخر من رمضان فانها ليلة بلجة سمحة لا ر ع (١٧) فيها تطلع الشمس في صبيحتها لاشعاع لها واما عقل الهجين فان المؤمنين اخوة تتكافأ دماؤهم يجير اقصاهم على ادناهم اكرمهم عند الله اتقاهم لهفقالا نشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له وانك عبده ورسوله وذكر بعضهم أن وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة و يمكن ان وفادتهم تكررت وجزم بذلك في المواهب وجاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم بينما هو يحدث اصحابه اذ قال لهم سيطلع عليكم من هنا ركب هم خير اهل المشرق * وفي رواية يسبق ركب من المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد انضوا أي اهزلوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فقام عمر رضي الله عنه فتوجه نحو مقدمهم فلقي ثلاثة عشر راكبا وقيل كانوا عشرين راكبا وقيل كانوا أربعين رجلا فقال من القوم قالوا من بني عبد القيس فقال أما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيرا ثم مشي معهم حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر للقوم هذا صاحبكم الذي تريدون فرمي القوم بانفسهم عن ركائبهم بباب المسجد ودخلوا بثياب سفرهم وتبادروا يقبلون يده صلى الله عليه وسلم ورجله وكان فيهم عبد الله بن عوف الاشج وهو رأسهم وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى اناخها وجمع المتاع وذلك برأي من النبي صلى الله عليه وسلم واخرج ثوبين ابيضين فلبسهما ثم جاء يمشي حتى اخذ بيد رسول الله

من ثقيف الى آخر الدهر قيل أراد عروة بذلك انه الذي ستر غدر المغيرة بالامس لان المغيرة رضي الله عنه قتل قبل اسلامه ثلاثة عشر رجلا من بني مالك من ثقيف وفد هو وإياهم مصر على المقوقس بهدايا قال وكنا سدنة اللات اي خدامها واستشرت عمي عروة في مرافقتهم فاشار علي بعد ذلك قال فلم اطع رأيه فانزلنا المقوقس في كنيسة للضيافة ثم ادخلنا عليه فقدموا الهدية له فاستخبر كبير القوم عني فقال ليس منا بل من الاحلاف فكنت أهون القوم عليه فاكرمهم وقصر في حقي فلما خرجوا لم يعرض على أحد منهم مواساة فكرهت ان يخبروا اهلنا باكرامهم وازدراء الملك بي فاجمعت قتلهم ونزلنا محلا فعصبت رأسي فعرضوا على الخمر فقلت رأسي تصدع ولكن اسقيكم فسقيتهم واكثرت لهم بغير مزج حتى همدوا فوثبت عليهم فقتلتهم جميعا وأخذت كل ما معهم وقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم في مسجده فسلمت عليه وقلت اشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك للاسلام يامغيرة فقال ابو بكر رضي الله عنه من مصر قدمت قلت نعم قال فما فعل المالكيون الذين كانوا معك لانهم من بني مالك فقلت كان بيني و بينهم ما يكون بين العرب وقتلتهم وجئت باسلابهم ليخمسها النبي صلى الله عليه وسلم أو يرى فيها رأيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما اسلامك فقبلته ولا آخذ من اموالهم شيا ولا اخمسه فانه غدر والغدر لاخير فيه فقلت يارسول الله انما قتلتهم وأنا على دين قومي ثم اسلمت فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما قبله قال وبلغ ذلك ثقيفا فتداعوا للقتال واصطلحوا على أن يحمل عمي عروة ثلاث عشرة دية * وفي رواية لما وردوا على المقوقس اعطي كل واحد منهم جائزة ولم يعط المغيرة شيا فحقد عليهم فلما رجعوا نزلوا منزلا وشربوا خمرا ولما سكروا وناموا وثب عليهم المغيرة فقتلهم واخذ أموالهم وجاء واسلم فاختصم بنو مالك مع رهط المغيرة وشرعوا في المحاربة فسعى عروة في اطفاء نار الحرب وصالح بني مالك على ثلاث عشرة دية ودفعها عروة ولما اسلم المغيرة قال له النبي صلى الله عليه وسلم اما الاسلام فاقبل وأما المال فلست منه في شيء وفيه أن هذا مال حربي قصد أخذه والتغلب عليهم الا أن يقال هؤلاء مؤمنون منهم لانهم اطمأنوا اليه أي ويذكر ان المغيرة ابن شعبة هذا رضي الله عنه كان من دهاء العرب واحصن في الاسلام ثمانين امرأة ويقال ثلثمائة امرأة وقيل الف امرأة قيل لاحدى نساء المغيرة انه لدميم اعور فقالت هو والله عسيلة يمانية في ظرف سوء ولما ولي رضي الله عنه الكوفة ارسل يخطب بنت النعمان بن المنذر فقالت لرسوله قل له ما قصدت الا ان يقال تزوج المغيرة الثقفي بنت النعمان بن المنذر والا فاي حظ لشيخ اعور في عجوز عمياء وهذه هي القائلة لسعد بن ابي وقاص رضي الله عنه لما وفدت عليه وهو والي الكوفة واكرمها في دعائها له ملكتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ولا جعل الله لك الى لئيم حاجة ولا ازال عن كريم نعمة الا جعلك السبب في عودها اليه انما يكرم الكريم الكريم والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه اول من حيا سيدنا عمر رضي الله عنه بامير المؤمنين وعند مجيء عروة اخبر صلى الله عليه وسلم عروة بما اخبر به من تقدم من انه لم يات لحرب فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به اصحابه

صلى الله عليه وسلم فقبلها وكان رجلا دميما ففطن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دمامته فقال يارسول الله انه لا يستقي أي لا يشرب في مسوك الرجال أي جلودهم انما يحتاج من الرجل الى اصغريه لسانه وقلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيك خلتين * وفي رواية خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يارسول الله انا اتخلق بهما ام الله جبلني عليهما قال بل الله تعالى جبلك عليهما فقال

الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله والاناة كقناة التؤدة اى التاني في

لا يتوضا اى يغسل يديه الا ابتدروا وضوءه اي ماء يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا الا ابتدروه اي يدلك به من وقع في يده وجهه وجلده ولا يسقط من شعره شيء الا اخذوه اي واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه تعظيما له ﷺ فقال يامعشر قريش اني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه والله ما رأيت ملكا في قومه قط مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء ابدا فروا رأيكم فانه عرض عليكم رشدا فاقبلوا ما عرض عليكم فاني لكم ناصح مع اني احاف ان لا تنصروا عليه فقالت له قريش لا تتكلم بهذا يا ابا يعفور ولكن نرده عامنا هذا ويرجع الى قابل فقال ما اراكم الا ستصيبكم قارعة ثم انصرف هو ومن معه الى الطائف وعروة هذا هو ابن مسعود الثقفي وهو عظيم القريتين الذي عنته قريش بقولها لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل المعنى بذلك الوليد بن المغيرة ويقال أن عروة هذا كان جدا للحجاج لامه ويدل لذلك كما يدل للاول ما حكى عن الشعبي انه سال الحجاج وهو والى العراق حاجة فاعتل عليه فيها فكتب اليه والله لا غدرك وانت والى العراق وابن عظيم القريتين * ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم خراش بن امية الخزاعي رضي الله عنه فبعثه الى قريش وحمله صلى الله عليه وسلم على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ اشرافهم عنه ما جاء له فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عقره عكرمة بن أبي جهل وأسلم بعد ذلك رضى الله عنه وأرادوا قتله فمنعه الاحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسول الله ﷺ وأخبره بما لقى ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال يارسول الله اني أخاف قريشا على نفسي وما بمكة من بني عدي بن كعب احد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن أدلك على رجل اعز بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه أي فان بني عمه يمنعونه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ابن عفان رضى الله عنه فبعثه الى أبي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يات لحرب وانه لم يات الا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته أي ولعل ذكر أبي سفيان من غلط بعض الرواة لما تقدم انه لم يكن حاضرا بالحديبية أي صلحها وامره صلى الله عليه وسلم عثمان ان ياتى رجالا مسلمين بمكة ونساء مسلمات ويدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم ان الله وشيك أي قريب أي يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفي فيها بالايمان وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم بعث عثمان رضي الله عنه بكتاب لقريش أي قيل فيه انه ما جاء لحرب احد وانما جاء معتمرا بدليل ما ياتي في ردهم عليه وقيل فيه ماوقع بين النبي صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو ليقع الصلح بينهم على ان يرجع في هذه السنة الحديث وانهم لما احتبسوه أمسك صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو وعنده كذا في شرح الهمزية لابن حجر وقدمه على الاول فليتامل فخرج عثمان بن عفان رضي الله عنه الى مكة ودخل مكة من الصحابة عشرة ايضا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم اى ليزوروا اهاليهم لم اقف على اسمائهم ولم اقف على انهم هل دخلوا مع عثمان أم لا فلقيه قبل ان يدخل مكة ابان بن سعيد بن العاص رضى الله عنه فانه اسلم بعد ذلك

الامر وقد جاء في الحديث التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من اربعة وعشرين جزءا من النبوة * وفي روايه انهم لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من القوم قالوا من ربيعة فقال مرحبا بالقوم * وفي رواية بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا يارسول الله انا نأتيك من شقة بعيدة اي لان مساكنهم بالبحرين اي وما والاها من اطراف العراق وانه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام وصرح في بعض الروايات بانه رجب فمرنا بامر ناخذ به ونخبر به من وراءنا وندخل به الجنة فقال آمركم بالايمان بالله اتدرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا الخمس من المغنم وفي مسند الامام احمد ذكر الحج ونهاهم

قبل

عن انها كم عن الدباء والحنتم والنقير * وفي رواية والمقير والمراد النهي عن انتباذ النبيذ في هذه الاشياء لانها تسرع بالتخمر الذى هو سبب الاسكار والدباء القرع والحنتم جرار مدهونة بدهان اخضر والنقير اصل النخلة ينقر وينبذ فيه التمر والمقير ماطلى بالقار وهو الزفت وجاء في رواية بدل المقير والمزفت * وفي رواية قال واشربوا في اسقية الادم اى الجلود يعني انتبذوا فيها بدل تلك الاواني فقالوا يارسول الله ان ارضنا كثيرة الجرذان اى الفيران اى لا تبقي فيها أسقية الادم قال وان اكلها

الجرذان قال ذلك مرتين او ثلاثا فقال له الاشج يارسول الله ان ارضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب هذه لاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا فى مثل هذه وأومأ بكفه فقال صلى الله عليه وسلم يااشج ان ارخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج يديه وبسطها يعني اعظم منها حتى اذا ثمل أحدكم من شرابه أى سكر قام الي ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وكان فى القوم رجل قد وقع له ذلك وهو جهم بن قثم قال فلما سمعت ذلك من رسول الله صلي الله عليه وسلم جعلت أسدل ثوبي لاغطى الضربة وقد أبداها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم * وفي رواية انهم سالوه عن النبيذ فقالوا يارسول الله ان أرضنا ارض وخمة لا يصلحنا الا النبيذ قال قال ولا تشربوا في النقير فكانى بكم اذا شربتم في النقير قام بعضكم الى بعض بالسيوف فضرب رجل منكم ضربة لا يزال يعرج منها الي يوم القيامة فضحكوا فقال مايضحككم قالوا والله لقد شربنا في النقير فقام بعضنا الي بعض بالسيوف فضرب هذا ضربة بالسيف فهو أعرج كما ترى ثم ذكر لهم أنواع تمر بلدهم فقال لكم تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا فقال له رجل من القوم بابي أنت وأمي يارسول الله لو كنت ولدت في جوف هجر ما كنت باعلم منك الساعة اشهد انك رسول الله فقال ان أرضكم رفعت لي منذ قعدتم فنظرت من ادناها الى أقصاها وقال لهم خير تمركم البرني يذهب بالداء ولا داء معه وانما اقتصر في المناهي على شرب لانبذة في الاوعية المذكورة مع ان فى المناهي ماهو اشد في التحريم لكثرة تعاطيهم لها ثم ان النهى عن الانتباذ في هذه الاوانى انما كان فى أول تحريم الخمر حين كانت نفوسهم راغبة في شربها معتادة لها ثم لما استقر أمر التحريم وتوطنت نفوسهم على تركها والتباعد عنهـا قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الانتباذ في هذه الاواني فانتبذوا فى كل اناء واجتنبوا المسكر فالنهى عن الانتباذ فيها منسوخ والقصد اجتناب المسكر فقط والله أعلم

﴿ وفد بني حنيفة ﴾

قبل خيبر فاجاره حتي بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله بين يديه فجاء الى ابي سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ماأرسله بهم أى وهم يردون عليه ان محمدا لا يدخلها علينا أبدا فلما فرغ عثمان من تبليغ رسالة رسول الله صلي الله عليه وسلم قالوا له ان شئت ان تطوف بالبيت فطف * وفى رواية قال له ابان ان شئت ان تطوف بالبيت فطف قال ما كنت لافعل حتي يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال المسلمون قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قال وما يمنعه يارسول الله وقد خلص اليه قال ذلك ظني به ان لا يطوف بالكعبة حتي نطوف أو مكث كذا وكذا سنة ماطاف به حتي اطوف فلما رجع عثمان وقالوا له فى ذلك أى قالوا له طفت بالبيت قال بئسما ظننتم بي دعتني قريش الى أن أطوف بالبيت فابيت والذى نفسى بيده لو مكثت بها معتمرا سنة ورسول الله صلي الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ماطفت حتي يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم اه وكانت قريش قد احتبست عثمان عندها ثلاثة أيام فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان رضى الله عنه قد قتل اى وكذا قتل معه العشرة رجال الذين دخلوا مكة أيضا فقال صلى الله عليه وسلم عند بلوغ ذلك لا نبرح حتى نناجز القوم أى نقاتلهم ودعا رسول الله ﷺ الناس الى البيعة أي بعد ان قال لهم ان الله امرنى بالبيعة فعن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه بينما نحن جلوس قائلون اذ نادي منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وهو عمر بن الخطاب أيها الناس البيعة البيعة نزل روح القدس فاخرجوا على اسم الله فسرنا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة فبايعناه أى وبايعه الناس على عدم الفرار وانه اما الفتح واما الشهادة وهذا هو المراد بما جاء في بعض الروايات فبايعناه على الموت ولم يتخلف منا أحد الا الجد بن قيس قال لكاني انظر اليه لاصقا بابط ناقته يستتر بها من الناس وقد قيل انه كان يرمى بالنفاق وقد نزل في حقه في غزوة أي غزوة تبوك من الآيات مايدل على ذلك كما سيأتى وهو ابن عمة البراء بن معرور رضى الله عنه وكان سيد بني سلمة بكسر اللام فى الجاهلية وقد قال صلى الله عليه وسلم لبني سلمة من سيدكم قالوا الجد بن قيس اى على بخل فيه قال واى داء أدوأ من البخل ثم قال صلى الله عليه وسلم بل سيدكم عمرو بن الجموح وقيل قالوا يارسول الله من سيدنا قال سيدكم بشر بن البراء بن معرور وهذا قال ابن عبد البر ان النفس اليه أميل ومما يدل للاول ما انشده شاعر الانصار رضي الله عنهم من قوله

وقال رسول الله والحق قوله * لمن قال منا من تسموه سيدا
فقالوا له جد بن قيس على التي * نبخله فيها وان كان اسودا
فتى مايخطى خطوة لدنيئة * ولا مد يوما مالي سوأة يدا
فسود عمرو بن الجموح لجوده * وحق لعمرو بالندى ان يسودا
اذا جاءه السؤال انهب ماله * وقال خذوه انه عائد غدا

ابن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم وكانوا سبعة عشر رجلا ومعهم مسيلمة الكذاب قيل جاء بنو حنيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم مسيلمة يسترونه بالثياب تعظيما له وكانت تلك عادتهم فيمن يعظمونه وكان أمره عند قومه كبيرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى اصحابه ومعه عسيب من سعف النخل فى رأسه خويصات فلما انتهى مسيلمة الى رسول الله صلى الله (٢٠) عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلم النبى صلى الله عليه وسلم وسأله ان يشركه معه فى النبوة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه وقيل ان بنى حنيفة جعلوه فى رحالهم ولما اسلموا ذكروا مكانه فقالوا يارسول الله انا قد خلفنا صاحبنا في رحالنا يحفظها لنا فامر له صلى الله عليه وسلم بمثل ما امر لواحد من القوم وقال اما انه ليس بشركم مكانا فلما رجعوا وانتهوا الى اليمامة ادعى مسيلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم أشركه معه فى النبوة وقال لمن وفد معه الم يقل لكم حين ذكرتمونى اما انه ليس بشركم مكانا ما ذاك الا لما كان يعلم انى شركت معه في الامر أي وهو صلى الله عليه وسلم انه اراد بذلك انه حفظ ضيعة اصحابه وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم اقبل ومعه ثابت ابن قيس بن شماس رضي الله عنه وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتي وقف على مسيلمة فى اصحابه وقد بلغه صلى الله عليه وسلم ان مسيلمة قال ان جعل لى محمد الامر من بعده اتبعته فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ان سألتني هذه القطعة ما اعطيتكها وانى لاراك الذى رأيت منه ما رأيت وهذا قيس يجيبك عني ثم انصرف عنه صلى الله عليه وسلم والذى رأى منه صلي الله عليه وسلم هو انه رأى فى المنام ان في يده سوارين من ذهب قال فاهمنى شانهما فاوحي الله الى فى المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي أي وهما الاسود العنسي صاحب صنعاء ومسيلمة صاحب اليمامة فان كلا منهما ادعى النبوة في حياته

ولو كنت يا جد بن قيس على التي * على مثلها عمرو لكنت المسودا

أى وبايع صلى الله عليه وسلم عن عثمان فوضع يده على يده أى وضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال اللهم ان هذه عن عثمان فانه في حاجتك وحاجة رسولك أى وفي لفظ قال اللهم ان عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله فانا أبايع عنه فضرب بيمينه شماله وما ذاك الا انه صلى الله عليه وسلم علم بعدم صحة القول بان عثمان قد قتل أو ان ذلك كان بعد مجيء الخبر له صلى الله عليه وسلم بان القول بقتل عثمان رضى الله عنه باطل وفيه انه حيث علم صلى الله عليه وسلم ان عثمان لم يقتل لا معنى للبيعة لان سببها كما علمت بلوغه الخبر ان عثمان قد قتل الا أن يقال سببها ما ذكر وقتل العشرة من الصحابة ويدل لذلك ما يأتى قريبا ان عثمان رضي الله عنه بايع بعد مجيئه من مكة وليتامل أى وبهذا يرد ما تمسك به بعض الشيعة فى تفضيل على كرم الله وجهه على عثمان رضى الله عنه لان عليا كان من جملة من بايع تحت الشجرة وقد خوطبوا بقوله صلى الله عليه وسلم أنتم خير أهل الارض فانه صريح فى تفضيل أهل الشجرة على غيرهم وايضا على حضر بدرا دون عثمان وقد جاء مرفوعا لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبيه وحاصل الرد أن النبى صلى الله عليه وسلم بايع عن عثمان مع الاعتذار عنه بانه في حاجة الله وحاجة رسول صلى الله عليه وسلم وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان رضى الله عنه عن بدر لتمريض بنته صلى الله عليه وسلم وأسهم له كما تقدم فهو في حكم من حضرها على انه سيأتي انه رضي الله عنه بايع تحت تلك الشجرة بعد مجيئه من مكة واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم أنتم خير أهل الارض على عدم حياة الخضر عليه الصلاة والسلام حينئذ لانه يلزم أن يكون غير النبى أفضل منه وقد قامت الادلة الواضحة على ثبوت نبوته كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وقد أشار الى امتناع عثمان رضى الله تعالى عنه من الطواف والى عدم صحة القول بان عثمان قتل والى مبايعته صلى الله عليه وسلم عنه صاحب الهمزية بقوله رحمه الله

وابى ان يطوف بالبيت اذلم * يدن منه الى النبى فناء
فجزته عنها ببيعة رضوا * ن يد من نبيه بيضاء
ادب عنده تضاعفت الاعمال بالترك حبذا الادباء

أى وامتنع رضي الله عنه ان يطوف بالبيت لاجل انه لم يقرب الى النبى صلى الله عليه وسلم من البيت جانب وجزته عن تلك الفعلة وهى ذهابه اليهم وامتناعه من الطواف يد من نبيه عليه الصلاة والسلام تلك اليد البالغة فى الكرم وذلك في بيعة رضوان وذلك أدب عظيم عند عثمان رضي الله تعالى عنه حصل منه أمر عظيم مستغرب وهو تضاعف ثواب الاعمال التى تركها بسبب تركها وهى الطواف وذكر أن قريشا بعثت الى ابى بن سلول ان أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبد الله رضى الله عنه يا أبت اذكرك الله ان لا تفضحنا في كل موطن تطوف ولم يطف رسول الله صلي الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم وكان العنسي يقول ان ملكا يقال له ذوالنون ياتيني كما ياتي جبريل محمدا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لقد ذكر ملكا عظيما في السماء يقال له ذوالنون وجمع بعضهم بين هذا الذى في الصحيح وماهنا بانه يجوز ان يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان فيها تابعا ومن ثم جاؤا به مستورا حتي انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم ارقام فى حفظ الرجل كما تقدم والثانية كان متبوعا لم يحضر أنفة واستكبارا وعامله صلى الله عليه وسلم معاملة الكرام

تالفاله فاناه الى قومه وهو فيهم

ولما خرج الاسود العنسي بصنعاء وادعى النبوة علب عامل النبي صلى الله عليه وسلم على صنعاء وهو المهاجر بن أبي أمية ويقال انه مر به فلما حاذاه عثر حمار المهاجر فادعى الاسود انه سجد له ولم يقم الحمار حتى قال له شيا فقام وكان مع الاسود شيطانان يقال لاحدهما سحيق بمهملتين وقاف مصغرا والآخر شقيق بمعجمتين وقافين مصغرا وكانا يخبرانه بكل شئ يحدث من أمور الناس وكان باذان عاملا للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا بصنعاء فمات فجاء شيطان الاسود فاخبره فخرج في قومه حتى ملك صنعاء وتزوج المرزبانة زوجة باذان وواعدت فيروز الديلمي وغيره فدخلوا عليه ليلا وقد سقته الخمر صرفا حتى سكره وكان على بابه الف حارس فنقب فيروز ومن معه الجدار حتى دخلوا فقتله فيروز واحتز رأسه

وأخرجوا المرأة وما احبوا من متاع البيت وارسلوا الخبر الى المدينة فوافاهم عند وفاته صلى الله عليه وسلم قال ابو الاسود عن عروة أصيب الاسود قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيوم وليلة فاتاه الوحي فاخبر اصحابه ثم جاء الخبر الى ابى بكر وقيل وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبي صلى الله عليه وسلم وقصة ابي مسلم الخولاني مع الاسود العنسى مشهورة رواها جملة اصحاب السنن عن جملة من الصحابة حتى قال بعضهم انها من المشهور المستفيض وحاصلها ان الاسود العنسي بعث الى ابي مسلم الخولاني لما ادعى الاسود النبوة

فابى حينئذ وقال لا أطوف حتي يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ قال ان لى في رسول الله اسوة حسنة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم امتناعه رضى عنه واثني عليه بذلك وكانت البيعة تحت شجرة هناك أى من أشجار السمر أى ولما جاء عثمان رضي الله تعالى عنه بايع تحت تلك الشجرة وقيل لها بيعة الرضوان أى لانه صلي الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة رواه مسلم * وكانوا الفا وأربعمائة على الصحيح وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية وتقدم ان الواو بمعنى أو فى حديث لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية بدليل رواية مسلم هذه ومن ثم قال ابن عبد البر رحمه الله ليس فى غزواته صلى الله عليه وسلم ما يعدل بدرا او يقرب منها الا غزوة الحديبية والراجح تقديم غزوة أحد على غزوة الحديبية وانها التي تلي بدرا في الفضيلة واول من بايعه صلي الله عليه وسلم سنان بن ابي سنان الاسدي كذا في الاصل انه الصواب بعد ان حكى ان اول من بايع أبو سنان أى وهو ماذهب اليه في الاستيعاب حيث قال الاكثر الاشهر ان ابا سنان أول من بايع بيعة الرضوان اى لا ابنه سنان وأبو سنان هذا هو أخو عكاشة بن محصن رضي الله عنه وكان أكبر من أخيه عكاشة بعشرين سنة وضعفه فى الاصل بان اباسنان رضي الله عنه مات فى حصار بنى قريظة ودفن بمقبرتهم اى كما تقدم ولما بايعه سنان قال للنبي صلى الله عليه وسلم ابايعك على ما في نفسك قال وما فى نفسي قال اضرب بسيفي بين يديك حتى يظهرك الله او اقتل وصار الناس يقولون له صلي الله عليه وسلم نبايعك على ما بايعك عليه سنان وقيل اول من بايع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقيل سلمة بن الاكوع قال وذكر ان سلمة بن الاكوع رضى الله عنه بايع ثلاث مرات اول الناس ووسط الناس وآخر الناس بامره له صلى الله عليه وسلم في الثانية والثالثة بعد قول سلمة قد بايعت فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وايضا دلك ليكون له فى ذلك فضيلة أى لانه ﷺ اراد ان يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وعنايته بالاسلام وشهرته فى الثبات أي بدليل ما وقع له رضي الله عنه في غزوة ذى قرد بناء على تقدمها على ماهنا أو تفرس فيه صلي الله عليه وسلم ذلك بناء على تاخرها * وبايع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرتين أى وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله الآية ان المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون نصد هؤلاء كما صدنا اصحابهم فانزل الله تعالي الآية اى لا تصدوا هؤلاء العمار ان صدكم اصحابهم قال وكان محمد بن مسلمة رضي الله عنه على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثت قريش اربعين وقيل خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص اي وهو الذى بعثته قريش له صلى الله عليه وسلم ليساله فيما جاء وقال صلي الله عليه وسلم فى حقه هذا رجل غادر وفى لفظ رجل فاجر ليطوفوا بعسكر رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلا رجاء ان يصيبوا منهم احدا ويجدوا منهم غرة اي غفلة فاخذهم محمد بن مسلمة رضى الله عنه الا مكرزا فانه افلت وصدق فيه قول النبي ﷺ انه رجل فاجر أو غادر كما تقدم واتي بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا وبلغ قريشا حبس اصحابهم فجاء جمع

بصنعاء اليمن فلما جاءه قال له أتشهد انى رسول الله قال ما اسمع قال أتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فردد ذلك عليه مرارا وهو يقول كما
قال اولا فامر بنار عظيمة فاججت ثم ألقي فيها ابو مسلم فلم تضره فقيل له انفه عنك والا افسد عليك من اتبعك فامره بالرحيل فاتي
المدينة وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر الصديق رضى الله عنه فاناخ راحلته بباب المسجد ودخل يصلى الى
سارية فبصر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ممن الرجل قال من اهل اليمن قال ما فعل صاحبنا الذى احرقه

الكذاب قال اما هو قال أنشدك الله انت هو قال اللهم نعم فاعتنقه عمر رضى الله عنه ثم بكى واتى به حتى اجلسه بينه و بين ابي بكر رضي الله عنهما ثم قال الحمد لله الذى لم يمتني حتى اراني في امة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما اما ادركت امداد حولان يقولان للامداد من بني عنس صاحبكم الكذاب احرق صاحبنا بالنار فلم تضره وقلة هذا الحديث مشهور ونومجراه مجرى الاستفاضة ثم ان مسيلمة حين ادعى النبوة وصار يتكلم بالهذيان ليضاهى به القرآن فمن ذلك قوله قبحه الله لقد انعم الله على الحبلى اخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا وصنع اللعين سجعا ومراده ان يكون على منوال سورة الكوثر فقال انا اعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك رجل فاجر * وفي رواية انا اعطيناك الكواثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر ثانيا

* وفي رواية انا اعطيناك الجاهر فخذ لنفسك و بادر واحذر ان تحرص او تكاثر فظن اللعين المخذول ان الجواهر تعادل الكوثر
فجهل اللغة مع ان الكوثر الخير الكثير فليت شعرى ما الذي جاء به فانه أخذ لفظ القرآن وحرف الكلم عن مواضعه و بدل شانئك
بمبغضك ولكونه هو الفاجر الاتي الفجور في لسانه وصرف عن الاتيان بمثله ولم يعرف المخذول انه محروم عن الوصول الى المطلوب لما

منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن زنيم رضى الله عنه رمى بسهم فاسر
المسلمون منهم اثني عشر رجلا وعند ذلك بعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعا منهم سهيل
ابن عمرو فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه سهل أمركم فقال سهيل يا محمد ان الذى كان
من حبس اصحابك أي عثمان والعشرة رجال وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأى ذوى رأينا بل
كنا كارهين له حين بلغنا ولم نعلم به وكان من سفهائنا فابعث الينا باصحابنا الذي أسرت اولا وثانيا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى غير مرسلهم حتى ترسلوا اصحابي فقالوا نفعل فبعث سهيل
ومن معه الى قريش بذلك فبعثوا بمن كان عندهم وهو عثمان والعشرة رجال فارسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصحابهم انتهى * ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشار اهل الرأى بالصلح
على ان يرجع و يعود من قابل فيقيم ثلاثا ومعه سلاح الراكب السيوف في القرب والقوس فبعثوا سهيل
ابن عمرو اي ثانيا ومعه مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى الى رسول الله صلي الله عليه وسلم
ليصالحه على ان يرجع في عامه هذا لئلا تتحدث العرب بانه دخل عنوة اي وانه يعود من قابل فاتاه
سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال اراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل
أي ثانيا فلما انتهى سهيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جثا على ركبتيه بين يديه صلى الله عليه
وسلم والمسلمون حوله جلوس وتكلم فاطال ثم تراجعا اي ومن جملة ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال له تخلوا بيننا و بين البيت فنطوف به فقال له سهيل والله لا تتحدث العرب بنا انا أخذنا ضغطة بالضم
أي بالشدة والاكراه ولكن ذلك من العام القابل ثم التام الامر بينهما على الصلح على ترك القتال الى آخر
ما يأتي ولم يبق الا الكتاب بذلك وعند ذلك وثب عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاتي ابا بكر رضى الله عنه
فقال له يا أبا بكر اليس هو برسول الله صلي الله عليه وسلم قال بلي قال او لسنا بالمسلمين قال بلي قال
او ليسوا بالمشركين قال بلى قال فعلام نعطي الدنية بفتح الدال وكسر النون وتشديد الياء النقيصة والخصلة
المذمومة في ديننا فقال له ابو بكر رضي الله عنه يا عمر الزم غرزه اى ركابه وفي رواية انه قال له أيها الرجل انه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصي ربه وهو ناصره استمسك بغرزه حتى تموت فاني اشهد أنه
رسول الله قال عمر رضى الله عنه وانا اشهد أنه رسول الله ثم أتي عمر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له مثل ما قال لابى بكر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره
ولن يضيعني وأتى عمر رضي الله عنه من ذلك الشروط الآتي ذكرها امرا عظيما وجعل يرد على رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول نعوذ بالله من الشيطان الرجيم فجعل يتعوذ بالله من الشيطان
صلى الله عليه وسلم الكلام حتى قال له ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله
الرجيم حتى قال له رسول الله صلي الله عليه وسلم يا عمر انى رضيت وتابى فكان عمر رضى الله عنه يقول
مازلت اصوم واتصدق واصلي واعتق مخافة كلامى الذى تكلمت به حين رجوت ان يكون هذا خيرا
هذا والذي في الامتاع عكس ما هنا اى انه قال ما ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لابى بكر

ثانيا ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اى بعد ان كان أمر أوس ابن خولة أن يكتب فقال له سهيل لا يكتب الا ابن عمك علي او عثمان بن عفان فامر عليا كرم الله وجهه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو لا أعرف هذا أي الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم فكتبها لان قريشا كانت تقولها واول من كتبها أمية بن أبي الصلت ومنه تعلموها هو من رجل من الجن في خبر ذكره المسعودي اى وانما كتبها بعد ان قال المسلمون والله لا يكتب الا بسم الله الرحمن الرحيم فضج المسلمون وعن الشعبي رحمه الله كان اهل الجاهلية يكتبون باسمك اللهم وكتب النبي اول ما كتب باسمك اللهم وتقدم أنه كتب ذلك في اربع كتب حتى نزلت بسم الله مجراها ومرساها فكتب باسم الله ثم نزلت ادعوا الله اوادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم اى فكتبها وهذا السياق يدل على تاخر نزول الفاتحة عن هذه الآيات لان البسملة نزلت أولها وتقدم الخلاف في وقت نزولها فليتامل ثم قال ﷺ اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل بن عمرو لو شهدت انك رسول الله لم اقاتلك ولم اصدك عن البيت ولكن اكتب باسمك واسم ابيك اى وفي لفظ لو اعلم انك رسول الله ما خالفتك واتبعتك افترغب عن اسمك واسم ابيك محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه امحه وفي لفظ امح رسول الله فقال علي كرم الله وجهه ما انا بالذي امحاه وفي لفظ لا امحوك وفي لفظ والله لا امحوك أبدا فقال ارنيه فاراه اياه فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة وقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو وقال انا والله رسول الله وان كذبتموني وأنا محمد بن عبد الله وفي لفظ فجعل علي يتلكأ ويابى ان يكتب الا محمد رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم اكتب فان لك مثلها تعطيها وانت مضطهد اى مقهور وهو اشارة منه صلى الله عليه وسلم لما سيقع بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما فانهما في حرب صفين وقعت بينهما المصالحة على ترك القتال الى رأس الحول وكان القتال في صفر دام مائة يوم وعشرة ايام قتل فيه سبعون الفا خمسة وعشرون الفا من جيش علي كرم الله وجهه من جملة تسعين الفا وخمسة واربعون الفا من جيش معاوية من جملة مائة وعشرين الفا فلما كتب الكاتب في الصلح هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما فقال عمرو بن العاص رضي الله عنهما الذي هو احد الحكمين اكتب اسمه واسم ابيه وارسل معاوية يقول لعمرو لا نكتب ان عليا امير المؤمنين لو كنت اعلم انه امير المؤمنين ما قاتلته فبئس الرجل انا ان اقررت انه امير المؤمنين ثم اقاتله ولكن اكتب علي بن أبي طالب وامح أمير المؤمنين فقيل له يا امير المؤمنين لا تمح اسم امارة المؤمنين فانك ان محوتها لا تعود اليك فلما سمع علي كرم الله وجهه ذلك وامر بمحوها وقال امحها تذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم له في الحديبية ما تقدم ومن ثم قال الله اكبر مثلا بمثل والله اني لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية اذ قالوا لست برسول الله ولا نشهد لك بذلك اكتب اسمك واسم ابيك محمد بن عبد الله فقال عمرو بن العاص

اقبح هذا التسجيع الركيك الذي لا يساوى أقل كلام من كلام الفصحاء فضلا عن كلام رب العالمين ثم ان اللعين وضع عن قومه الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا ترغيبا لهم في اتباعه وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة ويدعى انه مشارك له وهذا من سخافة عقله اذ النبي لا يبيح المحرمات وكانت دعوى مسيلمة النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لكن لم تظهر شوكته ولم تقع محاربته الا في زمن الصديق رضي الله عنه وكان مسيلمة أقوي اسباب الفتنة على بني حنيفة جمع جموعا كثيرة ليقاتل بها الصحابة فجهز له الصديق رضي الله عنه حيث أمر عليهم خالد ابن الوليد رضي الله عنه فقتل أصحاب مسيلمة ثم كان الفتح بقتل مسيلمة قتله عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري المازني وقيل عدي بن سهل وقيل ابو دجانة رضي الله عنه وقيل وحشي والاول أشهر ولعل عبد الله بن زيد هو الذي ضربه اولا وكمل عليه الآخرون وفي البخاري عن وحشي لما خرج مسيلمة قلت لاخرجن اليه لعلي اقتله فاكافئ به حمزة فخرجت مع الناس فاذا رجل قائم كانه جمل أورق ثائر الرأس فرميته بحربتي فوضعتها بين ثديه حتي خرجت من بين كتفيه وضربه رجل من الانصار بالسيف على هامته وكان عمره حين قتل مائة وخمسين سنة وقال رجل من بني حنيفة يرثيه

لهفي عليك ابا ثمامه لهفي على ركن اليمامه

كم آية لك فيهم * كالشمس تطلع من غمامه

قال السهيلي وكذب اي هذا القائل بل كانت آياته منكوسة ذكر بعضهم انه دعا لابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد احدهما قد سقط في بئر والآخر اكله الذئب وتفل مرة في بئر فملح ماؤها ومسح رأس صبي فقرع قرعا فاحشا والله سبحانه وتعالى اعلم ﴿ وفد طيء ﴾ وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفد طيء وفيهم قبيصة بن الاسود وسيدهم زيد الخيل قيل له ذلك لخمسة افراس كانت له وكان زيد اعظم قومه جودا وخلقا واحسنهم وجها وشعرا وكان

يركب الفرس الطويل العظيم فتخط رجلاه في الارض كانه راكب حمار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه الحمد لله الذى أتي بك من حزنك وسهلك ويسهل قلبك للايمان ثم قبض على يده فقال من أنت فقال أنا زيد الخيل بن مهلهل اشهد أن لا اله الا الله وانك عبد الله ورسوله فقال له بل أنت زيد الخير وعرض الاسلام على من معه فاسلموا وحسن اسلامهم * قال صلى الله عليه وسلم في حق زيد الخيل ما ذكر لى رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رأيته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ ما قيل (٢٤)

فيه كل ما فيه وسماه زيد الخير واجاز كل واحد منهم خمس أواق واعطى زيد الخيل اثنى عشر أوقية ونشا واقطعة محلين من ارضه وكتب له بذلك كتابا ولما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الي قومه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان ينجو زيد من حمي المدينة أى ما ينجو منها ففي اثناء الطريق اصابته الحمي وفي لفظ قال له يا زيد تقتلك أم ملدم يعني الحمى ولما مات أقام قبيصة ابن الاسود النائحة عليه سنة ثم وجه براحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أقطعه فيه محلين بارضه فلما رأت امرأته الراحلة اضرمتها بالنار فاحترقت واحترق الكتاب وقيل ان زيد الخير بقي الى خلافة عمر رضي الله عنه وانه لما ارتدت العرب عند موت النبي صلى الله عليه وسلم ثبت على الاسلام وكتب الى ابى بكر بهذين البيتين

رضي الله عنه سبحان الله تتشبه بالكفار فقال له علي كرم الله وجهه يا ابن النابغة أي العاهرة ومتى كنت عدوا للمسلمين هل تشبه الا امك التي وقعت بك فقال عمرو لا يجمع بيني وبينك مجلس أبدا فقال علي كرم الله وجهه اني لارجو الله أن يطهر مجلسي منك ومن أشباهك وذكر ان اسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهما أخذا بيد علي كرم الله وجهه ومنعاه أن يكتب الا محمد رسول الله والا فالسيف بيننا وبينهم وضجت المسلمون وارتفعت الاصوات وجعلوا يقولون لم نعط هذه الدنية في ديننا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم ويومئ بيده اليهم أن اسكتوا ثم قال أرنيه الحديث وكان الصلح على وضع الحرب عن الناس عشر سنين وقيل سنتين وقيل اربع سنين أي وصححه الحاكم تامن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض أي ويقال لهذا العقد هدنة ومهادنة وموادعة ومسالمة وقار زيادة على اشتراط الكف عن الحرب على انه من أتي محمدا صلي الله عليه وسلم من قريش ممن هو على دين محمد بغير اذن وليه رده اليه ذكرا كان أو أنثى قال السهيلي رحمه الله وفي رد المسلم الي مكة عمارة للبيت وزيادة خير له في الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت فكان هذا من تعظيم حرمات الله هذا كلامه ومن أتي قريشا ممن كان مع محمد أى مرتدا ذكرا كان أو أنثى لم نرده اليه وهذا الثاني يوافق قول ائمتنا معاشر الشافعية يجوز شرط ان لا يردوا من جاءهم مرتدا والاول يخالف قوله ولا يجوز شرط رد مسلمة تاتينا منهم فان شرط فسد الشرط والعقد الا ان يقال هذا ما وقع عليه الامر أولا ثم نسخ كما سيأتي وشرطوا انه من أحب ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وان بيننا وبينكم عيبة مكفوفة أى صدور منطوية على ما فيها لا تبدي عداوة وقيل صدور نقية من الغل والخداع منطوية على الوفاء بالصلح وانه لا اسلال ولا اغلال أى لا سرقة ولا خيانة قال سهيل وانك ترجع عامك هذا فلا تدخل مكة وانه اذا كان عام قابل خرج منها قريش فتدخلها باصحابك فاقمت بها ثلاثة أى ثلاثة ايام معك سلاح الراكب السيوف في القرب والقوس لا تدخلها بغيرها ويقال انه صلي الله عليه وسلم هو الذى كتب الكتاب بيده الشريفة وهو ما وقع في البخاري أى أطلق الله يده صلي الله عليه وسلم بالكتابة في تلك الساعة خاصة وعد معجزة له قال بعضهم لم يعتبره أى القول بذلك أهل العلم ومعنى كتب أمر بالكتابة وفي النور في كون هذا أي انه كتب بيده في البخاري فيه نظر والذى في البخاري واخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم الكتاب ليكتب فكتب هذا ما قاضي عليه محمد الحديث أى فلفظة بيده ليست في البخاري ومع اسقاطها التاويل ممكن وتمسك بظاهر قوله فكتب ابو الوليد الباجي المالكى رحمه الله على انه صلي الله عليه وسلم كتب بيده فشنع عليه علماء الاندلس في زمانه بان هذا مخالف للقرآن فناظرهم واستظهر عليهم بان هذا لا ينافى القرآن وهو قوله تعالي وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك لان هذا النفي مقيد بما قبل ورود القرآن وبعد أن تحققت أميته صلي الله عليه وسلم وتقررت بذلك معجزته لا مانع من أن يعرف الكتابة من غير معلم فتكون معجزة اخري ولا يخرجه ذلك عن كونه أميا اي ويقال ان الذى كتب هذا الكتاب محمد بن مسلمة رضي الله عنه وعده الحافظ

اما خشين الله بيت ابي نصر * فقد قام بالامر الجلي ابو بكر

نجي رسول الله في الغار وحده * وصاحبه الصديق في معظم الامر

﴿ وفد عدى بن حاتم الطائي رضى الله عنه ﴾ قال عدى بن حاتم رضي الله عنه كنت امرا شريفا في قومى آخذ الربع من الغنائم كما هو عادات سادات العرب في الجاهلية فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ما رجل من العرب كان اشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه

وسلم حين سمع به مني فقلت لغلام كان راعيا له الى لا ... بي اجمالا ذللا سمانا فاحبسها قريبا مني فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذني ثم انه اتاني ذات يوم فقال ياعدي ما كنت صانعا اذا غشيك محمد فاصنعه الآن فاني قد رأيت الرايات فسالت عنها فقالوا هذه جيوش محمد فقلت له قرب لي اجمالي فقربها فاحتملت اهلي وولدي والتحقت باهل ديني من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فاصيبت فيمن أصيب من الحاضر أي سبيت فلما قدمت في السبايا على رسول

الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى من الاوهام وجمع بان اصل هذا الكتاب كتبه علي كرم الله وجهه ونسخ مثله محمد بن مسلمة رضي الله عنه لسهيل بن عمرو أي فان سهيلا قال يكون هذا الكتاب عندي وقال رسول الله ﷺ بل عندي فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كتب لسهيل نسخة اخذها عنده وعند كتابته اشترط ان يرد اليهم من جاء مسلما قال المسلمون سبحان الله كيف نرد المشركين من جاء مسلما وعسر عليهم شرط ذلك وقالوا يارسول الله انكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا وفي لفظ قال عمر يارسول الله اترضى بهذا فتبسم ﷺ وقال من جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا ومن اعرض عنا وذهب اليهم فلسنا منه في شيء وليس منا بل هو اولى بهم فبينا رسول الله ﷺ هو وسهيل بن عمرو يكتبان الكتاب بالشروط المذكورة اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو الى المسلمين يرسف في الحديد أي يمشي في قيوده متوشحا سيفه قد افلت الى ان جاء الى رسول الله ﷺ ورمى بنفسه بين اظهر المسلمين فجعل المسلمون يرحبون به ويهنئونه فلما رأى سهيل ابنه ابا جندل قام اليه فضرب وجهه وفي لفظ اخذ غصنا من شجرة به شوك وضرب به وجه ابي جندل ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا واخذ بتلبيبه وقال يامحمد هذا اول ما اقاضيك عليه ان ترده الي لقد لجت القضية بيني وبينك أي وجبت وتمت قبل ان يأتيك هذا قال صدقت فجعل ينتره بلببيته ويجره ليرده الى قريش وجعل ابو جندل رضي الله عنه يصرخ باعلى صوته يامعشر المسلمين اارد الى المشركين يفتنوني عن ديني الا ترون ما لقيت فانه رضي الله عنه كان عذب عذابا شديدا على ان يرجع عن الاسلام فزاد الناس ذلك الى ما بهم اي فانهم كانوا لا يشكون في دخولهم مكة وطوافهم بالبيت للرؤيا التي رآها رسول ﷺ ولما رأوا الصلح وماتحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخلهم من ذلك امر عظيم حتى كادوا يهلكون خصوصا من اشتراط ان يرد الى المشركين من جاء مسلما منهم اي ورد ابي جندل اليهم بعد ضربه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياأبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا واعطيناهم على ذلك واعطونا عهد الله ان لا نغدر بهم وبهذا استدل ائمتنا على انه يجوز شرط رد من جاءنا منهم مسلما اليوم ولا نرده اليوم الا اذا كان حرا ذكرا غير صبي ومجنون وطلبته عشيرته وفي لفظ آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسهيل انا لم نقض الكتاب بعد فقال بلى لقد لجت القضية بيني وبينك اي تم العقد فرده فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاجره لي فقال ما انا بمجير ذلك لك قال بلى فافعل قال ما انا بفاعل فقال مكرز وحويطب قد اجرناه لك لا نعذبه اي وهذا وما تقدم يخالف قول ابن حجر الهيتمي رحمه الله ان مجيء ابي جندل كان قبل عقد الهدنة معهم رواه البخاري وعند ذلك قال حويطب لمكرز ما رأيت قوما قط اشد حبا لمن دخل معهم من اصحاب محمد اما اني اقول لك لا تاخذ من محمد نصفا ابدا بعد هذا اليوم حتى يدخلها عنوة فقال مكرز وانا ارى ذلك وعند ذلك وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومشى الى جنب ابي جندل اي وابوه سهيل بجنبه

الله صلى الله عليه وسلم وبلغ رسول الله هربي الى الشام من عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساها وحملها واعطاها نفقة وخرجت الى ان قدمت على الشام فوالله اني لقاعد في اهلي اذ نظرت الى ظعينة تؤمنا فقلت ابنة حاتم فاذا هي هي فلما وقفت علي قالت القاطع الظالم احتملت باهلك وولدك وقطعت بقية والديك وعورتك فقلت اي أخية لا تقولي الا خيرا فوالله مالي من عذر ولقد صنعت ماذكرت ثم نزلت واقامت عندي فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين في امر هذا الرجل قالت أرى والله ان تلحق به سريعا فان يكن نبيا فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فانت انت فقلت والله ان هذا الرأي قال فخرجت حتى جئت المدينة فدخلت عليه فقال من الرجل فقلت عدي بن حاتم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بي الى بيته فوالله انه لقائدني اليه اذ لقيته

امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها فقلت ماهذا بملك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا دخل بيته تناول وسادة بيده من أدم محشوها ليف فقدمها الي وقال اجلس على هذه فقلت بل انت فاجلس عليها قال بل انت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارض فقلت والله ماهذا بامر ملك ثم قال له مامعناه ياعدي بن حاتم ألست من القوم

يركب الفرس الطويل العظيم فتخط رجلاه في الارض كانه راكب حمار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه الحمد لله الذى
أتى بك من حزنك وسهلك ويسهل قلبك للايمان ثم قبض على يده فقال من أنت فقال أنا زيد الخيل بن مهلهل اشهد أن لا اله الا الله
وانك عبد الله ورسوله فقال له بل أنت زيد الخير وعرض الاسلام على من معه فاسلموا وحسن اسلامهم قال صلى الله عليه وسلم في حق
زيد الخيل ما ذكر لي رجل من العرب (٢٤) بفضل ثم جاءني الا رأيته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ ما قيل
فيه كل ما فيه وسماه زيد
الخير واجاز كل واحد
منهم خمس أواق واعطى
زيد الخيل اثنى عشر
أوقية ونشا واقطعه
محلين من ارضه وكتب
له بذلك كتابا ولما خرج
من عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم متوجها
الي قومه قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ان
ينجو زيد من حمي المدينة
أى ما ينجو منها في اثناء
الطريق اصابته الحمي
وفي لفظ قال له يا زيد
تقتلك أم ملدم يعني
الحمى ولما مات أقام قبيصة
ابن الاسود النائحة عليه
سنة ثم وجه براحلته
ورحله وفيه كتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
الذى أقطعه فيه محلين
بارضه فلما رأت امرأته
الراحلة اضرمتها بالنار
فاحترقت واحترق
الكتاب وقيل ان زيد
الخير بقى الى خلافة عمر
رضي الله عنه وانه لما
ارتدت العرب عند موت
النبي صلى الله عليه وسلم
ثبت على الاسلام وكتب الى ابى بكر بهذين البيتين اما خشين الله بيت ابي نصر * الحافظ
فقد قام بالامر الجلي ابو بكر نجي رسول الله في الغار وحده * وصاحبه الصديق في معظم الامر ﴿ وفد عدى بن حاتم
الطائي رضى الله عنه ﴾ قال عدى بن حاتم رضي الله عنه كنت امرا شريفا في قومى آخذ الربع من الغنائم كما هو عادات سادات
العرب في الجاهلية فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ما رجل من العرب كان اشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه

رضي الله عنه سبحان الله تتشبه بالكفار فقال له على كرم الله وجهه يا ابن النابغة أي العاهرة ومتى كنت
عدوا المسلمين هل تشبه الا امك التي وضعت بك فقال عمرو لا يجمع بيني وبينك مجلس أبدا فقال على
كرم الله وجهه اني لارجو الله أن يطهر مجلسي منك ومن أشباهك وذكر أن اسيد بن حضير وسعد بن
عبادة رضي الله عنهما أخذا بيد على كرم الله وجهه ومنعاه أن يكتب الا محمد رسول الله والا فالسيف
بيننا وبينهم وضجت المسلمون وارتفعت الاصوات وجعلوا يقولون لم نعط هذه الدنية في ديننا فجعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم ويومئ بيده اليهم أن اسكتوا ثم قال أربه الحديث وكان الصلح
على وضع الحرب عن الناس عشر سنين وقيل سنتين وقيل اربع سنين أي وصححه الحاكم تامن فيه
الناس ويكف بعضهم عن بعض أي ويقال لهذا العقد هدنة ومهادنة وموادعة ومسالمة وقار زيادة على
اشتراط الكف عن الحرب على انه من أتى محمدا صلي الله عليه وسلم من قريش ممن هو على دين محمد بغير
اذن وليه رده اليه ذكرا كان أو أنثى قال السهيلى رحمه الله وفى رد المسلم الي مكة عمارة للبيت وزيادة خير
له فى الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت فكان هذا من تعظيم حرمات الله هذا كلامه ومن أتى
قريشا ممن كان مع محمد أى مرتدا ذكرا كان أو أنثى لم نرده اليه وهذا الثاني يوافق قول ائمتنا معاشر الشافعية
يجوز شرط ان لا يردوا من جاءهم مرتدا والاول يخالف قوله ولا يجوز شرط رد مسلمة تاتينا منهم فان
شرط فسد الشرط والعقد الا ان يقال هذا ما وقع عليه الامر أولا ثم نسخ كما سياتى وشرطوا انه من أحب
ان يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه وان بيننا
وبينكم عيبة مكفوفة أى صدورا منطوية على ما فيها لا تبدي عداوة وقيل صدورا نقية من الغل
والخداع منطوية على الوفاء بالصلح وانه لا اسلال ولا اغلال أى لا سرقة ولا خيانة قال سهيل وانك ترجع
عامك هذا فلا تدخل مكة وانه اذا كان عام قابل خرج منها قريش فتدخلها باصحابك فاقمت بها ثلاثة
أى ثلاثة ايام معك سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس لا تدخلها بغيرها ويقال انه صلي الله عليه
وسلم هو الذى كتب الكتاب بيده الشريفة وهو ما وقع فى البخارى أى أطلق الله يده صلي الله عليه وسلم
بالكتابة في تلك الساعة خاصة وعد معجزة له قال بعضهم لم يعتبره أى القول بذلك أهل العلم ومعنى كتب
أمر بالكتابة وفي النور وفي كون هذا أي انه كتب بيده في البخاري فيه نظر والذى في البخارى واخذ
رسول الله صلي الله عليه وسلم الكتاب ليكتب فكتب هذا ما قاضي عليه محمد الحديث أى فلفظة بيده
ليست في البخاري ومع اسقاطها التاويل ممكن وتمسك بظاهر قوله فكتب ابو الوليد الباجي المالكى
رحمه الله على انه صلي الله عليه وسلم كتب بيده فشنع عليه علماء الاندلس في زمانه بان هذا مخالف
للقرآن فناظرهم واستظهر عليهم بان هذا لا ينافى القرآن وهو قوله تعالي وما كنت تتلو من قبله من
كتاب ولا تخطه بيمينك لان هذا النفي مقيد بما قبل ورود القرآن وبعد أن تحققت أميته صلي الله
عليه وسلم وتقررت بذلك معجزته لا مانع من أن يعرف الكتابة من غير معلم فتكون معجزة اخري ولا
يخرجه ذلك عن كونه أميا اي ويقال ان الذى كتب هذا الكتاب محمد بن مسلمة رضي الله عنه وعده

وسلم حين سمع به مني فقلت لغلام كان راعيا لابلي لا ابالك اعزل لي من ابلي اجمالا ذللا سمانا فاحبسها قريبا مني فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطيء هذه البلاد فآذني ثم انه اتاني ذات يوم فقال ياعدي ما كنت صانعا اذا غشيك محمد فاصنعه الآن فاني قد رأيت الرايات فسالت عنها فقالوا هذه جيوش محمد فقلت له قرب لي اجمالي فقربها فاحتملت اهلي وولدي والتحقت باهل ديني من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فاصيبت فيمن أصيب من الحاضر أي سبيت

فلما قدمت في السبايا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ رسول الله هربي الى الشام من عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساها وحملها واعطاها نفقة وخرجت الى ان قدمت علي الشام فوالله اني لقاعد في اهلي اذ نظرت الى ظعينة تؤمنا فقلت ابنة حاتم فاذا هي فلما وقفت علي قالت القاطع الظالم احتملت باهلك وولدك وقطعت بقية والديك وعورتك فقلت اي أخية لا تقولي الا خيرا فوالله مالي من عذر ولقد صنعت ما ذكرت ثم نزلت واقامت عندي فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين في امر هذا الرجل قالت أرى والله ان تلحق به سريعا فان يكن نبيا فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فانت انت فقلت والله ان هذا للرأى قال فخرجت حتى جئت المدينة فدخلت عليه فقال من الرجل فقلت عدي بن حاتم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بي الى بيته فوالله انه لقائدني اليه اذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها فقلت ما هذا بملك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا دخل بيته تناول وسادة بيده من أدم محشوها ليف فقدمها الي وقال اجلس على هذه فقلت بل انت فاجلس عليها قال بل انت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارض فقلت والله ما هذا بامر ملك ثم قال له ما معناه يا عدي بن حاتم ألست من القوم

الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى من الاوهام وجمع بان اصل هذا الكتاب كتبه علي كرم الله وجهه ونسخ مثله محمد بن مسلمة رضي الله عنه لسهيل بن عمرو أي فان سهيلا قال يكون هذا الكتاب عندي وقال رسول الله ﷺ بل عندي فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كتب لسهيل نسخة اخذها عنده وعند كتابته اشترط ان يرد اليهم من جاء مسلما قال المسلمون سبحان الله كيف نرد المشركين من جاء مسلما وعسر عليهم شرط ذلك وقالوا يارسول الله اتكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده الله ومن جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا وفي لفظ قال عمر يارسول الله اترضى بهذا فتبسم ﷺ وقال من جاءنا منهم فرددناه اليهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا ومن اعرض عنا وذهب اليهم فلسنا منه في شيء وليس منا بل هو اولى بهم فبينا رسول الله ﷺ هو وسهيل بن عمرو يكتبان الكتاب بالشروط المذكورة اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو الى المسلمين يرسف في الحديد أي يمشي في قيوده متوشحا سيفه قد افلت الى ان جاء الى رسول الله ﷺ ورمى بنفسه بين اظهر المسلمين فجعل المسلمون يرحبون به ويهنئونه ولما رآى سهيل ابنه ابا جندل قام اليه وضرب وجهه وفي لفظ اخذ غصنا من شجرة به شوك وضرب به وجه ابي جندل ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا واخذ بتلبيبه وقال يامحمد هذا اول ما اقاضيك عليه ان ترده الي لقد لجت القضية بيني وبينك أي وجبت وتمت قبل ان ياتيك هذا قال صدقت فجعل ينتره بلبيبته ويجره ليرده الى قريش وجعل ابو جندل رضي الله عنه يصرخ باعلى صوته يامعشر المسلمين اارد الى المشركين يفتنوني عن ديني الا ترون ما لقيت فانه رضي الله عنه كان عذب عذابا شديدا على ان يرجع عن الاسلام فزاد الناس ذلك الى مابهم اي فانهم كانوا لا يشكون في دخولهم مكة وطوافهم بالبيت للرؤيا التي رآها رسول ﷺ ولما رأوا الصلح وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه دخلهم من ذلك امر عظيم حتى كادوا يهلكون خصوصا من اشتراط ان يرد الى المشركين من جاء مسلما منهم اي ورد ابي جندل اليهم بعد ضربه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا واعطيناهم على ذلك واعطونا عهد الله ان لا نغدر بهم وبهذا استدل ائمتنا على انه يجوز شرط رد من جاءنا منهم مسلما اليهم ولا نرده اليهم الا اذا كان حرا ذكرا غير صبي ومجنون وطلبته عشيرته وفي لفظ آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسهيل انا لم نقض الكتاب بعد فقال بلى لقد لجت القضية بيني وبينك اي تم العقد فرده فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاجره لي فقال ما أنا بمجيز ذلك لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل فقال مكرز وحويطب قد اجرناه لك لا تعذبه اى وهذا وما تقدم يخالف قول ابن حجر الهيتمي رحمه الله ان مجيء ابي جندل كان قبل عقد الهدنة معهم رواه البخاري وعند ذلك قال حويطب لمكرز ما رأيت قوما قط اشد حبا لمن دخل معهم من اصحاب محمد اما اني اقول لك لا تاخذ من محمد نصفا ابدا بعد هذا اليوم حتى يدخلها عنوة فقال مكرز وانا ارى ذلك وعند ذلك وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومشى الى جنب ابي جندل اي وابوه سهيل يجنبه

الذين لهم دين لانه كما تقدم كان نصرانيا فقلت بلى فقال الم تكن تسير فى قومك بالمرباع اى تاخذ ربع الغنيمة كما هو شان الاشراف من اخذهم في الجاهلية ربع الغنيمة قلت بلى قال فان ذلك لم يكن يحل لك فى دينك قلت اجل والله وعرفت انه نبي مرسل يعلم مايجهل ثم قال لعلك ياعدى انما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ماترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال ان يفيض فيهم حتى لا يوجد من ياخذه ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ماتري من كثرة عدوهم وقلة عددهم ووالله ليوشكن ان تسمع بالمرأة تخرج من القادسيـة وهي قرية بينها وبين الكوفة نحو مرحلتين على بعيرها حتي تزور البيت اى الكعبة لاتخاف ولعلك انما يمنعك من الدخول فيـه انك ترى ان الملك والسلطان فى غـيرهم وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من ارض بابل قد فتحت عليهم قال عدى وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وايم الله لتكونن الثانيـة ليفيض المال حتي لا يوجد من ياخذه والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿وفد عروة المرادى﴾

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسـلم عروة مفارقا لملوك كندة وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الاسلام وقعة اصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا فى يوم يقال له الردم فقال له رسول الله صلي الله عليـه وسلم هل اساءك مااصاب قومك يوم الردم قال يارسول الله من ذا يصيب قومه مثل مااصاب قومي يوم الردم فلا ولا يسوءه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان ذلك لم يزد قومك فى الاسلام الا خيرا واستعمله على مراد وبعث معه خالد بن سعيد ابن العاص رضى الله عنهم على الصدقة فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وفد بنى زبيد﴾ بضم الزاي وفتح الموحدة وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم عمرو بن معد يكرب الزبيدى وكان فارس العرب مشهورا بالشجاعة

بدفعه وصار عمر رضى الله عنه يقول لابى جندل اصبر يا ابا جندل فانما هم المشركون وانما دم احدهم كدم كلب اى ومعك السيف يعرض له بقتل ابيه اى وفي رواية ان دم الكافر عند الله كدم الكلب ويدنى قائم السيف منه أي وفى لفظ وجعل يقول يا ابا جندل ان الرجل يقتل أباه فى الله والله لو ادركنا آباءنا لقتلناهم فى الله فقال له ابو جندل مالك لا تقتله انت فقال عمر نهانا رسول الله صلي الله عليه وسلم عن قتله وقال غيره فقال ابو جندل رضى الله عنه ماانت احق بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم مني قال عمر رضى الله عنه وددت ان ياخذ السيف فيضرب اباه فضن الرجل بابيه وفيه كيف يظن عمر حينئذ جواز قتله لابيه حتي يعرض به الا ان يقال ظن ذلك لكونه يريد ان يفتنه عن دينه ويرجع الى الكفر وان كان صلى الله عليه وسلم قال يا ابا جندل اصبر واحتسب ورجع ابو جندل الى مكة في جوار مكرز ابن حفص اى وحويطب فادخلاه مكانا وكف عنه ابوه وابو جندل اسمه العاص وهو عبد الله بن سهيل بن عمرو واسلام عبد الله سابق على اسلام ابي جندل لان عبد الله شهد بدرا اى فانه خرج مع المشركين لبدر ثم انحاز من المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد معه بدرا والمشاهد كلها وابو جندل رضى الله اول مشاهده الفتح ودخلت خزاعة فى عقده صلى الله عليه وسلم وعهده اى وفى لفظ فوثب من هنالك من خزاعة فقالوا نحن ندخل فى عهد محمد وعقده ونحن على من وراءنا من قومنا ودخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ويذكر ان حويطبا قال لسهيل بادانا اخوالك يعنى خزاعة بالعداوة وكانوا يستترون منا فدخلوا فى عهد محمد وعقده فقال له سهيل ماهم الا كغيرهم هؤلاء اقاربنا ولحمتنا قد دخلوا مع محمد قوم اختاروا لانفسهم أمرا فما نصنع بهم قال حويطب نصنع بهم ان ننصر عليهم حلفاءنا بنى بكر قال سهيل اياك ان تسمع هذا منك بنو بكر فانهم أهل شؤم فيسبوا خزاعة فيغضب محمد لحلفائه فينقض العهد بيننا وبينه ومن هذا التقرير يعلم ان بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه ووقع فى المواهب مايقتضى ان البيعة كانت بعد الصلح وان الكتاب الذى ذهب به عثمان ان كان متضمنا للصلح الذى وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبين سهيل ابن عمرو فحبست قريش عثمان فحبس صلى الله عليه وسلم سهيلا ولا يخفى عليك مافيه ولما فرغ رسول الله صلى الله عليـه وسلم من الصلح واشهد عليه رجالا من المسلمين اي ابا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وابا عبيدة بن الجراح ومحمد ابن مسلمة اى ورجالا من قريش حويطبا ومكرزا قام الى هديه فنحره من جملته جمل لابي جهل وكان نجيبا مهريا وكان يضرب فى لقاحه صلى الله عليه وسلم فى رأسه برة أى حلقة من فضة وقيل من ذهب ليغيظ بذلك المشركين غنمه صلي الله عليه وسلم يوم بدر كما تقدم قال وقد كان فرض الحديبية ودخل مكة وانتهى الى دار ابي جهل وخرج فى اثره عمرو بن غنمة الانصاري فابى سفهاء مكة ان يعطوه حتى امرهم سهيل ابن عمرو بدفعه ودفعوا فيه عدة ثياب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انا سميناه فى الهدى فعلنا انتهي وفي لفظ قال لهم سهيل بن عمرو ان تريدوه فاعرضوا على محمد مائة من الابل فان قبلها فامسكوا هذا الجمل والا

شاعرا مجيدا قال لابن اخيه قيس المرادي انك سيد قومك وقد ذكر لنا ان رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول انه نبي فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لا يخفى عنك اذا القيناه اتبعناه وان كان غير ذلك علمنا علمه فابى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فاسلم فلما بلغ ذلك قيسا توعد عمرا فقال عمرو في قيس أبياتا منها فمن ذا عاذري من ذي سفاه * يرد بنفسه شد المرادي أريد حياته ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مرادي

فلا تعرضوا له أي فعرضوا عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فابى وقال لولم يكن هذا الجمل للهدى لقلبت المائة وفرق صلى الله عليه وسلم لحم الهدي على الفقراء الذين حضروا الحديبية وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية حتى نحرت بالمروة وقسموا لحمها على فقراء مكة ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلق رأسه وكان الحالق لرأسه خراش بن أمية الخزاعي الذي بعثه الى قريش فعقر واجمله وأرادوا قتله كما تقدم فلما رأى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون وقصر بعضهم كعثمان وأبي قتادة وفي كلام بعضهم اي وهو السهيلي انه لم يقصر غير هما ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة واحدة فقال اللهم ارحم المحلقين وفي لفظ يرحم الله المحلقين وفي لفظ اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين فقال يرحم الله المحلقين اوقال اللهم ارحم المحلقين او اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين فقال يرحم الله المحلقين والمقصرين * وفي رواية قال والمقصرين في الرابعة وقد قالوا له يارسول الله لم ظاهرت اى اظهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين قال لانهم لم يشكوا اى لم يرجوا ان يطوفوا بالبيت بخلاف المقصرين اى لان الظاهر من حالهم انهم اخروا بقية شعورهم رجاء ان يحلقوها بعد طوافهم بالبيت وارسل الله سبحانه وتعالى ريحا عاصفة احتملت شعورهم فالقتها في الحرم وفيه انه تقدم ان الحديبية اكثرها في الحرم فاستبشروا بقبول عمرتهم * وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من الكتاب امرهم بالنحر والحلق قال ذلك ثلاث مرات فلم يقم منهم احد فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة رضى الله عنها وهو شديد الغضب فاضطجع فقالت مالك يارسول الله مرارا وهو لا يجيبها ثم ذكر لها ما لقي من الناس وقال لها هلك المسلمون أمرتهم ان ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا وفي لفظ قال عجبا يا أم سلمة ألا ترين الى الناس آمرهم بالامر فلا يفعلونه قلت لهم احلقوا وانحروا وحلوا مرارا فلم يجبني أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامي وينظرون وجهي فقالت يارسول الله لا تلمهم فانهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في امر الصلح ورجوعهم بغير فتح ثم أشارت عليه صلى الله عليه وسلم ان يخرج ولا يكلم احدا منهم وينحر بدنه ويحلق رأسه ففعل كذلك اي اخذ الحربة وقصد هديه واهوي بالحربة الى البدن رافعا صوته بسم الله والله اكبر ثم دخل صلى الله عليه وسلم قبة له من ادم احمر ودعا خراش فحلق راسه ورمى شعره على شجرة فاخذه الناس وتحاصوه واخذت ام عمارة رضى الله عنها طاقات منه فكانت تغسله للمريض وتسقيه فيبرأ فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وحلقوا ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة اى بعد ان اقام بالحديبية تسعة عشر يوما وقيل عشرين يوما ولما كان صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة اى بكراع الغميم نزلت عليه سورة الفتح اى وقال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه نزلت على سورة هي احب الى مما طلعت عليه الشمس وحصل للناس مجاعة فقالوا يارسول الله جهدنا اى اصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع وفي الناس ظهر اى ابل فانحره لنا نأكل من لحمه وندهن من شحمه ونحتذي من جلوده فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تفعل

اى وبعد موته صلى الله عليه وسلم اسلم قيس فليس له صحبة وقيل بل اسلم قبل موته صلى الله عليه وسلم فله صحبة والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ وفد كندة ﴾

وكندة قبيلة باليمن ينسبون الى كندة لقب جدهم ثور بن عفير وله صلى الله عليه وسلم جدة منهم وهي أم جده كلاب وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثمانون من كندة وقيل ستون فيهم الاشعث بن قيس وكان وجيها مطاعا في قومه وهو اصغرهم ولما ارادوا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم سرحوا شعورهم وتكحلوا ولبسوا جبب الحبرة قد سجفوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أبيت اللعن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ملكا انا محمد بن عبد الله قالوا لا نسميك باسمك قال انا ابو القاسم فقالوا يا ابا القاسم انا خبانا لك خبيئا فما هو وكانوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم عين جرادة في ظرف سمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والكهانة والتكهن في النار فقالوا كيف نعلم انك رسول الله فاخذ كفا من حصباء فقال هذا يشهد اني رسول الله فسبح الحصي في يده فقالوا نشهد انك رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني بالحق وانزل على كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا اسمعنا منه فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصافات صفا حتى بلغ ورب

المشارق ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن بحيث لا يتحرك منه شيء ودموعه تجري على لحيته فقالوا انا نراك تبكي امن مخافة من أرسلك قال خشيتي منه ابكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك الآية ثم قال لهم الم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هذا الحرير فعند ذلك شقوه والقوه ولعل سجفهم جاوزت الحد الجائز شرعا وكان على النبي صلى الله عليه وسلم حين دخلوا عليه حلة يمانية يقال انها حلة ذي يزن وعلى ابي بكر وعمر رضي الله عنهما مثلها وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قدم عليه وفد لبس احسن ثيابه وامر اصحابه بذلك وقال الاشعث بن قيس له صلى الله عليه وسلم نحن بنوا آكلة المرار وانت ابن آكلة المرار يعنون جدته ام كلاب لما تقدم انها من كندة وآكل المرار وهو الحارث بن عمرو لقب بذلك لاكله شجرا يقال له المرار في غزوة غزاها ولما قال له الاشعث ما ذكر قال صلى الله عليه وسلم لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا أي لا ننتسب الى الامهات ونترك النسب الى الآباء فقال الاشعث بن قيس يا معشر كندة والله لا اسمع رجلا يقولها الا ضربته ثمانين والاشعث هذا ممن ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد الى الاسلام في خلافة الصديق رضي الله عنه فانه حوصر وجيء به اسيرا فقال للصديق حين اراد قتله استبقني لحروبك وزوجني اختك فزوجها اخته ام فروة وعاد الى الاسلام فدخل سوق الابل بالمدينة واخترط سيفه وجعل لا يرى جملا الا عرقبه فصاح الناس كفر الاشعث فلما فرغ طرح سيفه وقال والله ما كفرت الا ان الرجل يعني ابا بكر رضي الله عنه زوجني اخته ولو كان ببلادنا كانت لي وليمة غير هذه ثم قال يا اهل المدينة انحروا وكلوا واعطي اصحاب الابل اثمانها وقال صلى الله عليه وسلم للاشعث هل لك من ولد فقال لي غلام ولد عند مخرجي اليك لوددت ان لي به سبعة قال انهم لمجبنة مبخلة وانهم لقرة العين وثمرة الفؤاد وقد شهد الاشعث اليرموك بالشام ثم القادسية وحروب وفي

يا رسول الله فان الناس ان يكن فيهم بقية ظهر امثل كيف بنا اذا لاقينا العدو غدا جياعا رجالا اي ثم قال ولكن ان رأيت أن تدعو الناس الى ان يجمعوا بقايا أزوادهم ثم تدعو فيها بالبركة فان الله سيبلغنا بدعوتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابسطوا أنطاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ودعا لهم ثم قال قربوا اوعيتكم فاخذوا ماشاء الله أي وحشوا اوعيتهم واكلوا حتى شبعوا وبقي مثله وفي مسلم خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فاخذنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا فامرنا النبي صلى الله عليه وسلم فجمعنا من أزوادنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع وكان كربضة العنز اى كقدر العنز وهي رابضة اى باركة وكنا أربع عشرة مائة قال الراوي فاكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جربنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله والله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما الا حجب من النار وقال صلى الله عليه وسلم لرجل من اصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو ما يتوضأ به فجاء رجل باداوة وهي الركوة فيها نطفة من ماء اى قليل من ماء وقيل الماء نطفة لانه ينطف أى ينصب فافرغها في قدح اي ووضع راحته الشريفة في ذلك الماء قال الراوي فتوضأنا كلنا اى الاربع عشرة مائة ندغفقه دغفقة اى نصبه صبا شديدا ثم جاء بعد ذلك ثمانية فقالوا اهل من طهور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرغ الوضوء والى تكثير الطعام والماء اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله في وصف راحته الشريفة

احييت المرملين من موت جهد * اعوز القوم فيه زاد وماء

اى حفظت على المحتاجين للزاد والماء حياتهم فسلموا من موت قحط شديد اعوز القوم في ذلك القحط زاد وماء وقال السبكي في تائيته في تكثير الماء

وعندي يمين لا يمين بان في * يمينك وكفا حيثما السحب ضنت

ولما نزلت عليه صلى الله عليه وسلم سورة الفتح قال له جبريل عليه السلام يهنئك يا رسول الله وهناه المسلمون وتكلم بعض الصحابة وقال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك بئس الكلام بل هو اعظم الفتح لقد رضي المشركون ان يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا واظفركم الله عليهم وردكم الله تعالى سالمين ماجورين فهو اعظم الفتوح انسيتم يوم احد اذ تصعدون ولا تلوون على احد وانا ادعوكم في اخراكم انسيتم يوم الاحزاب اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون صدق الله ورسوله فهو اعظم الفتوح والله يا نبي الله ما فكرنا فيما ذكرت فيه ولانت اعلم بالله وبامره منا وقال له بعض الصحابة اى وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله الم تقل انك تدخل مكة آمنا قال بلى افقلت لكم من عامي هذا قالوا لا قال فهو كما قال جبريل عليه الصلاة والسلام فانكم اتونه وتطوفون به اقول فيه انه تقدم ان ذلك كان عن رؤيا لا عن وحي الا ان يقال يجوز ان يكون جاءه صلى الله عليه وسلم الوحي بمثل ما راى ثم اخبرهم بذلك والله اعلم

العراق وسكن الكوفة وشهد صفين مع على رضى الله عنه ومات بعد ذلك باربعين ليـلة وصلى عليـه الحسن بن على رضى الله عنهما
وقيل مات سنة ثنتين واربعين ﴿وفد ازدشنوءة﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الازد وفيهم
صرد بن عبد الله الازدى وكان افضلهم فامره على من اسلم من قومه وامره ان يجاهد بمن اسلم من يليه من اهل الشرك من قبائل
اليمن فخرج حتى نزل بجرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة وهي مدينة بها قبائل اليمن فحاصرها المسلمون

وفى لفظ لما رأى رسول الله صلى الله عليـه وسلم بالحديبية انه يدخل مكة هو واصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين واخبرهم بذلك ولما صدوا قالوا له اين رؤياك يارسول الله فانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية اقول ولا يخالف هذا ما تقدم ان الرؤيا المذكورة كانت بالمدينة وانها السبب الحامل على الاحرام بالعمرة لجواز تكرار الرؤيا وان الاولى اقترن بها الوحي وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة عام القضية وحلق رأسه قال هذا الذي وعدتكم فلما كان يوم الفتح واخذ المفتاح قال ادعوا الى عمر بن الخطاب فقال هذا الذي قلت لكم ولما كان فى حجة الوداع ووقف صلى الله عليه وسلم بعرفة فقال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه هذا الذى قلت لكم وفيه انه لم يتقدم فى الرؤيا انه صلى الله عليه وسلم باخذ المفتاح ولا ان يقف بعرفة الا ان يقال يجوز ان يكون صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك بعد الرؤيا وان المراد من ذلك مجرد دخول مكة والله اعلم واصابهم مطر في الحديبية لم يبل اسفل نعالهم أى ليلا ونادى منادي رسول الله ﷺ مناديه ان ينادى الا صلوا فى رحالكم وقال صلى الله عليه وسلم صبيحة ليلة الحديبية لما صلى بهم اتدرون ماقال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال الله عز وجل صبح من عبادى مؤمن بى وكافر فاما من قال مطرنا برحمة الله وفضله فهو مؤمن بالله وكافر بالكواكب ومن قال مطرنا بنجم كذا وفى رواية بنوء كذا وكذا فهو مؤمن بالكواكب كافر بى وهذا عند ائمتنا مكروه لا حرام اي لان المراد بالايمان شكر نعمة الله حيث نسبها الى الله والكفر كفران النعمة حيث نسبها الغيرة فان اعتقد ان النجم هو الفاعل كان الكفر فيه على حقيقته وهو ضد الايمان والاول انما نهى عنه لانه كان من امر الجاهلية والا فهذا التركيب لا يقتضى ان يكون نوء كذا فاعلا ومن ثم لو قال مطرنا فى نوء كذا أي فى وقت نوء كذا لم يكره وكان ابن ابى ابن سلول قال هذا نوء الخريف مطرنا بالشعرى أي وسمى الخريف خريفا لانه تخترف فيه الثمار أى تقطع والنوء سقوط نجم ينزل في الغرب مع الفجر وطلوع رقيبة من المشرق من انجم المنازل وذلك يحصل فى كل ثلاثة عشر يوما الا الجبهة النجم المعروف فان لها اربعة عشر يوما قال بعضهم والانواء ثمانية وعشرون نجما أى نجما كان العرب يعتقدون ان من ذلك يحدث المطر او الريح وفي الحديث لو حبس الله القطر عن الناس سبع سنين ثم ارسله اصبح طائفة منهم به كافرين يقولون مطرنا بنوء المجدح بكسر الميم نجم يقال هو الدبران وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا ونقل عن عمر رضي الله عنه انه قال مطرنا بنوء كذا ولعله لم يبلغه النهي عن ذلك حيث قال قال العارف بالله ابن عطاء الله اهل هذا يكون ناهيا لك ايها المؤمن عن التعرض الى علم الكواكب واقترانها وما نهالك ان تدعى وجود تاثيراتها واعلم ان لله فيك قضاء لا بد ان ينفذه وحكما لا بد ان يظهره فما فائدة التجسس على غيب علام الغيوب وقد نهانا سبحانه ان نتجسس على غيبه وطارت تلك الشجرة التى وقعت عندها البيعة يقال لها شجرة الرضوان وبلغ عمر بن الخطاب

قريبا من شهر ثم رجعوا عنها حتى اذا كانوا بجبل يقال له شكر بالشين المعجمة والكاف المفتوحتين ولما وصلوا ذلك المحل ظن أهل جرش ان المسلمين انما رجعوا عنهم منهزمين فخرجوا فى طلبهم حتى اذا أدركوهم عطف المسلمون عليهم وقتلوهم قتلا شديدا وقد كان اهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتاد ان أى ينظران الاخبار فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال صلى الله عليه وسلم باى بلاد الله شكر فقام الرجلان فقالا يارسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال انه ليس بكشر ولكنه شكر قالا فما شانه يارسول الله قال ان بدن الله لتنحر عنده الآن يعني قتل قومهم أطلق البدن عليهم على سبيل الاستعارة او التشبيه البليغ والمعني ان قومكم الذين هم كالبدن

فى عدم الادراك حيث لم يؤمنوا وحاربوا المسلمين ينحرون نحر البدن فجلس الرجلان الى ابي بكر وعثمان رضى الله عنهما فقالا لهما ويحكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينعى لكما قومكما اى يخبركما بموتهم فقوما اليه فسالاه ان يدعو الله ان يرفع عن قومكما فسالاه ذلك فقال اللهم ارفع عنهم ثم خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد اصيبوا فى اليوم والساعة التى قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ثم بعد ذلك وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفد جرش واسلموا فقال

لهم صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم احسن الناس وجوها آنتم مني وانا منكم وحمى لهم حول بلدهم * وفادة رسول الحارث بن كلال واصحابه * وذلك ان الحارث بن كلال بضم الكاف والنعمان ومعافر بالفاء مكسورة وهمدان باسكان الميم وفتح الدال المهملة وهي قبيلة كتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم باسلامهم فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن كلال والى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فاني احمد الله اليكم الذى لا اله الا هو أما بعد فانه وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم اي رجوعنا من غزوة تبوك فلقينا بالمدينة فبلغ ماأرسلتم به وخبر ماقبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه وانكم اصلحتم وأطعتم الله ورسوله واقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة اما بعد فان محمدا النبي ارسل الى ذرعة ذي يزن وفي رواية أبي زرعة بن سيف ذي يزن ان اذا أتاكم رسلي فاوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك ابن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة واصحابهم وان اجمعوا ماعندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم بالخاء المعجمة جمع مخلاف وأبلغوها رسلي وان أميرهم معاذ ابن جبل فلا ينقلبن الا راضيا ولا تخونوا ولا تجادلوا فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل والسلام عليكم ورحمة الله * وفادة رسول فروة بن عمرو الجذامى * وفد رسول فروة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره باسلامه واهدي فروة له صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء يقال لها فضة وحمارا يقال له يعفور وفرسا يقال لها الظرب وثيابا وقباء مرصعا بالذهب فقبل صلى الله عليه وسلم الهدية وأعطى الرسول اثنتي عشرة أوقية من

رضي الله عنه اى فى خلافته ان ناسا يصلون عندها فتوعدهم وامر بها فقطعت اى خوف ظهور البدعة ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة هاجرت اليه ام كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط فى تلك المدة وكانت اسلمت بمكة وبايعت قبل ان يهاجر رسول الله ﷺ وهي أول من هاجر من النساء بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وانها خرجت من مكة وحدها وصاحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة وفى الاستيعاب يقولون انها مشت على قدميها من مكة الى المدينة ولا يعرف لها اسم الا هذه الكنية وهى اخت عثمان بن عفان رضى الله عنه لامه ولما قدمت المدينة دخلت على ام سلمة رضى الله عنها واعلمتها انها جاءت مهاجرة وتخوفت ان يردها رسول الله ﷺ ولما دخل صلى الله عليه وسلم على ام سلمة اعلمته بها ورحب بام كلثوم رضى الله عنها فخرج اخوها عمارة والوليد في ردها بالعهد وقالا يا محمد أوف لنا بما عاهدتنا عليه فلم يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أى بعد ان قالت له يارسول الله انا امرأة وحال النساء الى الضعف فتردني الى الكفار يفتنوني عن ديني ولا صبر لى فنزل القرآن بنقض ذلك العهد بالنسبة للنساء لمن جاء منهن مؤمنا لكن بشرط امتحانهن بقوله تعالى ياايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات أي فى مدة هذا العهد والصلح مهاجرات فامتحنوهن قال السهيلى رحمه الله وكان الامتحان ان تستحلف المرأة المهاجرة انها ماهاجرت ناشزة ولا هاجرت الا لله ولرسوله وفى لفظ كانت المرأة اذا جاءت للنبي ﷺ حلفها عمر رضى الله عنه بالله ماخرجت رغبة بارض عن ارض وبالله ماخرجت من بغض زوج وبالله ماخرجت لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وبالله ماخرجت الا حبا لله ورسوله فاذا حلفت لم ترد ورد صداقها الى بعلها أى ولما قدم الوليد وعمارة مكة اخبرا قريشا بذلك فرضوا أن تحبس النساء ولم يكن لام كلثوم رضى الله عنها زوج بمكة ولما قدمت المدينة زوجها زيد بن حارثة وفى رواية لما كان ﷺ بالحديبية جاءته جماعة من النساء المؤمنات مهاجرات من مكة من جملتهن سبيعة بنت الحرث فاقبل زوجها وهو مسافر المخزومي طالبا لها وأراد مشركوا مكة ان يردوهن الى مكة فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية ياايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاستحلف صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت فاعطى صلى الله عليه وسلم زوجها مسافرا ما انفق عليها فتزوجها عمر رضي الله عنه وهذا السياق يدل على ان الآية الكريمة نزلت بالحديبية وما قبله يدل على انها نزلت بالمدينة وقد يقال لا مانع من تكرر نزول الآية واما فى غير مدة هذا العهد أى بعد نسخه بفتح مكة فلم تستحلف امرأة جاءت الى المدينة ولا يرد صداقها الى بعلها ومن ثم ذهب ائمتنا الى انه اذا شرط رد المسلمة اليهم فسدت الهدنة كما تقدم ولا يجب دفع المهر للزوج لو جاءت مسلمة وقوله تعالى وآتوهم أى الازواج ما انفقوا اى من المهور محمول على الندب والصارف له عن الوجوب كون الاصل براءة الذمة لان البضع ليس بمال للكافر وفيه ان طلب رد المهور للازواج كان واجبا فى مدة العهد خاصة كما علمت وانزل الله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر اى نهى المؤمنين عن البقاء على نكاح المشركات فطلق الصحابة رضي الله عنهم كل امرأة كافرة فى نكاحهم حتى ان عمر بن الخطاب

فضة وكان فروة عاملا للروم على ما يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام ومعان بفتح الميم وضمها اسم جبل فلما بلغ الروم اسلامه اخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه بعد ان قال له الملك ارجع عن دين محمد ونحن نعيدك الى ملكك قال لا افارق دين محمد فانك تعلم ان عيسى بشر به ولكنك تضن بملكك ﴿ وفد الحارث بن كعب ﴾ قد تقدم بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه اليهم فلما رجع أقبل وفدهم معه وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ احدا بظلم قال صدقت وأمر عليهم زيد بن حصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم الى قومهم الا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

* ﴿ وفد رفاعة بن زيد الخزاعي ﴾ *

بالخاء المعجمة والزاي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وأهدي لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى قومه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد اني بعثته الى قومه عامة ومن دخل منهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن أقبل منهم ففي حزب الله ورسوله ومن ادبر فله امان شهرين فلما قدم رفاعة على قومه اجابوا واسلموا رضي الله عنهم

﴿ وفد همدان ﴾ * وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من همدان فيهم مالك بن نمط وكان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات بكسر الحاء ثياب مخططة من برود اليمن والعمائم العدنية نسبة الى عدن مدينة باليمن سميت بذلك لان تبعا كان يحبس فيها ارباب الجرائم ووفدوا عليه على الرواحل المهرية والارحبية والمهرية نسبة الى قبيلة يقال لها مهرة باليمن والارحبية نسبة الى ارحب وصار مالك ابن نمط يرتجز اي يقول الرجز بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد اليك جاوزن سواد الريف * في هبوات الصيف والخريف

الخطاب رضي الله عنه كان له امرأتان فطلقهما يومئذ فتزوج احداهما معاوية بن أبي سفيان والاخرى صفوان بن أمية فكان صلى الله عليه وسلم في مدة العهد يرد الرجال ولا يرد النساء أي بعد امتحانهن فقد جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة ابو بصير رضي الله عنه وكان ممن حبس بمكة وكتب في رده ازهر بن عوف رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وهو من الطلقاء وهو عبد الرحمن بن عوف والاخنس بن شريق رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك كتابا وبعث به رجلا من بني عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقرأه ابي رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه قد عرفت ما شارطناك عليه من رد من قدم عليك من اصحابنا فابعث الينا بصاحبنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا بصير انا قد اعطينا هؤلاء القوم ما علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك قال يا رسول الله اتردني الى المشركين يفتنوني عن ديني قال صلى الله عليه وسلم يا ابا بصير انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما اي وصار المسلمون رضي الله عنهم يقولون له الرجل يكون خيرا من الف رجل يغرونه بالذين معه حتى اذا كانوا بذي الحليفة جلس رضي الله عنه الى جدار ومعه صاحباه فقال ابو بصير رضي الله عنه لاحد صاحبيه ومعه سيف اصارم سيفك هذا يا اخا بني عامر قال نعم انظر اليه ان شئت فاستله ابو بصير رضي الله عنه ثم علاه به حتى قتله وفي لفظ ان الرجل هو الذي سل سيفه ثم هزه فقال لاضربن بسيفي هذا في الاوس والخزرج يوما الى الليل فقال له ابو بصير او صارم سيفك هذا قال نعم فقال ناولنيه انظر اليه فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد وقيل تناوله بفيه وصاحبه نائم فقطع اساره اي كتافه ثم ضربه به حتى برد فطلب المولى فخرج المولى سريعا حتى اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحصا يطير من تحت قدميه وفي لفظ والحصا يطير من تحت قدميه من شدة عدوه اي وابو بصير في اثره حتى ازعجه قال صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل قد رأي فزعا وفي لفظ قد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد قال له ويحك مالك قال قتل صاحبكم صاحبي وافلت منه ولم اكد واني لمقتول واستغاث رسول الله ﷺ فامنه فاذا ابو بصير رضي الله عنه اناخ بعير العامري بباب المسجد ودخل متوشحا السيف ووثب على رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله وفت ذمتك وادى الله عنك اسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني ان افتن فيه او يفتن بي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب حيث شئت فقال يا رسول الله هذا سلب العامري اي الذي قتلته رحله وسيفه فخمسه فقال له صلى الله عليه وسلم اذا خمسته رأوني لم اوف لهم بالذي عاهدتهم عليه ولكن شانك بسلب صاحبك ومن ثم قال فقهاؤنا يجوز رد المسلم الى الطالب له من غير عشيرته اذا قدر على قهر الطالب والهرب منه وعند ذلك ذهب ابو بصير رضي الله عنه الى محل من طريق الشام تمر به عيرات قريش واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة اي انهم لما

مخطمات بحبال الليف ومن شعره حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد * بان رسول الله فينا مصدق * رسول أتى من عند ذي العرش مهتد فما حملت من ناقة فوق رحلها * اشد على اعدائه من محمد وقد أمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وتقدم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد اليهم ثم بعث عليا رضي الله عنه وأمر خالدا بالرجوع وان من كان مع خالد ان شاء بقي مع علي وان شاء رجع وانه صلى الله عليه وسلم لما جاءه خبر اسلامهم خر ساجدا ثم رفع رأسه ثم قال السلام على همدان وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال نعم الحي همدان ما اسرعها الى النصر واصبرها على الجهد وفيهم ابدال وفيهم اوتاد الاسلام

﴿ وفد تجيب ﴾ بضم المثناة فوق وهي قبيلة من كندة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة عشر رجلا وقد ساقوا معهم صدقات اموالهم التي فرض الله عليهم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم واكرم مثواهم وقالوا يارسول الله انا سقنا اليك حق الله في اموالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوها فاقسموها على فقرائكم قالوا يارسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا فقال ابو بكر رضي الله عنه يارسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدى بيد الله عز وجل فمن اراد الله به خيرا شرح صدره للدين وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة فيهم وارادوا الرجوع الى اهليهم فقيل لهم ما يعجلكم قلنا نرجع الى من وراءنا ونخبرهم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وملاقاتنا له وكلامنا اياه وما رد علينا ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه فارسل اليهم بلالا فاجازهم بارفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم هل بقي منكم احد قالوا غلام خلفناه على رحالنا

بلغهم خبره رضي الله عنه اي وانه ﷺ قال في حقه ويل امه مسعر حرب لو كان معه رجال صاروا يتسللون اليه وانفلت ابو جندل بن سهيل بن عمرو رضي الله عنهما الذي رده يوم الحديبية وخرج من مكة في سبعين فارسا اسلموا فلحقوا بابي بصير وكرهوا ان يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك المدة التي هي في زمن الهدنة أي خوف ان يردهم الى اهليهم وانضم اليهم ناس من غفار واسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن اسلم حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل فقطعوا مادة قريش لا يظفرون باحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا اخذوها حتى كتبت قريش له صلى الله عليه وسلم تسأله بالارحام الا آواهم ولا حاجة لهم بهم (وفي رواية) ان قريشا ارسلت ابا سفيان بن حرب رضي عنه في ذلك وان قريشا قالوا انا اسقطنا هذا الشرط من الشروط من جاء منهم اليك فامسكه في غير حرج اي وفي لفظ من اتاه فهو آمن فانا اسقطنا هذا الشرط فان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح اقراره فكتب رسول الله ﷺ الى ابي جندل والى ابي بصير رضي الله عنهما ان يقدما عليه وان من معهما من المسلمين يلحقوا ببلادهم واهليهم ولا يتعرضوا لاحد مر بهم من قريش ولا لعيراتهم فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وابو بصير رضي الله عنه يموت فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده يقرؤه فدفنه ابو جندل رضي الله عنه مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم ابو جندل رضي الله عنه على رسول الله ﷺ مع ناس من اصحابه ورجع باقيهم الى اهليهم وامنت قريش على عيراتهم وعلمت اصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم الذين عسر عليهم رد ابي جندل الى قريش مع ابيه سهيل بن عمرو ان طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مما احبوه وان رأيه صلى الله عليه وسلم افضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك ان مصالحته صلى الله عليه وسلم كانت اولى لانها كانت سببا لكثرة المسلمين فان الكفار لما أمنوا القتال اختلطوا بالمسلمين فاثر فيهم الاسلام فاسلم كثير منهم وقد ذكر بعض المفسرين ان الذين اسلموا في سنتي الفتح بناء على ان المدة كانت سنتين أو المعنى سنتين من الصلح اي من مدته يعدلون الذين اسلموا قبلها قال وعن بعضهم اي وهو ابو بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول ما كان فتح في الاسلام اعظم من فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد صلى الله عليه وسلم وربه والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما اراد لقد رأيت سهيل ابن عمرو رضي الله عنه بعد اسلامه في حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده ودعا الحلاق الحلق رأسه فانظر الى سهيل كلما يلقط من شعره صلى الله عليه وسلم يضعه على عينيه واذكر امتناعه ان يقر يوم الحديبية بان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم اي وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمدت الله وشكرته الذي هداه للاسلام وعن كعب ابن عجرة رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية ونحن محرمون قد حصرنا المشركون وكان لي وفرة فجعلت الهوام اي القمل تتساقط على وجهي فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفي رواية) ملت الى رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي * وفي رواية أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادنه فدنوت يقول ذلك مرتين او ثلاثا * وفي رواية أتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وأنا أوقد تحت برمة وفي لفظ قدر لي فقال كانك تؤذيك هوام رأسك قال اجل قال احلق واهد هديا فقال ما اجد هديا فقال صم ثلاثة أيام وفي لفظ فقال ايؤذيك هوام رأسك وفي لفظ لعلك آذاك هوام رأسك قلت نعم يارسول الله قال ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك هذا فامرني ان احلق اي وفي رواية اصابتني هوام في رأسي وانا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى تخوفت على بصري وانزل الله تعالى في هذه الآية فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه اي فحلق ففدية من صيام اوصدقة او نسك فقال رسول الله ﷺ صم ثلاثة ايام او تصدق بفرق اي زاد في رواية من زبيب بين ستة مساكين والفرق بفتح الفاء والراء ثلاثة آصع اي زاد في رواية من تمر لكل مسكين نصف صاع اوانسك أي اذبح ماتيسر لك انتهى زاد في رواية اي ذلك فعلت أجزأ عنك فحلقت ثم نسكت اي * وفي رواية الشيخين انسك شاة اي صم ثلاثة ايام او اطعم فرقا من الطعام على ستة مساكين قال ابن عبد البر عامة الآثار عن كعب بن عجرة وردت بلفظ التخيير وهو نص القرآن وعليه عمل العلماء في كل الامصار وفتواهم وما ورد من الترتيب في بعض الاحاديث لوصح كان معناه الاختيار اولا فاولا قال الزمخشري في سفر السعادة امر صلى الله عليه وسلم في علاج القمل بحلق الرأس لتفتح المسام وتتصاعد الابخرة وتضعف المادة الفاسدة التي يتولد القمل منها ذكر في الهدي ان اصول الطب ثلاثة الحمية وحفظ الصحة والاستفراغ فالى الاولى شرع التيمم خوفا من استعمال الماء والى الثاني شرع الفطر في رمضان في السفر لئلا تتوالى مشقة السفر ومشقة الصوم والى الثالث بحلق رأس المحرم اذا كان به اذى من قمل ليستفرغ المادة الفاسدة والابخرة الرديئة وعند ائمتنا لابدان يكون مايذبحه مجزئا في الاضحية وبعد الحديبية قبل خيبر وقيل بعد خيبر نزلت آية الظهار قدسمع الله قول التي تجادلك في زوجها وسبب ذلك ان اوس بن الصامت لاعبادة بن الصامت كما قيل اي وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه وفي لفظ كان به لمم أي نوع من الجنون وكان فاقد البصر قال لزوجته خولة بنت ثعلبة وفي لفظ بنت خويلد وكانت بنت عمه وقد راجعته في شيء فغضب فقال لها انت علي كظهر امي وكان ذلك في زمن الجاهلية طلاقا اي كالطلاق في تحريم النساء ثم راودها عن نفسها فقالت كلا لاتصل لي وقد قلت ماقلت حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ انه لما قال لها انت علي كظهر امي اسقط في يده وقال ما اراك الا قد حرمت علي انطلقي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأليه فدخلت عليه صلى الله عليه وسلم وهو يمشط رأسه الشريف أي عنده ماشطة اي وهي عائشة رضي الله عنها تمشط رأسه وفي لفظ كان الظهار اشد الطلاق واحرم الحرام اذا ظاهر الرجل من امرأته لم ترجع اليه ابدا فاخبرته فقال لها صلى الله عليه وسلم ما امرنا بشيء من امرك ما اراك الا قد حرمت عليه فقالت يارسول الله والذي انزل عليك الكتاب ماذكر الطلاق وانه ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي وتركي الى غير احد وقد كبرسني ودق

وهو أحدثنا سنا فقال أرسلوه إلينا فأرسلوه فاقبل الغلام حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أنا من الرهط الذين اتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي قال وما حاجتك فقال يارسول الله ان حاجتي ليست كحاجة أصحابي وان كانوا راغبين في الاسلام والله ما أخرجني الا أن تسال الله ان يغفرلي ويرحمني وأن يجعل غناي في قلبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفرله وارحمه واجعل غناه في قلبه وقد قال صلى الله عليه وسلم من أراد الله به خيرا جعل غناه في نفسه وتقاه في قلبه واذا أراد الله بعبد شرا جعل فقره بين عينيه ثم أمرله بمثل ما أمر به لرجل من الصحابة ثم انهم بعد ذلك وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى في الموسم الا ذلك الغلام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مافعل الغلام الذي أتاني معكم قالوا يارسول الله مارأينا مثله قط ولاحدثنا باقنع منه بمارزقه الله لو أن الناس اقتسموا الدنيا مانظر نحوها ولا التفت اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله اني لارجو أن يموت جميعا فقال رجل منهم أو ليس يموت الرجل جميعا قال صلى الله عليه وسلم تتشعب اهواؤه وهمومه في أودية الدنيا فلعل أجله ان يدركه في بعض تلك الاودية فلا يبالي الله عز وجل في أيها هلك قالوا فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وازهده في الدنيا واقنعه بما رزق فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع من رجع من اهل اليمن عن الاسلام قام في قومه فذكرهم الله والاسلام فلم يرجع منهم احد وجعل الصديق رضي الله عنه يذكره يسال عنه حتى بلغه حاله وماقام به فكتب الى زياد بن الوليد يوصيه به خيرا وكان زياد واليا على حضرموت ﴿ وفد بني ثعلبة ﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من الجعرانة اربعة نفر من بني ثعلبة مقرين بالاسلام فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته وراسه يقطر ماء قال بعضهم

فرمي ببصره الينا فاسرعنا اليه وبلال يقيم الصلاة وسلمنا وقلنا يارسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اسلام لمن لا هجرة له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم ثم صلي بنا الظهر ثم انصرف الى بيته فلم نلبث ان خرج الينا فدعا بنا فقال كيف بلادكم فقلنا مخصبون فقال الحمد لله فاقمنا أياما وضيافته تجري علينا (٣٤) ثم لما جاؤ يودعونه قال لبلال أجزهم فاعطي كل واحد منهم خمس أواقي فضة والاوقية اربعون درهما

﴿ وفد بني سعد هذيم من قضاعة ﴾

عن النعمان رضي الله عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومي وقد اوطا رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد أي جعلها موطوءة قهرا وغلبة واستولى عليها والناس صنفان اما داخل في الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا بناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على جنازة في المسجد وهي سهيل بن بيضاء فقمنا خلفه ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن انتم فقلنا من بني سعد هذيم فقال امسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على اخيكم فقلنا يارسول الله ظننا ان ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اينما اسلمتم فانتم مسلمون قال فاسلمنا وبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ثم انصرفنا الي رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبنا فاتي بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا يارسول الله انه اصغرنا وانه خادمنا فقال اصغر القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان فكان والله خيرنا واقرأنا للقرآن

عظمي وفي لفظ انها قالت اللهم اني اشكو اليك شدة وحدتي وماشق علي من فراقه ومانزل بي ونصيبتي قالت عائشة رضي الله عنها فلقد بكيت وبكى من كان في البيت رحمة لها ورقة عليها وفي لفظ قالت يارسول الله ان زوجي أوس بن الصامت تزوجني وانا ذات مال وأهل فلما أكل مالي وذهب شبابي ونقصت بطني وتفرق أهلي ظاهرمني فقال لها رسول الله صلي الله عليه وسلم ما اراك الا قد حرمت عليه فبكت وصاحت وقالت أشكو الى الله فقري ووحدتي وصبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا وصارت ترفع رأسها الى السماء فبينما هو صلي الله عليه وسلم قد فرغ من شق رأسه وأخذ في الشق الآخر انزل الله عليه الآية فسري عنه وهو يتبسم فقال صلى الله عليه وسلم لها مريه وليحرر رقبة فقالت والله ماله خادم غيري قال مريه فليصم شهرين متتابعين فقالت والله انه لشيخ كبير انه ان لم يأكل في اليوم مرتين يندر بصره أي لو كان مبصرا فلا ينافي ما تقدم انه كان فاقد البصر قال فليطعم ستين مسكينا فقالت والله مالنا اليوم وقية فقال مريه فلينطلق الي فلان يعني شخصا من الانصار اخبرني ان عنده شطر وسق من تمر يريدان يتصدق به فلياخذه منه * وفي رواية مريه فليات أم المنذر بنت قيس فلياخذ منها شطر وسق من تمر فليتصدق به على ستين مسكينا وليراجعك ثم أتته فقصت عليه القصة فانطلق فجعل اي وفي لفظ قال رسول الله صلي الله عليه وسلم فانا سأعينه بعرق من تمر فبكت وقالت وأنا يارسول الله سأعينه بعرق آخر قال قد أصبت واحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيرا * وفي رواية لما قال لها صلي الله عليه وسلم ما اعلم الا قد حرمت عليه قالت لها عائشة رضي الله عنها وراءك فتنحت فلما نزل عليه صلي الله عليه وسلم الوحي وسري عنه قال ياعائشة أين المرأة قالت هاهي هذه قال ادعيها فدعتها فقال لها النبي صلي الله عليه وسلم اذهبي فجيئي بزوجك فذهبت فجاءت به وادخلته على النبي صلي الله عليه وسلم فاذا هو ضرير البصر فقير سيء الخلق فقال له صلي الله عليه وسلم اتجد رقبة قال لا وفي لفظ قال مالي بهذا من قدرة قال استطيع ان تصوم شهرين متتابعين قال والذي بعثك بالحق اني اذا لم آكل المرة والمرتين والثلاث يغشى على وفي لفظ اني اذا لم آكل في اليوم مرتين كل بصري اي لو كان موجودا قال أفتستطيع ان تطعم ستين مسكينا قال لا الا أن تعينني بها فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكفر عنه * وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم أعطاه مكتلا يأخذ خمسة عشر صاعا فقال أطعمه ستين مسكينا قال بعضهم وكانوا يرون ان عند أوس رضي الله عنه مثلها حتى يكون لكل مسكين نصف صاع وفيه انه خلاف الروايات من انه لا يملك شيأ فقال على افقر مني فوالذي بعثك بالحق ما بين لابتيها أهل بيت احوج اليه مني فضحك رسول الله ﷺ وقال اذهب به الي أهلك وهذا أول ظهار وقع في الاسلام ومر عمر رضي الله تعالى عنه بخولة هذه في أيام خلافته فقالت له قف ياعمر فوقف لها ودنا منها واصغي اليها وأطالت الوقوف وأغلظت له القول أي قالت له هيهات ياعمر عهدتك وانت تسمي عميرا وأنت في سوق عكاظ ترعي القيان بعصاك فلم تذهب الايام حتي سميت عمر ثم لم تذهب الايام حتى سميت امير المؤمنين فاتق الله في الرعية واعلم انه

لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فكان يؤمنا فلما أردنا الانصراف أمر بلالا فأجازنا بأواق من فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الاسلام

﴿ وفد بني فزارة ﴾

وفد عليه صلى الله عليه وسلم بضعة عشر رجلا من بني فزارة فيهم خارجة بن حصن أخو عيينة بن حصن وابن أخيه الحر بن قيس بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون أي توالت عليهم السنون والجدب على ركاب (٣٥) عجاف أي هزال وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقال رجل منهم أي وهو خارجة يارسول الله أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا أي ما حولنا وجاعت عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا الى ربك فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر ورفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه ودعا وكان مما حفظ من دعائه اللهم اسق بلدك غيثا مغيثا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام أبو لبابة رضي الله عنه فقال يارسول الله أن التمر في المربد ثلاث مرات فقال عليه السلام اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريان يسد ثعلب مربده بازاره قال فلا والله ما في السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم امطرت السماء وقام أبو لبابة عريان يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه فوالله ما رأوا الشمس سبعا ثم قام الرجل يعني الذي ساله ان يستسقي لهم فقال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبيل فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه فقال اللهم حوالينا ولا علينا على الاكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب * وفي السيرة الحلبية أن

من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشي الفوت فقال لها الجارود قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين فقال عمر رضي الله عنه دعها * وفي رواية فقال له قائل حبست الناس لاجل هذه العجوز قال ويحك وتدري من هذه قال لا قال هذه امرأة قد سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني الى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها * قيل وفي هذه السنة التي هي سنة ست حرمت الخمر وبه جزم الحافظ الدمياطي وقيل حرمت سنة أربع أي ويدل له ما تقدم من اراقة الخمر وكسر جرارها في بني قريظة وقيل في السنة الثالثة وقيل انما حرمت في عام الفتح قبل الفتح قال بعضهم حرمت ثلاث مرات أي نزل تحريمها ثلاث مرات كان المسلمون يشربونها حلالا لا أي لغيره ﷺ أما هو فحرمت عليه قبل البعثة بعشرين سنة فلم تبح له قط وقد جاء أول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الاصنام شرب الخمر وتقدم ان جماعة حرموها على انفسهم وامتنعوا من شربها ولا زالت حلالا للناس حتى نزل قوله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس فعند ذلك اجتنبها قوم لوجود الاثم وتعاطاها آخرون لوجود النفع أي وكانوا يشربونها ويصلون ولما نزل قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى امتنع من كان يشربها لاجل النفع من شربها في أوقات الصلاة ورجع قوم منهم عن شربها حتى في غير أوقات الصلاة وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة وسبب نزول هذه الآية ما جاء عن علي كرم الله وجهه قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما أي وشرابا من الخمر فأكلنا وشربنا فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة أي الجهرية وقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون الى أن قلت وليس لي دين وليس لكم دين ثم نزلت الآية الاخرى الدالة على تحريمها مطلقا وهي انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون الى قوله فهل انتم منتهون أي ولعل هذه الآية الاخيرة هي التي عناها أنس رضي الله عنه بقوله كما في البخاري كنت ساقي القوم الخمر بمنزل أبي طلحة أي وهو زوج أمه رضي الله عنهم ونزل تحريم الخمر فمر مناد ينادي الا ان الخمر قد حرمت فقال أبو طلحة أخرج فانظر ما هذا الصوت قال فخرجت فقلت هذا مناد ينادي الا ان الخمر قد حرمت فقال لي اذهب فاهرقها فقال بعض القوم قتل قوم أي في احد وهي في بطونهم * وفي رواية قالوا يارسول الله كيف بمن مات من أصحابنا وكان شربها فأنزل الله تعالى ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا أي لان ذلك كان قبل تحريمها مطلقا وقد جيء لعمر رضي الله عنه بشخص من المهاجرين الاولين قد سكر فأراد عمر جلده فاستدل على عمر بهذه الآية فقال عمر لمن حضره الا تردون عليه فقال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآية نزلت عذرا للماضين وحجة على الباقين ثم استشار عمر رضي الله عنه عليا كرم الله وجهه فأشار عليه أن يجلده ثمانين جلدة ولعل هذا الشخص هو قدامة بن مظعون وتقدمت قصته في بدر وتقدم في ذلك أن الذي رد عليه بذلك عمر لا ابن عباس رضي الله عنهم وكذا وقع لابي جندل رضي الله عنه مثل ذلك وانه اشفق أي خاف من ذلك فلما بلغ عمر رضي الله عنه كتب اليه ان الذي زين اليك الخطيئة

هذا المطر كان عاما للمدينة وماحولها الي محل هؤلاء الوافدون احاديث الاستسقاء تعددت وتكررت فهذه القصة غير قصة الاعرابي الذي ساله السقيا وهو صلي الله عليه وسلم على المنبر وقد اشار صاحب الهمزية الى قصة حصول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم حيث يقول ودعا للانام اذ دهمتهم * سنة من محولها شهباء فاستهلت بالغيث سبعة ايا * م عليهم سحابة وطفاء تتحرى مواضع الرعي والسق * ى وحيث العطاش توهى السقاء واتي الناس يشتكون اذاها * ورخاء يؤدي الانام غلاء فدعا فانجلى الغمام فقل في * وصف غيث اقلاعه استسقاء ثم اثري الثرى فقرت عيون * بقراها واحييت احياء فترى الارض غبه كسماء * اشرقت من نجومها الظلماء تخجل الدار واليواقيت من نو * ر رباها البيضاء والحمراء وحديث الاعرابي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يخطب على المنبر يوم الجمعة اذ قام اعرابي فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا ان يسقينا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ومافي السماء قزعة فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر عن لحيته قال فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابي منصرفه أوغيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال ادع الله لنا فرفع رسول الله صلي الله عليه وسلم يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيده الي ناحية من السماء الا انفرجت حتي صارت المدينة في مثل الجوبة حتى سال الوادي شهرا فلم يجئ أحد من ناحية الاحدث بالجود اي المطر الكثير وجاء في احاديث انه صلي الله عليه وسلم خرج مرة اخرى الي المصلى بعد ان وعد الناس يوما ان

هو الذي حظر اي منع عليك التوبة بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الآية

﴿ غزوة خيبر ﴾

على وزن جعفر سميت باسم رجل من العماليق نزلها يقال له خيبر وهو أخو يثرب أي الذي سميت باسمه المدينة كما تقدم وفي كلام بعضهم الخيبر بلسان اليهود الحصن ومن ثم قيل لها خيابر لاشتمالها على الحصون وهي مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير بينها و بين المدينة الشريفة ثمانية برد كما في سيرة الحافظ الدمياطي ومعلوم أن البريد أربعة فراسخ وكل فرسخ ثلاثة أميال * ولما رجع رسول الله صلي الله عليه وسلم من الحديبية أقام شهرا او بعض شهر أي ذا الحجة ختام سنة ست واقام من المحرم افتتاح سنة سبع اياما قيل عشرين يوما او قريبا من ذلك ثم خرج الي خيبر اي وهذا ماذهب اليه الجمهور ونقل عن الامام مالك رضي الله عنه ان خيبر كانت سنة ست واليه ذهب الامام ابن حزم وفي التعليقة للشيخ ابي حامد أنها كانت سنة خمس قال الحافظ ابن حجر وهو وهم ولعلها انتقل من الخندق الى خيبر قال وقد استنفر صلي الله عليه وسلم من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاءه المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال لاتخرجوا معي الا راغبين في الجهاد فاما الغنيمة فلا أي لا تعطوا منها شيأ ثم أمر مناديا ينادي بذلك فنادى به قال أنس رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طلحة وهو زوج ام انس كما تقدم حين اراد الخروج الى خيبر التمسوا غلاما من غلمانكم يخدمني فخرج ابو طلحة مردفي وانا غلام قد راهقت فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا نزل خدمته وسمعته كثيرا مايقول اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال اه * اقول وهذا السياق يدل على ان اول خدمة انس رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم حينئذ وهو يخالف ماسبق ان عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه وقالت هذا ابني وهو غلام كيس وكان عمره عشر سنين وقيل تسع سنين وقيل ثمان سنين ففي مسلم عن انس قال جاءت بي أمي أم انس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت يارسول الله هذا انيس ابني اتيتك به ليخدمك فادع الله له فقال اللهم اكثر ماله وولده وقد يقال لامخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم لما قال لابي طلحة ماذكر وجاء أن ياتي له بمن هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس ومن ثم لم يخرجه صلى الله عليه وسلم معه وفيه انه خرج معه في بدر فقد جاء انه قيل لانس رضي الله عنه اشهدت بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أم لك وأين غبت عن بدر وقد يقال جاز أن يكون عرض لانس رضي الله عنه حين خروجه صلى الله عليه وسلم الى خيبر مايقتضي الشفقة عليه في عدم اخراجه معه والله اعلم واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة نميلة وقيل سباع بن عرفطة اي وصحح وكان الله وعده وهو بالحديبية اي عند

يخرج فيه ونصب له منبر واستسقي واجيبت دعوته ونزل المطر وجاء اليه مرة اعرابي فقال يارسول الله أتيناك ومالنا بعير يئط ولا صغير يغط ثم أنشد ابياتا منها قوله وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل فقام صلي الله عليه وسلم يجر رداءه حتي صعد المنبر فدعا وسقو ثم قال لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي فقال يارسول الله كأنك أردت قوله وأبيض يستسقي الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل (٣٧) وقال صلى الله عليه وسلم اجل

وفي رواية لما جاءه المسلمون وقالوا يارسول الله قحط المطر و يبس الشجر وهلكت المواشي واسنت الناس فاستسق لنا ربك فخرج صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتي أتوا المصلى فتقدم صلى الله عليه وسلم فصلي بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان يقرأ في العيدين والاستسقاء في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الاعلى وفي الركعة الثانية بالفاتحة وهل أتاك حديث الغاشية فلما قضي صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكي ينقلب القحط الى الخصب ثم جثا على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيره ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا واسعا طبقا مغدقا عاما هنيئا مريئا مريعا مربعا وابلا شاملا مجللا دارا نافعا غير ضار عاجلا غير آجل اللهم غيثا تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد اللهم انزل في ارضنا زينتها وأنزل علينا سكينتها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهورا تحيي به بلدك الميت وتسقيه مما خلقت انعاما واناسي كثيرا فما برحوا حتى أقبل قزع من السماء فالتام بعضه الى بعض ثم امطرت سبعة أيام بلياليهن لا يقلع عن المدينة فاتاه المسلمون وهو على المنبر فقالوا قد غرقت الارض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يصرفه عنا فضحك رسول الله صلي الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تعجبا لسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا

منصرفه منها في سورة الفتح بمغانم بقوله تعالي وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها * أي مغانم خيبر وخرج معه صلي الله عليه وسلم من نسائه أم سلمة رضي الله تعالي عنها وقال صلى الله عليه وسلم في سيره لعامر بن الاكوع عم سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنهما انزل فخذ لنا من هناتك (وفي رواية) من هنيهاتك وفي لفظ من هنياتك بقلب الهاء الثانية ياء أي من اراجيزك وأشعارك وفي لفظ انزل فحرك بنا الركاب فقال يارسول الله قد تولى قولي أي الشعر فقال له عمر رضي الله عنه اسمع واطع فنزل يرتجز بقوله رضى الله تعالى عنه

والله لولا الله مااهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

الابيات وفي مسلم * اللهم لولا أنت ما أهتدينا * قيل وصوابه في الوزن لاهم أو يالله أو والله لكن في تلك الابيات فاغفر فداء لك مااقتفينا أي فاغفر ما اكتسبنا وأصل الاقتفاء الاتباع وفي خطاب الباري عز وجل بفداء لك مالا ينبغي لانه لا يقال للباري عز وجل فديتك لان ذلك انما يستعمل في مكروه متوقع حلوله بالمفدي بالفتح فيجعل المفدي بالكسر نفسه فداء له من ذلك فيبذل نفسه عن نفسه وأجيب عن ذلك بان الشاعر لم يرد ذلك بل اراد أن يبذل نفسه في رضاه سبحانه وتعالى وعند انشاده الابيات المذكورة قال له النبي صلى الله عليه وسلم يرحمك ربك فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه والله وجبت أي الشهادة يارسول الله لولا أي هلا أمتعتنا به أي ابقيته لنا لنتمتع به ومنه أمتعني الله ببقائك أي هلا أخرت الدعاء له بذلك الى وقت آخر لانه صلى الله عليه وسلم ماقال ذلك لاحد في مثل هذا الموطن الا واستشهد وفي لفظ ان القائل له أسمعنا رجل من القوم قال الحافظ ابن حجر لم أقف على أسمه صريحا وأن رسول الله صلي الله عليه وسلم لما سمعه قال من هذا السائق قالوا عامر قال صلى الله عليه وسلم يرحمه الله فقتل في هذه غزاة رجع اليه سيفه فقتله فان أراد أن يضرب به ساق يهودى فجاءت ذبابته في ركبته فمات من ذلك رضي الله عنه فقال الناس قتله سلاحه (وفى رواية) قتل نفسه أي فليس بشهيد فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم انه لشهيد وصلى عليه صلى الله عليه وسلم والمسلمون (وفى رواية) قال سلمة بن الاكوع يارسول الله فداك ابي وامي زعموا أن أخي عامرا حبط عمله وفي لفظ يزعم أسيد بن حضير وجماعة من أصحابك ان عامرا حبط عمله اذ قتل بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب من قال أي أخطا في قوله وان له اجرين وجمع بين اصبعيه (وفي رواية) انه لشهيد وفي لفظ انه لجاهد مجاهد وفى لفظ مات جاهدا مجاهدا والجاهد الجاد في أمره فلما قام بوصفين كان له أجران وقيل هو من باب جاد مجد وشعر شاعر فهو تاكيد وكون عامر أخا سلمة هو خلاف ماتقدم انه عمه وهو الصحيح المشهور قال في النور ويمكن الجمع بان يكون عمه من النسب وأخاه من الرضاعة أي وحينئذ يكون هذا محل قول ابن الجوزي رحمه الله من الاخوة الذين حدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامر وسلمة ابنا الاكوع وفي فتح الباري عن بعض الصحابة فلما وصلنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه يقول

اللهم على رؤس الظراب ومنبت الشجر وبطون الاودية وظهور الاكام فتقشعت عن المدينة ثم قال لله در أبي طالب لو كان غنيا لقرت عيناه من الذى ينشد ناقوله فقام علي رضي الله عنه فقال يارسول الله كانك أردت قوله وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل وقال أجل فهذه الاحاديث كلها تدل على تعدد الاستسقاء وتكرره منه صلى الله عليه وسلم وفي كل مرة يسقون ففي ذلك (٣٨) معجزة له صلى الله عليه وسلم ثم أجاز صلى الله عليه وسلم بني فزارة بما يجيز به الوفود ورجعوا الى قومهم والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ وفد بني اسد ﴾

وفد عليه صلى الله عليه وسلم جماعة من بني اسد فيهم حضرمى بن عامر فدخلوا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد مع اصحابه فسلموا عليه وقال شخص منهم يارسول الله صلى الله عليك وسلم أنا اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله ثم اسلم الباقون وقالوا جئناك يارسول الله ولم تبعث الينا بعثا ونحن على من وراءنا وفي رواية ان حضرمى ابن عامر قال اتيناك بتدرع الليل البهيم في سنة شهباء اى ذات قحط ولم تبعث الينا وفى رواية يارسول الله اسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلتك العرب فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين وسالوه عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من العيافة وهي زجر الطير والكهانة وهي الاخبار عن الكائنات في المستقبل فنهاهم عن ذلك فقالوا يارسول الله خصلة بقيت قال وماهي قالوا الخط أى خط الرمل ومعرفة مايدل عليه فقال علمه نبى فمن صادف مثل علمه علم وفي رواية فى مسلم فمن وافق خطه خطه فذاك أى مباح له فلا يباح الا بتبين الموافقة وفي شرح مسلم ان محصل مجموع كلام العلماء الاتفاق على النهي عنه اي لانه طريق لنا الى العلم اليقيني

قدعلمت خيبر انى مرحب * شاكى السلاح بطل مجرب
اذا الحروب أقبلت تلتهب

فبرز له عامر رضي الله عنه يقول

قد علمت خيبر انى عامر * شاكى السلاح بطل مقامر

فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب فى ترس عامر رضى الله عنه فذهب عامر يسفل لمرحب أى يضربه من أسفل فعاد سيفه على نفسه أي أصاب عين ركبة عامر فمات من ذلك الحديث وكون عامر ارتجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى حدابه لا ينافى ماجاء ان البراء بن مالك كان حسن الصوت وكان يرتجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسفاره لان المراد فى غالب أو فى بعض اسفاره كما صرحت به بعض الروايات وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال له أى للبراء اياك والقوارير وهو يدل على انه كان يرتجز لنسائه صلى الله عليه وسلم وهو يخالف ان البراء كان حادى الرجال وانجشة حادى النساء الا ان يقال جاز أن يكون البراء حدا للنساء فى بعض الاسفار أو فى بعض الاحيان وانجشة كان في الغالب قال بعضهم كان انجشة رضى الله تعالى عنه عبدا أسود وكان حسن الصوت بالحداء اذا حدا أعنقت الابل أى سارت العنق وأسرعت فلما حدا بامهات المؤمنين قال له رسول الله ﷺ يا انجشة رويدك رفقا بالقوارير ولما أشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر وكان وقت الصبح قال لاصحابه رضي الله عنهم قفوا ثم قال أى وفي لفظ قال لهم قولوا اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فانا نسالك من خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر مافيها أقدموا بسم الله اى وفى لفظ أدخلوا على بركة الله تعالي وكان صلى الله عليه وسلم يقولها لكل قرية دخلها اى وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم اى ارفقوا بانفسكم لا تبالغوا في رفع اصواتكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم قال عبد الله بن قيس رضي الله عنه وكنت خلف دابته صلى الله عليه وسلم فسمعني اقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال يا عبد الله بن قيس قلت لبيك يارسول الله قال الا ادلك على كلمة من كنز الجنة قلت بلى يارسول الله فداك أبي وامى قال لا حول ولا قوة الا بالله ويحتاج الى الجمع بين هذا وبين امره صلي الله عليه وسلم بان اصحابه يرفعن اصواتهم بالتلبية وقد يقال المنهى عنه هنا الرفع الخارج عن العادة الذى ربما آذى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم اي ارفقوا بها كما تقدم فلا منافاة ولما أبصر صلى الله عليه وسلم عمالها وقد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم قالوا محمد والخميس أى الجيش العظيم معه قيل له الخميس لانه خمسة اقسام المقدمة والساقة والميمنة والميسرة وهما الجناحان والقلب واد بروا هرباقال وذكر انه كان بها عشرة آلاف مقاتل وانهم كانوا لا يظنون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزوهم حين بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه

بالموافقة وكانه صلى الله عليه وسلم قال لو علمتم موافقته لكي لاعلم لكم بها وأقاموا اياما يتعلمون الفرائض ثم جاؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه وأمر لهم بجوائز ثم انصرفوا الى أهليهم ﴿وفد بنى عذرة﴾ قبيلة باليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا من بنى عذرة وسلموا اسلام الجاهلية أي من قولهم عم صباحا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القوم فقال قائل منهم نحن من بني عذرة أخوا قصى لامه نحن الذين عضدوا قصيا (٣٩) وأزاحوا خزاعة وبنى بكر من بطن مكة فلنا قرابات وأرحام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم وأهلا ما اعرفني بكم أي لقيتم مكانا رحبا واتيتم أهلا فاستانسوا ولا تستوحشوا ثم قال ما يمنعكم من تحية الاسلام قالوا يا محمد كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لانفسنا ولقومنا ثم قالوا الام تدعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعو الى عبادة الله وحده لاشريك له وان تشهدوا انى رسول الله الى كافة الناس فقال متكلمهم فماوراء ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات تحسن طهورهن وتصليهن لمواقيتهن فانه أفضل العمل ثم ذكر لهم باقى الفرائض من الصيام والزكاة والحج فاسلموا وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ونهاهم عن سؤال الكاهنة لانهم قالوا يارسول الله ان فينا امرأة كاهنة وقريش والعرب يتحاكمون اليها أفنسألها عن أمور فقال لاتسألوها عن شيء ونهاهم عن الذبائح التى كانوا يذبحونها لاصنامهم وقالوا نحن أعوانك وأنصارك ثم انصرفوا وقد أجيزوا وأوكس أحدهم بردا ﴿وفد بلي﴾ على وزن على مكبرا وهم حى من قضاعة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من بلى منهم وهو شيخهم أبو الضبيب تصغير الضبيب الدابة المعروفة فنزلوا على رويفع بن ثابت البلوى فقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هؤلاء قومي فقال له

عليه وسلم غدوهم هل يخرجون ويصطفون صفوفا انهم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات وذكر أن عبدالله بن أبى بن سلول ارسل اليهم يخبرهم ان محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم وادخلوا أموالكم حصونكم وأخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه ان عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لاسلاح معهم الا قليل فلما كانت الليلة التى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحتها بساحتهم لم يتحركوا تلك الليلة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فاصبحوا أى قاموا من نومهم وأفئدتهم تخفق وفتحوا حصونهم وغدوا الى أعمالهم معهم الفؤس ويقال لها الكرازين والمساحي ومعهم المكاتل أى وهى القفف الكثيرة فلما رأو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوا هاربين الى حصونهم اه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين أى وذلك استدل على جواز الاقتباس من القرآن وانما قال صلى الله عليه وسلم خربت خيبر لانه لما راى آلة الهدم التى هي الفؤس والمساحي تفاءل صلى الله عليه وسلم بان حصونهم ستخرب أو أخذ ذلك من اسمها أو أن ذلك دعاء بلفظ الخبر قال الامام النووى رحمه الله والاصح أنه أعلمه الله بذلك ويوافقه ما فى فتح البارى ويحتمل أن يكون قال ذلك بطريق الوحى ويؤيده قوله انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين أي لانه نزل ساحتهم وهى فى الاصل الفضاء بين الابنية وابتدأ رسول الله ﷺ من حصونهم بحصون النطاة قبل حصون الشق وقيل بحصون الكتيبة أي لانهم أدخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة وجمعوا المقاتلة في حصون النطاة وكان نزل قريبا من حصون النطاة فجاءه صلى الله عليه وسلم الحباب بن المنذر رضى الله تعالى عنه فقال يارسول الله انك نزلت منزلك هذا فان كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم وان كان الرأى تكلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرأى فقال يارسول الله ان أهل النطاة لي بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى سهم منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن من بياتهم يدخلون في خمرة النخل أى النخل المجتمع بعضه على بعض تحول يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأى اذا أمسينا ان شاء الله تحولنا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة رضى الله عنه فقال انظر لنا منزلا بعيدا فطاف محمد رضى الله عنه وقال يارسول الله وجدت لك منزلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على بركة الله وتحول لما أمسى وأمر الناس بالتحول أى وفي لفظ أن راحلته صلى الله عليه وسلم قامت تجر زمامها فادركت لترد فقال دعوها فانها مأمورة فلما انتهت الى موضع من الصخرة بركت عندها فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة وتحول الناس اليها واتخذوا ذلك الموضع معسكرا وفي الاصل أنه نزل بذلك ليحول بين أهل خيبر وبين غطفان لانهم كانوا مظاهرين لهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يقال لامخالفة بين هذه الروايات الثلاثة فليتأمل وابتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك مسجدا أصلى به طول مقامه بخيبر أى وأمر صلى الله عليه وسلم بقطع نخيل أهل حصون النطاة ووقع المسلمون فى قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها

رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك وبقومك فاسلموا وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات منكم على غير الاسلام فهو فى النار * وفي رواية * عن رويفع قال قدم وفد قومي فانزلتهم علي ثم خرجت بهم حتى انتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى أصحابه وسلمنا فقال رويفع فقلت لبيك قال من هؤلاء قلت قومي قال مرحبا بك وبقومك قلت يارسول الله قدموا وافدين عليك مقرين بالاسلام وهم على من وراءهم من قومهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يهده للاسلام فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انا قدمنا عليك لنصدقك ونشهد انك نبي حقا ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار وقال له أبو الضبيب يارسول الله ان لي رغبة في الضيافة فهل لى فى ذلك أجر قال نعم وكل معروف صنعته الى غني أو فقير فهو صدقة قال يارسول الله ماوقت الضيافة قال ثلاثة أيام قال فما بعد ذلك قال فصدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك أى يضيق عليك وفي لفظ فيؤثمك أي يعرضك للاثم بان تتكلم بسيء القول قال يارسول الله أرايت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الارض قال لك أو لاخيك أو للذئب قال فالبعير قال مالك وله دعه حتى يجده صاحبه قال رويفع ثم قاموا فرجعوا الى منزلي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي منزلي يحمل تمرا فقال استعن بهذا التمر فكانوا ياكلون منه ومن غيره فقاموا ثلاثة ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازهم ورجعوا الى بلادهم ﴿ وفد مرة ﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلا في مرة ورأسهم الحرث بن عوف فقال يارسول الله انا قومك وعشيرتك نحن قوم

قال قيل وقاتل صلى الله عليه وسلم يومئذ ذلك أشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب وفي يده قناة وترس وما قيل انه صلى الله عليه وسلم يوم خيبر كان على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته اكاف من ليف أي فني مسلم عن ابن عمر رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار وهو متوجه الى خيبر جاز أن يكون ركب ذلك الحمار في الطريق وحال القتال ركب ذلك الفرس انتهى * أقول * يرشد الى هذا الجمع قوله متوجه الى خيبر وظاهر هذا الكلام أنه صلى الله عليه وسلم باشر القتال بنفسه وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم لم يباشر القتال بنفسه الا في احد ويبعد أن يكون باشر القتال بنفسه ولم يقتل أحدا اذ لو قتل احدا لذكر لانه مما تتوفر الدواعي الى نقله وقد يكون المراد بقولهم وقاتل صلى الله عليه وسلم بنفسه أي قاتل جيشه ويدل لذلك مافي الامتاع والح على حصن ناعم أي وهو من حصون النطاة بالرمي ويهود تقاتل ورسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس يقال له الظرب وعليه درعان ومغفر وبيضة وفي يده قناة وترس وقد دفع صلى الله عليه وسلم لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيئا وخرجت كتائب اليهود يقدمهم ياسر فكشف الانصار حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في موقفه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى مهموما والله أعلم وفى ذلك اليوم قتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة رضي الله عنهما برحى القيت عليه من ذلك الحصن القاها عليه مرحب وقيل كنانة بن الربيع وقد يجمع بانهما اجتمعا على ذلك وسياتى مايدل على ان قاتله غيرهما وقد يقال لا مانع من أن يكونوا أي الثلاثة اجتمعوا على قتله أي قال محمود بن مسلمة رضى الله عنه كان قد حارب حتى اعياه الحرب وثقل السلاح وكان الحر شديدا فانحاز الى ظل ذلك الحصن فالقي عليه حجر الرحا فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه أي وندرت عينيه فادركه المسلمون فاتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فسوى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فمات رضي الله عنه من شدة الجراحة وجاء اخوه محمد بن مسلمة رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اليهود قتلوا اخي محمود بن مسلمة فقال صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو واسالوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به منهم فاذا لقيتموه فقولوا اللهم انت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تقتلهم انت ثم الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا أي وفى سياق بعضهم مايدل على انه صلى الله عليه وسلم مكث سبعة ايام يقاتل أهل حصون النطاة يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة رضي الله عنه للقتال ويخلف على محل الكعبة عثمان بن عفان فاذا امسى رجع صلى الله عليه وسلم الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوى جرحه وكان صلى الله عليه وسلم يناوب بين اصحابه في حراسة الليل فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل صلى الله عليه وسلم عمر رضى الله عنه فطاف عمر رضى الله عنه باصحابه حول العسكر وفرقهم فاتى برجل من يهود خيبر في جوف الليل فامر به عمر رضى الله عنه أن يضرب عنقه فقال اذهب بي الى نبيكم حتى أكلمه فامسك عنه وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله

عليه

من بنى لؤى بن غالب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أين تركت أهلك قال بسلاح وما والاها قال فكيف البلاد قال والله انا لمسنتون وما في المال صوت يرده فادع الله لنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقهم الغيث فاقاموا أياما ثم ارادوا الانصراف الى بلادهم فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم مودعين له فامر بلالا ان يجيزهم فاجاز كل واحد بعشر أواق فضة وفضل الحرث بن عوف فاعطاه اثنتى عشرة اوقية ورجعوا الى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسألوا قومهم متى مطر ثم فاذا هو ذلك

عليه وسلم فوجده يصلى فسمع صلى الله عليه وسلم كلام عمر فسلم وادخله عليه فدخل باليهودى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودى ماوراءك فقال تؤمنني يا ابا القاسم فقال نعم قال خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة قال فاين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤن للقتال ولعل المراد ما بقوه من ذراريهم فلا ينافى ما تقدم من انهم ادخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة أوان ذلك الخبر اخبر بحسب ما فهم انهم يجعلون ذراريهم في الشق والحال انهم انما يذهبون ليجعلوا ذراريهم في حصون الكتيبة فليتامل وفى هذا الحصن الذي هو الحصن الصعب من حصون النطاة فى بيت فيه تحت الارض منجنيق ودبابات ودروع وسيوف فاذا دخلت الحصن غدا وانت تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله قال اليهودي ان شاء الله اوقفتك عليه فانه لا يعرفه غيرى واخري قيل ماهي قال يستخرج المجنيق وينصب على الشق ويدخل الرجال تحت الدبابات فيحفروا الحصن فتفتحه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ثم قال يا ابا القاسم احقن دمى قال انت آمن قال ولى زوجة فهبها لى قال هى لك ثم دعاه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقال انظرنى اياما ثم قال صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضى الله عنه لاعطين الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبانه وفى لفظ قال صلى الله عليه وسلم لادفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله لا يولى الدبر يفتح الله عزوجل على يده فيمكنه الله من قاتل اخيك وعند ذلك لم يكن من الصحابة رضى الله عنهم احد له منزلة عند النبي صلى الله عليه وسلم الا يرجو ان يعطاها وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال ما احببت الامارة الا ذلك اليوم ولعل ذلك لا ينافى ما جاء ان وفد ثقيف جاؤه صلى الله عليه وسلم قال لهم لتسلمن اولابعثن اليكم رجلا مني وفى رواية مثل نفسى فليضربن اعناقكم وليسبين ذراريكم وليأخذن اموالكم قال عمر رضى الله عنه فوالله ما تمنيت الامارة الا يومئذ وجعلت انصب صدري له صلى الله عليه وسلم رجاء ان يقول هو هذا فالتفت صلى الله عليه وسلم الى على كرم الله وجهه فاخذ بيده وقال هو هذا هو هذا وقد يقال لا يلزم من محبة الشىء تمنيه بخلاف العكس ففى هذه الغزاة احب الامارة وما تمناها وفى وفد ثقيف المتاخر عن هذه الغزاة تمناها الا ان الوصف فى ذلك ابلغ من الوصف هنا فليتامل ويروى ان عليا كرم الله وجهه لما بلغه مقالته صلى الله عليه وسلم اى فى خيبر قال اللهم لا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت فبعث صلى الله عليه وسلم الى على كرم الله وجهه وكان ارمد شديد الرمد اى وكان قد تخلف فى المدينة ثم لحق بالقوم اى فقيل له انه يشتكى عينيه فقال صلى الله عليه وسلم من يأتيني به فذهب اليه سلمة بن الاكوع رضى الله عنه واخذ بيده يقوده حتى اتى به النبي صلى الله عليه وسلم قد عصب عينيه فعقد له صلى الله عليه وسلم اللواء اى لواءه الابيض فعن ابن اسحق وابن سعد لم تكن الرايات الا يوم خيبر اى فانه ﷺ فرق الرايات يومئذ بين ابى بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد ابن عبادة رضي الله عنهم وانما كانت الالوية وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء

اليوم الذى دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخصبت بعد ذلك بلادهم

﴿وفد خولان﴾

وهي قبيلة من اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من خولان فقالوا يا رسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عزوجل مصدقون برسوله قد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها وحزون كفلوس جمع حزن وهو ما غلظ من الارض والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ماذكرتم من مسيركم الى فان لكم بكل خطوة خطاها بعير احدكم حسنة وأما قولكم زائرين لك فان من زارنى بالمدينة كان فى جوارى يوم القيامة ثم سالهم عن صنم لخولان اسمه عم انس كانوا يعبدونه فقالوا بدلنا الله ماجئت به وقد بقيت منا بقايا شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى فقد كنا منه فى غرور وفتنة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اعظم مارأيتم من فتنته قالوا لقد اصابتنا سنة مسنتة حتى أكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثور ونحرناها لذلك الصنم قربانا فى غداة واحدة وتركناها فاكلتها السباع ونحن احوج اليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا العشب يوارى الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عم انس وذكروا لرسول الله صلى

من برد لعائشة رضي الله عنها تدعى العقاب وفي كلام المقريزي لما ذكر رتب الرياسة في الجاهلية ذكر ان العقاب كان في الجاهلية راية تكون لرئيس الحرب وجاء الاسلام وهي عند ابي سفيان وجاء الاسلام والسدانة واللواء عند عثمان بن ابي طلحة من بني عبد الدار وفي سيرة الحافظ الدمياطي رحمه الله وكانت له صلى الله عليه وسلم راية سوداء مربعة من نمرة مخملة يقال لها العقاب وكان له راية صفراء ولواؤه ابيض دفعه الى علي كرم الله وجهه وفيه ان ذلك اللواء يقال له العقاب وفي سيرة الدمياطي رحمه الله وكانت الويته ﷺ بيضا وربما جعل فيها الاسود ولعل السواد كان كتابة في ذلك العلم ولعل هذا اللواء الذي فيه الاسود هو المعني بما جاء في بعض الروايات كان له صلى الله عليه سلم لواء ابيض مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله اي بالسواد ولعله محمل قول بعضهم كان له صلى الله عليه وسلم لواء اغبر وربما كان من خز بعض نسائه () فقال علي كرم الله وجهه يارسول الله اني ارمد كما ترى لا ابصر موضع قدمي فتفل صلى الله عليه وسلم وفي لفظ بصق في عينيه اي بعد ان وضع رأسه في حجره وفي لفظ فتفل في كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كان لم يكن بهما وجع قال علي رضي الله عنه فما رمدت بعد يومئذ وفي لفظ فما رمدت ولا صدعت وفي لفظ فما اشتكيتهما حتى الساعة وفي هذا السياق لطيفة وهي ان من طلب شيا او تعرض لطلبه يحرمه غالبا وان من لم يطلب الشيء ولم يتعرض لطلبه ربما وصل اليه وقد اشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه ذلك أخر عنه سنة اي وبعد السنة دعاه الملك وتوجه ورداه وقلده بسيفه وامر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب له عليه حلة من استبرق وفوض اليه امر مصر وقد قيل لو وقعت قلنسوة من السماء لا تقع الا على رأس من لا يريدها زاد في رواية عن علي كرم الله وجهه انه صلى الله عليه وسلم دعا بقوله اللهم اكفه الحر والبرد قال علي كرم الله وجهه فما وجدت بعد ذلك اليوم لا حرا ولا بردا اي فكان يلبس في الحر الشديد القباء المحشو الثخين ويلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين وفي لفظ الثوب الخفيف فلا يبالي بالبرد وقد يخالف ذلك ما حكاه بعضهم قال دخل رجل على علي كرم الله وجهه وهو يرعد تحت سمل قطيفة اي قطيفة خلقة فقال يا امير المؤمنين ان الله جعل لك في هذا المال نصيبا وانت تصنع بنفسك هكذا فقال والله لا أرزؤكم من مالكم وانها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز ان تكون رعدته رضي الله عنه ليست من البرد خلاف ما ظنه السائل لجواز ان تكون لحمى اصابته في ذلك الوقت وقد اشار الى التفل صاحب الهمزية رضي الله تعالى عنه بقوله

وعلي لما تفلت بعينيه وكلتاهما معا رمداء
فغدا ناظرا بعيني عقاب * في غزاة لها العقاب لواء

وفي قوله صلى الله عليه وسلم لادفعن الراية اطلاق على اللواء ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم

لعلى

الله عليه وسلم ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم وانعامهم وحرثهم فقالوا كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعا آخر حجرا اي ناحية لله فاذا مالت الريح بالذي سميناه له اي لله جعلناه لام انس يعنون الصنم ولم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله انزل عليه في ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وقالوا كنا نتحاكم اليه فيتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم وسألوه صلى الله عليه وسلم عن فرائض الدين فاخبرهم بها وامرهم بالوفاء بالعهد وحسن الجوار لمن جاوروا وأن لا يظلموا أحدا فان الظلم ظلمات يوم القيامة ثم ودعوه بعد ايام واجازهم اي اعطى كل واحد اثنتي عشرة اوقيه ونشا اي نصفا ورجعوا الى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا صنمهم المسمى عم أنس

﴿وفد بني محارب﴾

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من بني محارب وفيهم خزيمة ابن سواد وكانوا أغلظ العرب واشدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام عرضه نفسه على القبائل في المواسم يدعوهم الى الله تعالى فجلسوا عنده يوما من الظهر الى العصر وأدام صلى الله عليه وسلم النظر لرجل منهم وقال له قد رأيتك يعني قبل هذا اليوم فقال له ذلك الرجل اي والله لقد رأيتني وكلمتك باقبح الكلام ورددتك باقبح الرد بعكاظ وانت تطوف على الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال يارسول الله ما كان في اصحابي اشد عليك يومئذ ولا ابعد عن الاسلام مني فاحمد الله الذي جاء بي حتى صدقت بك ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب بيد الله عز وجل فقال يارسول الله استغفر لي من مراجعتي اياك فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان الاسلام يجب ما قبله من الكفر ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه خزيمة بن سواد فصارت له غرة بيضاء واجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا الى اهليهم ﴿وفد صداء﴾ وهم حي من عرب اليمن وفد عليه صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا من صداء وسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم هيأ بعثا أربعمائة من المسلمين واستعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه ودفع له لواء أبيض وراية سوداء وأمره أن يطأ ناحية اليمن التي كان فيها صداء فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم وعلم بالجيش فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله جئتك وافدا عمن ورائي فاردد الجيش وانا لك بقومي فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد وخرج الصدائي الى قومه ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأولئك القوم فقال سعد بن عبادة يارسول الله دعهم ينزلون علي فنزلوا عليهم فاعطاهم وأكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم النبي صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا فرجعوا الى قومهم ففشا الاسلام فيهم فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة في حجة الوداع ويسمي ذلك الرجل الذي كان سببا في رد الجيش ومجيء الوفد زياد ابن الحرث الصدائي وقال له صلى الله عليه وسلم يا اخا صداء انك لمطاع في قومك قال فقلت بل من من الله عز وجل ومن رسوله وفي رواية بل الله هداهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أؤمرك عليهم فقلت بلى يارسول الله فكتب لي بذلك فقلت يارسول الله مر لي بشيء من صدقاتهم قال نعم فكتب لي كتابا آخر قال زياد وكنت معه صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وكنت رجلا قويا فلزمت غرزه أي ركابه وجعل اصحابه يتفرقون عنه فلما كان السحر قال اذن يا اخا صداء فاذنت على راحلتي ثم سرنا حتى نزلنا فذهب لحاجته ثم رجع فقال يا اخا صداء هل معك ماء قلت معي

لعلي كرم الله وجهه خذ هذه الراية وتقدم ان الراية قد يطلق عليها لواء هذا وفي كلام بعضهم ان أبا سفيان رضي الله عنه كانت اليه الراية المعروفة بالعقاب التي كانت لا يحبسها الا الرئيس اذا حميت الحرب هذا كلامه فلعل تسمية رايته صلى الله عليه وسلم بالعقاب لكونها كذلك فقال علي كرم الله وجهه علام أقاتلهم يارسول الله قال ان يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم (وفي رواية) لما أعطاه صلى الله عليه وسلم الراية قال له امش ولا تلتفت فسار شيأ ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يارسول الله علام أقاتل الناس قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى اي حساب بواطنهم وسرائرهم على الله لانه المطلع وحده على ما فيها من ايمان خالص او نفاق وكفر زاد في رواية واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير من ان يكون لك حمر النعم اي تتصدق بها في سبيل الله فقد جعل صلى الله عليه وسلم عصمة الدم بالنطق بالشهادتين لكنه لا يقر من نطق بهما على ترك الصلاة ولا على ترك الزكاة ومن ثم قال له صلى الله عليه وسلم واخبرهم بما يجب عليهم وفي لفظ قال له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك اي وعن حذيفة رضي الله عنه لما تهيأ علي كرم الله وجهه يوم خيبر للحملة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي والذي نفسي بيده ان معك من لا يخذلك هذا جبريل عليه السلام عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها فاستبشر بالرضوان والجنة يا علي انك سيد العرب وانا سيد ولد آدم (وفي رواية) انه صلى الله عليه وسلم كان يعطي الراية كل يوم واحدا من اصحابه ويبعثه فبعث ابا بكر رضي الله عنه فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الغد اي برايته فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث رجلا من الانصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح فقال عليه الصلاة والسلام لاعطين الراية اي اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه ليس بفرار وفي لفظ كرار غير فرار فدعا عليا كرم الله وجهه وهو ارمد فتفل في عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك اي ودعا له ولمن معه بالنصر (وفي رواية) انه صلى الله عليه وسلم البسه درعه الحديد وشد ذا الفقار اي الذي هو سيفه في وسطه واعطاه الراية ووجهه الى الحصن فخرج علي كرم الله وجهه يهرول حتى ركزها تحت الحصن فاطلع عليه يهودي من راس الحصن فقال من انت قال علي ابن ابي طالب فقال اليهودي علوتم وحق ما انزل على موسى ثم خرج اليه اهل الحصن وكان اول من خرج منهم اليه الحرث اخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانكشف المسلمون وثبت علي كرم الله وجهه فتضاربا فقتله علي وانهزم اليهود الى الحصن ثم خرج اليه مرحب فحمل مرحب عليه وضربه فطرح ترسه من يده فتناول علي كرم الله وجهه بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم القاه من يده أي وراء ظهره ثمانين شبرا قال الراوي فجهدت أنا وسبعة نفر على ان نقلب ذلك الباب فلم نقدر قال بعضهم في هذا الخبر جهالة وانقطاع ظاهر قال وقيل ولم يقدر

على حمله اربعون رجلا وقيل سبعون * وفي رواية ان عليا كرم الله وجهه لما انتهى الى باب الحصن اجتذب احد ابوابه فالقاه بالارض فاجتمع عليه بعده سبعون رجلا فكان جهدهم ان أعادوه مكانه وقيل حمل الباب على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ودخلوا الحصن قال بعضهم وطرق حديث الباب كلها واهية وفي بعضها قال الذهبي انه منكر وفي الامتاع وزعم بعضهم ان حمل علي كرم الله وجهه الباب لا اصل له وانما يروى عن رعاع الناس وليس كذلك ثم ذكر جملة ممن خرجه من الحفاظ وجاء ان مرحبا لما رأى ان اخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن في سلاحه أي وقد كان لبس درعين وتقلد سيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا وحجرا قد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة اسنان وهو يرتجز ويقول من ابيات

قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب

ومعنى شاك السلاح تام السلاح ومعنى مجرب اى معروف بالشجاعة وقهر الفرسان ثم صار يقول هل من مبارز فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا قال محمد بن مسلمة رضي الله عنه انا له يا رسول الله انا الموتور اى الذي قتل له قتيل فلم يؤخذ بثاره الثائر قتل اخي بالامس قال صلى الله عليه وسلم قم اليه اللهم اعنه عليه فقتله محمد بن مسلمة رضي الله عنه أي فان مرحبا حمل على محمد بن مسلمة فاتقاه بدرقته فوقع سيف مرحب فيها فعضت به وامسكته فضربه محمد رضي الله عنه فقتله ويدل لذلك قول الامام المزني رحمه الله في المختصر ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر نفل محمد بن مسلمة سلب مرحب سيفه ورمحه ومغفره وبيضته ووجد على سيفه مكتوب هذا سيف مرحب من يذقه يعطب وقيل القاتل له علي كرم الله وجهه وبه جزم مسلم رحمه الله في صحيحه قال بعضهم والاخبار متواترة به وقال ابن الاثير الصحيح الذي عليه اهل السير والحديث ان عليا كرم الله وجهه قاتله وفي الاستيعاب والصحيح الذي عليه اكثر اهل السير والحديث ان عليا قاتله ويروى ان عليا كرم الله وجهه ورضي عنه لما خرج اليه ارتجز بقوله

انا الذي سمتني امي حيدره * ضرغام آجام وليث قسوره

وقيل بدله * كليث غابات كريه المنظره * اى لان ام علي كرم الله وجهه سمته اسدا باسم ابيها وكان ابوه ابو طالب غائبا فلما قدم كره ذلك وسماه عليا اى ومن اسماء الاسد حيدره والحيدرة الغليظ القوي وقيل لقب بذلك في صغره لانه كان عظيم البطن ممتلئا لحما ومن كان كذلك يقال له حيدرة ويقال ان ذلك كان كشفا من علي كرم الله وجهه فان مرحبا كان رأى في تلك الليلة في المنام ان اسدا افترسه فذكره علي كرم الله وجهه بذلك ليخيفه ويضعف نفسه ويروى ان عليا كرم الله وجهه ضرب مرحبا فتترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذي تحته والعمامتين وفلق هامته حتى اخذ السيف في الاضراس والى ذلك يشير بعضهم وقد اجاد بقوله

وشادن ابصرته مقبلا * فقلت من وجدى به مرحبا

قد

شيء في اداوتي اى وهي اناء من جلد صغير وفي رواية الا شيء قليل لا يكفيك قال هاته فجئته به قال صب فصببت ما في الاداوة في القعب اى وهو القدح الكبير وجعل اصحابه يتلاحقون ثم وضع كفه على الاناء فرأيت من بين كل اصبعين عينا تفور ثم قال يا أخا صداء لولا انى استحيي من ربي عز وجل لسقينا واسقينا اى من غير نهاية ثم توضأ وقال اذن في اصحابي من كانت له حاجة بالوضوء بفتح الواو فليرد قال فورد الناس من آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخا صداء اذن ومن اذن فهو يقيم قال فاقمت ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا فلما سلم من صلاته قام رجل يشكو من عامله فقال يا رسول الله انه آخذنا بكل شيء كان بيننا وبينه في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في الامارة لرجل مسلم ثم قام رجل آخر فقال يا رسول الله اعطني من الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يكل قسمها الى ملك مقرب ولا نبي مرسل جزأها على ثمانية اجزاء فان كنت جزأ منها اعطيتك وان كنت غنيا عنها فانما هو صداع في الرأس وداء في البطن ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على رجل من قومك استعمله فدللته على رجل منهم فاستعمله قلت يا رسول الله ان لنا بئرا اذا كان الشتاء كفانا ماؤها وان كان الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه والاسلام اليوم فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا في بئرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولني سبع حصيات فناولته فعركهن بيده الشريفة ثم دفعهن الى وقال اذا انتهيت اليها فالق فيها حصاة حصاة وسم الله قال ففعلت فما ادركنا لها قعرا حتى الساعة ﴿ وفد غسان ﴾ اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه ومنهم بنو حنيفة وقيل غسان قبيلة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر من غسان فاسلموا وقالوا لا ندري هل يتبعنا قومنا أم لا لانهم

يحبون بقاء ملكهم وقربهم من قيصر فاجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائزوانصرفوا راجعين الى قومهم فلما قدموا عليهم ولم يستجيبوا لهم كتموا اسلامهم ﴿ وفد سلامان ﴾ بفتح السين وتخفيف اللام وفي العرب بطون ثلاثة ينسبون اليه بطن من الازد وبطن من طيىء وبطن من قضاعة ومنهم هؤلاء وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من سلامان فيهم خبيب بن عمرو السلاماني فاسلموا قال خبيب رضى الله عنه صادفنا رسول الله ﷺ خارجا من المسجد الى جنازة دعى اليها فقلنا السلام عليك يارسول الله فقال وعليكم من أنتم قلنا نحن من سلامان قدمنا اليك لنبايعك على الاسلام ونحن على من وراءنا من قومنا فالتفت الى ثوبان غلامه فقال انزل هؤلاء قال خبيب قلت يارسول الله ما أفضل الاعمال قال الصلاة فى وقتها معه يومئذ الظهر والعصر ثم شكوا له جدب بلادهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده اللهم اسقهم الغيث فى دارهم فقلت يارسول الله ارفع يديك فانه اكثر واطيب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يده حتى رايت بياض ابطيه ثم قام وقمنا معه واقمنا ثلاثة ايام وضيافته تجري علينا ثم ودعناه وامر لنا بجوائز فاعطانا لكل واحد منا خمس اواق فضة واعتذر الينا بلال رضى الله عنه وقال ليس عندنا اليوم مال فقلنا ما اكثر هذا واطيبه ثم رحلنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت فى اليوم الذى دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ وفد بني عبس ﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر من بني عبس فقالوا يارسول الله قدم علينا قراؤنا فاخبرونا انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا اموال ومواش هي معاشنا فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا عن آخرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم اى ينقصكم من اعمالكم شيأ وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان هل له عقب فاخبروه

قد فؤادى فى الهوى قده ✽ قد على فى الوغى مرحبا

أى وقد يجمع بين كون القاتل لمرحب عليا كرم الله وجهه وكون القاتل له محمد بن مسلمة بان محمد بن مسلمة اثبته اى بعد أن شق على كرم الله وجهه هامته لجواز أن يكون شق هامته ولم يثبته فاثبته محمد بن مسلمة ثم ان عليا كرم الله وجهه وقف عليه أي ويدل لذلك ما فى بعض السير عن الواقدى رحمه الله ان محمد بن مسلمة ساقي مرحب قال له مرحب أجهز علي فقال لا ذق الموت كما ذاقه أخي ومر به علي كرم الله وجهه فضرب عنقه وأخذ سلبه فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سلبه فقال محمد يارسول الله ما قطعت رجليه وتركته الا ليذوق الموت وكنت قادرا أن أجهز عليه فقال علي كرم الله وجهه صدق فاعطى سلبه لمحمد بن مسلمة رضى الله عنه ولعل هذا كان بعد مبارزة عامر بن الاكوع لمرحب فلا ينافى ما مر عن فتح البارى ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر اى وهو يرتجز بقوله

قد علمت خيبر اني ياسر ✽ شاكى السلاح بطل مغادر

وكان أيضا من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم وهو يقول من يبارز فخرج له الزبير رضي الله عنه فقالت امه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله انه يقتل ابني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ابنك يقتله ان شاء الله فقتله الزبير رضى الله عنه أي وعنده ذلك قال له صلى الله عليه وسلم فداك عم وخال لكل نبي حوارى وحوارى الزبير وذكر الزمخشرى ان هذه الواقعة للزبير كانت فى بني قريظة حيث قال انه يعنى الزبير رضى الله عنه أول من استحق السلب وكان ذلك فى بني قريظة برز رجل من العدو فقال رجل ورجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب واحدى يارسول الله فقال رسول الله ﷺ أيهما علا صاحبه قتله فعلاه الزبير رضى الله عنه فقتله فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه وقال السلب للقاتل هذا كلامه فليتأمل فانى لم أقف فى كلام أحد على أن بني قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة (وفى رواية) ان القاتل لياسر على بن أبى طالب كرم الله وجهه أى ويمكن الجمع بمثل ما تقدم وكان شعار المسلمين امت امت (وفى رواية) يامنصور امت امت ومن جملة من قتل من المسلمين الاسود الراعى كان اجير الرجل من اليهود كان يرعى غنمه وكان عبدا حبشيا يسمى اسلم اى وفى الامتاع اسمه يسار فجاء اليه صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر وقال يارسول اعرض على الاسلام فعرضه عليه فاسلم (وفى رواية) انه قال ان اسلمت فماذا لى قال الجنة فاسلم فلما اسلم قال يارسول الله انى كنت اجيرا لصاحب هذه الغنم فكيف اصنع بها وفي لفظ انها امانة وهى للناس الشاة والشاتان واكثر من ذلك فقال ﷺ له اضرب فى وجوهها فانها سترجع الى ربها فقام الاسود فاخذ حفنة من حصباء فرمى بها وجوهها وقال ارجعى الى صاحبك فوالله لا اصحبك فخرجت مجتمعة كان سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم رضي الله عنه الى ذلك الحصن فقاتل مع المسلمين فاصابه حجر (وفى

بانه لاعقب له كانت له أبنة فانقرضت وانشا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث اصحابه وعن خالد بن سنان وقال انه نبي ضيعه قومه لكن ورد ليس بيني وبين عيسى نبي ويمكن الجمع بان معنى هذا ليس بيني وبينه نبي مرسل فلا ينافي ان خالدا نبي غير مرسل

﴿ وفد مزينة ﴾ وهي قبيلة تنسب الى مزينة أمرأة عمرو بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر روي البيهقي عن النعمان بن مقرن المزني رضي الله عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعمائة رجل * وفي رواية غير النعمان ان

فيهم رجالا من جهينة فلما اردنا ان ننصرف قال القوم يارسول الله مالنا من طعام نتزوده فقال ياعمر زود القوم قال ما عندي ما زادوهم به الاشيء من تمر ماظننه يقع من القوم موقعا قال انطلق فزودهم فانطلق بهم فادخلهم منزله ثم صعدهم الى علية قال عمر رضي الله عنه فلما دخلنا اذا فيها من التمر مثل الجمل الاورق فاخذ القوم منه حاجتهم قال النعمان وكنت في آخر من خرج فنظرت وما افقد موضع تمرة من مكانها وفي هذا معجزة له صلى الله عليه وسلم فان التمر كان قليلا فزاد القليل حتى اخذوا منه كفايتهم واستمر على زيادته ﴿ وفي رواية ﴾ وقد احتمل منه اربعمائة وكانا لم نرزاه اى ننقصه

﴿ وفد الاشعريين ﴾ قوم ابي موسى الاشعرى رضى الله عنه وهم منسوبون الى اشعر بن ادد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم قيل وكان معهم بعض اهل اليمن من حمير بن سبا وفيهم اياس بن عمرو الحميرى فقالوا يارسول الله اتيناك لنتفقه في الدين والمحققون على ان قدوم الاشعريين كان مع ابي موسى سنة سبع عند فتح خيبر وقدوم حمير كان في سنة تسع وهى سنة الوفود ولذا اجتمعوا مع بني تميم روى يزيد بن هرون عن حميد عن انس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم قوم هم ارق منكم قلوبا فقدم الاشعريون فجعلوا يرتجزون قائلين

رواية ﴾ سهم غرب بفتح الراء والاضافة وبتسكين الراء بلا اضافة وهو ما لا يعرف راميه فقتله ولم يسجد لله سجدة فاتي به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من اصحابه ثم أعرض عنه فقالوا يارسول الله لم أعرضت عنه فقال ان معه الا ان زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان له ترب الله وجه من ترب وجهك وقتل من قتلك زاد في لفظ لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير وقد كان الاسلام من نفسه حقا وفتح الله ذلك هو حصن ناعم وهو اول حصن فتح من حصون النطاة على يد علي كرم الله وجهه أي وعن عائشة رضى الله عنها ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير والتمر حتى فتحت دار بني قمة أي وهي اول دار فتحت بخيبر وهي بالنطاة وهي منزل ياسر أخي مرحب وظاهر السياق أنها حصن ناعم ويروى ان عليا كرم الله وجهه لما فتح الحصن أخذ الرجل الذي قتل أخا محمد بن مسلمة وسلمه اليه فقتله وتقدم ان محمد بن مسلمة رضى الله عنه قتل مرحبا لكونه قاتل أخيه على ما تقدم وسياتي انه صلى الله عليه وسلم دفع كنانة لمحمد بن مسلمة ليقتله باخيه وهذا يؤيد ما تقدم من ان الثلاثة أي مرحب وكنانة وذلك الرجل الذى سلمه علي له اشتركوا في قتل أخي محمد بن مسلمة قال واصاب المسلمين رضي الله عنهم مجاعة وارسلت اسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسماء بن حارثة وامرآته ان يقول له صلى الله عليه وسلم ان أسلم يقرؤك السلام ويقولون أجهدنا الجوع فلامهم رجل وقال من بين العرب تصنعون هذا فقال ريد بن حارثة اخو اسماء والله اني لارجو ان يكون البعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير فجاءه صلى الله عليه وسلم اسماء وبلغه ماقالت اسلم فدعا لهم فقال اللهم انك قد عرفت حالهم وان ليس بهم قوة وان ليس بيدي شيء اعطيهم اياه وقال اللهم افتح أكثر الحصون طعاما وودكا ودفع اللواء للحباب بن المنذر رضى الله تعالى عنه وندب الناس وكان من اسلم من يهود حصن ناعم انتقل الى حصن الصعب من حصون النطاة ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك اليوم بعد ان اقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر حصن أكثر طعاما منه اى من شعير وتمر وودك اي من سمن وزيت وشحم وماشية ومتاعا منه ولا يخالف هذا ما تقدم عن عائشة في وصف حصن ناعم من قولها ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخره ولا ما تقدم من انهم ادخلوا أموالهم حصون الكتيبة لانه يجوز ان يكون المراد بأموالهم النقود ونحوها دون ماذكرهنا وكان في هذا الحصن الذى هو حصن الصعب خمسمائة مقاتل وقبل فتحه فخرج منه رجل يقال له يوشع مبارزا فخرج له الحباب بن المنذر رضى الله تعالى عنه فقتله وخرج آخر مبارزا يقال له الديال فبرزله عمارة بن عقبة الغفاري رضي الله عنه فضربه على هامته فقتله وقال له خذها وانا الغلام الغفاري فقال الناس حبط جهاده فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك يؤجر ويحمد اى وحملت يهود حملة منكرة فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف قد نزل عن فرسه فثبت الحباب بن المنذر رضى الله تعالى عنه فحرض صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد فاقبلوا وزحف بهم الحباب رضى الله تعالى عنه فانهزمت يهود واغلقت الحصون عليهم ثم ان المسلمين اقتحموا الحصن

غدانلقى الأحبة * محمدا وحزبه وروى الامام احمد عن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاكم أهل اليمن كانهم السحاب وهم خيار من في الارض فقال رجل من الانصار الانحن فسكت صلى الله عليه وسلم ثم قال الانحن فسكت ثم قال الانحن يارسول الله قال الاأنتم ولما اقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا وبايعوا فقال صلى الله عليه وسلم الاشعريون كصرة فيها مسك وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جاء أهل اليمن

الحصن يقتلون ويأسرون فوجدوا في ذلك الحصن من الشعير والتمر والسمن والعسل والسكر والزيت والودك شيأ كثيرا ونادي منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا واعلفوا ولا تحملوا أي لاتخرجوا به الي بلادكم وهذا دليل لما ذهب اليه امامنا رضى الله تعالى عنه من ان للغانمين اخذ ماتعم الحاجة اليه من الطعام ومايؤكل غالبا من الفواكه وعلف الدواب من الغنيمة بدار الحرب اذا كان الجهاد بدار الحرب الى ان يصلوا الى غير دار الحرب مما يباح ذلك فيه وليس لهم أخذ ماتندر الحاجة اليه كالفانيد والسكر ولاينافي ذلك ماذكرهنا لانه يجوز ان يكون الاذن في اكل مجموع ماذكر * وفى السيرة الهشامية عن عبد الله بن مغفل رضى الله تعالى عنه قال أصبت من فيء خيبر اي من غنيمتها جراب شحم فاحتملته على عنقي أريد رحلي فلقيني صاحب المغانم الذى جعل عليها أى وهو ابو اليسر كعب بن عمرو بن زيد الانصارى رضي الله تعالى عنه فاخذ بناصيته وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين فقلت والله لاأعطيكه فجعل يجاذبني الجراب فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب المغانم لاأبالك خل بينه وبينه فارسله فانطلقت به الى رحلي واصحابي فاكلناه وفي الامتاع انهم وجدوا في هذا الحصن الذى هو حصن الصعب آلة حرب دبابات ومنجنيقا أى وذلك موافق لما تقدم عن ذلك المخبرله صلى الله عليه وسلم بان في حصن في بيت منه تحت الارض منجنيق ودبابات ودروع وسيوف ولعل وجود ذلك كان بدلالة ذلك الرجل عليه ولما فتح ذلك الحصن تحول من سلم من اهله الى حصن قلة وهو حصن بقلة جبل أي ويعبرعن هذا بقلة الزبير رضي الله تعالى عنه أى الذي صار في سهم الزبير بعد ذلك وهو آخر حصون النطاة أي لحصون النطاة ثلاثة حصن ناعم وحصن الصعب وحصن قلة فاقام المسلمون على حصار هذا الحصن الذى هو حصن قلة ثلاثة أيام فجاء رجل من اليهود وقال له صلى الله عليه وسلم ياأبا القاسم تؤمنى على ان ادلك على ماتستريح به فانك لومكثت شهرا لاتقدر على فتح هذا الحصن فان به دبولا وهي الانهر الصغيرة تحت الارض يخرجون ليلا فيشربون منها فان قطعت عنهم شربهم اهلكتهم فاسنه صلى الله عليه وسلم وسار الى دبولهم فقطعها فعندذلك خرجوا وقاتلوا اشد القتال وفتح ذلك الحصن ثم سار المسلمون الى حصار حصون الشق بفتح الشين المعجمة وكسرها والفتح اعرف عند اهل اللغة فكان اول حصن بدأ به من حصني الشق حصن ابى فقاتل اهله قتالا شديدا وخرج رجل منهم يقال له غزوال يدعو الى البراز فبرزله الحباب رضى الله تعالى عنه وحمل عليه فقطع يده اليمنى ونصف الذراع فبادرراجعا منهزما الى الحصن فتبعه الحباب فقطع عرقوبه فوقع فذفف عليه فخرج آخر مبارزا فخرج له رجل من المسلمين فقتل ذلك الرجل وقام مكانه يدعو للبراز فخرج له ابو دجانة رضي الله تعالى عنه فضربه ابو دجانة رضى الله تعالى عنه فقطع رجله ثم ذفف عليه وعند ذلك احجمت يهود عن البراز فكبر المسلمون وتحاملوا على الحصن ودخلوه يقدمهم أبو دجانة رضي الله تعالى عنه فوجدوا فيه اثاثا ومتاعا وغنما وطعاما وهرب من كان فيه ولحق بحصن يقال له حصن البرىء وهو الحصن الثانى من حصني الشق فتمنعوا به اشد التمنع وكان

هم ارق افئدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية والسكينة فى أهل الغنم والفخر والخيلاء فى الفدادين بالتشديد جمع فداد وهو من يعلوصوته وهم المكثرون من الابل اهل الوبر قبل مطلع الشمس وقوله الايمان يمان أى منسوب لاهل اليمن لان صفاء القلب ورقته ولين جوهره تؤدى الى عرفان الحق والتصديق به وهو الايمان والانقياد وقال أبو عبيدة وغيره معناه ان مبدأ الايمان من مكة لان مكة من تهامة وتهامة من اليمن وقبل مكة والمدينة لصدور هذا الكلام من النبي صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك فتكون المدينة حينئذ بالنسبة الى المحل الذى هو فيه يمانية وقيل المراد الانصار لانهم يمنيون فى الاصل فنسب الايمان اليهم لكونهم انصاره وقيل غير ذلك ومعنى الحديث وصف

الذين جاؤا بقوة الايمان وكماله ولا مفهوم له فلا يدل على ان المخاطبين من الصحابة ليسوا كذلك ثم المراد الموجودون حينئذ منهم لاكل اهل اليمن في كل زمان والحديث يشمل من ينسب الى اليمن بالسكنى وبالقبيلة تغالب من يوجد في جهة اليمن رقاق القلوب والابدان بخلاف اهل الشمال فانهم غلاظ القلوب والابدان وفى البخاري عن عمران بن حصين رضى الله عنهما وعنا بهما ان نفرا من بني تميم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا يابني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه

وسلم وجاء نفر من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى اذلم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يارسول الله جئنا لنتفقه فى الدين و نسالك عن أول هذا الامر فقال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وروى البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اذ قال الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن نقية قلوبهم حسنة طاعتهم الايمان يمان والحكمة يمانية وروى الطبراني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعيينة بن حصن اي الرجال خير قال اهل تجد قال كذبت بل هم أهل اليمن الايمان يمان الحديث والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ وفـــد دوس ﴾ وهم قوم أبي هريرة رضي الله عنه ينتهى نسبهم الى الازد وكان قدومهم بخيبر سنة سبع قال ابن اسحق كان الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه يحدث انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها قبل الهجرة فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا كثير الضيافة فقالوا له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت آراءنا وانما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ماقد دخل علينا من الكلام فلا تكلمه ولا تسمع منه قال فوالله مازالوا بى حتي عزمت أن لا أسمع منه شيأ ولا اكلمه حتي حشوت فى أذنى حين غدوت اليه كرسفا اى قطنا فرقا من أن يبلغني شيء غير فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة فقمت قريبا منه فابي الله الا أن يسمعني بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت واثكل أمى والله اني لرجل لبيب شاعر مايخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل مايقول فان كان مايقول حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت قال فمكثت حتي أتي عليه الصلاة والسلام الى بيته فتبعته حتى اذا

اهله اشد رميا للمسلمين بالنبل والحجارة حتى اصاب النبل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلقت به فاخذلهم صلى الله عليه وسلم كفا من حصاء فحصب به ذلك الحصن فرجف بهم ثم ساخ في الارض واخذ المسلمون من فيه اخذا ذريعا اى فحصون الشق اثنان حصن ابي وحصن البريء وحينئذ يتامل فى قول الحافظ الدمياطي فى سيرته والشق وبه حصون منها حصن أبي وحصن البريء * اقول وفى الامتاع انهم وجدوا فى حصن الصعب الذى هو أحد حصون النطاة منجنيقا اى كما اخبر بذلك اليهودي الذى جاء به عمر رضى الله تعالى عنه وادخله صلى الله عليه وسلم وامنه كما تقدم وانهم نصبوا المنجنيق الذي وجدوه فى حصن الصعب على هذا الحصن الذى هو حصن البريء من حصون الشق اى وهو يخالف قول بعضهم لم ينصب المنجنيق الا فى غزوة الطائف الا ان يقال يجوز ان يكون المراد بعدم نصبه انه لم يرد به الا في غزوة الطائف واما هنا فنصب ولم يرد به ولا مخالفة ووجدوا في هذا الحصن آنية من نحاس وفخار كانت اليهود تاكل فيها وتشرب فقال صلى الله عليه وسلم اغسلوها واطبخوا وكلوا فيها واشربوا وفي رواية سخنوا فيها الماء ثم اطبخوا بعد وكلوا واشربوا وحكمة تسخين الماء فيها لا تخفى وهى ان الماء الحار اقوي فى الطاقة واخراج الدسومة والله اعلم ثم ان المسلمين لما اخذوا حصون النطاة وحصون الشق انهزم من سلم من يهود تلك الحصون الى حصون الكتيبة وهي ثلاثة حصون القموص كصبور والوطيح وسلالم بضم السين المهملة وكان اعظم حصون خيبر القموص وكان منيعا حاصره المسلمون عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد على كرم الله وجهه ومنه سبيت صفيـة رضي الله تعالى عنها كما قاله الحافظ ابن حجر قال وقيل كان اسمها قبل ان تسبي زينب فلما صارت من الصفى سميت صفية والصفى ماكان يصطفيه صـلى الله عليـه وسلم لنفسه من الغنيمة قبل ان تقسم على ماتقـدم وكان فى الجاهلية لامير الجيش ربع الغنيمـة ومن ثم قيل له المرباع قال السهيلى رحمه الله كانت اموال النبي صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه من الصفى والهدية وخمس الخمس هذا كلامه ولا يخفى انه يزاد على ذلك الفيء وانتهى المسلمون الى حصار الوطيح بالحاء المهملة ماخوذ من الوطح وهو في الاصل ماتعلق بمخالب الطير من الطين سمي الوطيح باسم الوطيح بن مازن رجل من ثمود وحصن سلالم ويقال له السلاليم وهو حصن بنى الحقيق آخر حصون خيبر ومكثوا على حصارهما اربعة عشر يوما فلم يخرج احد منهما فهم صلى الله عليه وسلم ان يجعل عليهم اى على من فيهما المنجنيق اى ينصبه عليهم ولم يرم به فلما ايقنوا بالهلكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وارضها بذراريهم وان لا يصحب واحد منهم الا ثوب واحد على ظهره وفى لفظ وتركوا مالهم من مال وارض من الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة والبز الا ثوب واحدا فصالحهم على ذلك وعلى ان ذمة الله ورسوله بريئة منهم ان يكتموه شيأ من متاعهم يسالهم عنه فعلم ان حصون خيبر فتحت عنوة الا الحصنين المذكورين وهما الوطيح وسلالم فانهما لم يفتحا عنوة بل صلحا فكانا فيأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على انهم لم يقاتلوا فى حال حصارهم لان الفيء ماجلوا عنه من

دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمد ان قومك قد قالوا لي كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفوني امرك حتى سددت اذني بكرسف لأجل ان لا اسمع قولك ثم ابى الله الا ان يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فرد الله كيدهم في نحورهم وقلب مكرهم عليهم فاعرض علي امرك فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا علي القرآن قال فلا والله ما سمعت قولا قط احسن منه ولا أمرا أعدل منه فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا رسول الله اني امرؤ مطاع في قومي واني راجع

اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لي آية فقال اللهم اجعل له آية * وفي رواية اللهم اجعل له نورا قال الطفيل فخرجت الى قومي حتى اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت اللهم في غير وجهي اني اخشى ان يقولوا انها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم فوقع في رأس سوطي فكان يضيء كالقنديل في الليلة المظلمة فكان الطفيل يسمى ذا النور فرأى قومه ذلك النور وهو مقبل عليهم قال فلما اصبحت فيهم جاءني ابي وكان شيخا كبيرا فقلت اليك عني يا أبت فلست مني ولست منك قال ولم يا بني قلت اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قال يا بني فديني دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال اعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم ثم اتتني صاحبتي يعني زوجته فقلت لها اليك عني فلست مني ولست منك قالت ولم قلت فرق الاسلام بيني وبينك اسلمت وتابعت محمدا قالت فديني دينك ثم امرها فذهبت فاغتسلت وجاءت فعرض عليها الاسلام فاسلمت ثم دعا دوسا الى الاسلام فاجابه ابو هريرة رضي الله عنه وابطأ الباقون قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقلت يا رسول الله قد غلبني على دوس الزنا أي حبهم له وعلمهم بانهم ان اسلموا امنعوا منه فادع الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم

غير مقاتلة كذا قيل وظاهر اطلاق قول الروضة من الفيء ما صولح عليه أهل بلد من الكفار انه وان كان بعد محاصرتهم ومقاتلتهم للمسلمين في حال حصارهم برمي الحجارة أو النبل وفي فتح الباري نقلا عن ابن عبد البر انه جزم بان حصون خيبر فتحت عنوة وانما دخلت الشبهة على من قال فتحت صلحا بالحصنين الذين اسلمهما أهلهما لحقن دمائهم وهو ضرب من الصلح لكن لم يقع ذلك الا بحصار وقتال هذا كلامه فليتأمل فان بالقتال يخرج عن كونه فيئا ولعل المراد قتال بالنبل ورمي بالحجارة والا فقد تقدم انه لم يخرج منهما أحد للمقاتلة فليتأمل فان كلامه يقتضي ان بالحصار وبالقتال بنحو النبل يخرج ذلك عن كونه فيئا له صلى الله عليه وسلم ويكون غنيمة ولعله مذهب المالكية الذي هو مذهب ابن عبد البر رحمه الله تعالى وفي الاصل عن ابن شهاب رحمه الله انه قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال هذا كلامه وظاهره ان القتال وقع من الذين جلوا في حال حصارهم والا فقد علمت ان الذين جلوا لم يخرج احد منهم للقتال في حال حصارهم وسيأتي ما يصرح بان ما جلوا عنه فيء لا غنيمة * ووجدوا في الحصنين المذكورين مائة درع واربعمائة سيف والف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها أي ووجدوا في اثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة وجاءت يهود تطلبها فامر صلى الله عليه وسلم بدفعها اليهم وهو يخالف ما قاله أئمتنا ان كتبهم التي يحرم الانتفاع بها لكونها مبدلة تمحى ان أمكن او تمزق وتجعل في الغنيمة فتباع الا ان يدعى ان تلك الصحف لم تكن مبدلة وغيبوا الجلد الذي كان فيه حلي بني النضير أي وعقود الدر والجوهر الذي جلوا به لانهم لما جلوا كان سلام بن ابي الحقيق راجعا له ليراه الناس وهو يقول باعلى صوته هذا أعددناه لرفع الارض وخفضها كما تقدم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعية بن عمرو وأي وهو عم حيي بن اخطب وفي لفظ سعية بن سلام بن ابي الحقيق وفي الامتاع وسأل صلى الله عليه وسلم كنانة بن ابي الحقيق اين مسك أي جلد حيي بن اخطب اي وانما نسب اليه الجلد المذكور فقيل كنز حيي لان حييا كان عظيم بني النضير والا فهو لا يكون الا عند بني الحقيق فقال أذهبته الحروب والنفقات فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم سعية بن عمرو للزبير رضي الله تعالى عنه فمسه بعذاب فقال أرأيت حييا يطوف في خربة ههنا فذهبوا الى الخربة ففتشوها فوجدوا ذلك الجلد قال وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم اتي بكنانة وهو زوج صفية تزوجها بعد ان طلقها سلام بن مشكم وبالربيع اخوه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اين آنيتكما التي كنتم تعيرونها اهل مكة اي لان اعيان مكة اذا كان لاحدهم عرس يرسلون فيستعيرون من ذلك الحلي انتهى اي والآنية والكنز عبارة عن حلي كان اولا في جلد شاة ثم كان لكثرته في جلد ثور ثم كان في جلد بعير كما تقدم فقالا اذهبته النفقات والحروب فقال صلى الله عليه وسلم العهد قريب والمال اكثر من ذلك انكما ان كتمتماني شيئا فاطلعت عليه استحللت دماءكما وذراريكما فقالا نعم فاخبره الله بموضع ذلك الحلي اي فانه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الانصار اذهب الى محل كذا وكذا ثم ائت النخل فانظر نخلة عن يمينك وقال عن

اللهم اهد دوسا وائت بهم ثم قال ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق بهم فرجعت اليهم فلم أزل بارض دوس ادعوهم الى الله حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر فنزلت المدينة بسبعين اوثمانين بيتا وكانوا في العدد اربعمائة ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال مرحبا باحسن الناس وجوها وأطيبهم افواها أي كلاما واعظمهم امانة وروى البيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفارى فقرأ في الركعة الاولى سورة مريم وفى الاخيرة ويل للمطففين فلما قرأ اذا اكتالوا على الناس يستوفون قلت تركت عمي له مكيالان اذا اكتال اكتال بالاوفي واذا كال كال بالناقص فلما فرغنا من صلاتنا قال قائل رسول الله صلي الله عليه وسلم بخيبر وهو قادم عليكم فقلت لا اسمع به في مكان ابدا الا جئته فزودنا سباع وجئنا خيبر فنجده قد فتح النطاة وهو محاصر الكتيبة فاقمنا حتي فتح الله علينا فاسهم لنا مع المسلمين ويروي ان الطفيل بن عمرو رضى الله عنه قال لم أزل مع النبي صلي الله عليه وسلم حتى اذا فتح الله عليه مكة قلت يارسول الله ابعثني الى صنم عمرو بن حممة يعني صنم دوس حتي احرقه فبعثه فهدمه ثم اوقد النار عليه وهو يقول

ياذا الكفين لست من عبادكا * ميلادنا اقدم من ميلادكا * انى حشوت النار في فؤادكا

ثم رجع فكان مع المصطفى صلي الله عليه وسلم حتى قبض فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين حتي فرغوا من قتال اهل الردة من اهل اليمامة وغيرهم وكان وهو متوجه الى اليمامة ومعه ابنه عمرو رأى رؤيا فقال لاصحابه اني رأيت رؤيا فاعبروها لى اني رأيت ان رأسى قد حلق وانه خرج من فمي طائر ولقيتني امرأة فادخلتني في فرجها واني ابني يطلبني طلبا حثيثا ثم رايته حبس عنى قالوا

يسارك مرفوعة فائتني بما فيها فانطلق فجاءه بالآنية ويمكن الجمع بين هذا وما تقدم بان اياهم فتشوا عليه في خربة حتى وجدوه بان التفتيش كان في أول الامر واعلام الله تعالي له بذلك كان بعد فجيء به فقوم بعشرة آلاف دينار أي لانه وجد فيه أساور ودمالج وخلاخيل واقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجوهر والزمرد وعقود اظفار مجزع بالذهب فضرب اعناقهما وسبي اهلهما أى وفي لفظ آخر لما فتحت خيبر أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع وفي لفظ ابن ربيعة بن ابي الحقيق وكان عنده كنز بني النضير سأله صلى الله عليه وسلم عنه فجحد أن يكون يعلم مكانه فاتي رسول الله صلي الله عليه وسلم رجل من اليهود فقال اني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة أى فان كنانة حين رأي النبي صلي الله عليه وسلم فتح حصن النطاة وتيقن ظهوره عليهم دفنه في خربة اى وفيه ان هذا لا يناسب ما سبق من أن حييا كان يطيف بتلك الخربة الا أن يقال جاز أن يكون دفنه في تلك الخربة في محل آخر غير الذي دفنه فيه حيي فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لكنانة أرأيت ان وجدته عندك أقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقي فابي أن يؤديه فامر به الزبير رضي الله تعالى عنه فقال عذبه حتي تستأصل ما عنده فكان الزبير رضي الله تعالى عنه يقدح بزند أى بالزناد الذى يستخرج به النار على صدره حتي اشرف على نفسه وأخذ منه جواز العقوبة لمن تتهم ليقر بالحق فهو من السياسة الشرعية ثم دفعه صلي الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضي الله تعالي عنه فضرب عنقه باخيه محمود أى ولا مانع أن يكون السؤال وتعذيب الزبير وقع لسعية وكنانة ايضا * وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغنائم أى التي غنمت قبل الصلح فجمعت وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا منها صفية رضى الله تعالى عنها بنت حيي بن أخطب من سبط هرون ابن عمران اخى موسي عليهما الصلاة والسلام فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه وجعلها عند أم سليم التي هى ام انس خادمه صلى الله عليه وسلم حتى اهتدت واسلمت ثم أعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها وجعل عتقها صداقها أى اعتقها بلا عوض وتزوجها بلا مهر لا في الحال ولا في المآل أى لم يجعل لها شيئا غير العتق وقد سئل انس رضى الله تعالي عنه عن صفية فقيل له يا أبا حمزة ما أصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها وهذا يرد ما استدل به بعض فقهائنا على ان من خصائصه صلي الله عليه وسلم جواز نكاح الامة الكتابية وجواز وطئها بملك اليمين من انه صلي الله عليه وسلم كان يطأ صفية قبل اسلامها بملك اليمين ويرد أيضا على من استدل من فقهائنا على استحباب وليمة للسرية بانه صلى الله عليه وسلم اولم على صفية كما علمت انها زوجة لا سرية أى لكن ذكر بعض فقهائنا انه صلي الله عليه وسلم لما أولم على صفية رضي الله تعالى عنها قالوا ان لم يحجبها فهى أم ولد وان حجبها فهى امرأته وذلك دليل على استحباب الوليمة للسرية اذ لو اختصت بالزوجة لم يترددوا في كونها زوجة او سرية وذلك بعد أن خيرها صلى الله عليه وسلم بين ان يعتقها فترجع الى من بقي من أهلها أو تسلم فيتخذها لنفسه فقالت اختار الله ورسوله وذكر في الاصل انه جعل عتق الامة صداقها من

خصائصه

خير قال اما والله فقد اولتها قالوا بماذا قال اما حلق رأسي فوضعه واما الطائر الذى خرج من فمي فروحي واما المرأة التى ادخلتني في فرجها فالارض تحفر لى فاغيب فيها واما طلب ابني اياي ثم حبسه عني فاني اراه سيجهد ان يصيبه ما اصابني فاستشهد الطفيل باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة ثم شفي منها ثم استشهد عام اليرموك زمن عمر رضي الله عنهم وقال بعض اهل المغازى ان الطفيل استشهد باليرموك وجزم بهذا ابن حيان وقال موسى بن عقبة انه استشهد باجنادين واخرج البغوى عن الطفيل بن عمرو الدوسي رضى الله عنه قال اقرأني ابى بن كعب القرآن فاهديت له قوسا والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ وفد طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه ﴾

روى البيهقي عن جامع ابن شداد المحاربي قال حدثني رجل يقال له طارق بن عبد الله المحاربي قال انى لقائم بسوق ذي المجاز وكان سوق ذي المجاز وكان على فرسخ من عرفة ناحية كبكب اذ اقبل رجل فسمعته وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وقد ادمى كعبيه يقول يا أيها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا قالوا غلام من بني هاشم يزعم انه رسول الله قلت من هذا الذى يفعل به هذا الاذى قالوا عمه عبد العزى أبو لهب قال فلما اسلم الناس وهاجروا خرجنا من الربذة وهي موضع معروف به قبر أبي ذر رضى الله عنه نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه فاذا رجل في طمرين له فسلم وقال من اين اقبل القوم قلنا من الربذة قال وأين تريدون قلنا نريد المدينة قال ما حاجتكم فيها قلنا نمتار من تمرها قال طارق بن عبد الله ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل احمر مخطوم فقال اتبيعوني جملكم هذا قلنا نعم بكذا وكذا صاعا من تمر فاخذ بخطام الجمل فانطلق به فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنا فعرضناه للضياع قال طارق فقالت المرأة التي معنا والله لقد

خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد ذكره الجلال السيوطى في الخصائص الصغرى وذهب الامام احمد رحمه الله الى عدم الخصوصية وقال ابن حبان لم ينقل دليل على انه خاص به صلى الله عليه وسلم دون أمته وقيل أن دحية الكلبي رضي الله تعالى عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية فوهبها له وقيل وقعت في سهمه رضى الله تعالى عنه ثم ابتاعها صلى الله عليه وسلم منه بتسعة أرؤس أى واطلاق الشراء في ذلك على سبيل المجاز على انه يخالف ما تقدم انها من صفية صلى الله عليه وسلم قبل القسمة وفي البخارى فجمع السبي فجاء دحية رضى الله تعالى عنه فقال يا نبي الله اعطني جارية من السبي فقال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي فجاء رجل الى النبي ﷺ فقال يارسول الله اعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك فقال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها أى فاخذ غيرها أى والتى أخذها غيرها هي اخت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق زوج صفية كما في الامام لامامنا الشافعي رضى الله عنه عن سيرة الواقدى وقول الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا نبي الله اعطيت دحية صفية يدل على أنه اسمها وحينئذ يخالف ما قيل ان اسمها زينب فسماها صلى الله عليه وسلم صفية كما تقدم * وفي رواية ان صفية سبيت هي وبنت عم لها وان بلالا جاء بهما فمر على قتلى يهود فلما رأتهم بنت عم صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عني هذه الشيطانة وقال صلى الله عليه وسلم لبلال انزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ثم دفع صلى الله عليه وسلم بنت عمها لدحية الكلبي رضى الله تعالى عنه * وفي رواية واعطي دحية بنتي عمها عوضا عنها أى وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم لما دخل بصفية رأى باعلى عينها خضرة فقال ما هذه الخضرة قالت كان رأسي في حجر ابن ابى الحقيق تعني زوجها أى وهي عروس وانا نائمة فرأيت كأن القمر وقع في حجرى فاخبرته بذلك فلطمني وقال تتمنين ملك العرب وفي لفظ حين نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانت عروسا رأت كأن الشمس نزلت حتى وقعت على صدرها فقصت ذلك على زوجها قال والله ما تتمنين الا هذا الملك الذي نزل بنا فلطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها ولا مانع من تعدد الرؤية او انها رأت الشمس والقمر في وقت واحد وسيأتي في الكلام على زوجاته صلى الله عليه وسلم انها قصت ذلك على ابيها ففعل بها ذلك وسيأتي انه لا مانع من تعدد الواقعة وانهما فعلا بها ذلك وتقدم ان جويرية رضى الله تعالى عنها رأت القمر ايضا وقع في حجرها وكون صفية رضي الله تعالى عنها كانت عروسا عند مجيئه صلى الله عليه وسلم خيبر مما يدل على ان سلام بن مشكم طلقها قبل الدخول بها وقد تقدم ان كنانة تزوج بها بعد ان طلقها سلام بن مشكم فليتامل * وعن صفية رضي الله تعالى عنه انها قالت انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما من الناس احد اكره الي منه قتل ابي وزوجي وقومي فقال صلى الله عليه وسلم يا صفية اما انى اعتذر اليك مما صنعت بقومك انهم قالوا لى كذا وكذا وقالوا في كذا وكذا وفي رواية ان قومك صنعوا كذا وكذا وما زال صلى الله عليه وسلم يعتذر الي حتى

ذهب ذلك من نفسي فما قمت من مقعدي ومن الناس احد احب الي منه صلى الله عليه وسلم واعرس بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان طهرت من الحيض في قبة بعد ان دفعها صلى الله عليه وسلم لام سليم لتصلح من شانها وبات تلك الليلة ابو أيوب الانصاري رضي الله تعالى عنه متوشحا سيفه يحرسه ويطوف بتلك القبة حتى اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأي مكان ابي ايوب فقال مالك يا أبا أيوب قال يارسول الله خفت عليه من هذه المرأة قتلت أباها وزوجها وقومها وهي حديثة عهد بكفر فبت احفظك فقال اللهم احفظ ابا ايوب كما بات يحفظني قال السهيلي رحمه الله فحرس الله ابا أيوب بهذه الدعوة حتي ان الروم لتحرس قبره ويستشفون به فيستصحون اي ويستسقون به فيسقون فانه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين فلما بلغوا القسطنطينية مات ابو أيوب رضي الله تعالى عنه هنالك فاوصي يزيد أن يدفنه في أقرب موضع من مدينة الروم وركب المسلمون ومشوا به حتى اذا لم يجدوا مكانا مساغا دفنوه فسالتهم الروم عن شانهم فاخبروهم انه كبير من اكابر الصحابة فقالت الروم ليزيد ما احمقك واحمق من ارسلك امنت ان ننبشه بعدك فنحرق عظامه فحلف لهم يزيد لئن فعلوا ذلك ليهدمن كل كنيسة بارض العرب ولينبش قبورهم فحينئذ حلفوا له بدينهم ليكرمن قبره وليحرسنه مااستطاعوا اي وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما قطع ستة أميال من خيبر وأراد ان يعرس بها فابت فوجد النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه فلما سار ووصل الصهباء مال الى دومة هناك فطاوعته فقال لها ماحملك على أبائك حين اردت المنزل الاول قالت يارسول الله خشيت عليك قرب يهود وهذا المحل الذي هو الصهباء هو الذي ردت فيه الشمس لعلي بعد ماغربت كما تقدم واقام صلى الله عليه وسلم بذلك المحل ثلاثة ايام وجعل وليمتها حيسا في نطع صغير والحيس تمر واقط وسمن أي وفي البخاري فاصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال من كان عنده شيء فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجئ بالتمر وجعل الرجل يجئ بالسمن أي وجعل الرجل يجئ بالاقط وذكرأيضا السويق ولايخفي ان الحيس خلط السمن والتمر والاقط الا انه قد يخلط مع هذه الثلاثة السويق وهذا يدل على ان الوليمة على صفية رضي الله تعالى عنها كانت نهارا ودهب ابن الصلاح من ائمتنا الي ان الافضل فعلها ليلا وقال بعضهم وهو متجه ان ثبت انه صلى الله عليه وسلم فعلها ليلا اي لاحد من نسائه وقد جاء لا بد للعرس من وليمة وقال لانس آذن من حولك اي ليأكلوا من ذلك الحيس وكان صلى الله عليه وسلم يضع لها ركبته لتركب فتضع رجلها على ركبته الشريفة حتي تركب وفي لفظ ولما وضع صلى الله عليه وسلم ركبته لتركب عليها أبت ان تضع قدمها على ركبته الشريفة ووضعت فخذها على ركبته أي ولعل هذا الثاني منهما كان في اول الامر فلا مخالفة وعن صفية رضي الله تعالى عنها مارأيت احدا قط احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد ركب بي في خيبر وانا على عجز ناقته ليلا فجعلت انعس فتضرب رأسي مؤخرة الرحل فيمسني بيده ويقول ياهذه مهلا ونهي صلى الله عليه وسلم عن اتيان الحبالي من النساء اللاتي سبين وان لا يصيب احد امرأة من السبي غير حامل حتى يستبرئها اي تحيض اي وفي لفظ امر صلى الله عليه وسلم

رأيت رجلا كأن وجهه قطعة القمر ليلة البدر انا ضامنة لثمن جملكم * وفي رواية قالت الظعينة فلا تلاوموا أي لا يلم بعضكم بعضا لقد رأيت وجه رجل لا يغدر كم مارأيت شيأ أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه فلما كان العشي اتانا رجل فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم هذا تمركم الذي بعثه جملكم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا اي فلا تسامحوا في الكيل في مقابلة اكلكم قال فاكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد اذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فادركنا من خطبته وهو يقول تصدقوا فان الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول امك واباك وأختك وأخاك وادناك فادناك فقام رجل من الانصار فقال يارسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع قتلوا فلانا في الجاهلية فخذ لنا بثارنا فرفع صلى الله عليه وسلم يده حتى رأيت بياض ابطه فقال لاتجني أم على ولد مرتين واسلم القوم على يديه صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا الى اهلهم والله اعلم

﴿ وفد بهراء ﴾

بالمد قبيلة من قضاعة روى الواقدي عن كريمة بنت المقداد قالت سمعت أمي ضباعة بنت الزبير ابن عبد المطلب تقول قدم وفد بهراء من اليمن وكانوا ثلاثة عشر رجلا فاقبلوا يقودون رواحلهم فلما انتهوا الى باب المقداد ونحن في منازل الانصار خرج اليهم المقداد فرحب بهم وقدم لهم جفنة من حيس وهو تمر يعجن بسمن واقط فاكلوا منها حتى نهلوا وردت القصعة وفيها شيء فجمع في قصعة صغيرة فارسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سدرة مولاة ضباعة وهو في بيت أم سلمة رضي الله عنها فاصاب منها هو ومن معه في البيت حتى نهلوا ثم قال اذهبي بما بقي الى ضيفكم فرجعت بها فاكل منها الضيف ماأقاموا اي مدة اقامتهم يرددون ذلك عليهم وما نقص وجعلوا يقولون للمقداد ياأبامعبد انك لتنهلنا من احب الطعام الينا وما كنا مناديه

تقدر على مثل هذا الا في الحين فاخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أكل منها وردها فان هذه بركة اصابعه عليه الصلاة والسلام فجعل القوم يقولون نشهد أنه رسول الله وزدادوا يقينا وذلك الذى أراد صلى الله عليه وسلم فاظهروا الاسلام ونطقوا بالشهادتين وتعلموا الفرائض واقاموا اياما ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرلهم بجوائز وانصرفوا الى أهليهم باليمن

﴿وفد غامد﴾ قبيلة من الازد باليمن * قدم عليه صلى الله عليه وسلم سنة عشر عشرة من غامد ونزلوا فى بقيع الغرقد وفيه يومئذ اثل وطرفاء ثم انطلقوا الى النبى صلى الله عليه وسلم وخلفوا صغرهم في رحالهم فاقروا بالاسلام وسلموا على النبى صلى الله عليه وسلم وكتب لهم كتابا فيه شرائع الاسلام وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم من خلفتم فى رحالكم قالوا أحدثنا سنا قال فانه قد نام عن متاعكم حتي أتى آت فاخذ عيبة أحدكم فقال أحدهم مالاحد عيبة غيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذت وردت الى موضعها فخرجوا حتى أتوا رحلهم فسالوا الذى خلفوه فقال فزعت من نومي ففقدت العيبة فقمت في طلبها فاذا رجل كان قاعدا فثار يعدو منى فانتهيت الى حديث ينتهي فاذا أثر حفر واذا هو قد غيب العيبة فاستخرجتها فقالوا نشهد أنه رسول الله فانه قد أخبرنا خبرها وانها قد ردت فرجعوا وأخبروه صلى الله عليه وسلم وجاء الغلام الذي خلفوه فاسلم وامر النبي صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب أن يعلمهم قرآنا ثم أجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا الي بلادهم

﴿وفد الازد﴾ قدم صلى الله عليه وسلم قوم من الازد ينسبون الي جدهم الاعلى * وهو الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان روي أبو نعيم عن سويد بن الحرث الازدي رضى الله عنه قال وفدت سابع سبعة من قومى على رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما دخلنا عليه

مناديه ينادى أن من آمن بالله واليوم الآخر لا يسق بمائه زرع الغير ولا يطا امرأة حتي تنقضى عدتها أى حتى تحيض وبلغه صلى الله عليه وسلم عن شخص أنه ألم بامرأة من السبي حبلى فقال لقد هممت أن العنه لعنة تدخل معه فى قبره ونهى صلى الله عليه وسلم عن أكل الثوم ورأيت في كلام بعضهم أن غالب اقتياتهم فى خيبر كان أكل الثوم والكراث حتى تقرحت أشداقهم أي وذلك قبل النهي ثم رأيت في الترغيب والترهيب عن أبي ثعلبة أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فوجدوا فى جنانها بصلا وثوما فاكلوا منه وهم جياع فلما راح الناس الي المسجد اذا ريح بصل وثوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربنا وليس فى ذلك نهى عن أكل الثوم والبصل اي مطلقا النهي عن أتيان المسجد لمن أكلهما تامل ومن ثم جاء أنه لما قال ذلك صلى الله عليه وسلم قال الناس حرم ذلك ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ما قالوا قال أيها الناس انه ليس لنا تحريم ما أحل الله ولكنها شجرة أكره ريحها وعن فرقد السنجي ما أكل نبى قط ثوما ولا بصلا ونهى صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء ففي مسلم عن على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر قال بعضهم والراجح أن النهى عن متعة النساء لم يكن فى خيبر فانه شيء لم يعرفه أهل السير ولا رواه أهل الاثر ويدل لذلك ما قيل أن ثنية الوداع انما سميت بذلك لانهم فيها ودعوا النساء اللاتي تمتعوا بهن فى خيبر اي وانما كان تحريمها عام الفتح أى ولا معارضة لانه أحل بعد ذلك أى بعد خيبر في عام الفتح ثم حرم فيه بعد ثلاثة أيام كما سيأتى وقيل حرمت في حجة الوداع وقيل في غزوة أوطاس وهذا هو الصحيح وسيأتى في غزوة الفتح الجمع بين هذه الاقوال قال السهيلى رحمه الله وأغرب ما روي فى ذلك رواية من قال ان ذلك كان فى غزوة تبوك وفي حديث خرجه أبو داود أن تحريم نكاح المتعة كان فى حجة الوداع ومن قال من الرواة انه كان فى غزوة أوطاس فهو موافق لمن يقول انه كان عام الفتح هذا كلامه وعن امامنا الشافعى رضي الله عنه لا أعلم شيئا حرم ثم أبيح ثم حرم الا المتعة أي فقد حرمت مرتين ونقل السهيلى رحمه الله وغيره عن بعضهم انها أبيحت وحرمت ثلاث مرات وعن بعضهم انها أبيحت وحرمت أربع مرات ولينظر هذا مع قول بعضهم ان أول من حرم المتعة سيدنا عمر رضى الله عنه وقيل لم يحرمها صلى الله عليه وسلم مطلقا بل عند الاستغناء عنها واباحها عند الحاجة اليها أى عند خوف الزنا وبذلك كان يفتي ابن عباس رضي الله عنهما وفى كلام فقهائنا والنهى عن نكاح المتعة فى خبر الصحيحين الذي لو بلغ ابن عباس رضي الله عنهما لم يستمر على القول باباحتها لمن خاف الزنا مخالفا في ذلك لكافة العلماء وقد وقعت مناظرة في المتعة بين القاضى يحيي بن أكثم وأمير المؤمنين المامون فان المامون نادى باباحة المتعة فدخل عليه يحيي بن أكثم وهو متغير اللون بسبب ذلك وجلس عنده فقال له المامون مالى أراك متغيرا قال لما حدث فى الاسلام قال وما حدث قال النداء بتحليل الزنا قال المتعة زنا قال نعم المتعة زنا قال ومن اين لك هذا قال من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما الكتاب فقد قال الله تعالى قد افلح المؤمنون الى قوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير

وكلمناه أعجبه مارأى من سمتنا وزينا فقال ماأنتم ماصفتكم قلنا مؤمنون فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم قلنا خمس عشرة خصلة خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها الا أن تكره شيئا منها فنتركه فقال صلى الله عليه وسلم ماالخمس التي أمرتكم بها رسلي ان تؤمنوا بها قلنا أمرتنا ان نؤمن بالله وملائكته (٥٤) وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال وما الخمس التي أمرتكم رسلي ان تعملوا بها قلنا امرتنا ان نقول لااله الاالله اي مع محمد رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا قال وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية قلنا الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضا بمر القضاء والصدق في مواطن اللقاء وترك الشماتة بالاعداء فقال صلى الله عليه وسلم حكماء علماء أي هم حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا أنبياء ثم قال وانا ازيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون أي متصفين بالخمس عشرة التي ذكرتم فلا تجمعوا مالا تاكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا في شيء انتم عنه غدا زائلون واتقوا الله الذي اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون

ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاؤلئك هم العادون يا أمير المؤمنين زوجة المتعة ملك يمين قال لا قال افهي الزوجة التي عند الله ترث وتورث ويلحق بها الولد قال لا قال فقد صار متجاوز هذين من العادين وأما السنة فقد روى الزهري بسنده الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه انه قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان أمر بها فالتفت المامون للحاضرين وقال اتحفظون هذا من حديث الزهري قالوا نعم يا أمير المؤمنين فقال المامون استغفر الله نادوا بتحريم المتعة ونهى صلى الله عليه وسلم في خيبر عن لحوم الحمر الاهلية اى فانهم أصابهم جوع فوجدوا الحمر الاهلية اى ثلاثين حمارا خرجت من بعض الحصون وقيل لم يدخلوها الحصون فاخذها رهط من المسلمين وذبحوها وجعلوا لحومها في القدور والبرام وجعلوا يطبخونها للاكل فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فسالهم عما في القدور والبرام قالوا لحوم الحمر الانسية اى المخالطة للناس فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن أكلها حتى ان القدور اكفئت وانها لتفور أي وفي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم راى نيرانا توقد يوم خيبر قال علام توقد هذه النيران قالوا على الحمر الانسية قال اكسروها واهريقوها قالوا الا نهريقها ونغسلها قال اغسلوا * وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال ماهذه النيران على اى شيء توقد قالوا على لحم قال على اى لحم قال على لحم حمر انسية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهريقوها واكسروها فقال رجل يارسول الله او نهريقها ونغسلها فقال اوذاك وعدوله صلى الله عليه وسلم الى هذا الثاني امااجتهادا او وحى وجاء انه صلى الله عليه وسلم عند ذلك أمر عبد الله بن عوف ان ينادى في الناس ان لحوم الحمر الاهلية لا تحل لمن يشهد ان محمدا رسول الله وامر ان تكفأ القدور ولا ياكلوا من لحوم القدور شيا وفي مسلم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم اباطلحة فنادى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاكم عن لحوم الحمر الاهلية فانها رجس او نجس وهذا السياق كله يدل على انهم لم ياكلوا منها شيا * وفي السيرة الهشامية واكل المسلمون من لحوم الحمر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى الناس عن امور سماها لهم وهذا يراد القول بانه انما نهى عن أكلها للحاجة اليها اولانها اخذت قبل القسمة وروى ابوداود باسناد على شرط مسلم عن جابر رضى الله عنه ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمر ولم ينهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخيل * وفي رواية ورخص في اكل الخيل أي اباح اكلها وفي مسلم عن اسماء رضى الله عنها قالت نحرنا فرسا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكلناه أي وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولم ينكره وعن خالد ابن الوليد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل لحوم الحمر الاهلية والبغال والخيل قال السهيلي رحمه الله وحديث الاباحة اصح وجاء انه صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن اكل لحم الجلالة وعن ركوبها حتى تعلف اربعين يوما والجلالة التي تاكل الجلة وهي الروث والعذرة وذكر الهروي انه صلى الله عليه وسلم كان لا ياكل الدجاج الجلالة حتى تقصرى تحبس ثلاثة ايام وذكر فقهاؤنا ان الحمر الاهلية حلت بعد تحريمها ثم حرمت فليتامل ونهى صلى الله عليه وسلم عن اكل كل ذى ناب من السباع أي وذى مخلب من الطير وعن بيع المغانم

فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام وعملوا بها توفيقا من الله تعالى حتى ببركته صلى الله عليه وسلم

﴿ وفد بنى المنتفق ﴾

وهى قبيلة عامر بن صعصعة قدم عليه صلى الله عليه وسلم جماعة من بني المنتفق وفيهم لقيط بن عامر بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق قال فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة أى الصبح فقام فى الناس خطيبا فلما فرغ قلت يارسول الله علام نبايعك فبسط صلى الله عليه وسلم يده وقال على اقام الصلاة

وايتاء الزكاة وان لا تشركوا بالله شيأ قال قلت يارسول الله وان لنا مابين المشرق والمغرب فقال تحل منها حيث شئت ولا يجني عليك الا نفسك فلما انصرفنا عنه قال انهم من اتقى الناس لله في الدنيا والآخرة فقال له بعض اصحابه من هم يارسول الله قال بنو المنتفق قالها ثلاثا ﴿وفد النخع﴾ بفتح النون والخاء المعجمة قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود وكان وفودهم سنة احدي عشرة في النصف من المحرم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥٥) مائتا رجل من النخع مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال رجل منهم يقال له زرارة ابن عمرو يارسول الله اني رايت في سفري هذا عجبا وفي رواية رأيت رؤيا هالتني قال وما رأيت قال رأيت اتانا تركتها في الحي ولدت جديا أي وهو ولد المعز اسفع احوى والاسفع الذي سواده مشرب بحمرة والاحوى الذي ليس شديد السواد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت لك امة مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك فقال يارسول الله فماله اسفع احوي قال ادن مني فدنا منه فقال هل بك برص تكتمه قال فوالذي بعثك بالحق ماعلم به احد ولا اطلع عليه غيرك قال هو ذاك قال يارسول الله ورأيت النعمان بن المنذر أي وهو ملك العرب وعليه قرطان والقرط مايكون في شحمة الاذن ودملجان بضم الدال المهملة وضم اللام وفتحها ومسكتان بفتح الميم والسين المهملة قال ذلك ملك العرب رجع الى احسن زيه وبهجته قال يارسول الله ورأيت عجوزا شمطاء أي يخالط شعر رأسها الابيض شعر اسود خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو وهي تقول لظى لظى بصير واعمى اطعموني آكلكم واهلكم ومالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في آخر الزمان قال يارسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس

حتى تقسم وجعلت له صلي الله عليه وسلم مائدة فاكل متكئا واطلى بالنورة وكان ينوره الرجل فاذا بلغ عانته تولى ذلك صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة وروى ابن ماجة بسند جيد كما قاله الحافظ ابن كثير انه صلى الله عليه وسلم كان اذا اطلى بدأ بعورته فطلاها وطلى سائر جسده اهله وحينئذ يكون المراد بعانته في الرواية السابقة العورة على ان تلك الرواية مرسلة فلا يحتج بذلك لمن يقول ان العورة ما عدا السوأتين واخرج الامام احمد عن عائشة رضي الله عنها انها قالت اطلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنورة فلما فرغ منها قال يامعشر المسلمين عليكم بالنورة فانها طيبة وطهور وان الله تعالى يذهب بها عنكم اوساخكم واشعاركم أي فهو من نعيم الدنيا ومن ثم كرهه عمر رضي الله عنه وعن ثوبان مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قيل له وقد دخل الحمام اتدخل الحمام وانت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يدخل الحمام وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال لابي بكر وعمر رضي الله عنهما طاب حمامكما وجاء انه صلي الله عليه وسلم كان يتنور كل شهر ويقلم اظفاره كل خمسة عشر يوما وما ورد انه ﷺ لم يتنور فهو ضعيف معارض بما هو أقوى منه وأكثر عددا على ان المثبت مقدم على النافي أي وفي الينبوع وقول أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتنور وكان يحلق محمول على الغالب من امره صلى الله عليه وسلم * وفي الخصائص الصغرى وقال ابن عباس رضي الله عنهما ماتنور نبي قط وفي صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم وقت لقص الشارب وتقليم الاظفار ان لا يدع ذلك اربعين يوما أي وكان صلى الله عليه وسلم يقص اظفاره كل خمسة عشر يوما كما تقدم وقد استفيد من هذا كما قال بعضهم فائدة نفيسة وهي ذكر التوقيت للتنور وقص الاظفار قال بعضهم وفيه نظر فان بدنه ﷺ كان في غاية الاعتدال فلا يقاس به صلى الله عليه وسلم غيره في ذلك نظير ماقالوه فيما صح انه صلي الله عليه وسلم كان يوضئه المد ويغسله الصاع ان ذلك خاص ببدن من يكون بدنه كبدنه عليه الصلاة والسلام نعومة واعتدالا والازيد ونقص المتفاوت فكذلك هنا ومن ثم قال الائمة رحمهم الله في نحو حلق العانة ونتف الابط والقلم للظفر وقص الشارب ان ذلك لا يتقيد بمدة بل يختلف باختلاف الابدان والحال فيعتبر وقت الحاجة الى ازالة ذلك وبهذا يرد على من قال يكره التنور في أقل من شهر وقدم عليه صلى الله عليه وسلم بخيبر الاشعريون أي ومنهم ابوموسي الاشعري رضى الله عنه والدوسيون ومنهم ابو هريرة رضى الله عنه فسأل صلي الله عليه وسلم اصحابه رضي الله عنهم ان يشركوهم في الغنيمة ففعلوا قال وعن موسى بن عقبة رحمه الله ان احد الاشعرين ومن ذكر معهم أي وهم الدوسيون من هذين الحصنين اللذين فتحا صلحا وتكون مشاورة رسول الله صلي الله عليه وسلم في اعطائهم ليست استنزالا لهم عن شيء من حقهم وانما هي المشورة العامة أي المامور بها في قوله تعالى وشاورهم في الامر انتهى * وهذا صريح في ان ذلك كان فيماله صلي الله عليه وسلم فيهما ومافيهما مما افاءه الله عليه صلي الله عليه وسلم لان الفيء ماجعلوا عنه من غير قتال أي من غير

امامهم ويشتجرون اشتجار اطباق الرأس اى يشتبكون في الفتنة اشتباك اطباق الرأس وخالف رسول الله بين اصابعه يحسب المسيء فيها انه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أسهل وفي رواية أحلى من شرب الماء وان مات ابنك ادركت الفتنة وان مت انت ادركها ابنك قال يارسول الله ادع الله انى لا أدركها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تدركها اياه فمات وبقى ابنه عمرو ولم يجتمع به صلى الله عليه وسلم فهو تابعي وكان ممن خلع عثمان رضي الله عنه وفي رواية ان النخع بعثوا رجلين

ارطاة بن شرحبيل من بنى الحارثة والارقم من بني بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الاسلام فقبلاه فبايعاه على قومهما وأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما وحسن هيئتهما وقال لهما خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما قال يارسول الله قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلا كلهم افضل منا وكلهم يقطع الامر وينفذ من الاشياء مايشاء فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير وقال اللهم بارك في النخع وعقد لارطاة لواء على قومه فكان فى يده يوم الفتح وشهد به القادسية وقتل يومئذ لكن قوله وكان في يده يوم الفتح لا يناسب ماتقدم ان وفد النخع كان قدومه فى المحرم سنة احدى عشر الا ان يقال ان هذين وفدا قبل وفود النخع والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ باب بيان كتبه صلى الله عليه وسلم التي ارسلها الي ﴾

الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام اى فى الغالب والافمنها ماليس كذلك ولما اراد صلى الله عليه وسلم ان يكتب للملوك قيل له يارسول الله انهم لا يقرؤن كتابا الا اذا كان مختوما اى ليكون في ذلك اشعار بان الاحوال المعروضة عليهم ينبغي ان تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وفيه ان هذا واضح اذا كان الختم عليها بعد طيها ويجعل عليها نحو شمع ويختم فوق ذلك والظاهر ان ذلك لم يكن وحينئذ

مصافة للقتال والحاصل ان ارض خيبر ونخلها غنيمة لانه صلى الله عليه وسلم غلب على النخل والارض والجأهم الى الحصون وفتح جميع الحصون عنوة الا الوطيح والسلالم فانهما فتحا صلحا على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم بشرط ان لا يكتموه شيأ من اموالهم وان من كتم شيأ انتقض ذلك الصلح له بالنسبة لدمه وذراريه وهذان الحصنان هما المرادان بالكتيبة فى قول بعضهم كان صلى الله عليه وسلم يطعم من الكتيبة اهله لما علمت انهما من حصونها وانهما ومافيهما مما أفاء الله عليه وكونه صلى الله عليه وسلم كان يطعم أهله مما فيهما واضح وأما اذا كان المراد يطعم من الارض والنخيل المتعلقين بالحصنين فقد يتوقف فيه لما تقدم أن ارض خيبر ونخلها غنيمة وذلك شامل الارض والنخيل المتعلقين بالحصنين فليتامل والله أعلم وفى لفظ وقدم عليه صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من أرض الحبشة ومعه الاشعريون أبو موسى الاشعرى وأخوه ابورهم وابو بردة رضى الله عنهم وكان ابو موسي اصغرهم وأقوامهم وكان قوم جعفر بالحبشة أى لانهم هاجروا الي الحبشة من اليمن كما تقدم وقبل قدومهم اليه صلى الله عليه وسلم قال صلى الله عليه وسلم يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبا فقدم الاشعريون وذكر انهم عند مجيئهم صاروا يقولون غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه وفى كلام بعضهم مايفيد انه صلى الله عليه وسلم قال في حقهم أتاكم أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة الفقه يمان والحكمة يمانية ولما اقبل عليه صلى الله عليه وسلم جعفر رضي الله عنه قام صلى الله عليه وسلم الي جعفر وقبله بين عينيه * وفي رواية قبل جبهته اى وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم جعفر رضى الله عنه من ارض الحبشة اعتنقه النبى صلى الله عليه وسلم وقبل بين عينيه وجعل ذلك اصلا لاستحباب المعانقة وقال بعضهم انها مكروهة وحديث جعفر يحتمل أن يكون قبل النهى عنها فانه نهى عن المكامعة وهي المعانقة وحمل ذلك بعضهم على ما اذا كانت المعانقة من غير حائل * أقول لم يجب بذلك سيدنا مالك رضى الله عنه فانه لما قدم عليه سفيان بن عيينة رضي الله عنه صافحه مالك وقال له لولا انها بدعة لعانقتك فقال له سفيان لقد عانق من هو خير منك ومني النبى صلى الله عليه وسلم قال مالك تعني جعفر بن ابي طالب قال نعم قال ذلك حبيب خاص ليس بعام أى فذلك من خصوصياته فقال له سفيان ماعم جعفرا يعمنا ومايخصه يخصنا اى فالاصل عدم الخصوصية ثم قال له سفيان اتاذن لي ان احدثك بحديث قال نعم فقال حدثنى فلان عن فلان عن ابن عباس رضي الله عنهما وذكر الحديث المتقدم عنه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم التزم زيد بن حارثة رضي الله عنه حين قدم عليه من مكة واما المصافحة فقد جاء ان اهل اليمن لما قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان اهل اليمن قد سنوا لكم المصافحة وقال من تمام محبتكم المصافحة وقام صلى الله عليه وسلم لصفوان بن امية لما قدم عليه والى عدى بن حاتم قال السهيلى وليس هذا معارضا لحديث من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار لان هذا الوعيد انما توجه للمتكبرين والي من يغضب ان لا يقام له وكان صلى الله عليه وسلم يقوم لفاطمة رضي الله عنها وكانت تقوم له

صلى الله عليه وسلم هذا كلامه والله اعلم ولما رآه صلى الله عليه وسلم جعفر حجل اى مشى على رجل واحدة اعظاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان اهل الحبشة يفعلون ذلك للتعظيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له اشبهت خلقي وخلقي وفي لفظ جعفر أشبه الناس بي خلقا وخلقا وكان صلى الله عليه وسلم يسميه ابا المساكين لانه رضى الله عنه كان يحب المساكين ويجالسهم ويحدثهم ويحدثونه وذكر بعضهم انه لما قال له صلى الله عليه وسلم أشبهت خلقي وخلقي رقص من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم رقصه وجعل ذلك اصلا لجواز رقص الصوفية عند ما يجدونه من لذة المواجيد من مجالس الذكر والسماع ثم قال صلى الله عليه وسلم والله ما ادرى بايهما افرح بفتح خيبر ام بقدوم جعفر رضى الله عنه وقيل قدم مع جعفر رضي الله عنه سبعون رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية روميون من أهل الشام وفي لفظ قدم معه سبعون كانوا اصحاب الصوامع وقيل كانوا اربعون رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من الشام وقيل كانوا ثمانين رجلا اربعون من أهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية روميون من اهل الشام فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى آخرها فبكوا واسلموا وقالوا ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى صلى الله عليه وسلم اى ولعل هؤلاء الذين من الحبشة هم المرادون بقول بعضهم ووفد اليه وفد النجاشي فقام صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه فقال له اصحابه نحن نكفيك يا رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان اكافئهم وفي لفظ وقدم عليه ايضا أبو هريرة رضي الله عنه وطائفة من قومه وهم دوس كما تقدم قال ابو هريرة رضي الله عنه قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفاري فاخبرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر فزودنا سباع ثم جئنا خيبر وهو محاصر الكثيبة فقمنا حتى فتح الله أى وكان من جملة من قدم معهم من بلاد الحبشة ام حبيبة بنت أبي سفيان رضى الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها أى عقد عليها وهي بالحبشة فانها كانت ممن هاجر الهجرة الثانية للحبشة مع زوجها عبد الله بن جحش فارتد عن الاسلام هناك وتنصر ومات على ذلك وبقيت هي على اسلامها كما تقدم وقد ارسل صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمرى رضى الله عنه في المحرم افتتاح سنة سبع الى النجاشي ليزوجها منه صلى الله عليه وسلم قالت أم حبيبة رضى الله عنها رأيت في المنام كان قائلا يقول لي يا أم المؤمنين ففزعت فاولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجني قالت فما شعرت الا وقد دخلت على جارية النجاشي فقالت لى ان الملك يقول لك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب اليه أن يزوجك منه فقلت لها بشرك الله بالخير ويقول لك وكلي من يزوجك فارسلت بالوكالة الى خالد بن سعيد رضى الله عنه أي واعطت تلك الجارية سوارين وخدمتين أى خلخالين وخواتيم فضة سرورا بما بشرت به فلما كان العشى امر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين فحضروا وخطب النجاشي رضى الله عنه فقال الحمد لله الملك القدوس أى وفى لفظ بدل ذلك المؤمن المهيمن العزيز الجبار

يكون الغرض من ذلك أمن التزوير لبعده مع الختم فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة اى بعد ان اتخذ خاتما من ذهب فاقتدى به ذوو اليسار من اصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب ولما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لبس اصحابه خواتيمهم فاخبره جبريل عليه السلام من الغد بان لبس الذهب حرام على ذكور أمتك فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخاتم فطرح اصحابه خواتيمهم وكان نقش خاتمه الفضة ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر والاسطر الثلاثة تقرأ من أسفل الى فوق فمحمد آخر الاسطر ورسول في الوسط والله فوق وكانت الكتابة مقلوبة لتكون على الاستواء اذا ختم بها فكان ذلك الخاتم في يده صلى الله عليه وسلم ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله عنهم حتى وقع في بئر أريس في السنة التي توفي فيها عثمان رضي الله عنه فالتمسوه ثلاثة ايام فلم يجدوه واختلفت الروايات في موضع الخاتم من يده صلى الله عليه وسلم فقيل في خنصر اليسار وهو المروى عن عامة الصحابة وقيل في خنصر اليمين وهو المروي عن طائفة منهم ابن عباس وعائشة رضى الله عنهم وجمع البغوى بان النبي صلى الله عليه وسلم فعل كلا من الامرين يختم في يمينه وفي يساره لكن قال التختم في اليسار كان آخر الامرين وروى اشعب الطائع عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في اليمين قال الامام النووى التختم في اليمين او اليسار كلاهما صح نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه في اليمين افضل لانه زينة واليمين به اولى ونقل ابن ابي حاتم عن ابي زرعة انه صلى الله عليه وسلم كان في يمينه اكثر منه في يساره وكان يجعل فصه مما يلي كفه وعند عزمه صلى الله عليه وسلم على ارسال الكتب وتكلمه مع اصحابه في ذلك خرج على اصحابه يوما فقال ايها الناس ان الله بعثني رحمة وكافة فادوا عني يرحمكم الله ولا

تختلفوا علي كما اختلفت الحواريون على عيسى بن مريم فقال اصحابه وكيف اختلفت الحواريون على عيسى يا رسول الله قال دعاهم لمثل مادعوتكم له فامامن بعثه مبعثا قريبا رضي وسلم واما من بعثه مبعثا بعيدا كره وأبي فشكا ذلك عيسى الى ربه فاصبحوا وكل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم

المدعو هرقل وهو ملك الروم وقيصر معناه البقير لانه بقر اي شق

عنه لان ام قيصر ماتت في المخاض فشق عنه وأخرج فسمى قيصر وكان

أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانه الذي بشر به عيسى بن مريم عليه السلام اما بعد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الي ان ازوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان فاجبنا الى مادعا اليه رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد اصدقتها اربعمائة دينار أي وفي لفظ اربعمائة مثقال ذهب ثم سكب الدنانير بين يدي القوم فتكلم خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه فقال الحمد لله احمده واستعينه وأستغفره وأشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون اما بعد فقد اجبت الى مادعا اليه رسول الله صلي الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي ودفع النجاشي الدنانير لخالد بن سعيد فقبضها منه وقيل انه انقدها لها النجاشي على يد جاريته التي بشرتها فلما جاءتها بتلك الدنانير اعطتها خمسين دينارا وقد يقال يجوز ان يكون النجاشي استردها من خالد ثم دفعها لتلك الجارية او امر خالد بن سعيد بدفعها للجارية لتدفعها لام حبيبة فلا مخالفة وهذا السياق يدل على ان النجاشي كان هو الوكيل عنه صلي الله عليه وسلم وفي كلام بعض فقهائنا انه صلى الله عليه وسلم وكل عمرو بن امية في نكاح أم حبيبة وقد يقال معنى توكيل عمرو ارساله بالوكالة للنجاشي أي ثم لما ارادوا ان يقوموا بعد العقد قال لهم النجاشي اجلسوا فان من سنن الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا تزوجوا ان يؤكل طعام على التزويج فدعا بطعام فاكلوا ثم تفرقوا قالت أم حبيبة رضى الله عنها ولما كان من الغد جاءتني جارية النجاشي فردت على جميع ما اعطيتها وقالت ان الملك عزم على ان لا ارزأك شيا وقد أمر الملك نساءه ان يبعثن اليك بكل ماعندهن من العطر فجاءت بورس وعنبر وزباد كثير وقالت حاجتي اليك ان تقرئي رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وتعلميه اني قد اتبعت دينه وكانت كلما دخلت علي تقول لا تنسي حاجتي اليك ثم ارسل النجاشي ام حبيبة مع شرحبيل بن حسنة أي قالت أم حبيبة ولما دخلت على رسول الله ﷺ اخبرته كيف كانت الخطبة ومافعلت معي جارية النجاشي واقرأته منها السلام فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وعليها السلام ورحمة الله وبركاته وجاءه لما رجعت اليه ﷺ مهاجرة الحبشة قال الا تخبروني باعجب شيء رأيتم بارض الحبشة فقال فتية منهم يا رسول الله بينما نحن جلوس اذ مرت بنا عجوز من عجائزهم وعلى رأسها قلة فيها ماء فمرت بصبي فدفعها فوقعت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت أي قامت التفتت اليه فقالت سوف تعلم ياغدر اذا وضع الله الكرسي وجمع الاولين والاخرين وتكلمت الايدي والارجل بما كانوا يكسبون تعلم امري وامرك عنده فقال رسول الله ﷺ صدقت كيف يقدس الله قوما لا يؤخذ لضعيفهم من قويهم وذكر انه لما اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خيبر ودنا منها بعث محيصة بن مسعود الى أهل فدك يدعوهم الى الاسلام ويخوفهم قال محيصة فجئتهم فجعلوا يتربصون ويقولون ان بخيبر عشرة آلاف مقاتل فيهم عامر وياسر والحرث وسيد اليهود مرحب ما نري ان محمدا يقرب اليه فمكثت عندهم يومين ثم اردت الرجوع فقالوا نحن نرسل معك رجالا منا يأخذون لنا الصلح كل ذلك وهم

يظنون

يفتخر بذلك ويقول لم أخرج من فرج ثم صار قيصر اسما لكل من ملك الروم وكان ارسال الكتاب لقيصر سنة ست من الهجرة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية وكان وصوله اليه في المحرم سنة سبع وكان ارساله مع دحية الكلبي رضي الله عنه وامره صلى الله عليه وسلم ان يدفع الكتاب الى قيصر وكان صلى الله عليه وسلم قال قبل ذلك من ينطلق بكتابي هذا فيصير الى هرقل وله الجنة فقال دحية انا يارسول الله فاعطاه ذلك الكتاب وقيل انه صلى الله عليه وسلم امر دحية رضي الله عنه ان يدفعه الى عظيم بصري وهو الحرث ملك غسان ليدفعه الى قيصر فلما انتهى دحية الى الحرث ارسل معه عدي بن حاتم رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك ليوصله الى قيصر فذهب به اليه فقال قومه لدحية اذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك ابدا حتى يأذن لك قال دحية رضي الله عنه لا افعل هذا ابدا ولا اسجد لغير الله تعالى قالوا اذا لا يؤخذ كتابك فقال له رجل منهم انا ادلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له فقال دحية وما هو فقال ان له على كل عتبة منبرا يجلس عليه فدع صحيفتك تجاه المنبر فان احدا لا يحركها حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها ففعل فلما اخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية ثم قال انظروا لنا من قومه احدا نسأله عنه

وكان ابو سفيان بن حرب رضي الله عنه بالشام قبل اسلامه اي كان بغزة مع رجال من قريش في تجارة لهم زمن هدنة الحديبية وكان اول الهدنة في ذي القعدة سنة ست وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب لقيصر من تبوك في السنة التاسعة وجمع بينهما بانه كتب لقيصر مرتين قال ابو سفيان فاتانا رسول قيصر وهو والى شرطته بانطلق بنا حتى قدمنا عليه في بيت المقدس فاذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله فقال لترجمانه ايهم اقرب نسبا لهذا الذي يزعم انه نبي وفي رواية لهذا الرجل الذي خرج بارض العرب يزعم انه نبي فقال ابو سفيان انا أقربهم نسبا اي لانه لم يكن في الركب يومئذ من بني عبد مناف غيره وعبد مناف هو الاب الرابع له صلى الله عليه وسلم وكذا لابي سفيان زاد في رواية ماقرابتك منه قلت هو ابن عمي فقال لترجمانه ادنه مني ثم امر باصحابي فجعلوا خلف ظهري ثم قال لترجمانه قل لاصحابه اني قدمت هذا امامكم لاساله عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي وانما جعلتكم خلف كتفيه لتردوا عليه الكذب ان قاله اي حتى لا تستحيوا ان تشافهوه بالتكذيب اذا كذب قال ابو سفيان فوالله لولا الحياء يومئذ ان يأثروا على كذبا لكذبت ولكني استحييت فصدقت وانا كاره وفي رواية لولا مخافة ان ينقلوا عني الكذب الى قومي ويتحدثوا به في بلادي لكذبت عليه وبه يعلم ان الكذب من القبائح جاهلية واسلاما ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال قل له هل قال هذا القول احد منكم قبله قلت لا قال قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس قبل ان يقول ما قال قلت لا وفي رواية هل كان حلافا كذابا مخادعا قلت لا قال هل كان من آبائه ملك قلت لا زاد في رواية كيف عقله ورأيه قال لم نعب عليه عقلا ولا رأيا قط قال فاشراف الناس يتبعونه ام ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم والمراد باشراف الناس اهل النخوة والتكبر فلا يرد مثل ابي بكر وعمر وحمزة رضي الله عنهم ممن اسلم قبل

يظنون انه صلى الله عليه وسلم لا يقدر على فتح خيبر حتى جاءهم ناس من حصن ناعم واخبروهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحه فارسلوا رجلا من رؤسائهم يقال له نون بن يوشع في نفر يصالحون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحقن دماءهم ويجليهم ويخلوا بينه وبين الاموال ففعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تصالحوا معه على أن يكون لهم نصف الارض ولرسول الله صلى الله عليه وسلم النصف الاخر فكان فدك على الاول لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الثاني كان له نصفها لانها لم تؤخذ بقتال وكان صلى الله عليه وسلم ينفق منها ويعود منها على صغير بني هاشم ويزوج منها ايمهم ولما مات صلى الله عليه وسلم وولي ابو بكر رضي الله عنه الخلافة سالته فاطمة رضي الله عنها ان يجعلها او نصفها لها فابى وروى لها انه صلى الله عليه وسلم قال انا معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة أي على المسلمين ومما يؤيد الثاني ماقيل انه لما اجلاهم عمر رضي الله عنه مع يهود خيبر كما سياتي اشترى منهم حصتهم التي هي النصف بمال بيت المال فلما صارت الخلافة لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقيل له ان مروان اقتطعها أي جعلها اقطاعا له فقال ارأيتم امرا منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة أي بقوله صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركناه صدقة ليس لي بحق واني اشهدكم اني قد رددتها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أي صدقة على المسلمين وطلب الصلح كان بعد ان ارادت غطفان وسيدهم عيينة بن حصن ان يعينوا اهل خيبر أي وكانوا أربعة آلاف فان يهود خيبر لما سمعوا بمجيئه صلى الله عليه وسلم اليهم ارسلوا كنانة ابن أبي الحقيق وهوذة بن قيس في أربعة عشر رجلا الى غطفان ليستمدوا بهم وشرطوا لهم نصف ثمار خيبر ان غلبوا على المسلمين فجمعوا ثم خرجوا ليظاهروا يهود خيبر أي ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل اليهم ان لا يعينوهم على ان يعطيهم من خيبر شيا سماه لهم أي وهو نصف ثمارها فابوا وقالوا جيراننا وحلفاؤنا فلما ساروا قليلا سمعوا خلفهم في اموالهم واهليهم حسا ظنوه القوم أي ظنوا ان المسلمين اغاروا على اهاليهم أي فالقى الله الرعب في قلوبهم فرجعوا على الصعب والذلول أي مسرعين على اعقابهم فاقاموا في اهليهم واموالهم وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اهل خيبر أي وفي رواية سمعوا صوتا يا ايها الناس اهليكم خولفتم اليهم فرجعوا فلم يروا لذلك نبأ ويدل للثاني ان غطفان لما قدموا عليه صلى الله عليه وسلم خيبر قال عيينة بن حصن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وجده صلى الله عليه وسلم فتح حصونها اعطنا الذي وعدتنا وفي رواية أعطني مما غنمت من حلفائي فاني امتنعت عنك وعن قتالك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت ولكن الصياح الذي سمعت انفذك الى اهلك ولكن لك ذو الرقيبة قال عيينة وما ذو الرقيبة قال الجبل الذي رأيت في منامك انك اخذته أي فان عيينة بن حصن لما سمع الصوت ورجع الى اهله ولم يجد شيا رجع بعد ذلك بمن معه الى خيبر وهم بالقرب منها عرسوا من الليل فنام عيينة وانتبه وقال لقومه ابشروا فاني رأيت الليلة في النوم اني اعطيت ذا الرقيبة وهو جبل بخيبر لقد والله أخذت برقبة محمد فلما

هذا السؤال فانهم من ذوي الانساب الكريمة لكنهم ليسوا من أهل النخوة والتكبر فجعلهم من الضعفاء بهذا الاعتبار وفي رواية عند ابن اسحق تبعه منا الضعفاء والمساكين والاحداث وأبي ذووا الانساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو محمول على الاكثر الاغلب أي الاكثر والاغلب أن أتباعه الضعفاء قال فهل يزيدون أو ينقصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه أي كراهية له وعدم رضائه بعد أن دخل فيه قلت لا قال فهل يغدر اذا عاهد قلت لا ونحن الآن منه في ذمة ما ندري ماهو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف حربكم وحربه قلت دول وسجال ينال علينا مرة اي كما في احد وينال عليه الاخرى اي كما في بدر وقد تقدم في عروة احد ان ابا سفيان قال في يوم احد يوم بيوم بدر والحرب سجال اي نوب وفي لفظ قال ابو سفيان انتصر علينا مرة يوم بدر وانا غائب ثم غزوتهم في بيوتهم ببقر البطون وبجدع الآذان والانوف والفروج واشار بذلك ليوم احد قال فما يأمركم به قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف اي ترك المحارم وخوارم المروءة والوفاء بالعهد واداء الامانة فقال لترجمانه قل له اني سألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل هذا القول قاله منكم احد قبله فزعمت ان لا ولو كان احد منكم قال هذا القول قبله لقلت هو يأتم بقول يقولون قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فزعمت ان لا فعرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك هل كان من آبائه ملك فقلت لا فقلت لو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك ابيه وسألتك اشراف الناس يتبعونه ام ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل اي لان الغالب ان اتباع الرسل اهل الخضوع والاستكانة لا اهل التجبر

قدم خيبر ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر الحديث وقدم عليه صلى الله عليه وسلم حينئذ أيضا حجاج بن علاط السلمي واسلم والعلاط وسم في العنق وهو أبو نصر بن حجاج الذي نفاه عمر رضي الله عنه لما سمع أم الحجاج بن يوسف الثقفي تهتف به وتقول الابيات التي منها

هل من سبيل الى خمر فاشربها * أم من سبيل الى نصر بن حجاج

ومن ثم قال عروة بن الزبير يوما للحجاج يا ابن المتمنية يعيره بذلك وكان الحجاج مكثرا من المال فقال يا رسول الله ان مالي عند امرأتي بمكة ومتفرق في تجار مكة فاذن لي أن آتي مكة لآخذ مالي قبل أن يعلموا باسلامي فلا أقدر على أخذ شيء منه فاذن له رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله لا بد من أن أقول أي أتقول واذكر ما هو خلاف الواقع أي ما احتال به لما يوصل الى أخذ مالي قال قل قال فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فاذا رجال من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر أي أهل القوة والمنعة بعد ما وقع بينهم من المراهنة على مائة بعير في ان النبي صلى الله عليه وسلم يغلب أهل خيبر اولا فقال حويطب بن عبد العزى وجماعة بالاول وقال ابن عباس ابن مرداس وجماعة بالثاني فقالوا حجاج عنده والله الخبر ولم يكونوا علموا باسلامي يا حجاج انه قد بلغنا ان القاطع يعنون رسول الله ﷺ قد سار الى خيبر فقلت عندي من الخبر ما يسركم فاجتمعوا علي يقولون ايه يا حجاج فقلت لهم لم يلق محمد وأصحابه قوما يحسنون القتال غير أهل خيبر فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قط وأسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فنقتله بين أظهرهم وفي لفظ يقتلونه بمن كان أصاب من رجالهم فصاحوا وقالوا لاهل مكة قد جاءكم الخبر هذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم قال حجاج وقلت لهم أعينوني على غرمائي أريد أن أقدم فاصيب من غنائم محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار الى ما هناك فجمعوا الي مالي على أحسن ما يكون ففشا ذلك بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور وانكسر من كان بمكة من المسلمين وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه فجعل لا يستطيع ان يقوم ثم بعث الى حجاج غلاما وقال قل له يقول لك العباس الله اعلى وأجل من ان يكون الذي جئت به حقا فقال له حجاج اقرأ على ابي الفضل السلام وقل له ايخل لي بعض بيوته لآتيه بالخبر على ما يسره واكتم عني فاقبل الغلام فقال الغلام ابشر يا ابا الفضل فوثب العباس فرحا كان لم يمسه شيء واخبره بذلك فاعتقه العباس رضي الله تعالى عنه وقال لله على عتق عشر رقاب فلما كان ظهرا جاءه حجاج فناشده الله ان يكتم عنه ثلاثة ايام اي وقال اني اخشى الطلب فاذا مضت ثلاث فاظهر امرك فوافقه العباس على ذلك فقال اني قد اسلمت وان لي مالا عند امرأتي ودينا على الناس ولو علموا باسلامي لم يدفعوه الي اني تركت رسول الله ﷺ قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام رسوله فيها وتركته عروسا بابنة ملكهم حيي بن اخطب وقتل ابن ابي الحقيق فلما امسى حجاج خرج وطالت على العباس تلك الليالي الثلاث فلما مضى حجاج اي ومضت الثلاث عمد العباس رضي الله تعالى عنه الى حلة فلبسها وتخلق بخلوق واخذ بيده قضيبا ثم اقبل يخطر حتى اتى مجالس قريش وهم

والاستكبار وسالتك هل يزيدون او ينقصون فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسالتك هل يرتد احد سخطة المدينة بعد ان يدخل فيه فزعمت ان لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب اي اذا حصل بها انشراح الصدر وسالتك هل قاتلتموه فقلت نعم وان حربكم وحربه دول وسجال يدال عليكم مرة وتدالون عليه اخرى وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة وسالتك ماذا يامركم به فزعمت انه يامركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الامانة (٦١) وسالتك هل يغدر فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر لانها لا تطلب حظ الدنيا الذي لا يباليه طالبه الا بالغدر فعلمت انه نبي وقد كنت اعلم انه خارج ولكن لم اظن انه فيكم وان كان ما حدثتني به حقا فيوشك أى يقرب أن يملك موضع قدمي هاتين وهذه الاشياء التى سال عنها هرقل كانت مذكورة عنده فى الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ثم قال قيصر ولو أعلم انى اخلص اليه أي اصل لتجشمت اي تكلفت مع المشقة لقيه (وفي رواية) لا استطيع ان افعل ان فعلت ذهب ملكى وقتلني الروم * قال الامام النووى ولا عذر له فى هذا لانه قد عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم وانما شح بالملك وطلب الرياسة وآثرها على الاسلام ولو اراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشى فانه لما اسلم مازالت عنه الرياسة قال الحافظ ابن حجر لو تفطن هرقل لقوله صلي الله عليه وسلم فى الكتاب اسلم تسلم وحمل الجزاء على عمومه فى الدنيا والآخرة واسلم لسلم من كل ما يخافه ولكن التوفيق بيد الله ثم قال هرقل ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه اي مبالغه في خدمته والتعبد له ولا اطلب منه ولاية ولا منصبا قال ابو سفيان ثم دعا قيصر بكتاب النبى صلى الله عليه وسلم فقرىء فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام

يقولون اذا امر بهم لا يصيبك الا خير يا ابا الفضل هذا والله التجلد بحر المصيبة قال كلا والله الذى حلفتم به لم يصبني الا خير بحمد الله اخبرني حجاج ان خيبر فتحها الله على يد رسوله صلى الله عليه وسلم وجرت فيها سهام الله وسهام رسول الله واصطفى رسول الله صفية بنت ملكهم حيي بن اخطب لنفسه وانه تركه عروسا بها اى وانما قال ذلك لكم ليخلص ماله والا فهو ممن اسلم فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون الا يا عباد الله انفلت عدو الله يعنون حجاجا أما والله لو علمنا لكان لنا وله شان ولم يلبثوا أن جاءهم الخبر بذلك هذا وفى الدلائل البيهقي رحمه الله لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال حجاج بن علاط يا رسول الله ان لى بمكة مالا وان لى بها اهلا وانا اريد ان آتيهم فانا فى حل ان انا نلت منك وقلت شيا فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول ما شاء فقال لامرأته حين قدم أخفى علي واجمعي ما كان عندك فاني اريد ان اشترى من غنائم محمد واصحابه فانهم قد استبيحوا واصيبت أموالهم ففشا ذلك بمكة فاشتد ذلك على المسلمين وأظهر المشركون فرحا وسرورا وبلغ العباس رضى الله تعالى عنه الخبر فقعد وجعل لا يستطيع أن يقوم فارسل العباس رضى الله تعالى عنه غلاما له الى الحجاج ويلك ما تقول فالذى وعد الله خير مما جئت به فقال حجاج يا غلام اقرأ أبا الفضل السلام وقل له فليخل بي فى بعض بيوته فانه بالخبر على ما يسره فلما بلغ العبد باب الدار قال ابشر يا ابا الفضل فوثب العباس فرحا حتى قبل ما بين عينيه فاخبره بقول حجاج فاعتقه ثم جاء حجاج فاخبره بافتتاح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وغنم اموالهم وان سهام الله قد جرت فيها وان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفى صفية بنت حيى لنفسه وخيرها بين ان يعتقها وتكون له زوجة او يلحقها باهلها فاختارت ان يعتقها وتكون له زوجة ولكن جئت لمالى ههنا ان اجمعه واذهب به وانى استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقول فاذن لى ان اقول ما شئت فاخف علي يا ابا الفضل ثلاثا ثم اذكر ما شئت قال فجمعت له امراته متاعه ولما كان بعد ثلاث اتي العباس رضى الله تعالى عنه امراة حجاج فقال ما فعل زوجك قالت ذهب وقالت لا يحزنك الله يا ابا الفضل لقد شق علينا الذى بلغك فقال اجل لا يحزنني الله فلم يكن لمحمد الا ما احب فتح الله على يد رسوله خيبر واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه فان كان لك في زوجك حاجة فالحقي به قالت اظنك والله صادقا قال فاني والله صادق والامر على ما اقول ثم ذهب حتى اتى مجلس قريش الحديث قال ولما قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم خيبر كان التمر اخضر فاكثر الصحابة من اكله فاصابتهم الحمي فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بردوا لها الماء فى الشنان اى القرب ثم صبوا عليكم منه بين اذانى الفجر واذكروا اسم الله عليه ففعلوا فذهبت عنهم وعن سلمة بن الاكوع رضى الله تعالى عنه اصابتنى ضربة يوم خيبر فقال الناس اصيب سلمة بن الاكوع فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيت منها ساعة وفى هذه الغزوة اراد صلى الله عليه وسلم ان يتبرز فقال لابن مسعود رضى الله تعالى عنه يا عبد الله انظر هل تري شيا فنظرت فاذا شجرة واحدة فاخبرته فقال لى انظر هل ترى شيا فنظرت شجرة

اي بالكلمة الداعية للاسلام وهى كلمة التوحيد اى ادعوك اليها اسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين اى لايمانك بعيسى ثم محمد عليهما الصلاة والسلام فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين اى الفلاحين في القرى * وفى رواية اثم الاكارين والاكاره والفلاح والمراد اثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون لامرك وخص هؤلاء بالذكر لانهم أسرع انقيادا من غيرهم لان الغالب الجهل عليهم والجفاء وقلة الدين والمراد عليك مع اثمك اثم رعاياك لانه اذا اسلم اسلموا واذا امتنع امتنعوا فهو متسبب فى

عدم اسلامهم ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لانعبد الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قال ابو سفيان ولما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت أصوات الذين حوله وكثر لغطهم اي اصواتهم التي لا تفهم فلا ادري ما قالوا وأمر بنا فاخرجنا ولما خرجت انا واصحابى وخلصنا قلت لهم لقد امر ابن ابى كبشه اى عظم امره هذا ملك بني الاصفر يخافه فمازلت موقنا انه سيظهر حتي ادخل الله على الاسلام اي فاظهرت ذلك اليقين * وفى رواية مازالت مرعوبا من محمد حتي اسلمت وقوله ابن ابى كبشة قيل انه جد لأمه وهب ام النبى صلى الله عليه وسلم كان يكنى ابا كبشة وجاء فى رواية ان اباسفيان قال لقيصر لما ساله هل تتهمونه بالكذب فقال لا

ولكن ساخبرك عنه ايها الملك خبرا تعرف به انه قد كذب قال وما هو قال يزعم انه خرج من ارضنا ارض الحرم فى ليلة فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا فى تلك الليلة قبل الصباح فقال بطريق اى قائد من قواد الملك كان واقفا عند رأس قيصر صدق ايها الملك اى فى انه جاء مسجدنا فنظر اليه قيصر وقال وما اعلمك بهذا قال انى كنت لا انام ليلة أبدا حتي اغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت الابواب كلها غير باب واحد غلبنى فاستعنت عليه بعمالى ومن يحضرنى فلم نستطع ان نحركه

اخرى متباعدة من صاحبتها فاخبرته فقال قل لهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركما ان تجتمعا فقلت لهما ذلك فاجتمعا فاستتر بهما ثم قام فانطلقت كل واحدة الى مكانها وفى الامتاع عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي نزلنا واديا افيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيا يستتر به فاذا بشجرتين بشاطىء الوادى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي على باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتي اتى الشجرة الاخرى فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادى على باذن الله تعالى فانقادت معه كذلك حتى كان صلى الله عليه وسلم بالمنصف مما بينهما ولام بينهما وقال التئما على باذن الله تعالى فالتامتا قال جابر رضي الله تعالى عنه فخلوت احدث نفسى فحانت مني التفاتة فاذا انا برسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا واذا الشجرتان قد افترقتا وذهب كل واحدة الى محلها الحديث ولا بعد فى تعدد الواقعة ووقع له صلى الله عليه وسلم مجيء بعض الشجر اليه قبل ان يهاجر صلى الله عليه وسلم فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم خرج الى بعض شعاب مكة وقد دخله من الغم ماشاء الله من تكذيب قومه وقولهم له اتضلل آباءك واجدادك يا محمد ومن خضبهم له بالدماء فقال يارب ارني اليوم آية اطمئن اليها ولا ابالى بمن آذاني بعدها وكان ذلك الوادى به شجر فامر ان يدعو شجرة من تلك الشجر وفى لفظ غصنا من اغصان شجرة فدعا ذلك فانتزع من مكانه وجاء اليه وسلم عليه ثم امره صلى الله عليه وسلم بالعود فعاد الى مكانه فحمد الله وطابت نفسه وعلم انه على الحق وقال لا ابالى بمن آذاني بعد هذا من قومى * اقول ووقع له صلى الله عليه وسلم اجابة الحجر ففى تفسير الفخر الرازى انه صلى الله عليه وسلم كان مع عكرمة بن ابى جهل بشط ماء فقال عكرمة للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فادع ذلك الحجر بحجر كان فى الجانب الآخر يسبح فى الماء ويجيء اليك ولا يغرق فاشار اليه صلى الله عليه وسلم فانقلع ذلك الحجر من مكانه وسبح حتي صار بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له بالرسالة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعكرمة يكفيك هذا فقال حتي يرجع الى مكانه فاشار اليه صلى الله عليه وسلم فرجع الى مكانه ولم يسلم عكرمة فى ذلك الوقت وانما سلم يوم فتح مكة والله اعلم وعند خروجه صلى الله عليه وسلم الي هذه الغزوة امر صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي من كان مضعفا او ضعيفا او مصعبا اى راكبا دابة صعبة فليرجع فرجع ناس وارتحل مع القوم رجل على بكر صعب او ناقة صعبة فنفر مركوبه فصرعه فاندقت فخذه فمات فلما جيء به الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ماشان صاحبكم فاخبروه وقال يا بلال ما كنت اذنت فى الناس من كان مصعبا اي راكبا دابة صعبة فليرجع قال بلى فابي صلى الله عليه وسلم ان يصلى عليه وامر صلى الله عليه وسلم بلالا فنادى فى الناس الجنة لا تحل لعاص ثلاثا وفيها مات شخص من الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم صلوا على صاحبكم وامتنع من الصلاة عليه فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم غل فى سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرز اليهود لا يساوى درهمين

درهمين وفيها انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من المسلمين هذا من اهل النار ولما حضر القتال قاتل الرجل قتالا اشد القتال فارتاب بعض الصحابة اى كيف يكون من اهل النار مع هذه المقاتلة الشديدة فلما كثرت الجراحات فى ذلك الرجل ووجد المها اخرج سهما من كنانته ونحر نفسه فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا بلال فاذن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة الحديث وفى رواية ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة وتقدم في غزوة احد مثل ذلك ولا بعد فى التعدد ان لم يكن من الاشتباه على الراوى (اقول) فى سيرة الحافظ الدمياطي لما فتحت خيبر واطمان الناس جعلت زينب ابنة الحرث اخي مرحب وهي امراة سلام بن مشكم تسال اى الشاة احب الى محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون الذراع قيل وانما احب صلى الله عليه وسلم الذراع لانه الهادى الشاة وابعدها من الاذى فعمدت الى عنز لها فذبحتها وصلتها ثم عمدت الى سم لا يلبث ان يقتل من ساعته فسمت الشاة واكثرت فى الذراعين والكتف فلما غابت الشمس وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب بالناس انصرف وهي جالسة عند رحله فسال عنها فقالت يا ابا القاسم هدية اهديتها لك فامر بها صلى الله عليه وسلم فاخذت منها ووضعت بين يديه صلى الله عليه وسلم واصحابه حضور او من حضر منهم وفيهم بشر بن البراء بن معرور فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادنوا فاقعدوا وتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذراع فانتهش منه فلما ازدرد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقمة ازدرد بشر ما فى فيه واكل القوم منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم فان هذه الذراع او الكتف تخبرني انها مسمومة فقال بشر والذي اكرمك لقد وجدت ذلك فى اكلتى اى لقمتى التى اكلت فما منعني ان الفظها الا انى انفس عليك طعامك فلما اكلت ما فى فيك لم ارغب بنفسى عن نفسك ورجوت ان لا تكون ازدردتها فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان اى اسود وماطله وجعه سنة لا يتحول الا ما حول ثم مات وقال بعضهم فلم يقم بشر من مكانه حتى توفى اى والمتبادر من المكان مكان الاكل وربما يدل له عدم ذكر بشر فى الحجامة وطرح منها الكلب فمات اه اى فلم ياكل الا بشر رضى الله تعالى عنه وحينئذ يكون المراد بقوله واكل القوم منها اى ارادوا الاكل اى ووضعوا ايديهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم ويدل له ما ياتي عن الامتاع وفى الاصل انها اهدتها لصفية رضي الله تعالى عنها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفية ومعه بشر بن البراء بن معرور فقدمت اليهما تلك الشاة فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتف وفى رواية الذراع فانتهش منه قطعة فلاكها ثم القاها اى ولم يبتلعها اى وانتهش من الشاة بشر قطعة فابتلعها ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تناول شىء منها وقال ان كتف هذه الشاة تخبرني اني نعيت فيها فقال بشر والذي اكرمك لقد وجدت ذلك فيما اكلته فما منعني من لفظه الا انى اعظمت ان انغصك طعاما فلم يقم بشر رضي الله تعالى عنه من مكانه حتى كان لا يتحول

كانما نزل جبلا فدعوت النجارين فنظروا اليه وقالوا والله لا نستطيع ان نحركه حتى نصبح فلما أصبحت جئت المسجد فاذا الحجر الذى فى زاويته مثقوب واذا فيه مربط الدابة فقلت لاصحابى ما حبس هذا الباب الليلة الا لهذا الامر فقال قيصر لقومه يا قوم ألستم تعلمون ان بين يدى الساعة نبيا بشركم به عيسى بن مريم ترجون أن يجعله فيكم قالوا بلى قال فان الله قد جعله فى غيركم وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء ثم أمر بانزال دحية واكرامه وجاء فى رواية ان ابن اخي قيصر أظهر الغيظ الشديد وقال لعمه ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم الف ه يعني الكتاب فقال له والله انك لضعيف الرأى أترى ارمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر هو أحق ان يبدأ بنفسه ولقد صدق انا صاحب الروم والله مالكي ومالكه وفي لفظ ان أخا قيصر لما سمع الترجمان يقرأ من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ضرب في صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الكتاب من يده واراد ان يقطعه فقال قيصر ماشانك فقال تنظر فى كتاب رجل بدا بنفسه قبلك وسماك قيصر صاحب الروم وما ذكر ملك الروم فقال له قيصر انك احمق صغير أو مجنون كبير اتريد ان امزق كتابا قبل ان انظر ما فيه ولعمري لئن كان رسول الله كما يقول فنفسه احق ان يبدأ بها مني ولئن سماني صاحب الروم فلقد صدق ما انا الا صاحبهم ولا املكهم ولكن الله سخرهم لى ولو شاء لسلطهم على كما سلط فارس على كسرى فقتلوه ولما جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر عن قيصر قال ثبت ملكه * وفى رواية سيكون لهم بقية وقد صدق الله ورسوله صلي الله عليه وسلم فقد ذكر الحافظ بن حجر ان الملك المنصور قلاوون ارسل بعض امرائه الى ملك المغرب بهدية فارسل ملك المغرب الى ملك الفرنج فى شفاعة فقبله واكرمه وقال له لا تحافنك بتحفة سنية ثم اخرج صندوقا مصفحا بالذهب واخرج منه قصبة من الذهب فاخرج منها كتابا قد زالت اكثر حروفه وقد التصق عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدى قيصر

مارلما يتوارثه الى الآن وذكرنا آباؤنا عن آبائهم انه مازال هذا الكتاب عندنا لا يزول الملك عنا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه من النصارى ليدوم الملك فينا ولا ينافيه ما صح عنه صلى الله عليه وسلم اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لان المراد اذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه أحد وكان كذلك وملكه لم يبق الا ببلاد الروم * يروى ان قيصر لما ظهر على الفرس واخرجهم من بلاده نذر ان ياتي بيت المقدس ماشيا شكرا لله فلما أراد الذهاب الى بيت المقدس ماشيا بسطت له البسط وطرح عليها الرياحين ولازال يمشي على ذلك حتى وصل الى بيت المقدس فلما رجع الى حمص كان له فيها قصر عظيم فاغلق ابوابه وامر مناديا ينادي الا ان هرقل قد آمن بمحمد واتبعه فدخلت الاجناد في سلاحها وطافت بقصره تريد قتله فارسل اليهم اني اردت ان اختبر صلابتكم في دينكم فقد رضيت فرضوا عنه والذي في البخاري ان قيصر لما سار الى حمص اذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم امر بابوابها فغلقت ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد اغلقت وقالوا له اتدعونا ان نترك النصرانية ونصير عبيدا لاعرابي فلما راى نفرتهم وايس من ايمانهم قال ردوهم علي وقال اني قلت مقالتي اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رايت فسجدوا له ورضوا عنه وعند ذلك كتب كتابا وارسله مع دحية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقول فيه اني مسلم ولكني مغلوب وارسل بهدية فلما قرا صلى الله عليه وسلم الكتاب قال كذب عدو الله ليس بمسلم وقبل هديته وقسمها بين المسلمين وفي صحيح ابن حبان عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب اليه ايضا من تبوك يدعوه وانه قارب الاجابة ولم يجب والله سبحانه وتعالى اعلم ﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى ملك فارس﴾ كتب اليه صلى الله عليه وسلم كتابا

الا ان حول والى هذا أشار الامام السبكي في تائيته بقوله رحمه الله

وأحييت عضو الشاة بعد مماتها * فجاء بنطق موضح النصيحة
وقال رسول الله لا تك آكلي * فزينب سامتني الهوان وسمت

وهذا يؤيد القول بان كلام نحو الجماد يكون بعد ان يخلق فيه الحياة ومذهب الاشعري رحمه الله أن الله يخلق في نحو الجماد حروفا وصوتا يحدث ذلك فيه اي وليس من لازم ذلك وجود الحياة واحتجم رسول الله ﷺ على كاهلته أي حجمه ابو طيبة مولى بني بياضة وقيل ابو هند وهو مولى بني بياضة أيضا أي وامر اصحابه فاحتجموا اوساط رؤسهم أي وهم كانوا الاتباع ثلاثة نفر وضعوا أيديهم في الطعام ولم يصيبوا منه شيئا وفيه انه لا معنى لاحتجام اصحابه اذا لم ياكلوا شيئا ومن ثم قال في سفر السعادة واحتجم ﷺ بين الكتفين في ثلاثة مواضع وامر من اكل أي من اراد ان ياكل معه بذلك الان يقال مجرد وضع اليد يسري بسببه السم الى باقي الجسد وقال صلى الله عليه وسلم الحجامة في الرأس هي المعينة امرني بها جبريل عليه السلام حين أكلت طعام اليهودية وقد احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير هذه الواقعة مرارا في محال مختلفة فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم احتجم على الاخدعين مرتين واحتجم وسط رأسه الشريف وكان يسميها منقذة أي وذلك لما سحر ففي سفر السعادة لما سحره اليهودي ووصل المرض الى الذات المقدسة النبوية امر صلى الله عليه وسلم بالحجامة على قبة رأسه المباركة واستعمال الحجامة في كل متضرر بالسحر غاية الحكمة ونهاية حسن المعالجة ومن لا حظ له في الدين والايمان يستشكل هذا العلاج هذا كلامه ودخل عليه صلى الله عليه وسلم الاقرع بن حابس وهو يحتجم في القمحدوة فقال يا ابن ابي كبشة لم احتجمت وسط رأسك فقال يا ابن حابس ان فيها شفاء من وجع الرأس والاضراس والنعاس والجنون أي وفي الحديث الحجامة في الراس شفاء من سبع من الجنون والصداع والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها في عينيه وفي الحديث اجتنبوا الحجامة يوم الجمعة والسبت والاحد وفي بعض الروايات يوم الاحد شفاء ويحتاج للجمع وجاء النهي عن الحجامة يوم الثلاثاء اشد النهي وقال فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم وفي حديث بعض رواته واهي الحديث احتجم صلى الله عليه وسلم ثلاثا في النقرة والكاهل ووسط الرأس وسمى احدة الدافعة والاخرى المعينة والاخرى المنقذة وقال ﷺ خير ما تداويتم به الحجامة وما مررت ليلة اسري بي بملا من الملائكة الا قالوا يا محمد مر امتك بالحجامة قال في الهدى والحجامة في البلاد الحارة انفع من الفصد والاولى ان تكون في الربع الثالث من الشهر لانه وقت هيجان الدم وعن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين كانت شفاء من كل داء والحجامة على الريق دواء وعلى الشبع داء وتكره في الاربعاء والسبت قيل ويوم الجمعة وفي الحديث من احتجم يوم الاربعاء والسبت وحصل له برص لا يلومن الا نفسه وجاء امره ﷺ باجتناب الحجامة يوم الاربعاء فانه اليوم الذي اصيب فيه ايوب عليه السلام بالبلاء

ومايبدو جذام ولا برص الا يوم الاربعاء وليلة الاربعاء ثم أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تلك اليهودية فقال أسممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتني هذه التي في يدي وهي الذراع قالت نعم قال ماحملك على ماصنعت قالت بلغت من قومي مالا يخفى عليك أي وفي لفظ قتلت أبي وعمي وزوجي ونلت من قومي مانلت فقلت ان كان ملكا استرحنا منه وان كان نبيا فسيخبر فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ذلك يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

ثم سمت له اليهودية الشا * ة وكم سام الشقوة الاشقياء
فاذاع الذراع مافيه من سم * بنطق اخفاؤه ابداء
وبخلق من النبي كريم * لم تقاصص بجرحها العجماء

أي ثم جعلت اليهودية السم القاتل لوقته في الشاة ومرات كثيرة يطلب الشقوة ويتحلى بها الاشقياء الذين لا خلاق لهم فاخبر ذلك الذراع النبي صلى الله عليه وسلم بالنطق بما فيه من السم اخفاء ذلك النطق عن الحاضرين ابداء واظهار له صلى الله عليه وسلم وبسبب ماتحلى به صلى الله عليه وسلم من كمال الحلم والعفو لم يقاصص تلك المرأة بجرحها أي بجرح سمها لان السم يجرح الباطن كما يجرح الحديد الظاهر فلما مات بشر رضي الله تعالى عنه أمر بها فقتلت أي وقيل وصلبت كما في ابي داود وعبارة السهيلي رحمه الله وقد روى ابو داود أنه قتلها ووقع في كتاب شرف المصطفى انه قتلها وصلبها هذا كلامه وقيل انما تركها لانها أسلمت فالعفو عنها أي عدم مؤاخذتها كان قبل أن يموت بشر رضي الله تعالى عنه فلما مات بشر دفعها صلى الله عليه وسلم الى أولياء بشر فقتلوها وفي الامتاع واختلفت الآثار في قتلها ففي صحيح مسلم انه لم يقتلها وقال ابن اسحق أجمع اهل الحديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها وقد علمت انه لا مخالفة لكن قتلها مشكل على ماعليه ائمتنا معاشر الشافعية من ان من ضيف بمسموم ويقتل غالبا فمات كان شبه عمد لا قود فيه وفي كلام بعضهم انها قالت قد استبان لي الآن انك صادق واني اشهدك ومن حضر أني على دينك وان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فانصرف عنها حين أسلمت كذا في جامع معمر عن الزهري انها أسلمت قال معمر هكذا قال الزهري انها اسلمت والناس يقولون قتلها وانها لم تسلم وامر صلى الله عليه وسلم بتلك الشاة فاحرقت * وفي رواية انه بعد سؤال اليهودية واعترافها بسط صلى الله عليه وسلم يده الى الشاة وقال لاصحابه كلوا باسم الله فاكلوا وقد سموا الله فلم يضر ذلك احدا منهم قال ابن كثير وفيه نكارة وغرابة شديدة هذا كلامه ويذكر ان أخت بشر بن البراء دخلت عليه صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فقال لها هذا أوان انقطاع ابهري من الاكلة التي اكلت مع اخيك بخيبر والابهر العرق المتعلق بالقلب وقد قسم صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر فاعطي الراجل سهما والفارس ثلاثة اسهم بعد ان خمسها خمسة اجزاء ومن جملة من اعطاه صلى الله عليه وسلم ابو سبيعة بن المطلب بن عبد مناف واسمه علقمة ولم يقسم صلى الله عليه وسلم لمن غاب من اهل الحديبية الا لجابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ورضخ صلى الله عليه وسلم للنساء أي وكن عشرين امرأة فيهن صفية عمته صلى الله عليه وسلم وام سليم وام

وبعث به مع عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه لانه كان يتردد على كسرى كثيرا وفي الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فاني أنا رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان أبيت فعليك اثم المجوس أي الذين هم أتباعك قال عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فاتيت الى (٦٥) بابه وطلبت الاذن عليه حتى وصلت اليه فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرىء عليه فاخذه فمزقه * وفي رواية ان كسرى لما أعلم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لحامل الكتاب ان يدخل عليه فلما وصل أمر كسرى ان يقبض منه الكتاب فقال لا حتى ادفعه اليه كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كسرى ادنه فدنا فناوله الكتاب فدعا من يقرؤه فقرأه فاذا فيه من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس فاغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح ومزق الكتاب قبل ان يعلم مافيه وأمر باخراج حامل ذلك الكتاب فاخرج فلما رأى ذلك قعد على راحلته وسار فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث يطلب حامل الكتاب فلم يجده فلما وصل اليه صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر قال صلى الله عليه وسلم مزق ملك كسرى * وفي رواية مزق الله ملكه * وفي رواية اللهم مزق ملكه كل ممزق وكتب كسرى الى اميره باليمن يقال له باذان انه بلغني ان رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبي فسر اليه فاستتبه فان تاب والا فابعث الي برأسه يكتب الي بهذا الكتاب اي الذي بدأ فيه بنفسه وهو عبدي * وفي رواية قال له ان لم تكفني رجلا خرج بارضك يدعوني الى دينه والا فعلت فيك كذا يتوعده فابعث اليه رجلين جلدين فليأتيا به فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبي صلى الله عليه وسلم مع قهرمانه وبعث معه

رجلا آخر من الفرس وبعثهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامره أن ينصرف معهما الى كسرى فخرجا وقدما الطائف فوجدا رجلا من قريش فى أرض الطائف فسألوه عنه فقال هو بالمدينة فلما قدما عليه المدينة قالا له شاهنشاه (ملك الملوك) كسرى بعث الى الملك باذان أن يبعث اليك من يأتي بك وقد بعثنا اليك فان أبيت أهلكك وأهلك قومك وخرب بلادك (٦٦) وكانا على زي الفرس من حلق لحاهم واعفاء شواربهم فكره صلى الله عليه وسلم النظر اليهم ثم قال لهما ويلكما من امركما بهذا قال امرنا ربنا يعنيان كسرى فقال صلى الله عليه وسلم ولكن ربي امرني باعفاء لحيتي وقص شاربي ثم قال لهما ارجعا حتى تاتياني غدا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بان الله سلط على كسرى ابنه فقتله في شهر كذا في ليلة كذا اي ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الاولى سنة سبع فلما كان الغد دعاهما واخبرهما الخبر وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى باذان ان الله قد وعدني ان يقتل كسري يوم كذا في شهر كذا فلما أتى باذان الكتاب توقف قال ان كان نبيا فسيكون ماقال فقتل الله كسرى فى اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على يد ولده شيرويه فقيل قتله ليلا بعد ما مضى من الليل سبع ساعات فيكون المراد باليوم في هذه الرواية مجرد الوقت * وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لرسول باذان اذهب الى صاحبك وقل له ان ربى قد قتل ربك الليلة ثم جاء الخبر بان كسري قتل تلك الليلة فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فلما جاءه صلى الله عليه وسلم هلاك كسرى قال لعن الله كسرى اول الناس هلاكا فارس ثم العرب وعن جابر بن سمرة رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لتفتحن عصابة من المسلمين اومن المؤمنين اورهط من امتي كنوز كسرى التي في القصر الابيض فكنت انا وابى فيهم واصبنا من

عطية الانصارية وعن بعضهم قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقلت يارسول الله قد أردن الخروج معك نعين المسلمين مااستطعنا فقال على بركة الله قالت فخرجنا معه فلما افتتح خيبر رضخ لنا وأخذ هذه القلادة ووضعها في عنقى فوالله لاتفارقنى أبدا وأوصت انها تدفن معها اراد في السيرة الهشامية انها قالت وكنت جارية حديثة السن فاردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله قالت فلما كان الصبح وأناخ راحلته ونزلت عن حقيبة رحله واذا بها دم مني وكانت اول حيضة حضتها قالت فتقبضت الى الناقة واستحييت فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حالي قال مالك لعلك نفست قالت قلت نعم قال فاصلحي من نفسك ثم خذي اناء من ماء فاطرحي فيه ملحا ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم ثم عودي لمركبك قالت فكنت لا اطهر من حيضة الا جعلت في طهوري ملحا وأوصت ان يجعل ذلك في غسلها حين ماتت ثم دفع صلى الله عليه وسلم لاهل خيبر الارض لما قالوا له صلى الله عليه وسلم نحن أعلم بها منكم وأعمرها بشطر مايخرج منها من تمر أوزرع وقال لهم على انا اذا شئنا ان نخرجكم أخرجناكم اي وهذا يخالف ماعليه ائمتنا من انه لايجوز في عقد الجزية ان يقول الامام أو نائبه أقركم ماشئنا بخلاف ماشئتم لانه تصريح بمقتضى العقد لان لهم نبذ العقد ماشاؤا وذكر أئمتنا انه يجوز منه صلى الله عليه وسلم لامنا ان يقول أقرركم ماشاء الله لانه يعلم مشيئة الله دوننا والشطر في هذا ظاهر في النصف ولم أقف على تعيينه في رواية وكان صلى الله عليه وسلم يرسل الى أهل خيبر عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنه خارصا قيل انما خرص عليهم عبد الله عاما واحدا ثم مات وهذا يخالفه قول بعضهم كان عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه يأتيهم كل عام يخرصها عليهم أي الثمار عليهم ثم يضمنهم الشطر فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة خرصه وأرادوا ان يرشوه فقال يااعداء الله تطعموني السحت والله لقد جئتكم من عند أحب الناس الى ولانتم ابغض الي من القردة والخنازير ولايحملني بغضي اياكم وحبي إياه على ان لا اعدل فقالوا بهذا قامت السموات والارض وكان يخرص عليهم بعده جبار بن صخر وكان خارصا لاهل المدينة * أقول أى ساقاهم على النخل وزارعهم على الارض هكذا استدل بذلك ائمتنا على ماذكر أى على جواز المساقاة وجواز المزارعة تبعا لها ويكون ذلك مخصصا للنهى عن المزارعة اي مالم تكن تبعا للمساقاة وهو لايتم الا ان كانت ارض خيبر جميعها بين النخل بحيث يعسر سقيها بدون النخل وانه صلى الله عليه وسلم دفع لهم بذرا لان في المزارعة يجب ان يكون البذر من المالك لامن العامل ولم أقف في شيء من الطرق على انه صلى الله عليه وسلم دفع لهم بذرا بل ظاهر الروايات يدل على ان البذر منهم وصرحت به رواية مسلم ويبعد أن تكون اراضى خيبر كلها كانت بين النخل بحيث يعسر سقيها بدون النخل وحينئذ يكون الواقع في خيبر انما هي المخابرة وهي المعاملة على الارض ببعض مايخرج منها والبذر من العامل وهي باطلة عندنا بل قيل عند المذاهب الاربعة ولو تبعا للمساقاة والله اعلم ثم ان الصديق رضي الله تعالى عنه اقرهم بعده صلى الله عليه وسلم ثم اقرهم عمر رضى الله تعالى عنه الى ان

خرج

ذلك ألف درهم وقدم على باذان كتاب شيرويه فيه أما بعد فقد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضبا لفارس فانه قتل أشرافهم فتفرق الناس فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب اليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه فبعث باذان باسلامه واسلام من معه الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك الله المسلمين ملك كسري وخزائنهم وأموالهم في خلافة عمر رضي الله عنه ومزقهم الله كل ممزق تحقيقا لدعوته صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للنجاشي ملك الحبشة ﴾

بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمرى رضى الله عنه الى النجاشي سنة ست وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة سلم انت اى انت سالم لان السلم ياتي بمعني السلامة فاني احمد اليك الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن واشهد ان عيسي بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الي مريم البتول أى المنقطعة عن الرجال التى لا شهوة لها فيهم أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها الطيبة الحصينة حملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وأنى أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وان تتبعني وتؤمن بالذى جاءني فانى رسول الله وانى ادعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى * فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم اسلم ودعا بحق من عاج وهو عظم الفيل فجعل فيه كتاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين اظهرهم * وفي رواية انه صلي الله عليه وسلم ارسل الى النجاشي مع عمرو بن امية كتابين يدعوه في احدهما الى الاسلام وفي الآخر يامره ان يزوجه ام حبيبة فاخذ الكتابين ووضعهما على رأسه وعينيه ونزل عن سريره

خرج ولده عبد الله رضي الله تعالي عنهما في خلافة أبيه الى خيبر فعدى عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه فقام عمر رضى الله تعالي عنه خطيبا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل اهل خيبر على أموالهم أى ارضهم ونخيلهم وقال لهم نقركم على ما أقركم الله وان عبد الله بن عمر خرج الى ماله هناك فعدى عليه من الليل ففدعت يداه ورجلاه وليس لنا هناك عدو غيرهم وقد رأيت أجلاءهم أى ووافقه الصحابة على ذلك فان عمر رضى الله تعالي عنه قام خطيبا فى الناس فحمد الله واثني عليه ثم قال أيها الناس ان يهود فعلوا بعبد الله بن عمر ما فعلوا وفعلوا بمظهر بن رافع ما فعلوا مع عدوهم على عبد الله ابن سهيل فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أشك أنهم أصحابه وانا اريد ان اجلو يهود فان رسول الله ﷺ قال أقركم ما أقركم الله وقد اذن الله فى اجلائهم فقام طلحة بن عبد الله فقال قد والله احسنت يا أمير المؤمنين ووفقت فهم اهل سوء فقال عمر رضى الله تعالى عنه من معك على مثل رأيك قال المهاجرون جميعا والانصار فسر بذلك عمر رضى الله تعالى عنه وقوله وفعلوا بمظهر ما فعلوا أى لان مظهر بن رافع قدم خيبر باعلاج من الشام عشرة عبيد له ليعملوا له بارضه فاقام بخيبر ثلاثة أيام فقال لهم رجل من يهود انتم نصارى ونحن يهود وهذا سيدكم من قوم عرب قهروكم بالسيف وانتم عشرة رجال رجل واحد يسوقكم الى الجهد والبؤس وتكونون في رق شديد فاذا خرجتم من قريتنا فاقتلوه فقالوا له ليس معنا سلاح فدست اليهود لهم سكينتين أو ثلاثة فلما خرجوا من خيبر أقبلوا على مظهر فكانوا بينهم فخرج مظهر يعدو الى سيفه وكان فى مؤخرة على راحلته فادركوه قبل الوصول اليه وبعجوا بطنه ثم انصرفوا سراعا حتى دخلوا خيبر على يهود فآووهم وزودوهم الى الشام وجاء عمر رضى الله تعالى عنه الخبر بقتل مظهر وما صنعت به يهود وقوله مع عدوهم على عبد الله بن سهيل أى فانه وجد قتيلا في خيبر لاهل حصن الشق فسالهم أخوه محيصة فقالوا له لا والله ما لنا به من علم قال فجئت انا واخي عبد الرحمن واخي حويصة وهو اكبرنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد اخى عبد الرحمن يتكلم وهو اصغرنا فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم كبر كبر فسكت فاردت ان اتكلم فقال كبر كبر فسكت فتكلم أخي حويصة وذكر ان اليهود تهمتنا وظنتنا فقال ﷺ اما ان يدوا صاحبكم واما ان يأذن بحرب وكتب صلي الله عليه وسلم اليهم فى ذلك وكتبوا اليه ما قتلناه وقال صلي الله عليه وسلم لي ولاخوي تحلفون خمسين يمينا وتستحقون دم صاحبكم فقلنا يا رسول الله لم نحضر ولم نشهد قال فتحلف لكم يهود قلنا يا رسول الله ليسوا بمسلمين فواداه رسول الله صلي الله عليه وسلم من عنده بمائة ناقة خمس وعشرين جذعة وخمس وعشرين حقة وخمس وعشرين ابنة لبون وخمس وعشرين بنت مخاض وعن ابن المسيب رحمه الله كانت القسامة فى الجاهلية ثم اقرها صلى الله عليه وسلم فى الاسلام في الانصاري الذى وجد قتيلا في جب من جباب يهود فلما اجمع الصحابة على ذلك أي على ما اراده سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه جاء احد بنى الحقيق فقال يا امير المؤمنين اتخرجنا وقد اقرنا محمد صلى الله عليه وسلم وعاملنا على اموالنا وشرط ذلك لنا فقال له عمر رضى الله تعالى عنه اظننت

تواضعا ثم اسلم وشهد شهادة الحق وكتب الجواب للنبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة السلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا اله الا هو الذي هداني للاسلام اما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من امر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى لا يزيد على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعث به الينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه يعني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المسلمين فاشهد انك رسول صادق مصدق وقد

بايعتك وبايعت ابن عمك اى جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه واسلمت على يده لله رب العالمين * وفي روايه وقد بعثت اليك يا نبي الله وان شئت اتيتك بنفسي والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم انه ارسل ابنه في ستين نفسا في اثر من ارسلهم مع جعفر بن ابي طالب عند خروجه من عنده فلما كانوا في وسط البحر غرق ابنه والستون الذين معه ووافى جعفر واصحابه وكانوا سبعين وعند وصول كتابه قال النبي صلى الله عليه وسلم اتركوا الحبشة ما تركوكم * وفي رواية ان عمرو بن امية قال للنجاشي عند اعطائه الكتاب يا أصحمة ان على القول وعليك الاستماع كانك منا اي في الرقة علينا وكانا منك اى في الثقة بك لانا لم نظن بك خيرا قط الا نلناه ولم نخفك على شر قط الا امناه وقد اخذنا الحجة

أبي نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لك كيف بك اذا أخرجت من خيبر يعدو بك قلوصك ليلة بعد ليلة فقال هذه كانت هزيلة من أبي القاسم فقال كذبت يا عدو الله ثم بلغه رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبقى دينان في جزيرة العرب وقوله لاخرجن اليهود والنصارى وفي لفظ المشركين من جزيرة العرب وفي رواية آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم أخرجوا اليهود من الحجاز وفي لفظ ان عشت أخرجت اليهود والنصارى من الحجاز أي وهو مكة والمدينة واليمامة وطرقها وقراها كالطائف لمكة وخيبر للمدينة والمراد بجزيرة العرب الحجاز المشتمل عليه أى فالمراد بجزيرة العرب بعضها وهو الحجاز خاصة لان عمر لما اجلاهم ذهب بعضهم الى تيما وبعضهم الى اريحا وتيما من جزيرة العرب لكنها ليست من الحجاز وقيل له حجاز لانه حجز بين نجد وتهامة ففحص عمر رضي الله عنه عن ذلك حتى تيقنه وثلج صدره فاجلى يهود خيبر أي وأعطاهم قيمة ما كان لهم من ثمر وغيره واجلى يهود فدك ونصارى نجران ولا يجوز اقامتهم بذلك أكثر من ثلاثة أيام غير يومى الدخول والخروج ولم يخرج يهود وادى القرى وتيما لانهما من ارض الشام لامن الحجاز ثم ركب في المهاجرين والانصار وخرج معه جبار بن صخر ويزيد بن ثابت فقسما خيبر على أصحاب السهمان التى كانت عليها كما قسمت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر اصاب حمارا اسود فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد ابن شهاب اخرج الله من نسل جدى ستين حمارا كلهم لا يركبهم الا نبي وقد كنت أتوقعك لتركبني ولم يبق من نسل جدى غيرى ولم يبق من الانبياء غيرك قد كنت لرجل يهودي فكنت أتعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب ظهرى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فانت يعفور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه الى باب الرجل فيأتى الباب فيقرعه برأسه فاذا خرج صاحب الدار اوما اليه ان اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى نفسه في بئر جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات قال ابن حبان هذا خبر لا اصل له واسناده ليس بشي وقال ابن الجوزى لعن الله واضعه فانه لم يقصد الا القدح في الاسلام والاستهزاء به وقد قال شيخنا العماد بن كثير هذا شي باطل لا أصل له من طريق صحيح ولا ضعيف وسألت شيخنا المزي رحمه الله فقال ليس له أصل وهو ضحكة وقد أودعه كتبهم جماعة منهم القاضي عياض في الشفاء والسهيلي في روضه وكان الاولى ترك ذكره ووافقه على ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وغفر لنا وله وللمسلمين

﴿ غزوة وادى القري ﴾

ثم عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من خيبر أتي وادى القرى وأهله يهود فدعاهم صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فامتنعوا من ذلك وقالوا أي برز رجل منهم فقتله الزبير رضى الله تعالى عنه فبرز آخر فقتله علي كرم الله وجهه ثم برز آخر فقتله ابو دجانة رضى الله تعالي عنه فقاتلهم المسلمون الى الماء

عليك من قبل الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك توقع الحد واصابة المفصل وقتل والافات في هذا النبي الامي كاليهود في عيسى بن مريم وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم رسله الى الناس فرجاك لما يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشي أشهد بالله انه النبي الذى ينتظره أهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وانه ليس الخبر كالعيان ولكن اعواني من الحبشة قليل فانظرني حتى اكثر الاعوان والين

القلوب * وفي رواية ولو أستطيع أن آتيه لاتيته وتوفي النجاشي سنة تسع وقيل سنة ثمان وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهذا النجاشي هو الذي أسلم وأكرم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأما النجاشي الذي ولي الامر بعده فكان كافرا لم يعرف اسلامه ولا اسمه وجاء في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم كتب له حين كتب لقيصر وكسرى يدعوه الى الاسلام فقد روى البيهقي عن ابن اسحق قال هذا كتاب من النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي (٦٩) عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله فاني رسوله فاسلم تسلم يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فان أبيت فعليك اثم النصارى من قومك قال في المواهب وقد خلط بعضهم فلم يميز بينهما أي بين النجاشيين وظنهما واحدا في صحيح مسلم ما يدل على أنهما اثنان فان فيه عن قتادة عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى والى قيصر والى النجاشي والى كل جبار يدعوهم الى الله وليس بالنجاشي الذي صلى عليه والله سبحانه وتعالى أعلم

* ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمقوقس ومعناه المطول البناء وهو لقب لكل من ملك القبط وهم اهل مصر والاسكندرية وليسوا من بني اسرائيل بعث صلى الله عليه وسلم حاطب بن ابي بلتعة اللخمي رضي الله عنه الى المقوقس وذلك انه صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية قال ايها الناس ايكم ينطلق بكتابي هذا الى صاحب مصر واجره على الله فوثب اليه حاطب وقال انا يا رسول الله قال بارك الله فيك يا حاطب قال حاطب فاخذت الكتاب وودعته صلى الله عليه وسلم وسرت الى منزلي وشددت على راحلتي وودعت اهلي وسرت

وقتل منهم أحد عشر رجلا ففتحها رسول الله صلى الله عليه وسلم عنوة وغنمه الله أموال أهلها وأصاب المسلمون منهم أثاثا ومتاعا فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك الارض والنخيل في أيدي أهلها أي من بقي منهم وعاملهم على نحو ما عامل عليه اهل خيبر وفي لفظ ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهود وترك في أيديهم أراضي وادي القرى والبساتين والحدائق يعملون فيها ويأخذون الاجرة وقيل حاصرهم ليالي ثم انصرف راجعا الى المدينة فعلى الاول تضم للغزوات التي وقع فيها القتال ولما بلغ أهل تيماء ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل خيبر وفدك ووادي القرى صالحوه صلى الله عليه وسلم على الجزية فاقاموا ببلادهم وأرضهم في أيديهم قال وقتل عبده صلى الله عليه وسلم الاسود الذي كان يرحل لرسول الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يحط رحله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم فقتله فقال الناس هنيئا له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي أخذها من خيبر من الغنائم قبل أن تقسم تشتعل عليه نارا انتهى ولما قرب من المدينة سار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليلة فلما كان قبيل الصبح نزل وعرس وقال الا رجلا حافظا لعينه يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام فقال بلال رضي الله تعالى عنه أنا يا رسول الله احفظه عليك وفي لفظ قال يا بلال اكلأ لنا الليل فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقام بلال رضي الله تعالى عنه يصلي ما شاء الله ثم استند الى بعيره واستقبل الفجر يرمقه فغلبته عينه فنام فلم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم حتى ضربتهم الشمس وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعت يا بلال قال يا رسول الله أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك قال صدقت أي وتبسم صلى الله عليه وسلم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم التفت الى ابي بكر الصديق وقال له ان الشيطان اتى بلالا وهو قائم يصلي فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فاخبر بلال رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم الصديق فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه اشهد انك رسول الله ثم سار صلى الله عليه وسلم بالناس يقود بعيره غير كثير ثم اناخ وتوضأ وتوضأ الناس وامر بلالا فاقام الصلاة وفي رواية فاقتادوا رواحلهم وفي رواية فاستيقظ القوم وقد فزعوا فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يركبوا حتى يخرجوا من ذلك الوادي وقال هذا واد به شيطان فركبوا حتى خرجوا من ذلك الوادي الحديث فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا نسيتم الصلاة فصلوها اذا ذكرتموها فان الله تعالى يقول وأقم الصلاة لذكرى وفي رواية ان الله قبض ارواحنا ولو شاء ردها الينا في حين غير هذا فاذا رقد احدكم عن الصلاة او نسيها ثم فزع اليها فليصلها في وقتها اي وقيل ان ذلك كان في مرجعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية وقيل في مرجعه من حنين وقيل في مرجعه من تبوك قال في الامتاع وهذا لا يصح لان الآثار الصحاح على خلافه اي دالة على ان ذلك كان في رجوعه صلى الله عليه وسلم من وادي القرى وقد يقال لا مانع من التعدد ويدل للقول بان ذلك كان في مرجعه من الحديبية

* وفي رواية أنه أرسل مع حاطب جبرا مولى أبي رهم الغفاري والكتاب مع حاطب وفيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله
* وفي رواية عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم
وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط أي الذين هم رعاياك ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ثم ان

حاطبا رضي الله عنه صار بالكتاب حتى قدم على المقوقس بالاسكندرية بعد ان ذهب الى مصر ولم يجده فذهب الى الاسكندرية فاخبر أنه في مجلس مشرف على البحر فركب حاطب سفينة وحاذى مجلسه واشار بالكتاب اليه ولما رآه امر باحضاره بين يديه فلما جيء به اليه نظر الى الكتاب وفضه وقرأه وقال لحاطب ما منعه ان كان نبيا ان يدعوا على من خالفه من قومه وأخرجه من بلده الى غيرها فقال له حاطب ألست تشهد ان عيسى ابن مريم رسول الله فماله حيث آذاه قومه وأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهم بان يهلكهم الله حتى رفعه اليه قال أحسنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال له حاطب انه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الاعلى يعني فرعون فاخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك

ولا يعتبر بك غيرك ان هذا النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبي أدرك قوما فهم أمته فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن أدرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به فقال اني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب

ما جاء عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وفي رواية لما انصرفنا من غزوة الحديبية قال النبي صلى الله عليه وسلم من يحرسنا الليلة فقلت أنا يا رسول الله قال انك تنام ثم أعاد من يحرسنا الليلة فقلت أنا حتى أعاد ذلك مرارا وأقول أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت قال فحرستهم حتى اذا كان وجه الصبح ادركني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انك تنام فنمت فما أيقظنا الا حر الشمس في ظهورنا وسيأتي في تبوك عن الحافظ ابن حجر اختلاف العلماء في التعدد وكان بين الحديبية وعمرة القضاء اسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي وعثمان ابن طلحة الحجبي رضي الله تعالى عنهم وقيل كان بعد عمرة القضاء ويشهد له ما جاء عن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه انه قال لما اراد الله عز وجل ما اراد بي من الخير قذف في قلبي الاسلام وحضرني رشدي وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم فليس موطن اشهده الا انصرف وانا ارى في نفسي اني موضع في غير شيء وان محمدا صلى الله عليه وسلم سيظهر فلما جاء صلى الله عليه وسلم لعمرة القضية تغيبت ولم اشهد دخوله فكان اخي الوليد بن الوليد دخل معه صلى الله عليه وسلم فطلبني فلم يجدني فكتب الى كتابا فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فاني لم ار اعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وقلة عقلك ومثل الاسلام يجهله احد وقد سألني عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اين خالد فقلت يأتي الله به فقال ما مثله يجهل الاسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخي ما فاتك فقد فاتتك مواطن صالحة فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادني رغبة في الاسلام وسرتني مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت في المنام كأني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة فلما اجتمعنا للخروج الى المدينة لقيت صفوان فقلت يا أبا وهب أما ترى محمدا صلى الله عليه وسلم ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه فاتبعناه فان شرفه شرف لنا قال لو لم يبق غيري ما اتبعته أبدا فافترقنا وقلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر ولقيت عكرمة بن ابي جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذي قال صفوان قلت فاكتم ذكر ما قلت لك قال لا أذكره ثم لقيت عثمان ابن طلحة أي الحجبي قلت هذا لي صديق فاردت أن اذكر له ثم ذكرت من قتل من آبائه أي قتل ابيه طلحة وعمه عثمان أي وقتل اخوته الاربع مسافع والجلاس والحرث وكلاب كلهم قتلوا يوم أحد كما تقدم فكرهت أن أذكر له ثم قلت وما علي فقلت له انما نحن بمنزلة ثعلب في جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فاسرع الاجابة فواعدني أن سبقني أقام في محل كذا وان سبقته اليه انتظرته فلم يطلع الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا الى الهدة اسم محل فنجد عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك أين مسيركم قلنا الدخول في الاسلام قال وذلك الذي أقدمني وفي لفظ قال عمرو لخالد يا أبا سليمان أين تريد قال والله لقد استقام الميسم أي تبين الطريق وظهر الامر وان هذا الرجل لنبي فاذهب فاسلم فحتى متى قال عمرو وأنا ما جئت الا للاسلام فاصطحبنا جميعا حتى دخلنا المدينة الشريفة فأنخنا بظهر الحرة ركابنا فاخبرنا رسول الله

عنه أي يأمر بما نفرح وترغب فيه القلوب النيرة والعقول السليمة وينهى عما يرغب عنه ولم أجده بالساحر الضار ولا بالكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء أي الشيء الغائب والاخبار بالنجوى أي يخبر بالمغيبات وبما يطرو وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وجعله في حق عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ودعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ماذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وقد كنت أظن انه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك أي فانه دفع له مائة دينار وخمسة أثواب وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وهما مارية وسيرين وثياب وهي عشرون ثوبا من قباطي مصر * وفي رواية وأرسل له عمائم وقباطي وطيبا وعودا وندا ومسكا مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير فكان صلى الله عليه وسلم يشرب فيه ثم قال وأهديت لك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يزد على ذلك ولم يسلم * وفي رواية أنه أهدى له مع الجاريتين جارية أخرى اسمها قيس وهي أخت مارية * وفي رواية ذكر جارية رابعة اسمها بريرة وكانت سوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم أهدى واحدة من تلك الجواري لابي جهم بن حذيفة العدوي وهي أم ابنه زكريا الذي كان خليفة عمرو بن العاص رضي الله عنه على مصر وأهدى صلى الله عليه وسلم أخرى لحسان بن ثابت رضي الله عنه وهي ام عبد الرحمن بن حسان * وفي رواية أن المقوقس أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مع الجواري غلاما أسود خصيا يقال له مابور وفي رواية أنه أهدى مع البغلة حمارا أشهب يقال له يعفور وأما البغلة فتسمى الدلدل وكانت شهباء ولم يكن يومئذ في العرب بغلة غيرها وأهدى له أيضا فرسا وهو اللزاز ففي رواية أن المقوقس قال لحاطب ما الذي يحب صاحبك من الخيل فقال له حاطب

الله صلى الله عليه وسلم فسر بنا أي وقال رمتكم مكة بافلاذ كبدها فلبست من صالح ثيابي ثم عمدت الى رسول فلقيني أخي فقال اسرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فاسرعنا المشي فاطلعت عليه فما زال صلى الله عليه وسلم يتبسم الي حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق فقلت أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت ان لا يسلمك الا الى خير قلت يا رسول الله ادع الله لي ان يغفر لي تلك المواطن التي كنت أشهدها عليك فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما كان قبله أي وتقدم عثمان وعمرو فاسلما وفي رواية عن عمرو بن العاص قال قدمنا المدينة فانخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودي بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه صلى الله عليه وسلم وان لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو الا ان جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم فما استطعت أن أرفع طرفي حياء منه صلى الله عليه وسلم قال وبايعته على ان يغفر لي ما تقدم من ذنبي ولم يحضرني ما تأخر فقال ان الاسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها فوالله ما عدل بي رسول الله صلى الله عليه وسلم بخالد بن الوليد أحدا من الصحابة في أمر حربه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبي بكر رضي الله تعالى عنه بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر رضي الله تعالى عنه بتلك الحالة وكان عمر رضي الله تعالى عنه على خالد كالعاتب وتقدم ان عمرا رضي الله تعالى عنه أسلم على يد النجاشي رضي الله تعالى عنه قال بعضهم وفي اسلام عمرو على يد النجاشي لطيفة وهي صحابي أسلم على يد تابعي ولا يعرف مثله ومن حين أسلم خالد رضي الله تعالى عنه لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوليه أعنة الخيل فيكون في مقدمتها والله أعلم

﴿ عمرة القضاء أي ويقال لها عمرة القضية ﴾

أي لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا عليها أي صالحهم عليها ومن ثم قيل لها عمرة الصلح ويقال لها العمرة القصاص قال السهيلي رحمه الله وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فتحصل من أسمائها أربعة القضاء والقضية والصلح والقصاص أي لانها كانت في شهر ذي القعدة من السنة السابعة أي وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن البيت منها سنة ست وليست قضاء عن العمرة التي صد عن البيت فيها فانها لم تكن فسدت بصدهم له عن البيت بل كانت عمرة تامة معدودة في عمره صلى الله عليه وسلم التي اعتمرها صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة وهي أربعة عمرة الحديبية وعمرة القضاء وعمرة الجعرانة لما قسم غنائم حنين والعمرة التي قرنها مع حجته في حجة الوداع بناء على ما هو الراجح من انه كان قارنا وكلها في ذي القعدة الا التي كانت مع حجته وقد مكث صلى الله عليه وسلم في مكة ثلاث عشرة سنة

لم ينقل عنه انه اعتمر خارجا من مكة الى الحل في تلك المدة أصلا ولم يفعل هذا على عهده صلي الله عليه وسلم الا عائشة رضي الله تعالي عنها كما سيأتي في حجة الوداع وكون العمرة لا تفسد بالصد انما هو على مايراه امامنا الشافعي رضى الله تعالى عنه أما على من يرى ان العمرة تفسد بالصد عنها وانه يجب قضاؤها كما هو المنقول عن ابي حنيفة رضى الله تعالى عنه فواضح انها قضاء وهذه العمرة ليست من الغزوات وانما ذكرها البخارى فيها لانه صلى الله عليه وسلم خرج مستعدا بالسلاح للمقاتلة خشية ان يقع من قريش غدر وليس من لازم الغزو وقوع المقاتلة ومن ثم قيل لها غزوة الامن وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدا مكة للعمرة على ما عاقد عليه قريشا في الحديبية أي من أنه يدخل مكة في العام القابل معه سلاح المسافر ولا يقيم بها أكثر من ثلاثة أيام وفى اس الجليل مايفيد أن اشتراط الثلاثة أيام كان فى عمرة القضاء ففيه ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا عمرة القضاء فابي أهل مكة ان يدعوه صلى الله عليه وسلم يدخل مكة حتى قاضاهم على ان يقيم ثلاثة ايام وان لا يخرج من أهلها أحدا ان اراد أن يتبعه وان لا يمنع من اصحابه أحدا ان يقيم بها وأصحابه كانوا الفين اي وأمر ان لا يتخلف عنه احد ممن شهد الحديبية فلم يتخلف أحد الا من استشهد فى خيبر ومن مات وخرج معه جمع ممن لم يشهد الحديبية واستخلف على المدينة أبا ذر الغفاري وقيل غيره وساق ستين بدنة وقلدها اي جعل فى عنق كل بعير قطعة من جلد او نعلا بالية ليعلم انه هدى فيكف الناس عنه ولم يذكر هنا الاشعار أي وجعل عليها ناجية بن جندب قال وحمل رسول الله صلي الله عليه وسلم السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس عليها محمد بن مسلمة رضى الله عنه أى وعلى السلاح بشير بوزن امير ابن سعد وأحرم صلى الله عليه وسلم من باب المسجد ولما انتهى الى ذى الحليفة قدم الخيل امامه فقيل يارسول الله حملت السلاح وقد شرطوا ان لا ندخلها عليهم بسلاح الا بسلاح المسافر السيوف في القرب فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا ندخل عليهم الحرم بالسلاح ولكن يكون قريبا منه فان هاجنا هيج من القوم كان السلاح قريبا منا فمضي بالخيل محمد بن مسلمة فلما كان بمر الظهران وجد نفرا من قريش فسألوه فقال هذا رسول الله صلي الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله ى وقد رأوا سلاحا كثيرا فخرجوا سراعا حتي اتوا قريشا فاخبروهم بالذى رأوا من الخيل والسلاح ففزعت قريش وقالوا ما احدثنا حدثا وانا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد في اصحابه ثم ان قريشا بعثت مكرز بن حفص في نفر من قريش اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا والله يا محمد ماعرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك وقد شرطت عليهم ان لا تدخل الا بسلاح المسافر السيوف في القرب فقال صلى الله عليه وسلم اني لا ادخل عليهم بسلاح فقال مكرز هو الذى تعرف به البر والوفاء ثم رجع مكرز الي مكة سريعا وقال ان محمدا لا يدخل بسلاح وهو على الشرط الذى شرط لكم انتهى فلما اتصل خروجه لقريش خرج كبراؤهم من مكة حتى لا يروه صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت هو واصحابه عداوة وبغضا وحسدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل رسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه مكة اي راكبا ناقته القصواء واصحابه محدقون به قد توشحوا

الاشقر وقد تركت عنده فرسا يقال له المرتجز فانتخب له فرسا من خيل مصر الموصوفة فاسرج والجم وهو فرسه الميمون واهدي له عسلا من عسل بنها بكسر الموحدة قرية من قرى مصر فاعجب به صلى الله عليه وسلم ودعا في عسل بنها بالبركة ولما أكل منه قال ان كان عسلكم اشرف بهذا الحلى واهدى له مربعة يوضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط والمقص والسواك ومكحلة من عيدان شامية ومرآة ومشطا * وفي رواية انه ارسل مع الهدية طيبا فقال له النبى صلي الله عليه وسلم ارجع الى اهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا اكلنا لا نشبع ثم ان المقوقس قال لحاطب ارجع الى صاحبك وارحل من عندي ولا تسمع منك القبط حرفا واحدا قال حاطب فرحلت من عنده وبعث معى جيشا يحرسنى الى ان دخلت جزيرة العرب ووجدت قافلة من الشام تريد المدينة فرد الجيش وارتفقت بالقافلة وفي بعض كتب السير أن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه وفد على المقوقس ومعه رهط من ثقيف وكان ذلك قبل اسلام المغيرة فلما دخلوا على المقوقس قال ما صنعتم فيما دعاكم اليه محمد قالوا ماتبعه منا رجل واحد قال كيف صنع قومه قالوا اتبعه احداثهم وقد لاقاه من خالفه في مواطن كثيرة قال فالى ماذا يدعو قالوا الي ان نعبد الله وحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ويدعوا الى الصلاة الزكاة وصلة الرحم ووفاء العهد وتحريم الزنا والربا والخمر فقال المقوقس هذا نبي مرسل الي الناس كافة ولو أصاب القبط والروم لا تبعوه وقد أمرهم بذلك عيسي وهذا الذي تصفون منه بعث الانبياء من قبله وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد ويظهر دينه الى منتهى الخف والحافر فقالت ثقيف لو دخل الناس كلهم معه مادخلنا معه فهز المقوقس رأسه وقال انتم في اللعب ثم ساله عن اشياء مثل سؤال هرقل لابى سفيان ثم قال لهم ما فعلت يهود بيثرب قلنا خالفوه فاوقع بهم فقال هم حسد أما انهم يعرفون من أمره مثل

توشحوا السيوف يلبون ثم دخل من الثنية التي تطلعه على الحجون وهي ثنية كداء بالمد أي وكان صلى الله عليه وسلم اذا دخل مكة قال اللهم لا تجعل منيتنا بها يقول ذلك من حين يدخل حتى يخرج منها أي وجعل صلى الله عليه وسلم السلاح في بطن ياجج موضع قريب من الحرم وخلف عنده جمع من المسلمين اي نحو مائتين من اصحابه عليهم أوس بن خولى وقعد جمع من المشركين بجبل قينقاع ينظرون اليه صلى الله عليه وسلم والى اصحابه وهم يطوفون بالبيت وقد قالوا أي كفار قريش ان المهاجرين أوهنتهم اى اضعفتهم حمى يثرب وفي لفظ قالوا يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ماقالوا ثم قال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ أراهم من نفسه قوة فامر اصحابه أن يرملوا الاشواط الثلاثة اى ليرى المشركين ان لهم قوة اي فعند ذلك قال المشركون أى قال بعضهم لبعض هؤلاء الذين زعمتم ان الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا انهم لينفرون اى يثبون نفر الظبي اى الغزال وانما لم يامرهم صلى الله عليه وسلم بالرمل في الاشواط كلها رفقا بهم واضطبع صلى الله عليه وسلم بردائه وكشف عضده اليمنى ففعلت الصحابة رضي الله تعالى عنهم كذلك وهذا أول رمل واضطباع فى الاسلام واقام صلى الله عليه وسلم واصحابه بثلاثة ايام فلما تمت الثلاثة التي هي امد الصلح جاء حويطب بن عبد العزى ومعه سهيل بن عمرو رضى الله تعالي عنهما فانهما اسلما بعد ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرانه بالخروج هو واصحابه من مكة فقالوا انا نناشدك الله والعقد الا ما خرجت من ارضنا فقد مضت الثلاث فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو واصحابه منها وكان صلي الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحرث الهلالية رضي الله عنها اي وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة وهى اخت ام الفضل زوج العباس رضى الله تعالى عنهما واخت اسماء بنت عميس لامها زوج حمزة رضى الله تعالى عنه وكان تزوجه صلى الله عليه وسلم ميمونة قبل ان يحرم بالعمرة وقيل بعد ان أحل منها وقيل وهو محرم اي وهو مارواه البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ورواه الدارقطني من طريق ضعيف عن ابى هريرة رضي الله تعالى عنه فانه صلى الله عليه وسلم كان قد بعث اليها جعفرا رضى الله عنه ليخطبها ولما انتهت اليها خطبة النبي صلى الله عليه وسلم كانت على بعيرها فقالت البعير وما عليه لله ولرسوله اي ومن ثم قيل انها التي وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل جعلت امرها الى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي وقيل جعلت امرها الام الفضل اختها فجعلت ام الفضل أمرها للعباس فزوجها العباس واصدقها عنه صلى الله عليه وسلم اربعمائة درهم ولا مانع من نكاحه صلى الله عليه وسلم وهو محرم فان من خصائصه ﷺ حل عقد النكاح فى الاحرام اي وفي كلام السهيلى كان من شيوخنا من يتاول قول ابن عباس تزوجها محرما اى في الشهر الحرام وفى البلد الحرام ولم يرد الاحرام بالحج اي كما اراد ذلك الشاعر بقوله فى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

قتلوا ابن عفان الخليفة محرما * ورعا فلم أر مثله مقتولا

ما نعرف وذكر الواقدى وابن ابي الحكم من طريق أبان بن صالح قال ارسل المقوقس الى حاطب أي حين جاءه بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال اسالك عن ثلاث فقال لا تسالني عن شيء الا صدقتك قال الام يدعو محمد قلت الى أن يعبد الله وحده ويامر بخمس صلوات في اليوم والليلة وصيام رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد وينهي عن أكل الميتة والدم الي أن قال صفه لى فوصفته فاوجزت قال بقيت أشياء لم تذكرها أفي عينيه حمرة قلت ما تفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمر والكسرات لا يبالى من لاقى من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته قال قد كنت اعلم ان نبيا قد بقي وكنت اظن ان مخرجه من الشام وهناك كانت تخرج الانبياء قبله فاراه قد خرج في ارض العرب في ارض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعنى على اتباعه وأنا أضن بملكي ان أفارقه وسيظهر على البلاد وينزل اصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهر على ماههنا وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا ولا احب ان تعلم بمحاورتي اياك احدا قال حاطب رضي الله عنه فذكرت قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه فكان كما قال ولم يزد على هذا ولم يسلم بل استمر على نصرانيته حتى فتح المسلمون منه مصر في خلافة عمر رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى التميمي ﴾ وكان بالبحرين بعث صلي الله عليه وسلم اليه العلاء بن الحضرمى رضي الله عنه ومعه كتاب يدعوه فيه الي الاسلام * قال في شرح المواهب ولم نر احدا ذكر لفظ ذلك الكتاب فلما وصل اليه الكتاب آمن وكتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد يارسول الله فانى قرأت كتابك على اهل البحرين فمنهم من احب الاسلام واعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه وبارضى يهود ومجوس اى باقين على كفرهم فاحدث الى امرك في ذلك فكتب اليه في ذلك رسول

الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو
وأشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله أما بعد فاني اذكرك الله فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع أمرهم
فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد أثنوا عليك خيرا أي من قبولك للحق وانقيادك للايمان واني قد شفعتك في
قومك فاترك للمسلمين ما اسلموا عليه أي من مال وزوجات أربع تحل نكاحهن وعفوت عن أهل الذنوب أي

أي في شهر حرام فانه قتل في ايام التشريق هذا كلام السهيلي قال ابن كثير رحمه الله وفيه نظر لان
الروايات عن ابن عباس رضي الله عنهما متضافرة بخلاف ذلك التي منها تزوجها وهو محرم هذا كلامه
وعن ابن المسيب غلط ابن عباس اوقال وهم ابن عباس ما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم الا وهو
حلال ومن ثم روى الدارقطني عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال قال السهيلي فهذه الرواية عن ابن عباس موافقة لرواية غيره فقف
عليها فانها غريبة عن ابن عباس وذكر بعض فقهائنا انه صلى الله عليه وسلم وكل أبا رافع رضي الله تعالى
عنه في نكاح ميمونة رضي الله تعالى عنها وفي بعض السير وعن ابي رافع قال تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ميمونة وهو حلال وبنى بها وهو حلال وأنا الرسول بينهما رواه البيهقي والترمذي
والنسائي وأراد صلى الله عليه وسلم أن يبني بها في مكة فلم يمهلوه يبني بها قال وقد قال لهم ما عليكم لو
تركتموني فاعرست بين اظهركم وصنعت لكم طعاما فقالوا لا حاجة لنا في طعامك أخرج عنا من أرضنا
هذه الثلاث قد مضت وفي لفظ قال لهم اني قد نكحت فيكم امرأة فما يضركم ان مكثت حتى أدخل بها
واصنع الطعام فنأكل وتأكلون معنا * وفي رواية جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم في قبته التي نصبها
بالابطح وذلك وقت الظهر وقيل وقت الصبح ولا مخالفة لجواز مجيئهم له في الوقتين وعند مجيئهم له
صلى الله عليه وسلم كان مع الانصار يتحدث مع سعد بن عبادة فصاح حويطب ناشدتك الله والعقد الا
ما خرجت من ارضنا فقد مضت الثلاث فغضب سعد بن عبادة رضي الله عنه لما رأي من غلظ كلامهم
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال لذلك القائل كذبت لا أم لك ليس بارضك ولا أرض آبائك أي وفي لفظ
قال ياعاض بظر أمه ارضك وارض امك دونه لست بارضك ولا أرض آبائك والله لا يبرح منها الا
طائعا راضيا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياسعد لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا واسكت
الفريقين ثم انه صلى الله عليه وسلم أمر أبا رافع رضي الله تعالى عنه ان ينادي بالرحيل ولا يمسي بها أحد
من المسلمين وخلف ابا رافع ليأتي له بميمونة حين يمسي فخرج بها ولقيت ميمونة رضي الله تعالى عنها
من سفهاء مكة عناء فعن ابي رافع رضي الله تعالى عنه لقينا عناء من أهل مكة من سفهاء المشركين من
أذى السنتهم للنبي ﷺ ولميمونة فقلت لهم ماشئتم هذه والله الخيل والسلاح ببطن ناجح وأنتم
تريدون نقض العهد والمدة فولوا راجعين منكسين واقام صلى الله عليه وسلم بسرف بكسر الراء وهو
محل بين مساجد عائشة وبطن مرو وهو اقرب الى مساجد عائشة وفيه دخل ﷺ بميمونة اي
تحت شجرة هناك وكان محل موتها ودفنها دفنت فيه بعد ذلك فانه صلى الله عليه وسلم اخبرها بانها
لا تموت بمكة فلما ثقل عليها المرض وهي بمكة قالت اخرجوني من مكة فاني لا اموت بها فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخبرني بذلك فحملوها حتى اتوا بها ذلك الموضع فماتت به ودفنت به اي وهي آخر
امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخر من توفي من ازواجه صلى الله عليه وسلم ورضي
عنهن وحين دخوله صلى الله عليه وسلم مكة اخذ عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه بغرزه اي ركابه

المتقدمة منهم في الكفر وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن اقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية وجاء في رواية انه كتب اليه ان افرض على كل رجل ليس له ارض اربعة دراهم وعباءة * وفي رواية كتب اليه ان اعرض عليهم الاسلام فان ابوا اخذت منهم الجزية على ان لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم * وذكر السهيلي في الروض ان العلاء لما قدم على المنذر قال له يامنذر انك عظيم العقل في الدنيا فلا تقصرن عن الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب ولا علم اهل الكتاب ينكحون ما يستحيا من نكاحه ويأكلون ما يتكرم عن اكله ويعبدون في الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأى فانظر هل ينبغي لمن يكذب ان لا تصدقه ولمن لا يخون ان

لا تأمنه ولمن لا يخلف ان لا تثق به فان كان هكذا فهذا هو النبي الامي الذي والله لا يستطيع   صلى
ذو عقل ان يقول ليت ما امر به نهي عنه او ما نهى عنه امر به اوليته زاد في عفوه اونقص من عقابه اذ كل ذلك منه على امنية اهل
العقل وفكر اهل النظر فقال المنذر قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة
والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه امنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت امس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده وان من اعظام ما جاء

أن يعظم رسوله وسانظر أي سانظر فيما أصنع من الذهاب اليه أو مكاتبته وروى الطبراني وابن قانع عن سليمان بن نافع العبدري به عن أبيه قال وفد المنذر بن ساوى من البحرين ومعه ناس وأنا معهم أمسك جمالهم فذهبوا بسلاحهم فسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم ووضع المنذر سلاحه ولبس ثيابا كانت معه ومسح لحيته بدهن فاتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنا مع الجمال أنظر الى نبي الله صلى عليه وسلم قال المنذر قال لي النبي صلى الله عليه وسلم رأيت منك مالم أر من أصحابك

فقلت أشيء جبلت عليه أو أحدثته قال لا بل جبلت عليه فاسلموا انتهى قال بعض اهل السير ان ذلك اشتباه وان هذا الوفد معروف للاشج واسمه المنذر بن عائذ وان المنذر بن ساوي لم تعرف له وفادة وذكر ابو جعفر الطبري ان المنذر ابن ساوى مات بالقرب من وفاته صلى الله عليه وسلم وكان قد قدم عليه عمرو ابن العاص رضي الله عنه وحضر وفاته فقال المنذر لعمرو كم جعل صلى الله عليه وسلم للميت من ماله عند الموت فقال الثلث قال فما ترى أن أصنع في ثلث مالي قال ان شئت قسمته في سبيل الخير وان شئت جعلت غلته تجري بعدك على من شئت قال ما أحب ان أجعل شيا من مالي كالسائبة ولكني اقسمه والله سبحانه وتعالى اعلم ﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملكي عمان﴾ بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة باليمن سميت باسم عمان بن سبا واما عمان بفتح العين وشد الميم فبلدة بالشام وليست مرادة هنا روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا الي قوم فسبوه وضربوه فجاء الى رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال لو اهل عمان اتيت ماسبوك ولا ضربوك وروى الامام احمد عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول اني لاعلم ارضا يقال لها عمان ينضح بناحيتها البحر لو اتاهم رسولي مارموه بسهم ولا بحجر وكان بعث كتابه صلي الله عليه وسلم الى ملكي عمان في ذي القعدة سنة ثمان مع عمرو بن العاص.

صلي الله عليه وسلم أي وقيل بزمام الناقة وهو رضى الله تعالى عنه وعنا وعن المسلمين يقول من ابيات

خلوا بني الكفار عن سبيله * خلوا فكل الخير في رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله * بأن خير القتل في سبيله
فاليوم نضربكم على تاويله * كما ضربناكم على تنزيله

وفي لفظ

نحن قتلناكم على تاويله * كما قتلناكم على تنزيله

وما قيل

نحن قتلناكم على تاويله * كما ضربناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله * أو يذهل الخليل عن خليله

قال عمار بن ياسر يوم صفين لا يمنع ان يكون ذلك من كلام ابن رواحة رضي الله تعالى عنه وتمثل به عمار رضي الله تعالى عنه اي واما ماروى انه صلى الله عليه وسلم قال انا اقاتل على تنزيل القرآن وعلي يقاتل على تاويله فقال فيه الدارقطني رحمه الله تفرد به بعض الرافضة قال وذكر ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال مه يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهو اسرع فيهم من نضح النبل وذكر انه صلى الله عليه وسلم قال ايها يا ابن رواحة قل لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها وقالها الناس اي وفي الامتاع وكان ابن رواحة يرتجز في طوافه وهو آخذ بزمام الناقة فقال عليه الصلاة والسلام ايها يا ابن رواحة قل لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها وقالها الناس وطاف صلى الله عليه وسلم على راحلته واستلم الحجر بمحجنه وذكر انه صلي الله عليه وسلم دخل البيت فلم يزل به حتى اذن بلال الظهر فوق ظهر الكعبة فقال عكرمة بن ابي جهل لقد أكرم الله تعالي ابا الحكم يعني والده ابا جهل حيث لم يسمع هذا العبد يقول مايقول وقال صفوان بن أمية الحمد لله الذي أذهب أبي قبل أن يرى هذا وقال خالد بن أسيد الحمد لله الذي أذهب ابي ولم يشهد هذا اليوم حيث يقوم بلال ينهق فوق الكعبة وسهيل بن عمرو لما سمع ذاك غطى وجهه وكل هؤلاء اسلموا بعد ذلك رضى الله تعالى عنهم قال بعضهم وكون ماذكر من دخوله صلى الله عليه وسلم داخل الكعبة واذان بلال رضي الله تعالى عنه فوق ظهرها كان في عمرة القضاء خلاف المشهور اذ المشهور ان ذلك كان في يوم الفتح و يدل لذلك ماقيل لم يدخل صلى الله عليه وسلم الكعبة وانه أراد ذلك فابوا وقالوا لم يكن في شرطك فامر بلالا فاذن فوق ظهر الكعبة مرة واحدة ولم يعد بعدها قال الواقدي في هذا القيل انه اثبت * اقول ويؤيد الاول ماجاء دخلت الكعبة ولو استقبلت من امري ما استدبرت مادخلتها اني أخاف ان أكون قد شققت على أمتي من بعدي أي لاتخاذهم ذلك سنة الان يقال يجوز أن يكون ذلك كان منه صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة و ينبغي أن يكون هذا من أعلام النبوة

رضي الله عنه وكتب له فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى جيفر على وزن جعفر وعيد ابني الجلندى سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان اقررتما بالاسلام وليتكما وان ابيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما وكتب الكتاب أبي بن كعب وختمه صلى الله عليه وسلم قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان احلم الرجلين واسهلهما خلقا فقلت اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى اخيك بهذا الكتاب اى وبالدعاء الى ماتضمنه من الايمان فقال عبد اخي جيفر هو المقدم علي بالسن والملك وانا اوصلك اليه حتي تقرأ كتابك عليه ثم قال وما تدعوا اليه قلت ادعوك الي عبادة الله وحده لاشريك له وان تخلع ما عبد من دونه وان تشهد ان محمدا عبده ورسوله قال ياعمرو انك كنت ابن سيد قومك فكيف صنع ابوك فان لنا فيه قدوة قلت لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت انه كان اسلم وصدق به وقد كنت انا على مثل رايه حتي هداني الله للاسلام فسالني اين كان اسلامك قلت عند النجاشي واخبرته ان النجاشي قد اسلم قال كيف صنع قومه بملكه قلت اقروه واتبعوه قال والاساقفة والرهبان تبعوه قلت نعم فاستعظم وقوع ذلك فقال انظر ياعمرو ماتقول فانه ليس من خصلة في رجل افضح له من كذب قلت وما كذبت وما نستحله في ديننا ثم قال مارأى هرقل علم باسلامه اى النجاشي قلت بلي قال باى شيء علمت ذلك قلت كان النجاشي يخرج له خراجا فلما اسلم وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم قال لا والله ولو سالني درهما واحدا ما اعطيته فبلغ هرقل قوله فقال له اخوه اتدع عبدك لا يخرج لك خراجا ويدين دينا محدثا فقال هرقل رجل رغب في

فان الناس يحصل لهم من التعب بسبب دخولها سيما زمن الموسم مالا يعبر عنه من المتاعب والامور الفظيعة والله اعلم * ثم سعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة أي وأوقف الهدى عند المروة وقال هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر فنحر عندها وحلق ولم اقف على من حلق رأسه الشريف في هذه العمرة ثم رأيته في الامتاع قال حلقه معتمر بن عبد الله العدوى وفعل كفعله صلى الله عليه وسلم المسلمون أي ومن لم يجد منهم بدنة رخص له في البقرة وكان قدم رجل مكة ببقر فاشتراه الناس منه وامر صلى الله عليه وسلم من تحلل ان يذهب الي السلاح ويأتى آخرون فيقضوا نسكهم ففعلوا ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة تبعته عمارة أى وقيل اسمها أمامة وقيل امامة وقيل أمة الله قال ابن عبد البر والمثبت أمامة وأمها سلمي بنت عميس بنت عمه حمزة رضى الله تعالى عنه تنادى ياعم ياعم اى وفى لفظ ان اباها اى خرج بها فتناولها على كرم الله وجهه فاخذ بيدها وقال لفاطمة دونك ابنة عمك فلما وصلوا المدينة اختصم فيها على وأخوه جعفر وزيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهم فقال زيد بن حارثة رضي الله تعالي عنه أنا أحق بها لانها بنت أخي اى وانا وصيه لانه صلى الله عليه وسلم آخى بين حمزة وزيد أي وجعل حمزة رضي الله تعالى عنه وصيه وقال على كرم الله وجهه انا احق بها لانها بنت عمي وجئت بها من مكة وقال جعفر رضى الله تعالي عنه انا احق بها لانها بنت عمي وخالتها تحتي أى وهى اسماء بنت عميس فقضي بها صلي الله عليه وسلم لجعفر رضي الله تعالى عنه وقال الخالة بمنزلة الام هذا وفي الامتاع وكلم على بن أبي طالب كرم الله وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمارة بنت حمزة رضى الله تعالى عنهما وكانت مع امها سلمى بنت عميس بمكة فقال غلام تترك بنت عمها يتيمة بين أظهر المشركين وانه لما قضى بها لجعفر رضي الله تعالي عنه حجل جعفر حول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماهذا ياجعفر فقال يارسول الله كان النجاشي اذا أرضي احدا أقام فحجل حوله وفيه انه فعل مثل ذلك بخيبر * ومابالعهد من قدم * الا ان يقال يجوز أن يكون في خيبر فعل ذلك ولم يره النبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها وفيه تقديم الخالة فى الحضانة على العمة لان عمتها صفية رضي الله تعالى عنها كانت موجودة وقال صلى الله عليه وسلم لعلى كرم الله وجهه فى هذا الموطن أنت اخى وصاحبي وفى لفظ انت منى وأنا منك وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر رضي الله تعالى عنه أشبهت خلقي وخلقي أى وقد تقدم منه صلى الله عليه وسلم ذلك له فى خيبر وقال صلى الله عليه وسلم لزيد رضى الله تعالى عنه انت اخى ومولاى وفي لفظ انت مولى الله ومولى رسوله صلى الله عليه وسلم

﴿ غزوة مؤتة ﴾

بضم الميم وبالهمزة ساكنة وبترك الهمزة موضع معروف عند الكرك وفي كلام السهيلي مؤتة مهموز الفاء وأما الموتة بلا همز فضرب من الجنون وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وفسره راوي الحديث فقال نفثه السحر

دين واختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الظن بملكي لصنعت كما صنع قال انظر ما تقول يا عمرو قلت والله صدقتك قال عبد فاخبرني ما الذي يامر به وينهى عنه قلت يامر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويامر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وعن شرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال ما أحسن الذي يدعو اليه ولو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن أي أبخل بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا أي طرفا وتابعا بعد أن كان رأسا

ونفخه الكبير وهمز الموتة هذا كلامه كانت هذه الغزوة في جماد الاولى سنة ثمان وكان سببها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحرث بن عمير الازدي بكتاب الى هرقل عظيم الروم بالشام أي فلما نزل موتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني أي وهو من أمراء قيصر على الشام فقال أين تريد لعلك من رسل محمد قال نعم فاوثقه ربطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد الامر عليه فجهز جمعا من أصحابه وعدتهم ثلاثة آلاف وبعثهم الى مقاتلة ملك الروم وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال ان أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس وان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس قال * وفي رواية فان أصيب ابن رواحة فليرتض المسلمون برجل منهم فليجعلوه عليهم وقد حضر ذلك المجلس رجل من يهود فقال يا أبا القاسم ان كنت نبيا يصاب جميع من ذكرت لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من بني اسرائيل كان الواحد منهم اذا استعمل رجلا على القوم وقال ان أصيب فلان لا بد أن يصاب أي ولو عد مائة أصيبوا جميعا ثم صار يقول لزيد اعهد فلن ترجع الى محمد أبدا ان كان نبيا وزيد يقول أشهد أنه نبي وعقد صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه لزيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه وأوصاهم أن ياتوا مقتل الحرث بن عمير ويدعوا من هناك الى الاسلام فان أجابوا والا استعانوا عليهم بالله تبارك وتعالى وقاتلوهم وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم نهاهم ان ياتوا مؤتة فغشيتهم ضبابة فلم يبصروا حتى أصبحوا على مؤتة انتهى وودعهم الناس وقالوا لهم صحبكم الله ودفع عنكم وردكم الينا صالحين قال ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف فقال أي بعد قوله أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون فيها رجالا في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيرا ولا بصيرا فانيا ولا تقطعوا شجرة ولا تهدموا بناء انتهى وقال لهم المسلمون دفع الله عنكم وردكم غانمين فمضوا حتى نزلوا من ارض الشام فبلغهم ان هرقل ملك الروم في مائة ألف من الروم وانضم اليه من قبائل العرب اي المتنصرة أي من بني بكر ولخم وجذام مائة ألف * وفي رواية كانوا مائتي الف من الروم وخمسين الفا من العرب ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين وكان المسلمون ثلاثة آلاف كما مر فلما بلغهم ذلك أقاموا في ذلك المحل ليلتين ينظرون في أمرهم أهل يبعثون لرسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بعدد عدوهم فاما أن يمدهم برجال أو يامرهم بامر فيمضوا اليه فشجعهم عبد الله بن رواحة وقال لهم اقوم والله ان الذي تكرهون للذي خرجتم له خرجتم تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به فانما هي احدى الحسنيين أما ظهور واما شهادة اي فقال الناس صدق والله ابن رواحة فمضوا للقتال فلقيتهم جموع هرقل ملك الروم من الروم والعرب فانحاز المسلمون الى مؤتة فالتقى الجمعان عندها واقتتلوا فقاتل زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه ومعه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لواؤه حتى قتل رضي الله تعالى عنه فاخذ الراية جعفر رضي الله تعالى عنه وقاتل على فرس

وتبعوا قلت ان أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ياخذ الصدقات من غنيهم ويردها على فقرائهم قال ان هذا الخلق حسن أي لما فيه من مواساة الفقراء قال وما الصدقة فاخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات في الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال يا عمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى الشجر وترد المياه قلت نعم قال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا قال فمكثت ببابه اياما وهو يصل الى أخيه فيخبره كل خبري ثم انه دعاني يوما فادخل معه على أخيه فدخلت عليه فاخذ أعوانه بضبعي فقال دعوه فذهبت لاجلس فابوا أن يدعوني أجلس على عادة ملوك العجم في أن رسول شخص ولو ملكا لا يجلس عند الملك فنظرت اليه فقال

تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما ففض ختمه فقرأه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى اخيه فقرأه مثل قراءته الا أني رأيت أخاه أرق منه فقال جيفر الا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب في الدين واما مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله انهم كانوا في ضلال فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه الحرجة وهي الشجر الملتف والمراد التحوز وان لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضراءك أي جماعتك واسلم تسلم

ويستعملك على قومك فتبقى على ملكك مع الاسلام ولا تدخل عليك الخيل والرجال وفي هذا مع سعادة الدارين راحة من القتال
وفي هذا دليل على قوة تنفس عمرو رضي الله عنه وشدة شكيمته حيث خاطبه بهذا الخطاب وأنذره بالحرب والهلاك في محل ملكه
بحضرة أعوانه مع أنه واقف بين يديه لم يتمكن من الجلوس ومع ذلك حمى الله رسول نبيه ببركته صلى الله عليه وسلم فلم يؤذه جيفر
ولا تكلمه بل خاطبه باللين حيث قال

دعني يومي هذا وارجع الى غدا قال عمرو فرجعت الى اخيه فقال يا عمرو اني ارجو ان يسلم اخي ان لم يضن بملكه حتى اذا كان الغد اتيت اليه فابى ان يأذن لي فانصرفت الى اخيه فاخبرته انى لم اصل اليه فاوصلني اليه فقال انى فكرت فيما دعوتني اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله ههنا اى لبعد الدار وان بلغت خيله ههنا وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى قال عمرو قلت خارج غدا فلما ايقن بخرجي خلا به اخوه فقال له ما نحن فيما ظهر عليه وكل من ارسل اليه اجابه فاصبح فارسل الى فاجاب الاسلام هو واخوه جميعا وصدقا النبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا عونا لي على من خالفني واسلم معهما خلق كثير ووضعت الجزية على من لم يسلم قال بعضهم ثم ان عمرا لم يزل بعمان حتى توفي النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن سعد ولعل اقامته كانت بامر النبي صلى الله عليه وسلم حين بعثه أو باشارة فهم منها ذلك أو باجتهاد حتى يجمع الصدقة والله سبحانه وتعالى اعلم ﴿ذكر كتب صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن على الحنفي سيف صاحب اليمامة وهي بلاد بالمشرق كثيرة النخيل على نحو ست عشرة مرحلة من مكة﴾ كتب صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة هوذة بن على الحنفي وارسل الكتاب مع سليط بن عمرو العامري رضي الله عنه وكان ممن اسلم قديما وهاجر الى الحبشة ثم الى المدينة

أشقر ثم نزل عنه وعقره أى وهو أول رجل من المسلمين عقر فرسه وأول فرس عقر في سبيل الله
عقره خوفا أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ومن ثم لم ينكر عليه أحد من الصحابة وبه
استدل من جوز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به الكفار ويقاتل عليه المسلمين ثم قاتل رضي الله
تعالى عنه فقطعت يمينه فاخذ الراية بيساره فقطعت يساره فاحتضن الراية وقاتل حتى قتل رضي الله
تعالى عنه فاخذها عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه وتقدم بها وهو على فرسه وجعل يتردد
في النزول عن فرسه ثم نزل وقاتل حتى قتل أى وحينئذ اختلط المسلمون والمشركون وأراد
بعض المسلمين الانهزام فجعل عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه يقول يا قوم يقتل الانسان مقبلا
أحسن من أن يقتل مدبرا () فاخذ الراية ثابت بن أرقم رضي الله تعالى عنه وقال يا معشر المسلمين
اصطلحوا على رجل منكم فقالوا أنت فقال ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد رضي الله
تعالى عنه أي ويقال ان ثابت بن أرقم دفعها الى خالد رضي الله تعالى عنه وقال انت أعلم بالقتال مني
اى فقال له خالد أنت أحق به مني لانك ممن شهد بدرا ثم أخذه خالد رضي الله تعالى عنه ومانع القوم
وثبت ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر من غير هزيمة على أحدهما قال وفي رواية قاتلوا
المشركين حتى هزموهم فعند ابن سعد ان خالد رضي الله تعالى عنه لما أخذ اللواء حمل على القوم
فهزمهم الله أسوأ هزيمة حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤا وأظهر الله المسلمين قيل وسبب
ذلك أن خالدا رضي الله تعالى عنه لما أصبح جعل مقدمة الجيش ساقة وساقته مقدمة وميمنته ميسرة
وميسرته ميمنة فظن المشركون مجىء مدد للمسلمين فرغبوا وانهزموا فقتلوا قتلة لم يقتلها قوم ويجوز
ان يكون ذلك بعد انحياز المسلمين فلا منافاة بين الروايتين وكانت مدة القتال سبعة أيام وروى
البخاري عن خالد رضي الله تعالى عنه قال اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يدي الا
صفيحة يمانية انتهى واطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك فاخبر به أصحابه اي فانه لما
اطلع على ذلك نادى في الناس الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال أيها الناس باب خير باب
خير باب خير ثلاثا اخبركم عن جيشكم هذا الغازي انهم انطلقوا فلقوا العدو فقتل زيد رضي الله تعالى
عنه شهيدا فاستغفروا له ثم اخذ الراية جعفر رضي الله تعالى عنه فشد على القوم حتى قتل شهيدا
فاستغفروا له ثم اخذ الراية عبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنه واثبت قدميه حتى قتل شهيدا
فاستغفروا له ثم اخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الامراء وهو امير نفسه ولكنه سيف من سيوف الله
فآب بنصره وفي لفظ ثم اخذ الراية خالد بن الوليد ابن عم عبد الله واخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله
الله على الكفار والمنافقين من غير امره حتى فتح الله عليهم قال * وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
قال اللهم انه سيف من سيوفك فانصره فمن يومئذ سمي خالد سيف الله وفي لفظ ثم اخذ اللواء سيف
من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على يديه وعن عبد الله بن ابي اوفى قال اشتكى عبد الرحمن
ابن عوف خالد بن الوليد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا خالد لم تؤذي رجلا من اهل بدر لو انفقت
مثل احد ذهبا لم تدرك عمله فقال يا رسول الله يقعون في فارد عليهم فقال لا تؤذوا خالدا فانه

سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار قال بعضهم وكون هذا نصرا وفتحا واضح لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لانهم كانوا مائتى ألف والصحابة ثلاثة آلاف أى كما تقدم اذ كان مقتضى العادة ان يقتلوا بالكلية * وفى رواية أصاب خالد رضى الله عنه منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وهذا لايخالف ما يأتي اذ طائفة منهم فروا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم وصار أهل المدينة يقولون لهم أنتم الفرارون الى آخر ما يأتي وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنهما أى زوج جعفر رضي الله عنه قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أصيب جعفر وأصحابه فقال ائتيني ببني جعفر فاتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه أى وبكى حتى تقطرت لحيته الشريفة فقلت يارسول الله بابى أنت وأمى ما يبكيك أبلغك عن جعفر واصحابه شيء قال نعم أصيبوا هذا اليوم فقمت أصيح واجتمع على النساء أى وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها يا أسماء لا تقولي هجرا ولا تضربي خدا وجاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل فقال رسول الله ان النساء عيين وفتن قال فارجع اليهن فاسكتهن فذهب ثم رجع فقال له مثل الاول وقال نهيتهن فلم يطعننى فقال اذهب فاسكتهن فان أبين فاحث فى أفواههن التراب وقال صلى الله عليه وسلم اللهم قد قدم يعنى جعفرا احسن الثواب فاخلفه فى ذريته باحسن ما خلفت أحدا من عبادك فى ذريته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله وقال لا تغفلوا عن آل جعفر ان تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بامر صاحبهم انتهي اى وفي لفظ دخل صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضى الله عنها وهى تقول واعماه فقال صلى الله عليه وسلم على مثل جعفر فلتبك الباكية وفى لفظ البواكى ثم قال صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن انفسهم اليوم * وفي رواية فانهم قد شغلهم ماهم فيه وعن عبد الله بن جعفر رضى الله تعالى عنهما ان سلمي مولاة النبى صلى الله عليه وسلم عمدت الي شعير فطحنته ونسفته ثم طبخته وادمته بزيت وجعلت عليه فلفلا قال عبد الله رضى الله عنه فاكلت من ذلك الطعام وحبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخوتى وفى لفظ انا واخى فى بيته ثلاثة ايام ندور معه صلى الله عليه وسلم كلما صار في بيت احدى نسائه ثم رجعنا الى بيتنا وهذا الطعام الذي فعل لآل جعفر رضي الله عنهم قال السهيلي هو اصل في طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمى طعام العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة قال عبد الله رضى الله عنه ودعا لى صلى الله عليه وسلم وقال اللهم بارك له في صفقة يمينه فما بعت شيا ولا اشتريت شيا الا بورك لى فيه ولما قدم عليه صلى الله عليه وسلم بعض اصحابه بخبر الجيش قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فاخبرتني وان شئت فاخبرتك قال فاخبرني يارسول الله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم كله ووصفه له فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا لم تذكره وان امرهم لكما ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفع لى الارض حتى رايت معركتهم وحين راى ذلك صلى الله عليه وسلم قال قد حمى الوطيس اى حميت الحرب واشتدت وقال صلى الله عليه وسلم مثل لي جعفر وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة في خيمة من

وشهد بدرا وغيرها واستشهد باليمامة فى قتال أهل الردة وفى الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن على سلام على من اتبع الهدى واعلم ان دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما أنزله وحباه وقرأ عليه الكتاب فرد ردا فيه لطف قال السهيلى وقال له سليط ياهوذة انك سودتك أعظم حائلة أي بالية وأرواح فى النار وانما السيد من متع بالايمان ثم زود بالتقوى ان قوما سعدوا برأيك فلا يشقون به وانى آمرك بخير مامور به وأنهاك عن شىء منهى عنه آمرك بعبادة الله وانهاك عن عبادة الشيطان فان فى عبادة الله الجنة وفى عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما خفت وان أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهول المطلع فقال هوذة ياسليط سودنى من لو سودك شرفت به وقد كان لى رأى أختبر به الامور ففقدته فموضعه من قلبى هواء فاجعل لى فسحة يرجع الى فيها رأيي فاجيبك به ان شاء الله ذكر الواقدى ان أركون دمشق الرومى من عظماء النصارى كان عند هوذة فقال له هوذة جاءنى كتاب من النبي يدعوني الى الاسلام فلم أجبه فقال الاركون لم لا تجيبه قال ضننت بدينى وأنا ملك قومي ولئن تبعته لن أملك قال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وان الخير لك في اتباعه وانه للنبي العربي الذى بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وانه لمكتوب عندنا فى الانجيل محمد رسول الله وأركون هذا اسلم على يد خالد بن الوليد فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنهما ثم ان هوذة كتب للنبى صلى الله عليه وسلم جواب كتابه وقال فيه ما احسن ما تدعوا اليه واجمله وانا شاعر قومى وخطيبهم والعرب تهاب مكانى فاجعل لى بعض الامر اتبعك وكانه اراد الشركة فى النبوة او الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم واجاز سليطا بجائزة وكساه اثوابا من نسج هجر فقدم بكتابه على النبى صلى الله عليه وسلم واخبره

بخبره فلما قرأ الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم قال لو سألني سيابة من الارض أي قطعة منها ما فعلت باد وباد ما في يديه ى أهلك
وهو خبر أو دعاء فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الفتح اخبره جبريل عليه الصلاة والسلام ان هوذة قد مات على كفره
فقال صلى الله عليه وسلم أما أن اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي فكان كذلك فظهر بها مسيلمة لعنه الله وقتل * وفي
رواية فقال قائل يارسول الله من يقتله قال أنت وأصحابك قال بعضهم والظاهر أن المخاطب من الذين اشتركوا في

دركل واحد منهم على سرير ورأيت زيدا وابن رواحة في اعناقهما صدودا أي أعراضا ورأيت
جعفرا مستقيما ليس في عنقه صدود فسألت فقيل لي انهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما
واما جعفر فانه لم يفعل وعن قتادة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قتل زيد
أخذ الراية جعفر رضي الله عنه فجاءه الشيطان لعنه الله فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا
ثم مضى حتى استشهد رضي الله عنه قال * وفي رواية رأيتهم أي فيما يرى النائم * وفي رواية لقد
رفعوا الي أي في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب ورأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا
عن سرير صاحبيه أي انحرافا فقلت عم هذا فقيل لي مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى
انتهى أي فانه كما تقدم صار يستنزل نفسه ويتردد في النزول بعض التردد وفي لفظ دخل عبد الله بن
رواحة الجنة معترضا فقيل يارسول الله ما اعتراضه قال لما اصابته الجراحة نكل فعاتب نفسه
فتشجع فاستشهد وقال صلى الله عليه وسلم ان الله ابدل جعفرا بيديه جناحين يطير بهما في الجنة
حيث شاء قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وجدنا فيما بين صدر جعفر ومنكبيه وما اقبل منه
تسعين جراحة ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح وفي لفظ طعنة ورمية وفي لفظ آخر ضربه رومي
فقده بنصفين فوجد في احدى شقيه بضعة وثمانين جرحا وفيما أقبل من بدنه اثنين وسبعين ضربة
بسيف وطعنة برمح أي وقيل أربعا وخمسين ورواية التسعين اثبت قال عبد الله ابن عمر رضي الله
عنهما أتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء فقال اني صائم فضعه في ترسي عند رأسي فان
عشت حتى تغرب الشمس افطرت قال فمات صائما قبل غروب الشمس شهيدا وعمره احدى
وأربعون سنة وقيل ثلاث وثلاثون سنة وفيه انه تقدم انه كان اسن من علي بعشر سنين وكان عقيل
اسن من جعفر بعشر سنين وكان طالب اسن من عقيل بعشر سنين ثم رأيت ابن كثير رحمه الله قال
وعلى ما قيل انه كان اسن من علي بعشر سنين يقتضي ان عمره يوم قتل تسع وثلاثون سنة لان عليا
كرم الله وجهه أسلم وهو ابن ثمان سنين على المشهور فاقام بمكة ثلاث عشرة سنة وهاجر وعمره احدى
وعشرون سنة ويوم موتة كان في سنة ثمان من الهجرة وكونه رضي الله عنه مات صائما لا يناسب
كونه شق نصفين وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الى
السماء فقال وعليكم السلام ورحمة الله فقال الناس يارسول الله ما كنت تصنع هذا قال مر بي جعفر بن
أبي طالب في ملأ من الملائكة فسلم علي ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون ولقيهم الصبيان يشتدون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة
فقال خذوا الصبيان فاحملوهم واعطوني ابن جعفر فاتي بعبد الله بن جعفر فاخذه فحمله بين يديه
وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا لك أبوك يطير
مع الملائكة في السماء وفي الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا دخلت البارحة الجنة
فرأيت فيها جعفر بن أبي طالب يطير مع الملائكة * وفي رواية يطير مع جبريل وميكائيل له
جناحان عوضه الله تعالى من يديه وروى جناحان من ياقوت أي وذكر السهيلي رحمه الله ان
الجناحين

قتله أو هو خالد بن الوليد
أي فانه رضي الله عنه
كان امير الجيش الذي
قاتل مسيلمة لعنه الله
والله سبحانه وتعالى اعلم
﴿ ذكر كتابه صلى الله
عليه وسلم الى الحرث بن
أبي شمر الغساني ﴾
وكان أميرا بدمشق من
جهة قيصر وكان اقامته
بغوطها وهو موضع
بالشام كثير الماء والشجر
وبعث صلى الله عليه وسلم
اليه شجاع بن وهب
الاسدي من أسد بن خزيمة
رضي الله عنه وكان من
السابقين الاولين واستشهد
باليمامة ومعه كتاب فيه
بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى
الحرث بن ابي شمر سلام
على من اتبع الهدى
وآمن بالله وصدق فاني
ادعوك الى ان تؤمن بالله
وحده لا شريك له يبقى
لك ملكك وختم الكتاب
قال شجاع فانتهيت
فوجدته مشغولا بتهيئة
الضيافة لقيصر وقد جاء
من حمص الى ايليا حيث
كشف الله عنه جنود فارس شكرا لله تعالى قال شجاع فاقمت على بابه يومين او ثلاثة فقلت لحاجبه اني
رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حاجبه لا تصل اليه حتى يخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه يسألني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما يدعو اليه فكنت احدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول اني قرأت في الانجيل واجد صفة هذا النبي بعينه وكنت اظنه يخرج
بالشام فاراه خرج بارض القرظ فانا أومن به وأصدقه وأنا اخاف من الحرث بن ابي شمر ان يقتلني وكان هذا الحاجب روميا اسمه مري

قال شجاع وكان يكرمني ويحسن ضيافتي ويخبرني باليأس من الحرث ويقول هو يخاف قيصر قال فخرج الحرث يوما فوضع التاج على راسه فاذن لي عليه فدفعت اليه الكتاب فقرأه ثم رمى به وقال من ينتزع مني ملكي انا سائر اليه ولو كان باليمين جئته علي بالناس فلم يزل جالسا حتى الليل وأمر بالخيل ان تنعل ثم قال اخبر صاحبك بما ترى وكتب الى قيصر يخبره بخبري فصادف قيصر بايليا وعنده دحية رضي الله عنه وقد بعثه صلى الله عليه وسلم فلما قرأ قيصر كتاب الحرث كتب اليه ان لا تسر اليه واله عنه ووافقني بايليا قال ورجع اليه جوابه وأنا مقيم فدعاني وقال متى تريدان تخرج الى صاحبك قلت غدا فامر لي بمائة مثقال ذهبا ووصلني حاجبه مري بنفقة وكسوة وقال اقرأ على رسول الله مني السلام واخبره باني متبع دينه فقدمت فاخبرته صلى الله عليه وسلم بخبر الحرث فقال باد ملكه واقرأته من مري السلام واخبرته بما قال فقال صلى الله عليه وسلم صدق وفي كلام بعض اهل السير ان الحرث اسلم ولكن قال أخاف ان اظهر اسلامي فيقتلني قيصر وذكر ابن هشام وغيره ان شجاع ابن وهب انما توجه الى جبلة بن الايهم ويقال أرسل الى الحرث والى جبله وان شجاعا قال له ياجبلة ان قومك يعني الانصار نقلوا هذا النبي الامي من داره الى دارهم فآووه ومنعوه ونصروه وان هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك

الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية اعطيهما جعفر رضي الله عنه يقتدر بهما على الطيران لا انهما جناحان كجناح الطائر كما يسبق للوهم أي لان الصورة الادمية أشرف الصور أي ولا يضر في ذلك وصفهما بانهما من ياقوت ولا كونهما مضمخين بالدم وصار المسلمون يحثون في وجوههم التراب ويقولون لهم يافرارون فررتم في سبيل الله فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل هم الكرارون وفي لفظ انهم قالوا يارسول الله نحن الفارون فقال لهم رسول الله ﷺ بل انتم العكارون أي الكرارون وهو دليل على انه كان بينهم محاجره وترك للقتال وعن بعض الصحابة لما قتل بن رواحة رضي الله عنه انهزم المسلمون رضي الله عنهم أسوأ هزيمة ثم تراجعوا ولقد لقوا من أهل المدينة لما رجعوا اشرا حتى ان الرجل يجيء الى أهل بيته يدق عليهم بابه فيأبون يفتحون له ويقولون له هلا تقدمت مع أصحابك فقتلت حتى ان نفرا من الصحابة رضي الله عنهم جلسوا في بيوتهم أستحياء كلما خرج واحد منهم صاحوا به وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل اليهم رجلا رجلا ثم يقول أنتم الكرارون في سبيل الله ويعنون بالفرار انحيازهم مع خالد رضي الله عنه حين انحاز العدو عنهم وانما انحاز خالد رضي الله عنه لترتيبه العسكر وقد مدح النبي صلى الله عليه وسلم خالد رضي الله عنه على ذلك وأثنى عليه وقتل رجل من المسلمين رجلا من الروم فاراد أخذ سلبه فمنعه خالد رضي الله عنه فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال لخالد مامنعك ان تعطيه سلبه قال استكثرته عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفعه له وكان عوف بن مالك رضي الله عنه كلم خالدا في دفع ذلك لذلك الرجل قبل أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مر خالد بعوف بن مالك أطلق لسانه في خالد رضي الله عنه وقال له ماذكرت لك ذلك ونحوه فغضب صلى الله عليه وسلم وقال لخالد لا تعطه ياخالد هل انتم تاركون لي امرائي وفيه ان القاتل استحق السلب فكيف منعه واجيب بانه يجوز أن يكون دفعه له بعد وانما أخر دفعه تعزيرا لعوف رضي الله عنه حين أطلق لسانه في خالد وانتهك حرمته وتطييبا لقلب خالد رضي الله عنه للمصلحة في اكرام الامراء وهذا السياق يدل على ان الجيش كله رضي الله عنهم قيل لهم الفرارون وانما كان لطائفة من الجيش فروا الى المدينة لما رأوا من كثرة العدو فليتامل وعد هذه غزوة تبعت فيه الاصل والحق انها ليست من الغزوات بل من السرايا الاتي ذكرها لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن فيها والله أعلم

﴿ فتح مكة شرفها الله تعالى ﴾

كان في رمضان سنة ثمان وكان السبب في ذلك انه لما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش كان فيه ان من أحب أن يدخل في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وكان قبل ذلك بينهما دماء أي فحجز الاسلام بينهما لتشاغل الناس به وهم على ماهم عليه من العداوة وكانت خزاعة حلفاء عبد

ولكنه ملكت الشام وجاورت الروم لو جاورت كسرى دنت بدين الفرس فان أسلمت اطاعتك الشام وهابتك الروم وان لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لك الآخرة وقد كنت استبدلت المساجد بالبيع والاذان بالناقوس والجمع بالشعانين وكان ماعند الله خيرا وأبقى فقال جبلة والله اني لوددت ان الناس اجتمعوا على هذا النبي اجتماعهم على من خلق السموات والارض وقد سرني اجتماع قومي به وقد دعاني قيصر الى قتال أصحابه يوم مؤتة فابيت عليه ولكني لست أرى حقا ولا باطلا وسانظر

وذكر بعضهم انه أسلم خفية ورد جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلمه باسلامه وأرسل له هدية وكان ثابتا على اسلامه لزمن خلافة عمر رضى الله عنه وكتب الى عمر رضي الله عنه يستاذنه في القدوم عليه فسر عمر رضى الله عنه بذلك واذن له فخرج في خمسين ومائتين من اهل بيته حتى اذا قارب المدينة عمد الى اصحابه فحملهم على الخيل وقلدها قلائد الفضة والذهب وألبسها الديباج والحرير ووضع تاجه على رأسه (٨٢) فلم تبق بكر ولا عاتق الا خرجت تنظر اليه والى زيه وزينته فلما دخل على عمر رضى الله عنه رحب به وادنى مجلسه واقام عنده بالمدينة مكرما فخرج عمر حاجا وخرج معه وحين تطوف بالبيت وطيء رجل من فزارة ازاره فغضب ولطم الفزارى لطمة هشم بها انفه وكسر ثناياه * وفى رواية فقا عينه فشكى الفزارى الى عمر رضى الله عنه فاستدعاه وقال له لم هشمت انفه أو قال له لم فقأت عينه فقال يا أمير المؤمنين وطيء على ازاري ولولا حرمة البيت لضربت عنقه بالسيف فقال له عمر رضى الله عنه اما انت فقد اقررت اما ان ترضيه والا اقدته منك * وفى رواية * قال والحكم اما بالعفو او بالقصاص فقال جبلة فيصنع بي ماذا قال مثل ماصنعت به فقال اتقتص له مني سواء وانا ملك وهذا سوقة فقال له عمر رضى الله عنه الاسلام سوى بينكما ولا فضل لك عليه الا بالتقوى قال ان كنت انا وهذا الرجل فى الدين سواء فانا اتنصر فاني كنت يا أمير المؤمنين اظن انى اكون فى الاسلام اعز مني في الجاهلية فقال له عمر رضي الله عنه اذا تنصرت اضرب يعني عنقك قال فامهلني الليلة حتى انظر فى أمري قال ذلك الى خصمك فقال الرجل امهلته يا امير المؤمنين فاذن له عمر فى الانصراف ثم ركب فى بني عمه وهرب الى قسطنطينية فدخل على هرقل وتنصر هنالك وكان مع الروم فى قتالهم المسلمين حتى هلك علي النصرانية وقيل عاد الى الاسلام ومات مسلما ولم يصح وكان جبلة رجلا طوالا طوله اثنا عشر شبرا وكان يمسح الارض برجله وهو راكب فسر

المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم أي يناصرونه على عمه نوفل بن عبد مناف فان المطلب لما مات وثب نوفل على ساحات وافنية كانت لعبد المطلب واغتصبه اياها فاضطرب عبد المطلب لذلك واستنهض قومه فلم ينهض معه أحد منهم وقالوا له لا ندخل بينك و بين عمك وكتب الى اخواله بنى النجار فجاءه منهم سبعون راكبا فاتوا نوفلا وقالوا له ورب البنية لتردن على ابن اختنا اما أخذت والا ملأنا منك السيف فرده ثم حالف خزاعة بعد أن حالف نوفل بني أخيه عبد شمس وكان صلى الله عليه وسلم يعلم بذلك الحلف فاتوه واقروه على كتاب عبد المطلب وقرأه عليه أبي بن كعب رضى الله عنه أي بالحديبية وهو باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة اذا قدم عليه سرواتهم وأهل الراى منهم غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم ان بيننا و بينكم عهود الله وميثاقه وما لا ينسى أبدا اليد واحدة والنصر واحد ما أشرق ثبير وثبت حراء مكانه وما بل بحر صوفة وفى الامتاع أن نسخة كتابهم باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه عبد المطلب بن هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة تحالفوا على التناصر والمواساة ما بل بحر صوفة حلفا جامعا غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاصاغر والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير وما أقام الاخشبان وعمر بمكة انسان حلف ابدا طول امد يزيده طلوع الشمس شدا وظلام الليل مدا وان عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متظاهرون متعاونون فعلى عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصر لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب فى شرق أو غرب أو حزن او سهيل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى بالله جميلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعرفني بحلفكم وانتم على ما اسلفتم عليه من الحلف فلما كانت الهدنة وهي ترك القتال التى وقعت فى صلح الحديبية اغتنمها بنو بكر اى طائفة منهم يقال لهم بنو نفاثة اى وفي الامتاع وسببها ان شخصا من بنى بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين مما كان بينهم من العداوة فطلب بنو نفاثة من اشراف قريش ان يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فامدوهم بذلك فبيتوا خزاعة اى جاؤهم ليلا بغتة وهم آمنون على ماء لهم يقال له الوتير فاصابوا منهم اي قتلوا منهم عشرين او ثلاثة وعشرين وقاتل معهم جمع من قريش مستخفيا منهم صفوان بن امية وحويطب بن عبد العزى اى وعكرمة بن ابي جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو رضي الله عنهم فانهم اسلموا بعد ذلك ولازالوا بهم الى ان ادخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعي بمكة اي ولم يشاوروا فى ذلك اباسفيان وقيل شاوروه فابى عليهم ذلك وظنوا انهم لم يعرفوا وان هذا لا يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ناصرت قريش بني بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ندموا وجاء الحرث بن هشام الى ابي سفيان واخبره بما فعل القوم فقال هذا أمر لم أشهده ولم اغب عنه وانه لشر والله ليغزونا محمد ولقد حدثتني هند بنت عتبة

هرقل به وزوجه ابنته وقاسمه ملكه وجعله من سماره وجعل له مدينة بين طرابلس واللاذقية سماها جبلة باسمه قيل فيما قبر ابراهيم بن أدهم والله سبحانه وتعالى اعلم ﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى بني نهد﴾ وهم قبيلة باليمن كانوا يتكلمون بالفاظ غريبة وحشية لا تعرفها اكثر العرب وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قوم ويكاتبهم بلغتهم وذلك من أنواع بلاغته صلى الله عليه وسلم فكان يتكلم مع كل ذى لغة غريبة بلغته ومع كل ذى لغة بليغة بلغته اتساعا فى الفصاحة واستحداثا للالفة والمحبة فكان يخاطب اهل الحضر بكلام ألين من الدهن وارق من المزن ويخاطب اهل البدو بكلام أرسى من الهضب وارهف من العضب فانظر الى دعائه صلى الله عليه وسلم لاهل المدينة حين سالوه ذلك * فقال اللهم بارك لهم فى مكيالهم وبارك لهم فى صاعهم ومدهم وفى رواية اللهم بارك لنا فى تمرنا وبارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا في صاعنا وبارك لنا في مدنا اللهم انى ادعوك للمدينة بمثل مادعاك ابراهيم لمكة ثم انظر دعاءه لبني نهد وقد وفدوا عليه فى جملة الوفود فقام طهفة ابن رهم النهدي يشكو الجدب اليه فقال يارسول الله اتيناك من غورى تهامة باكوار الميس ترتمى بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام من ارض غائلة النطاء غليظة الوطاء قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدى ومات الودى برئنا اليك يارسول الله من الوثن والعنن ومايحدث الزمن لنا دعوة الاسلام وشرائع الاسلام ماطمي البحر وقال تعار ولنا نعم همل اغفال ماتبل ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل اصابتها سنة حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم في الدعاء لهم اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له فى المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما ومن آتي

يعني زوجته انها رأت رؤيا كرهتها رأت دما أقبل من الحجون يسيل حتي وقف بالخندمة فكره القوم ذلك وعند ذلك خرج عمرو وقيل عمر بضم العين وصححه الذهبي ابن سالم الخزاعى أى سيد خزاعة فى أربعين راكبا أى من خزاعة فيهم بديل بن ورقاء الخزاعى حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ودخل المسجد ووقف على رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد بين الناس وقال من ابيات

يارب انى ناشد محمدا * حلف أبينا وابيه الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم نصرت ياعمرو بن سالم أى ودمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقال لا ينصرنى الله وفى لفظ لا نصرت ان لم انصر بني كعب يعني خزاعة مما أنصر به نفسى وفي رواية لامنعنهم مما امنع منه نفسى زاد فى رواية وأهل بيتى ثم مرت سحابة فى السماء وارعدت فقال رسول الله ﷺ ان هذا السحاب ليستهل اى وفى لفظ ليصب بنصر بنى كعب يعني خزاعة اي وعن بشر بن عصمة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خزاعة منى وانا منهم وقبل قدوم عمرو بن سالم على رسول الله صلي الله عليه وسلم واعلامه بذلك حدثت عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الوقعة قال لها لقد حدث بخزاعة حدث قالت فقلت يارسول الله اترى قريشا يجترؤن على نقض العهد الذى بينك وبينهم فقال ينقضون العهد لامر يريده الله فقلت خير قال خير وفى لفظ قالت لخير أو لشر قال لخير وعن ميمونة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بات عندها ليلة فقام ليتوضا للصلاة قالت فسمعته يقول لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يارسول الله سمعتك تقول لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا كانك تكلم انسانا فهل كان معك احد قال هذا راجز بني كعب يعنى خزاعة يزعم ان قريشا اعانت عليهم بكر بن وائل اى بطنا منهم وهو بنو نفاثة قالت ميمونة فقمنا ثلاثا ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فسمعت الراجز يقول يارب انى ناشد محمدا الى آخر ماتقدم انتهى وعند ذلك قال ﷺ لعمرو بن سالم واصحابه فيمن تهمتكم قالوا بنوا بكر قال كلها قالوا لا ولكن بنو نفاثة قال هذا بطن من بكر ولما ندمت قريش على نقضهم العهد ارسلوا اباسفيان ليشد العقد ويزيد فى المدة فقالوا له مالها سواك اخرج الى محمد فكلمه فى تجديد العهد وزيادة المدة فخرج ابو سفيان ومولى له على راحلتين فاسرع السير لانه يري انه اول من خرج من مكة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس قبل قدوم ابي سفيان كانكم بابى سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة وهو راجع بسخطه ثم رجع اولئك الركب من خزاعة فلما كانوا بعسفان لقوا ابا سفيان اي ومولى له كل على راحلة وقد بعثته قريش الى رسول الله صلي

عليه وسلم ليشد العقد ويزيد فى المدة وقد خافوا مما صنعوا فسألهم هل ذهبتم الى المدينة قالوا لا وتركوه وذهبوا وجاء الى مبركهم بعد ان فارقوه فاخذ بعر راوفته فوجد فيه النوى وعلم انهم ذهبوا الى المدينة الشريفة قال * وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لعمرو بن سالم وأصحابه ارجعوا وتفرقوا فى الاودية أى ليخفى مجيئهم للنبى صلى الله عليه وسلم فرجعوا وتفرقوا فذهبت فرقة الى الساحل أى وفيهم عمرو بن سالم وفرقة فيهم بديل بن ورقاء لزمت الطريق وان ابا سفيان اتى بديل بن ورقاء بعسفان فاشفق أبو سفيان أن يكون بديل جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال للقوم أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها فقالوا لا علم لنا بها أى وقالوا انما كنا فى الساحل نصلح بين الناس فى قتل ثم صبر أبو سفيان حتى ذهب أولئك القوم وفى لفظ قال من أين أقبلت يا بديل قال سرت الى خزاعة فى هذا الساحل قال ما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة أى توجه اليها قال ابو سفيان لئن كان جاء المدينة لقد علف بها النوى فجاء منزلهم ففتت ابعار اباعرهم فوجد فيها النوى قال أبو سفيان أحلف بالله لقد جاء القوم محمدا انتهى فلما قدم أبو سفيان المدينة دخل على ابنته أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ولما أراد ان يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ماأدرى أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عنى قالت بل هو فراش النبى صلى الله عليه وسلم وأنت مشرك نجس قال والله لقد اصابك بعدي شر فقالت بل هدانى الله تعالى للاسلام وأنت تعبد حجرا لا يسمع ولا يبصر واعجبا منك ياأبت وأنت سيد قريش وكبيرها فقال أنا أترك ما كان يعبد آبائى وأتبع دين محمد ثم خرج حتى اتى النبى ﷺ وقال له اني كنت غائبا فى صلح الحديبية فامدد العهد وزدنا في المدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك جئت ياأبا سفيان قال نعم فقال رسول الله ﷺ هل كان فيكم من حدث قال معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغيره ولا نبدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن على مدتنا وصلحنا فاعاد أبو سفيان القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيأ هذا وفى كلام سبط ابن الجوزي رحمهما الله ان مجيئه لام حبيبة رضى الله عنها بعد مجيئه للنبى صلى الله عليه وسلم ثم ذهب الى أبى بكر رضى الله عنه فكلمه أن يكلم له رسول الله ﷺ فقال ما أنا بفاعل * وفى رواية قال لأبى بكر جدد العقد وزدنا فى المدة فقال ابو بكر جوارى فى جوار رسول الله ﷺ والله لو وجدت الذر تقاتلكم لاعنتها عليكم ثم اتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكلمه فقال انا اشفع لكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم بها وفى رواية انه قال ما كان من حلفنا جديدا اخلقه الله وما كان مقطوعا فلا وصله الله فعند ذلك قال ابو سفيان جزيت من ذى رحم شرا وفي لفظ سوأ ثم جاء الى عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال انه ليس فى القوم اقرب بى رحما منك فزد فى المدة وجدد العقد فان صاحبك لا يرده عليك ابدا فقال عثمان جوارى فى جواره صلى الله عليه وسلم انتهى ثم جاء فدخل على على بن ابي طالب كرم الله وجهه وعنده فاطمة وحسن رضى الله عنه غلام يدب بين يديهما فقال يا على انك امس القوم بى رحما وانى قد

الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة ثم كتب معه كتابا الى بني نهد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بني نهد بن زيد السلام على من آمن بالله عزوجل ورسوله لكم يا بنى نهد فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم مالم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من أقر بما فى هذا الكتاب فله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة وروى العسكري عن على رضى الله عنه قلنا يا نبى الله نحن بنو اب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك تتكلم بلسان العرب مالا نعرف اكثره قال ان الله عز وجل ادبنى فاحسن تاديبى اى علمنى رياضة النفس ومحاسن الاخلاق الظاهرة والباطنة ونشأت في بنى سعد بن بكر اي فجمع لى بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها وخلوص الفاظ الحاضرة ورونق كلامها قال فى المواهب وتحتاج هذه الالفاظ البالغة أعلى انواع البلاغة الى التفسير فغورى تهامة ماانحدر منها والاكوار الرحل والميس بفتح الميم وسكون التحتية شجر صلب يعمل منه رحال الابل وتستحلب بالحاء المهملة الصبير بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة سحاب ابيض متراكب متكاثف اى تستدر السحاب وتستحلب الخبير بالخاء المعجمة فيهما والخبير هو العشب فى الارض شبه بخبير الابل وهو وبرها واستخلابه احتشاشه بالخلب وهو المنجل وقيل نستخلب الخبير اى نقطع النبات وناكله ونستعضد البرير اى نقطعه والبرير ثمر الاراك وكانوا ياكلونه فى الجدب لقلة الزاد ونستخيل الرهام بكسر الراء وهى الامطار الضعيفة واحدتها رهمة اي نتخيل الماء في السحاب القليل ونستجيل بالجيم الجهام

جئت

أي نراجا ﻻ يذهب به الريح ههنا وههنا والجهام بفتح الجيم السحاب الذي فرغ ماؤه ويروى ونستخيل بالخاء المعجمة الجهام من خلت أخال اذا ظننت أراد لا نتخيل في السحاب الا المطر وان كان جهاما لشدة حاجتنا اليه فنظن مالا وجود له موجودا ويروى ونستحيل بالحاء المهملة والمراد لا ننظر من السحاب في حال الا الى جهام من قلة المطر وقوله من ارض غائلة النطا بكسر النون أي المهلكة للبعد يقال بلد نطي أي بعيد والمدهن بالضم نقرة في الجبل ومستنقع الماء (٨٥) وكل موضع حفرة السيل وآله الدهن

جئت في حاجة فلا ارجعني كما جئت خائبا اشفع لي الى محمد فقال ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع ان نكلمه فالتفت الى فاطمة رضي الله عنها فقال يا ابنة محمد هل لك ان تامري ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى آخر الدهر قالت والله ما يبلغ بنيي ذلك ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وفي رواية انه قال لفاطمة اجيري بين الناس فقالت انما انا امرأة قال قد اجارت اختك يعني زينب ابا العاص بن الربيع يعني زوجها واجاز ذلك محمد قالت انما ذاك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فامري احد ابنيك قالت انهما صبيان ليس مثلهما يجير قال فكلمي عليا فقالت أنت تكلمه فكلم عليا فقال يا أبا سفيان انه ليس احد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتات على رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوار وقول فاطمة رضي الله عنها في حق ابنيها انهما صبيان ليس مثلهما يجير هو الموافق لما عليه أئمتنا من ان شرط من يؤمن ان يكون مكلفا واما قولها وانما انا امرأة فلا يوافق ماعليه أئمتنا من ان للمرأة والعبد ان يؤمنا لان شرط المؤمن عند ائمتنا أن يكون مسلما مكلفا مختارا وقد آمنت زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم زوجها أبا العاص بن الربيع وقال صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من اجرت وقال المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم ادناهم كما سيأتي في السرايا وقد تقدم ذلك قريبا عن ابي سفيان وسيأتي قريبا ان أم هانىء أجارت وانه صلى الله عليه وسلم قال لها اجرنا من اجرت يا ام هانىء لكن سيأتي ان هذا كان تأكيدا للامان الذي وقع منه صلى الله عليه وسلم لاهل مكة لا امان مبتدأ ثم ان ابا سفيان اتى اشراف قريش والانصار وكل يقول جواري في جوار رسول الله ﷺ ثم جاء الى علي كرم الله وجهه وقال يا ابا الحسن اني ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال والله لا اعلم لك شيا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم واجر بين الناس ثم الحق بارضك قال أو ترى ذلك مغنيا عني شيا قال والله ما اظنه ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال ايها الناس اني اجرت بين الناس زاد في رواية ولا والله ما اظن ان يخفرني احد ولا يرد جواري قال وفي رواية انه جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اني اجرت بين الناس اي وقال لا والله ما اظن احدا يخفرني ويرد جواري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت تقول ذلك يا ابا حنظلة وفي لفظ يا ابا سفيان انتهى ثم ركب بعيره فانطلق حتى قدم على قريش وقد طالت غيبته واتهمته قريش انه صبا واتبع محمدا سرا وكتم اسلامه وقالت له زوجته ان كنت مع طول الاقامة جئتهم بنجح فانت الرجل فلما اخبرها اي وقد دنا منها وجلس منها مجلس الرجل من امرأته فضربت برجلها في صدره وقالت قبحت من رسول قوم فما جئت بخير فلما اصبح ابو سفيان حلق راسه عند اساف ونائلة وذبح عندهما البدن ومسح رؤوسهما بالدم ليدفع عنه التهمة فلما رأته قريش قالوا ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد او عهد قال لا والله لقد ابى علي وقد تتبعت اصحابه فما رأيت قوما لملك اطوع منهم له وفي رواية قال جئت محمدا فكلمته فوالله ما رد علي شيا ثم جئت الى ابن ابي قحافة فلم اجد فيه خيرا ثم جئت عمر بن الخطاب

وقارورته وهذا كناية عن جفاف الماء في جميع نواحيهم والجعش بالجيم والمثلثة المكسورتين بينهما مهملة ساكنة آخره نون أصل النبات والاملوج بضم الهمزة واللام وبالجيم ورق شجرة يشبه الطرفاء العسلوج بضم العين وبالسين المهملتين آخره جيم وهو الغصن اذا يبس ودهمت طراوته يريد ان الاغصان يبست وهلكت من الجدب وقوله وهلك الهدى بفتح الهاء وكسر الدال المهملة وشد الياء كالهدى بسكون الدال وتخفيف الياء ما يهدى الى البيت الحرام من النعم ليحر فاطلق على جميع الابل وان لم تكن هديا لصلوحها له تسمية للشيء ببعضه وقوله ومات الودي بشد الياء هو فسيل النخل يريد هلكة الابل ويبست النخيل وبرئنا اليك من الوثن أي

الصنم يعنون انهم تركوا عبادة الاصنام والالتجاء اليها والعنن أي الاعتراض يقال عن لي الشيء اذا اعترض كانه قال برئنا اليك من الشرك والظلم وقيل أراد به الخلاف والباطن وقوله وماطمى البحر بالطاء المهملة أي ارتفع امواجه وتعار بكسر المثناة الفوقية بعدها عين مهملة فالف فراء نزنة كتاب اسم جبل يصرف ولا يصرف باعتبار المكان والبقعة وقوله ولسائمهم همل بفتحتين أي مهملة لا رعاة لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهي كالضالة والابل الاغفال التي لا ابن فيها والوقير القطيع من الغنم وقوله

فوجدته ادني العدو وفي رواية اعدى العدو ثم جئت عليا فوجدته الين القوم وقد اشار علي بشيء صنعته فوالله لا ادري ايغني عني شيا ام لا قالوا وبم امرك قال امرني ان اجير بين الناس اي قال لي لم تلتمس جوار الناس على محمد ولا تجير انت عليه وانت سيد قريش واكبرها واحقها ان لا يخفر جواره ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا اي وانما قال انت تقول ذلك يا ابا حنظلة والله لم يزدني قالوا رضيت بغير رضا وجئت بما لا يغني عنا ولا عنك شيا ولعمر الله ما جوارك بجائر وان اخفارك اي ازالة خفارتك عليهم لهين والله اراد الرجل يعنون عليا كرم الله وجهه ان يلعب بك قال والله ما وجدت غير ذلك وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله ان يجهزوه اي قال لعائشة جهزينا واخفي امرك فدخل ابو بكر رضي الله عنه على ابنته عائشة رضي الله عنها وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم اي تجعل قمحا سويقا ودقيقا وفي لفظ وجد عندها حنطة تنسف وتنقى فقال اي بنية امركن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجهيزه قالت نعم فتجهز قال فاين ترينه يريد قالت لا والله ما ادري وان ذلك قبل ان يستشير صلى الله عليه وسلم ابا بكر وعمر رضي الله عنهما في السير الى مكة كما سياتي ثم انه صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه سائر الى مكة وامرهم بالجد والتجهز اي وفي الامتاع ان ابا بكر رضي الله عنه لما سال عائشة رضي الله عنها دخل عليه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اردت سفرا قال نعم قال افاتجهز قال نعم قال فاين تريد يا رسول الله قال قريشا واخف ذلك يا ابا بكر وامر صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذي يريده وقد قال له ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله او ليس بيننا وبينهم مدة قال انهم غدروا ونقضوا العهد واطو ما ذكرت لك * وفي رواية ان ابا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله اتريد ان تخرج مخرجا قال نعم قال لعلك تريد بني الاصفر قال لا قال افتريد اهل نجد قال لا قال فلعلك تريد قريشا قال نعم قال يا رسول الله اليس بينك وبينهم مدة قال ألم يبلغك ما صنعوا ببني كعب يعني خزاعة قال وارسل صلى الله عليه وسلم الى اهل البادية ومن حوله من المسلمين في كل ناحية يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليحضر رمضان بالمدينة أي وذلك بعد ان تشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما في السير الى مكة فذكر له ابو بكر رضي الله عنه ما يشير به الى عدم السير حيث قال له هم قومك وحضه عمر رضي الله عنه حيث قال نعم هم راس الكفر زعموا انك ساحر وانك كذاب وذكر له كل سوء كانوا يقولون وايم الله لا تذل العرب حتى تذل اهل مكة فعند ذلك ذكر ﷺ ان ابا بكر كابراهيم وكان في الله الين وان عمر كنوح وكان في الله اشد من الحجر وان الامر امر عمر وتقدم نحو هذا الاستشارة هما صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر اي ثم قدمت المدينة من قبائل العرب اسلم وغفار ومزينة واشجع وجهينة ثم قال صلى الله عليه وسلم اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتي نبغتها في بلادها اي وفي رواية قال اللهم خذ على اسماعهم وابصارهم فلا يرونا الا بغتة ولا يسمعون بنا الا فجاة واخذ بالانقاب اي الطرق اي اوقف بكل طريق جماعة ليعرف من يمر بها اي وقال

كثير الرسل بفتح الراء أي شديد التفرق في طلب الرعي قليل الرسل بكسر فسكون اللبن وقوله سنية بالتصغير للتعظيم وقوله حمراء أي شديدة أي أصابها جدب شديد وقوله مؤزلة أي آتية بالازل أي القحط ليس لها علل هو الشرب ثانيا ولا نهل هو الشرب اولا أي لشدة القحط وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لهم في محضها بالحاء المهملة والضاد المعجمة اي خالص لبنها ومخضها بالمعجمتين ما مخض من اللبن وهو الذي حرك في مسقاء حتي يتميز زبده فيؤخذ منه ومذقها وهو اللبن الممزوج بالماء والضمائر لارضهم او انعامهم المذكورة في كلام طهفة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم لهم في البانهم ما قسمها والقصد الدعاء لهم بخصب ارضهم وسقيها ولكانه قال اللهم اسق بلادهم واجعلها مخصبة مليئة وابعث راعيها في الدثر بالمهملة المفتوحة ثم المثلثة ساكنة ويجوز فتحها ثم الراء المال الكثير وقيل الخصب والنبات الكثير لانه من الدثار وهو الغطاء لانها تغطي وجه الارض وافجر له الثمد بفتح المثلثة واسكان الميم وبفتح الماء القليل اي صيره كثيرا وقوله ودائع الشرك قيل المراد بها العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار ووضائع الملك بكسر الميم هي الوظائف التي تكون على الملك وهو ما يلزم الناس في اموالهم من الزكاة والصدقة اي لكم الوظائف التي تلزم المسلمين لا نتجاوز عنكم ولا نزيد عليكم فيها شيا بل انتم فيها كسائر المسلمين وقوله لا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاءين الاولى مكسورة والثانية ساكنة اي لا تمنع الزكاة يقال لط الغريم اذا منعه حقه ولا تلحد بضم المثناة الفوقية واسكان اللام وكسر الحاء المهملة آخره دال مهملة اي لا تمل عن الحق ما دمت حيا والخطاب لطهفة بن زهير ويروى ولا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة بصيغة التفعل ولا تثاقل عن الصلاة اي لا تتخلف عنها وعن ادائها في وقتها وقوله في الكتاب في الوظيفة الفريضة لهم

الوظيفة الحق الواجب والفريضة هي الهرمة المسنة التي انقطعت عن العمل والانتفاع بها أي لا ناخذ في الصدقات هذا الصنف كما لا ناخذ خيار المال والفارض بالفاء والضاد المعجمة المريضة أي فهي لكم لا ناخذها في الزكاة أيضا والفريش بالفاء وكسر الراء وتحتية ساكنة آخره شين معجمة وهي من الابل الحديثة العهد بالنتاج كالنفاس من بني آدم أي لكم خيار المال كالفريش لانها لبون نفيسة ولكم شراره أيضا كالفريضة والفارض ولنا وسطه رفقا بالفريقين وذو العنان بكسر العين ونونين بينهما الف سير اللجام والركوب بفتح الراء اى الفرس الذلول اى المذال المركوب اى لا نأخذ الزكاة من الفرس المعد للركوب اى بخلاف المعد للتجارة والفلو بفتح الفاء وضم اللام وشد الواو المهر الصغير والضبيس بفتح المعجمة وكسر الموحدة آخره سين مهملة المهر العسر الركوب الصعب امتن عليهم بترك الصدقة في الخيل جيدها وهو ذو العنان الركوب ورديها وهو الفلو الضبيس اى اظهر المنة عليهم في ذلك لان الله ما اوحي اليه بأخذ الزكاة في ذلك فهي غير واجبة فيه لا عليهم ولا على غيرهم وقوله لا يمنع سرحكم بضم المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة ما سرح من المواشي أى لا يدخل عليكم أحد في مراعيكم والمراد ان مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها

لهم لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكروه الا ارددتموه ولما أجمع صلى الله عليه وسلم المسير الى قريش وعلم بذلك الناس كتب حاطب بن أبي بلتعة الى قريش أى الى ثلاثة منهم من كبرائهم وهم سهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك كما تقدم كتابا يخبرهم بذلك ثم أعطاه امرأة وجعل لها جعلا على ان تبلغه قريشا ويقال أعطاها عشرة دنانير وكساها بردا أي وقال لها اخفيه ما استطعت ولا تمري على الطريق فان عليه حرسا فسلكت غير الطريق قال وتلك المرأة هي سارة مولاة لبعض بني عبد المطلب بن عبد مناف وكانت مغنية بمكة وكانت قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واسلمت وطلبت منه الميرة وشكت الحاجة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في غنائك ما يغنيك فقالت ان قريشا منذ قتل منهم من قتل ببدر تركوا الغناء فوصلها صلي الله عليه وسلم واوقر لها بعيرا طعاما فرجعت الى قريش وارتدت عن الاسلام وكان ابن خطل ياتي عليها بهجاء رسول الله صلي الله عليه وسلم فتتغنى به انتهى فجعلت الكتاب في قرون راسها اى ضفائر راسها خوفا ان يطلع عليها احد ثم خرجت به واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث عليا والزبير وطلحة والمقداد اى وقيل عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد وابا مرثد اي ولا مانع ان يكون ارسل الكل وبعض الرواة اقتصر على بعضهم فقال صلي الله عليه وسلم ادركا امراة بمحل كذا قد كتب معها حاطب بكتاب الى قريش يحذرهم ما قد اجمعناه في امرهم فخذوه منها وخلوا سبيلها فان ابت فاضربوا عنقها فخرجا حتى ادركاها في ذلك المحل الذى ذكره صلى الله عليه وسلم فقالا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب فاستنزلاها وفتشاها والتمسا في رحلها فلم يجدا شيا فقال لها علي كرم الله وجهه اني احلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ولا كذبنا ولتخرجن هذا الكتاب او لنكشفنك او اضرب عنقك فلما رات الجد منه قالت اعرض فاعرض فحلت قرون راسها فاستخرجت الكتاب منه وفي البخاري اخرجته من عقاصها ولا منافاة وفيه في محل آخر اخرجته من حجزتها او الحجزة معقد الازار والسراويل قال بعضهم ولا مانع ان يكون في ضفائرها وانها جعلت الضفائر في حجزتها فدفعته اليه وسياتي انها ممن اباح صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح ثم اسلمت وعفا عنها فاتي رسول الله ﷺ بذلك الكتاب اى وصورة الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده لينصره الله تعالى عليكم فانه منجز له ما وعده فيكم فان الله تعالى ناصره ووليه وقيل فيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد نفر اما اليكم واما الى غيركم فعليكم الحذر وقيل فيه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد آذن بالغزو ولا اراه الا يريدكم وقد احببت ان تكون لي يد بكتابي اليكم * اقول لا مانع ان يكون جميع ما ذكر في الكتاب بان يكون فيه ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد آذن اى اعلم بالغزو وقد نفر اى عزم على ان ينفر فاما اليكم واما الى غيركم ولا اراه الا يريدكم وهذا كان قبل ان يعلم بسيره الى مكة فلما علم الحق بالكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اي يريد التوجه اليكم

وقوله ولا يعضد طلحكم اى لا يقطع شجركم الذى لا ثمر له فغيره من باب اولى وقوله ولا يحبس دركم اى لا تحبس ذوات اللبن عن المرعي الى ان تجتمع الماشية ثم تعد اى يعدها الساعي لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها والقصد الرفق بمن تؤخذ منهم الزكاة اوالمعنى لا تاخذ ذات الدر لما في ذلك من الاضرار وقوله ما لم تضمروا الاماق اى ما لم تخلفوا او تكتموا الاماق اي الغدر والبغض وهو بكسر الهمزة وميم ساكنة وهمزة ممدودة تليها قاف بزنة الاكرام * وفي رواية الرماق وهو الغدر ايضا وقال الزمخشري

فى تفسير الاماق المراد اضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار فى دين الله وقوله وتاكلوا الرباق بكسر الراء وبالموحدة المخففة جمع ربق أصله الحبل الذى يجعل فيه عرى وتشد به البهيمة لتتخلص من الرباط أى الا أن تنقضوا العهد فاستعار الاكل لنقض العهد استعارة تصريحية او تمثيلية وشبه ما يلزم من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقضه والمعنى هذا أمر مقدر عليكم منا مالم تنقضوا العهد وترجعوا عن الاسلام فان فعلتم فعليكم ما على الكفر وقوله فعليه الربوة بكسر الراء وفتحها وضمها أى الزيادة

يحبش الى آخره وبعض الرواة اقتصر على ماقى بعض الكتاب والله أعلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال له أتعرف هذا الكتاب قال نعم فقال ماحملك على هذا فقال والله انى لؤمن بالله ورسوله ماغيرت ولا بدلت وفى لفظ ما كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحت ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكن ليس لى فى القوم أهل ولا عشيرة ولى بين اظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم أى وفى لفظ قال يارسول الله لا تعجل على انى كنت امرأ ملصقا أى حليفا من قريش وفى كلام بعضهم مايفيد ان الملصق هو الذى لا نسب له ولا دخل فى حلف قال ولم اكن من انفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون أموالهم واهليهم بمكة ولم يكن لى قرابة فاحببت ان اتخذ فيهم يدا احمى بها اهلى اى وهى امه ففى بعض الروايات كنت غريبا فى قريش وامى بين اظهرهم فاردت ان يحفظونى فيها وما فعلت ذلك كفرا بعد اسلام وقد علمت ان الله تعالى منزل بهم باسه لا يغنى عنهم كتابى شيأ فقال رسول الله ﷺ انه قد صدقكم فقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يارسول الله دعنى لا ضرب عنقه فان الرجل قد نافق وفى لفظ قال له قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ بالانقاب وتكتب الى قريش تحذرهم وفى رواية دعنى اضرب عنقه لانه يعلم انك يارسول الله اخذت على الطريق وامرت ان لا تدع احدا يمر ممن تنكره الا رددته انتهى * واقول مراد سيدنا عمر بقوله قد نافق اى خالف الامر لا انه اخفى الكفر لقوله ﷺ قد صدقكم ورأى ان مخالفة امره صلى الله عليه وسلم مقتضية للقتل ولكن رواية البخارى انه قد صدقكم ولا تقولوا له الا خيرا وعليها يشكل قول عمر المذكور ودعاؤه عليه بقوله قاتلك الله الا ان يقال يجوز ان يكون قول عمر لذلك كان قبل قول رسول الله ﷺ ماذكر وعند قول عمر رضى الله عنه دعنى لاضرب عنقه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم وفى رواية فقد وجبت لكم الجنة وفى رواية لا يدخل النار احد شهد بدرا فعند ذلك فاضت عينا عمر رضى الله عنه بالبكاء اى وانزل الله تعالى ياايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الآيات وفى قوله عدوى وعدوكم منقبة عظيمة لحاطب رضى الله عنه بان فى ذلك الشهادة له بالايمان وقوله تلقون اليهم بالمودة اى تبدونها لهم وذكر بعضهم ان البلتعة فى اللغة التظرف بالظاء المشالة يقال تبلتع فى كلامه اذا تظرف فيه * ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره واستخلف على المدينة ابارهم كلثوم بن الحصين الغفارى وقيل ابن ام مكتوم وبه جزم الحافظ الدمياطى فى سيرته وخرج لعشر وقيل ليلتين وقيل لثنتى عشرة وقيل ثلاث عشرة وقيل سبع عشرة وقيل ثمان عشرة وهو فى مسند الامام احمد بسند صحيح قال ابن القيم انه اصح من قول من قال انه خرج لعشر خلون من رمضان اى وصدر به فى الامتاع وقيل خرج لتسع عشرة مضين من شهر رمضان فى سنة ثمان قال فى النور لا اعلم خلافا فى الشهر والسنة وفى البخارى ان خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة كان على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة اى فيكون فى السنة التاسعة فيه نظر وكان صلى الله عليه وسلم

يعنى من تقاعد عن اعطاء الزكاة فعليه الزيادة فى الفريضة عقوبة له وهو صادق باى زيادة كانت اى يزاد فى عقوبته ولو قتالا له فان مانع الزكاة يقاتل قال فى المواهب فانظر الى هذا الدعاء والكتاب الذى انطبق على لغتهم اى من حيث المماثلة فى غرابة الالفاظ مع انه زاد عليها فى الجزالة اى حسن النظم والتأليف وقد كان من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه ان يكلم كل ذى لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب الفاظها واساليب كلمها فلما كان كلام من تقدم على هذا الحد والاغلب على هذا النمط واكثر استعمالهم لهذه الالفاظ استعملها معهم فاستعملها مع من هى لغته لا يخل بالفصاحة بل هو من اعلى طبقاتها وان كان فيها ماهو غريب وحشى بالنسبة لغيرهم حتى ان كلام البادية الوحشى فصيح بالنسبة لهم وكان احدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربى ومادلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الناس سودا وحمرا فعلمه الله جميع اللغات قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اى لغتهم فلما بعثه الله للجميع علمه الجميع ليحدث الناس بما يعلمون فكان ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم وقد خاطب بعض الحبشة بكلامهم وبعض الفرس بكلامهم وغيرهم مما هو ثابت فى

وسلم فى عشرة آلاف اي باعتبار من لحقه فى الطريق من القبائل كبنى أسد وسليم ولم يتخلف عن احد من المهاجرين والانصار وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلثمائة فرس وكانت الانصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس وكانت مزينة ألفا وفيها مائة فرس وكانت اسلم أربعمائة ومعها ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرسا وقيل كان صلى الله عليه وسلم في اثني عشر الفا ولما وصل صلى الله عليه وسلم الى الابواء اوقريبا منها لقيه ابوسفيان ابن عمه الحرث وكان الحرث أكبر ولد عبدالمطلب وكان يكنى به كما تقدم وكان ابوسفيان أخاه صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على حليمة كما تقدم ولقيه عبدالله بن أمية بن المغيرة ابن عمته عاتكة بنت عبدالمطلب أخو أم سلمة ام المؤمنين رضى الله عنها لابيها لان والدة ام سلمة عاتكة بنت جندل الطعان وكان عند أبيها أمية بن المغيرة زوجتان أيضا كل منهما تسمى عاتكة فكان عنده أربع عواتك وكان مجيء الحرث وعبدالله له صلى الله عليه وسلم يريدان الاسلام وكانا رضى الله تعالى عنهما من أكبر القائمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اشد الناس اذاية له صلى الله عليه وسلم اي بعدان كان الحرث قبل النبوة آلف الناس له صلى الله عليه وسلم لا يفارقه كما تقدم وقد تقدم بعض ذكر اذيتهما له صلى الله عليه وسلم فاعرض صلى الله عليه وسلم عنهما فكلمته أم سلمة رضي الله عنها فيهما أي قالت له لا يكون ابن عمك وابن عمتك أي وصهرك اشقى الناس بك فقال صلى الله عليه وسلم لا حاجة لى بهما أما ابن عمي يعنى أبا سفيان فهتك عرضي واما ابن عمتي وصهري يعنى عبدالله أخا أم سلمة فهو الذى قال لي بمكة ماقال اى قال له والله لا آمنت بك حتي تتخذ سلما الي السماء فتعرج فيه وأنا انظر اليك فتاتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون لك ان الله ارسلك الى آخر ما تقدم فلما خرج الخبر اليهما قال ابوسفيان ومعه ابن له والله ليأذن لى اولآخذن بيدا بني هذا ثم لنذهبن في الارض حتي نموت جوعا وعطشا فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وقبل صلى الله عليه وسلم اسلامهما وقيل ان عليا كرم الله وجهه قال لابى سفيان ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ماقال اخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه صلى الله عليه وسلم لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولا منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وكان ابوسفيان رضي الله عنه بعد ذلك لا يرفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه لانه عاداه صلى الله عليه وسلم نحو عشرين سنة يهجوه ولم يتخلف عن قتاله وكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يحبه ويشهد له بالجنة ويقول ارجو أن يكون خلفا من حمزة رضى الله عنهما اى وقال له صلي الله عليه وسلم يوما الصيد كل الصيد في جوف الفرا وفى رواية قال له صلى الله عليه وسلم انت يا أباسفيان كما قيل كل الصيد في جوف الفرا * وفي سفره صلي الله عليه وسلم صام وصام الناس حتي اذا كانوا بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة الاولي اى وهو محل بين عسفان وقديد افطر اى وقيل افطر بعسفان وقيل افطر بقديد وقيل افطر بكراع الغميم ولا منافاة

كتب السنة وفى شرح الشهاب الخفاجى على الشفاء ان جماعة وفدوا على النبى صلي الله عليه وسلم حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبي صلي الله عليه وسلم وكانوا لا يعرفون العربية فقال رجل منهم بلغته مبأ بون اسران اى ايكم رسول الله فلم يفهم الحاضرون قوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشكد اشكد أورومني اشكد تعال واقبل وهلم وأورومعناه هنا والينا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجيبه بلغته ولا يفهم القوم فاسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخبر الصحابة بقدومه ولغته فسبحان من علمه ذلك انه المنعم الكريم وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب فلا توازى فصاحة ولا تبارى بلاغة فلا حاجة الى الاطالة بها وفي المواهب والشفاء وشروحهما كثير من ذلك

﴿ ذكر كتابه صلي الله عليه وسلم لذى المشعار الهمدانى ﴾

المشعار بكسر الميم واسكان الشين المعجمة وعين مهملة فالف فراء اسم موضع باليمن لقب به مالك بن نمط الهمدانى وهمدان شعب عظيم أى قبيلة من همدان ويكني مالك بابي ثور وفد على النبى صلى الله عليه وسلم مقدمه من تبوك فقال يارسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تأخذهم في الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة ماحل ولا سوداء عنقفير ماقام لعلع وماجرى اليعفور بصلع فكتب لهم النبي صلي الله عليه وسلم اى امر بكتابة ماصورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف واهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها اى المشعار مالك بن النمط ومن اسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم

لتقارب الامكنة وقال بعضهم لا مانع ان يكون صلى الله عليه وسلم كرر الفطر في تلك الاماكن لتتساوى الناس في رؤية ذلك فاخبر كل منهم عن محل رؤيته قال وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما خرج ووصل الى محل يقال له الصلصل قدم امامه الزبير بن العوام رضي الله عنه في مائتين ونادي منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب ان يصوم فليصم ومن أحب ان يفطر فليفطر أي وفي الامتاع لما خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة نادي مناديه من أحب ان يصوم فليصم وفي بعض الايام صب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رأسه الماء ووجهه من شدة العطش وفي لفظ من شدة الحر وهو صائم * وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ الكديد بلغه ان الناس شق عليهم الصيام أي وانهم ينظرون فيما فعلت فاستوى صلى الله عليه وسلم على راحلته بعد العصر ودعا باناء فيه ماء وقيل لبن وشرب ثم ناوله لرجل بجنبه فشرب وقيل له بعد ذلك ان بعض الناس صام فقال أولئك العصاة أى لانهم خالفوا امره صلى الله عليه وسلم لهم بالفطر ليتقووا على مقاتلة العدو لانه صلى الله عليه وسلم قال للصحابة لما دنوا من عدوهم انكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم فلم يزل صلى الله عليه وسلم يفطر حتى انسلاخ الشهر انتهى أى وفي قديد عقد صلى الله عليه وسلم الالوية والرايات ودفعها للقبائل ثم سار حتى نزل بمر الظهران أى وهو الذي يقال له الآن بطن مرو عشاء أى وقد اعمى الله الاخبار عن قريش اجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم فلم يعلموا بوصوله اليهم اي ولم يبلغهم حرف واحد من مسيره اليهم فامر صلى الله عليه وسلم صحابه فاوقدوا عشرة آلاف نار وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان العباس رضي الله عنه قد خرج قبل ذلك بعياله مسلما أي مظهرا للاسلام مهاجرا فالتقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وقيل بذى الحليفة ورجع معه الى مكة أي وأرسل اهله وثقله الى المدينة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرتك ياعم آخر هجرة كما ان نبوتي آخر نبوة قال العباس رضي الله عنه ورقت نفسي لاهل مكة اى بقال واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل ان يأتوه فيستأمنوه انه لهلاك قريش الى آخر الدهر قال العباس رضي الله عنه فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء اى زاد بعضهم التى اهداها له دحية الكلبي فخرجت عليها حتى جئت الاراك فقلت لعلي أجد بعض الحطابة او صاحب لبن او ذا حاجة ياتى مكة يخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل ان يدخلها عنوة فوالله انى لاسير اذ سمعت كلام ابى سفيان وبديل بن ورقاء وهما يتراجعان اى وقد خرجا وحكيم بن حزام اى بعد ان خرج ابو سفيان وحكيم بن حزام ولقيا بديلا فاستصحباه وخرجوا يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون به اى لانهم علموا بمسيره ﷺ ولم يعلموا الى اى جهة وفي سيرة الدمياطى ولم يبلغ قريشا مسيره اليهم فلا ينافي ما قبله وهم مهتمون يخافون من غزوه اياهم فبعثوا أبا سفيان بن حرب يتجسس الاخبار وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا أي فلما سمعوا صهيل الخيل راعهم ذلك وابو سفيان يقول ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا هذه كنيران عرفة وبديل يقول له هذه

ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلث والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح * فقوله نصية من كل حاضر وباد بنون مفتوحة وصاد مهملة مكسورة وتحتية ثقيلة مفتوحة من ينتصى من القوم ويختار وهم الرؤس والاشراف ويقال للاشراف نواص كما يقال للاتباع أذناب وقوله أتوك على قلص بضم القاف واللام جمع قلوص وهى الناقة الشابة ولا تزال قلوصا حتي تصير بازلا وهي ماتم لها ثمان سنين ودخلت في التاسعة والنواجى السراع جمع ناجية وقوله متصلة بحبائل الاسلام أى عهوده ومواثيقه وخارف بالخاء المعجمة المفتوحة والراء المكسورة والفاء ويام بالمثناة التحتية فالف فميم ويقال أيام قبيلتان من همدان وقوله ولا ينقض عهدهم عن سنة ماحل أى لا ينقض بسعي ساع بالنميمة والافساد والسنة الطريقة ويروي عن وشية ماحل والماحل هو الواشي والساعى بالافساد والعنقفير بفتح العين المهملة وسكون النون وتقديم القاف على الفاء بعدها تحتية فراء الداهية اى لا ينقض عهدهم سعى الواشى ولا بداهية تنزل وقوله سوداء اى شديدة فهو من اضافة الصفة للموصوف اى لا ينقض عن داهية شديدة ولعلع بلامين وعينين جبل وماجرى اليعفور بفتح التحتية واسكان المهملة وضم الفاء فواو فراء ولد الظبية وقوله بصلع بضم الصاد المهملة وتشديد اللام الارض التي لا نبات فيها فالمراد ان عهدهم لا ينقض والله اصلالان لعلع مقيم واليعفور لا ينفك عن جريانه بالارض القفراء وقوله صلي الله عليه وسلم لمخلاف هو الناحية وطرف الاقاليم وقوله خارف اسم موضع واهل جناب الهضب بكسر الجيم والهضب بفتح الهاء وسكون المعجمة وموحدة جمع هضبة مركب تركيب مزج اسم موضع ايضا وحقاف الرسل بحاء المهملة مكسورة فقاف بينهما الف اسم موضع أيضا وهذه المواضع بلادهم وقراعها

والله خزاعة حمشها الحرب وحمشها بالحاء المهملة والشين المعجمة أي أحرقها وقيل بالسين المهملة أي اشتدت عليها من الحماسة وهي الشدة وأبوسفيان يقول خزاعة ذل واقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها اى وفي رواية ان القائل هذه خزاعة غير بديل وان بديلا هو القائل هؤلاء اكثر من خزاعة وهو المناسب لان بديلا من خزاعة قال العباس رضى الله عنه فعرفت صوت أبى سفيان أي وكان أبوسفيان صديقا للعباس ونديمه قال العباس فقلت يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال أبو الفضل فقلت نعم قال مالك فداك ابى وامي قلت والله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به أى وفي رواية قد جاءكم بعشرة آلاف فقال واصباح قريش والله فما الحيلة فداك ابى وامي قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتيك رسول الله صلي الله عليه وسلم فاستامنه لك فركب خلفى أى ورجع صاحباه فحدثت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا واذا راوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته حتي مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال من هذا وقام الى ولما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال أبوسفيان عدو الله الحمد لله الذى قد أمكن منك من غير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة فسبقته فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر في اثري فقال يارسول الله هذا أبو سفيان اى عدو الله قد امكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعني لاضرب عنقه قال قلت يارسول الله انى قد اجرته ولعل العباس وعمر رضي الله عنهما لم يبلغهما قوله صلى الله عليه وسلم انكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه أن صح قال العباس رضي الله عنه ثم جلست الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاخذت برأسه فقلت والله لا يناجيه الليلة رجل دوني ولما اكثر عمر في شانه قلت مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بنى عدي بن كعب ماقلت مثل هذا أى ولكنك قد عرفت أنه من رجال عبد مناف قال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم اسلمت كان احب الى من اسلام الخطاب لو اسلم ومابى الا اني قد عرفت ان اسلامك كان احب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو اسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الي رحلك فاذا أصبحت فاتني به وفى البخارى ان الحرس ظفروا بابي سفيان ومن معه وجاؤا بهم الى رسول الله صلي الله عليه وسلم فاسلموا وجمع بعضهم بانه يجوز أن يكون العباس أخذهم من الحرس اي ويؤيده قول ابن عقبة رحمه الله لما دخل الحرس بابي سفيان وصاحبيه لقيهم العباس ابن عبد المطلب فاجارهم أي واتى بابي سفيان وتاخر صاحباه قال وفى لفظ أخذهم نفر من الانصار بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عيونا فاخذوا بخطم أبعرتهم فقالوا من انتم قالوا نحن اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وها هو فقال أبو سفيان هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على اكباد قوم لم يعلموا بهم فجاؤا بهم الى عمر رضي الله تعالى عنه اى لانه كان في تلك الليلة على الحرس كما تقدم فقالوا جئناك بنفر من اهل مكة فقال عمر وهو يضحك اليهم والله لو جئتموني بابي سفيان مازدتم فقالوا والله اتيناك بابي

بكسر الفاء وراء وعين مهملة جمع فرعة بفتح فسكون اى ماعلا من الجبال او الارض ووهاطها بكسر الواو وبطاء مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط كسهم وسهام والوهط اسم اعناب كانت لعمرو بن العاص رضى الله عنه بالطائف على ثلاثة اميال من وج وكان يعرشها على الف الف خشبة وقيل الوهط قرية بالطائف وعزازها بفتح العين المهملة ثم زايين مخففتين ماصلب من الارض وخشن مما لا ملك لاحد فيه وقوله ياكلون علافها بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء جمع علف وهو ماتاكله الماشية وفيه مجاز الحذف اى تاكل ماشيتهم اوان ياكلون بمعنى يملكون وعفاءها بفتح المهملة وتخفيف الفاء وبالمد اي المباح الذى ليس لاحد فيه ملك ولا اثر من عفا الشيء اذا اندرس ومن دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفاء وبالهمز نتاج الابل وألبانها والانتفاع بها وسماها دفئا لانه يتخذ من اصوافها واوبارها مايتدفا به وصرامهم بكسر الصاد المهملة وتخفيف الراء اى لنا من نخلهم مايصرم أي يقطع ومايخرج منه وهو الثمر والثلب بكسر المثلثة واللام الساكنة وبالباء موحدة ماهرم بكسر الراء من ذكور الابل وتكسرت اسنانه والانثى ثلبة والناب بالنون والموحدة الناقة الهرمة التى طال نابها والفصيل بالمهملة الذي انفصل عن امه من اولاد النوق والفارض بالفاء والراء المسن من البقر والداجن الدابة التي تالف البيوت والكبش الحورى بحاء مهملة فواو مفتوحتين وقد تسكن الواو فراء مكسورة الذي فى صوفه حمرة منسوب الي الحورة وهي جلود تتخذ من الضان وقيل مادبغ من الجلود بغير القرظ والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة من صلغت الشاة ونحوها اذا تم سنها وذلك اذا دخلت في السادسة وقيل السابعة والقارح بالقاف والراء والحاء المهملة وهو من الخيل الذي دخل في السنة الخامسة أو السادسة وفى النهاية القارح والصالغ من البقر والغنم الذى كمل وانتهى وذلك فى السنة السادسة والله

سبحانه وتعالى أعلم ﴿ ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لقطن بن حارثة العليمي ﴾ وقطن بفتح القاف والطاء المهملة ونون والعليمي بمهملة مصغر نسبة لبني عليم الكلبي وفد قطن مع قومه على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وانشد النبي صلى الله عليه وسلم قوله

رأيتك ياخير البرية كلها * نبت نضارا في الارومة من كعب
أغر كأن البدر سنة وجهه * اذا ما بدا للناس في خلل العضب
أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجها (٩٢) * ودنت اليتامى في السغاية والجدب

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خيرا وكتب له كتابا وخاطب فيه قومه بما يعرفون من لغتهم وهذا صورته هذا كتاب من محمد لعمائر كلب واحلافها ومن ظاره الاسلام من غيرهم من قطن بن حارثة العليمي باقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين وسمى جماعة منهم دحية ابن خليفة الكلبي وسعد ابن عبادة وعبد الله بن انيس عليهم من الهمولة الراعية البساط والظئار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار الحمولة المائرة لهم لاغية وفي الشوى الورى مسنة حامل او حائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر وفي العثرى شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق عهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس بن شماس * وتفسير ذلك ان العمائر جمع عمارة بالفتح اصغر من القبيلة والاحلاف الحالفون لهم ومن ظاره الاسلام بالظاء المعجمة وهمزة المفتوحة آخره هاء على وزن منعه اي ومن جمعه الاسلام عليهم من غيره والمهمزة بفتح الهاء هي التي ترعى بانفسها بان تكون سائمة في كلاء مباح والبساط التي معها اولادها والظئار ان تعطف الناقة على غير ولدها فهو اسم جمع ظئر بمعنى مرضعة وقوله ناقة بالرفع فاعل بمقدرا وهذه الصفات ليست لتخصيص العام من غير هذا الحديث من عموم الحكم لجميع اصناف الابل حتى لو تمحضت من

سفيان فقال احبسوه فحبسوه حتى اصبح فغدوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى فيه ما لا يخفى فان الجمع بينه وبين ما قبله بعيد قال العباس ولما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحالك فذهبت به فلما أصبح غدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي بعد ان نودي بالصلاة وثار الناس ففزع أبو سفيان وقال للعباس يا أبا الفضل ما يريدون قال الصلاة وفي رواية ما للناس أأمروا في بشيء قال لا ولكنهم قاموا الى الصلاة ورأى المسلمين يتلقون وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رآهم يركعون اذا ركع ويسجدون اذا سجد فقال للعباس يا عباس ما يأمرهم بشيء الا فعلوه فقال له العباس لو نهاهم عن الطعام والشراب لاطاعوه فقال ما رأيت ملكا مثل هذا الا ملك كسرى ولا ملك قيصر ولا ملك بني الاصفر ثم قال للعباس كلمة في قومك هل عنده من عفو عنهم فانطلق العباس بابي سفيان حتى ادخله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ابا سفيان ألم يان لك أن تعلم أنه لا اله الا الله قال بابي وأمي انت ما احلمك واكرمك واوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئا بعد قال ويحك يا ابا سفيان ألم يان لك ان تعلم اني رسول الله قال بابي أنت وأمي أما والله هذه فان في النفس حتى الآن منها شيئا * قال وفي رواية أن بديلا وحكيم بن حزام لم يرجعا بل جاء بهم العباس وان العباس قال يا رسول الله ابو سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء قد أجرتهم وهم يدخلون عليك فقال رسول الله ﷺ أدخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم أي عن أهل مكة ودعاهم الى الاسلام فقالوا نشهد ان لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اني رسول الله فشهد بذلك بديل وحكيم بن حزام فقال أبو سفيان ما اعلم ذلك والله ان في النفس من هذا شيئا فارجئها انتهى أي اخرها الى وقت آخر وفي أسد الغابة أنه صلى الله عليه وسلم قال ليلة قرب من مكة في غزوة الفتح ان بمكة اربعة نفر من قريش اربأ بهم عن الشرك وارغب بهم في الاسلام عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو أي وهذا يدل على القول بان جبيرا اسلم يوم الفتح لكن ذكر بعضهم انه اسلم بعد الحديبية وقبل الفتح فقال العباس رضي الله تعالى عنه لابي سفيان ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فشهد شهادة الحق فاسلم وذكر عبد بن حميد ان النبي صلى الله عليه وسلم حين عرض الاسلام على أبي سفيان قال له كيف اصنع بالعزى فسمعه عمر رضي الله تعالى عنه من وراء القبة فقال له تخرأ عليها فقال له ابو سفيان ويحك يا عمر انك رجل فاحش دعني مع ابن عمي فاياه اكلم وكان في هذا تصديق امية بن ابي الصلت فانه كان يقول كنت ارى في كتبي ان نبيا يبعث في حرتنا فكنت اظن بل كنت لا اشك اني انا هو فلما دارست اهل العلم اذ هو في بني عبد مناف فنظرت في بني عبد مناف فلم اجد احدا يصلح لهذا الامر الا عتبة بن ربيعة فلما جاوز الاربعين سنة ولم يوح اليه علمت انه غيره قال ابو سفيان فخرجت في ركب اريد اليمن في تجارة فمررت بامية بن ابي الصلت فقلت له كالمستهزئ به يا امية قد خرج النبي الذي كنت تنعته قال انه حق فاتبعه قلت ما يمنعك من اتباعه قال ما يمنعني من اتباعه الا

الاستحياء

بنات المخاض لوجبت فيها الزكاة وقوله عوار بفتح العين وضمها والمراد منه العيب وقوله والحمولة المائرة لهم لا غيرة الحمولة بفتح الحاء والمائرة التي تحمل الميرة وهي الطعام والمعنى ان الابل التي تحمل لهم الميرة لا تؤخذ منها زكاة لانها عوامل وبه قال قوم وقوله وفي الشوى بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة اسم جمع للشاء والورى بفتح الواو وكسر الراء وشد الياء السمينة والمسنة ما لها سنتان لكن الذي في الفروع ان الواجب في الغنم جذعة ضان لها سنة (٩٣) أو اجذعت مقدم اسنانها أو ثنية معز لها سنتان ويمكن حمل ماهنا عليه واقتصر لهم على زكاة الغنم والابل لانهما غالب اموالهم والجدول النهر الصغير والعين المعين الماء الطاهر الجاري على وجه الارض بلا تعب والعثرى الزرع الذي لا يسقيه الا ماء المطر وقوله بقيمة الامين اى بتقويم الخراص العدل والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر﴾

بضم الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة فراء الحضرمي رضي الله عنه ونسبه ينتهي الى مالك ما بين مرة بن حمير بن زيد بالحضرمي كان ابوه من اقيال اليمن ووفد هو على النبي صلى الله عليه وسلم واستقطعه ارضا فاقطعه اياها وارسل النبي صلى الله عليه وسلم معه معاوية ابن ابي سفيان رضي الله عنه ليسلمه اياها وكان معاوية رضى الله عنه حافيا فاحرقه حر الشمس فسأله ان يردفه خلفه فابى ورأى انه لا يكون كفؤا لان يكون رديفه فقال له لست ممن يردفه الملوك فسأله نعليه ان يلبسهما فابى وقال دونك ظل ناقتي فامش فيه وذلك كافيك فنال حر الشمس من معاوية غايته وشق عليه ذلك فعاش وائل ابن حجر حتى ادرك خلافة معاوية فوفد عليه فتلقاه واكرمه قال وائل فوددت لو كنت حملته بين يدي وكان له قبل الاسلام صنم من عقيق يعبده ويسجد له فنام عنده يوما في الظهيرة فسمع صوتا هاتفا ثلاثا اني فسجد له فسمع هاتفا يقول

*الاستحياء من بنيات ثقيف اني كنت احدثهم اني هو يريد بني تابعا لغلام من بني عبد مناف ثم قال لابي سفيان كاني بك يا ابا سفيان ان حالفته قد ربطت كما يربط الجدي حتى يؤتى بك اليه فيحكم فيك بما يريد رواه الطبراني في معجمه وذكر بعضهم ان امية هذا كان يتفرس في بعض الاحيان في لغات الحيوان فمر يوما على بعير عليه امرأة راكبة وهو يرفع رأسه اليها ويرغو فقال هذا البعير يقول ان في رحله مسلة تصيب ظهره فانزلوا تلك المرأة وحلوا ذلك الرحل فوجدوا المسلة كما قال وذكر ان حكيم بن حزام قال يارسول الله اجئت باوباش الناس من يعرف ومن لا يعرف الى اهلك وعشيرتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اظلم وافجر قد غدرتم بعقد الحديبية وتظاهرتم على بني كعب يعني خزاعة بالاثم والعدوان في حرم الله وأمنه فقال بديل صدقت والله يارسول الله فقد غدروا بنا والله لو أن قريشا خلوا بيننا وبين عدونا ما نالوا الذي نالوا فقال حكيم كنت يارسول الله حقيقا أن تجعل عدتك وكيدك لهوازن فانهم ابعد رحما واشد عداوة فقال رسول الله ﷺ اني لارجوا أن يجمعها لي ربي فتح مكة واعزاز الاسلام بها وهزيمة هوازن واخذ اموالهم وذراريهم وقال له ابو سفيان يارسول الله ادع الناس بالامان أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها آمنون هم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم من كف يده واغلق داره فهو آمن قال العباس فقلت يارسول الله ان ابا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن القى سلاحه فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن أي فحكيم بن حزام من مسلمة الفتح وكان عمره ستين سنة وبقي في الاسلام مثل ذلك كان من اشراف قريش في الجاهلية والاسلام وأعتق في الجاهلية مائة رقبة وفي الاسلام مثل ذلك فانه حج في الاسلام وأوقف بعرفة مائة وصيف في اعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء الله عن حكيم بن حزام واهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة وأهدى الف شاة وعقد صلى الله عليه وسلم لابي رويحة الذي آخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين بلال وأمره أن ينادي من دخل تحت لواء ابي رويحة فهو آمن أي وانما قال ذلك لما قال أبو سفيان وما تسع داري وما يسع المسجد ولما قال له صلى الله عليه وسلم ذلك قال ابو سفيان هذه واسعة ثم امر صلى الله عليه وسلم العباس ان يحبس ابا سفيان وبديلا وحكيم بن حزام * أي وعليه انما خص ابو سفيان بالذكر في بعض الروايات لشرفه قال له احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها قال العباس ففعلت فمرت القبائل كلما مرت قبيلة كبرت ثلاثا عند محاذاته قال ياعباس من هذه فاقول سليم فيقول مالي ولسليم أي فان أول القبائل مر سليم وفيها خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه ثم تمر القبيلة فيقول ياعباس من هؤلاء فاقول مزينة فيقول مالي ولمزينة حتى نفدت بالفاء والدال المهملة القبائل كلها ما تمر قبيلة الا وسألني عنها فاذا قلت له بنو فلان قال مالي ولبني فلان أي وقد ذكرها بعضهم مرتبة فقال اول من مر خالد بن الوليد في بني سليم بضم السين فقال أبو سفيان ياعباس من هؤلاء قال هذا خالد ابن الوليد قال الغلام قال نعم قال ومن معه قال بنو سليم قال مالي ولبني سليم ثم مر على اثره الزبير بن العوام رضى

واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدري وهو ليس يدري ماذا ترجى من نحيت صخر * ليس بذى عرف ولا ذي نكر ولا بذى نفع ولا ذى ضر * لو كان ذا حجر اطاع امرى فرفع رأسه وقال بماذا تامرنى فقال ارحل الى يثرب ذات النخل * وسر اليها سير مستقل فدن بدين الصائم المصلى * محمد الرسول خير الرسل ثم خر الصنم لوجهه وقام اليه فجعله رفاتا ثم سار حتى أتي المدينة ودخل المسجد فادناه النبى صلي الله عليه وسلم وبسط له رداءه واجلسه معه ثم صعد المنبر وقال ايها الناس هذا وائل بن حجر سيد الاقيال اتاكم من ارض بعيدة راغبا فى الاسلام فقال يارسول الله بلغنى ظهورك وانا في ملك عظيم فتركته واخترت دين الله فقال صدقت اللهم بارك فى وائل وولده وولد ولده ثم انه نزل الكوفه فى آخر عمره وتوفى بها في خلافة معاوية رضى الله عنه وله بها عقب ووقع فى الشفاء انه صلى الله عليه وسلم وصفه بالكندى فقيل انه غلط والصواب الحضرمى وقال ابن الجوزى الحضرمي أو الكندى فلا مانع من كونه حضرميا كنديا ثم كتب له صلي الله عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الاقيال العباهلة والارواع المشاييب في التيعة شاة لامقورة الالياط ولا ضناك وأنطوا الثبجة وفي السيوب الخمس ومن زني مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زني مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين وعمة في فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام ووائل وهند

ابن حجر يترفل على الاقيال وتفسيره الاقيال هم الرؤساء دون الملوك وقيل الملوك والعباهلة بالموحدة المفتوحة الذين أقروا على ملكهم لا يزالون من عبهلت الابل اذا تركتها ترعى متى شاءت والارواع بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة جمع رائع وهم ذو والهيئات الحسنة الحسان الوجوه والمشاييب بفتح الميم والشين المعجمة وباءين موحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة السادة الرؤس

الله تعالي عنه فى خضراء من المهاجرين وفتيان العرب فقال ابو سفيان من هؤلاء قال الزبير قال ابن أخيك قال نعم ثم مرت بنو غفار بكسر الغين المعجمة ثم أسلم ثم بنو كعب ثم مزينة ثم جهينة ثم كنانة ثم أشجع ولما مرت أشجع قال ابو سفيان للعباس هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد قال العباس أدخل الله الاسلام قلوبهم وهذا فضل الله * حتى مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء للبسهم الحديد والعرب تطلق الخضرة على السواد كما تطلق السواد على الخضرة وفيها المهاجرون والانصار لا يرى منهم الا الحدق من الحديد أى فيها ألفا دارع وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول رويدا حتي يلحق أولكم آخركم قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء فقلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصار فقال مالاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة فقال ابو سفيان والله يا أبا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك اليوم عظيما فقلت يا أبا سفيان انها النبوة فقال نعم اذن ثم قلت له النجاء الى قومك حتى اذا جاءهم صرخ باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لاقبل لكم به فمن دخل دار ابي سفيان فهو آمن فقامت اليه زوجته هند بنت عتبة ام معاوية رضى الله تعالي عنهم فاخذت بشاربه وقالت كلاما معناه اقتلوا الخبيث الدنس الذى لاخير فيه قبح من طليعة قوم * أى وفي رواية انها اخذت بلحيته ونادت يا آل غالب اقتلوا الشيخ الاحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن انفسكم وبلادكم فقال لها ويحك اسكتى وادخلى بيتك وقال ويحكم لا تغرنكم هذه من انفسكم فانه قد جاءكم مالاقبل لكم به من دخل دار ابى سفيان فهو آمن قالوا قبحك الله وما تغني عنا دارك قال ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن القي سلاحه فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن دخل تحت لواء ابى رويحة فهو آمن فتفرق الناس الى دورهم والى المسجد أى وبهذا استدل على ان مكة فتحت صلحا لا عنوة وبه قال امامنا الشافعى رحمه الله وقال غيره فتحت عنوة * وفي رواية ان النبى صلي الله عليه وسلم وجه حكيم بن حزام مع ابى سفيان بعد اسلامهما الي مكة وقال من دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن وكانت باسفل مكة ومن دخل دار ابي سفيان فهو آمن وكانت باعلى مكة واستثني صلى الله عليه وسلم جماعة امر بقتلهم وهم احد عشر رجلا أى وفي الامتاع ستة نفر واربع نسوة وان وجدوا متعلقين باستار الكعبة منهم عبد الله بن ابى سرح وهو اخو عثمان ابن عفان من الرضاعة وكان فارس بني عامر وكان احد النجباء الكرام من قريش رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وعبد الله بن خطل وقينتاه وعكرمة بن ابي جهل رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك والحويرث بن نقيل ومقيس بن حبابة وهبار ابن الاسود رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وكعب بن زهير رضي الله عنه فانه اسلم بعد ذلك وهو صاحب بانت سعاد والحرث ابن هشام رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وهو اخو ابي جهل لابويه وزهير بن أمية رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وسارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب رضى الله تعالى عنها فانها أسلمت بعد ذلك وعاشت الى خلافة أبى بكر رضي الله تعالى عنه وتقدم انها كانت حاملة الكتاب حاطب بن ابي بلتعة وصفوان بن امية رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وزهير بن ابى سلمي اى

الحسان الوجوه فهم مع اتصافهم بالحسن متصفون بأنهم رؤساء سادات فلا يرد انه مساو لمفهوم الارواع وقوله وفي التيعة بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة أربعون من الغنم وفي القاموس التيعة أدنى ما تجب فيه الصدقة من الحيوان أى غير البقر وقوله ولا مقورة بضم الميم وفتح القاف وشد الواو والالياط بفتح الهمزة وسكون اللام بعدها تحتية فالف آخره طاء مهملة أي لا مسترخية الجلود لكونها هزيلة جمع ليط بكسر اللام وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه اذا الصقه

وقيل المقورة المقطوعة والمعنى بها الناقصة فالتفاسير متقاربة وقوله ولا ضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضد ماقبلها وهي الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجلودتها وقوله وانطوا بقطع الهمزة بعدها نون أي اعطوا بلغة اليمن او بني سعد وقرىء شاذا انا انطيناك وروى في الدعاء لا مانع لما انطيت والثبجة بمثلثة فموحدة فجيم مفتوحات وقد تكسر الموحدة أي اعطوا الوسط في الصدقة لا من خيار المال ولا من دنيه وفي السيوب بضم المهملة والمثناة التحتية وواو آخره موحدة جمع سيب وهو الركاز والمعدن ومن زنى مم بكر بكسر الراء بلا تنوين لان الاصل من البكر لكن اهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما وهي ساكنة فادغمت النون فيها وحذفوا همزة الوصل في الرسم تخفيفا فلذلك اتصلت النون بالميم لفظا وخطا فادغمت اذ لم يبق مانع من الادغام بخلاف ما لو رسمت فانها فاصلة وقوله فاصقعوه بهمزة وصل واسكان الصاد المهملة وفتح القاف وضم العين المهملة اى اضربوه واصله الضرب على الراس وقيل الضرب ببطن الكف ويروي فاصفعوه بالفاء بدل القاف يقال صفعت فلانا اصفعه اذا ضربت قفاه واستوفضوه بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة ثم واو ساكنة فضمير النصب اي غربوه وانفوه وقوله اى فضرجوه بالضاد المفتوحة وشد الراء المكسورة وبالجيم المضمومة من التضريج وهي التدمية اى

وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان ووحشي بن حرب رضي الله تعالى عنه () فانه سلم بعد ذلك * وفي رواية أن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه كان معه راية رسول الله صلى الله عليه وسلم أي على الانصار ولما مر على أبي سفيان وهو واقف بمضيق الوادي قال أبو سفيان من هذه قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة معه الراية فلما حاذاه سعد قال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أي الحرب والقتال اليوم تستحل الحرمة وفي لفظ الكعبة اليوم أذل الله قريشا فلما أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ورايته مع الزبير رضي الله تعالى عنه فلما مر بابي سفيان وحاذاه أبو سفيان ناداه يا رسول الله أمرت بقتل قومك فانه زعم سعد ومن معه حين مر بنا انه قال لنا فانه قال اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة اليوم أذل الله قريشا أنشدك الله في قومك فانت ابر الناس وأرحمهم وأوصلهم فقال عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما يا رسول الله فانا لا نأمن من سعد ان يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان كذب سعد اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله فيه قريشا * أي وفي رواية اليوم يعظم الله فيه الكعبة اليوم تكسى فيه الكعبة وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن عبادة أي ارسل عليا كرم الله وجهه ان ينزع اللواء منه ويدفعه لابنه قيس رضي الله عنهما وقيل أعطاه للزبير وقيل لعلي كرم الله وجهه خشية من أن يقع من ابنه قيس ما لا يرضاه صلى الله عليه وسلم اي لان قيسا رضي الله تعالى عنه كان من دهاة العرب واهل الراى والمكيدة في الحرب مع النجدة والبسالة والشجاعة من وقف على من وقع بينه وبين معاوية لما ولاه سيدنا علي كرم الله وجهه بعد قتل عثمان رضي الله تعالى عنه مصر لراي العجب من وفور عقله ومع ذلك كان له من الكرم ما لا مزيد عليه وقفت له رضي الله تعالى عنه عجوز وقالت له أشكو اليك قلة الجرذان ببيتي والجرذان بالذال المعجمة نوع من الفيران قال ما احسن هذا السؤال وقال لها لاكثرن الجرذان ببيتك فملا بيتها طعاما وادما وقيل قالت له مشت جرذان بيتي على العصي فقال لها لادعهن يثبن وثبة الاسود ثم ملا بيتها طعاما ولا مانع من تعدد الواقعة ومن هذا الوادي ما كتب به بعضهم الى عبد الملك بن مروان يا امير المؤمنين اشكوا اليك الشرف فقال له ما احسن ما استمحنت واعطاه عشرة آلاف درهم فقيل له في ذلك فقال يسال مالا يقدر عليه ويعتذر فلا يعذر ولما أشرف ابوه سعد رضي الله عنهما على الموت قسم ماله في اولاده وكان له حمل لم يشعر به فلما مات سعد ولد له ذلك الحمل كلمه ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في ان ينقض ما صنع ابوه من تلك القسمة فقال نصيبي للمولود ولا اغير ما صنع ابي ولم يكن في وجه قيس رضي الله تعالى عنه شعر وكان مع ذلك جميلا وكانت الانصار رضي الله تعالى عنهم تقول وددنا ان نشتري لقيس ابن سعد لحية باموالنا وكان له ديون على الناس كثيرة فلما مرض رضي الله تعالى عنه استبطأ عواده فقيل له انهم مستحيون من اجل دينك فامر مناديا ينادي كل من كان لقيس بن سعد عليه دين فهو له فاتاه الناس حتى هدموا درجة كان يصعد عليها اليه ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اللواء لم يخرج عن سعد اذا صار لابنه قيس رضي الله تعالى عنهما وقال وروي ان سعدا ابى ان يسلم اللواء الا بامارة من

رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل صلى الله عليه وسلم اليه بعمامته فدفع اللواء لابنه قيس رضى الله تعالى عنهما انتهى وفي صحيح البخاري أن كتيبة الانصار جاءت مع سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه ومعه الراية ولم ير مثلها ثم جاءت كتيبة وهي أقل * وفي رواية الحميدي وهي أجل الكتائب بالجيم قال في الاصل وهي أظهر من رواية اقل لانها كانت خاصة المهاجرين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم والراية مع الزبير رضى الله تعالى عنه وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ان يدخل مع جملة من قبائل العرب من اسفل مكة اى وان يغرز رايته عند ادنى البيوت وقال لاتقتلوا الا من قاتلكم وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو اى رضي الله عنهم فانهم أسلموا بعد ذلك * قد جمعوا اناسا بالخندمة وهو جبل بمكة ليقاتلوا وكان من جملتهم رجل كان يعد سلاحا ويصلح من شأنه فتقول له زوجته اى وقد كانت أسلمت سرا ما دا تعد ما أرى فيقول لمحمد واصحابه فتقول له والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء قال والله اني لأرجو أن أخدمك بعضهم وفي تاريخ مكة للازرقي قال رجل من قريش لامرأته وهي تبرى نبالا له وكانت أسلمت سرا فقالت له لم تبرى هذا النبل قال بلغني ان محمدا يريد أن يفتح مكة ويغزوها ولئن كان لاحد منك خادما من بعض من نستاسر فقالت له والله لكأني بك وقد رجعت تطلب مخبأ أخبئك فيه لو رأيت خيل محمد فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أقبل ذلك الرجل اليها فقال ويحك هل من مخباة فقالت له فاين الخادم فقال لها دعي عنك وأنشد الابيات الآتية هذا كلامه وسبب ذلك ان خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لما لقيهم بالمحل المذكور منعوه الدخول ورموه بالنبل وقالوا له لاتدخلها عنوة فصاح خالد في أصحابه فقتل من قتل وانهزم من لم يقتل وكان من جملة من انهزم ذلك الرجل * وفي رواية انه لما دخل بيته قال لامرأته اغلقي علي بابي قالت واين ما كنت تقول اين الخادم الذي كنت وعدتني تسخر به فقال

* انك لو شهدت يوم الخندمة * عبارة الازرقي * وأنت لو ابصرتنا بالخندمة
اذ فر صفوان وفر عكرمه * واستقبلنا بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه
لهم نهيت حولنا وهمهمه * لاتنطقي في اللوم أدنى كلمه

والغمغمة الصوت الذي لايفهم والنهيت بالمثناة تحت فوق الزحير والهمهمة صوت في الصدر اى واستمر خالد رضي الله تعالى عنه يدفعهم الى ان وصل الحزورة الى باب المسجد اى وصعدت طائفة منهم الجبل فتبعهم المسلمون فرأى صلى الله عليه وسلم وهو على العقبة بارقة السيوف فقال ما هذا وقد نهيت عن القتال فقيل له لعل خالدا قوتل وبديء بالقتال فلم يكن له بد من أن يقاتل من يقاتله وما كان يارسول الله ليخالف امرك فقتل من المشركين أربعة وعشرون من قريش وأربعة من هذيل * وفي رواية جعل صلى الله عليه وسلم الزبير رضى الله تعالى عنه على احدى المجنبتين اي وهما الكتيبتان تأخذ احداهما اليمين والاخرى اليسار والقلب بينهما وخالدا على الاخرى وابا عبيدة

ارجوه حتى يسيل دمه ويموت وقوله بالاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة وميمين أولاهما مكسورة بينهما تحتية ساكنة أى بالجماعة وقوله ولا توصم في الدين بصاد مهملة مكسورة بفعيل من الوصم وهو العيب والعار أى لاعار في اقامة الحدود أى لاتحابوا فيها أحدا وهذا بمعنى قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وقوله ولاعمة في فرائض الله بضم الغين المعجمة وشد الميم أي لاتستر ولاتخفي بل تظهر ويجهر بها اقامة واظهار الشعائر الدين ويروى ولاعمه في الدين بفتح العين المهملة والميم المخففة والهاء اى لاتحير ولا تردد فيه وقوله يتزول بشد الفاء المفتوحة أي يتسود ويترأس استعارة من تزويل الثوب وهو اسباغه اي تطوله واسباله للفخر والعظمة فاستعمر أو هو كناية عن جعله رئيسا عليهم محكما فيهم * وهذه نبذة من مكاتباته صلى الله عليه وسلم ومخاطباته يعلم منها انه كان يكلم كل ذي لغة بلغته من العرب أو العجم وذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم ومع ذلك كان افصح خلق الله وأعذبهم كلاما وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقا حتى كان كلامه يأخذ بمجامع القلوب وكانه يسلب الارواح وفصاحة لسانه عليه الصلاة والسلام غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يدانى منتهاها ولذا قال بعضهم كلامه صلى الله عليه وسلم معجز قال الزهرى قال رجل من بني سليم يارسول الله أيدالك الرجل امرأته قال نعم اذا كان مفلجا فقال له أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله ما قال لك وما قلت له فقال صلي الله عليه وسلم قال أيماطل الرجل اهله قلت نعم اذا كان مفلسا قال أبو بكر رضى الله عنه يارسول الله قد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت افصح منك قال ادبني ربي ونشأت في بني سعد رواه بن عساكر وغيره قال في القاموس دالكه أى ماطله والمفلج بضم الميم واسكان اللام وفتح الفاء وبالجيم اسم فاعل من أفلج الرجل فهو مفلج اذا كان فقيرا وهو على غير قياس

على

والقياس كسر الفاء ومثله فى الخروج عن القياس احصن فهو محصن بفتح الصاد المهملة واسهب الرجل اذا اكثر الكلام فهو مسهب بفتح الهاء والقياس الكسر في الجميع وقيل ان الكلام كناية عن مماطلة الرجل امرأته فى الايلاج عند ارادة الوقاع اى ايداعب الرجل امرأته قبل الجماع فقال صلى الله عليه وسلم نعم اذا كان ملفجا اى مفلسا كناية عن كونه عاجزا ضعيف الشهوة ليكون ذلك محركا لشهوته ولعجزه سمي مفلسا تشبيها بمن لا يملك مالا لعجزه وقيل معناه (٩٧) ايماطلها بمهرها اذا كان فقيرا

على الرجالة وفى لفظ على الحسر بضم الحاء المهملة وشد السين المهملة أى الذين لا دروع لهم قال فى شرح مسلم فهم رجالة لا دروع عليهم وقد اخذوا بطن الوادى ولعل ذلك كان قبل الدخول الى مكة فلا ينافى ما سيأتي انه صلى الله عليه وسلم اعطى الزبير رضى الله تعالى عنه راية وامره ان يغرزها بالحجون لا يبرح حتي ياتيه فى ذلك المحل وفى ذلك المحل بنى مسجد يقال له مسجد الراية وقد بوشت قريش اوباشا اى جموعا من قبائل شتي فنادي رسول الله صلى الله عليه وسلم اباهريرة رضي الله تعالى عنه وقال لى اهتف اى صح لى بالانصار فهتف بهم فجاؤا وطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ترون الى اوباش قريش واتباعهم ثم قال صلى الله عليه وسلم بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتي توافونى بالصفا اي ودخلوا من اعلى مكة قال ابو هريرة رضى الله تعالى عنه فانطلقنا فما شاء احد منا ان يقتل منهم ماشاء وما احد يوجه الينا منهم شيا وفى لفظ فما نشاء ان نقتل احدا منهم الا قتلناه اى لا يقدر ان يدفع عن نفسه فجاء ابو سفيان رضي الله تعالى عنه فقال يارسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش اى لا جماعة لقريش بعد اليوم لان الجماعة المجتمعة يعبر عنها بالسواد الاعظم فيقال السواد الاعظم ويعبر عنها بالخضرة كما هنا فالمراد جماعة قريش وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم من اغلق بابه فهو آمن قال ووجه صلى الله عليه وسلم اللوم على خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه وقال له لم قاتلت وقد نهيت عن القتال قال هم يارسول الله بدؤنا بالقتال ورمونا بالنبل ووضعوا فينا السلاح وقد كففت مااستطعت ودعوتهم الى الاسلام فابوا حتي اذا لم اجد بدا من ان اقاتلهم فظفرنا الله بهم فهربوا من كل وجه وفى لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من الانصار عنده يا فلان قال لبيك يارسول الله قال ائت خالد بن الوليد وقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان لا تقتل بمكة احدا فجاء الانصارى فقال يا خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تقتل من لقيت من الناس فاندفع خالد فقتل سبعين رجلا بمكة فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من قريش فقال يارسول الله هلكت قريش لا قريش بعد اليوم قال ولم قال هذا خالد بن الوليد لا ياتى احدا من الناس الا قتله قال ادع لى خالدا فدعاه له فقال يا خالد الم ارسل اليك ان لا تقتل احدا قال بلى ارسلت ان اقتل من قدرت عليه قال صلى الله عليه وسلم ادع لى الانصارى فدعاه له فقال اما امرتك ان تامر خالدا ان لا يقتل احدا قال بلى ولكنك اردت امرا واراد الله غيره فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل للانصاري شيأ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن الطلب قال قد فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قضي الله امرا ثم قال كفوا السلاح الا خزاعة عن بنى بكر الى صلاة العصر وهى الساعة التي احلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى وهذه المقاتلة التى وقعت لخالد رضى الله تعالى عنه لا تنافى كون مكة فتحت صلحا كما تقدم اي لانه صلى الله عليه وسلم صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة واما قوله صلى الله عليه وسلم من دخل دار ابى سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن ومن القى سلاحه فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن دخل تحت لواء ابي رويحة فهو آمن فهو من زيادة الاحتياط

فقد اجاب صلى الله عليه وسلم السائل بجواب محتمل لتلك المعانى كما ان سؤاله كان كذلك فهذا من بلاغته صلى الله عليه وسلم ومن جوامع كلمه التي اختص بها صلوات الله وسلامه عليه وفى حديث عطية السعدى رضي الله عنه قال قدمت وافدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومى فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وذكر من كلامه مااغناك الله فلا تسال الناس شيا فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلي هي المنطاة وقال الله مسؤل ومنطى وفي شرح الشهاب على الشفاء روى باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم بينما هو ذات يوم جالس مع اصحابه اذ نشات سحابة فقالوا يارسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا مااحسنها واشد تمكنها قال وكيف ترون رحاها قالوا مااحسنها واشد استدارتها قال

وكيف ترون بواسقها قالوا مااحسنها واشد استقامتها قال وكيف ترون برقها اوميضا ام خفقا ام يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال وكيف ترون جونها قالوا مااحسنه واشد سواده فقال صلى الله عليه وسلم الحيا فقالوا يارسول الله ما رأينا افصح منك قال وما يمنعني من ذلك وانما انزل القرآن بلسان عربى مبين وقواعد السحابة اساسها واحدتها قاعدة واما القواعد من النساء فواحدتها قاعد وهي التي قعدت عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحى الحرب وسطها ومعظمها حيث

لهم في الامان وقوله احصدوهم حصدا مجد على من أظهر من الكفار القتال ولم يقع قتال ومن ثم قتل خالد رضى الله تعالى عنه من قاتل من الكفار وارادة على كرم الله وجهه قتل الرجلين اللذين امنتهما اخته ام هانيء كما سياتى لعله تاول فيهما شيأ اوجرى منهما قتال له وتامين ام هانيء لهما من تأكيد الامان الذى وقع للعموم فلا حجة فى كل ماذكر على ان مكة فتحت عنوة كما قاله الجمهور وقيل اعلاها فتح صلحا اي الذى سلكه ابو هريرة والانصار لعدم وجود المقاتلة فيه واسفلها الذى سلكه خالد رضى الله عنه فتح عنوة لوجود المقاتلة فيه كما تقدم ودخل ﷺ مكة وهو راكب على ناقته القصواء اى مردفا أسامة بن زيد بكرة يوم الجمعة معتجرا بشقة برد حبرة حمراء واضعا رأسه الشريف على رحلة تواضعا لله تعالى حين رأى مارأى من فتح الله تعالى مكة وكثرة المسلمين ثم قال اللهم ان العيش عيش الآخرة وقيل دخل صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه المغفر وقيل وعليه عمامة سوداء حرقانية قد أرخى طرفيها بين كتفيه بغير احرام ورايته سوداء ولواءه أسود وعن جابر رضى الله تعالى عنه كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة ابيض وعن عائشة رضى الله تعالى عنها كان لواؤه يوم الفتح ابيض ورايته سوداء تسمى العقاب اي وهى التى كانت بخيبر وتقدم انها كانت من برد عائشة وعنها رضى الله تعالى عنها انها قالت دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح من كداء بفتح الكاف والمد والتنوين من اعلى مكة وهذا هو المعروف خلافا لمن قال انه دخل من اسفل مكة وهى ثنية كدي بضم الكاف والقصر والتنوين وسياتي انه عند الخروج خرج ﷺ من هذه وبهذا استدل أئمتنا على انه يستحب دخول مكة من الاولى والخروج منها من الثانية اي واغتسل صلى الله عليه وسلم لدخول مكة كما حكاه امامنا الشافعى رضي الله تعالى عنه وفي الام وبه استدل على استحباب الغسل لداخل مكة ولو حلالا اى وسياتي ذلك عن ام هانيء رضى الله تعالى عنها اي وكان شعار المهاجرين يابني عبد الرحمن وشعار الخزرج يابني عبد الله وشعار الاوس يابني عبيد الله اى شعارهم الذى يعرف به بعضهم بعضا فى ظلمة الليل وعند اختلاط الحرب ولو وجد * ولما نزل رسول الله ﷺ مكة واطمأن الناس قال وذلك بالحجون موضع ماغرز الزبير رضى الله تعالى عنه رايته صلى الله عليه وسلم عند شعب ابي طالب الذي حصرت فيه بنوهاشم اي وبنو المطلب قبل الهجرة بقيه من ادم ضربت له هناك ومعه ﷺ فيها ام سلمة وميمونة زوجتاه صلى الله عليه وسلم ورضى عنهما فعن جابر رضي الله تعالى عنه لما رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة وقف فحمد الله واثنى عليه ونظر الى موضع قبته وقال هذا منزلنا ياجابر حيث تقاسمت قريش علينا قال جابر رضى الله تعالى عنه فذكرت حديثا كنت سمعته منه صلى الله عليه وسلم قبل ذلك بالمدينة منزلنا اذا فتح الله تعالى علينا مكة فى خيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر اى لان قريشا وكنانة تحالفت على بنى هاشم وبني المطلب ان لاينا كحوهم ولايبايعوهم حتى يسلموا اليهم رسول الله ﷺ الى آخر ماتقدم فى قصة الصحيفة انتهى وفيه انه سياتى في حجة الوداع انهم تحالفوا بالمحصب ففى البخاري عن ابى هريرة

وانقاد لشريعته فمن امرائه صلى الله عليه وسلم باذان بن ساسان كان نائبا لكسري على اليمن ولما هلك كسري باخبار النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم اسلم باذان لظهور صدق النبي صلى الله عليه وسلم له فى اخباره بهلاك كسرى مع مابلغه عنه من المعجزات وارسل للنبى صلى الله عليه وسلم باسلامه واسلام من معه فامره صلي الله عليه وسلم على اليمن وفاء بقوله صلى الله عليه وسلم لرسولى باذان حين اراد الرجوع اليه قولا له ان اسلمت اقرك على ملكك وهو اول امير فى الاسلام على اليمن واول من اسلم من ملوك العجم ثم مات واستعمل النبى صلى الله عليه وسلم ابنه شهر بن باذان وقيل ان باذان خرج للوفود على النبى صلى الله عليه وسلم فلحقه العنسي الكذاب الذى ادعى النبوة باليمن فقتله وقيل ان الذى قتله الاسود العنسي هو ابنه شهر لاهو وان العنسي تزوج زوجته بعد قتله وكانت مسلمة فاعانت فيروز الديلمي على قتل الاسود فانها مكنته من الدخول عليه ليلا فقتله وامر صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص رضى الله عنه وولى زياد بن لبيد الانصارى رضي الله عنه حضر موت وهو مخلاف باليمن وولى اباموسي الاشعرى رضى الله عنه زبيد وعدن وولى معاذ بن جبل رضى الله عنه الجند ومخاليفها وولى اباسفيان بن حرب رضى الله عنه نجران وهو موضع باليمن قال بعضهم

رضي الله تعالى عنه انه ﷺ قال يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر يعني بالمحصب وعن اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال يارسول الله اين تنزل غدا اتنزل في دارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار وتقدم ما يغني عن اعادته هنا وكان صلى الله عليه وسلم ياتي المسجد من الحجون لكل صلاة وكان دخوله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الاثنين وقد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين ووضع الحجر يوم الاثنين وخرج من مكة اي مهاجرا يوم الاثنين اي ودخل المدينة يوم الاثنين ونزلت عليه سورة المائدة يوم الاثنين ثم سار ﷺ والى جانبه ابو بكر رضي الله تعالى عنه يحادثه ويقرأ سورة الفتح حتى جاء البيت وطاف به سبعا على راحلته اى ومحمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه آخذ بزمامها ليستلم الحجر بمحجن في يده وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وعلى الكعبة ثلثمائة وستون صنما لكل حي من احياء العرب صنم قد شد ابليس اقدامها بالرصاص فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل يهوى به الى كل صنم منها فيخر لوجهه وفي لفظ لقفاه وفي لفظ فما اشار لصنم من ناحية وجهه الا وقع لقفاه ولا اشار لقفاه الا وقع على وجهه من غير ان يمسه بما في يده يقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا حتى مر عليها كلها وفي رواية فاقبل صلى الله عليه وسلم الى الحجر فاستلمه ثم طاف بالبيت وفي يده قوس اخذ بسيته والسية ما نعطف من طرف القوس فاتى صلى الله عليه وسلم في طوافه على صنم الى جنب البيت اى من جهة بابه يعبدونه وهو هبل وكان اعظم الاصنام فجعل يطعن بها في عينيه ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا اى فامر به صلى الله عليه وسلم فكسر فقال الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه لابي سفيان قد كسر هبل اما انك قد كنت في يوم احد في غرور حين تزعم انه قد انعم فقال ابو سفيان رضي الله تعالى عنه دع هذا عنك يا ابن العوام فقد ارى لو كان مع اله محمد صلى الله عليه وسلم غيره لكان غير ما كان اي وانتهى صلى الله عليه وسلم الى المقام وهو يومئذ لاصق بالكعبة قال وعن علي كرم الله وجهه قال انطلق بي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا حتى اتى الكعبة فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكبي ثم قال انهض فنهضت فلما رأى ضعفي تحته قال اجلس فجلست ثم قال صلى الله عليه وسلم يا علي اصعد على منكبي ففعلت اى وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي كرم الله وجهه اصعد على منكبي واهدم الصنم فقال يارسول الله بل اصعد انت فاني اكرمك ان اعلوك فقال انك لا تستطيع حمل ثقل النبوة فاصعد انت فجلس النبي صلى الله عليه وسلم فصعد علي كرم الله وجهه على كاهله ثم نهض به قال علي فلما نهض بي فصعدت فوق ظهر الكعبة وتنحى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وخيل لي حين نهض بي اني لو شئت لنلت افق السماء اى وفي رواية قيل لعلي كرم الله وجهه كيف كان حالك وكيف وجدت نفسك حين كنت على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان من حالي اني لو شئت ان اتناول الثريا لفعلت وعند

انه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان ابو سفيان بمكة فلعل مدة تلك الولاية لم تطل وولى ابنه يزيد تيماء مدة بناحية تبوك ثم ان ابا بكر لما جهز الجيوش للشام كان اول امير عقد رايته يزيد بن ابي سفيان ثم ولي الشام في خلافة عمر رضي الله عنه بعد ابي عبيدة رضي الله عنه وقبل أخيه معاوية وتوفي يزيد رضي الله عنه بالشام وهو اكبر من معاوية قال بعضهم ان يزيد بن ابي سفيان افضل آل ابي سفيان وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن اسيد رضي الله عنه مكة وولى علي بن ابي طالب رضي الله عنه القضاء باليمن وولى عمرو ابن العاص رضي الله عنه عمان الى غير ذلك مما بسطه اهل السير وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ باب في ذكر شيء من معجزاته صلى الله عليه وسلم ﴾

اعلم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة لا يمكن حصرها ولنقتصر على المشهور منها وقد يذكر شيء مما تقدم في اول بعثه او مما اندرج في غزواته وسراياه فلا ينبغي الملل والسآمة عند ذكر شيء من ذلك لان بتكراره تزداد الفائدة

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره
هو المسك ما كررته يتضوع

والمعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي اى بطلب المعارضة كانشقاق القمر ونبع الماء من بين الاصابع وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثلها لانها لا تكتسب بالكسب لكونها خارقة للعادة وهي تدل على صدق من ظهرت على يديه وشرط تسميتها معجزة ان تظهر على يد مدعي الرسالة على طبق دعواه وتقسيم الامر الخارق للعادة اي المعجزة والكرامة وغيرهما مذكور في كتب الكلام فلا حاجة الى الاطالة به ثم ان دلائل رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار عن شانه شهيرة فمن ذلك ما وجد في التوراة والانجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته بالصفات المميزة له وخروجه بارض العرب وما خرج بين يدي

مولده ومبعثه من الامور الغريبة العجيبة كقصة الفيل وما احل الله باصحابه في تلك القصة مؤيدة لشأن العرب منوهة بذكرهم مشيرة الى انه سيصير لهم باعظيم وذلك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم وكخمود نار فارس عند ميلاده عليه الصلاة والسلام وكانوا يعبدونها وكان لها الف عام لم تخمد وسقوط اربع عشرة من شرفات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وكانت متسعة أكثر من ستة فراسخ يركب فيها (١٠٠) السفن ويسافر فيها الى ما حولها من البلاد والمدر فاصبحت ليلة المولد ناشفة كان

صعوده كرم الله وجهه قال له صلى الله عليه وسلم الق صنمهم الاكبر وكان من نحاس اى وقيل من قوارير أى زجاج * وفي رواية لما ألقى الاصنام لم يبق الا صنم خزاعة موتدا باوتاد من حديد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عالجه فعالجته وهو يقول ايه ايه جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فلم أزل اعالجه حتى استمكنت منه فقذفته فتكسر * أقول وهذا السياق يدل على ان هذا الصنم غير هبل وان هبل ليس أكبر أصنامهم بل هذا أكبر منه ولم أقف على اسمه ومما يدل على ان الذى كسر هو هبل قول الزبير رضي الله تعالى عنه كما تقدم لابي سفيان ان هبل الذى كنت تفتخر به يوم أحد قد كسر قال دعني ولا توبخني لو كان مع اله محمد اله آخر لكان الامر غير ذلك وفي الكشاف القاها جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال صلى الله عليه وسلم ياعلى ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسر فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون مارأينا اسحر من محمد * وفي خصائص العشرة لصاحب الكشاف زيادة وهي ونزلت من فوق الكعبة أنا والنبي وانطلقت نسعى وخشينا أن يرانا أحد من قريش هذا كلامه وهذا يدل على ان ذلك لم يكن يوم فتح مكة فليتامل وفي الكشاف أيضا كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحيالهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانت لقبائل العرب أصنام يحجون اليها وينحرون لها فشكا البيت الى ربه عز وجل فقال يارب الى متى تعبد هذه الاصنام حولى دونك فاوحى الله تعالى الى البيت اني سأحدث لك نوبة جديدة فلاملؤك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالبيت هذا كلامه ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة اى بعد ان ارسل بلالا رضى الله تعالى عنه الى عثمان بن أبي طلحة ياتي بمفتاح الكعبة الى آخر ماسياتي وبعد ان محيت منها الصور اي فانه صلى الله عليه وسلم أمر عمر رضى الله تعالى عنه وهو بالبطحاء ان ياتي الكعبة فيمحوا كل صورة فيها وكان عمر رضى الله تعالى عنه قد ترك صورة ابراهيم فقال صلى الله عليه وسلم ياعمر ألم امرك ان لا تترك فيها صورة قاتلهم الله حيث جعلوه شيخا يستقسم بالازلام ماكان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين هذا وفي كلام سبط ابن الجوزى قال الواقدى رحمه الله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنهما ان يقدما الى البيت وقال لعمر لا تدع صورة حتى تمحوها الا صورة ابراهيم هذا كلامه فليتامل * وفي رواية عن أسامة بن زيد رضي الله تعالي عنهما قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكعبة فرأى صورا فدعا بدلو من ماء فاتيته به فجعل صلى الله عليه وسلم يمحوها اي وتلك الصور هي صور الملائكة وصور ابراهيم واسمعيل في ايديهما الازلام يستقسمان بها أى واسحق وبقية الانبياء كما تقدم في بنيان قريش الكعبة وصورة مريم فقال قاتل الله قوما يصورون مالا يخلقون ثم الله لقد علموا انهما لم يستقسما بالازلام قط اى ولا منافاة لانه يجوز ان يكون عمر رضي الله تعالى عنه ترك مع صورة ابراهيم صورة اسمعيل ومريم وصور الملائكة ووجد صورة حمامة من عيدان

لم يكن بها شيء من الماء ورؤيا الموبذان وهو قاضي المجوس رأى ليلة مولده صلى الله عليه وسلم الاصما تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في البلاد فقال له كسرى اى شيء يكون هذا قال حدث يكون من ناحية العرب ومن ذلك ماسمع من هواتف الجن الصارخة بنعوته وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير دافع لها من امكنتها الى غير ذلك مماروى ونقل في الاخبار المشهورة من ظهور العجائب في ولادته وايام حضانته وبعدها الى ان بعثه الله نبيا ومن تامل في جميع ماثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجميع خصاله لم يشك في صحة نبوته وقد اكتفى كثير ممن عاصره صلى الله عليه وسلم بتلك اشياء فآمن وانقاد له صلى الله عليه وسلم وعلم ان تلك الصفات

لا يمكن ان يتصف بها غير نبي فقد اخرج الترمذي عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه وكان من علماء اليهود قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب فصدقه وآمن به وقال لليهود يامعشر يهود اتقوا الله واقبلوا ماجاءكم به فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله الذي تجدونه عندكم مكتوبا في التوراة وصفته واني أومن به واصدقه وعن أبي رمثة التميمي رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى الله

عليه وسلم فلما رأيته قلت هذا نبي الله اى لما شاهده من عظمته ونور نبوته فاوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله عليه وسلم وروى مسلم ان ضماد بن ثعلبة الازدى كان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يغيب في قومه ثم يقدم وافدا الى مكة فقدم مرة في اول مبعثه صلى الله عليه وسلم وسمع الناس يقولون فيه ما قالوا اى من نسبته للسحر والكهانة والجنون وكان ضماد عاقلا يطبب ويرقى في الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون جاءه وقال اني راق فهل لك من شيء فارقيك فاجابه صلى الله عليه وسلم بقوله ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فقال له ضماد اعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغت قاموس البحر اى وسطه او لجته ثم قال هات يدك ابايعك فآمن به وصدقه واسلم وانقاد من غير تردد واكتفى بهذه الكلمات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم البالغة من الفصاحة والبلاغة غايتها مع شاهده من نور وجهه الشريف وحسن بهجته وقال بعضهم في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يقرأ قرآنا اي وان لم يظهر معجزة كما قال ابن رواحة رضى الله عنه

لو لم يكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

ومع ذلك لم يكن معه صلى الله عليه وسلم ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه ولا قوة فيقهر بها الرجال ولا اعوان على الدين الذى اظهره ودعا اليه وكانوا يجتمعون على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمين على عادة الجاهلية في العصبية والحمية والتعادى والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات لا يجمعهم الفة دين ولا يمنعهم من سوء افعالهم نظر في عاقبة ولا خوف عقوبة ولا لوم لائم فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الاراء

عيدان بفتح العين المهملة وكسرها بيده ثم طرحها ودعا بزعفران فلطخه بتلك التماثيل اى بموضعها وصلى بها ركعتين بين اسطوانتين وفى لفظ بين العمودين اليمانيين وفى لفظ المقدمين وبينه وبين الجدار ثلاثة اذرع انتهى اي وفى الترمذى دخل صلى الله عليه وسلم البيت وكبر فى نواحيه ولم يصل وفى رواية لمسلم دخل صلى الله عليه وسلم هو واسامة بن زيد وبلال وعثمان بن ابي طلحة زاد فى رواية والفضل بن العباس قال الحافظ ابن حجر وفى رواية شاذة فاغلقوا عليهم الباب وفى لفظ آخر فاغلقاه اي عثمان وبلال فاجاف اى اغلق عليهم عثمان الباب وجمع بان عثمان هو المباشر لذلك لانه من وظيفته وبلال رضي الله تعالى عنه كان مساعدا له فى الغلق اى ولما دخلوا كان خالد بن الوليد يذب الناس وهو واقف على باب الكعبة قال ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فلما فتحوا كنت اول من ولج فلقيت بلالا فسالته هل صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وذهب عني أن أساله كم صلى وهذا يدل على أن اقول بلال رضى الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم اتى بالصلاة المعهودة لا الدعاء كما ادعاه بعضهم وفى كلام السهيلى فى حديث ابن عمر رضى الله تعالى عنهما انه صلى فيها ركعتين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال اخبرنى أسامة بن زيد انه صلى الله عليه وسلم لما دخل البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل فيه حتى خرج فلما خرج ركع في قبل البيت ركعتين اى بين الباب والحجر الذى هو الملتزم وقال هذه القبلة فبلال رضى الله تعالى عنه مثبت للصلاة فى الكعبة واسامة رضي الله تعالى عنه ناف والمثبت مقدم على النافى على انه جاء ان أسامة رضى الله تعالى عنه اخبر ايضا بانه صلى الله عليه وسلم صلى في الكعبة وأجيب بان أسامة حيث اثبت اعتمد قول بلال وحيث نفى اعتمد ما عنده اى وفى مجمع الزوائد للحافظ الهيتمى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فصلى بين السارتين ركعتين ثم خرج فصلى بين الباب والحجر ركعتين ثم قال هذه القبلة ثم دخل صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقام يدعو ولم يصل فالنقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اختلف وسبب الاختلاف تعدد دخوله صلى الله عليه وسلم ففى المرة الاولى دخل وصلى وفى المرة الثانية دخل ولم يصل وهذا السياق يدل على ان ذلك كان يوم الفتح وفى كلام بعضهم رواية ابن عباس ورواية بلال رضي الله تعالى عنهم صحيحتان لانه صلي الله عليه وسلم دخلها يوم النحر فلم يصل ودخلها من الغد فصلى وذلك فى حجة الوداع هذا كلامه فليتامل اى ثم انه صلي الله عليه وسلم جاء الى مقام ابراهيم وكان لاصقا بالكعبة فصلى ركعتين ثم اخره على ما تقدم ودعا صلي الله عليه وسلم بماء فشرب منه وتوضا وفى لفظ ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى زمزم فاطلع فيها وقال لولا ان تغلب بنو عبد المطلب اى يغلبهم الناس على وظيفتهم وهي النزع من زمزم لنزعت منها دلوا اى فان الناس يقتدون به صلى الله عليه وسلم فى ذلك مع ان النزع من وظيفة بني عبد المطلب وانتزع له العباس رضى الله تعالى عنه دلوا فشرب منه وتوضا فابتدر المسلمون يصبون على وجوههم وفي لفظ لا تسقط قطرة الا فى يد انسان ان كان قدر ما يشربها شربها والا مسح بها جلده والمشركون يقولون ما رأينا ولا سمعنا ملكا قط بلغ هذا ولما جلس رسول الله

تناصرت القلوب وتتابعت الايدي في التعاون والتناصر على اظهار الحق فصاروا جمعا واحدا في نصرته ناظرين الى طلعة ليذبوا وعنه مايكره ويعاونوه على مايريد وهجروا بلادهم واوطانهم وجفوا اقوامهم وعشائرهم في محبته وبذلوا أرواحهم في نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف والسهام والرماح ووطنوا أنفسهم على اصابة ذلك لوجوههم وصدورهم لاجل اعزاز كلمته واعلاء دينه واظهاره بلا دنيا بسطها لهم ولا أموال (١٠٢) افاضها عليهم ولا غرض في العاجل أطمعهم في نيله فيرغبون بسببه او ملك او شرف في الدنيا يحوزونه بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم ان يجعل الغني فقيرا الا انه كان يحمل الاغنياء على صرف أموالهم في الجهاد ونحوه من أنواع القرب ويجعل الشريف مثل الوضيع بتهذيب النفس وعدم الفخر والاعراض عن الاسباب المشعرة بنحو الكبر فهل يلتئم مثل هذه الامور أو يتفق مجموعها لاحد هذا سبيله باختيار العقلي والتدبير الفكري لا والذي بعثه بالحق وسخر له هذه الامور مايشك عاقل في شيء من ذلك وانما هو امر الهي وشيء غالب سماوي ناقض للعادات تعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه لامن له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم أكثرها متواتر رواها جمع عن جمع وكانت تظهر في مواطن اجتماعهم كيوم الخندق وبقية الغزوات وفي محافل المسلمين ومجتمع العساكر والجنود ولم ينقل عن احد من الصحابة مخالفة والانكار لما روى ذلك مع شدة تحريهم فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق لانهم منزهون عن السكوت على باطل وعن المداهنة في الكذب كلهم عدول لايخافون في الله لومة لائم ولوكان ماسمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وبعض الفاظ في القرآن ثم نقلت الى من بعدهم قرنا بعد قرن تاخذها طائفة عن

صلى الله عليه وسلم في المسجد اي والناس حوله خرج ابو بكر وجاء بابيه رضي الله تعالى عنهما يقوده وقد كان كف بصره فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ في بيته حتى اكون انا آتيه وفي لفظ لو أقررت الشيخ في بيته لاتيناه تكرمة لابي بكر فقال ابو بكر يا رسول الله هو أحق أن يمشي اليك من ان تمشي انت اليه فاجلسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال اسلم تسلم فاسلم رضي الله تعالى عنه وهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر باسلام ابيه رضي الله تعالى عنهما اي عند ذلك قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان أقر لعيني من اسلامه يعني اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان أقر لعينك كذا في الشفاء وكان رأس ابي قحافة ولحيته بيضاء كالثغامة فقال غيروهما وجنبوهما السواد اي وفي رواية واجتنبوا السواد وجاء غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود والنصارى وفي رواية اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وجاء ان احسن ماغيرتم به هذا الشيب الحناء والكتم وعن انس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خضب بالحناء والكتم قال ابن عبد البر رحمه الله والصحيح انه صلى الله عليه وسلم لم يخضب ولم يبلغ من الشيب مايخضب له وقد اختضب ابو بكر رضي الله تعالى عنه بالحناء والكتم واختضب عمر رضي الله تعالى عنه بالحناء وجاء يامعشر الانصار حمروا او صفروا وخالفوا اهل الكتاب وكان عثمان رضي الله تعالى عنه يصفر وعن انس رضي الله تعالى عنه دخل رجل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابيض الراس واللحية فقال الست مؤمنا قال بلى قال فاختضب انكر قيل انه حديث منكر وجاء من اختضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة قيل انه حديث منكر وجاء يكون آخر الزمان رجال من أمتي يغيرون بالسواد لا ينظر الله اليهم يوم القيامة قيل هو غريب جدا قال بعضهم ولعل من خضب بالسواد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم كسعد بن ابي وقاص والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم أي وعقبة بن عامر المدفون بمصر قال بعضهم ليس بمصر قبر صحابي متفق عليه الا قبر عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه فانه كان يخضب بالسواد وهو القائل في ذلك

نسودا علاها وتابى اصولها * ولا خير في الاعلى اذا فسد الاصل

وكان واليا على مصر من جهة معاوية رضي الله تعالى عنه فعزله بمسلمة بن مخلد وامره بالغزو في البحر وكان عقبة رضي الله تعالى عنه يقول ما انصفنا معاوية عزلنا وغربنا ثم لم يبلغهم النهي أوفهموا ان النهي للكراهة وقد جاء اول من جزع من الشيب ابراهيم عليه الصلاة والسلام حين رآه في عارضه فقال عليه الصلاة والسلام يارب ماهذه الشوهة التي شوهت بخليلك فاوحى الله اليه هذا سربال الوقار ونور الاسلام وعزتي وجلالي ماالبسته احدا من خلقي يشهد ان لا اله الا انا وحدي لا شريك لي الا استحييت منه يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا او اعذبه في النار فقال يارب زدني فاصبح رأسه مثل الثغامة البيضاء وفي المشكاة قال صلى الله عليه وسلم يكون في اخر الزمان قوم يخضبون بهذا السواد لايجدون رائحة الجنة

رواه

طائفة وجماعة عن جماعة فقال القاضي عياض في الشفاء فمن اعتنى بطرق النقل لم يشك في صحة هذه القصص المشهورة أى من المعجزات وخوارق العادات كالاخبار بالمغيبات ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فان أكثر الناس يعلمون بالخبر المتواتر وجود بغداد وانها مدينة عظيمة وانها دار الامامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها أى فجهل الجاهل بذلك لا ينفي التواتر فكذا ما نحن فيه ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم انه كان أميا لا يخط كتابا بيده ولا يقرؤه وولد في قوم اميين ونشا بينهم في بلد ليس بها عالم يعرف اخبار الماضين ولم يخرج في سفر قاصدا الى عالم يعكف عليه ليتعلم منه فجاءهم باخبار التوراة والانجيل والامم الماضية وقد كانت ذهبت تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق من المتمسكين بها واهل المعرفة بصحيحها الا القليل ولقلتهم لم يجتمع صلى الله عليه وسلم باحد منهم حتى يظن انه اخذ عنهم ثم انه جادل كل فريق من اهل الملل المخالفة له بايات وبراهين لو اجتمع لردها حذاق المتكلمين وجهابذة النقاد المتقنين لم يتهيأ لهم نقض ذلك وهذا ادل شيء على انه مرجاء به من عند الله تعالى لا صنع لاحد فيه ومن اعظم دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم وقد تحداهم بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته والاتيان بسورة من مثله فعجزوا عن الاتيان بشيء منه فكان هذا القرآن الذي اعجزهم اوضح في الدلالة على الرسالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه اتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمقدمين في اللسان بكلام مفهوم المعنى عندهم فكان عجزهم عنه اعجب من عجز من شاهد المسيح عليه السلام عند احياء الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في ابراء الاكمه والابرص وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة وانشاء الكلام البليغ ارتجالا في المحافل فجعل الله لهم

رواه أبو داود والنسائي اى وفي كلام ابن الجوزي رحمه الله أول من خضب بالسواد فرعون ومن اهل مكة أى من العرب عبد المطلب بن هاشم وعن عمر رضي الله تعالى عنه اخضبوا بالسواد فانه أنكى للعدو وأحب للنساء فليتأمل وكان لابي بكر رضي الله تعالى عنه اخت صغيرة في عنقها طوق من فضة اقتلعه انسان من عنقها فاخذ أبو بكر رضي الله تعالى عنه بيد أخته وقال انشدكم بالله وبالاسلام طوق اختي فما اجابه انسان احد ثم قال الثانية والثالثة فما أجابه أحد فقال رضي الله تعالى عنه يا اخية احتسبي طوقك فوالله ان الامانة في الناس اليوم القليل قال بعضهم ولم يعش لابي قحافة رضي الله تعالى عنه ولد ذكر الا أبو بكر ولا يعرف له بنت الا ام فروة التي نكحها أبو بكر الاشعث بن قيس وكانت قبله تحت تميم الداري وهي هذه المذكورة هنا وقيل كانت له بنت أخرى تسمى عربية وعليه فيحتمل أن تكون هي المذكورة هنا وتقدم اسلام أبي أبي بكر رضي الله تعالى عنهما لما كان المسلمون في دار الارقم وامه بنت عم أبيه قال بعضهم لم يكن أحد من الصحابة المهاجرين والانصار اسلم هو ووالداه وجميع ابنائه وبناته غير أبي بكر وبنوه ثلاثة عبد الله وهو اكبرهم مات أول خلافة والده وعبد الرحمن ومحمد رضي الله عنهم ولد محمد في حجة الوداع وهو المقتول بمصر وبناته ثلاثة ايضا اسماء وهي أكبرهن وهي شقيقة عبد الله وعائشة وهي شقيقة عبد الرحمن وأم كلثوم رضي الله تعالى عنهم وعنهن مات ابو بكر رضي الله تعالى عنه وهي ببطن امها وقد أنزل الله تعالى في حقه رب اوزعني ان أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي الآيات قال بعضهم لا يعرف في الصحابة اربعة اسلموا وصحبوا النبي ﷺ وكل واحد أبو الذي بعده الا في بيت أبي بكر رضي الله تعالى عنه ابو قحافة وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن ويكنى بابي عتيق اي وقد قيل ان قيل هل تعرفون اربعة رأوا النبي صلى الله عليه وسلم في نسق أي من الذكور كل ابن الذي قبله اجيب بانهم هؤلاء الاربعة ابو قحافة وابنه ابو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد وبقولنا من الذكور لا يرد ما أورد على ذلك ان هذا يصدق على أبي قحافة وابنه ابي بكر وبنته اسماء وابنها عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم ثم ارد على ذلك حارثة ابو زيد فانه اسلم على ما ذكره الحافظ المنذري ورأى النبي ﷺ بعد اسلامه وابنه زيد بن حارثة وابنه اسامة بن زيد وجاء اسامة يولد في حياته صلى الله عليه وسلم أي ويحتاج الى اثبات كونه صلى الله عليه وسلم رآه ذلك المولود الا أن يقال كان من شانهم اذا ولد لاحدهم مولود جاء به الى النبي ﷺ فيحنكه ويسميه خصوصا وهذا المولود ابن حب الحب ولم أقف على اسم هذا المولود فليراجع في اسماء الصحابة وحينئذ يقال لاجل عدم ورود من ذكر ليس لنا اربعة ذكور معروفة اسماؤهم وبعد الوقوف على اسم ذلك المولود يقال لاجل عدم الورود ليس لنا أربعة ليسوا من الموالي الا أبو قحافة وابنه ابو بكر وابن أبي بكر عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ابو عتيق فليتأمل لا يقال هذا موجود في غير بيت الصديق فقد ذكروا في الصحابة اربعة كذلك اى ذكور كل واحد ابو الذي بعده عرفت اسماؤهم وليس فيهم مولى وهم اياس بن سلمة بن عمرو بن لال لانا نقول

ذلك طبعا وخلقته فيأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهة فى المقامات وفى كل موضع شديد الخطب ويرتحرون بين الطعن والضرب ويتوصلون بذلك الى مطالبهم ويرفعون من مدحوه بمدحهم ويضعون من ذموه بقدحهم فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون الاعناق باحسن من عقد الآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوى ذوا اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم ومنهم الحضرى ذوا البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق وكل من البدوى والحضرى لهما الحجة البالغة والقوة الدامغة لا يرتابون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ اسبابها فاراعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته مجازه وتبادرت فى الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه جاءهم وهم افسح ماكانوا فى هذا الباب مجالا امتنه واشهر فى الخطابة رجالا واكثر فى السجع والشعر ارتجالا واوسع فى الغريب واللغة مقالا بلغتهم التى بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخابهم في كل حين ومقرعا لهم من الاعوام بضعا وعشرين على رؤس الملاء اجمعين فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فلم يزل يقرعهم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط

المراد المتفق على صحبتهم وهؤلاء لم يقع الاتفاق على صحبتهم * ومن الفوائد المستحسنة انه ليس فى الصحابة قال بعضهم بل ولا فى التابعين من اسمه عبد الرحيم وثلاثة ذكوا رادركوا النبي صلى الله عليه وسلم على نسق وهم السائب والد الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه وابوه عبيد وجده عبد وجده يزيد ثم اتى رسول الله ﷺ الصفا فعلاه حيث ينظر الى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بماشاء ان يذكره ويدعوه والانصار تحته قال بعضهم لبعض اما الرجل فادركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته ونزل الوحى عليه صلى الله عليه وسلم بما ذكر القوم ولما قضي الوحى رفع صلى الله عليه وسلم رأسه وقال يامعشر الانصار قلتم اما الرجل فادركته رغبة فى قريته ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك يارسول الله قال ﷺ فما اسمي اذا اي ان فعلت ذلك كيف اسمى واوصف باني عبدالله ورسوله كلا لا افعل ذلك اني عبدالله ورسوله أي ومن كان هذا وصفه لا يفعل ذلك هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم فاقبلوا اليه صلى الله عليه وسلم يبكون ويقولون والله ماقلنا الذى قلنا الا الضن اي البخل بالله وبرسوله اى لا نسمح ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غير بلدتنا يعنون المدينة فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم فان الله ورسوله يعذرانكم ويصدقانكم * وفي رواية ان الانصار رضي الله تعالى عنهم قالوا فيما بينهم اترون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله ارضه وبلده يقيم بها فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لاشيء يارسول الله فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم أى وتقدم له صلي الله عليه وسلم فى بيعة العقبة نظر ذلك وهو ان الانصار قالوا يارسول الله هل عسيت ان نحن نصرناك واظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتل عبدالله بن ابي سرح لانه كان أسلم قبل الفتح وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى وكان صلى الله عليه وسلم اذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا أملي عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما وكان يفعل مثل هذه الخيانات حتي صدر عنه انه قال ان محمدا لا يعلم مايقول فلما ظهرت خيانته لم يستطع ان يقيم بالمدينة فارتد وهرب الى مكة وقيل انه لما كتب ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله ثم انشاناه خلقا آخر تعجب من تفصيل خلق الانسان فنطق بقوله فتبارك الله احسن الخالقين قبل املائه رسول الله ﷺ اكتب ذلك هكذا انزلت فقال عبدالله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فارتد ولحق بمكة فقال لقريش اني كنت اصرف محمدا كيف شئت كان يملى على عزيز حكيم فاقول أوعليم حكيم فيقول نعم كل صواب وكل ماأقول يقول اكتب هكذا نزلت فلما كان يوم الفتح وعلم باهدار النبي صلى الله عليه وسلم دمه لجا الى عثمان بن عفان اخيه من الرضاعة فقال يااخى استامن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يضرب عنقي فغيبه عثمان رضى الله عنه حتى هدا الناس واطمانوا فاستامن له ثم اتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فصار عثمان رضى الله عنه يقول يارسول الله

أعلامهم و يشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح ارضهم وديارهم واموالهم وهم في كل هذا عاجزون عن معارضته وما ذالك الا ليصير علما على رسالته وصحة نبوته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح وهو باق دون غيره من المعجزات ومنه تستنبط الاحكام الشرعية والعلوم العقلية ولم تستنبط من معجز سواه فمعجزات الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن باقية الى يوم القيامة وقد قطع صلى الله عليه وسلم بانهم لا يقدرون على معارضة القرآن حيث تحداهم به وقال لهم كما أمره الله تعالى فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار فلولا علمه صلي الله عليه وسلم بان ذلك من عند الله علام الغيوب وانهم لا يقدرون لما قال لهم ولن تفعلوا لانه كان أعقل الرجال من أهل زمانه بل هو أعقل خلق الله على الاطلاق فلكمال عقله لم يحصل له ريب في خبر الله بل قطع القول فيما أخبر به عن ربه بانهم لا ياتون بشيء من مثله وهذا من أحسن مايكون في هذا المجال وأبدعه وأبينه فانه أدي عليهم بالعجز عن معارضته ونفي قدرتهم في المستقبل حيث قال ولن تفعلوا فلو قدروا فعلوا فصار صارخا بعجزهم على رؤس الاشهاد فلم يستطع أحد منهم الالمام به مع توفر الدواعي وتظاهر الاجتهاد وهم في كل حين ناكصون عن معارضته يخادعون انفسهم بالتكذيب والافتراء يقولون ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين ورضوا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر أي صمم ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وقنعوا بادعاء القدرة مع عجزهم كما قال تعالي حكاية عنهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وهذه وقاحة ومكابرة لفرط عنادهم ولو استطاعوه مامنعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز بضعا وعشرين سنة

امنته والنبى صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ثم قال نعم فبسط يده فبايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال صلي الله عليه وسلم لمن حوله عرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه وقال صلى الله عليه وسلم لعباد بن بشر وكان نذر ان رأى عبد الله ان يقتله أي وقد أخذ قائم السيف ينتظر النبى صلى الله عليه وسلم يشير اليه ان يقتله فقال له صلي الله عليه وسلم انتظرتك ان تفي بنذرك قال يارسول الله هبتك أفلا او مضت الى فقال انه ليس لنبي ان يومض * وفي رواية الايماء خيانة ليس لنبي ان يومى * وفى رواية لا ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الاعين اى وهذا يدل على ان خائنة الاعين الايماء بالعيون اي ان يومى طرفه خلاف مايظهره بكلامه وهو اللمز هذا وقيل انه اسلم وبايع والنبى صلى الله عليه وسلم في الطهران فصار يستحي من مقابلته صلى الله عليه وسلم فقال صلي الله عليه وسلم لعثمان اما بايعته وأمنته قال بلي ولكن يذكر جرمه القديم فيستحيي منك قال الاسلام يجب ماقبله وأخبره عثمان رضى الله عنه بذلك ومع ذلك فصار اذا جاء جمعة للنبي صلى الله عليه وسلم يجيء معهم ولا يجيء اليه منفردا وانما أمر صلي الله عليه وسلم بقتل ابن خطل لانه كان ممن أسلم اي قدم المدينة قبل فتح مكة واسلم وكان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الانصار يخدمه وفي لفظ كان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمره ان يذبح تيسا ويصنع له طعاما ونام ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيأ وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعرا يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعره وكانت له قينتان تغنيان بهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يصنعه وقد قيل انه ركب فرسه لابسا للحديد واخذ بيده قناة وصار يقسم لا يدخلها محمد عنوة فلما رأى خيل الله دخله الرعب فانطلق الى الكعبة فنزل عن فرسه وألقى سلاحه ودخل تحت استارها فاخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون فاخبره خبره فامر بقتله وقيل لما طاف صلي الله عليه وسلم بالكعبة قيل هذا ابن خطل معلقا باستار الكعبة فقال اقتلوه فان الكعبة لا تعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب أي فقتله سعد بن حريث وابو برزة وقيل قتله الزبير رضى الله عنه وقيل سعد بن ذؤيب وقيل سعيد بن زيد قال في النور والظاهر اشتراكهم فيه جمعا جمعا بين الاقوال وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه فقتلت احداهما واستؤمن رسول الله صلي الله عليه وسلم للاخرى فامنها واسلمت والحويرث بن نقيذ وانما امر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ويعظم القول في اذيته وينشد الهجاء وكان العباس عم رسول الله ﷺ ورضى عنه حمل فاطمة وأم كلثوم بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة فنخس الحويرث البعير الحامل لهما فرمى بهما الارض فقتله على بن ابى طالب كرم الله وجهه في ذلك اليوم وقد خرج يريد أن يهرب ومقيس بن ضبابة انما أمر بقتله لانه كان قد اتي النبي صلى الله عليه وسلم مسلما طالبا لدية اخيه هشام بن ضبابة رضى الله عنه قتله رجل من الانصار فى غزوة ذى قرد خطأ يظنه من العدو ودفع له النبى صلى الله عليه وسلم دية اخيه ثم انه عدا

ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا ومع استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في الفصاحة وقال تعالى اظهارا لعجزهم لئن اجتمعت الانس والجن على أن ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أى معينا فهذا نزل ردا لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وانما ذكر سبحانه وتعالى الجن تعظيما لاعجاز القرآن والا فالتحدى انما وقع للانس دون الجن لانهم ليسوا من أهل اللسان العربى الذى جاء القرآن على أساليبه لان للهيئة الاجتماعية من القوة ماليس للافراد وانما فرض اجتماع الثقلين واعانة بعضهم بعضا ومع ذلك عجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز فرضيت هممهم الشريفة وأنفسهم الابية سفك الدماء وهتك الحرم عجزا عن الاتيان بمثله وعنادا فلو قدروا على المعارضة لدفعوا ماحل بهم بالمعارضة فهذا برهان على عجزهم وابطال لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فان هذا قاطع بعجزهم وعدم قدرتهم فلا عبرة بقولهم وقد اعترف كثير منهم من اهل الفصاحة والبلاغة بانه لا يقدر أحد على معارضته وانه ليس من كلام البشر فممن اعترف عتبة بن ربيعة وذلك انه ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخى ان كنت تطلب مالا جمعنا لك من اموالنا او تطلب الشرف فتحسن نسودك علينا وان كان الذي ياتيك رئيا بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك فلما فرغ قال صلى الله عليه وسلم اسمع مني بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب وقال فصلت آياته حتى انتهى صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوضع عتبة يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وقال له لا تدع علينا ثم رجع فقالت له قريش ماوراءك فقال والله لقد سمعت قولا ماسمعت بمثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ وتقدمت قصته مبسوطة بعد ذكر قصة اسلام

على الانصارى قاتل أخيه فقتله بعد أخذ دية أخيه ثم لحق بمكة مرتدا كما تقدم قتله ابن عمه نميلة بن عبد الله الليثى أى بعد أن أخبر نميلا بان مقيسا مع جماعة من كبار قريش يشربون الخمر فذهب اليه فقتله وذلك بردم بنى جمح وقيل قتل وهو متعلق باستار الكعبة وأما هبار بن الاسود رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان عرض لزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفهاء من قريش حين بعث بها زوجها ابو العاص الى المدينة فاهوى اليها هبار ونخس بعيرها وفى رواية ضربها بالرمح فسقطت من على الجمل على صخرة أى وكانت حاملا فالقت مافى بطنها واهراقت الدماء ولم يزل بها مرضها ذلك حتى ماتت كما تقدم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان لقيتم هبارا فاحرقوه ثم قال انما يعذب بالنار رب النار ان ظفرتم به فاقطعوا يده ورجله ثم اقتلوه فلم يوجد يوم الفتح ثم أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه ويذكر انه لما أسلم وقدم المدينة مهاجرا جعلوا يسبونه فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال سب من سبك فانتهوا عنه وهذا السياق يدل على انه اسلم قبل ان يذهب الى المدينة وفي لفظ ولما رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة جاء هبار رافعا صوته وقال يامحمد أنا جئت مقرا بالاسلام وأنا أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعتذر اليه أي قال له صلى الله عليه وسلم بعد أن وقف عليه وقال السلام عليك يا نبي الله لقد هربت منك فى البلاد فاردت اللحوق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وفضلك في صفحك عمن جهل عليك وكنا يا نبي الله اهل شرك فهدانا الله بك وانقذنا بك من الهلكة فاصفح عن جهلي وعما كان مني فاني مقر بسوء فعلي معترف بذنبي فقال النبى ﷺ ياهبار عفوت عنك وقد احسن الله اليك حيث هداك الى الاسلام والاسلام يجب ماكان قبله وقوله مهاجرا فيه انه لا هجرة بعد فتح مكة الا ان يقال هي مجاز عن مجرد الانتقال عن محل الى آخر أخذا مما ياتي ان شاء الله في عكرمة وأما عكرمة بن ابى جهل رضى الله عنه فانه صلى الله عليه وسلم انما أمر بقتله لانه كان اشد الناس هو وأبوه أذية للنبي صلى الله عليه وسلم وكان اشد الناس على المسلمين ولما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدر دمه فر الى اليمن فاتبعته امرأته بنت عمه أم حكيم بنت الحرث بن هشام بعد أن اسلمت فوجدته في ساحل البحر يريد ان يركب السفينة وقيل وجدته في السفينة فردته أي بعد أن قالت له يا ابن عم جئتك من عند اوصل الناس وابر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك فقد استأمنت لك فجاء معها فاسلم وحسن اسلامه أى بعد ان قال يامحمد هذه يعنى زوجتي اخبرتني انك أمنتني قال صدقت انك آمن فقال عكرمة اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وطأطأ رأسه من الحياء فقال له صلى الله عليه وسلم ياعكرمة ماتسألني شيئا اقدر عليه الا اعطيتكه قال استغفر لى كل عداوة عاديتكها فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به أى ولما قدم عليه صلى الله عليه وسلم وثب صلى الله عليه وسلم اليه قائما فرحا به اى ورمى صلى الله عليه وسلم رداءه وقال مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة وفي بهجة المجالس في أنس المجالس لابن عبد البر رحمه الله انه صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه انه دخل الجنة ورأى فيها عذقا فاعجبه

حمزة رضى الله عنه عند ذكر ما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية وروي من حديث اسلام أبي ذر رضي الله عنه كما رواه مسلم أنه حين بلغه بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعث أخاه انيسا ينظر له في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو ذر يصف أخاه بقوله والله ما سمعت باشعر من اخي انيس قد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية اي عارضهم في قصائدهم اي فيدل ذلك على فصاحته ومعرفته بالشعر قال فانطلق انيس الى مكة ثم رجع الى أبي ذر بخبر النبي صلى الله

عليه وسلم فقال رأيت رجلا بمكة يزعم ان الله أرسله قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على انواع الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان احد وانه لصادق وانهم لكاذبون وروي البيهقي في قصة الوليد ابن المغيرة وكان سيد قريش في الفصاحة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ على شيا لانظر فيه فقرأ عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون فقال الوليد أعد على قراءتك فاعاد صلى الله عليه وسلم الآية فقال والله أن له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق ومايقول هذا بشر ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل اعلم بالاشعار مني ولا باقوال الجن مني والله

وقال لمن هذا فقيل لابي جهل فشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم وقال لا يدخلها الا نفس مؤمنة فلما جاءه عكرمة بن ابي جهل مسلما فرح به وأول ذلك العذق لعكرمة والعكرمة الانثى من الحمير واستدل بذلك على تاخر الرؤيا وانها تكون لغير من ترى له قال وصار عكرمة قبل اسلامه يطلب امرأته ام حكيم يجامعها فتأبى وتقول انت كافر وانا مسلمة والاسلام حائل بيني وبينك فقال ان امرا منعك مني لامر كبير اي ولما قتل عكرمة رضى الله عنه في اليرموك في قتال الروم وانقضت عدتها تزوجها خالد بن سعيد واراد ان يدخل بها فجعلت تقول له لو اخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع يعنى الروم فقال خالد ان نفسي تحدثني ان اصاب في جموعهم قالت فدونك فدخل بها في خيمته فما اصبح الصبح الا والروم قد اصطفت فخرج خالد رضي الله عنه فقاتل حتى قتل فشدت أم حكيم عليها ثيابها واخذت عمود الخيمة التي دخل بها خالد فيها فقتلت بها سبعة من الروم وقال صلى الله عليه وسلم قبل ان يقدم عليه عكرمة بن ابي جهل رضي الله عنه يأتيكم عكرمة مؤمنا مهاجرا فلا تسبوا اباه فان سب الميت يؤذي الحي ولا يلحق الميت انتهي اي وفي رواية لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وفي أخرى لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء وفي أخري اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وجاء انه شكى اليه صلى الله عليه وسلم قولهم عكرمة بن ابي جهل فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات وقد كان قبل اسلامه بارز رجلا من المسلمين فقتله فضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الانصار ما اضحكك يارسول الله وقد فجعنا بصاحبنا فقال اضحكني انهما في درجة واحدة في الجنة ومن ثم قتل عكرمة شهيدا اي في قتال الروم في وقعة اليرموك كما مر وسارة رضي الله عنها فانها اسلمت وانما امر صلى الله عليه وسلم بقتلها لانها كانت مغنية بمكة وكانت تغني بهجائه صلى الله عليه وسلم وهي التي وجد معها كتاب حاطب وقد استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها واسلمت كما تقدم والحرث بن هشام وزهير بن أمية استجارا بام هانئ بنت ابي طالب أخت علي بن ابي طالب كرم الله وجهه شقيقته ولم تكن اسلمت اذ ذاك فاراد علي قتلهما فمنعها رضي الله عنها انها قالت لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فر الي رجلان من احمائي أي من أقارب زوجها هبيرة بن ابي وهب مستجيرين بي فاجرتهما وذكر الازرقي بدل زهير بن أمية عبد الله بن ابي ربيعة فدخل على أخي علي بن أبي طالب فقال والله لاقتلنهما أي وقال تجير المشركين فحلت بينه وبينهما فخرج فاغلقت عليهما بيتي ثم جئت صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة فيها اثر العجين وفاطمة ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه فقلت أم هانئ بنت أبي طالب فقال مرحبا بام هانئ وفي الرواية الاولى فلما اغتسل أخذ ثوبه وتوشح به ثم صلى ثماني ركعات من الضحى ثم اقبل علي فقال مرحبا واهلا بام هانئ ما جاء بك فاخبرته الحديث فقال اجرنا من اجرت وامنا من امنت فلا نقتلهما وفي البخاري أيضا انه صلى الله عليه وسلم اغتسل في بيتها ثم صلى الضحي ثماني ركعات اي ولما ذكر ذلك لابن عباس رضي الله عنهما قال اني كنت أمر على هذه الآية يسبحن بالعشي والاشراق فاقول أي

ما يشبه الذي يقول شيا من ذلك والله أن لقوله الذي يقول لحلاوة وأن عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلوا ولا يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته وقد سبق عند ذكر استهزاء المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ان الوليد ابن المغيرة هذا قال في حق النبي صلى الله عليه وسلم ما هو بكاهن ولا بمجنون ولا بشاعر ولكن أقرب القول فيه انه ساحر كما تقدم مبسوطا وروى ابو نعيم من طريق ابن اسحق عن رجل من بني سلمة بكسر اللام بطن من الانصار قال لما أسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه معاذ اخبرني ما سمعت من

كلام هذا الرجل وكان معاذا سلم قبل أبيه فقرأ عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال عمرو لابنه ما أحسن هذا وأجمله أوكل كلامه مثل هذا قال يا أبت وأحسن من هذا قال المواهب نقلا عن بعضهم ان هذا القرآن لو وجد مكتوبا في مصحف في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند الله تعالى . ان البشر وغيرهم لاقدرة لهم على تاليف ذلك فكيف اذا جاء على يد (١٠٨) أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقد قال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم أن ياتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك

﴿ ذكر وجوه اعجاز القرآن ﴾

اعلم ان وجوه اعجاز القرآن لا تنحصر فمنها الايجاز اي قلة اللفظ وكثرة المعاني والبلاغة الخارقة لعادة العرب حتي كان في الحد الاعلى مثل قوله ولكم في القصاص حياة فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة احرف معاني كثيرة وحكى أبو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام اي انما كان سجوده لانه هزه العجب لفصاحته ولدهشته من بلاغته حتي ذل ومرغ وجهه في التراب وسمع اعرابي آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام اي لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر

وحكى الاصمعي انه رأى جارية صغيرة السن لها نحو خمس سنين او ستا وهي تقول استغفر الله من ذنوبي كلها قال الاصمعي فقلت لها مم تستغفرين وانت صغيرة لم يجر عليك قلم اي لم تبلغي الحلم فقالت يزعم استغفر الله لذنبي كله * قتلت انسانا لغير حله * مثل غزال ناعم في دله * انتصف الليل ولم اصله فقلت لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الي ام موسي ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه

صلاة صلاة الاشراق وهذه صلاة الاشراق وفي لفظ ما عرفت صلاة الاشراق الا الساعة وهذا يدل لما أفتى به والد شيخنا الرملي رحمهما الله تعالى ان صلاة الضحي صلاة الاشراق خلافا لما في العباب من انها غيرها ويحتاج للجمع بين هذه الرواية والتي قبلها على ثبوت صحتهما وبهذه الواقعة قال المحاملي من أئمتنا في كتابه اللباب الذى هو أصل التنقيح الذى هو أصل التحرير ومن دخل مكة وأراد ان يصلى الضحى أول يوم اغتسل وصلاها كما فعله عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة وبه الغز فقيل شخص يستحب له الاغتسال لصلاة الضحي في مكان خاص وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت رسول الله ﷺ صلى سبحة الضحى قط واني لاسبحها أي أصليها وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى رحمه الله ما اخبرني احد انه رأي النبي صلي الله عليه وسلم يصلى الضحي الا ام هانيء وهذا ينازع فيه ما يأتي ان صلاة الضحى مما اختص بوجوبها ﷺ واسلمت ام هانيء ذلك اليوم الذى هو يوم الفتح أي وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لها هل عندك من طعام ناكله قالت ليس عندي الا كسر يابسة واني لاستحى أن أقدمها اليك فقال هلمي بهن فكسرهن في ماء وجاءت بملح فقال هل من أدم فقالت ما عندى يارسول الله الا شيء من خل فقال هلميه فصبه على الكسر وأكل منه ثم حمد الله ثم قال نعم الادم الخل يا أم هانيء لا يفقر بيت فيه خل أي وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم سأل اهله الادام فقالوا ما عندنا الا الخل فدعا به فجعل ياكل به ويقول نعم الادم الخل وفي الحديث عن جابر رضي الله عنهما مرفوعا ان الله يوكل بآكل الخل ملكين يستغفران له حتي يفرغ وجاء نعم الادم الخل اللهم بارك في الخل فانه كان أدام الانبياء قبلي لم يفقر بيت فيه خل وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال أخذ بيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى ذات يوم الي بعض حجر نسائه فدخل ثم أذن لى فدخلت فقال هل من غداء فقالوا نعم فاتي بثلاثة اقرصة فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرصا فوضعه بين يديه واخذ قرصا فوضعه بين يدى ثم اخذ الثالث فكسره فجعل نصفه بين يديه ونصفه بين يدي ثم قال صلى الله عليه وسلم هل من أدم فقالوا الا شيء من خل قال هاتوه فنعم الادم الخل وفي رواية فان الخل نعم الادام قال جابر رضي الله عنه فما زلت احب الخل منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم مازلت أحب الخل منذ سمعتها من جابر وصفوان بن امية استأمن له عمير بن وهب اى قال له يا نبي الله ان صفوان سيد قومى قد هرب ليقذف نفسه فى البحر فأمنه فانك امنت الاحمر والاسود فقال صلى الله عليه وسلم ادرك ابن عمك فهو آمن فقال اعطني آية يعرف بها امانك فاعطى صلى الله عليه وسلم لعمير عمامته التى دخل بها مكة اي وفي لفظ اعطاه برده اي بعد ان طلب منه العود وقال لا اعود معك الا ان تاتيني بعلامة اعرفها فقال امكث مكانك حتي آتيك به فلحقه عمير وهو يريد ان يركب البحر وراءه اى بعد ان قال له اعزب عني لا تكلمني فقال اى صفوان فداك ابى وامى جئتك من عند افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس وابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال انى اخافه على نفسي قال هو احلم من ذلك واكرم فرجع معه حتي وقف على رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال ان هذا

من المرسلين فجمع في آية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فالامران ارضعيه والقيه والنهيان ولا تخافي ولا تحزني والخبران واوحينا وفاذا خفت قيل الخبران والبشارتان انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فهو خبر من جهة وبشارة من جهة وحكي ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا برجل على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاخبره انه من بطارقة الروم وهم قواد الروم وأهل الرياسة فيهم وكان ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع (١٠٩) رجلا من أسرى المسلمين يقرا آية من كتابكم ايها المسلمون قال فاملتها فاذا هي قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى بن مريم عليه السلام من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون وكان ذلك سبب الاسلام وقد اراد جماعة من أهل الزيغ والطغيان ممن أوتوا طرفا من البلاغة وحظا من البيان أن يصنعوا شيا يلبسون به على الناس يزعمون أنه يشبه القرآن فعجزوا عن ذلك ورأوه مكان النجم من يد المتناول ومنهم من اراد ان يصنع كلاما قليلا يحاكي به نحو سورة الكوثر ليدخل الشبهة على الجهال القاصرة عقولهم عن تمييز الحسن عن القبيح فجا بما يدل على سخافة عقله وجمود قريحته وسوء فعله وظهر لاهل التمييز انه ليس من نمط فصاحتهم ولا من جنس بلاغتهم فولوا عنه مدبرين واعترفوا بحقية القرآن مذعنين فمن ذلك قول مسيلمة الكذاب لعنه الله ياضفدع كم تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا شرب تمنعين ولما سمع مسيلمة لعنه الله قوله تعالى والنازعات غرقا قال والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والحافرات حفرا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم اهل المدر الى غير ذلك من الهذيان الدال على سخافة عقله بل كلامه هذا مسلوب عنه أدنى الفصاحة التي ألفوها فيكون حجة

يزعم انك امنتني قال صدق فقال يارسول الله امهلني بالخيار شهرين فقال صلى الله عليه وسلم انت بالخيار اربعة اشهر أي ثم خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى حنين لما وثق رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمها أي بالجعرانة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمق شعبا ملآنا نعما وشاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبك هذا قال نعم قال هو لك وما فيه فقبض صفوان ما في الشعب وقال ما طابت نفس أحد بمثل هذا الا نبي فاسلم كاسيأتي وهند امرأة ابي سفيان رضي الله عنهما فانها اسلمت بعدوانما امر صلى الله عليه وسلم بقتلها لانها مثلت بعمه حمزة رضي الله عنه يوم أحد ولاكت قلبه كما تقدم وكعب بن زهير رضي الله عنه فانه اسلم بعدوانما امر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان ممن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ووحشي رضي الله عنه فانه اسلم بعدوانما امر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه قتل عمه حمزة رضي الله عنه يوم أحد وكانت الصحابة احرص شيء على قتله وفر الى الطائف وقدم منها اسلامه استطرادا قال وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم أي يوم الفتح على الصفا يبايع الناس فجاء الكبار والصغار والرجال والنساء يبايعهم على الاسلام أي على شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ودخل الناس في دين الله افواجا أفواجا أي وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل فاخذته الرعدة فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش كانت تاكل القديد أي وكان من جملة من بايعه النبي صلى الله عليه وسلم على الاسلام معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما فعن معاوية رضي الله عنه لما كان عام الحديبية وقع الاسلام في قلبي فذكرت ذلك لامي فقالت اياك ان تخالف اباك فيقطع عنك القوت فاسلمت واخفيت اسلامي فقال لي يوما ابو سفيان وكأنه شعر باسلامي اخوك خير منك هو على ديني فلما كان عام الفتح اظهرت اسلامي ولقيته صلى الله عليه وسلم فرحب بي وكتبت له أي بعد ان استشار فيه جبريل عليه السلام فقال استكتبه فانه أمين وأردفه النبي صلى الله عليه وسلم يوما خلفه فقال ما يليني منك قلت بطني قال اللهم املأه حلما وعلما وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لمعاوية اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب زاد في رواية ومكن له في البلاد وعن بعض الصحابة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لمعاوية يقول اللهم اجعله هاديا مهديا اهده واهد به ولا تعذبه وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لمعاوية يامعاوية أنت مني وانا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين واشار باصبعيه الوسطى والتي تليها ويذكر انه كان عنده قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وازاره ورداؤه وشيء من شعره فقال عند موته كفنوني في القميص وأدرجوني في الرداء وازروني بالازار واحشوا منخري وشدقي من الشعر وخلوا بيني وبين ارحم الراحمين وقد بشر بمعاوية رضي الله عنه بعض كهان اليمن وسبب ذلك ان أمه هندكانت قبل ابيه ابي سفيان عند الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان الفاكه من فتيان قريش وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير اذن فخلا ذلك البيت يوما من الضيفان فاضطجع الفاكه وهند فيه في وقت القائلة ثم خرج الفاكه لبعض حاجته وأقبل رجل

على خزيه ومن كلامه وقيل من كلام غيره ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى خرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وأحشا وقال بعض الحمقاء الفيل ما الفيل وما ادراك ما الفيل له ذنب وثيل أي ممتد ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا القليل ففي هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة ما لا يخفى على من لا يعلم فضلا عمن يعلم اذ كل من سمعه يمجه ويعلم ضرورة هجانته ولكنته ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ الوصف الذي (١١٠) صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والسجع ولا يشبه نظما ولا نثرا ولا خطبة ولا رسالة ولا سجعا مع انه يشاركها في انه مؤلف من كلماتهم ويدل على أساليب كلامهم في البلاغة وقد اشتمل على حسن التأليف والتئام الكلمات وفصاحتها وغير ذلك من وجوه الاعجاز الخارقة لعادة العرب في عجائب تراكيبهم وغرائب اساليبهم وبدائع انشائهم وروائع اشاراتهم الذين هم فرسان الكلام ومن صورة نظمه العجيب واسلوبه الغريب الوضع المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء به القرآن ووقفت عليه مقاطيع آياته وانتهت اليه فواصل كلماته لم يوجد قبله ولا بعده نظيره ولذلك تحيرت عقولهم ودهشت أحلامهم ولم يهتدوا الى مثله في حسن كلامهم ولا ريب انه في فصاحته قد فزع القلوب ببديع نظمه وفي بلاغته قد اصاب العالمين بمصائب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة ودليله القاهر وبرهانه الباهر ما رام معارضته شقي الا تهافت تهافت الفراش في الشباب وذل ذل الغنم بين الليوث الغضاب وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته انه اصابته روعة وهيبة منعته عن ذلك كما يحكى عن يحيى بن حكيم الاندلسي وكان بليغ الاندلس في زمانه قيل انه بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وتوفى سنة خمس وخمسين ومائتين أنه رام شيئا من المعارضة للقرآن فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج على منوالها

كان يغشاه فولج البيت فلما رأى المرأة التي هي هند ولى هاربا وابصره الفاكه وهو خارج من البيت فاقبل الى هند فضربها برجله وقال لها من هذا الذي كان عندك قالت ما رأيت رجلا ولا انتبهت حتى أيقظتني فقال لها الحقي بابيك وتكلم فيها الناس فقال لها ابوها عتبة يا بنية ان الناس قد اكثروا فيك فانبئيني نبأك فان كان الرجل عليك صادقا دسست اليه من يقتله فيقطع عنك المقالة وان يكن كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فحلفت له انه لكاذب عليها فقال عتبة للفاكه يا هذا انك قد رميت ابنتي بامر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف وخرجوا معهم بهند ونسوة معها فلما شارفوا البلاد وقالوا غدا نرد على الكاهن الفلاني تنكرت حالة هند وتغير وجهها فقال لها ابوها اني قد أرى ما بك من تنكر الحال وما ذاك الا لمكروه عندك كان هذا قبل ان يشهد الناس مسيرنا قالت لا والله يا ابتاه ما ذاك لمكروه عندي ولكني اعرف انكم تأتون بشرا يخطىء ويصيب ولا آمنه ان يسمني ميسما يكون على سبة في العرب قال اني سوف اختبره من قبل ان ينظر في امرك فصفر بفرس حتى ادلى ثم اخذ حبة من حنطة فادخلها في احليله وأوكا عليها بسير فلما وردوا على الكاهن اكرمهم ونحر لهم فلما قعدوا قال له عتبة انا قد جئناك في امر وانى قد خبأت لك خبأ اختبرك به فانظر ما هو قال ثمرة في كمرة قال اريد أبين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال صدقت انظر في امر هذه النسوة فجعل يدنو من احداهن فيضرب كتفها ويقول انهضي حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال لها انهضي غير وسخاء ولا زانية ولتلدن ملكا يقال له معاوية فوثب اليها الفاكه فاخذ بيدها فنثرت يدها من يده وقالت اليك عني فوالله لاحرصن على ان يكون من غيرك فتزوجها ابو سفيان فجاءت منه بمعاوية رضى الله عنهم وقد قال له صلى الله عليه وسلم يا معاوية اذا ملكت فاحسن وفي رواية اذا ملكت من امر أمتي شيئا فاتق الله واعدل ويؤثر عنه رضي الله عنه انه لما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم اقل عثرتي واغفر زلتي وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق باحد سواك ثم بكى رضى الله عنه حتى علا نحيبه كتب الى عائشة رضي الله عنها اكتبي لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك اما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس ومن التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام وكتبت اليه رضي الله عنها مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك اذا اتقيت الله كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال بايع النساء وفيهن هند بنت عتبة امرأة ابي سفيان رضي الله عنهما متنقبة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهن بايعنني على ان لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن اولادكن أي وذلك اسقاط الاجنة زاد في لفظ ولا تلحقن بازواجكن غير اولادهم أي ولا تقعدن مع الرجال في خلاء أي لا تجتمع امرأة مع رجل في خلوة ولا تأتين ببهتان تفترينه بين ايديكن وارجلكن قال ابن عباس

رضى

فاعترته خشية ورقة فى قلبه حملته على التوبة عما كان رامه وعلم أنه أمر لا يقدر عليه البشر ويحكي ان المقفع بضم الميم وفتح القاف والفاء المشددة قبل العين المهملة وكان افصح اهل وقته وكان في عصر التابعين طلب المعارضة ورامها فنظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبي يقرأ في المكتب قوله تعالي وقيل يا أرض ابلعي ماءك وياسماء أقلعى وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين فقال أشهد أن هذا ما هو من كلام البشر وان هذا لا يعارض أبدا ثم رجع ومحا ماعمله وابطله وعلم أنه لا مناسبة بينه وبين كلام الله فى شيء وبالتامل فى القرآن المجيد يظهر لك من عجائبه مالا يمكن حصره فتامل فى مثل قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وقوله تعالي ويا أرض ابلعى ماءك الآية وقوله تعالي فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا واشباه هذه الآيات بل جميع آيات القرآن اذا دققت النظر فيها تبين لك ان تحت كل لفظة جملا كثيرة وفصولا جمة ووجدت فيها علوما زواخر مع ايجاز الالفاظ وكثرة المعاني ولطائف العبارات والدعاء الى التوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها كل شيء في موضعه حيث لا ترى محلا أولى من محل واذا تاملت ايضا القرآن وجدته مودعا فيه مثلات أخبار القرون الماضية منبئا بالحوادث المستقبلة جامعا للحجج والمحتج له واستيفاء هذه الامور منتسقة أحسن نسق لا يتمكن لغير الله عز وجل فادعاء انه من عند النبي صلي الله عليه وسلم وانه تقوله على الله معلوم البطلان بالضرورة بل المعلوم بالضرورة أنه جاء على لسانه من عند الله فان عجز العرب عن الاتيان بمثله معلوم بالضرورة وتحديهم به معلوم الضرورة كما ان كونه خارقا للعادة معلوم بالضرورة كل ذلك

رضي الله عنهما البهتان ان تلحق زوجها ولدا ليس منه اى ولا يغنى عنه الزنا كما ان ذلك لا يغنى عن الزنا وقد تحبل ولا يلحقه باحد ولا تعصين في معروف وجاء أن بعض النسوة قالت ما هذا المعروف الذي لا ينبغي لنا أن نعصيك فيه قال لا تنحن أى وفى لفظ لا تنحن ولا تخمشن وجها ولا تنشرن شعرا وفي لفظ ولا تحلقن شعرا ولا تحرقن قرنا ولا تشققن جيبا ولا تدعين بالويل وجاء هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين صفا عن اليمين وصفا عن اليسار ينبحن كما ينبح الكلب وجاء تخرج النائحة من قبرها يوم القيامة شعثاء غبراء عليها جلباب من لعنة ودرع من جرب واضعة يدها على رأسها تقول ويلاه وجاء النائحة اذا لم تتب تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وجاء لا تقبل الملائكة على نائحة وجاء ليس للنساء فى اتباع الجنائز من أجر وجاء ان هندا قالت له صلى الله عليه وسلم انك لتاخذ علينا مالا تاخذه على الرجال أى لان الرجال كان صلى الله عليه وسلم يبايعهم على الاسلام وعلى الجهاد فقط ولما قالت لما قال صلى الله عليه وسلم ولا تسرقن والله ان كنت أصيب من مال أبى سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدرى أكان ذلك حلالا أم لا فقال أبو سفيان وكان حاضرا اما ما أصبت فيما مضى فانت منه في حل عفا الله عنك أي فضحك النبى صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبي الله وانها قالت لما قال صلى الله عليه وسلم ولا تزنين او تزني الحرة يارسول الله ولما قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا وفى لفظ هل تركت لنا ولدا الا قتلته يوم بدر وفى لفظ أنت قتلت آباءهم يوم بدر وتوصينا باولادهم وفى لفظ ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فضحك عمر رضى الله عنه حتي استلقي وتبسم صلى الله عليه وسلم وفي لفظ فضحك صلى الله عليه وسلم ولما قال صلى الله عليه وسلم ولا تاتين ببهتان تفترينه قالت والله ان اتيان البهتان لقبيح زاد في لفظ وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال صلى الله عليه وسلم ولا تعصينني في معروف قالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا ان نعصيك في معروف وفى لفظ انها أتته منتقبة بالابطح وقالت انى امرأة مؤمنة أشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله ثم كشفت عن نقابها وقالت أنا هند بنت عتبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك قال بعضهم وفي اسلام ابي سفيان قبل هند واسلامها قبل انقضاء عدتها اى لانها اسلمت بعده بليلة واحدة واقرارهما على نكاحهما حجة للشافعى رضى الله عنه ثم ارسلت اليه صلى الله عليه وسلم بهدية وهى جديان مشويان مع مولاة لها فاستاذنت فاذن لها فدخلت عليه وهو صلى الله عليه وسلم بين نسائه أم سلمة وميمونة ونساء من بنى عبد المطلب وقالت له ان مولاتى تعتذر اليك وتقول ان غنمهما اليوم لقليل الوالدة فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم بارك لكم فى غنمكم واكثر والدتها وكثر الله ذلك تقول تلك المولاة لقد راينا من كثرة غنمنا ووالدتها مالم نكن نرى قبل وجاءت اليه وقالت يارسول الله ان أبا سفيان رجل ممسك فهل علي من حرج ان اطعم من الذي له عيالنا فقال لها لا عليك ان تطعميهم بالمعروف وفي لفظ ان ابا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدى الا ما أخذت منه وهو لا يعلم قال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف اي وجاء

معلوم بعجز المنكرين عن معارضته مع اعترافهم باعجاز بلاغته ثم هو آية معجزة في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء نطقهم ببيانها مع ما اشتمل عليه من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناسق وجوهه وتشابه أطرافه وانظر الى قصة يوسف عليه السلام على طولها قصها الله تعالى على أعجب ترتيب وابدع تهذيب مرتبطا أولها بآخرها لم ينعصب ماء بيانها ولم يعقل عقد نظامها ثم ان قصصه اذا كررت فيه وذكر مرة بعد أخرى اختلفت فيها العبارات وذكرت في كل مكان لمعنى صرفت له مثلا غير المكان الآخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا حتى تكاد كل واحدة من القصص المكررة تنسي في البيان صاحبتها فيكون سامعها كأنه انما سمعها الآن ولم يسبق لها ذكر ولا نفور للنفوس من تكريرها ولا معاداة لمعادها قال في الشفا ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره وفكره ولسانه لم يخف عليه جميع ما تقدم وان كل واحد من تلك الوجوه معجز على حدته فهو كاحياء الموتى وقلب العصا حية وتسبيح الحصى بل اعظم من ذلك لان هذا من جنس ما بة ما طوبه ومع ذلك لم يأتوا به فقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا شمخ الانوف أباة الضيم بحيث لا يرضون ذلك الذل اختيارا ولا يؤثرونه الاضطرار فلما ارضه لو كانت من قدرتهم فالشغل بها أهون عليهم وأسرع للنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم أهل القدرة والمعرفة بالكلام من جميع الانام وما منهم أحد الا جهد جهده واستفرغ ما في وسعه في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما أظهروا في ذلك خبيئة من نباة شفاههم ولا أتوا بقطعة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد والولد فما نطقوا بل انقطعوا * ومن وجوه اعجازه ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات مما سبق ومما كان

ان بعض النساء قالت هلم نبايعك يا رسول الله قال لا أصافح النساء وانما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة وفي لفظ قولي لالف امرأة كقولي لامرأة واحدة وعن عائشة رضي الله عنها لم يصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط وانما كان يبايعهن بالكلام وعن الشعبي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وعلى يده ثوب وقيل انه غمس يده في اناء وامرهن فغمسن أيديهن فيه فكانت هذه البيعة قال ابن الجوزي والقول الاول اثبت وقد ذكر المبايعات له صلى الله عليه وسلم لا في خصوص يوم الفتح على حروف المعجم في كتاب التلقيح وتقدم عن أم عطية رضي الله عنها انها قالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار في بيت ثم أرسل اليهن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام على الباب فسلم فرددن عليه السلام فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكن يبايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا وقرأ الى قوله تعالى في معروف فقلن نعم فمد يده من خارج ومددن ايديهن من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد ولعل ذلك كان بحائل والفتنة مأمونة وقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس اين ابنا أخيك يعني أبا لهب عتبة ومعتب لا اراهما قال العباس رضي الله عنه قد تنحيا فيمن تنحي من مشركي قريش قال ائتني بهما فركبت اليهما فأتيت بهما فدعاهما للاسلام فاسلما فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهما ودعا لهما ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ بايديهما وانطلق بهما حتى أتي الملتزم فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى في وجهه صلى الله عليه وسلم فقلت له سرك الله يا رسول الله اني أري السرور في وجهك قال اني استوهبت ابني عمي هذين من ربي فوهبهما لي وشهدا معه حنينا والطائف ولم يخرجا من مكة ولم يأتيا المدينة وفقئت عين معتب في حنين وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح هذا ما وعدني ربي ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح انتهى وقد اشار الى ذلك صاحب الهمزية رضي الله عنه بقوله

واستجابت له بنصر وفتح * بعد ذاك الخضراء والغبراء
وتوالت للمصطفي الآية الكبري عليهم والغارة الشعواء
فاذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

اي اجاب دعوته صلى الله عليه وسلم الرفيع والوضيع وعن الاول كني بالخضراء التي هي السماء وقد جاء في حديث سنده واه السماء الدنيا زمردة خضراء وذكر انهم أشد بياضا من اللبن وخضرتها من صخرة خضراء تحت الارض وكني عن الثاني بالغبراء التي هي الارض وانما كانت غبراء لان جميع طبقاتها من طين مع حصول نصره صلى الله عليه وسلم على اعاديه وفتح بلادهم بعد ذلك الضعف الذي كان به صلى الله عليه وسلم وباصحابه وقلتهم وكثرة عدوهم مع التصميم على أذيتهم وتتابعت العلامات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم وتوالت له عليهم الاغارة المحيطة بهم من سائر الجوانب * وجاءته صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه دعا عثمان بن طلحة رضي الله عنه فانه كان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مع خالد بن الوليد وعمرو بن العاصي قبل الفتح واسلموا كما تقدم

في وقت نزوله ومما سيقع بعد ذلك مما لا يعلم علمه الا الله فجاء كما اخبر على الوجه الذي به اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين اخبر صلى الله عليه وسلم اصحابه بدخوله معهم المسجد الحرام وهو بالمدينة قبل عام الحديبية فظنوا انه ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك فانزل الله سورة الفتح عند منصرفهم من الحديبية وفيها هذه الآية فاخبرهم بانه سيقع بعد ذلك فكان كما اخبر فلما وقع ذلك قال لهم صلى الله عليه وسلم ذلك الذي قلت لكم وكقوله تعالى غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين فاخبر الله تعالى ان الروم تغلب فارس في بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع فكان كما اخبر الله وذلك ان الروم كانوا اهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان المشركون كلما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس للروم ويفرحون بها تفاؤلا بغلبتهم المسلمين فبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا باذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فانزل الله الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين واخبر ابو بكر رضي الله عنه المشركين بذلك وقال ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد اخبر الله نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له امية بن خلف وقيل ابي ابن خلف كذبت فقال له ابو بكر بل انت كذبت يا عدو الله فقال اجعل بيني وبينك اجلا على عشر قلائص ياخذها الصادق منا فراهنه على ذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار وجعلوا الموعد بينهما ثلاث سنين واخبر ابو بكر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وادن في الرهان فان الله قال في بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع ففعل فجعل القلائص مائة والاجل الى تسع سنين فوقع ذلك اي غلبة الروم لفارس عام الحديبية وهو لم يخرج

واستمر في المدينة الى ان جاء معه صلى الله عليه وسلم الى فتح مكة وبه يرد ما روي انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه الى عثمان بن طلحة لاخذ المفتاح فابى ان يدفعه له وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه منه ولوى علي كرم الله وجهه يده واخذ المفتاح منه قهرا وفتح الباب وانه لما نزل قوله تعالى ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها امره صلى الله عليه وسلم ان يدفع له المفتاح متلطفا به فجاء علي كرم الله وجهه بالمفتاح متلطفا به فقال له اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال علي كرم الله وجهه لان الله امرنا برده عليك فاسلم ثم لما دعا صلى الله عليه وسلم عثمان وجاء اليه اخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها ثم وقف صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم ذكر ﷺ خطبة بين فيها جملة من الاحكام منها ان لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث اهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعي واليمين على من انكر ولا تسافر امرأة مسيرة ثلاث ليال الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد العصر ولا بعد الصبح ولا يصام يوم الاضحى ولا يوم الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الآية ثم قال يا معشر قريش ما ترون وفي لفظ ماذا تقولون ماذا تظنون اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت أوفى لفظ لما خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة يوم الفتح وضع يده على عضادتي الباب ثم قال ماذا تقولون ماذا تظنون اني فاعل فيكم قالوا خيرا فقال سهيل بن عمرو نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال اقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وفي لفظ فاني اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقاء فلم يسترقوا ولم يؤسروا والطليق في الاصل الاسير اذا اطلق فخرجوا فكانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام قال وذكر انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه ارسل بلالا رضي الله عنه الى عثمان بن طلحة ياتي بمفتاح الكعبة فجاء الى عثمان فاخبره فقال انه عند أمي فرجع بلال الى رسول الله ﷺ فاخبره أن المفتاح عند أمه فبعث اليها رسولا فقالت لا واللات والعزى لا أدفعه ابدا فقال عثمان يا رسول الله ارسلني أخلصه لك منها فارسله فجاء اليها فطلبه منها فقالت لا واللات والعزى لا أوصله اليك ابدا فقال يا امه ادفعيه الي فانه قد جاء امر غير ما كنا عليه ان لم تفعلي قتلت انا واخي ويأخذه منك غيري فادخلته حجرتها وقالت أي رجل يدخل يده ههنا أي وقالت له انشدك الله ان يكون ذهاب مأثرة قومك على يديك كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم ينتظر حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق فبينما هو يكلمها اذ سمعت صوت ابي بكر وعمر رضي الله عنهما في الدار وعمر رضي الله عنه رافعا صوته وهو يقول يا عثمان اخرج فقالت يا بني خذ المفتاح فان تاخذه أحب الي من ان تاخذه تيم وعدي أي ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاخذه عثمان فخرج يمشي حتى اذا

عن مدة التسع سنين فاخـذ القلائص ابو بكر رضي الله عنه من ورثة امية او ابي لان امية قتل يوم بدر وابي قتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد فتمام الاجل انما وقع بعد موتهما بالقلائص انما أخـذت من ورثتهما صلى الله عليـه وسـلم لابي بكر رضي الله عنه تصدق بها وانما امره بالتصدق بها وان كان هذا قبل تحريم القمار شكرا لله على تصديق مقالته وتكذيب مقالاتهم * ومن الاخبار بالغيب الواقع في القرآن قوله تعالى ليظهره على الدين كله فهذا وعد من الله بان دين رسوله صلى الله عليه وسلم سيظهر يغلب سائر الاديان وتقهر أمته صلى الله عليـه وسلم جميع الامم وقد وقع ذلك كما اخبر ومن ذلك قوله تعالى وعـد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيا اي ليجعلنهم خلفاء في ارضـه مالكين لها منصورين على اعدائهم والآية نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومن كان معه من الصحابة رضي الله عنهم وكانت الغلبة لهم على اهل الردة في خلافة الصديق رضي الله عنـه وعلى الروم وفارس في خلافة عمر ومن بعده وهكذا حتى مكن الله لهم في البلاد وابدلهم بعد خوفهم أمنا كما اخبر سبحانه وتعالى ومكن دينهم في مشارق الارض ومغاربها وملكهم اياها وصاروا خلفاء فيها كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وكقوله تعـالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت النـاس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره فالآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بكى عمه العباس رضي الله عنه فقال ما يبكيك يا عم قال نعيت اليـك نفسك فقال انه كما

كان قريبا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عثر عثمان فسقط منه المفتاح فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المفتاح فحنى عليه وتناوله أي وفي رواية فاستقبلته ببشر واستقبلني ببشر فاخذه مني وفتح الكعبة * وفي رواية انه قال له هات المفتاح بامانة الله وفي لفظ لما ابت أمه ان تعطيه المفتاح قال والله لتعطينه او لاخرجن هذا السيف من منكبي فلما رأت ذلك أعطته اياه فجاء به ففتح عثمان له الباب ويحتاج الى الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها وقد أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى الى بعض هذه القصة بقوله

صرعت قومه حبائل بغي * مدها المكر منهم والدهاء
فاتتهم خيل الى الحرب تختا * ل وللخيل في الوغى خيلاء
قصدت منهم القنا فقوا في الـطـعن منها ماشانها الايطاء
وأثارت بارض مكة نقعا * ظن ان الغدو منها عشاء
أحجمت عنده الحجون وأكـ * ـدى دون عطائه القليل كداء
ودهت اوجها بها وبيوتا * مل منها الاكواء والاكفاء
فـدعوا أحلم البرية والعفـو جواب الحليم والاغضاء
ناشدوه القربى التي من قريش * قطعتها التراث والشحناء
فعفـا عفـو قادر لم ينغصـه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان للقطع والوصل لله تساوى التقريب والاقصاء
وسـواء عليـه فيما اتاه * من سواه الملام والاطراء
ولو ان انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الامور فارضى الله منـه تباين ووفاء
فعله كل جميل وهل ينضـح الا بما حواه الاناء

أي القت الذين لم يؤمنوا به بين يديه حبائل بغيهم التي مدها المكر والدهاء حاله كون ذلك منهم بسبب مكرهم اتتهم من قبله خيل تتبختر بهـا راكبوها الى الحرب والخيل عليها الشجعان كبر وترفع في الحرب قصدت في ابدانهم الرماح فبسبب قصدها اياهم كانت الطعنات المشبهة بالقوافي في تتابعها حالة كون ذلك الطعن من تلك الرماح ما عابهـا الايطاء اي لم يعدم وجوده فيها والايطـاء في القافية تكريرها متحدة اللفظ والمعنى وهو معيب على الشاعر لانه يدل على قصوره والطعنات المتوالية في محل واحد تدل على قصر ساعد الشجاع ورفعت تلك الخيل غبارا اظلم الجو حتى ظن ان وقت الغدو من تلك الغبرة وقت العشاء وذلك بارض مكة عند فتحها امسكت عند ذلك الغبار لكثرته الحجون وهو كداء بالفتح والمد اعلى مكة الكثرة ما اعطاه ﷺ للناس واعطي النبي صلى الله عليه وسلم القليل من الناس كداء بالضم والمـد وهو اسفل مكة وهـده لغة فيه قليلة وعند ذلك قل غباره واهلكت تلك

تقول ففتحت مكة ودخل الناس في دين الله افواجا اى جماعات كثيرة بعد جماعات كثيرة لما اعز الله الدين ونشر اعلامه في الخافقين فما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب موضع لم يدخله الاسلام بل كلهم اسلموا ثم انتقل صلى الله عليه وسلم الى الدار الاخرة فكان الامر كما أخبر الله وكقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فاخبر سبحانه وتعالى بانه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير في سائر الازمان بدليل التعبير بالجملة الاسمية المؤكدة بالمؤكدات فكان في الاستقبال كما اخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل حفظها الى الامم المنزلة عليهم كما قال تعالى بما استحفظوا من كتاب الله اى طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها فالمراد بالذكر في قوله انا نحن نزلنا الذكر القرآن وقد اجتهد كثير من الملحدة في ادخال شيء من التبديل في القرآن بعد ان اجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم في هذه المدة الطويلة فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا على تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه فكان الحفظ حاصلا بالله كما اخبر الله تعالى فالحمد لله على حفظه لكلامه وبقاء رونقه ونظامه وخيبة سعي من سعى في اطفائه وافتضاح جهلة اعدائه * ومما اخبر الله به من المغيبات في القرآن العزيز قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر نزلت هذه الآية بمكة والمسلمون مستضعفون فلم يدروا ما هذا الجمع الذي سيهزم ولا المراد من الآية فلما كان يوم بدر وكان بعد سبع سنين من نزولها لبس صلى الله عليه وسلم درعه وخرج اليهم ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر رضى الله عنه فعلمت المراد منها حينئذ اي سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين ادبارهم اي يجعلون المسلمين متولين على ادبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم بابلغ عبارة ففيها اعجاز لفظا ومعنى وكقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم

الدخول اوجها من الناس بمكة ممن اباح دمه ومن قاتل واهلكت بيوتا كان أهل مكة يرجعون اليها مل من تلك البيوت خلوها عن انس بها والرجوع اليها وعند ذلك طلبوا منه العفو عما مضى منهم وجواب الحليم لمن ساله العفو عنه العفو وارخاء الجفون من الحياء وحلفوه بالقربى التي وصلت اليه من بطون قريش وهم ولد النضر بن كنانة التي وضعتها الفتنة والتباغض والتحاسد فبسبب ذلك عفا صلى الله عليه وسلم عفو قادر لم يكدر ذلك العفو عنهم اغراء سفهائهم بحاله كون ذلك الاغراء منهم فيما مضى واذا كان القطع والوصل لله تساوى عند فاعل ذلك التقريب للاقارب والبعداء والابعاد للاقارب والبعداء والذى تقريبه وابعاده لله لا لغيره يستوي عنده سبه والمبالغة في مدحه اذا اتاه ذلك من غيره ومن ثم لو كان انتقامه لهوي النفس الامارة بالسوء لاستمرت قطيعة الرحم ودام ابعاده لها كيف وقد قام لله في أموره كلها فبسبب ذلك ارضى الله تباين منه ﷺ لاعدائه ووفاء لاوليائه ففعله صلى الله عليه وسلم كله جميل ولا بدع في ذلك اذ ما يسيل مما في الاناء على ظاهره الا ما كان في ذلك الاناء فمن امتلا قلبه خيرا كانت افعاله كلها خيرا ومن امتلا قلبه شرا كانت افعاله كلها شرا * ثم جلس صلى الله عليه وسلم في المسجد ومفتاح الكعبة في يده في كمه فقام اليه على كرم الله وجهه فقال يارسول الله اجمع لنا وفي لفظ اجمع لي الحجابة مع السقاية صلى الله عليك وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما اعطيكم ما تبدلون فيه اموالكم للناس أى وهو السقاية لا ما تأخذون فيه من الناس اموالهم وهى الحجابة لشرفكم وعلو مقامكم * وفي رواية ان العباس رضى الله عنه تطاول يومئذ لاخذ المفتاح في رجال من بني هاشم اى منهم على كرم الله وجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عثمان بن طلحة فدعى له فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء وقيل نزلت هذه الآية ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها في شان عثمان بن طلحة رضى الله عنه ودفع المفتاح له أى لما اخذه على كرم الله وجهه وقال يارسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية فقال صلى الله عليه وسلم لعلى اكرهت وآذيت وامره صلى الله عليه وسلم ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه وقد انزل الله في شانك اي انزل الله عليه ذلك في جوف الكعبة وقرأ عليه الآية ففعل على كرم الله وجهه ذلك وسياق هذه الرواية يدل على أن عليا كرم الله وجهه اخذ المفتاح على ان لا يرده لعثمان فلما نزلت الآية امر صلى الله عليه وسلم ان يرد المفتاح لعثمان والسقاية كما تقدم كانت احواضا من أدم يوضع فيها الماء العذب لسقاية الحاج ويطرح فيها التمر والزبيب في بعض الاوقات وفي كلام الازرقي كان لزمزم حوضان حوض بينها وبين الركن يشرب منه وحوض من ورائه للوضوء أى ولعل هذا كان بعد الفتح والسقاية قام بها العباس رضي الله عنه بعد موت ابيه عبد المطلب وقام بها بعده ولده عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وقد تكلم فيها محمد بن الحنيفة مع ابن عباس فقال له ابن عباس مالك ولها نحن أولى بها في الجاهلية والاسلام قام بها العباس بعد موت ابيه عبد المطلب واعطاها رسول الله ﷺ للعباس يوم الفتح واستمر المفتاح مع عثمان رضي الله عنه الى ان شرف على الموت ولم يعقب دفعه الى اخيه

ويشف صدور قوم مؤمنين ففيها اخبار بالغيب وذلك ان ناسا من اليمن وبني خزاعة اسلموا وبقوا بمكة بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكثير من اصحابه فلقوا من المشركين اذى شديدا فارسلوا وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبروا وأبشروا فالفرج قريب واذن الله للمسلمين في الجهاد وأنزل آيات في الامر بالجهاد ومنها هذه الآية قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الى آخرها فكان بعدها ما أوقع الله بهم من القتل ونصرة المؤمنين التي شفيت بها صدورهم حتى خربوا ديار المشركين بالسبي والجلاء وسلب النعم وكقوله تعالى لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون اخبر سبحانه وتعالى عن اليهود بانهم لا يقدرون عليكم الا باذية يسيرة كالتهديد بالالسنة وانهم ان قاتلوكم يخذلوا ويكون لكم النصر عليهم فكان الامر كذلك * ومما في القرآن من الاخبار بالمغيبات ما فيه من كشف اسرار المنافقين مما كانوا يخفونه في قلوبهم مما لا يعلم علمه الا الله وكشف اسرار اليهود واظهار كذبهم وما قالوه فيما بينهم وهم يظنون انه لا يشعر به غيرهم وتقريع الله لهم وتوبيخهم وكانوا يحلفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقالاتهم انها صادقة فينزل الله تكذيبهم كقوله تعالى والله يعلم انهم لكاذبون ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول اي يقول اليهود فيما بينهم وفي تناجيهم في خلوتهم هلا يعذبنا الله في قولنا في حق محمد لو كان نبيا لدعا علينا حتى نعذب ففضح الله مقالتهم فقال واظهر مما جاءتهم وزاد ذلك بقوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك يعني انهم يسرون في ضمائرهم غير ما يظهرونه لك اذا اتوك وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم والذي اخفوه هو قول بعضهم لبعض في الخلوة يوم احد لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا فاعلم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فاخبرهم بما قالوه فهو من جملة الاخبار بالمغيبات وكقوله

شيبة ومن ثم عرفت ذريته بالشيبيين أي وفي رواية دفع صلى الله عليه وسلم مفتاح الكعبة الى عثمان والى شيبة ابن عمه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم أي وكون شيبة ابن عم عثمان هو الموافق لقول الحافظ ابن حجر الشيبيون نسبة الى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة فابو طلحة له ولدان عثمان وطلحة أتى عثمان بشيبة وأتى طلحة بعثمان وفي كلام ابن الجوزي ما يوافقه وهو ان عثمان لما هاجر الى المدينة واسلم سنة ثمان لم يزل مقيما بالمدينة حتى خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة أي وقد تقدم ثم رجع الى المدينة ولم يزل مقيما بها حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الى مكة واستمر مقيما بها حتى مات بها في أول خلافة معاوية رضي الله عنه فلم يزل عثمان رضي الله عنه يلي فتح البيت الى أن أشرف على الموت فدفع المفتاح الى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عمه فبقيت الحجابة في ولد شيبة وكان عثمان بن طلحة هذا خياطا وهي صناعة نبي الله ادريس عليه الصلاة والسلام * وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما دعا عثمان بن طلحة وقال له أرني المفتاح فاتاه به فلما بسط يده اليه قام العباس فقال يا رسول الله اجعله لي مع السقاية فكف عثمان يده فقال صلى الله عليه وسلم أرني المفتاح فبسط يده يعطيه فقال العباس مثل كلمته الاولى فكف عثمان يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاتني المفتاح فقال هاك بامانة الله ولعل هذا كان قبل دخوله صلى الله عليه وسلم الكعبة فيكون طلب العباس رضي الله عنه أن يكون المفتاح له تكرر قبل دخوله الكعبة وبعده * وفي رواية أنه قال له ائتني بالمفتاح قال فاتيته به فاخذه ثم دفعه الي وقال خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم وفي لفظ غيره ان الله رضي لكم بها في الجاهلية والاسلام اني لم أدفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم لا ينزعها منكم الا ظالم * وفي رواية لا يظلمكموها الا كافر ومانع أن يكون ذلك بعد ان دفعه على كرم الله وجهه له بامره صلى الله عليه وسلم وكانه صلى الله عليه وسلم احب ان يؤدي الامانة بيده الشريفة من غير واسطة وقال له يا عثمان ان الله استامنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف وقال عثمان رضي الله عنه فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال الم يكن الذي قلت لك قال رضي الله عنه فذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لي بمكة قبل الهجرة وقد اراد صلى الله عليه وسلم ان يدخل الكعبة مع الناس وكنا نفتحها في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فلما اقبل ليدخلها اغلظت عليه ونلت منه وحلم علي ثم قال صلى الله عليه وسلم يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي اضعه حيث شئت فقلت قد هلكت قريش يومئذ وذلت فقال صلى الله عليه وسلم بل عمرت وعزت يومئذ فوقعت كلمته صلى الله عليه وسلم مني موقعا وظننت ان الامر سيصير الى ما قال صلى الله عليه وسلم قال فلما قال لي يوم الفتح ذلك قلت اشهد انك رسول الله * وفي رواية انه ﷺ دخل يومئذ الكعبة ومعه بلال فامره أن يؤذن أي للظهر على ظهر الكعبة وابو سفيان وعتاب بن اسيد وفي لفظ خالد بن اسيد والحرث بن هشام جلوس بفناء الكعبة

فقال عتاب بن أسيد اى أو خالد بن اسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون يسمع هذا العبد فيسمع منه ما يغيظه فقال الحرث اما والله أعلم انه حق لا تبعته اى * وفى رواية انه قال ما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا ولا مانع من وجود الامرين منه أي وتقدم فى عمرة القضاء وقوع مثل ذلك من جماعة لما اذن بلال رضى الله عنه على ظهر الكعبة أيضا اى وقال غير هؤلاء من كبار قريش لقد اكرم الله فلانا يعنى أباه اذ قبضه قبل ان يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة وفى لفظ والله الحدث العظيم ان يصيح عبد بني جمح ينهق على بيته فقال أبو سفيان لا أقول شيا لو تكلمت لاخبرت عني هذه الحصباء فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم لقد علمت الذي قلتم ثم ذكر ذلك لهم فقال أما انت يا فلان فقد قلت كذا وأما انت يا فلان فقد قلت كذا واما انت يا فلان فقد قلت كذا فقال ابو سفيان أما انا يا رسول الله فما قلت شيا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا نشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا احد معنا فنقول اخبرك وجاء ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج على أبي سفيان وهو في المسجد فلما نظر اليه ابو سفيان قال فى نفسه ليت شعري باي شيء غلبني فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه حتي ضرب يده بين كتفيه فقال بالله غلبتك يا ابا سفيان فقال ابو سفيان اشهد انك رسول الله وصار بعض قريش يستهزؤن ويحكون صوت بلال غيظا وكان من جملتهم ابو محذورة رضي الله عنه وكان من احسنهم صوتا فلما رفع صوته بالاذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده الشريفة قال فامتلأ قلبي والله ايمانا ويقينا فعلمت انه رسول الله فالقى عليه صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه وامره ان يؤذن لاهل مكة وكان سنه ست عشرة سنة وعقبه بعده يتوارثون الاذان بمكة وتقدم ان اذان ابي محذورة وتعليمه صلى الله عليه وسلم الاذان كان من مرجعه من حنين وتقدم طلب تامل الجمع بينهما وفى تاريخ الازرقى ان جويرية بنت ابي جهل قالت عند اذان بلال على ظهر الكعبة والله لا نحب من قتل الاحبة ولقد جاء لابي الذى جاء لمحمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه وعن الحرث بن هشام قال لما اجارتني ام هانئ واجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم جوارها فصار لا احد يتعرض لي وكنت اخشى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فمر علي وانا جالس فلم يتعرض لي وكنت استحي ان يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اذكر رؤيته اياى فى كل موطن مع المشركين فلقيته وهو داخل المسجد فلقيني بالبشر توقف حتي جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق فقال الحمد لله الذى هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام وجاءه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومي اى وقيل عبد الله بن السائب بن ابى السائب وقيل السائب بن عويمر وقيل قيس بن السائب بن عويمر قال فى الاستيعاب وهذا اصح ما قيل فى ذلك ان شاء الله تعالى وكان شريكا له صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية فقال فاخذ عثمان وغيره يثنون علي فقال صلى الله عليه وسلم لهم لا تعلموني به كان صاحبي وفى لفظ لما اقبلت عليه قال مرحبا باخي وشريكي كان لا يداري ولا يماري قد كنت تعمل اعمالا في الجاهلية لا تتقبل منك

تعالى سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه وكقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين أي بالتكذيب والسحرية فاخبر الله تعالى بتحريفهم كتابهم وبمقالتهم وعدم طاعتهم وبما يقصدونه بقولهم راعنا من الاستهزاء به صلى الله عليه وسلم ووصفه بالحماقة والرعونة ويظهرونه فى صورة التماس نظره ورعايته مكرا منهم وليا بالسنتهم وهو من الاخبار بالغيب فضيحة لهم ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى واذ يعدكم الله احدي الطائفتين أنها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم فهذا اخبار عن المؤمنين بامر وقع فى نفوسهم وودوه واحبوه وهو مغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم فاعلمه به جبريل عليه السلام حين نزل عليه بهذه الآية وذلك ان الله وعد نبيه صلى الله عليه وسلم باحد الامرين الظفر بالعير القافلة من الشام باموال قريش او قتل النفير وهم قريش الذين خرجوا من مكة لتخليص تلك العير وكانت الصحابة رضي الله عنهم يودون في انفسهم اخذ العير لما فيها من المال ولقلة ما عندهم من السلاح والرجال فقدر الله انهم يلقون العدو ويقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم وايد الله المؤمنين واعز الدين ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم خمسة او سبعة من الكفار كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم اشد الاذى ويسخرون به فاخبره الله تعالى بهلاكهم قبل وقوعه فكان كما قال فلما نزلت هذه الآية عليه صلى الله عليه وسلم بشر اصحابه بهلاكهم وقد تقدم الكلام عليهم فى مباحث البعثة * ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى والله يعصمك من الناس اى يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوأ وكان الصحابة رضى الله عنهم يحرسونه صلى الله عليه وسلم فى اسفاره فلما نزلت الآية منعهم من الحراسة وما أصابه من

أحد لا ينافي لان الآية نزلت بعدها او المراد من هذه الآية حفظه من القتل فكان محفوظا مع كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة منها ما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاه فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من اغصانها وتفرق الناس في الوادي يستظلوا بالشجر فاتاه رجل وهو صلى الله عليه وسلم نائم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على رأسه والسيف مصلت في يده فقال له هل يمنعك مني قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فسقط السيف من يده ووقعت له روعة فاخذ السيف صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فعفا عنه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم للصحابة هاهو جالس وهو ملك قومه فانصرف حين عفا عنه وقال الله لا أكون في قوم هم حرب لك وامثال هذا كثير وتقدم في الغزوات شيء من ذلك * ومن وجوه اعجازه القرآنية ما أخبر الله به من اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ الشاذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فاورد الله ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم على اتم حال يليق به وينبغي له واتى به على غاية مرتبة من كماله وروعته فاعترف العالمون بذلك بصحبته وصدقه مع انه لم يسبق له تعليم ومع انه امي لا يقرأ ولا يكتب ولم يشتغل بمدارسة ومداومة طلب ومجالسة تحتك فيها الركب بالركب ولم يغب عن قومه غيبة يحتمل انه تعلم فيها ما أخبرهم به ولا جهل حاله أحد منهم من ولادته الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من أهل الكتاب وقد كان أهل الكتاب من أحبار اليهود والنصارى كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أخبار الامم السالفة فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء عليهم السلام

أي لتوقف صحتها على الاسلام وهي الاعمال المتوقفة على النية التي شرطها الاسلام وهي اليوم تتقبل منك أي لوجود الاسلام * وراسل سهيل بن عمرو رضي الله تعالى عنه ولده عبد الله ليأخذ له امانا منه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أبي تؤمنه فقال صلى الله عليه وسلم نعم هو آمن بالله فليظهر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من لقي سهيل بن عمرو فلا يحد اليه النظر فلعمري ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه عبد الله اليه فاخبره بمقالة رسول الله ﷺ فقال سهيل كان والله برا صغيرا برا كبيرا فكان سهيل رضي الله تعالى عنه يقبل ويدبر وخرج الى حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على شركه حتى أسلم بالجعرانة * وذكر ان فضالة بن عمير بن الملوح حدث نفسه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح قال فلما دنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا فضالة قال فضالة نعم يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت اذكر الله فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال أستغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه فكان فضالة رضي الله تعالى عنه يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيا أحب اليه منه قال ولما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الشريف الى الكعبة وقيل كان على راحلته فحمد الله واثنى عليه وقال ايها الناس ان الله تعالى قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين فهي حرام الى يوم القيامة ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجرة ولم تحل لاحد كان قبلي ولم تحل لاحد يكون بعدي ولم تحل لي الا هذه الساعة أي من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على أهلها الا وقد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم ان رسول الله ﷺ قد قاتل فيها فقولوا له ان الله قد أحلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحلها لكم وقد جاء في صحيح مسلم لا يحل ان يحمل السلاح بمكة يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل بعد مقامي هذا فاهله بخير النظرين ان شاؤا فدم قاتله وان شاؤا فعقله ثم ودي رسول الله ﷺ ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة وهو ابن الاقرع الهذلي من بني بكر فانه دخل مكة وهو على شركه فعرفته خزاعة فاحاطوا به فطعنه منهم خراش بمشقص في بطنه حتى قتله فلامه صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراشا أي والمشقص ما طال من النصال وعرض قال ابن هشام وبلغني انه أول قتيل وداه النبي صلى الله عليه وسلم وفيه انه تقدم في خيبر انه ودى قتيلا وقال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة قال العلماء أي على الكفر أي لا يقاتلوا على ان يسلموا ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره * ولما أسلمت هند رضي الله تعالى عنها عمدت الى صنم كان في بيتها وجعلت تضربه بالقدوم وتقول كنا منك في غرور ثم بعث صلى الله عليه وسلم السرايا الى كسر

الاصنام

مع اممهم فيذكرها لهم صلى الله عليه وسلم مفصلة بابلغ عبارة والطف اشارة كخبر موسى والخضر وخبر يوسف واخوته وكقصة اصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء والقصص المذكورة في القرآن عمن مضى من امم السالفة وكبيان ابتداء الخلق وما جرى في ذلك وخلقه للسموات والارض وآدم وحواء وما في التوراة والانجيل من الاحكام والشرائع والتوحيد وما في الزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها من اهل الكتاب ولم يقدروا على تكذيب شيء منها بل اذعنوا لذلك واعترفوا به فمنهم من وفقه الله وهداه فآمن لما سبق له من العناية الازلية ومنهم من خذله الله فكفر عنادا وحسدا ومع هذا العناد والحسد الذي اظهروه لم يذكر عن واحد من النصارى واليهود تكذيب شيء من ذلك مع شدة عداوتهم له صلى الله عليه وسلم وحرصهم على تكذيب في شيء من كلامه ومع طول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام وتعنيتهم اياه في طلب اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات سيرهم فكان يعلمهم بمكتوم شرائعهم وما تضمنته كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى عليه السلام وكبيان حكم الرجم لما سالوه عن حكم الرجم للزاني المحصن وكانوا قد انكروه في شريعتهم فبينه صلى الله عليه وسلم لهم واخبرهم انه مذكور في التوراة وكبيان ما حرم اسرائيل على نفسه واسرائيل هو يعقوب عليه السلام وكان اليهود سالوا النبي صلى الله عليه وسلم امتحانا له عما حرم اسرائيل على نفسه فقال لهم لحوم الابل والبانها فصدقوه وذلك ان يعقوب عليه السلام نذر انه ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات ان يذبح آخر اولاده فلما سار اليه وقرب منه بعث الله له ملكا وكز فخذه فمرض بعرق النسا حتى كان من وجهه ما كان وذلك لطف من

الاصنام التي حول مكة اي لانهم كانوا اتخذوا امام الكعبة اصناما جعلوا لها بيوتا يعظمونها كتعظيم الكعبة وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان في كل حي صنم من ذلك كما تقدم العزى وسواع ومناة وسياتي الكلام على ذلك في السرايا ان شاء الله تعالى اي وفي هذا العام الذي هو عام الفتح كانت غزوة أوطاس واوطاس هي هوازن وحلل صلى الله عليه وسلم المتعة ثم بعد ثلاثة ايام حرمها ففي صحيح مسلم عن بعض الصحابة لما اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المتعة خرجت انا ورجل الى امرأة من بني عامر كانها بكرة عيطاء وفي لفظ مثل البكرة العطنطنة فعرضنا عليها انفسنا فقلنا لها هل لك ان يتمتع منك احدنا فقالت ما تدفعان قلنا بردينا وفي لفظ رداءينا فجعلت تنظر فتراني اجمل من صاحبي وترى برد صاحبي احسن من بردي فاذا نظرت الى اعجبتها واذا نظرت الى برد صاحبي أعجبها فقالت انت وبردك تكفيني فكنت معها ثلاثا والحاصل ان نكاح المتعة كان مباحا ثم نسخ يوم خيبر ثم ابيح يوم الفتح ثم نسخ في ايام الفتح واستمر تحريمه الى يوم القيامة وكان فيه خلاف في الصدر الاول ثم ارتفع واجمعوا على تحريمه وعدم جوازه قال بعض الصحابة رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما بين الركن والباب وهو يقول ايها الناس اني كنت أذنت لكم في الاستمتاع الا وان الله حرمها الى يوم القيامة فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تاخذوا مما آتيتموهن شيئا اي لكن في مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه انه قال استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر * وفي رواية عنه حتى نهى عنه عمر رضي الله تعالى عنه وقد تقدم في غزاة خيبر عن امامنا الشافعي رضي تعالى عنه لا اعلم شيئا حرم ثم ابيح ثم حرم الا المتعة وهو يدل على ان اباحته عام الفتح كانت بعد تحريمها بخيبر ثم حرمت به وهذا يعارض ما تقدم ان الصحيح انها حرمت في حجة الوداع الا ان يقال يجوز ان يكون تحريمها في حجة الوداع تاكيد التحريم عام الفتح فلا يلزم ان تكون ابيحت بعد تحريمها اكثر من مرة كما يدل عليه كلام امامنا الشافعي لكن يخالفه ما في مسلم عن بعض الصحابة رخص لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام اوطاس المتعة ثلاثا ثم نهى عنها وقد يقال مراد هذا القائل بعام اوطاس عام الفتح لان غزوة أوطاس كانت في عام الفتح كما تقدم وما تقدم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من جوازها رجع عنه فقد قال بعضهم والله ما فارق ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الدنيا حتى رجع الى قول الصحابة في تحريم المتعة ونقل عنه رضي الله تعالى عنه انه قام خطيبا يوم عرفة وقال ايها الناس ان المتعة حرام كالميتة والدم ولحم الخنزير والحاصل ان المتعة من الامور الثلاثة التي نسخت مرتين الثاني لحوم الحمر الاهلية الثالث القبلة كذا في حياة الحيوان قال واستقرض صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن امية رضي الله تعالى عنه خمسين ألف درهم فرقها ومن عبد الله بن ابي ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى اربعين الف درهم فرقها صلى الله عليه وسلم في اصحابه من أهل الضعف ثم وفاها مما غنمه من هوازن وقال انما جزاء السلف الحمد والاداء اهـ أي واقام صلى الله عليه وسلم بمكة أي بعد فتحها تسعة عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتمده البخاري يقصر

الله به أثلا يلزمه ذبح ولده لانه اشترط في النذر الدخول الى بيت المقدس سليما من الامراض والآفات فلم يحصل الشرط فحرم على نفسه
ما امر لانه يضر عرق النسا وكان ذلك باجتهاد منه والانبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح وسالوه صلى الله عليه وسلم أيضا عما حرم
على بني اسرائيل من الطيبات والانعام التي كانت أحلت لهم فحرمها الله عليهم ببغيهم اي عقوبة لهم بسبب ظلمهم وانزل الله في ذلك
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا

او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فحرم الله عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط وقيل كل ذي مخلب من الطيور وكل ذي حافر من الدواب وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون ومحله في سورة الانعام وقوله ببغيهم اي بقتل انبيائهم واخذهم اموال الناس بالباطل وكانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم لم يحرم الله علينا شيئا فان حرم علينا شيئا فبينه فانزل الله هذه الآية الصريحة في تكذيبهم فافتضحوا وجاء ان اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم تزعم انك على ملة ابراهيم وانت تاكل لحم الابل والبانها وذلك محرم في شرعه فانزل الله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين
وبكتوا لما لم يجدوا فيها ما ادعوه ومن الاخبار بما في الكتب السابقة قوله تعالى في وصف اصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك
مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل الآية والاشارة لقوله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود ولم ينكر عن احد منهم انه كذلك
في شيء من ذلك بل كثير منهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته وبانهم انما جحدوا نبوته حسدا وعنادا كاهل نجران وعبد الله بن

الصلاة في مدة اقامته وبهذا الشافعي قال أئمتنا ان من اقام بمحل الحاجة يتوقعها كل وقت قصر ثمانية عشر يوما غير يومي الدخول والخروج ولعل سبب اقامته المدة المذكورة انه كان يترجى حصول المال الذي فرقه في اهل الضعف من اصحابه ولما لم يتم له ذلك خرج من مكة الى حنين لحرب هوازن وجاء اليه صلى الله عليه وسلم سعد ابن ابي وقاص وقد اخذ بيد ابن وليدة زمعة ومعه عبد بن زمعة فقال سعد يا رسول الله هذا ابن اخي عتبة بن ابي وقاص عهد الي انه ابنه اي قال اذا قدمت مكة انظر الى ابن وليدة زمعة فانه مني فاقبضه اليك فقال عبد بن زمعة يا رسول الله هذا أخي ابن وليدة ابي زمعة ولدته على فراشه اي مع كونها امة فنظر صلى الله عليه وسلم الى ذلك الولد فاذا هو اشبه الناس بعتبة بن ابي وقاص فقال لعبد بن زمعة هو أخوك يا عبد بن زمعة من اجل انه ولد على فراش أبيك زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر وقال لزوجته سودة بنت زمعة احتجبي منه يا سودة لما رأى عليه من شبه عتبة اي فخشي ان يكون ابن خاله فامرها بالاحتجاب ندبا واحتياطا فلم يرها حتي لقي الله وفي بعض الروايات احتجبي منه يا سودة فليس لك باخ وسرقت امرأة فاراد صلى الله عليه وسلم قطعها ففزع قومها الى اسامة بن زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم يستشفعون به فلما كلمه اسامة فيها تلون وجهه صلى الله عليه وسلم وقال اتكلمني في حد من حدود الله تعالى فقال اسامة استغفر لي يا رسول الله ثم قام صلى الله عليه وسلم خطيبا فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فانما اهلك الناس قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ثم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها وفي كلام بعضهم كانت العرب في الجاهلية يقطعون يد السارق اليمنى * وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن اسيد رضي الله تعالى عنه وعمره احدى عشرون سنة امر مكة وامره صلى الله عليه وسلم ان يصلي بالناس وهو اول امير صلى بمكة بعد الفتح جماعة وترك صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه بمكة معه معلما للناس السنن والفقه وفي الكشاف وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله اي وقال ذلك ثلاثا فكان رضي الله تعالى عنه شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال أهل مكة يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن اسيد أعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن اسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتي فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام فنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم هذا وفي تاريخ الازرقي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيت اسيدا في الجنة واني اي كيف يدخل أسيد الجنة فعرض له عتاب بن اسيد فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي رأيت ادعوه لي فدعي له فاستعمله يومئذ على مكة ثم قال يا عتاب اتدري على من استعملتك استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيرا يقولها ثلاثا فان قيل كيف يقول صلى الله عليه وسلم عن اسيد انه رآه في

الجنة

الجنة ثم يقول عن ولد أسيد انه الذي رآه في الجنة فلما اسلم عتاب كان شديد الشبه بابيه اسيد فظن صلى الله عليه وسلم عتابا اباه فلما رآه عرف انه عتاب لا اسيد وفي كلام سبط ابن الجوزي عتاب بن أسيد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل مكة لما خرج الى حنين وعمره ثمان عشرة سنة وفي كلام غيره ما يفيد انه صلى الله عليه وسلم انما استخلف عتاب بن أسيد وترك معه معاذ بن جبل بعد عوده من الطائف وعمرته من الجعرانة الا أن يقال لا مخالفة ومراده باستخلافه ابقاؤه على ذلك وينبغي ان يكون ما تقدم عن الكشاف من قول اهل مكة له صلى الله عليه وسلم لقد استعملت على اهل الله عتاب بن أسيد الى آخره بعد اقامته على استخلافه لما لا يخفى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام ان أسيدا والد عتاب واليا على مكة مسلما فمات على الكفر فكانت الرؤيا لولده كما تقدم مثل ذلك في ابي جهل بولده عكرمة رضي الله تعالى عنه ولما ولاه صلى الله عليه وسلم على مكة جعل له في كل يوم درهما فكان رضي الله تعالى عنه يقول لا اشبع الله بطنا جاع على درهم في كل يوم ويروى انه قام فخطب الناس فقال ايها الناس اجاع الله كبد من اجاع على درهم أي له درهم فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم فليست لي حاجة الى احد وعن جابر رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل عتاب بن اسيد على مكة وفرض له عمالته اربعين اوقية من الفضة ولعل الدرهم كل يوم يحرر القدر المذكور أي اربعين اوقية في السنة فلا مخالفة وفي السنن الكبرى للبيهقي وولد عتاب هذا عبد الرحمن الذي قطعت يده يوم الجمل واحتملها النسر والقاها بمكة وقيل بالمدينة كان يقال له يعسوب قريش

﴿ غزوة حنين ﴾

اسم موضع قريب من الطائف وفي كلام بعضهم الى جنب ذي المجاز وهو سوق الجاهلية وتقدم ذكره وفي كلام بعض آخر اسم لما بين مكة والطائف ويقال لها غزوة هوازن ويقال لها غزوة أوطاس باسم الموضع الذي كانت به الوقعة في آخر الامر وسببها انه لما فتح الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة أطاعت له قبائل العرب الا هوازن وثقيفا فان أهلها كانوا طغاة عتاة مردة قال قال أئمة المغازي لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة مشت اشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض فاشفقوا أي خافوا أن يغزوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد فرغ لنا فلا ناهية أي لا مانع له دوننا والرأي ان نغزوه فحشدوا وبغوا وقالوا والله ان محمدا لاقى قوما لا يحسنون القتال فاجمعت هوازن أمرها اه أي جمعوا وكان جماع امر الناس الى مالك بن عوف النصري أي بالصاد المهملة رضي الله تعالى عنه فانه أسلم بعد ذلك فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم وحضرها دريد بن الصمة وكان شجاعا مجربا لكنه كبر أي لانه بلغ مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين أي وقيل قارب

صوريا وحيي بن اخطب وغيرهم من أحبار اليهود والنصارى حتى ان نصارى نجران لما طلب مباهلتهم امتنعوا وخافوا من نزول العذاب عليهم واعترفوا بنبوته فيما بينهم وامتنعوا من اتباعه ظاهرا بغيا وعنادا وصالحوه وانصرفوا كما سيأتي وعن صفية أم المؤمنين رضي الله عنها وكانت بنت حيي بن اخطب قالت كان عمي أبو ياسر أحسن رأيا من أبي كان يقول لأبي أليس هو الذي نجده في كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما في نفسك منه فيقول معاداته وقد فضح الله أهل الكتاب الذين حسدوه صلى الله عليه وسلم وأظهر كثيرا مما أخفوه قال تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير أي لحلمه وستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله تعالى * ومن وجوه اعجازه ما ذكره تعالى من عجز قوم في قضايا واعلامه بانهم لا يفعلونها فما فعلوا وما قدروا على ذلك كاليهود لما ادعوا دعاوي باطلة وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى فكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أي ان كنتم صادقين انكم من أهل الجنة وانها مخصوصة بكم وتمنوا الموت لان من تيقن دخول الجنة اشتاق اليها وأحب التخلص من هذه الدار وأكدارها ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه قال الله تعالى ولن يتمنوه أبدا بما قدمت ايديهم فنفى عنهم تمني الموت في جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وأبدا وما قدمت ايديهم هو كفرهم بالله وتحريفهم التوراة في هذه الآية من المعجزات الاخبار بالغيب وهو انتفاء تمنيهم الموت في المستقبل فكان كما أخبر لم يتمنوه ولو تمناه أحد منهم لمات ولم يقع التمني من احد منهم مع توفر الدواعي على نقله لو وقع والتمني وان كان من اعمال القلب الخفية الا ان النطق به قولهم تمنينا ممكن وروى البيهقي عن ابن عباس

رضي الله عنهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما أوحي اليه ولم تمنه أحد منهم لخوفهم الموت ولحرصهم على الحياة وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا على تكذيبه بأن يتمنوا ولن يموتوا ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته وفي الشفاء من أحب أمرا ليه ودأبه لا يوجد منهم أحد يقدم على تمني الموت ولا يجيب اليه من يوم نزول هذه الآية لشدة خوفهم ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة وهذا المذكور من امتناعهم من التمني موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنهم به ومثل ما تقدم في الاخبار بالغيب عن المستقبل قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار فقوله ولن تفعلوا اخبار بالغيب وتعجيز لهم * ومن وجوه اعجازه الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لما فيه من الحالة القوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار قال تعالى لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا لما فيه من الروعة التي تهد الجبال فما بالك لرجال وهذه الروعة على المكذبين به اعظم منها على المؤمنين حتى كانوا يستثقلون سماعه لصعوبة ما فيه عليهم ويزيدهم سماعه نفورا عن الحق والاصغاء اليه ويودون انقطاعه لكراهتهم له لخبث طباعهم قال تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحاكم الفاصل بين الحق اى

المائتين قاله ابن الجوزي قد عمي وصار لا ينتفع الا برأيه ومعرفته بالحرب اي لانه كان شجاعا صاحب رأي وتدبير ومعرفة بالحروب وكان قائد ثقيف ورئيسهم كنانة بن عبد ياليل رضي الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك وقيل قارب بن الاسود وكان من مالك بن عوف اذ ذاك ثلاثين سنة فامر الناس باخذ اموالهم ونسائهم وابنائهم معهم فلما نزلوا باوطاس اجتمع اليه الناس وفيهم دريد بن الصمة فقال دريد بايّ واد انتم قالوا باوطاس قال نعم مجال الخيل وفي لفظ مجال الخيل بالجيم لا حزن ضرس والحزن بفتح الحاء المهملة واسكان الزاي وبالنون ما غلظ من الارض والضرس بكسر الضاد المعجمة واسكان الراء وبالسين المهملة ما صلب من الارض ولا سهل دهس والسهل ضد الحزن والدهس بفتح الدال المهملة والهاء وبالسين المهملة اللين كثير التراب ما لي اسمع رغاء البعير ونهاق الحمير بضم النون اي صوتها وبكاء الصغير ويعار الشاء واليعار بضم المثناة التحتية وبالعين المهملة المخففة والراء صوت الشاء اي وخوار البقر اي صوتها قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وابناءهم قال ابن مالك اي بكان تو افق معه على ان لا يخالفه فانه قد ملك امرا لا يقاتل رجلا كريما قد اوطأ العرب وخافه العجم احلى بهود الحجاز اي عالمهم امامهم والاوامر جاعل دلّ وصف رومان له لا يخالفك في أمر تراه وقيل له هذا مالك فقال يا مالك انك قد اصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كائن له ما بعده من الايام ما لي اسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قال سقت مع الناس ابناءهم ونساءهم واموالهم قال ولم قال أردت ان اجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم فانقض به قال اي زجره كما زجر الدابة وهو أن الصق اللسان بالحنك الاعلى وصوت به وهو معنى قول الاصل اي صوت بلسانه في فيه ثم قال له راعي ضأن والله ماله وللحرب ثم اشار عليه برد الذرية والاموال وقال هل يرد المنهزم شيء ان كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في اهلك ومالك ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم احد قال غاب الحد والجد الاول بفتح الحاء المهملة والثاني بالمعجمة مكسورة ضد الهزل وبفتحها الحظ لو كان يوم علا ورفعة ما غابا ثم اشار عليه بامور لم يقبلها مالك منه وقال والله لا اطيعك انك قد كبرت وضعف رأيك فقال دريد لهوازن قد شرط بعني مالك ان لا يخالفني فقد خالفني فانا ارجع الى اهلي فمنعوه وقال مالك والله لتطيعنني يا معشر هوازن او لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري وكره ان يكون لدريد فيها رأي او ذكر قالوا اطعناك اي ثم جعل النساء فوق الابل وراء المقاتلة صفوفا ثم جعلوا الابل صفوفا والبقر والغنم وراء ذلك لئلا يفروا وفي لفظ صفت الخيل ثم الرجالة المقاتلة ثم صفت النساء على الابل ثم صفت الغنم ثم صفت النعم ثم قال للناس اذا رأيتموهم شدوا عليهم شدة رجل واحد وبعث عيونا له اي وهم ثلاثة نفر ارسلهم لينظروا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا وقد تفرقت اوصالهم قال ويلكم ما شأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيول بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى وان اطعتنا رجعنا بقومك فقال اف لكم بل انتم أجبن العسكر فلم يرده ذلك ومضى على ما يريده ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم أرسل اليهم رجلا من اصحابه

أي وهو عبد الله بن ابي حدرد الاسلمي وامره ان يدخل فيهم ويسمع منهم ما جمعوا عليه فدخل فيهم أي ومكث فيهم يوما أو يومين ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر أي وجاءه رجل فقال يارسول الله اني انطلقت بين ايديكم حتى اطلعت جبل كذا فاذا انا بهوازن على بكرة ابيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين فتبسم صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى فاجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم امر السير الى هوازن وذكر صلى الله عليه وسلم ان عند صفوان بن امية ولم يكن اسلم ومثله كان مؤمنا ادراعا وسلاحا فارسل صلى الله عليه وسلم اليه فقال يا ابا امية اعرنا سلاحك نلق به عدونا غدا فقال صفوان اغصبا يا محمد فقال صلى الله عليه وسلم بل عارية وهي مضمونة حتى نؤديها اليك قال ليس بهذا بأس وفي رواية الامام احمد قال صفوان عارية مؤداة فقال صلى الله عليه وسلم العارية مؤداة فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح قيل وسأله صلى الله عليه وسلم ان يكفيهم حملها ففعل وذكر ان بعض تلك الادراع ضاع فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له فقال أنا اليوم يارسول الله في الاسلام ارغب * قال واستعار صلى الله عليه وسلم من ابن عمه نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ثلاثة آلاف رمح فقال له كأني انظر الى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين اه أي وتقدم ان نوفلا هذا فدى نفسه وكان في أسرى بدر بألف رمح وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثني عشر الفا الفان من اهل مكة والعشرة آلاف الذين فتح الله تعالى بهم مكة أي على ما تقدم قال بعضهم وخرج اهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء يمشين على غير دين وهن يرجون الغنائم ولا يكرهون أي من لم يصدق ايمانه أن الصدمة وفي لفظ أن الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أي وقد خرج معه صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون من المشركين منهم صفوان ابن امية وسهيل بن عمرو ولما قربوا من محل العدو صفهم ووضع الالوية والرايات مع المهاجرين والانصار فلواء المهاجرين أعطاه عليا كرم الله وجهه واعطى سعد بن ابي وقاص رضى الله تعالى عنه راية واعطى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه راية ولواء الخزرج اعطاه الحباب بن المنذر رضى الله تعالى عنه ولواء الاوس اعطاه اسيد بن حضير رضى الله تعالى عنه وفي سيرة الدمياطي وفي كل بطن من الاوس والخزرج لواء وراية يحملها رجل منهم وكذلك قبائل العرب فيها الالوية والرايات يحملها رجال منهم وركب صلى الله عليه وسلم بغلته ولبس درعين والمغفر والبيضة والدرعان هما ذات الفضول والسغدية بالسين المهملة والغين المعجمة وهي درع داود عليه السلام التي لبسها حين قتل جالوت ومروا بشجرة سدرة كان المشركون يعظمونها وينوطون بها اسلحتهم أي يعلقونها بها فقالت الصحابة رضي الله تعالى عنهم يارسول الله اجعل لنا ذات انواط فقال رسول الله ﷺ الله اكبر هذا كما قال قوم موسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم ولما كان بحنين وانحدروا في الوادي أي وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا كمنوا لهم في شعاب الوادي ومضايقه وذلك باشارة دريد بن الصمة فانه قال لمالك اجعل كمينا يكون لك

والباطل والبر والفاجر واما المؤمن فلا تزال روعته به اي فزعه وخوفه من زواجره ومواعظه اجلالا وهيبة تولية عند تلاوته انجذابا فيميل قلبه وسمعه لحبه اسمائه ويزداد هشاشة ونشاطا لميل قلبه اليه تصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اى يعرض لهم الذي الخشية عند القرآن قشعريرة من الخوف من هيبته فاذا تأمله وتدبره لان قلبه وجلده لانسه وسروره به ولذا ترى الصالحين اذا تلي القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى العشق وشق الثياب ونحوه ومثله لا ينكره من لم يذق لا يعرف وانما لم يقع مثل هذا من الصحابة رضي الله عنهم لان مقامهم مقام تمكين ومما يدل على ان ما يحدث للقلوب من الروعة والمهابة شيء خص به القرآن دون غيره من الكلام انه امر يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره وما ذاك الا لسر فيه وأمر رباني ولذلك يهاب قارئه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره وفي الشفاء للقاضي عياض ان نصرانيا مر بقارئ يتلو القرآن جهرا فوقف ليسمع قراءته وهو يبكي فقيل له مم بكيت فقال للشجا والنظم والمراد بالشجا الطرب وبالنظم رونق انتظامه وحسن انسجامه فاثر ذلك في نفسه وهو لا يفهم حتى أبكاه وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام عند سماعهم القرآن فمنهم من اسلم لهذه الروعة لاول وهلة وآمن به وصدق ومنهم من كفر روى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب بالطور وذلك قبل اسلامه حين جاء الي المدينة ليكلم النبي صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر قال فلما بلغ هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون كاد قلبي ان يطير اي حدث عنده فزع وخوف شديد حتى ظن ان قلبه يفي ويطير زاد في رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي اي لانه لما سمعها

وفهمها علم مافيها من برهان الايمان القاطع لعرق الكفر لدلالتها على ان لا خالق يستحق العبادة الا الله فسكن الايمان في قلبه بعد اضطرابه وفي رواية فصدع قلبي وفي رواية انه لما سمع قوله تعالى والطور وكتاب مسطور في رق منشور تحير واندهش ولما سمع ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع جلس وخاف ان العذاب ينزل به ولما سمع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين أخذه خوف شديد ولما (١٣٤) وصل الى قوله أم هم المسيطرون قال كاد قلبي الى آخر الحديث. وفيه دليل لروعة

القرآن لمن سمعه وان تلك الروعة سبب لاسلامه رضي الله عنه ومن وجوه اعجازه ان قارئه لا يمله ولو اعاده مرارا مع ان القلوب جبلت على معاداة المعادات وسامعه لا يعرض عنه ولا يكره تكراره على سمعه بل الملازمة لتلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وحسنا وبهجة وقبولا ولا يزال غضا طريا لا تتغير بهجته ونضارته فكانه في كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته عند نزول الكربات وسواه من الكتب لا يوجد فيه ذلك حتى احدث لها اصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها والمراد ان غير القرآن يخترع له اسباب تحمل الناس على الرغبة فيه والاقبال عليه ولاختصاص القرآن بعدم ملل قارئه وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث رواه الترمذي عن على رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغي الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الالسن بالذكر

عونا ان حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم وكررت انت من بعدك وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم أحد وحملوا عليهم حملة رجل واحد أي وكانوا رماة فاستقبلوهم بالنبل كانهم جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم أي وعن البراء رضي الله تعالى عنه وساله رجل فقال فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر واما ماروى عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهزما فمنهزما حال من سلمة لا من النبي ﷺ لانه صلى الله عليه وسلم لم ينهزم قط في موطن من المواطن كما تقدم وعن البراء رضي الله عنه كانت هوازن ناسا رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فاخذ المسلمون راجعين منهزمين لا يلوى أحد على أحد أي ويقال ان الطلقاء وهم أهل مكة قال بعضهم لبعض أي من كان اسلامه مدخولا منهم أخذلوه هذا وقته فانهزموا وهم أول من انهزم وتبعهم الناس وعند ذلك قال ابو قتادة رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه ماشان الناس قال امر الله وهذا السياق يدل على أنهم انهزموا مرتين الاولى في اول الامر والثانية عند انكباب المسلمين على أخذ الغنائم والذي في الاصل الاقتصار على الاولى وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم أبو بكر وعمر وعلى والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان ابن أخيه الحرث وربيعة بن الحرث ومعتب ابن عمه ابي لهب وفقئت عينه ولم أقف على أيهما كانت أي ووردت في عدد من ثبت معه روايات مختلفة فقيل مائة وقيل ثمانون وقيل اثنا عشر وقيل عشرة وقيل كانوا ثلثمائة ولا مخالفة لامكان الجمع وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا رسول الله انا محمد بن عبد الله انى عبد الله ورسوله وعن العباس رضي الله عنه كنت آخذا بحكمة بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وهي الشهباء التي أهداها له فروة بن عمرو الجذامى أي صاحب البلقاء وعامل ملك الروم على فلسطين يقال لها فضة وقيل التي يقال لها دلدل التي اهداها له المقوقس وفي البخارى التى أهداها له ملك أيلة قال بعضهم والاول اثبت ويدل للثاني ما اخرجه ابو نعيم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال انهزم المسلمون بحنين ورسول الله صلي الله عليه وسلم على بغلته الشهباء وكان يسميها دلدل فقال لها رسول الله صلي الله عليه وسلم دلدل البدى فالزقت بطنها بالارض الحديث وابو سفيان بن الحرث آخذ بركابه صلى الله عليه وسلم وهو يقول حين رأي مارأى من الناس الي اين ايها الناس فلم أر الناس يلوون على شيء فقال صلى الله عليه وسلم ياعباس اصرخ يامعشر الانصار يا اصحاب السمرة يعنى الشجرة التي كانت تحتها بيعة الرضوان وفي لفظ ياعباس اصرخ بالمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة وبالانصار الذين آووا ونصروا اى وانما خص صلي الله عليه وسلم العباس بذلك لانه كان عظيم الصوت كان صوته يسمع من ثمانية أميال كان يقف على سلع وينادي غلمانه آخر الليل وهم بالغابة فيسمعهم وبين سلع والغابة ثمانية أميال وغارت الخيل يوما على المدينة فنادي واصباحاه فلم تسمعه حامل الا وضعت من عظم صوته وفى لفظ آخر نادى يا اصحاب السمرة يوم الحديبية يا اصحاب سورة البقرة اى يخص سورة البقرة

ولا تخلق على الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم ﴿ومن وجوه اعجازه﴾ جمعه لعلوم ومعارف لم تعرفها العرب ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي عليه بل ولا يحيط احد من علماء الامم بها ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقلية والرد على فرق الامم ببراهين قوية (١٢٥) بينة سهلة الالفاظ رام المتحذلقون أن ينصبوا ادلة مثلها ولم يقدروا كقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وكقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وكقوله تعالى قل يحييها الذي انشاها أول مرة كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفيه من دقائق علم النجوم كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ومن دقائق علم الطب كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومن دقائق علم الهندسة انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب وفيه اشارة الى شكل مثلث مع بعض احكامه التي لا يعرفها الا الراسخون في علم الهندسة وفيه جمل من علوم السير والاخلاق الجيدة وتزكية النفس وانباء الامم والمواعظ والحكم وجوامع الكلم واسرار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم والامثال والاشياء قيدات على البعث وآياته والاخبار عما كان وما يكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدماء وما فيه من صلة الارحام الى غير ذلك قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل واخرج ابن ابي شيبة ان الله تعالى قال للنبي ﷺ اني منزل عليك توراة أي كتابا يشبه التوراة لكثرة ما اشتمل عليه تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وفيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب الاحبار عليكم

بالذكر لانها أول سورة نزلت في المدينة لان فيها كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وفيها وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وفيها ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله وفي لفظ نادى يا انصار الله وانصار رسوله يا بني الخزرج خصهم بالذكر بعد التعميم لانهم كانوا صبراء في الحرب وعلى فاجابوا لبيك لبيك وفي لفظ يا لبيك يا لبيك أي في البخاري لما ادبروا عنه صلى الله عليه وسلم حتى بقي وحده فنادى يومئذ نداءين التفت عن يمينه فقال يا معشر الانصار قالوا لبيك يا رسول الله ابشر نحن معك ثم التفت عن يساره فقال يا معشر الانصار قالوا لبيك يا رسول الله ابشر نحن معك ويجوز ان يكون هذا بعد نداء العباس وقربهم منه صلى الله عليه وسلم وصار الرجال يلوى بعيره ولا يقدر على ذلك اي لكثرة الاعراب المنهزمين فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله ويؤم الصوت حتى ينتهي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم فما شبهت عطفة الانصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عطفة الابل وفي لفظ عطفة البقر على اولادها فلرماحهم أخوف عندي على رسول الله صلى الله عليه وسلم من رماح الكفار حتى اذا انتهى اليه من الناس مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا واشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظر الى القوم وهم يجتلدون أي وكان شعارهم كيوم فتح مكة وقال صلى الله عليه وسلم الآن حمي الوطيس وهو حجارة توقد العرب تحتها النار يشوون عليها اللحم والوطيس في الاصل التنور وهذه الكلمات التي لم تسمع الا منه صلى الله عليه وسلم وهي مثل يضرب لشدة الحرب أي وصار يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وهذا السياق يدل على ان المائة انتهت اليه صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وهو يؤيد القول بان الذين ثبتوا معه صلى الله عليه وسلم لم يبلغوا المائة وفي رواية لما انكشف الناس عنه يوم حنين قال لحارثة بالحاء المهملة ابن النعمان يا حارثة كم ترى الناس الذين ثبتوا فحزرتهم مائة فقلت يا رسول الله مائة فلما كان يوم من الايام مررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يناجي جبريل عليه السلام عند باب المسجد فقال جبريل عليه السلام يا محمد من هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حارثة ابن النعمان فقال جبريل عليه السلام هو أحد المائة الصابرة يوم حنين لو سلم لرددت عليه السلام قال ولما اخبرني بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ما كنت اظنه الا دحية الكلبي واقفا معك وفي رواية لما فر الناس يوم حنين عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا اربعة ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم علي بن ابي طالب والعباس وهما بين يديه وابو سفيان ابن الحرث آخذ بالعنان وابن مسعود من جانبه الايسر ولا يقبل احد من المشركين جهته صلى الله عليه وسلم الا قتل وذكر بعضهم انه رأى اباسفيان بن الحرث حينئذ آخذا بزمام بغلته صلى الله عليه وسلم ولا ينافي ما تقدم ان الآخذ بذلك العباس رضي الله عنه وان اباسفيان بن الحرث كان آخذا بركابه صلى الله عليه وسلم لجواز ان يكون أخذ بزمامها بعد أخذه بركابه صلى الله عليه وسلم وعن ابي سفيان بن الحرث قال لما لقينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسي وبيدي السيف مصلتا والله يعلم اني أريد الموت دونه وهو ينظر الي فقال له العباس يا رسول الله اخوك

بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى يجمع الله فيه مع وجازة الفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه مرات ﴿ ومن وجوه اعجازه ﴾ ان الله جمع فيه بين الدليل والمدلول وذلك ان الله احتج بنظم القرآن البديع المعجز بحسن تأليفه وايجازه وبلاغته فهذا دليل وفي اثناء

هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده وغير ذلك من المقاصد العظيمة فهي مدلول فالقارئ يفهم الحجة والتكليف من كلام واحد وسورة منفردة ﴿ ومن وجوه اعجازه ﴾ تيسير الله تعالى حفظه لمتعلميه قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وكانت سائر الامم لا يحفظ كتبها الا الواحد النادر مع طول اعمارهم وامتداد أزمنتهم قال سعيد بن جبير ان بني اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التوراة فكانوا لا يقرؤنها الا نظرا في صحفها غير موسى وهرون ويوشع بن نون وعزير وقد من الله تعالى على هذه الامة ان يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له لا تحصى ويسر حفظه للغلمان في أقرب مدة ﴿ ومن وجوه أعجازه ﴾ مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف أنواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى أخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة الى امر ونهي وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير لبعض ما شرع وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائد كضرب الامثال وذكر القصص للاعتبار بها دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه فتأمل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر فيها من تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن

وابن عمك ابو سفيان فارض عنه وقال غفر الله له كل عداوة عادانيها ثم التفت الي وقال يا اخي فقبلت رجله في الركاب وقال صلى الله عليه وسلم في حقه ابو سفيان بن الحرث من شبان اهل الجنة او من سيد فتيان اهل الجنة وليس قوله صلى الله عليه وسلم انا النبي لا كذب الى آخره من الشعر لان شرطه كما تقدم في بناء المسجد ان يكون عن قصد وروية بناء على ان مشطور الرجز ومنهوكه شعر وهو الصحيح خلافا للاخفش حيث رد على الخليل في قوله ان الرجز شعر بانه وقع منه صلى الله عليه وسلم في قوله المذكور وقد قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ورد بان ما يقع موزونا لا عن قصد لا يقال له شعر ولا يقال لقائله انه شاعر كما تقدم مع زيادة وانما قال صلى الله عليه وسلم انا ابن عبد المطلب ولم يقل انا ابن عبد الله لان العرب كانت تنسبه صلى الله عليه وسلم الى جده عبد المطلب لشهرته ولموت عبد الله في حياته كما تقدم وليس من الافتخار بالآباء الذي هو من عمل الجاهلية كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم انا ابن العواتك والفواطم واخذ من هذا انه لا باس به بالانتساب في مواطن الحرب وذكر الخطابي انه صلى الله عليه وسلم انما قال انا ابن عبد المطلب على سبيل الافتخار ولكن ذكرهم صلى الله عليه وسلم بذلك رؤيا كان رآها عبد المطلب ايام حياته وكانت القصة مشهورة عندهم فعرفهم بها وذكرهم اياها وهي احدى دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم * ثم نزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته وقيل لم ينزل بل قال يا عباس ناولني من الحصباء فاخضعت له بغلته حتى كادت بطنها تمس الارض ثم قبض قبضة من تراب قال بعضهم كان الله اوقفها أي افهم البغلة كلامه صلى الله عليه وسلم أي علمت مراده وفي رواية كما تقدم انه قال لها ايا دلدل البدي فلبدت أي انخفضت وفي رواية قال ارتضي دلدل فارتضت وقيل ناوله العباس ذلك وقيل ناوله علي وقيل ابن مسعود رضي الله عنهم فمنه حادت به بغلته فمال السرج فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولني كفا من تراب فناولته ثم استقبل بها وجوههم فقال شاهت الوجوه أي قبحت وفي رواية قال حم لا ينصرون وفي رواية جمع بينهما فما خلق الله منهم انسانا الا ملأت عينيه وفمه ترابا تلك القبضة وقال انهزموا ورب محمد ولو امد برين * أي قال بعضهم ما خيل الينا الا ان كل حجر أو شجر فارس يطلبنا وحدث رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقوموا لنا حلب شاة ان كشفناهم فبينما نحن نسوقهم ونحن في آثارهم اذ صاحب بغلة بيضاء واذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه وقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فانهزمنا من قولهم وركبوا اكتافنا فكانت اياها والى رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

ورمى بالحصى فاقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء

أي ورمى صلى الله عليه وسلم بالحصى فاهلك ذلك الجيش العظيم أي شيء عصا موسى عند ذلك الحصى وأي شيء القاء موسى عليه السلام لتلك العصا عند القاء ذلك الحصى شتان ما بينهما فلا يقاس هذا بذلك لان هذا اعظم لان انقلاب العصا حية كان مشابها لانقلاب حبالهم وعصيهم حيات ولان ابتلاعها

لحبالهم

اطلاق الملامنهم واجتماعهم على الكفر وماظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء بمثل مصابهم وتبصير النبي صلى الله عليه وسلم على أذاهم، تسليته بكل ماتقدم ذكر ثم أخذ في ذكر داود عليه السلام وقصص الانبياء كسليمان وأيوب عليهما السلام وكل هذا في أوجز كلام وأحسن نظام على أتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقلل فصاحته * ومن وجوه أعجازه (١٢٧) ان الله وسع على الامة بقراءته على أوجه متنوعة وطرق متعددة وهي طرق القرآآت المشهورة ومع ذلك لايختل شيء من بلاغته وجميع أنواع أعجازه كل طريق من طرق قراءته مشتمل على تلك الوجوه وهذا لايمكن مثله في كلام البشر فان الشاعر البليغ اذا اجتهد في انشاء قصيدة بليغة فانها تختل لو غير شيء من كلماتها ولا تبقى على بلاغتها لو اريد قراءتها على اوجه متنوعة بخلاف القرآن العزيز قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلم يقدر أحد أن يأتي بمثل القرآن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده الى زمننا هذا بل الى يوم الدين وكيف يقدر عليه أحد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء والبلغاء من قريش وغيرها فعجز غيرهم أولى وهم قد عرفوا انه صلى الله عليه وسلم من قبل نبوته باربعين سنة لايحسن نظم كتاب ولاعقد حساب ولم يتعلم شيئا ولم ينشد شعرا لغيره فضلا عن انشائه ولايحفظ خبرا ولا يروي اثرا حتى أكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل فدعاهم اليه وحاجهم به قال تعالى قل لوشاء الله ماتلوته عليكم ولاأدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون وشهد له سبحانه وتعالى في كتابه بذلك قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ووجوه أعجاز القرآن كثيرة وعجائبه

لحالهم وعصيهم لم يقهر العدو ولم يشتت شملهم بل زاد بعدها طغيانهم وعتوهم على موسى عليه السلام بخلاف هذا الحصى فانه أهلك العدو وشتت شمله أي وذكر أنه عند قتال انزل الله تعالى قوله ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا الى قوله غفور رحيم فقد جاء ان بعض أصحابه أي وهو أبو بكر رضي الله عنه كما في سيرة الحافظ الدمياطي قال يارسول الله لن نغلب اليوم من قلة وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءته تلك الكلمة وقيل بل قائل ذلك هو صلى الله عليه وسلم لما رأى كثرة المسلمين وقيل قال ذلك فتى من الانصار أي وهو سلمة بن الاكوع أو سلامة بن وقش أي وجاء انه صلى الله عليه وسلم رفع يومئذ يديه وقال اللهم انشدك ماوعدتني اللهم لاينبغي لهم أن يظهروا علينا اي واخرج البيهقي في الاسماء والصفات عن الضحاك قال دعا موسى عليه الصلاة والسلام حين توجه الى فرعون لعنه الله ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين كنت وتكون وانت حي لاتموت تنام العيون وتنكدر النجوم وانت حي قيوم لاتأخذه سنة ولانوم ياحي ياقيوم وكان أمام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء في رأس رمح طويل وهو امام هوازن اذا أدرك طعن برمحه واذا فاته رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو كذلك اذ اهوى اليه علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ورجل من الانصار يريدانه فأتى علي من خلفه وضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصاري على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه واجتلد الناس فوالله مارجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجد الاسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من أهل مكة بما في نفوسهم من الضغن ومنهم أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه قيل وكان اسلامه بعد مدخولا وكانت الازلام في كنانته فقال لاتنتهي هزيمتهم يعني المسلمين دون البحر أي وقال والله غلبت هوازن فقال له صفوان بفيك الكثكث اي الحجارة والتراب وقد وصلت الهزيمة الى مكة وسر بذلك قوم من مكة واظهروا الشماتة وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائها أي وقال آخر أي وهو أخو صفوان لامه الا قد بطل السحر اليوم فقال له صفوان وهو يومئذ مشرك اسكت فض الله فاك أي أسقط أسنانك والله لان يربني من الربوبية أي يملكني ويدبر امري رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن وفي رواية مر رجل من قريش على صفوان ابن أمية فقال ابشر بهزيمة محمد واصحابه فوالله لايجبرونها أبدا فغضب صفوان رضي الله عنه وقال اتبشرني بظهور الاعراب فوالله لرب رجل من قريش أحب الي من رجل من الاعراب وقال عكرمة ابن ابي جهل رضي الله عنه وكونهم لايجبرونها أبدا هذا ليس بيدك الامر بيد الله ليس الي محمد منه شيء ان اديل عليه اليوم فان له العاقبة غدا فقال له سهيل بن عمرو والله ان عهدك بخلافه لحديث فقال له ياأبا يزيد انا كنا على غير شيء وعقولنا ذاهبة نعبد حجرا لايضر ولا ينفع وعن شيبة الحجبي رضي الله عنه أي حاجب البيت ويقال لبنيه بنو شيبة وهم حجبة البيت كما تقدم انه كان يحدث عن سبب اسلامه قال مارأيت أعجب مما كنا فيه من لزوم مامضى عليه آباؤنا من الضلالات ولما كان عام الفتح ودخل رسول

لا تنقضى ولا تتناهاها واذا عرفت ما تقدم عرفت انه لا يحصى عدد معجزات القرآن بالف ولا ألفين ولا اكثر لانه صلى الله عليه وسلم قد تحداهم بسورة منه فعجزوا عنها وأقصر السور انا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها منه معجزة ثم فيها نفسها معجزات كما تقدم وجاء فى حديث قدسى من شغله القرآن عن دعائي ومسألتي أعطيته افضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلوبنا وشفاء همومنا وغمومنا ونور ابصارنا واجعلنا من المنتفعين به العاملين بما فيه التالين له حق تلاوته انك على كل شيء قدير والله سبحانه وتعالى أعلم * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم * انشقاق القمر

اعلم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم ترجع الى الى ثلاثة أقسام ماض وجد قبل وجوده ومستقبل وجد بعد وفاته ومقارن له من حين حمله الى أن نقله الله الى محل وصله فاما القسم الماضى وهو ما كان قبل وجوده فكثير كقصة الفيل وتبشير الانبياء والكهان به وغير ذلك مما هو تاسيس لنبوته وارهاص لرسالته وهذا القسم سماه بعضهم ارهاصا وجوز بعضهم تسميه ذلك معجز وأما القسم الثانى وهو ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فكثير جدا اذفي كل حين يقع لخواص امته من الكرامات وخوارق العادات بسببه ما لا يحصى وكرامات الاولياء من تتمات معجزاته صلى الله عليه وسلم ورحم الله الابوصيرى حيث يقول

والكرامات منهم معجزات * حازها من نوالك الاولياء

وأما القسم الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته الى حين وفاته فما وجد قبل البعثة يسمي أيضا ارهاصا وذلك كالنور الذى خرج معه حتى أضاءت له قصور الشام واسواقها حين رات امه قصور بصري وروى ابن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما ان آمنة قالت لما فصل مني تعني النبى صلى الله عليه وسلم خرج نور اضاء له ما بين المشرق والمغرب وغير ذلك مما شوهد حال ولادته وفي رضاعه وكتظليل الغمام فانه انما كان قبل البعثة اردنا

الله صلى الله عليه وسلم مكة وسار الى حرب هوازن قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فاقتله فاكون انا الذي قمت بثار قريش كلها أى وفي لفظ اليوم ادرك ثاري من محمد أى لان أباه وعمه قتلا يوم احد قتلهما حمزة رضى الله عنه كما تقدم وأقول لو لم يبق من العرب والعجم احد الا اتبع محمدا ما تبعته لا يزداد ذلك الامر عندى لاشد فلما اختلط الناس ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته اصلت السيف ودنوت منه أريد الذي اريد منه ورفعت السيف حتى كدت أوقعه فعل رفع الى شواظ من نار كالبرق كاد يهلكني فوضعت يدى على بصري خوفا عليه وفى رواية لما هممت به حال بيني وبينه خندق من نار وسور من حديد فنادانى صلى الله عليه وسلم ياشيبة ادن مني فدنوت منه فالتفت الى وتبسم وعرف الذي أريد منه فمسح صدرى ثم قال اللهم اعذه من الشيطان قال شيبة فوالله لهو كان الساعة اذا أحب الي من سمعى وبصرى ونفسى وأذهب الله ما كان فى ثم قال صلى الله عليه وسلم ادن فقاتل فتقدمت أمامه اضرب بسيفي الله أعلم اني أحب ان أقيه بنفسي كل شيء ولو كان أبى حيا ولقيته تلك الساعة لاوقعت به السيف فجعلت ألزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون وكروا كرة واحدة وقربت اليه صلى الله عليه وسلم بغلته فاستوي عليها قائما وخرج فى أثرهم حتى تفرقوا فى كل وجه اى لا يلوى أحد منهم على أحد وأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يقتل من قدر عليه واتبعتهم المسلمون يقتلونهم حتي قتلوا الذرية فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وفي رواية من أقام بينة على قتيل قتله فله سلبه وفى الاصل فى غزوة بدر ان المشهور ان قول النبى صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه انما كان يوم حنين وأما ما روى أنه قال ذلك يوم بدر ويوم أحد فاكثر ما يوجد فى رواية من لا يحتج به ومن ثم قال الامام مالك رضى الله عنه لم يبلغني أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا يوم حنين وتعقب ما فى الاصل بانه وقع ذلك في غزوة مؤتة كما في مسلم وهي قبل الفتح وفى كلام بعضهم كون السلب للقاتل أمر مقرر من أول الامر وانما تجدد يوم حنين الاعلام العام والمناداة لا لمشروعيته وحدث أنس رضي الله عنه أن أبا طلحة رضى الله عنه استلب وحده عشرين رجلا اى وقتلهم واخذ اسلابهم وقال أبو قتادة رضى الله عنه رأيت يوم حنين مسلما ومشركا يقتتلان واذا رجل من المشركين يريد اعانة المشرك على المسلم فاتيته وضربت يده فقطعتها فاعتنقنى بيده الاخرى فوالله ما أرسلني حتي وجدت ريح الموت ولولا أن الدم نزفه لقتلني فسقط وضربته فقتلته واجهضني القتال عن استلابه فلما وضعت الحرب أوزارها قلت يارسول الله لقد قتلت قتيلا ذا سلب واجهضنى عنه القتال فما أدرى من استلبه فقال رجل من أهل مكة صدق يارسول الله فارضه عني من سلبه فقال أبو بكر رضى الله عنه والله لا يرضيه تعمد الى أسد من أسد الله يقاتل عن دين الله تقاسمه سلب قتيله وفي لفظ قال أبو بكر رضي الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم كلا تعطيه أضيبع من قريش وتدع أسدا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله والاضيبع تصغير ضبع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق

وكذا كل ما كان قبل بعثته وما وجد بعد البعثة فكثير جدا فمنه انشقاق القمر وقد نطق القرآن به قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وروي احاديثه أهل السنن كالبخاري ومسلم والامام احمد والبيهقي وبقية أهل السنن ورووا ذلك عن جمع من الصحابة منهم علي وابن مسعود وابن عمر وجبير بن مطعم وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وحذيفة ابن اليمان وغيرهم ورواه عنهم جمع عن جمع حتى بلغ مبلغ التواتر قال العلامة عبد الوهاب ابن السبكي ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه في القرآن مروي في الصحيحين وغيرهما من طريق ولم ينشق لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته صلى الله عليه وسلم قال في المواهب وقد اجمع اهل السنة والمفسرون على وقوعه لاجله صلى الله عليه وسلم قال الخطابي انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شيء من آيات الانبياء ولذا اختص بها سيدهم وذلك انه ظهر في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به اظهر من غيره وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا * وفي رواية عن

 انس رضي الله عنه ان أهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وكان انشقاق القمر قبل الهجرة بخمس سنين وكان أنس بالمدينة صغيرا فروايته كانت عن ابن مسعود رضي الله عنه وكذا رواية ابن عباس رضي الله عنهما لانه اذذاك لم يولد * وفي رواية للبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة

اردد عليه سلبه قال ابو قتادة رضي الله عنه فاخذته منه فاشتريت بثمنه أي السلب الذي غنمته ستانا وأدرك ربيعة بن رفيع دريد بن الصمة فاخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة فاذا هو شيخ كبير اعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد قال اقتلك قال ومن انت قال انا ربيعة بن رفيع السلمي ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيا فقال له بئس ما سلحتك امك خذ سيفي هذا من مؤخرة الرجل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فاني كذلك كنت اضرب الرجال ثم اذا اتيت امك فاخبرها انك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أخبر ربيعة أمه بقتله قالت له اما والله لقد اعتق امهات لك ثلاثا وقالت له الا تكرمت عن قتله لما اخبرك بمنه علينا فقال ما كنت لاتكرم عن رضا الله ورسوله أي وقيل القاتل لدريد بن الصمة الزبير بن العوام رضي الله عنه وقيل عبد الله بن قبيع وكانت ام سليم رضي الله عنها مع زوجها ابي طلحة رضي الله عنه وهي حازمة وسطها ببرد لها وفي حزامها خنجر وكانت حاملا بابنها عبد الله فقال لها زوجها ابو طلحة ما هذا الخنجر معك يا أم سليم قالت ان دنا مني احد من المشركين بعجته به فقال ابو طلحة الا تسمع يارسول الله ما تقول أم سليم الرمصاء فاعادت عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك اي وكان يقال لها الغميصاء والرميصاء وهي التي يخرج القذى من عينها ومن ثم قال بعضهم قيل لها الرميصاء لرمص كان في عينها وعن ولدها انس بن مالك رضي الله عنه قدمات ابي مالك عنها مشركا ثم خطبها عمي ابو طلحة وهو مشرك فقالت ودعته الى الاسلام فاسلم فقالت له اني اتزوجك ولا آخذ منك صداقا غيره فتزوجها قال انس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فسمعت خشفة فقلت من هذا فقالوا هذه الغميصاء بنت ملحان أم انس بن مالك وعنه رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل على أحد من النساء الا ازواجه الا أم سليم فانه كان يدخل عليها فقيل له في ذلك فقال اني ارحمها قتل اخوها معي ولعل المراد أنه كان يكثر الدخول عليها كازواجه ولا ينافي انه صلى الله عليه وسلم كان يدخل على غيرها من نساء الانصار لان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز الاختلاء بالاجنبية فكان يدخل على أخت ام سليم وهي أم حرام بالراء رضي الله عنها وتفلي له رأسه الشريف وينام عندها ويدخل على الربيع ثم رأيته في الامتاع اشار الى ذلك وفي مزيل الخفاء ان ام سليم واختها خالتا النبي صلى الله عليه وسلم من جهة الرضاع وعليه فلا دلالة في دخوله صلى الله عليه وسلم عليهما والخلوة بهما على جواز الخلوة بالاجنبية وعن انس رضي الله عنه قال مات ابن لابي طلحة من ام سليم اي وهو ابو عمير الذي كان صلى الله عليه وسلم يداعبه ويقول يا اباعمير ما فعل النغير ذكره السيوطي في كتابه تبريد الاكباد وفي كلام بعضهم ما يفيد انه غيره فقالت لاهلها لا تحدثوا أباطلحة بابنه حتى اكون انا احدثه فجاء فقال ما فعل ابني قالت هو اسكن ما كان فقربت اليه عشاء فاكل وشرب ثم تصنعت له احسن ما كانت تصنع قبل ذلك فوقع بها فلما رأت انه قد شبع واصاب منها قالت يا اباطلحة أرأيت لوان قوما اعاروا عاريتهم اهل بيت وطلبوا عاريتهم الهم ان يمنعوا قال لا قالت فاحتسب ابنك فغضب ثم انطلق حتى اتى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما في غابر ليلتكما قال فحملت بعبد الله المذكور قالت ولما ولدته حملته وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل معك تمر فقلت نعم فناولته تمرات فالقاهن صلى الله عليه وسلم في فيه الشريف فلاكهن ثم فغر فا الصبي فمجه في فيه فجعل الصبي يتلمظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الانصار التمر وسماه عبد الله اي وجاء لعبد الله هذا الذي جاء من جماع تلك الليلة تسعة أولاد كلهم قد قرؤا القرآن ولما أخبر ابو طلحة النبي صلى الله عليه وسلم بما تقدم عن أم سليم قال الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل صابرة بني اسرائيل فقيل يا رسول الله ما كان من خبرها قال كان في بني اسرائيل امرأة وكان لها زوج وكان له منها غلامان وكان زوجها أمرها بطعام تصنعه ليدعو عليه الناس ففعل واجتمع الناس في داره فانطلق الغلامان يلعبان فوقعا في بئر كانت في الدار فكرهت ان تنغص على زوجها الضيافة فادخلتهما البيت وسجتهما بثوب فلما فرغوا دخل زوجها فقال زوجها أين ابناي قالت هما في البيت وانها كانت تمسحت بشيء من الطيب وتعرضت للرجل حتى وقع عليها ثم قال اين ابناي قالت هما في البيت فناداهما ابوهما فخرجا يسعيان فقالت المرأة سبحان الله والله لقد كانا ميتين ولكن الله أحياهما ثوابا لصبري * ولما انهزم القوم عسكر بعضهم باوطاس فبعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم أبا عامر الاشعري رضي الله عنه وسيأتي في السرايا ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معسكره قال شيبة فدخل خباءه فدخلت عليه ما دخل عليه غيري حبا لرؤية وجهه وسرورا به فقال يا شيبة الذي أراد الله بك خير مما اردت بنفسك ثم حدثني بكل ما اضمرت في نفسي مما لا اذكره لاحد قط فقلت اني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر فقال غفر الله لك اي وقالت له صلى الله عليه وسلم أم سليم رضي الله عنها بأبي انت وامي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك اهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد كفى واحسن وعن عائذ بن عمرو قال اصابتني رمية يوم حنين في جبهتي فسال الدم على وجهي وصدري فسلت النبي صلى الله عليه وسلم الدم بيده عن وجهي وصدري الى ترقوتي ثم دعا لي فصار اثر يده صلى الله عليه وسلم غرة سائلة كغرة الفرس وجرح خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في جرحه فلم يضره اي فعن بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما هزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشي في المسلمين ويقول من يدلني على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد اسند الى مؤخرة رحله لانه قد اثقل بالجراحة فتفل النبي صلى الله عليه وسلم في جرحه فبرئ * وعن جبير بن مطعم رضي الله تعالى عنه قال لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون شيئا اسود اقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فاذا نمل اسود مبثوث قد ملأ الوادي لم اشك انها الملائكة ولم تكن الا هزيمة القوم وفي سيرة الحافظ الدمياطي رحمه الله ان سيما الملائكة يوم حنين عمائم حمر ارخوها بين اكتافهم اي فعن جمع من هوازن قالوا لقد راينا يوم حنين رجالا بيضا على خيل بلق عليها

عمائم

خلف الجبل أي فوقه كما في الحديث قبله فقال صلى الله عليه وسلم اشهدوا * وفي رواية الامام أحمد عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا أي الكفار سحرنا محمد فقال رجل منهم أي وهو أبو جهل ان كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس * وفي رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان كان محمد سحر القمر فانه لم يبلغ سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوا فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك * وفي رواية لابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن ابي كبشة ثم قالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم فجاء السفار فاخبروهم بذلك رواه ابو داود والطيالسي * وفي رواية للبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه انشق القمر بمكة فقالوا سحركم ابن ابي كبشة فسلوا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم وان لم يكونوا رأوا ما رأيتم فهو سحر فسألوا السفار فقد قدموا من كل وجه فقالوا رأيناه فقال الكفار هذا سحر مستمر * وفي رواية لابي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وابو جهل والعاص بن وائل والاسود بن المطلب والنضر بن الحرث ونظراؤهم فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فانشق * وفي رواية فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا ورواه البخاري مختصرا عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس رضي الله عنهما

عماثم حرقد ارخوها بينا كتافهم بين السماء والارض وكتائب لا نستطيع ان نقاتلهم من الرعب منهم ولما وقعت الهزيمة اسلم ناس من كفار مكة وغيرهم لما راوا نصر الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وعن شيبة الحجبي قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين والله ما خرجت اسلاما ولكن خرجت اتقاءان تظهر هوازن على قريش فوالله انى لواقف مع رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله انى لارى خيلا بلقا قال ياشيبة انه لا يراها الا كافر فضرب بيده صدرى ثم قال اللهم اهد شيبة فعل ذلك ثلاثا فما رفع صلى الله عليه وسلم يده عن صدرى الثالثة حتى ما اجد من خلق الله احب الى منه ويحتاج الى الجمع بينه وبين ما تقدم على تقدير صحتهما وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبى والغنائم ان تجتمع فجمع ذلك كله وانحدروه الى الجعرانة اى بسكون العين وتخفيف الراء وكثير من اهل الحديث يشددها وسمي المحل باسم امرأة كانت تلقب بذلك قيل وهى التي نقضت غزلها من بعد قوة فكان بها الى ان انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اي من غزوة الطائف وفي هذه الغزوة سمى طلحة بن عبيد الله طلحة الجواد لكثرة انفاقه على العسكر

﴿ غزوة الطائف ﴾

ولما علم صلى الله عليه وسلم ان مالك بن عوف وجماعة من اشراف قومه لحقوا بالطائف عند انهزامهم اى والطائف بلد كبير كثير الاعناب والنخيل والفاكهة قيل سمي بذلك لان جبريل عليه السلام طاف بها حين نقلها من الشام الى الحجاز بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام اى ان الله يرزقهم اى اهل مكة من الثمرات اى وقيل انهم بنوا حولها حائطا وطافوا به تحصينا لهم وقيل هى جنة اصحاب الصريم كانوا بنواحى صنعاء نقلها جبريل عليه السلام فسار بها الى مكة وطاف بها حول البيت ثم انزلها فى ذلك المكان اي ويقال له وج سمي ذلك باسم شخص من العماليق اول من نزل به وان اولئك القوم تحصنوا في حصن به وادخلوا فيه ما يصلحهم سنة خرج ﷺ من حنين وتوجه اليهم وترك السبى بالجعرانة اي وفى الامتاع انه ﷺ بعث السبى والغنائم الى الجعرانة مع بديل بن ورقاء الخزاعى وفى كلام السهيلى وكان سبى حنين ستة آلاف راس قد ولى ﷺ اباسفيان بن حرب امرهم وجعله امينا عليهم هذا كلامه اي ولعل هذا بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف لان اباسفيان كان معه صلى الله عليه وسلم بالطائف كما سياتي فلا معارضة اى ومر صلى الله عليه وسلم بحصن مالك بن عوف فامر به فهدم ومر بحائط اى بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فارسل اليه صلى الله عليه وسلم اما ان تخرج واما ان نخرب عليك حائطك فابى ان يخرج فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحراقه ومر صلى الله عليه وسلم بقبر فقال هذا قبر ابي رغال وهو ابو ثقيف اى وكان من ثمود قوم صالح اى وقد اصابته النقمة التي اصابت قومه بهذا المكان ثم دفن فيه اى بعد ان كان بالحرم ولم تصبه تلك النقمة فلما خرج من الحرم الى المكان المذكور اصابته النقمة وعن بعض الصحابة حين

وان لم يشاهد القصة كما تقدم ففى بعض طرقه انه حمل الحديث عن ابن مسعود رضى الله عنه وجاء فى رواية لعبد الرزاق والبيهقى ابن مسعود رضى الله عنه رأيت القمر منشقا شقتين شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء والسويداء بالمد والتصغير ناحية خارج مكة عندها جبل وفى شرح المواهب أن التعبير بابى قبيس من تغيير بعض الرواة لان الغرض ثبوت رؤيته منشقا احدى الشقتين على جبل والاخرى على جبل آخر ولا يغاير ذلك قول الراوى الآخر رأيت الجبل بينهما اى بين الفرقتين لانه اذا ذهبت فرقة عن يمين الجبل وفرقة عن يساره صدق انه بينهما واي جبل آخر كان فى جهة يمينه او يساره صدق عليه انها عليه ايضا ووقع فى بعض روايات ابن مسعود رضى الله عنه ان انشقاق القمر كان والنبى صلى الله عليه وسلم بمنى وفى روايات انس ان ذلك كان بمكة ولا تعارض لان مراد انس رضي الله عنه ان ذلك كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة ويصدق على منى انها من جملة مكة بل جاءت رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمكة قبل ان نصير الى المدينة فظهر ان المراد بذكر مكة في رواية انس الاشارة الى ان ذلك وقع قبل الهجرة وقيل ان الشق تعدد فمرة كان وهم بمنى ومرة وهم بمكة وقيل ان مدة الشق كانت بقدر ما بين العصر الى الليل فيحتمل انهم كانوا بمنى ثم رجعوا الى مكة فمرة ذكروا حراء ومرة ذكروا اباقبيس فقد روى ابونعيم فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما انشق القمر ليلة اربع عشرة نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل وجاء انه تباعد ما بين الفرقتين فاراهم النبى صلى الله عليه وسلم احدى الفرقتين وقال اشهدوا ثم اراهم الفرقة الاخرى وقال اشهدوا على هذا حمل بعضهم الرواية التى فيها انه اراهم انشقاق القمر مرتين وجزم بعضهم بتكرير الانشقاق وانه وقع مرتين فلا تنافي بين

الروايات قال القاضي عياض في الشفاء وحيث اجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه وتواترت احاديثه فلا التفات الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا الانشقاق ثابتا لم يخف على الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم وحاصل الرد عليه انه لم ينقل الينا عن أهل الارض انهم رصدوه ذلك الليلة وترقبوه ونظروا الى مطالعه ولم يروه انشق بل لو فرض انهم فعلوا ذلك لما كانت بهم حجة علينا به اذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الارض لاختلاف احواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد يطلع في ليلة في بعض البلاد دون بعض وقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على آخرين وقد يكون من قوم ضد ما هو من مقابلهم من اقطار الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب ولهذا توجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لمعرفة ذلك تقدير العزيز العليم وانشقاق القمر وقع بالليل والعادة من الناس في الليل السكون واغلاق الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واعتنى به غاية الاعتناء وكثيرا ما يكون كسوف القمر في البلاد واكثر الناس لا يعلم به حتى يخبروا وكثيرا ما يتحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع وامور عظام تظهر بالليل في السماء ولا يعلم بها كثير من الناس ومع ذلك قد سالت قريش كثيرا من اهل الآفاق فاخبروهم انهم شاهدوا ذلك فقالوا سحر مستمر اى عام وكان رسول

المخبرون هم السفار لان المسافرين في الليل غالبا يكونون في ضوء القمر ولا يخفى عليهم ذلك بخلاف غيرهم فان الغالب عليهم ان يكونوا نياما ويكفي ذلك في ثبوت التواتر وان خفي على كثير من اهل الآفاق وقال بعض الملحدة من الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام وكذا قالوا في فتح ابواب السماء ليلة الاسرى الى غير ذلك من انكارهم ما يكون يوم القيامة

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف فمررنا بقبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا قبر ابى رغال وهو ابو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه اصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه الحديث وفي العرائس عن مجاهد قيل له هل بقي من قوم لوط احد قال لا الا رجل بقي اربعين يوما وكان بالحرم فجاءه حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله تعالى فرجع فوقف خارجا من الحرم اربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته وخرج من الحرم الى هذا المحل اصابه الحجر فقتله فدفن فيه وابو رغال هذا هو الذي كان دليلا لابرهة لما وصل الى مكة لما مر ابرهة بالطائف وتلقاه اهله واظهروا له الطاعة وقالوا له نرسل معك من يدلك على الطريق فارسلوا ابا رغال معه دليلا كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم آية ذلك انه دفن معه غصن من ذهب ان انتم نبشتم عنه أصبتموه فابتدره الناس فنبشوه واستخرجوا منه الغصن وقدم صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه على مقدمته أي وهي خيل بني سليم مائة فرس قدمها من يوم خرج من مكة واستعمل عليهم خالد بن الوليد فلم يزل كذلك حتى وصل فلما وصل نزل قريبا من الحصن وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحات أي وممن اصيب ابو سفيان بن حرب اصيبت عينه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وعينه في يده فقال يا رسول الله هذا عيني اصيبت في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت دعوت فردت عينك وان شئت فالجنة وفي لفظ فعين في الجنة قال فالجنة ورمى بها من يده اى وقدمت عينه الثانية في القتال يوم اليرموك عند مقاتلة الروم فان ابا سفيان رضى الله تعالى عنه كان في ذلك اليوم يحرض المسلمين على قتال الروم والثبات لهم ويقول لهم الله الله عباد الله انصروا الله ينصركم اللهم هذا يوم من ايامك اللهم انزل نصرك على عبادك وذلك في آخر خلافة الصديق فان الصديق رضي الله تعالى عنه توفى وهم في الاستعداد لقتال اليرموك وكان الامير على العسكر خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ولما ولى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ارسل البريد بعزل خالد وولاية ابى عبيدة بن الجراح على العسكر وجاء البريد وقد التحم القتال بين المسلمين والروم واخذته خيول المسلمين يسالونه عن الخبر فلم يخبرهم الا بخير وسلامة واخبرهم عن مدد يجيء اليهم واخفى موت ابى بكر رضي الله تعالى عنه وتامير ابى عبيدة فاتوا الى خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه فاسر اليه موت ابى بكر وولاية عمر رضى الله تعالى عنهما واخبره بما اخبر به الجند فاستحسن ذلك منه واخذ الكتاب فجعله في كنانته وخاف ان هو اظهر ذلك يتخاذل العسكر ثم لما هزم الله الروم وجمعوا الغنائم ودفنوا قتلى المسلمين وقد بلغوا ثلاثة آلاف دفع خالد رضى الله تعالى عنه الكتاب الى ابي عبيدة رضي الله تعالى عنه فتولى ابو عبيدة ثم بعث ابو عبيدة ابا جندل رضى الله تعالى عنه بشيرا الى سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه بالفتح على المسلمين ولما عزل سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه خالد بن الوليد وولى ابا عبيدة خطب الناس وقال اني اعتذر اليكم من خالد بن الوليد انى نزعته واثبت ابا عبيدة بن الجراح فقام اليه عمرو بن حفص وهو ابن عم خالد بن الوليد وابن عم ام سيدنا عمر فقال والله ما عدلت يا عمر لقد نزعت عاملا استعمله

من تكوير الشمس وغير ذلك واجيب بانه لا انكار للعقل في ذلك فانه القمر مخلوق فلله ان يفعل فيه ما يشاء يحكى ان ابا بكر بن الطيب لما ارسله صاحب الدولة لملك الروم بقسطنطينية واخبر ملك الروم بان هذا أجل علماء الاسلام احضر بعض بطارقته ليناظره فقال له تزعمون ان القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم فقال له وهل بينكم وبين المائدة اخوة ونسب اذ رأيتموها ولم ترها اليهود واليونان والمجوس الذين انكروها وهم في جواركم فانحصر ولم يحر جوابا * تنبيه مايذكره بعض القصاص ان القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له اصل وسئل النووي عن رجلين تنازعا في انشقاق القمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما انشق فرقتين ودخلت احداهما في كمه وخرجت من الكم الآخر وقال الاخر بل نزل الى بين يديه فرقتين ولم يدخل في كمه فما جوابه الاثنان مخطئان بل الصواب انه انشق وهو في موضعه من السماء وطلعت منه احدى الشقتين فوق الجبل والاخرى دونه هكذا ثبت في الصحيحين من رواية ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم رد الشمس له روت اسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله تعالى عنها وهي زوج جعفر بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ثم تزوجها أبو بكر رضي الله عنه بعد استشهاد جعفر رضي الله عنه ثم تزوجها علي ابن ابي طالب رضي الله عنه بعد وفاة ابي بكر رضي الله عنه قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فلم يصل علي رضي الله عنه العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء بنت عميس رضي الله عنها ورأيتها غربت ثم رأيتها طلعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم وغمدت سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد قطعت الرحم وجفوت ابن العم فقال عمر رضي الله تعالى عنه انك قريب القرابة حديث السن غضبت لابن عمك ومات ممن جرح بالطائف اثنا عشر رجلا فارتفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى موضع مسجد الطائف الان وكان معه صلى الله عليه وسلم من نسائه ام سلمة وزينب رضي الله تعالى عنهما فضرب لهما قبتين وكان يصلي بين القبتين الصلاة مقصورة مدة حصار الطائف وكانت ثمانية عشر يوما اي غير يومي الدخول والخروج وهذا هو المراد قول فقهائنا لانه صلى الله عليه وسلم اقامها بمكة عام الفتح لحرب هوازن يقصر الصلاة وقيل في مدة حصاره غير ذلك ودخل صلى الله عليه وسلم خيمة ام سلمة وعندها اخوها عبد الله ومخنث واذا المخنث يقول يا عبد الله ان فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان ولما سمعه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل هذا عليكن واراد المخنث باربع التي تقبل بهن عكنها الاربع التي في بطنها ولكل عكنة طرفان فتكون ثمانية من خلفها فهي الثمانية التي تدبر بهن اي وفي الامتاع كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مولى لخالته فاختة بنت عمرو بن عائذ يقال له ماتع وكان يدخل بيوته صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كان يرى انه لا يفطن لشيء من أمر النساء ولا اربة له فسمعه صلى الله عليه وسلم وهو يقول لخالد بن الوليد ويقال لعبد الله أخي أم سلمة ان فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم الطائف غدا فعليك ببادية اي رضي الله تعالى عنها فانها اسلمت وبادية بالياء المثناة تحت لا بالنون بنت غيلان فانها تقبل باربع وتدبر بثمان اذا قامت تثنت واذا جلست تبنت واذا تكلمت تغنت بين رجليها مثل الاناء المكفو ثم بعد كانه الاقحوان فقال صلى الله عليه وسلم لا أرى هذا الخبيث يفطن لما أسمع وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال له قاتلك الله لقد أمعنت النظر ما كنت اظن هذا الخبيث يعرف شيئا من أمر النساء وفي الاغاني ان هيتا بكسر الهاء وقيل بفتحها واسكان التحتية بعدها مثناة والهيت الاحمق المخنث قال لعبد الله بن امية ان فتح الله عليكم الطائف فاسال النبي صلى الله عليه وسلم بادية بنت غيلان فانها رداح شموع بخلاء ان تكلمت تغنت يعني من الغنة واذا قامت تثنت موردة الخدين منخطة المتنين لفعاء الفخذين ممرولة الساقين كانها قضيب بان وفي لفظ كانها خوط بانة قصفت تقبل باربع وتدبر بثمان وبين فخذيها شيء مثل كانه الاناء المكفو ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه قال لقد غلغلت النظر يا عدو الله ثم نفاه من المدينة الى الحمى وقال لا يدخل على احد من نسائكم فقيل له صلى الله عليه وسلم انه يموت جوعا فاذن له ان يدخل المدينة كل جمعة يسال الناس وقيل نفى صلى الله عليه وسلم كلا من ماتع وهيت الى الحمى فشكيا الحاجة فاذن لهما ان ينزلا كل جمعة يسالان الناس ثم يرجعان الى مكانهما فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلا المدينة فاخرجهما ابو بكر رضي الله تعالى عنه فلما توفي دخلا المدينة فاخرجهما عمر رضي الله تعالى عنه ولما مات دخلا وغيلان ابو بادية هو الذي اسلم وعنده عشر نسوة فامره صلى الله عليه وسلم ان يمسك اربعا ويفارق سائرهن

بعد ما غربت ووقعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر رواه الامام ابو جعفر الطحاوي وقال ان أحمد بن صالح المصري كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة واحمد بن صالح من كبار أئمة الحديث الثقات وحسبه ان البخاري روى عنه في صحيحه ولا عبرة باخراج ابن الجوزي لهذا الحديث في الموضوعات فقد اطبق العلماء على تساهله في كتاب الموضوعات حتى أدرج

فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة قال الاسيوطي ومن غريب ما تراه فاعلم فيه حديث من صحيح مسلم قال في المواهب في حديث رد الشمس قد صححه الطحاوي والقاضي عياض قال الزرقاني وناهيك بهما واخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث اسماء بنت عميس رضي الله عنها باسناد حسن ورواه ابن مردويه من حديث ابي هريرة باسناد حسن ايضا ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ الاسلام قاضي القضاة ولي الدين العراقي في شرح التقريب عن اسماء ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا رضي الله عنه في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في حجر علي رضي الله عنه فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فاستيقظ وساله اصليت قال لا وقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس نفسه على نبيه فرد عليه الشمس كي يصلي قالت اسماء فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس وذلك بالصهباء ورواه الطبراني ايضا عن اسماء رضي الله عنها بلفظ آخر قالت اشتغل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا علي اصليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ صلى الله عليه وسلم وجلس في المجلس

واختلف الفقهاء في ذلك فقال فقهاء الحجاز يختار اربعا وقال فقهاء العراق يمسك التي تزوج اولا ثم الذي تليها الى الرابعة واحتج فقهاء الحجاز بترك الاستفصال وغيلان هذا الوافد على كسرى قال له اي ولدك احب اليك فقال الغائب حتى يقدم والمريض حتى يفيق والصغير حتى يكبر وكان المخنثون في زمانه صلى الله عليه وسلم ثلاثة هيت وماتع وهذم وقيل لهم ذلك لانه كان في كلامهم لين وكانوا يختضبون بالحناء كخضاب النساء لا انهم ياتون الفاحشة الكبري ويحتمل ان يكون كل من ماتع وهيت كان معه صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة وقد سمع منهما ما تقدم عنهما ويدل لهذا الاحتمال انه نفاهما وفي البخارى ان القائل لعبد الله ما تقدم هو هيت ويحتمل ان الذى كان معه صلى الله عليه وسلم احدهما وتكرر منه ذكر ما تقدم وتسميته باسم الآخر خلط من بعض الرواة فليتامل وقال اقبل خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه ونادى من يبارز فلم يطلع اليه احد ثم كرر ذلك فلم يطلع اليه احد وناداه عبد يا ليل لا ينزل اليك منا احد ولكن نقيم في حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين فان اقمت حتى يذهب هذا الطعام خرجنا اليك باسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا هو نصب عليهم المنجنيق اى ورمى به كما في كلام غير واحد من أئمتنا وهو اول منجنيق رمى به في الاسلام اي ارشده اليه سلمان الفارسي رضى الله تعالى عنه قال انا كنا بارض فارس ننصب المنجنيقات على الحصون فنصيب من عدونا اي ويقال ان سلمان رضى الله تعالى عنه هو الذى عمله بيده وفيه انه تقدم في خيبر انه لما فتح حصن الصعب وجدوا فيه آلة حرب ودبابات ومنجنيقات الا ان يقال سلمان صنع هذا المنجنيق الذى بالطائف لانه يجوز ان يكون الذي وجدوه في خيبر لم يكن معهم في الطائف وتقدم في خيبر انه صلى الله عليه وسلم لما حاصر الوطيح والسلالم اربعة عشر يوما ولم يخرج احد منهم اهم صلى الله عليه وسلم ان يجعل عليهم المنجنيق وتقدم عن الامتاع انه صلى الله عليه وسلم نصب المنجنيق على حصن النزار وقد يقال ان ذلك لا يخالف قول بعضهم لم ينصب المنجنيق الا في غزوة الطائف لانه يجوز ان يكون مراد هذا البعض لم يرم به الا في غزوة الطائف اى كما اشرنا اليه واول من صنع المنجنيق ابليس فان نمرود اللعين لما اراد ان يلقي ابراهيم عليه الصلاة والسلام في النار بنى الى جنب الجبل جدارا طوله ستون ذراعا وملؤوا الحطب وجعلوا فيه النار ووصلت النار الى رأس ذلك الجدار لم يدروا كيف يلقون ابراهيم فتمثل لهم ابليس لعنه الله في صورة نجار فصنع لهم المنجنيق ونصبوه على رأس الجبل ووضعوه فيه والقوه في تلك النار واول من رمى به في الجاهلية جذيمة الابرش وهو اول من اوقد الشمع ودخل نفر من الصحابة تحت دبابة وزحفوا بها الى جدار الحصن ليحرقوه وفي الامتاع دخلوا تحت دبابتين وكان من جلود البقر فارسلت اليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتل منهم رجال اي والدبابة بفتح الدال المهملة ثم موحدة مشددة وبعد الالف موحدة ثم تاء التانيث وهي آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها الى الاسوار لينقبوها وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع اعنابهم اى ونخيلهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا فسالوه ان يدعها لله وللرحم فقال رسول الله

صلى

فتكلم بكلمتين او ثلاثة كانها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام علي فتوضأ وصلي العصر ثم تكلم صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمشار في الخشبة وطلعت الكواكب وفي لفظ آخر عند الطبراني ايضا في الكبير كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه الوحي يغشي عليه فانزل عليه يوما وهو في حجر علي رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لما سرى عنه صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله بكلمتين او ثلاث فرد عليه الشمس حتي صلى العصر قالت اسماء فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حتي صلى العصر علي رضي الله عنه ومن القواعد ان تعدد الطريق يفيد ان للحديث اصلا قال الزرقاني في شرح المواهب ومن لطائف الاتفاقات الحسنة ان أبا المظفر الواعظ ذكر يوما قريب الغروب فضائل علي رضي الله عنه ورد الشمس له والسماء مغيمة غيما مطبقا فظنوا انها غربت وهموا بالانصراف فاصحت السماء ولاحت الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وقال ارتجالا

لا تغربي ياشمس حتي ينتهي
مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك ان أردت ثناءهم
أنسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن
هذا الوقوف لخيله ولرجله

وروي الطبراني في معجمه الاوسط باسناد حسن عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم امر الشمس ان لا تغرب حتى تقدم عير قريش التى رآها ليلة الاسراء واخبرهم انها تقدم يوم كذا وولى النهار ولم تجيء فتاخرت ساعة من نهار الى ان قدمت وروى يونس بن ابي بكر عن ابن اسحق امام المغازى قال لما اسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التى في العير قالوا له متي تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينتظرون وقد ولى

صلى الله عليه وسلم اني ادعهم الى الله وللرحم ونادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر فخرج منهم بضعة عشر أى وقيل ثلاثة وعشرون رجلا ونزل منهم شخص في بكرة فقيل له أبو بكرة أى وكان عبدا للحرث بن كلدة فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك على أهل الطائف مشقة شديدة قال واستاذن رسول الله ﷺ عيينة بن حصن في ان ياتي ثقيفا في حصنهم ليدعوهم الى الاسلام فاذن له في ذلك فاتاهم فدخل في حصنهم فقال لهم تمسكوا في حصنكم فوالله لنحن اذل من العبيد أي زاد بعضهم ولا تعطوا بايديكم ولا تتاثروا أى لا يشق عليكم قطع هذا الشجر فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما قلت لهم يا عيينة قال امرتهم بالاسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت انما قلت لهم كذا وقص عليه القصة وقال صدقت يا رسول الله اتوب الى الله واليك من ذلك اه ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح الطائف اى فان خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت له يا رسول الله ما يمنعك ان تنهض الى أهل الطائف قال لم يؤذن لنا الآن فيهم وما اظن ان نفتحها الآن وقال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه في ذلك فقال لم يؤذن لنا في قتالهم فقال رضى الله تعالى عنه كيف نقبل في قوم لم ياذن الله فيهم وفي لفظ ان خولة قالت يا رسول الله اعطني ان فتح الله عليك الطائف حلي بادية بنت غيلان او حلي الفارعة بنت عقيل وكانتا من احلي نساء ثقيف فقال لها ﷺ وان كان لم يؤذن لنا في ثقيف يا خوله فذكرت خولة ذلك لعمر ابن الخطاب فدخل على رسول الله ﷺ وقال يا رسول الله ما حديث حدثتنيه خولة زعمت انك قلته قال قلته قال أوما اذن الله فيهم يا رسول الله قال لا قال او أذن بالرحيل قال بلى واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الناس أي وهو نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب او المقام فقال له يا رسول الله ثعلب في جحر ان اقمت اخذته وان تركته لم يضرك فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فاذن في الناس بالرحيل فضج الناس ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا فقال رسول الله ﷺ فاغدوا على القتال فغدوا فاصابت الناس جراحات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان شاء الله فسروا بذلك واذعنوا وجعلوا يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك أى تعجبا من سرعة تغير رأيهم لانهم رأوا ان رأيه صلى الله عليه وسلم ابرك وانفع من رأيهم فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ارتحلوا واستقبلوا قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وقيل يا رسول الله ادع على ثقيف أهل الطائف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين ولعل صاحب الهمزية رحمه الله يشير الى ذلك بقوله

جهلت قومه عليه فاغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء
وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

النهار اي قارب دلك اليوم ان يتم ويدخل الليل بغروب الشمس ولم تجيء العير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس اي امسكها الله بقدرته حتى قدمت العير قبل غروبها وأما حديث لم تحبس الشمس على احد الا ليوشع بن نون عليه السلام فهو محمول على ان المعنى لم تحبس على أحد من الانبياء غيري الا ليوشع وقال الحافظ ابن حجر الحصر محمول على الماضي للانبياء قبل نبينا وليس فيه انها لا تحبس بعد الماضي وحديث حبسها على يوشع لا يعارض حديث علي رضي

أي آذاه صلى الله عليه وسلم قومه من قريش وغيرهم فارخى جفنه حياء وصاحب عدم الانتقام شانه ارخاء الجفن وسع علمه علوم العالمين من الانس والجن والملك ووسع حلمه كل من صدر منه نقص فهو في ذلك بحر واسع لم تتعبه الاعمال الثقيلة ومن جملة من جرح سيدنا عبدالله بن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما رماه بسهم ابو محجن وطوله ذلك الجرح الى ان مات به في خلافة ابيه ورثته زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكان يحبها حبا شديدا مر عليه أبوه يوم جمعة وهو يلاعبها وقد صلى الناس فقال عبدالله اوجمع الناس فسمعه ابوه فقال اشغلتك عن الصلاة لاجرم لا تبرحن حتى تطلقها فطلقها ثم تعب عبدالله بسبب طلاقها فاطلع عليه ابوه يوما فسمعه يقول ابياتا من جملتها

فلم ار مثلي طلق اليوم مثلها * ولا مثلها في غير جرم تطلق

فقال له يا عبدالله راجع عاتكة فقال لابيه قف بمكانك وكان معه غلام مملوك له فقال للغلام أنت حر لوجه الله اشهد أني راجعت عاتكة فلما مات رضي الله تعالى عنه رثته بقولها في أبيات

آليت لا تنفك عيني خزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

ثم تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولما اعرس بها قال له علي كرم الله وجهه ائذن لي أن اكلم عاتكة وقال لاغيرة عليك كلمها فقال لها علي كرم الله وجهه انت القائلة البيت

آليت لا تنفك عيني قريرة * ولا ينفك جلدي اصفرا

قالت لم اقل هكذا وبكت وعادت الى حزنها فقال له عمر رضي الله تعالى عنه يا ابا الحسن ما اردت الا افسادها علي ولما قتل عمر رضي الله تعالى عنه رثته بابيات منها

من لنفس عادها احزانها * ولعين شفها طول السهد
جسد لفف في اكفانه * رحمة الله على ذاك الجسد

ثم تزوجها الزبير رضي الله تعالى عنه ولما قتل رثته بابيات منها تخاطب قاتله

ثكلتك امك ان قتلت لمسلما * حلت عليك عقوبة المتعمد

ثم خطبها سيدنا علي كرم الله وجهه فقالت له لم يبق للاسلام غيرك وانا انفس بك عن القتل ومن ثم قيل في حقها من اراد الشهادة فعليه بعاتكة وعند منصرفه صلى الله عليه وسلم من ذلك أي وبينا هو يسير ليلا بواد بقرب الطائف اذ غشي سدرة في سواد الليل وهو في سن النوم فانفرجت السدرة له نصفين فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين نصفيها وبقيت منفرجة على حالها الى وعند انحداره صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة لقيه سراقة وهو واضع الكتاب الذي كتبه له صلى الله عليه وسلم عند الهجرة بين اصبعيه وينادي انا سراقة وهذا كتابي فقال صلى الله عليه وسلم هذا يوم وفاء ومودة ادنوه فادنوه منه وساق اليه الصدقة وساله عن الضالة من الابل ترد حوضه الذي ملأه لابله هل له في ذلك من اجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم في كل ذات كبد حراء اجر وعند وصوله صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة احصي السبي فكان ستة الاف رأس والابل اربعة وعشرين الفا والغنم اكثر من اربعين الفا

الله عنه لانه في قصة يوشع كان حبسها قبل الغروب وفي قصة علي كان حبسها بعد الغروب وقوله الا ليوشع بن نون يعني حين قاتل الجبارين بعد وفاة موسى وهرون عليهما السلام وكان يوشع خليفة موسى عليه السلام وهو القائم بالرسالة بعده بدعاء الله تعالى ان يديه من الارض المقدسة رمية حجر وقاتلهم يوم الجمعة فلما قاربت الشمس الغروب خاف ان تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت ولا يحل له قتالهم فيه ودعا الله تعالى فرد عليه الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم قيل كان علم النجم صحيحا قبل ذلك فلما ردت الشمس ليوشع عليه السلام بطل اكثره ولما ردت لعلي رضي الله عنه بطل جميعه

﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم كلام الشجر له وانقياده له وشهادته له بالرسالة

واحاديث كلام الشجر له كثيرة شهيرة رواها اهل السنن عن كثير من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعبدالله بن عباس وعائشة وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عمر وجابر بن عبدالله وأسامة بن زيد وأنس ابن مالك ويعلى بن مرة وغيرهم ورواها عنهم اضعافهم من التابعين قال القاضي عياض في الشفاء فصارت في انتشارها من القوة حيث هي قال الشهاب الخفاجي يعني انها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حتى بلغت التواتر المعنوي وصارت في مرتبة قوية

الفاوأربعة آلاف وقية فضة فاعطي صلى الله عليه وسلم للمؤلفة اي من اسلم من اهل مكة فكان اولهم اباسفيان بن حرب رضي الله عنه اعط اربعين أوقية ومائة من الابل وقال ابني يزيد وقال له يزيد الخير فاعطاه كذلك وقال ابني معاوية فاعطاه كذلك فاخذ أبوسفيان رضي الله عنه ثلثمائة من الابل ومائة وعشرين أوقية من الفضة وقال بابي أنت وأمي يارسول الله لانت كريم في الحرب وفي السلم اى وفي لفظ لقد حاربتك فنعم المحارب كنت وقد سالمتك فنعم المسالم انت هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا وأعطى حكيم بن حزام رضى الله عنه مائة من الابل ثم ساله مائة اخري فاعطاه اياها أى وفي الامتاع وساله حكيم بن حزام مائة من الابل فاعطاه ثم ساله مائة فاعطاه ثم ساله مائة فاعطاه وقال له ياحكيم هذا المال خضر حلو من اخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى ياكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فاخذ حكيم المائة الاولى وترك ما عداها أى وقال يارسول الله والذي بعثك بالحق نبيا لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى افارق الدنيا فكان ابوبكر رضى الله عنه يدعوه كيما يعطيه العطاء فيابى ان يقبل منه شيا ثم ان عمر رضي الله عنه دعاه ليعطيه فابى ان يقبله فقال عمر يامعشر المسلمين اني اعرض عليه حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيابى ان ياخذه وأعطي صلى الله عليه وسلم الاقرع بن حابس مائة من الابل وأعطى عيينة مثله وأعطي العباس بن مرداس اربعين من الابل فقال في ذلك شعرا اى يعاتبه صلى الله عليه وسلم به حيث فضل الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن عليه وهو * اتجعل نهبي ونهب العبيد * يعني فرسه * بين عيينة والاقرع

فما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في مجمع

وما كنت دون امرىء منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فاعطاه صلى الله عليه وسلم تمام المائة اى * وفي رواية انه قال اقطعوا عني لسانه وفي الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال يا أبا بكر اقطع لسانه عني واعطه مائة من الابل هذا كلامه وحينئذ يتوقف في قولهم فظن ناس انه صلى الله عليه وسلم أمر أن يمثل به وفزع هو أيضا لذلك فاتي به الى الغنائم وقيل له خذ منها ماشئت فقال انما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطع لساني بالعطاء فكره أن ياخذ منها شيا فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلة وفي رواية فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وروى بدل فما كان حصن ولا حابس فما كان بدر ولا حابس وهو صحيح أيضا لان بدرا أحد حصن أبوا بيه فانتسب تارة الى ابيه حصن وتارة الى جد أبيه بدر فان عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ويروى بدل مرداس شيخي بالافراد يعني والده ويروي بالتثنية يعني والده وجده وفي كلام بعضهم كانت المؤلفة ثلاثة اصناف صنف يتالفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا كصفوان بن امية وصنف ليثبت اسلامهم كابي سفيان بن حرب وصنف لدفع شرهم كعيينة بن حصن والعباس بن مرداس والاقرع بن حابس لكن في رواية قيل يارسول الله أعطيت عيينة بن حصن والاقرع بن حابس مائة وتركت جعيل بن سراقة فقال أما والذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع

لا يشك فيها أحد من العقلاء روى البيهقي والبزار والدارمي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه اعرابي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أين تريد يا اعرابي قال أهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه السمرة وهي بشاطىء الوادي فاقبلت تخد الارض أي تشقها بعروقها حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم فاستشهدها ثلاثا أي طلب منها أن تشهد له بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت له بانه رسول الله حقا ثم رجعت الى مكانها ورجع الاعرابي الي قومه وقال يارسول الله ان يتبعوني آتك بهم والا رجعت اليك وكنت معك وروى البزار عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية اى علامة تدل على انه رسول الله فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فدعاها فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يارسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الاعرابي ائذن لى اسجد لك أي بعد أن آمن به كما صرح به في رواية فقال له صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها فقال الاعرابي فاذن لى اقبل يديك ورجليك فاذن له وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال آذنت اى أعلمت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وان الجن قالوا له من يشهد لك اى بانك رسول الله فقال هذه الشجرة ثم دعاها للشهادة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وتقدم في مباحث البعثة قبل باب ذكر تعذيب قريش للمستضعفين قصة ركانة رضي الله

منه فانه أسلم بعد ذلك وفيها انه صلى الله عليه وسلم لما طلب منه ان يسلم قال لا الا أن تريني آية فقال له ان أريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمر فقال لها اقبلي باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كانت بين يديه صلى الله عليه وسلم ويدي ركانة فقال أريتني امرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان أمرتها فرجعت تسلم قال نعم فامرها فرجعت والتامت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له أسلم فابى وبقي على كفره حتى كان عام الفتح فاسلم رضى الله عنه وتوفي بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله عنه سنة اثنتين وأربعين وروى البيهقى عن الحسن ان النبى صلى الله عليه وسلم شكا الى ربه من قومه في أوائل البعثة قبل قوة الاسلام واهله وانهم يخوفونه وساله آية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى الله اليه ان ائت وادى كذا من اودية مكة فان فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ماشاء الله اى جعله مدة قائما عنده ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال علمت ان لا مخافة على ورواه بنحو هذا البزار وابو يعلى والبيهقى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم قال أرني آية لا أبالى من كذبني فذكر نحوه وروي البخاري في تاريخه والبيهقي والدارمي والترمذى بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء اعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال بم اعرف انك رسول الله فقال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتؤمن بي قال نعم فدعا فجعل ينقر اي يثب حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه فاسلم الاعرابى * وفي رواية فجعل ينزل من النخلة شيأ فشيأ حتى سقط على الارض فاقبل وهو يسجد ويرفع حتى انتهى الى النبي صلي الله عليه وسلم ثم قال له ارجع فعاد فاسلم الاعرابي وقال اشهد انك رسول الله والمراد من العذق العرجون بما فيه من الشماريخ وروى الامام من

الارض كلهم مثل عيينة والاقرع ولكني تاقتهما وكان جعيل بن سراقه الى اسلامه وتقدم ان جعيلا هذا كان من فقراء المسلمين وكان رجلا صالحا دميما قبيحا وهو الذى تصور الشيطان بصورته يوم احد وقال ان محمدا قدمات وجاء انى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية ان يكب في النار على وجهه وقال صلى الله عليه وسلم ان من الناس ناسا نكلهم الى ايمانهم منهم فرات بن حيان وأعطي صفوان بن أمية ما تقدم ذكره وهو جميع ما فى الشعب من غنم وابل وبقر وكان مملوأ وكان ذلك سببا لاسلامه كما تقدم أقول في كلام ابن الجوزي رحمه الله اعلم ان من المؤلفة قلوبهم اقواما تؤلفوا في بدء الاسلام ثم تمكن الاسلام فى قلوبهم فخرجوا بذلك عن حد المؤلفة وانما ذكرهم العلماء فى المؤلفة اعتبارا ببداية أحوالهم وفيهم من لم يعلم منه حسن الاسلام والظاهر بقاؤه على حالة التاليف ولا يمكن ان يفرق بين من حسن اسلامه وبين من لم يحسن اسلامه لجواز ان يكون من ظننا به شرا انه على خلاف ذلك اذ الانسان قد يتغير عن حاله لا ينقل الينا امره فالواجب ان نظن بكل من نقل عنه الاسلام خيرا وقد جاء عن انس رضى الله عنه قال كان الرجل ياتى النبي صلى الله عليه وسلم فيسلم لشيء يعطاه من الدنيا فلا يمسي حتى يكون الاسلام أحب اليه من الدنيا وما فيها هذا كلام ابن الجوزى والعباس بن مرداس أسلم قبل الفتح بيسير وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية والله اعلم ولا زال صلى الله عليه وسلم يعطى الرجل ما بين مائة وخمسين من الابل أى وذلك من الخمس كما سياتي ثم أمر صلي الله عليه وسلم زيد بن ثابت باحصاء الناس والغنائم أى ما بقي منها وهي الاربعة الاخماس الباقية بعد عطاء من تقدم ما تقدم من الخمس وقسمتها عليهم اى بعد ان اجتمعوا اليه وصاروا يقولون يارسول الله اقسم علينا حتى الجؤه صلى الله عليه وسلم الى شجرة فاختطفت رداءه فقال ردوا ردائى أيها الناس فوالله ان كان لى عدد شجر تهامة نعما قسمته عليكم ثم لا تجدوني بخيلا لا جبانا ولا كذوبا ثم قام صلى الله عليه وسلم الى جنب بعيره فاخذ وبرة من سنامه ثم رفعها ثم قال أيها الناس والله مالى من فيئكم اى غنيمتكم الا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم فادوا الخياط والمخيط فان الغلول يكون على أهله عارا وشنارا ونارا يوم القيامة فجاء شخص من الانصار بكبة من خيوط شعر وقال يارسول الله أخذت هذه الكبة اعمل بها بردعة بعير لى دبر فقال أما نصيبى منها فلك قال أما اذا بلغت هذا فلا حاجة لي بها وألقاها وروي أن عقيلا كان دفع لامرأته ابرة أخذها من الغنيمة أى فانها قالت له انى قد علمت انك قد قاتلت فماذا أصبت من الغنيمة فقال دونك هذه الابرة تخيطين بها ثيابك فسمع منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اخذ شيأ فليرده حتى الخياط والمخيط فرجع وأخذها منها والقاها فى الغنائم وفى كلام السهيلى ان أبا جهم ابن حذيفة العدوى كان على الانفال يوم حنين فجاءه خالد بن البرصاء واخذ من الانفال زمام شعر فمانعه ابو جهم فلما تمانعا ضربه ابو جهم بالقوس فشجه منقلة فاستعدى عليه خالد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خذ خمسين شاة ودعه فقال اقدني منه فقال خذ مائة ودعه فقال اقدنى منه فقال خذ خمسين ومائة ودعه وليس لك الا ذلك ولا اقيد لك من وال عليك فقومت المائة الخمسون بخمس عشرة فريضة

أحمد عن جابر رضي الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين قد خضب بالدماء ضربه بعض اهل مكة حين كذبوه فقال له مالك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بي هؤلاء وفعلوا فقال له جبريل اتحب ان أريك آية أي تزيل حزنك فقال نعم فنظر الى شجر من وراء الوادي أي الذي كان فيه مع جبريل فقال ادع تلك الشجرة فدعاها قال فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها فلترجع الى مكانها فامرها فرجعت الى مكانها فقال صلى الله عليه وسلم حسبي حسبي * وفي رواية لا أبالي من كذبني من قومي بعد هذا أي لان الجماد اذا اطاع دعوته دل ذلك على ان الناس تطيعه لكن تاخير ذلك لحكم خفية ورواه الدرامي من حديث انس والبيهقي من حديث عمر رضي الله عنهما وروى الامام احمد والطبراني والبيهقي عن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير فذكر الحديث الى ان قال ثم سرنا حتي نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض حتى غطيته * وفي رواية طاقت به ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ صلى الله عليه وسلم ذكرت له ذلك فقال هي شجرة استاذنت ربها في ان تسلم علي فاذن لها وروى مسلم في صحيحه عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة حتى نزلنا واديا افيح أي واسعا فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به فاذا شجرتان في شاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي معي باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده والمخشوش الذي وضع له الخشاش وهو عود يجعل في انف البعير لينقاد بسهولة ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتامتا والمنصف بفتح

من الابل فهنا جعل ديةالمقتلة خمس عشرة وبيضة لما قسم ما في حصة كل رجل ان عامر الابل وار بعين شاة فان كان فارسا أخذ ثنتي عشرة بعيرا وعشرون ومائة شاة وان كان معه اكثر من فرس لم يسهم لا لفرس واحد ومن ثم لم يعط الزبير رضي الله عنه الا لفرس واحد وكان معه افراس وبه اخذ امامنا الشافعي رضي الله عنه فقال لا يعطى الا لفرس واحد وقال بعض المنافقين قيل وهو معتب هذه القسمة ما عدل فيها ولا اريد بها وجه الله فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغير وجهه الشريف حتى صار كالصرف بكسر الصاد المهملة وهو شيء احمر يدبغ به الجلد وفي رواية فغضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا واحمر وجهه وقال من يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله رحمة الله على اخي موسى عليه السلام لقد أوذي باكثر من هذا فصبر انتهي ولعل من ذلك ان قارون ابن خالة موسى عليه السلام أو ابن عمه حمله البغي والشر على أن أحضر امرأة بغيا وجعل لها جعلا على ان ترمي موسي بنفسها واحضر بني اسرائيل واعلمهم بذلك فدعا موسى عليه السلام وقال له ان قومك اجتمعوا فاخرج اليهم لتامرهم وتنهاهم فخرج عليه السلام اليهم وقال لهم يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افتري جلدناه ومن زني محصنا رجمناه حتى يموت ومن زني وهو لم يحصن جلدناه مائة جلدة فقال له قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل زعموا انك فجرت بفلانة فقال ادعها فان قالت فهو كما قالت فقال موسى يا فلانة أنشدك بالذي انزل التوراة أصدق قارون فقالت أما اذا انشدتني فقد اشهد انك بريء وانك رسول الله وأن قارون جعل لي جعلا على أن ارميك بنفسي وجاءت بخريطتين فيهما دراهم عليهما ختمه وقالت للملا ان قارون أعطاني هاتين وهذا ختمه واعوذ بالله ان افتري على الله فنظر القوم الى ختمه فعلموا صدقها فخر موسى ساجدا فاوحى الله اليه أن ارفع رأسك فاني أمرت الارض ان تطيعك فخسف به فهو يتجلجل في الارض يخسف به في كل يوم مقدار قامة الى يوم القيامة ولعل من ذلك ايضا ان بني اسرائيل قالوا لموسي عليه السلام ان طائفة تزعم ان الله لا يكلمك فخذ منا من يذهب معك ليسمعوا كلامه تعالى فيؤمنوا فاوحي الله لموسي عليه السلام ان اختر سبعين من خيارهم واصعد بهم الجبل انت وهرون واستخلف يوشع ففعل فلما سمعوا كلامه سبحانه سالوه أن يريهم الله جهرة ومن ذلك نسبته الى انه قتل اخاه هارون عليهما السلام كما تقدم أي وقيل ان قائل هذه القسمة ما عدل فيها ذو الخويصرة التميمي وهو غير ذي الخويصرة اليماني الذي بال في المسجد فقد جاء ان ذا الخويصرة التميمي وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجل فكيف رأيت قال لم ارك عدلت فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ويحك اذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون فقال عمر رضي الله عنه ألا نقتله قيل وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه الا أضرب عنقه قال الامام النووي رحمه الله ولا تعارض لان كل واحد منهما استاذن فيه أي ففي مسلم فقام اليه عمر رضي الله عنه فقال يا رسول الله ألا اضرب عنقه قال لا ثم ادبر فقام اليه خالد رضي الله عنه فقال يا رسول الله ألا أضرب عنقه قال لا لعله ان يكون يصلي قال خالد رضي

الميم والصاد بينهما نون ساكنة آخره فاء الموضع الوسط بين الموضعين والالتئام الاجتماع * وفي رواية أنه لما أخذ بغصن احداهما
قال لجابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما فزحفت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما
فرجعت احضر أي أعدو وأجري وجلست أحدث نفسي بهذا الامر الغريب العجيب فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق ووقف صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا
شمالا وهو حديث واحد طوله بعض الرواة واختصره بعضهم وروى البيهقي وأبو يعلى عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي تقصده وتعينه فقلت ان الوادي ما فيه موضع خال عن الناس فقال هل ترى من نخل او حجارة قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله يأمركن أن تقاربن وقل للحجارة مثل ذلك فقلت لهن ذلك فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما فقضى حاجته ثم قال لي قل لهن يفترقن والذي نفسي بيده لرأيتهن تفرقن حتى عدن الى مواضعهن وروى الامام أحمد والبيهقي والطبراني بسند صحيح عن يعلى بن
سيابة رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين
وقال في رواية فامر وديتين أي نخلتين صغيرتين فانضمتا وعن غيلان بن سلمة الثقفي رضي الله عنه مثله في شجرتين وعن ابن مسعود
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزوة حنين ولله در البوصيري حيث يقول جاءت لدعوته الاشجار ساجدة *
تمشي اليه على ساق بلا قدم كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط في اللقم أي الطريق { ومن

الله عنه كم مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم وفي مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بعث علي كرم الله وجهه وهو باليمن بذهبة في تربتها أي لم تخلص من ترابها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أربعة نفر الاقرع بن حابس وعيينة بن بدر وعلقمة بن علاثة وزيد الخير فغضبت قريش فقالوا يعطي صناديد نجد ويدعنا فقال رسول الله ﷺ اني انما فعلت ذلك لاتألفهم فجاء رجل فقال اتق الله يا محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يطع الله ان عصيته يأمنني على أهل الارض ولا تأمنوني وفي رواية ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء فجاء رجل فقال ما تقدم فقال له ويلك أو لست أحق أهل الارض أن يتقي الله ولعل هذه القسمة غير قسمة غنائم حنين وان الرجل الذي قال له ما ذكر يحتمل ان يكون واحدا منهما أو من شيعة ذلك الرجل الذي قال له في حدهما وذكر بعضهم ان ذا الخويصرة أصل الخوارج وانه صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية * وفي رواية قال عمر رضي الله عنه يا رسول الله دعني أقتل هذا المنافق فقال معاذ الله أن يتحدث الناس اني أقتل أصحابي ان هذا وأصحابه أي جماعة يخرجون من صلبه فهو أصل الخوارج يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم أي لفظ تراقيهم لا ينقطع قلوبهم ليس لهم حظ منه الا تلاوة الفم وهم يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الاوثان لئن أدركتهم لاقتلنهم قتل عاد وثمود أي قتلا مستأصلا لا أبقي منهم * وفي رواية اذا لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة وبهذا استدل من قال بجواز قتل الخوارج وقد قاتلهم علي كرم الله وجهه وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن الخوارج أهم كفار فقال من الكفر فروا فقيل أمنافقون فقال ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا وهؤلاء يذكرون الله كثيرا فقيل ما هم قال أصابتهم فتنة فعموا وصموا أي بجهلهم صلى الله عليه وسلم كفارا لانهم تعلقوا بضرب من التأويل وحينئذ يكون المراد بالدين في وصفهم بالمروق من الدين الطاعة لا الملة ويبعده رواية بدل الايمان الاسلام وكان مصداق ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذا الخويصرة خرج منه حرقوص المعروف بذي الثدية وهو أول من بويع من الخوارج بالامامة والخوارج قوم يكفرون مرتكب الكبيرة ويحكمون بحبوط عمل مرتكبها وبتخليده في النار ويحكمون بأن دار الاسلام تصير بظهور الكبائر فيها دار كفر ولا يصلون جماعة وسبب مقاتلة سيدنا علي كرم الله وجهه لهم انهم نقموا عليه التحكيم الذي وقع بينه وبين معاوية في صفين وقالوا لا حكم الا لله وأنت كفرت حيث حكمت الحكمين فان شهدت على نفسك انك كفرت فيما كان من تحكيمك الحكمين واستأنفت التوبة والايمان نظرنا فيما سألتنا من الرجوع اليك وان تكن الاخرى فانا نابذناك على سواء ان الله لا يهدي كيد الخائنين فلما أيس من رجوعهم اليه قاتلهم وحرقوص هذا أول مارق من الدين وكان رجلا اسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة فقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم ان فيهم رجلا له عضد وليس له
ذراع

ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض ولما قاتلهم علي كرم الله وجهه وقتل غالبهم التمس ذلك الرجل فأتي به فاذا هو له ثدي كثدي المرأة * وفي رواية التمسوه في القتلى فلم يجدوه فقام علي كرم الله وجهه بنفسه فطاف في القتلى فاخرجوه من بينهم فكبر علي كرم الله وجهه ثم قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته يقول ان فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض فقام اليه عبيدة السلماني فقال يا امير المؤمنين والله الذي لا اله الا هو اسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اي والله الذي لا اله الا هو حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلف له وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لما اعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعطي من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ولم يكن في الانصار منها شيء وجدوا في انفسهم اي غضبوا حتى كثرت منهم القالة أي وهي القول الردي أي حتى قال بعضهم ان هذا لهو العجب يعطي قريشا وفي لفظ الطلقاء والمهاجرين ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم أي وفي لفظ ان هذا لعجب ان سيوفنا تقطر من دماء قريش وان غنائمنا ترد عليهم * وفي رواية اذا كانت شديدة ندعى اليها ويعطي الغنيمة غيرنا وفي رواية سيوفنا تقطر من دمائهم هم يذهبون بالغنم فان كان من امر الله صبرنا وان كان من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم استعتبناه فدخل عليه سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال يا رسول الله ان هذا الحي من الانصار قد وجدوا عليك في انفسهم أي غضبوا لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت قسمت في قومك واعطيت عطايا عظاما ولم يكن في هذا الحي من الانصار منها شيء قال فاين انت من ذلك يا سعد فقال يارسول الله ما انا الا من قومي قال فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة أي وهي قبة من ادم أي وفي كلام بعضهم ان الحظيرة الزريبة التي تجعل للابل والغنم من الشجر لتقيهما من البرد والريح ولعل هذا باعتبار الاصل فلا مخالفة فلما اجتمعوا اتى سعد اليه صلى الله عليه وسلم فقال اجتمع لك هذا الحي من الانصار فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي فقال لهم افيكم احد من غيركم قالوا لا الا ابن اخت لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن اخت القوم منهم * وفي رواية قال من كان ههنا من غير الانصار فليرجع الى رحله وذكر بعضهم ان سبب ايراد ابن اخت القوم منهم انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه اجمع لي من هنا من قريش فجمعهم له ثم قال نخرج اليهم ام يدخلون قال اخرج فخرج صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش هل فيكم من غيركم قالوا لا الا ابن اختنا فذكره ثم قال يا معشر قريش ان أولى الناس بي المتقون فانظروا لا يأتي الناس بالاعمال يوم القيامة وتأتون بالدنيا تحملونها فاصد عنكم بوجهي فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال يا معشر الانصار ما مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها علي في انفسكم والمقالة كما علمت الكلام الردي والجدة الغضب والمعروف انه الموجدة ومن ثم قال بعضهم الجدة في المال والموجدة في الغضب الم آتكم ضلالا فهداكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي واعداء فالف بين قلوبكم أي وفي لفظ وكنتم متفرقين فجمعكم الله وفي لفظ يا معشر الانصار الم يمن الله عليكم بالايمان وخصكم بالكرامة وسماكم باحسن الاسماء أنصار الله وانصار رسوله

﴿ معجزاته ﴾ صلى الله عليه وسلم تسليم الحجر والشجر عليه وسجودهما له وطاعتهما له روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن ابعث اني لاعرفه الآن قال بعضهم هو الحجر الاسود وقال آخرون هو غيره بزقاق يعرف بزقاق الحجر وبزقاق المرفق بمكة والناس يتبركون بلمسه ويقولون انه هو الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز به ذكر ذلك في المواهب ثم نقل عن ابن رشد وجماعة من أئمة المالكية منهم الامام أبو حفص الميانشي قال أخبرني كل من لقيته بمكة ان هذا الحجر المبني في الجدار المقابل لدار ابي بكر رضي الله عنه المشهور هو الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي والدارمي والحاكم وصححه عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله قال العلماء وانما كان هذا في مدة نبوته تطمينا لقلبه وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعد ذلك واجابتهم لدعوته وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله وروى أبو نعيم عن برة رضي الله عنها قالت لما أراد الله كرامة نبيه صلى الله عليه وسلم كان يمضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يارسول الله وكان يرد عليهم وعليكم السلام قال بعضهم فهذا امر يقر به الحجر فكيف ينكره البشر رواه البزار وابو نعيم وروى البيهقي عن جابر رضي الله عنه قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم أي في ابتداء البعثة يمر بحجر ولا شجر الا سجد له ومن ذلك تأمين اسكفة الباب اي عتبته وحوائط البيت على دعائه صلى الله عليه وسلم روى البيهقي وابن ماجه عن أبي اسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه يا أبا الفضل لا ترم بكسر الراء أي لا تبرح من منزلك انت و بنوك حتى آتيك فان لي فيكم حاجة فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف أصبحتم قالوا أصبحنا بخير نحمد الله تعالى فقال لهم تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى اذا أمكنوه أي اتصلوا به اشتمل عليهم بملاءته فقال يارب هذا عمي وصنو أبي أي مثله وهؤلاء أهل بيتي أي من أهل بيتي

قالوا الى الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال صلى الله عليه وسلم ألا تجيبوني يا معشر الانصار قالوا بماذا نجيبك يارسول الله ولرسوله المنة والفضل أي وفي لفظ قالوا يارسول الله وجدتنا في ظلمة فاخرجنا الله بك الى النور ووجدتنا على شفا جرف من النار فانقذنا الله بك ووجدتنا ضلالا فهدانا الله بك فرضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فافعل ماشئت فانت يارسول الله في حل قال اذا والله لو شئتم لقلتم وصدقتم اتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فاغنيناك أي وخائفا فآمناك أوبي أي ان كان متعديا كما هنا فالافصح المدوان كان قاصرا فالافصح القصر قال تعالى وآويناهما الى ربوة وقال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف قال فقال الانصار المن لله ولرسوله والفضل علينا وعلى غيرنا فقال ماحديث بلغني عنكم فسكتوا فقال ماحديث بلغني عنكم فقال فقهاء الانصار أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيأ وأما ناس منا حديثة اسنانهم قالوا يغفر الله تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا و يتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم أي وفي رواية ما الذي بلغني عنكم قالوا هو الذي بلغك لانهم لا يكذبون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعطي رجالا حديثي عهد بكفر اتألفهم أي وفي رواية ان قريشا حديثو عهد بجاهلية ومصيبة واني اردت ان اجبرهم وأتألفهم اوجدتم يا معشر الانصار في أنفسكم في لعاعة بضم اللام وبعينين مهملتين أي شيء قليل من الدنيا ألفت بها قوما ليسلموا أي ليحسن اسلامهم و يسلم غيرهم تبعا لهم ووكلتكم الى اسلامكم الثابت الذي لا يزلزل الا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت رجلا من الانصار أي لا نتسبت الى المدينة ولو سلك الناس شعبا أي بكسر الشين المعجمة وهو ما انفرج بين جبلين وسلك الانصار شعبا لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وفي لفظ فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم وقالوا رضينا برسول الله ﷺ قسما وحظا ثم انصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا أي وقوله صلى الله عليه وسلم للانصار ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي ليس من المن المذموم في قوله صلى الله عليه وسلم آفة السماحة المن بل هو من التذكير بنعمة الله لكن يشكل على ذلك قوله ﷺ للانصار ألا تجيبوني الخ فليتامل أي وقد جاء في مدح الانصار اللهم اغفر للانصار وابناء الانصار ولازواج الانصار ولذراري الانصار والانصار كرشي وعيبتي وان الناس يكثرون و يقلون فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وفي لفظ آخر اللهم صل على الانصار وعلى ذرية الانصار وعلى ذرية ذرية الانصار وقال للانصار انتم شعار والناس دثار أي والشعار الثوب الذي يلي الجسد والدثار الثوب الذي يكون فوق ذلك الثوب فهم الصق به وأقرب اليه ﷺ من غيرهم وقال الانصار حبهم ايمان و بغضهم نفاق اللهم اغفر للانصار ولابناء الانصار ولابناء أبناء الانصار ولنساء الانصار ولنساء ابناء الانصار ولنساء ابناء ابناء الانصار وفي لفظ اللهم اغفر للانصار ولذراري الانصار ولذراري ذراريهم ولمواليهم ولجيرانهم لا يبغض الانصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر وقال لا تؤذوا الانصار فمن آذاهم فقد آذاني ومن نصرهم فقد نصرني ومن احبهم

فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه قال فامنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت آمين آمين آمين وبنو العباس هؤلاء هم الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن وسعيد واختهم ام حبيبة رضي الله عنهم وفيهم يقول عبد الله الهلالي

ماولدت نجيبة من فحل
بجبل نعلمه او سهل
كستة من بطن ام الفضل
اكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل
وخاتم الرسل وخير الرسل

وروى الامام احمد والبخاري والترمذي وابن ماجه عن انس بن مالك رضي الله عنه قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان وروى مسلم مثل هذا عن ابي هريرة رضي الله عنه في حراء وزاد وقال فقد ومعه علي وطلحة والزبير وفي رواية وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم وقال فانما عليك نبي أو صديق أو شهيد وأو للتقسيم وروى مسلم أيضا والترمذي والنسائي في حراء ايضا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال ومعه عشرة من اصحابه وزاد فيهم عبد الرحمن ابن عوف وسعيد بن زيد * وفي رواية انه وقع مثل ذلك وهو على ثبير ويجمع بين الروايات بتعدد القصة وتكررها ومانع من

فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ومن بغى عليهم فقد بغى علي ومن قضى لهم حاجة كنت في حاجته يوم القيامة أسرع أن الله اختار دارهم لاعزاز دينه واختارهم لنبيه أنصارا وقال صلى الله عليه وسلم حب الأنصار آية الايمان وبغضهم آية النفاق وقال في الانصار لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم الا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وقال لهم اللهم انتم أحب الناس الي قاله ثلاثا قال وقال حسان رضي الله عنه في مدح الانصار

سماهم الله أنصارا بنصرهم * دين الهدى وعوان الحرب

وسارعوا في سبيل الله واعترفوا * للنائبات وما خافوا وما ضجروا

انتهى أي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم نظير ذلك فعن عمرو بن تغلبة أنه صلى الله عليه وسلم سبى فأعطى قوما ومنع قوما وقال انا لنعطي قوما نخشى هلعهم وجزعهم ونكل قوما الى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن تغلبة وكان عمرو رضي الله عنه يقول ما يسرني ان لي بها حمر النعم ولما أسرت أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاعة الشيماء بشين معجمة مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة وميم ممدودة ويقال الشماء بغير ياء واختلف في اسمها صارت تقول والله اني أخت صاحبكم ولا يصدقونها فأخذها طائفة من الانصار حتى أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا محمد اني أختك قال وما علامة ذلك الحديث ثم قال لها ارجعي الى الجعرانة تكونين مع قومك فاني أمضي الى الطائف فرجعت الى الجعرانة فلما قدم صلى الله عليه وسلم الجعرانة جاءته فقالت يا رسول الله اني أختك أي وأنشدته أبياتا قال وما علامة ذلك كسرا قال فلانة خطاب أو أنت قالت عضة عضضتنيها في ظهري * وفي رواية في وجهي * وفي رواية في ابهامي وأنا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة * وفي رواية قال لها ان تكوني صادقة فان بك مني أثرا لن يبلى فكشفت عن عضدها ثم قالت نعم يا رسول الله حملتك وأنت صغير فعضضتني هذه العضة فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فليتأمل وعند ذلك قام صلى الله عليه وسلم لها قائما وبسط لها رداءه وأجلسها عليه أي ودمعت عيناه وسألها عن أمه وأبيه فأخبرته بموتهما أي وقال لها سلي تعطي واشفعي تشفعي فاستوهبته السبي أي بعد أن قال لها قومها ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته فسألته قومك لرجونا ان يحابينا فأتته فقالت أتعرفني قال ما ينكرك فمن أنت قالت أنا أختك بنت أبي ذؤيب وآية ذلك اني حملتك ذات يوم فعضضتني عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها ثم استوهبته السبي وستة آلاف فوهبه لها فما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة هي أيمن على قومها منها وخيرها صلى الله عليه وسلم وقال ان أحببت فعندي محببة مكرمة وان أحببت أمتعك وترجعي الى قومك قالت بل تمتعني وتردني الى قومي فأعطاها غلاما يقال له مكحول وجارية وقيل بل أعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وقيل ان القادمة عليه صلى الله عليه وسلم أمه من الرضاع التي هي حليمة وتقدم الكلام على ذلك قال بعضهم وهذا العطاء الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤلفة من قريش انما كان من خمس الخمس

ذلك ورجف الجبل هذا هو تحركه طربا بصعودهم عليه أو خوفا وهيبة واجلالا وليست رجفة غضب كرجفته ببني اسرائيل لما حرفوا الكلم وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وروى البخاري ومسلم والبزار والطبراني وأبو يعلى عن جابر ابن عبد الله وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل فما أشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم * وفي رواية لابن مسعود رضي الله عنه فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ولا تنافي بين الروايتين لاحتمال أن يفسر قوله يطعنها بانه يشير اليها من غير مس ليوافق ما قبله أو انها لكثرتها كان يشير الى بعضها من غير مس ويطعن بعضها بمس لطيف لا يقتضي سقوطها عادة وعلى الحالين يكون سقوطها معجزة له صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي والبيهقي في حديث بحيرا الراهب وهو بفتح الباء مقصورا في ابتداء أمره صلى الله عليه وسلم وهو صغير السن لم يبعث حين خرج مع عمه أبي طالب في تجارة وكان الراهب لا يخرج الى أحد فخرج تلك المرة فجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش من أين عرفت هذا فقال لانه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي ولانه أقبل وعليه غمامة تظله ولما دنا من القوم وقد سبقوه الى فيء الشجرة جلس صلى الله عليه وسلم فمال الفيء اليه * ومما يلتحق بذلك تأثير قدميه صلى الله عليه وسلم في الحجارة والانة الصخر له قال الشهاب الخفاجي

الذى هو سهمه صلى الله عليه وسلم لامن أربعة أخماس الغنيمة والالاستاذن الغانمين في ذلك لانهم ملكوها بحوزهم لها ثم قدم صلى الله عليه وسلم وفد هوازن وهم أربعة عشر رجلا مسلمين وأسهم زهير بن صرد وفى لفظ يكنى ابى صرد وأبو برقان بالموحدة وعم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة أى فقالوا يارسول الله انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالا يخفى عليك * وفى رواية قالوا يارسول الله ان فيمن أصبتهم الامهات والاخوات والعمات والخالات وهن مخزي الاقوام ونرغب الى الله واليك يارسول الله وقال زهير يارسول الله انما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك أى لان مرضعته صلى الله عليه وسلم حليمة كانت من هوازن أي وقال له أيضا ولو ملحنا اي أرضعنا للحرث بن أبي شمر أى ملك الشام أو للنعمان بن المنذر أى ملك العراق ثم نزل منا بمثل ما نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين وأنشده ابياتا يستعطفه صلى الله عليه وسلم بها منها

امنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر

امنن على نسوة قد كنت ترضعها * اذ فوك مملوءة من محضها الدرر

اى الدفعات الكثيرة من اللبن انا لنشكر للنعماء ان كفرت اى جحدت وفى لفظ

انا لنشكر آلاء وان كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

انا نؤمل عفوا منك نلبسه * هدى البرية أن تعفوا وتنتصر

فالبس العفو من قد كنت ترضعه * من امهاتك ان العفو مشتهر

فقال صلى الله عليه وسلم ان احسن الحديث أصدقه ابناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم اى وفي لفظ اخري أحب الحديث الى أصدقه فاختاروا احدي الطائفتين اما السبي واما المال * وفي رواية وقد كنت استانيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون اى لانه صلى الله عليه وسلم انتظرهم بعد أن قفل من الطائف بضع عشرة ليلة وفى لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال لهم قد وقعت المقاسم مواقعها فاى الامرين أحب اليكم طلب لكم السبى أم الاموال وانما قال صلى الله عليه وسلم لهم قد وقعت المقاسم اى لانه لا يجوز الامام ان يمن على الاسرى بعد القسم وانما يمن عليهم قبله كما وقع له صلى الله عليه وسلم فى يهود خيبر ولا يخفي ان هذا في الرجال دون الذراري فقالوا اما كنا نعدل بالاحساب شيئا اردد علينا نساءنا وابناءنا فهو أحب الينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير فقال صلى الله عليه وسلم اما مالى ولبني عبد المطلب فهو لكم اى وقال لهم فاذا انا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابنائنا ونسائنا اى بعض ارقائهم قال لهم صلى الله عليه وسلم اظهروا اسلامكم قولوا نحن اخوانكم في الدين فساسال لكم الناس فلما صلي رسول الله صلي الله عليه وسلم الظهر قاموا فتكلموا بالذى امرهم به فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم أى بعد ان اثني على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رايت ان ارد اليهم سبيهم فمن احب ان يطيب بذلك فليفعل ومن احب منكم ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من اول

في شرح الشفاء وهذا مما شاع في الاقطار ونظمه الشعراء في فصيح الاشعار فمن ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان فى بعض الاحيان اذا مشي غاص قدمه في الحجارة بحيث بقي ذلك الي الآن وارتسم فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما في القدس ونقل منه لمصر في اماكن متعددة حتى قيل ان السلطان قايتباى اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصي بجعله عند قبره وهو موجود الى الآن وانه صلي الله عليه وسلم اذا مشي على الرمل أحيانا لا يكون لقدمه اثر وقال الامام القسطلاني في المواهب اللدنية كان صلي الله عليه وسلم اذا مشي على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما ولو حديثا على الالسنة ونطق به الشعراء في قصائدهم النبوية والبلغاء في منثورهم مع اعتضاده بوجود اثر قدمى الخليل عليه الصلاة والسلام في حجر المقام المنوه به فى التنزيل فى قوله تعالي فيه آيات بينات المانع تعيينه وانه اثره مبلغ التواتر وفيه يقول ابو طالب

ومواطئ ابراهيم فى الصخر وطؤه
على قدميه حافيا غير ناعل

وبما فى البخاري من معجزة موسي عليه الصلاة والسلام بتاثير ضربه فى الحجر ستا او سبعا لما فر بثوبه حين اغتسل وقد صح ما من معجزة لنبي الا ولنبينا صلي الله عليه وسلم مثلها ويؤيده وجود اثر حافر بغلته صلى الله عليه وسلم فى مسجد بطيبة عرف بمسجد البغلة الى الآن وما ذاك الا من سره صلى الله عليه وسلم السارى في البغلة ليكون اوضح فى الدلالة على انه اوتي مثل ما اوتي الخليل صلى الله عليه وسلم على وجه اعلى منه وفى شرح المواهب للعلامة الزرقانى ان اثر قدمه صلى الله عليه وسلم واثر اصابعه موجود على صخرة بيت المقدس وذكر السيوطى فى الخصائص ان من خصائصه صلي الله عليه وسلم انه ما وطيء على صخر الا اثر فيه قال بعضهم ذلك قبل البعثة وبالجملة فهذه المعجزة ثابتة متحققة عند الائمة الجهابذة من اهل الحديث فلا وجه لانكار بعض

القاصرين لها وفي فتاوى الجلال السيوطي من جملة اسئلة رفعت اليه فاجاب عنها بانها باطلة ان اباجهل قال يا محمد ان أخرجت لنا طاوسا من صخرة في داري آمنت بك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه عزوجل فصارت الصخرة تئن كانين المرأة الحبلى ثم انشقت عن طاوس صدره من ذهب ورأسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت ورجلاه من جوهر فلما رأى ذلك ابوجهل لعنه الله اعرض ولم يؤمن انتهى قال بعض المحققين وفي معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ما يغني عن حكاية مثل هذه القصة التي لم يرد بها حديث صحيح ولا ضعيف فهي باطلة كما قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم وحديثه قد اشتهر ورواه كثير من اهل السنن منهم البيهقي والبزار والطبراني وابن عساكر من حديث ابي ذر وانس بن مالك رضي الله عنهما ففي رواية عن ابي ذر رضي الله عنه قال كنت اتتبع خلوات النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يوما خاليا فاغتنمت خلوته فاتيته وهو جالس ليس عنده احد من الناس وكاني ارى انه في وحي فسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال ما جاء بك قلت الله ورسوله اي حبهما فامرني ان أجلس فجلست الى جنبه لا اسأل عن شيء ولا يذكره لي فمكثت غير كثير فجاء ابوبكر رضي الله عنه يمشي مسرعا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال ما جاء بك قال الله ورسوله فاشار بيده ان اجلس فجلس الى ربوة مقابل النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر رضي الله عنه ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وجلس الى جنب ابي بكر رضي الله عنه ثم جاء عثمان رضي الله عنه كذلك وجلس الى جنب عمر رضي الله عنه ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات سبع او تسع او ما قرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضعهن

ما يفيء الله علينا فليفعل كذا في البخاري وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال واما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل انسان ست فرائض من أول سبي اصيبه * وفي رواية فمن أحب منكم ان يعطي غير مكره فليفعل ومن كره ان يعطي ويأخذ الفداء فعلي فداؤهم ثم قال صلى الله عليه وسلم اما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون والانصار رضي الله تعالى عنهم ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس اما انا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن اما انا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس اما انا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس بن مرداس وهنتموني اي اضعفتموني حيث صيرتموني منفردا * وفي رواية فقال رسول الله ﷺ هؤلاء القوم جاؤا مسلمين وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابناء والنساء شيئا فمن كان عنده من النساء شيء وطابت نفسه أن يرده فليرده ومن أبى فليرد عليهم ذلك قرضا علينا بكل انسان ست فرائض من اول ما يفيء الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وابناءهم ولما فرق صلى الله عليه وسلم النساء نادى مناديه الا لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرئن بحيضة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال اصبنا سبايا يوم حنين فكنا نلتمس فداءهن فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال اصنعوا ما بدا لكم فما قضى الله فهو كائن ليس من كل الماء يكون الولد قال ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه وكانت اليهود تزعم ان العزل الموؤدة الصغرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت اليهود لو اراد الله ان يخلقه لم يستطع احد ان يصرفه وجاء لو ان الماء الذي يكون منه الولد اهرقته على صخرة لاخرج الله منها ولدا وقد جاء في الحديث ما قالت اليهود ففي مسلم وابن ماجه العزل الوأد الخفي اي لان التحرز عن الولد بالعزل كدفنه حيا فليتامل وقدمر الكلام على ذلك مبسوطا والفريضة البعير الذي يؤخذ في الزكاة لانه فرض وواجب على رب المال والى عفوه ﷺ عن هوازن اشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

من فضلا على هوازن اذ كان * له قبل ذاك فيهم رباء
واتى السبي فيه اخت رضاع * وضع الكفر قدرها والسباء
فحباها برا توهمت الناس * به انما السباء هداء
بسط المصطفى لها من رداء * أي فضل حواه ذاك الرداء
فغدت فيه وهي سيدة النسوة والسيدات فيه اماء

اي اعتق صلى الله عليه وسلم هوازن قبيلة امه من الرضاعة التي هي حليمة السعدية وكانوا ستة آلاف آدمي وانما اعتقهم لاجل انه صلى الله عليه وسلم كان له وهو طفل فيهم رباء بفتح الراء والمد اي تربيته فيهم ولاجل ان اخته من الرضاع اتت في ذلك السبي وتلك الاخت صغر كفرها وسباؤها قدرها الرفيع باخوته صلى الله عليه وسلم فاعطاها برا وفعل معها معروفا حتى وقع في وهم الحاضرين بسبب ذلك ان سباءها هداء لها بكسر الهاء كالعروس التي تهدى لزوجها ومن بره صلى الله عليه وسلم لها انه

بالارض فخرسن ثم اخذونا ولهن أبا بكر رضي الله عنه فسبحن في كف ابي بكر رضي الله عنه حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم اخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن ثم تناولهن وناولهن عمر رضي الله عنه فسبحن في كفه كما سبحن في كف ابي بكر رضي الله عنه وفي رواية حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم اخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن ثم تناولهن من الارض وناولهن عثمان رضي الله عنه فسبحن في كفه كنحو ماسبحن (١٤٦) في كف ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وفي رواية حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم

اخذهن فوضعهن في الارض فخرسن ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع واحد منا وفي رواية انس رضي الله عنه ثم وضعهن في أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن واستشكل قوله ثم وضعهن في ايدينا بان ماتقدم يقتضي انه لم يحضر غير ابي بكر وعمر وعثمان وابي ذر رضي الله عنهم واجيب بانه يحتمل تكرر القصة او ان ماتقدم باعتبار اول الامر ثم حضر جماعة من الصحابة منهم انس رضي الله عنه خصوصا وقد كان خادم النبي صلى الله عليه وسلم فتقل مفارقته له ولم يذكر علي رضي الله عنه لانه لم يكن حاضرا معهم في ذلك المجلس وذلك لا يشين مقامه رضي الله عنه مع ماله من المناقب ولو كان حاضرا لسبحت في كفه قطعا * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تسبيح الطعام وهو يؤكل روى

بسط لها رداءه لتجلس عليه اي شرف لذلك الرداء شرف عظيم لا غاية له بسبب مماسته لجسده الشريف فصارت في ذلك السبي سيدة من فيه من النساء وصار السيدات التي فيه بالنسبة اليها اماء وليتامل الجمع بين كون اخته المذكورة هي الشافعة في السبي وقبلت شفاعتها وبين كون السائل فيهم هوازن والاصل اقتصر على سؤال الوفد ورد جميع السبي ولم يتخلف منه احد الا عجوز من عجائزهم كانت عند عيينة بن حصن ابى ان يردها وقال حين اخذها أرى عجوزا انى لاحسب ان لها في الحي نسبا وعسى ان يعظم فداؤها ثم ردها بعد ذلك بعشر من الابل وقيل بست اخذ ذلك من ولدها بعد ان ساومه فيها مائة من الابل وقالوا له ردها والله ما ثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا فوها ببارد ولا صاحبها بواجد اي بحزين لفراقها ولا درها بناكد بالنون اي غزير وهو من الاضداد وقيل قائل ذلك له زهير وقد يقال لا مخالفة لجواز ان يكون زهير هو ولدها فقال عيينة خذها لا بارك الله لك فيها قال وذلك ببركة دعائه ﷺ دعا على من ابى ان يرد من السبي شيا ان ينجس اي يكسد فان ولدها دفع له فيها مائة من الابل فابى ثم غاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بالمائة فقال لا ادفع الا خمسين فابى فغاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بخمسين فقال لا ادفع الا خمسة وعشرين فابى فغاب عنه ثم مر عليه معرضا عنه فقال خذها بالخمسة والعشرين فقال لا آخذها الا بعشرة وفي رواية الا بستة فقال له ما تقدم ولما اخذها ولدها قال لعيينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسا السبي قبطية قبطية فقال لا والله مالها عندي فما فارقها حتى اخذ لها منه ثوبا والقبطية بضم القاف وهو ثوب ابيض من ثياب مصر منسوب للقبط وهم اهل مصر وضم القاف من التغيير في النسب أي وفي كلام بعضهم وزعموا ان رسول الله ﷺ امر رجلا ان يقدم مكة فيشترى للسبي ثياب المتعة ولا يخرج الحر منهم الا كاسيا قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس أهل مالك بن عوف النضرى بمكة عند عمتهم ام عبد الله بن ابي اميه وكلمه الوفد في ذلك فقالوا يارسول الله او لئك سادا تنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما اريد بهم الخير ولم يجز ان تجرى في السهمان في مال مالك بن عوف وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن مافعل مالك بن عوف قال يارسول الله هرب فلحق بحصن الطائف مع ثقيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبروه انه ان اتاني مسلما رددت عليه اهله وماله واعطيته مائة من الابل فلما بلغ مالكا ما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قومه وان ماله واهله موفور وما وعده به نزل من الحصن مستخفيا خوفا ان تحبسه ثقيف اذا علموا الحال وركب فرسه وركضه حتى اتي الدهناء محلا معروفا ركب راحلته ولحق برسول الله ﷺ فادركه بالجعرانة واسلم ورد عليه اهله وماله واستعمله صلى الله عليه وسلم على من اسلم من هوازن وكان لا يقدر على سرح لثقيف الا اخذه ولا رحل الا ميله وكان رضي الله تعالى عنه يرسل بالخمس مما يغنم لرسول صلى الله عليه وسلم اه أي وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المحل الذى هو الجعرانة وهو المراد بقول بعضهم وهو بحنين لان المراد منصرفه من غزوة حنين وعلى ذلك الاعرابي جبة وهو متضمخ بخلوق اى مصفر لحيته رأسه

البخاري والترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي الشفاء للقاضي عياض عن جعفر بن محمد عن ابيه قال مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل عليه السلام بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وروى ابو الشيخ عن انس رضي الله عنه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم بطعام ثريد فقال ان هذا الطعام يسبح قالوا او تفقه تسبيحه قال نعم ثم قال لرجل أدن هذه القصعة من هذا

الرجل فادناها فقال نعم يارسول الله هذا الطعام يسبح ثم قال ردها فردها وظاهر هذا انه كان يسبح وهو في الاناء وظاهر حديث البخاري انه كان يسبح عند وضعه في الفم ولا مانع منهما وفي قوله كنا دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدة وهو آية للنبي صلى الله عليه وسلم اعظم من تسبيح الجبال مع داود وفهم نطق الطير لسليمان عليهما السلام وكذا تسبيح الحصى لان الجبال لم تسبح وهي بيد داود عليه السلام بخلاف الحصى فانها سبحت بيده صلى الله عليه وسلم ويد من اراد من امته وتسبيح الطعام اعظم منهما اذ لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وانما كان أعظم من فهم سليمان عليه السلام منطق الطير لان الطير ناطق في الجملة بخلاف الطعام وروى البيهقي ان ابا الدرداء وسلمان الفارسي رضي الله عنهما كانا اذا كتب احدهما الآخر قال له باية الصحفة وذلك انهما بينما ياكلان في صحفة اذ سبحت وما فيها والله سبحانه وتعالى اعلم * ومن معجزاته صلي الله عليه وسلم حنين الجذع والمراد بحنينه شوقه وانعطافه الى النبي صلى الله عليه وسلم مع ظهور صوت دال على ذلك الشوق والجذع واحد جذوع النخل وهو بالدال المعجمة وقد روى حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طريق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك حتي صار متواترا قال القاضي عياض والتاج السبكي والحافظ ابن حجر وغيرهم ان حنين الجذع وانشقاق القمر كل منهما احاديثه متواترة نقلت نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك وهذه الآية من اكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي رضي الله عنه ما اعطي الله نبيا مثل ما اعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقيل له اعطى عيسى عليه السلام احياء الموتى فقال اعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع حين سمع صوته فهي اكبر من ذلك

ورأسه وقد احرم بعمرة فقال افتني يارسول الله وفي رواية قال له كيف ترى في رجل احرم في جبة بعد ما تضمخ بطيب فسكت ساعة ثم نزل عليه الوحي فلما سرى عنه قال اين السائل عن العمرة اخلع عنك الجبة واغسل عنك اثر الخلوق وفي رواية قال صلى الله عليه وسلم ما كنت تصنع في حجك قال كنت انزع هذه الجبة واغسل هذا الخلوق فقال صلى الله عليه وسلم اصنع في عمرتك ما كنت صانعا في حجك واستند لذلك من يقول بحرمة التطيب قبل الاحرام بما يبقى عند الاحرام والراجح عند امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه استحباب ذلك * وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل فوقف على رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان لي عندك موعدا فقال صلى الله عليه وسلم له صدقت فاحتكم فقال احتكم ثمانين ضائنة وراعيها فقال صلى الله عليه وسلم هي لك ولقد احتكمت يسيرا او لصاحبة موسى عليه الصلاة والسلام التي دلته على عظام يوسف عليه الصلاة والسلام كانت احزم واجزل حكما منك حين حكمها موسى عليه الصلاة والسلام فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة كذا ذكره الغزالي رحمه الله قال السخاوي وهذا اخرجه ابن حبان والحاكم وصحح اسناده وفيه نظر كما قال العراقي وهذا أصل في عدم اخلاف الوعد بالخير ونقل الامام النووي رحمه الله ان جماعة ذهبوا الى وجوب الوفاء بذلك ووجه السبكي رحمه الله ان اخلاف الوعد كذب والكذب حرام وترك الحرام واجب وذكر الغزالي رحمه الله ان خلاف الوعد لا يكون كذبا الا اذا عزم حين الوعد على عدم الوفاء اي ويدل لذلك ما جاء عن عبد الله بن ربيعة قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أردت ان تعطيه قالت اردت ان اعطيه تمرا قال لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة واحرم صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ودخل مكة ليلا واستمر يلبي حتى استلم الحجر ثم رجع من ليلته واصبح بها كبائت وفي لفظ اصبح بمكة كبائت وفيه نظر ولم يسق هديا في هذه العمرة وحلق رأسه وكان الحالق لرأسه الشريف ابا هند الحجام وقيل ابو خراش بن امية الذى حلق رأسه صلى الله عليه وسلم في الحديبية وأتى باعمال العمرة بعد ان اقام بالجعرانة ثلاث عشر ليلة وقال اعتمر منها سبعون نبيا

﴿ غزوة تبوك ﴾

بعدم الصرف للعلمية والتانيث ووقع في البخارى صرفها نظرا للموضع أي ويقال لها غزوة العسيرة ويقال لها الفاضحة لانها اظهرت حال كثير من المنافقين فهي شهر رجب سنة تسع أي بلا خلاف ووقع في البخاري انها كانت بعد حجة الوداع قيل وهو غلط من النساخ لم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام وانهم قدموا مقدماتها الى البلقاء المحل المعروف أي وذكر بعضهم ان سبب ذلك ان متنصرة العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذى قد خرج يدعي النبوة هلك واصابت اصحابه سنون اهلكت اموالهم فبعث رجلا من عظمائهم وجهز معه اربعين الفا اى

ولم يكن لذلك حقيقة اى وانما ذلك شيء قيل لمن يبلغ ذلك للمسلمين ليرجف به وكان ذلك فى عسرة فى الناس وجدب في البلاد اى وشدة من نحو الحر وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم أى وكونه عند طيب الثمار يؤيد قول عروة بن الزبير ان خروجه صلى الله عليه وسلم لتبوك كان في زمن الخريف ولا ينافي ذلك وجود الحر فى ذلك الزمن لان اوائل الخريف وهو الميزان يكون فيه الحر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة الا كنى عنها وروى بغيرها الا ما كان من غزوة تبوك لبعد المشقة وشدة الزمن اى وكثرة العدو وليأخذ الناس اهبتهم وامر الناس بالجهاز اى و بعث الى مكة وقبائل العرب ليستنفرهم وحض اهل الغنى على النفقة والحمل فى سبيل الله اى اكد عليهم فى طلب ذلك وهى آخر غزواته صلى الله عليه وسلم وانفق عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه نفقة عظيمة لم ينفق احد مثلها قال فانه جهز عشرة آلاف انفق عليها عشرة آلاف دينار وغير الابل والخيل وهي تسعمائة بعير ومائة فرس والزاد وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به الاسقية اى وفى كلام بعضهم انه اعطى ثلثمائة بعير باحلاسها واقتابها وخمسين فرسا وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض اى وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل الى ان طلع الفجر رافعا يديه الكريمتين يدعو لعثمان بن عفان يقول اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي ان لا يدخل النار من صاهرته أو صاهرني وجاء رضى الله تعالى عنه بالف دينار فصبها فى حجر النبي صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها بيديه ويقول ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم يرددها مرارا اه وفي رواية جاء بعشرة آلاف دينار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت بين يديه فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيديه ويقلبها ظهرا لبطن ويقول غفر الله لك يا عثمان ما اسررت وما اعلنت وما كان منك وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالى ما عمل بعدها اى ولعل هذه العشرة الآلاف هى التى جهز بها العشرة آلاف بعير وانها اى العشرة غير الالف التى صبها فى حجره صلى الله عليه وسلم وانفق غير عثمان ايضا من اهل الغنى قال وكان اول من جاء بالنفقة ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه جاء بجميع ماله اربعة آلاف درهم فقال له رسول الله ﷺ هل ابقيت لاهلك شيأ قال ابقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بنصف ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ابقيت لاهلك شيأ قال النصف الثانى وجاء عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه بمائة اوقية اى ومن ثم قيل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما كانا خزانين من خزائن الله فى الارض ينفقان في طاعة الله تعالي وجاء العباس رضي الله تعالى عنه بمال كثير وكذا طلحة رضى الله تعالى عنه وبعثت النساء رضى الله تعالى عنهن بكل ما يقدرون عليه من حليهن وتصدق عاصم بن عدي رضى الله تعالى عنه بسبعين وسقا من تمر اه وجاءه صلى الله عليه وسلم جمع اى سبعة انفس من فقهاء الصحابة

وقال القاضي عياض فى الشفاء حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر اى لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة من جماعة له يستحيل تواطؤهم على الكذب اخرجه أهل الصحيح أى الذين التزموا اخراج الاحاديث الصحيحة في كتبهم كالشافعى والامام أحمد والبخارى وابن خزيمة وابن حبان والترمذى وابن ماجه وأبى يعلى والطبرانى والحاكم والدارمى ورواه من الصحابة جمع كثير منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدرى وبريدة بن الحصيب الاسلمي وام سلمة والمطلب ابن أبى وداعة السهمي فمما رواه الشافعي في مسنده حديث ابي بن كعب رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى مستندا الى جذع اذ كان المسجد عريشا اى مسقوفا بالجريد وكانت الجذوع له كالاعمدة وكان يخطب الى ذلك الجذع فقال رجل من اصحابه اى وهو تميم الدارى رضى الله عنه هل لك ان نجعل لك منبرا تقوم عليه يوم الجمعة وتسمع الناس خطبتك قال نعم فصنع له ثلاث درجات هى التى على المنبر اى فى خلافة معاوية رضى الله عنه لان مروان زاد فيه ست درجات وقال انما زدت فيه حين كثر الناس واستمر على ذلك الى ان احترق مسجد المدينة سنة اربع وخمسين وستمائة فاحترق ذلك المنبر فلما صنع له صلى الله عليه وسلم المنبر وكان من اثل الغابة وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعه الذي هو فيه فكان اذا بدا للرسول صلى الله عليه وسلم ان يخطب فتجاوز الجذع الذى يخطب عليه خار فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده فسكت ثم رجع الى المنبر وفى رواية للبخارى عن جابر رضي الله عنه فجعلوا المنبرا فلما كان يوم الجمعة رفع اى النبي صلى الله عليه وسلم الى المنبر فصاحت النخلة زاد فى رواية صياح الصبي حتي كادت ان تنشق فنزل رسول

يتحملونه

الله صلى الله عليه وسلم فضمها اى النخلة وفى رواية فضمه اى الجذع اليه فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكن قال عليه الصلاة والسلام كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها وفى رواية البخارى عن جابر ايضا رضى الله عنه كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت والعشار بكسر العين النوق الحوامل التي انتهت في حملها الى عشرة اشهر وفى رواية للنسائي فى السنن الكبرى عن جابر رضي الله عنه اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج بفتح الخاء وضم اللام الحديثة آخره جيم الناقة التى انتزع ولدها وفي رواية لابن خزيمة عن انس رضى الله عنه فحنت الخشبة حنين الواله وفى رواية الامام أحمد والدارمى وابن ماجه عن أبى بن كعب رضي الله عنه ولما جاوره خار الجذع حتى تصدع وانشق وفي انه بالغ فى الصياح فاخذ ابي ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلى وصار رفاتا وهذا لا ينافى انه جاء في رواية فامر به نبي الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر لاحتمال انه ظهر بعد الهدم عند التنظيف فاخذه أبى بن كعب رضى الله عنه وفى رواية لابي يعلى عن انس رضي الله عنه خار كخوار الثور وارتج المسجد لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية سهل بن سعد وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفى رواية حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت وقال والذى نفسى بيده لو لم التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة وفى رواية للدارمي عن بريدة بن الحصيب الاسلمى رضى الله عنه فقال يعني النبى صلى الله عليه وسلم للجذع حين سمع حنينه ان شئت ان اردك الى الحائط اي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر وان شئت اغرسك فى الجنة فيأكل أولياء الله

يحتملونه ان يسالونه ان يحملهم فقال صلى الله عليه وسلم لا أجد ما احملكم عليه وعند ذلك تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون اى ما يحملهم ومن ثم قيل لهم البكاؤن ومنهم العرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه ولم يذكره القاضي البيضاوي فى السبعة وحمل العباس رضي الله تعالى عنه منهم اثنين وحمل منهم عثمان رضى الله تعالى عنه بعد الجيش الذى جهزه ثلاثة اى وحمل يامين بن عمرو النضرى اثنين دفع لهما ناضحا له وزود كل واحد منهم صاعين من تمر وعدهم مغلطاى ثمانية عشر وفى البخاري عن أبي موسى الاشعرى قال ارسلنى اصحابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اساله الحملان لهم فقلت يا نبي الله ان اصحابي ارسلوني اليك لتحملهم فقال والله لا احملكم على شيء وفى رواية والله لا احملكم ولا أجد ما احملكم عليه فرجعت حزينا الى اخابى من منع النبى صلى الله عليه وسلم ومن مخافة ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم وجد فى نفسه حيث حلف على ان لا يحملهم قال فرجعت الى اصحابى فاخبرتهم الذى قال لي صلى الله عليه وسلم فلم البث الاسويعة اذ سمعت بلالا ينادي اين عبد الله بن قيس فاجبته قال اجب رسول الله النبى صلى الله عليه وسلم يدعوك فلما اتيته قال خذ هذه الستة ابعرة فانطلق بها الى اصحابك زاد بعضهم فعند ذلك قال بعضهم لبعض اغفلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي حملناه على يمين الغلق وقد حلف ان لا يحملنا ثم حملنا فوالله لا يبارك لنا في ذلك فاتوه فذكروه فقال عليه الصلاة والسلام انا ما حملتكم الله حملكم ثم قال انى لا احلف يمينا فارى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يمينى واتيت الذى هو خير اى فهو صلى الله عليه وسلم انما حلف ان لا يتكلف لهؤلاء حملا بقرض ونحوه ما دام لا يجد لهم محلا فلا حنث وفيه ان هذا لا يناسب قوله انى لا أحلف الى آخره واجيب بان هذا استثناء قاعدة لا تدل على ان النبى صلى الله عليه وسلم حنث فى يمينه بل خرج الكلام على تقدير كانه قال لو حنثت فى يمينى حيث كان الحنث خيرا وكفرت عنها لكان ذلك شرعا واسعا بل بدارا حجا ويؤيده انه لم يقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن هذه اليمين وحينئذ يحتاج الى الجمع بين هذا وما قبله وقد يقال ان حمل العباس رضى الله تعالى عنه اثنين منهم الى آخره كان قبل وجود هذه الابعرة الستة او يدعي ان هؤلاء غير من تقدم فلما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار بالناس وهم ثلاثون الفا اي وقيل اربعون الفا وقيل سبعون الفا وكانت الخيل عشرة آلاف فرس وقيل بزيادة الفين وخلف على المدينة محمد بن مسلمة الانصارى رضى الله تعالى عنه على ما هو المشهور وقال الحافظ الدمياطى رحمه الله وهو اثبت عندنا وقيل سباع بن عرفطة اى وقيل ابن ام مكتوم وقيل على بن أبي طالب قال ابن عبد البر وهو الاثبت هذا كلامه وفى كلام ابن اسحق وخلف عليا كرم الله وجهه على اهله وامره بالاقامة فيهم وتخلف عنه عبد الله بن ابي ابن سلول ومن كان من المنافقين بعد ان خرج بهم وعسكر عبد الله بن ابى على ثنية الوداع اى اسفل منها لان معسكره صلى الله عليه وسلم كان على ثنية الوداع وكان معسكر عبد الله بن ابى اسفل منه قال ابن اسحق رحمه الله وما كان فيما يزعمون باقل العسكرين اي والتعبير عن ذلك بالزعم واضح لانه يبعد ان يكون عسكر عبد الله مساويا

من ثمرك ثم أصغى له يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا يبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اختار دار البقاء أي وهي الجنة على دار الفناء اي وهي الدنيا قال القاضي عياض في الشفاء وكان الحسن البصري رحمه الله اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه قال في المواهب ان الله خلق في الجذع حياة وعلما حتى صوت واشتياق وقد عامله النبي صلى الله عليه وسلم معاملة الحي فالتزمه كما يلتزم الغائب أهله وأعزته يبرد شوقهم اليه وأسفهم عليه ولله در القائل

وحن اليه الجذع شوقا ورقة
ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته
لكل امرىء من دهره ما تعودا

قال العلامة الزرقاني يعني انه امر مسطر في كل من اعتاد أمرا وانقطع عنه فانه يتألم لذلك ويحزن واذا رجع اليه فرح واطمأن وهذا الجذع لما ألف مقامه صلى الله عليه وسلم عنده اعتاد ذلك فصار يتألم لفراقه تألم من فارقته أحبته فلما ضمه سكن وفرح كمن رد عليه أحبته المسافرون سفرا طويلا لا سيما اذا ظن المقيم ان لا يرجع المسافر اليه ولله در القائل

والتي حتى في الجمادات حبه * وكانت لاهداء السلام له تهدي
فارق جذعا كان يخطب عنده * فأن أنين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا * أما نحن اولى ان نحن له وجدا
اذا كان جذع لم يطق فقد ساعة * فليس وفاء ان نطيق له بعدا

* ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم سجود الجمل له وشكواه كثرة العمل وقلة العلف روى الامام احمد والنسائي باسناد جيد عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان أهل بيت من الانصار لهم جمل

لعسكره صلى الله عليه وسلم فضلا عن كونه أكثرهم وليتأمل وقال عند تخلفه بغزو محمد بني الاصفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد اي ما لا طاقة له به يحسب محمد ان قتال بني الاصفر معه اللعب والله لكأني انظر الى اصحابه مقرنين في الحبال يقول ذلك ارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه اي وقيل للروم بنو الاصفر لانهم ولد روم بن العيص بن اسحق نبي الله عليه السلام وكان يسمى الاصفر لصفرة به فقد ذكر العلماء باخبار القدماء ان العيص تزوج بنت عمه اسمعيل فولدت له الروم وكان به صفرة فقيل له الاصفر وقيل الصفرة كانت بابيه العيص ولما ارتحل رسول الله ﷺ عن ثنية الوداع متوجها الى تبوك عقد الالوية والرايات فدفع لواءه الاعظم لابي بكر الصديق رضي الله عنه ورايته ﷺ العظمى للزبير رضي الله عنه ودفع راية الاوس لاسيد بن خضير رضي الله عنه وراية الخزرج الى الحباب بن المنذر رضي الله عنه ودفع لكل بطن من الانصار ومن قبائل العرب لواء وراية اي لبعضهم راية ولبعضهم لواء وكان قد اجتمع جمع من المنافقين اي في بيت سويلم اليهودي فقال بعضهم لبعض اتحسبون جلاد بني الاصفر اي وهم الروم كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكأنكم يعني الصحابة غدا مقرنون في الحبال يقولون ذلك ارجافا وترهيبا للمؤمنين والجلاد الضرب بالسيوف فقال رسول الله ﷺ عند ذلك لعمار بن ياسر رضي الله عنه ادرك القوم فانهم قد احترقوا فاسألهم عما قالوا فان انكروا فقل بل قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون اليه وقالوا انما كنا نخوض ونلعب فانزل الله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وقال صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس يا جد هل لك في جلاد بني الاصفر قال يا رسول الله او تأذن لي اي في التخلف ولا تفتني فوالله لقد عرف قومي انه ما من رجل اشد عجبا بالنساء مني واني اخشى ان رأيت نساء بني الاصفر ان لا اصبر فاعرض عنه رسول الله ﷺ وقال قد اذنت لك فانزل الله تعالى ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الآية وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال اغزوا تبوك تغنموا بنات بني الاصفر نساء الروم فقال قوم من المنافقين ائذن لنا ولا تفتنا فانزل الله تعالى الآية ألا في الفتنة سقطوا اي التي هي التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة عنه وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال للجد بن قيس يا أبا قيس هل لك ان تخرج معنا لعلك تحقب ان تردف خلفك من بنات الاصفر فقال ما تقدم وعند ذلك لامه ولده عبد الله رضي الله عنه وقال له والله ما يمنعك الا النفاق وسينزل الله فيك قرآنا فاخذ نعله وضرب به وجه ولده لما نزلت الآية قال له ألم اقل لك فقال له اسكت يا لكع فوالله لانت اشد علي من محمد وفي رواية ان الجد بن قيس لما امتنع واعتذر بما تقدم قال للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن اعينك بمالي فانزل الله تعالى قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم وتقدم انه لم يبايع بيعة الرضوان وتقدم انه تاب من النفاق وحسنت توبته وانه صلى الله عليه وسلم قال لبني ساعدة من سيدكم فقالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال واي داء ادوأ من البخل قالوا يا رسول الله من سيدنا فقال بشر بن البراء بن معرور وفي رواية سيدكم الجعد الابيض عمرو بن الجموح وذكر ان عبد

البر

البران المفس اميل الى الاول ومات الجد بن قيس في خلافة عثمان رضى الله عنه وقال بعض المنافقين لبعض لا تنفروا في الحر فانزل الله تعالى قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون أى يعلمون وجاء المعذورون أى وهم الضعفاء والمقلون من الاعراب ليؤذن لهم فى التخلف فاذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراءة على الله ورسوله وقد عناهم الله تعالى بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال السهيلى واهل التفسير يقولون ان آخر براءة نزل قبل أولها وان أول ما نزل منها انفروا خفافا وثقالا قيل معناه شبابا وشيوخا وقيل اغنياء وفقراء وقيل أصحاب شغل وغير ذي شغل وقيل ركبانا ورجالة ثم نزل أولها فى نبذ كل ذي عهد الى صاحبه كما تقدم وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من غير عذر وكانوا ممن لا يتهم فى اسلامه ولما خلف ﷺ عليا كرم الله وجهه ارجف به المنافقون فقالوا ما خلفه الا استثقالا له وحين قيل فيه ذلك اخذ على كرم الله وجهه سلاحه ثم خرج حتى لحق برسول الله صلي الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا نبى الله زعم المنافقون انك ما خلفتنى الا استثقلتني وتخففت منى فقال كذبوا ولكنى خلفتك لما تركت ورائى فارجع فاخلفني فى أهلى واهلك أفلا ترضى يا على ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى اى فان موسى عليه السلام حين توجه الى ميقات ربه استخلف هرون عليه السلام في قومه فرجع على الى المدينة وعن على كرم الله وجهه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة وخلف جعفر فى اهله فقال جعفر والله لا أتخلف عنك فخلفني فقلت يارسول الله اتخلفني الى شيء تقول قريش أليس يقولون ما اسرع ما خذل ابن عمه وجلس عنه واخرى ابتغى الفضل من الله لاني سمعت الله يقول ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار الآية فقال أما قولك ان تقول قريش ما اسرع ما خذل ابن عمه وجلس عنه فقد قالوا انى ساحر واني كاهن كذاب واما قولك تبتغى الفضل من الله لك بي اسوة أى حيث تخلفت عن بعض مواطن القتال اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى عليهما السلام اى ولم يتخلف عنه على كرم الله وجهه في مشهد من المشاهد الا فى هذه الغزوة وادعت الرافضة والشيعة ان هذا من النص التفصيلى على خلافة على كرم الله وجهه قالوا لان جميع المنازل الثابتة لهرون من موسى سوي النبوة ثابتة لعلي كرم الله وجهه من النبى صلى الله عليه وسلم والا لما صح الاستثناء أي استثناء بقوله الا انه لا نبى بعدى ومما ثبت لهرون من موسى استحقاقه للخلافة عنه لو عاش بعده أى دون النبوة ورد بان هذا الحديث غير صحيح كما قاله الآمدى وعلى تسليم صحته بل صحته هى الثابتة لانه فى الصحيحين فهو من قبيل الآحاد وكل من الرافضة والشيعة لا يراه حجة فى الامامة وعلى تسليم أنه فلا عموم له بل المراد ما دل عليه ظاهر الحديث ان عليا كرم الله وجهه خليفة النبى ﷺ فى اهله خاصة مدة غيبته بتبوك كما ان هرون خليفة عن موسى فى قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة فعلى تسليم انه عام لكنه مخصوص والعام المخصوص غير حجة فى الباقى او حجة ضعيفة وقد استخلف ﷺ

يسنون أى يسقون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره أي الانتفاع به فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسنى عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فدخل الحائط أي البستان والجمل فى ناحية فمشي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يارسول الله قد صار مثل الكلب الكلب أي العقور وانا نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على منه باس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه أى واضعا مشفره باركا بين يديه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله فى العمل فقال له اصحابه يارسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق بالسجود لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر لو صلح لبشر ان يسجد لبشر لامرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها وروي الامام أحمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح عن يعلي بن مرة الثقفى رضى الله عنه قال بينما نحن نسير مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر اى صوت كثيرا ووضع جرانه وهو بالكسر مقدم العنق فوقف للنبى صلى الله عليه وسلم فقال اين صاحب هذا البعير فجاء فقال صلى الله عليه وسلم له بعنيه فقال بل نهبه لك يارسول الله وانه لاهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال اما اذ ذكرت هذا من امره فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف فاحسنوا اليه اى بقلة العمل وكثرة العلف وروي الدارمي والبزار والبيهقى باسناد جيد عن جابر رضى الله عنه ان جملا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان قريبا منه خر الجمل ساجدا فقال صلي الله عليه وسلم يا أيها الناس من صاحب هذا الجمل فقال فتية من الانصار هو لنا قال فما شانه قالوا سنونا عليه عشرين سنة فلما كبر

سه اردنا نحوه فقال صلى الله عليه وسلم تبيعونيه قالوا هولك يارسول الله فقال أحسنوا اليه حتى يأتي أجله فقالوا يارسول الله نحن احق ان نسجد لك من البهائم فقال لا ينبغي لبشر ان يسجد لبشر ولو كان النساء لازواجهن وفي رواية انه قال لصاحب الجمل ما لبعيرك يشكوك زعم انك شاب به حين كبر تريد ان تنحره فقال صدقت والذي بعثك بالحق لا أفعل وروى الطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا من الانصار كان له فحلان فاغتلما فادخلهما حائطا فسد عليهما الباب ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يدعوا له والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد معه نفر من الانصار فقال يارسول الله اني جئت في حاجة وانه كان لي فحلان فاغتلما واني أدخلتهما حائطا وسددت عليهما الباب فاحب ان تدعوا لي ان يسخرهما الله عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا معنا فذهب حتى اتى الباب فقال افتح فشق الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افتح ففتح فاذا أحد الفحلين قريب من الباب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد له فقال صلى الله عليه وسلم ائتني بشيء اشد به رأسه وامكنك منه فجاء بخطام فشد به رأسه وامكنه منه ثم مشى الى اقصى الحائط اذا الفحل الآخر فلما رآه وقع له ساجدا فقال ائتني بشيء اشد به رأسه وامكنك منه فجاء بخطام وشد به رأسه وامكنه منه وقال اذهب فانهما لا يعصيانك وروى الامام احمد وابو داود وابن شاهين عن عبد الله ابن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهما قال اردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فاسر الي حديثا لا احدث به احدا من الناس قال وكان احب ما استتر به النبي صلى الله عليه وسلم أي عند قضاء الحاجة هدف وهو كل شيء مرتفع على الارض او حائش نخل اي وهو النخل المجتمع فدخل حائط رجل من الانصار اي لحاجته فاذا جمل فلما راي الجمل النبي صلى الله عليه وسلم حن فذرفت

في مرار أخرى غير علي فيلزم او يكون مستحقا للخلافة وصار بعد مسيره صلى الله عليه وسلم يتخلف عنه الرجل فيقال تخلف فلان فيقول دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد اراحكم الله منه * وكان ممن تخلف عن مسيره معه صلى الله عليه وسلم ابو خيثمة ولما ان سار صلى الله عليه وسلم أياما دخل ابو خيثمة على أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في عريشتين لهما في حائط قد رشت كل منهما عريشتها وبردت فيها ماء وهيأت طعاما وكان يوما شديد الحر فلما دخل نظر الى امرأتيه وما صنعتا فقال رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحر وابو خيثمة في ظل بارد وماء مهيأ وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيئا لي زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله واخذ سيفه ورمحه كما في الكشاف أي ثم خرج في طلب رسول صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك وقد كان ابو خيثمة ادرك عمير بن وهب في الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى دنوا من تبوك فقال ابو خيثمة لعمير ان لي ذنبا فلا عليك ان تتخلف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل فلما دنا ابو خيثمة قال الناس هذا راكب مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فقالوا يارسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول صلى الله عليه وسلم أولى لك يا ابا خيثمة ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير أي واولى لك كلمة تهديد وتوعد * ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر ديار ثمود سجى ثوبه على رأسه واستحث راحلته وقال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا الا وانتم باكون خوفا ان يصيبكم ما اصابهم اي لان البكاء يتبعه التفكر والاعتبار وكان صلى الله عليه وسلم امرهم بالتفكر في احوال توجب البكاء من تقدير الله عز وجل على اولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الارض وامهاله لهم مدة طويلة ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه وهو سبحانه يقلب القلوب فلا يامن المؤمن ان تكون عاقبته الى مثل ذلك ونهى صلى الله عليه وسلم الناس ان يشربوا من مائها شيئا وان لا يتوضؤا به للصلاة وان لا يعجن به عجين وان لا يحاس به حيس ولا يطبخ به طعام وان العجين الذي عجن به او الحيس الذي فعل به يعلفونه الابل وان الطبيخ الذي طبخ به يلقى ولا ياكلوا منه شيئا ثم ارتحل بالناس أي لا زال سائرا حتى نزل على البئر التي كانت تشرب منها الناقة واخبرهم صلى الله عليه وسلم انها تهب عليهم الليلة ريح شديدة اي وقال من كان له بعير فليشد عقاله ونهى الناس في تلك الليلة عن ان يخرج واحد منهم وحده بل ومعه اخوه فخرج شخص وحده لحاجته فخنق وخرج آخر كذلك في طلب بعير له فاحتملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الم انهكم ان يخرج احد منكم الا ومعه صاحبه ثم دعا للذي خنق فشفي والذي ألقته الريح بجبلي طيء فارسلته طيء له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة * وفي سيرة الحافظ الدمياطي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره ابا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر فكان

يطوف

عيناه فاتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه أى وهو الموضع الذى يعرق من قفا البعير عند أذنه فسكن ثم قال من رب هذا الجمل فجاء فتي من الانصار فقال هو لي يارسول الله فقال ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكا الي انك تجيعه وتدئبه أى تتعبه بكثرة العمل وفى رواية وكان لا يدخل أحد الحائط لاشد عليه الجمل ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه أي وضع زمامه الذي يقاد به في رأسه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين السماء والارض شيء الا يعلم انى رسول الله الا عاصى الجن والانس ﴿ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم﴾ سجود الغنم وطاعتها له صلي الله عليه وسلم روى الامام احمد والبزار عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا اى بستانا للانصارى ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له أى تعظيما له لما شاهدت نور نبوته وألهمها الله معرفته فقال ابو بكر يارسول الله نحن أحق بالسجود لك من الغنم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا ينبغى لاحد أن يسجد لاحد وروى البيهقى عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما أن رجلا أتى النبي صلي الله عليه وسلم وآمن وهو على بعض حصون خيبر وكان الرجل فى غنم يرعاها لاهل خيبر فقال يارسول الله كيف لى بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدى عنك امانتك ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الي اهلها معجزة له صلى الله عليه وسلم فهذا من طاعات الحيوانات له ﴿ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم﴾ كلام الذئب واقراره برسالته صلي الله عليه وسلم روى الامام احمد باسناد جيد والترمذي والحاكم باسناد صحيح عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال عدا الذئب على شاة فاخذها فطلبه الراعي فانتزعها منه فاقعي الذئب على ذنبه وقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه

يطوف في اصحابه على العسكر ثم اصبح الناس ولا ماء معهم اي وحصل لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم حتى حملهم ذلك نحرا لمهم ليشقوا اكراشها ويشربوا ماءها وعن عمر رضي الله عنه خرجنا في حر شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصرون فرثه ويشربونه ويجعل ما بقى على كبده وفي لفظ على صدره فشكوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم اى قال له ابو بكر يارسول الله قد عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا قال اتحب ذلك قال نعم فدعا أى ورفع يديه فلم يرجعهما حتي ارسل الله سحابة فمطرت حتي ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون اليه قال وذكر بعضهم ان تلك السحابة لم تتجاوز العسكر وان رجلا من الانصار قال لآخر متهم بالنفاق ويحك قد ترى فقال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فانزل الله تعالى وتجعلون رزقكم اى بدل شكر رزقكم انكم تكذبون اى حيث تنسبونه للانواء وقيل انه قال له ويحك هل بعد هذا شيء فقال سحابة مارة انتهى وفي لفظ انهم لما شكوا اليه صلى الله عليه وسلم شدة العطش قال صلى الله عليه وسلم لعلي لو استسقيت لكم فسقيتم قلتم هذا بنوء كذا وكذا فقالوا يا نبي الله ما هذا بحين انواء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ ثم قام فصلي ودعا الله تعالى فهاجت ريح وثار سحاب فمطروا حتي سال كل واد فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يغرف بقدحه ويقول هذا نوء فلان فنزلت الآية وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه صلي الله عليه وسلم ليس غرضهم الا الغنيمة ان محمدا يزعم انه نبي وانه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدري اين ناقته فقال ﷺ ان رجلا يقول كذا وكذا واني والله لا اعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها انها فى شعب كذا وكذا وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتي تاتوني بها فذهبوا فوجدوها كذلك فجاؤا بها اى وتقدم له صلى الله عليه وسلم نظير هذا فى غزوة بني المصطلق التي هي المريسيع ولا بعد في تعدد الواقعة ويحتمل ان يكون من خلط بعض الرواة ولما سمع ذلك بعض الصحابة جاء الى رحله فقال لمن به والله لعجب فى شيء حدثناه رسول الله ﷺ عن مقالة قائل اخبره الله عنه وذكر المقالة فقال له بعض من في رحله هذه المقالة قالها فلان يعني شخصا في رحله ايضا قالها قبل ان تاتي بيسير فقال يا عباد الله في رحلي داهية وما أشعر أي عدو الله اخرج من رحلي ولا تصحبني فيقال انه تاب ويقال انه لم يزل متهما بشر حتي هلك وتباطأ جمل ابي ذر رضي الله عنه لما به من الاعياء والتعب فتخلف عن الجيش فاخذ متاعه وحمله على ظهره ثم خرج تبع اثر رسول الله صلي الله عليه وسلم ماشيا فادركه نازلا في بعض المنازل اى وقبل مجيئه قالوا له يارسول الله تخلف ابو ذر وأبطأ به بعيره فقال صلى الله عليه وسلم دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ولما أشرف على ذلك المنزل ونظره شخص يمشي فقال يارسول الله ان هذا الرجل يمشى على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن اباذر فلما تامله القوم قالوا يارسول الله هو والله ابو ذر فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم رحم الله اباذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وكان كما قال ﷺ انه يموت وحده فقد مات رضى الله عنه وحده بالربذة لما اخرجه عثمان رضي الله عنه اليها أى فانه بعد موت أبى بكر رضى

الله الي فقال الراعي يا عجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ما قد سبق وفي رواية رسول الله في النخلات بين الحرتين يحدث الناس عن نبا ما قد سبق وما يكون بعد ذلك وفي لفظ يدعو الناس الى الهدى والى الحق وهم يكذبونه قال ابو سعيد فاقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم أي بما شاهدته يسروا ويزداد ايمانهم فاخبرهم وفي رواية وكان الرجل يهوديا فجاء واسلم واخبر النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه ثم قال صلى الله عليه وسلم انها امارات بين يدي الساعة قد اوشك الرجل ان يخرج ولا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما احدث اهله بعده وفي رواية ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال الذئب للراعي انت اعجب مني واقف على غنمك وقد تركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه قدرا عنده وقد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب انا أرعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى فذكر قصته واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها اي لم تنقص منها شيء فعاد فوجدها كذلك فذبح للذئب شاة منها وروى قصة كلام الذئب ايضا الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما وابو نعيم عن انس رضي الله عنه وروى سعيد بن منصور عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء الذئب فاقعى بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه اي يحركه فقال صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذئاب جاء يسألكم ان تجعلوا له من اموالكم شيئا قالوا

الله عنه خرج من المدينة الى الشام ولما ولي عثمان رضي الله عنه شكاه معاوية رضي الله عنه اليه فانه كان يغلظ على معاوية في بعض أمور تقع منه فاستدعاه عثمان رضي الله عنه من الشام ثم اسكنه الربذة ولم يكن معه الا امرأته وغلامه فوصاهما عند موته ان غسلاني وكفناني ثم اجعلاني على قارعة الطريق فاول من يمر بكم قولا له هذا ابو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فلما مات رضي الله عنه فعلا به ذلك واقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق فوجدوا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطؤها فقام اليهم الغلام وقال هذا ابو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله تمشي وحدك وتموت وحدك وتبعث وحدك ثم نزل هو واصحابه فواروه ثم حدثهم عبد الله بن مسعود خبره أي وفي الحدائق عن أم ذر قالت لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت فقال ما يبكيك قلت ومالي لا ابكي وانت تموت بفلاة من الارض ولا بد لنا من معين على دفنك وليس معنا ثوب يسعك كفنا فقال لا تبكي وابشري فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر انا فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين وليس من أولئك النفر احد الا وقد مات في قرية وانا الذي اموت بالفلاة والله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبت وفي رواية ما كذبت ولا كذبت فابصري الطريق فقالت قد ذهب الحاج وتقطعت السبل فقال انظري فقالت كنت اشتد الى الكثيب فاقوم عليه ثم أرجع اليه فامرضه فبينما انا كذلك اذا انا برجال على رواحلهم كأنهم الرخم فالحت بثوبي فاسرعوا الي ووضعوا السياط في نحرها يستبقون الي فقالوا ما لك يا امة الله فقلت امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه قالوا ومن هو قلت ابو ذر قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم فاسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فسلموا عليه فرحب بهم وقال ابشروا فانكم عصابة من المؤمنين وحدثهم الحديث قال والله لو كان لي او لها ما يسعني كفنا ما كفنت الا فيه واني انشدكم الله والاسلام لا يكفنني منكم رجل كان اميرا او عريفا او بريدا او نقيبا ولم يكن منهم احد سلم من ذلك الا فتى من الانصار وقال والله لم اصب مما ذكرت شيئا انا اكفنك في ردائي هذا وثوبين معي من غزل امي قال فكفنه الفتى الانصاري ودفنه في النفر الذين معه * أقول يحتاج الى الجمع بين هذا وما تقدم وقد يقال لا ينافي ذلك ما قدم عن ابن مسعود رضي الله عنه لجواز أن يكون قدومه بعد ان كفنه اي تكفينه الانصاري ولا ينافي ذلك ما تقدم من قول الراوي فلما مات فعلا اي زوجته وغلامه ذلك اي غسله وتكفينه ولا ينافي ذلك قول الغلام لابن مسعود ومن معه اعينونا على دفنه ولا ينافي ذلك قول الراوي هنا ودفنه اي الفتى الانصاري في النفر الذين معه لان ذلك يقال اذا اشتركوا مع غيرهم في ذلك وابو ذر رضي الله عنه اسمه جندب وقيل اسمه سلمة بن جنادة وكان من اوعية العلم المبرزين في الزهد والورع والقول بالحق وقد قال صلى الله عليه وسلم في حقه ما اظلت الخضراء ولا اقلت الغبراء من ذي لهجة اصدق من ابي ذر وكان رضي الله عنه من الاقدمين في الاسلام قال ابن عبد البر كان خامس رجل اسلم وقيل تامل وقال صلى الله عليه وسلم ابو ذر في امتي شبيه عيسى بن مريم في زهده وبعضهم يرويه من

ينظر

والله لا تفعل واخذ رجل من القوم حجرا او رماه به فادبر الذئب وله عواء فقال صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب وهذا الاستفهام مفخم أمره قال القاضي عياض في الشفاء وقد روى ابن وهب ان الذئب كلم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية قبل اسلامهما وذلك انهما وجدا ذئبا يريد اخذ ظبي فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب عنه فعجبا من ذلك فقال الذئب لما سمع تعجبهما او عليه من حالهما اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الي الجنة وتدعونه الي النار فقال ابو سفيان لصفوان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة اي لاهلها ليتركنها خلوفا بضم الخاء المعجمة اي فاسدة متغيرة يعني يقع الفساد والتغير في اهلها باسلامهم وهجرتهم الى المدينة وسمى ذلك فسادا باعتبار زعمهم الذي كانوا يعتقدونه قبل اسلامهم * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم حديث الحمار اخرج ابن عساكر عن ابي منظور رضى الله عنه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر اصاب حمارا اسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فكلمه الحمار فقال له رسول الله ﷺ ما اسمك قال يزيد ابن شهاب اخرج الله من نسل جدي ستين حمارا كل منهم لا يركبه الا نبي وقد كنت اتوقعك ان تركبني لانه لم يبق من نسل جدي غيري ولا من الانبياء غيرك وقد كنت قبلك لرجل يهود وكنت اتعثر به عمدا وكان يجيع بطني ويضرب ظهري فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فانت يعفور وهو اسم ولد الظبي كأنه سمي به لسرعته فكان عليه الصلاة والسلام يبعثه الى باب الرجل فيأتي الباب فيقرعه برأسه فاذا خرج اليه صاحب الدار أومأ اليه أن أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الي بئر كانت لابي الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الواقدي مات يعفور منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع و ه

ينظر الي تواضع عيسى ابن مريم فلينظر الى ابي ذر والى وجود ما اخبر صلى الله عليه وسلم عن ابي ذر من انه يموت وحده أشار الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

وعاش أبو ذر كما قال وحده * ومات وحيدا في بلاد بعيدة

قال وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه انه قال لما كنا فيما بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فاسفر الناس بصلاتهم التي هي صلاة الفجر فقدموا عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه فصلى بهم فانتهى صلى الله عليه وسلم بعد ان توضأ ومسح خفيه لعبد الرحمن ابن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن ركعة وقام ليأتي بالركعة الثانية وقال لهم صلى الله عليه وسلم بعد فراغه أحسنتم أو أصبتم ثم قال صلى الله عليه وسلم لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته انتهى أي ولعل هذا الآتي في ما تقدم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضي الله عنه يصلي بالناس وقوله لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته يقتضي أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل خلف الصديق في هذه الغزوة حيث يصلي بالعسكر فليتأمل أي وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن سيد من سادات المسلمين ولا يخالف هذا ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أمته الا خلف أبي بكر أي في مرض موته لان المراد صلاة كاملة او تكرر الصلاة هذا وفي الخصائص الصغرى ومن خصائصه ﷺ فيما حكى القاضي عياض رحمه الله انه لا يجوز لاحد أن يؤمه صلى الله عليه وسلم لانه لا يصح التقدم بين يديه في الصلاة ولا غيرها لا لعذر ولا لغيره وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون أحد شافعا له وقد قال أئمتكم شفعاؤكم ولذلك قال ابو بكر رضي الله عنه ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتأمل ولما نزلوا تبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده غرفة من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه ففارت عينها حتى امتلأت قال وعن حذيفة رضي الله عنه لما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن في الماء قلة أي ماء عين تبوك أي وقد قال لهم صلى الله عليه وسلم انكم ستأتون غدا ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي وأمر صلى الله عليه وسلم مناديا ينادي بذلك فجئناها فاذا العين مثل الشراك تبض من مائها وقد سبق اليها رجلان من المنافقين ومسا من مائها فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك وفي رواية سبق اليها أربعة من المنافقين ثم أمرهم فغرفوا من العين قليلا حتى اجتمع شيء في شن فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه وتمضمض ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفي رواية فجعلوا فيها سهاما دفعها صلى الله عليه وسلم لهم فجاشت بالماء والى ذلك أشار الامام السبكي رحمه الله تعالى في تائيته بقوله

فيوما بوقع النبل جئت شربهم * ويوما بوقع الوبل جدت بسقية

وحينئذ أي وحين اذ ثبت انه صلى الله عليه وسلم جعل السهام في عين تبوك يسقط الاعتراض بان وقع

جزم النووي عن ابن الصلاح فيكون موته قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى حديث الحمار أبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وأخرجه ابن حبان وغيره وانكره بعضهم وقال انه موضوع وقال بعضهم انه ضعيف وقد تعددت طرقه قال العلامة الزرقاني وليس فيه ماينكر شرعا ولا بدع في وقوعه له صلى الله عليه وسلم ونهايته الضعف لا الوضع * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم حديث الضب بفتح المعجمة (١٥٦) وموحدة ثقيلة حيوان بري يشبه الورل قال ابن خالويه لا يشرب الماء ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا ويقال انه يبول كل أربعين يوما قطرة ولا يسقط له سن ويقال ان اسنانه قطعة واحدة ليست متفرقة وحديثه مشهور على الالسنة وقد رواه البيهقي والطبراني وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدى والدارقطني كلهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه اذ جاءه اعرابي من بني سليم قد صاد ضبا جعله في كمه ليذهب به الى رحله فيشويه ويأكله فلما رأى الجماعة اي الصحابة قال من هذا قالوا نبي الله وفي رواية الدارقطني فقال على من هؤلاء الجماعة فقيل له على هذا الذي يزعم أنه نبي فأتاه فقال يامحمد ما اشتملت النساء على ذي لهجة اكذب منك فلولا ان تسميني العرب عجولا لقتلتك واسررت الناس اجمعين بقتلك فقال عمر يارسول الله دعني اقتله فقال صلى الله عليه وسلم اما علمت ان الحليم كاد أن يكون نبيا ثم اقبل الاعرابي بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياضب فاجابه بلسان بين وفي رواية فكلمه الضب بلسان طلق فصيح عربي مبين يفهمه وفي رواية يفهمه القوم جميعا لبيك وسعديك يازين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي

التل لم يكن بتبوك وانما كان بالحديبية على أن الذي بالحديبية انما هو غير سهم واحد لا سهام فليتامل ثم قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ماهنا ملئ جنانا أي بساتين وذكر ابن عبد البر رحمه الله عن بعضهم قال أنا رأيت ذلك الموضع كله حوالي تلك العين جنانا حضرة نضرة وقبل قدومهم تبوك بليلة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستيقظ حتي كادت الشمس قيد رمح أى وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لبلال أكلا لنا الفجر فاسند بلال ظهره الي راحلته فغلبته عيناه قال ألم أقل لك يا بلال اكلا لنا الفجر وفي رواية أن بلالا رضى الله عنه قال لهم ناموا وأنا أوقظكم فاضطجعوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال اين ما قلت قال يارسول الله ذهب بي مثل الذى ذهب بك أى وفي لفظ اخذ بنفسي الذى اخذ بنفسك وقال صلى الله عليه وسلم للصديق ان الشيطان صار يهدئ بلالا للنوم كما يهدئ الصبي حتى ينام ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا وساله عن سبب نومه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما اخبر به الصديق فقال الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم اشهد انك رسول الله فانتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزله غير بعيد ثم صلي وتقدم في خيبر أى في غزوة وادي القرى فانها كانت عند منصرفه من خيبر الخلاف في أي غزوة كان وسار صلى الله عليه وسلم مسرعا بقية يومه وليلته فاصبح بتبوك وفي منصرفه من تبوك قال ابو قتادة رضى الله عنه بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من تبوك وأنا معه اذ خفق خفقة وهو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه فدعمته فانتبه فقال من هذا فقلت أبو قتادة يارسول الله خفت أن تسقط فدعمتك فقال حفظك الله كما حفظت رسوله ثم سار غير كثير ثم فعل مثلها فدعمته فانتبه فقال يا ابا قتادة هل لك في التعريس فقلت ما شئت يارسول الله فقال انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان أو ثلاثة فقال ادعهم فقلت اجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤ فعرسنا * وفي رواية قال أبو قتادة رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتي ابهار الليل وانا الى جنبه فنعس فمال عن راحلته فاتيته فدعمته من غير ان اوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى تهور الليل مال عن راحلته فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتي اذا كان من آخر السحر مال ميلة هي اشد من الميلتين الاولتين حتى كاد يسقط فاتيته فدعمته فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبو قتادة قال متي كان هذا مسيرك مني قلت مازال هذا مسيري منذ الليلة قال حفظك الله كما حفظت نبيه وهذا تقدم في منصرفه من خيبر ولا مانع من التعدد ويحتمل أن هذا خلط وقع من بعض الرواة فليتامل ثم قال صلى الله عليه وسلم هل ترى من أحد يعني من الجيش قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة وفي رواية خمسة برسول الله صلى الله عليه وسلم فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق ثم قال احفظوا علينا صلاتنا وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس في ظهره فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضاة كانت معى فيها شئ من ماء فتوضا منها وبقي فيها شئ * وفي رواية جرعة من ماء ثم قال لى احفظ علينا ميضاتك * وفي رواية ازدهر

الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمتــه وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي زاد الدارقطني وابن عدي فقال الاعرابي اشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله حقا ولقد اتيتك وما على وجه الارض احد هو ابغض الي منك والله لانت الساعة أحب الي من نفسي وولدي فقد آمن لك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك لي هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه

بهايا باقتادة وسيكون لها نبأ الحديث * وفي رواية ما أيقظنا الا حر الشمس فقلنا انا لله فاتنا الصبح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنغيظن الشيطان كما غاظنا فتوضأ من ماء الاداوة التي هي الميضاة ففضل فضل فقال يا أبا قتادة احتفظ بما في الاداوة واحتفظ بالركوة فان لهما شأنا وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بعد طلوع الشمس وفي لفظ ان عمر رضي الله عنه هو الذي ايقظ النبي صلى الله عليه وسلم بالتكبير اقول ظاهر هذه الرواية أنهم صلوا بمحلهم ولم ينتقلوا * وفي رواية قال لهم صلى الله عليه وسلم تحولوا عن مكانكم الذي اصابتكم فيه الغفلة وفي لفظ ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفي البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال كنا في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم وانا أسرينا حتى كنا في آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة احلى عند المسافر منها فما ايقظنا الا حر الشمس وكان صلى الله عليه وسلم اذا نام لم نوقظه حتى يكون هو يستيقظ لانا لا ندري ما يحدث له صلى الله عليه وسلم في نومه أي من الوحي فكانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحي كما تقدم في غزوة بني المصطلق فلما استيقظ عمر رضي الله عنه ورأى ما أصاب الناس أي من فوات صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم * وفي رواية ان الصديق رضي الله عنه استيقظ أولا ثم لا زال يسبح ويكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذي اصابهم أي من فوات صلاة الصبح قال لا ضير ارتحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودي بالصلاة فصلى بالناس وهذا كما ترى فيه التصريح بان هاتين اليقظتين وقعتا في غزوة تبوك الاولى عند دهابهم لها والثانية عند منصرفهم منها وفي دلائل النبوة للبيهقي عن بعض الصحابة بعد ان صلينا ركعتين جعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي تهمسون دوني فقلنا يا رسول الله تفريطنا في صلاتنا فقال أما لكم في اسوة حسنة ثم قال ليس في النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجيء وقت اخرى وفي فتح الباري اختلف في تعيين هذا السفر ففي مسلم انه كان في رجوعهم من خيبر قريب من هذه القصة وفي ابي داود اقبل النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية ليلا فنزل فقال من يكلؤنا فقال بلال أنا الحديث وفي مصنف عبد الرزاق ان ذلك كان بطريق تبوك وقد اختلف العلماء هل كان ذلك أي نومهم عن صلاة الصبح مرة أو أكثر فجزم الاصيلي رحمه الله بان القصة واحدة وتعقبه القاضي عياض رحمه الله بان قصة ابي قتادة مغايرة لقصة عمران بن حصين ومما يدل على تعدد القصة اختلاف مواطنها وفي الطبراني قصة شبيهة بقصة عمران وان الذي كلأ لهم الفجر ذو مخبر قال ذو مخبر فما استيقظ الا حر الشمس فجئت ادنى القوم فايقظته وايقظ الناس بعضهم بعضا حتى استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فليتامل وتقدم عن الامتاع قال عطاء بن يسار ان ذلك كان في تبوك وهذا لا يصح والاحاديث الصحاح على خلاف قوله مسندة ثابتة والله اعلم واستشكل ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وقوله صلى

ولا يقبل الله الا بصلاة ولا صلاة الا بقرآن قال فعلمني فعلمه صلى الله عليه وسلم الفاتحة والاخلاص فقال يا رسول الله ما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا فقال صلى الله عليه وسلم هذا كلام رب العالمين وليس بشعر واذا قرأت قل هو الله أحد مرة فكانما قرأت ثلث القرآن وان قرأتها مرتين فكانما قرأت ثلثي القرآن وان قرأتها ثلاثا فكانما قرأت القرآن كله فقال الاعرابي نعم الاله الهنا يقبل اليسير ويعطي الكثير ثم قال صلى الله عليه وسلم ألك مال فقال ما في سليم قاطبة افقر مني فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اعطوه فاعطوه حتى اثروه فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اني أعطيه يا رسول الله ناقة عشراء اهديها الى يوم تبوك تلحق ولا تلحق اتقرب بها الى الله دون البختي وفوق العرابي فقال صلى الله عليه وسلم لقد وصفت ما تعطي فاصف لك ما يعطيك الله قال نعم قال لك ناقة من در جوفاء قوائمها من زمرد اخضر وعنقها من زبرجد أصفر عليها هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق تمر بك على الصراط كالبرق الخاطف فخرج الاعرابي من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاه الف اعرابي من بني سليم على الف دابة بالف رمح والف سيف فقال لهم اين تريدون قالوا هذا الذي يكذب ويزعم انه نبي فقال الاعرابي اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقالوا اصبوت فحدثهم بحديثه فقالوا كلهم

لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقاموا بالارداء فنزلوا عن ركائبهم يقبلون ما ولوا منه وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وقالوا يارسول الله مرنا بامرك فقال كونوا تحت راية خالد بن الوليد قال ابن عمر رضي الله عنه ما فلم يؤمن في ايامه صلى الله عليه وسلم من العرب ولا من غيرهم الف غيرهم هذا الحديث قد ضعفه بعضهم وادعي بعضهم انه موضوع وذلك مردود كيف وقد رواه الائمة الحفاظ الكبار كابن عدي وتلميذه البيهقي وهو لا يروي موضوعا والدارقطني

الله عليه وسلم لعائشة وقد قالت له أتنام قبل ان توتر قال تنام عيني ولا ينام قلبي واجيب عنه باجوبة احسنها ان القلب انما يدرك الحسيات المتعلقة به كالحدث الالم ولا يدرك ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر ومن الاجوبة انه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه عينه وقلبه ونوم تنام فيه عينه فقط وينبغي ان يكون هذا الثاني اغلب احواله وان كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثله في ذلك ويكون قوله ﷺ نحن معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا أي غالبا ويكون هذا حاله دائما وابدا اذا كان متوضئا لقولهم انه لا ينتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم بالنوم وفي جعله العين محلا للنوم نظر لان العين انما هي محل السنة ومحل النعاس الرأس ومحل النوم القلب قال الحافظ السيوطي وكون القلب محلا للنوم دون العين لا يشكل عليه صلى الله عليه وسلم تنام عيناي ولا ينام قلبي لانه من باب المشاكلة وفيه بحث هذا كلامه واستشكل قوله صلى الله عليه وسلم ارتحلوا فان هذا منزل حضر فيه الشيطان وفي لفظ ارتحلوا فان هذا واد به شيطان بانه يقتضي تسليط الشيطان على النبي صلى الله عليه وسلم لان الظاهر ان وجود الشيطان هو السبب في النوم عن الصلاة وأجيب بانه على تسليم ذلك فان تسليطه انما كان على من كان يحفظ الفجر بلال أو غيره وفي بعض الروايات كما تقدم ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام ثم لحق صلى الله عليه وسلم بالجيش وقيل لحوقه صلى الله عليه وسلم بهم قال لاصحابه ما ترون الناس يعني الجيش فعلوا قالوا الله ورسوله اعلم فقال ﷺ لو أطاعوا ابا بكر وعمر رشدوا وذلك ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما ارادا ان ينزلا الجيش على الماء فابوا ذلك عليهما فنزلا على الماء فابوا ذلك عليهما ونزلا على غير ماء بفلاة من الارض لا ماء بها عند زوال الشمس وقد كادت اعناق الخيل والركاب تقع عطشا فدعا رسول الله ﷺ وقال اين صاحب الميضاة وقيل هو ذا يارسول الله قال جئني بميضاتك فجاء بها وفيها شيء من ماء * وفي رواية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركوة فافرغ ما في الاداوة فيها ووضع اصابعه الشريفة عليها فنبع الماء من بين اصابعه واقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا ورووا خيلهم وركابهم وكان في العسكر من الخيل اثنا عشر الف فرس أي على ما تقدم ومن الابل خمسة عشر الف بعير والناس ثلاثون الفا وقيل سبعون الفا واوضح ان هذه العطشة غير المتقدمة التي دعا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر وفي كلام بعضهم انه لما حصل للقوم العطش ارسل صلى الله عليه وسلم بعراو يقال عليا والزبير يستعرضون الطرق واعلمهم ان عجوزا تمر بهم في محل كذا على ناقة معها سقاء ماء فقال لهم صلى الله عليه وسلم اشتروا منها بما عزوها وأتوا بها مع الماء فلما بلغوا المكان اذا بالمرأة ومعها السقاء * وفي رواية اذا نحن بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسألوها في الماء فقالت أنا واهلي أحوج اليه منكم فسالوها ان تاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فابت وقالت من هو رسول الله لعله الساحر * وفي رواية الذي يقال له الصابي وخير الاشياء أني لا آتيه فشدوها وثاقا واتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم خلوا عنها * وفي رواية قلنا لها اين الماء

وناهيك به وللحديث ابن عمر طرق ورواه ابو نعيم وورد مثله عند ابن عساكر عن علي رضي الله عنه ورواه ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومن حديث عائشة وابي هريرة رضي الله عنهما غاية الامران بعض الطرق ضعيفة لكنها يقوى بعضها بعضا والله أعلم

﴿ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم﴾ حديث الغزالة أي كلامها له روي حديثها البيهقي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه من طرق يقوى بعضها بعضا فيعلم أن له أصلا ويكون حسنا لغيره وذكره القاضي عياض بلا سند عن أم سلمة رضي الله عنها بدون تمريض فيدل على قوته فلا عبرة بتضعيف بعضهم له ورواه أبو نعيم في الدلائل النبوية عن انس وعن ام سلمة ايضا رضي الله عنهما قالت بينما رسول الله صلى الله

عليه وسلم في صحراء من الارض اذا هاتف يهتف يارسول الله ثلاث مرات فالتفت قالت فاذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي مجندل في شملة نائم في الشمس فقال لها ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان أي ولدان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع قال تفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار اي المكاس ان لم ارجع فاطلقها فذهبت فارضعتهما ورجعت عن قرب فاوثقها النبي صلى الله عليه وسلم كما كانت فانتبه الاعرابي من نومه فقال يارسول

الله أسألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب برجليها الأرض وتقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وفي رواية لزيد ابن ارقم رضي الله عنه قال فيها فانا والله رأيتها تسبح في البرية وهي تقول لا اله الا الله محمد رسول الله. رواه الطبراني بنحو هذا وساق الحافظ المنذري لفظ الطبراني في الترغيب والترهيب من باب الزكاة وانكر السخاوي حديث تكليم الغزالة ثم قال لكنه في الجملة وارد في عدة أحاديث تتقوى بعضها ببعض اوردها شيخنا شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج احاديث المختصر الكبير في الاصول لابن الحاجب وقال العلامة ابن السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب وحديث تسبيح الحصى وتكليم الغزالة وان لم يكونا اليوم متواترين لعلهما تواترا اذ ذاك وقال الحافظ ابن حجر والذي أقوله انها كلها مشتهرة بين الناس انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم * تعظيم داجن البيوت له وانقيادها وطاعتها له وشهادتها عنده صلى الله عليه وسلم والداجن ما ألف البيوت من الحيوانات كالطير والشاة والناقة وقد روي ذلك الامام أحمد والبزار وقاسم بن ثابت السرقسطي الاندلسي عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ أي سكن وثبت مكانه فلم يجيء ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب اي مشى في البيت وتردد فيه لانه ليس ثمة من يهابه وقيل معناه لم يقر لعدم رؤيته صلى الله عليه وسلم شوقا له وكلاهما اي الحيوان الذي لا يعقل له صلى الله عليه وسلم ومهابته عنده آية ظاهرة وذكره القاضي عياض في الشفاء بسنده الى قاسم بن ثابت ايضا وعن عبد الله بن قرط رضي الله عنه قال قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس اوست اوسبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدا اي تقدمت كل واحدة منهن اليه صلى الله عليه وسلم رغبة في ان

قالت أهاه أهاه لا حالكم بيكم وبين الماء مسيرة يوم وليلة ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انا بين لنا في الماء ولم تضن عليك كما جئت به وقالت شانكم وقال صلى الله عليه وسلم لابي قتادة هات الميضاة فقربت اليه فحل السقاء وتمل فيه وصب في الميضاة ماء قليلا ثم وضع يده الشريفة فيه ثم قال ادنوا وخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما رووا وملؤا كل اناء الاملؤه وروو الظهر وخيلهم وبقي في الميضاة ثلثاها والميضاة هي الاداوة لانه يتوضأ منها وفي الدلائل للبيهقي فجعل في افواه مزادتيها ثم قال فيه ماشاء الله أن يقول زاد في رواية ثم مضمض ثم رد الماء في المزادتين وأوكأ افواههما واطلق العزالي ثم أمر الناس أن يملؤا آنيتهم وأسقيتهم ثم قال لها تعلمين والله ما رزأنا من مائك شيئا ولكن الله عز وجل هو الذي سقانا والعزالي جمع عزلاء والعزلاء هي التي يخرج منها الماء من الراوية وهي المراد بالمزادة وهذا السياق يدل على أن هذه عطشة ثالثة لان الثانية وضع صلى الله عليه وسلم يده في الركوة التي صب فيها من الميضاة وهذه وضع يده في الميضاة بعد ان لم يجدوا في الميضاة شيئا * وفي رواية ان المرأة أخبرته أنها مؤتمة أي لها صبيان ايتام فقال هاتوا ما عندكم فجمعنا لها من كسرة وتمر وصرته ثم قال لها اذهبي فاطعمي هذا عيالك وفي رواية ايتامك وصارت تعجب مما رأت ولما قدمت على أهلها قالوا لها لقد احتبست علينا قالت حبسني اني رأيت عجبا من العجب أرأيتم مزادتي هاتين فوالله لقد شرب منهما قريب من سبعين بعيرا وأخذوا من القرب والمزاد والمطاهر مالا أحصي ثم هما الآن أوفر منهما يومئذ ولبثت شهرا عند اهلها ثم اقبلت في ثلاثين راكبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت واسلموا وفي مسلم لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة بحيث صارت تمص الثمرة الواحدة جماعة يتناوبونها فقالوا يارسول الله لو اذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله ان فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل ازوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله ان يجعل في ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل ازوادهم فجعل الرجل يأتي بكف ذرة ويجيء الآخر بكف من تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم خذوا في اوعيتكم فاخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء الاملؤه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة وفي رواية الا وقاه الله النار وتقدم نظير ذلك في الرجوع من غزوة الحديبية اي ولا مانع من التعدد او هو من خلط بعض الرواة ولعل هذا كان بعد ان ذبح لهم طلحة بن عبد الله جزورا فاطعمهم واسقاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت طلحة الفياض وسماه يوم احد طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر رضي الله عنهم * وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال كنت في غزوة تبوك على نحي السمن فنظرت الى النحي وقد قل مافيه وهيأت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما ووضعت النحي في الشمس ونمت فانتبهت بخرير النحي فقمت فاخذت راسه بيدي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يدعهما وانقياداله بالهام من الله تعالى رواه الحاكم والطبراني وأبو نعيم وروى الطبراني عن زيد بن ثابت والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قالا غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بمجمع المدينة بصرنا باعرابي آخذ بخطام بعير حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا نبي الله ورد عليه السلام فجاء رجل وقال ان هذا الاعرابي سرق هذا البعير فرغا البعير وهو صلى الله عليه وسلم

منصت له ثم قال للرجل انصرف فان البعير يشهد انك كاذب وعبارة الشفاء ومن

معجزاته حديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي الشفاء ايضا ومن هذا القبيل ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لفرسه وقد قام الى الصلاة في بعض اسفاره والفرس غير مربوط لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله في قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم ففيه معجزة له حيث فهم الحيوان كلامه ومما يندرج في تسخير الحيوانات له صلى الله عليه وسلم ما رواه البخاري في تاريخه والبيهقي في سننه من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فقال له أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي كتابه فالهمه الله تعالى ان فهم كلامه فهمهم وتنحى عن

وقد رأى لو تركته اسال الوادي سمنا وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فقال ليلة لبلال هل من عشاء فقال والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا فقال انظر عسى ان تجد شيئا فاخذ الجرب ينفضها جرابا جرابا فيقع التمرة والتمرتان حتى رأيت في يده صلى الله عليه وسلم سبع تمرات ثم دعا بصحفة ووضع التمر فيها ثم وضع يده الشريفة على التمرات وقال كلوا بسم الله فاكلنا ثلاثة انفس وأحصيت أربعا وخمسين تمرة أعدها عدا ونواها في يدي الاخرى وصاحباي يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا أيدينا فاذا التمرات السبع كما هي فقال يا بلال ارفعها فانه لا يأكل منها احد الا نهل شبعا فلما كان من الغد دعا صلى الله عليه وسلم بلالا بالتمرات فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة عليهن ثم قال كلوا بسم الله فاكلنا حتى شبعنا وانا لعشرة ثم رفعنا ايدينا واذا التمرات كما هي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا اني استحي من ربي لاكلنا من هذه التمرات حتى نرد على المدينة من آخرنا فاعطاهن غلاما فولى وهو يلوكهن * واتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك يحنة بضم المثناة تحت وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء التانيث بن روبة بالموحدة صاحب أيلة وصحبته اهل جرباء تانيث أجرب بدويقصر قرية بالشام وأهل أذرح بالدال المعجمة والراء المهملة المضمومة والحاء المهملة مدينة تلقاء السراة واهل ميناء واهدى يحنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء وكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية أي بعد أن عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له صلى الله عليه وسلم ولاهل ايلة كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن روبة واهل ايلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه طيبة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر ولا بحر * وكتب صلى الله عليه وسلم لأهل اذرح وجرباء ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم لاهل اذرح وجرباء انهم آمنون بامان الله وامان محمد وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين * وصالح صلى الله عليه وسلم أهل ميناء على ربع ثمارهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال رأيت ونحن في تبوك شعلة من نار في ناحية العسكر أي ضوء شمعة كما صرح به الجلال السيوطي رحمه الله حيث أجاب من سأله هل الشمع كان موجودا قبل البعثة وهل وقد عنده صلى الله عليه وسلم بانه كان موجودا قبل البعثة فقد ذكر العسكري رحمه الله في الاوائل ان اول من اوقده خزيمة الابرش أي وقد تقدم وهو قبل البعثة بدهر وورد في حديث انه اوقد النبي صلى الله عليه وسلم عند دفنه عبد الله ذا البجادين قال وقد ألفت في المسألة تاليفا سميته مسامرة السموع في ضوء الشموع قال ابن مسعود رضي الله عنه فاتبعتها انظر اليها فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر واذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات واذا هم قد حفروا له ورسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته وأبو بكر وعمر يدليانه

الطريق وذكر في منصرفه من اليمن مثل ذلك وفي رواية للبزار والبيهقي صححهما السيوطي وهو سفينة رضي الله عنه كان في سفينة في البحر فانكسرت فخرج الى جزيرة فاذا الاسد قال فقلت له أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذ لي الله عليه وسلم مرة باذن شاة أي أمسكها باصبعه ثم خلاها فصار ذلك وسما فيها وفي نسلها ويلتحق بهذا المبحث ما روى الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك خرج ستة نفر منهم

في يوم واحد فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم والواقدي امام جليل من ائمة السير وثقه بعضهم وتكلم فيه بعضهم قال الشهاب الخفاجي ويكفي رواية الشافعي عنه دليلا على صحة ما رواه وقد ترجمه الذهبي وابن سيد الناس وغيرهما ترجمة جليلة قال القاضي عياض في الشفاء والاحاديث في هذا الباب كثيرة وقد جئنا منها بالمشهور والله سبحانه وتعالى اعلم * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم نبع الماء الطهور من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم * قال القرطبي قصة نبع

وهو يقول ادليا الى أخاكما فادلياه اليه فلما هيأه لشقه قال اللهم قد أمسيت راضيا عنه فارض عنه يقول ابن مسعود ياليتني كنت صاحب الحفرة اي والبجاد بوحدة ككتاب الكساء المخطط الغليظ لانه لم يكن لعبد الله المذكور الا بجاد واحد فشقه نصفين فاتزر بواحد وارتدي بالآخر وقدم المدينة واسلم وقرأ قرآنا كثيرا وكان اسمه عبد العزى فسماه رسول الله ﷺ ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك خرج معه وقال يارسول الله ادع الله لي بالشهادة فقال صلى الله عليه وسلم ائتني بلحاء شجرة أي بقشرها فاتاه بذلك فربطه صلى الله عليه وسلم على عضده وقال اللهم حرم دمه على الكفار قال يارسول الله ليس هذا اردت قال انك اذا أخذتك الحمي فقتلتك فانت شهيد فاخذته الحمى بعد الاقامة بتبوك اياما ومات اي وهذا هو المشهور وروي عن الادرع الاسلمي وكان في حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جئت ليلة أحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل ميت فقيل هذا عبد الله ذو البجادين توفي بالمدينة وفرغوا من جهازه وحملوه فقال النبي ﷺ ارفقوا به رفق الله بكم فانه كان يحب الله ورسوله قال ابن الاثير وهذا حديث غريب لا يعرف الا من هذا الوجه وتقدم * وعن الحافظ السيوطي رحمه الله لما ذكر أنه أوقد للنبي صلى الله عليه وسلم الشمع عند دفنه عبد الله ذا البجادين قال وقد دل ذلك على اباحة استعماله أى الشمع فلا يعد استعماله اسرافا مع قيام غيره من الادهان مقامه واقام ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة وفي سيرة الحافظ الدمياطي عشرين ليلة يصلي ركعتين ولم يجاوز تبوك ويحتاج أئمتنا الى الجواب عن ذلك على تقدير صحته قال وقد استشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه في مجاوزتها فقال له عمر رضي الله عنه ان كنت أمرت بالسير فسر فقال رسول الله ﷺ لو أمرت بالسير لم استشركم فيه فقال يا رسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنوا وقد افزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى نري او يحدث الله امرا او هذا لانه يحتمل ان تبوك لم يقع بها مقاتلة ولا حصل فيها غنيمة ويرد ما ذكره الزمخشري في فضائل العشرة انه صلى الله عليه وسلم جلس في المسجد يقسم غنائم تبوك ودفع لكل واحد سهما ودفع لعلي كرم الله وجهه سهمين فقام زائدة بن الاكوع وقال يارسول الله أوحى نزل من السماء أم امر من نفسك فقال ﷺ انشدكم الله هل رأيتم في ميمنتكم صاحب الفرس الاغر المحجل والعمامة الخضراء لها ذؤابتان مرخاتين على كتفيه بيده حربة قد حمل بها على الميمنة فازالها قالوا نعم قال هو جبريل عليه السلام وانه امرني ان ادفع سهمه لعلي فقال زائدة حبذا سهم بسهم وخطب صلى الله عليه وسلم خطبة فيها اما بعد فان احسن الحديث كتاب الله وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ورأس الحكمة مخافة الله عزوجل والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون والسعيد من وعظ بغيره ومن يغفر يغفر له ومن يعف يعف الله عنه ومن يصبر على الرزية يعوضه الله استغفر الله لي ولكم * واهدي له صلى الله عليه وسلم بعض اهل الكتاب جبنة فدعا بالسكين فسمي الله وقطع واكل ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة وكان في الطريق ماء يخرج من وشل

الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم قد تكررت في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي وقال القاضي عياض هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير والجم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثيرة منهم في المحافل ومجامع العساكر ولم يرد عن احد منهم انكار على الراوي ذلك فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاته صلى الله عليه وسلم وحديث نبع الماء جاء من رواية انس عند الشيخين واحمد وغيرهم من خمسة طرق وعن جابر عندهم من اربعة طرق وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي وعن ابن عباس عند الامام احمد والطبراني من طريقين فقول ابن بطال لم يرد الا من طريق انس مردود وهذه المعجزة لم يسمع انها وقعت لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وهي اعظم من نبع الماء من الحجر الذي وقع لموسى عليه السلام حين ضرب الحجر بعصاه فتفجرت منه اثنتا عشرة عينا لان خروج الماء من الحجارة معهود في الجملة بخلاف نبع الماء من بين لحم ودم فانه ليس بمعهود وما احسن قول بعضهم

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر * فان في الكف معنى ليس في الحجر

قال في المواهب وقد روي حديث نبع الماء جماعة

من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود وابن عباس وابو ليلى رضى الله عنه فاما حديث انس ففى الصحيحين قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر زاد فى رواية وهو بالزوراء موضع بسوق المدينة فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده فى ذلك الاناء فامر الناس ان يتوضؤا منه فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم وكانوا سبعين اوثمانين وفى رواية فقلنا لانس كم كنتم قال كما زهاء ثلثمائة وحمل على تعدد القصة وانهم كانوا مرة ثمانين أو سبعين ومرة ثلثمائة فهما كما قال النووي قصيتان جرتا فى وقتين حضرهما جميعا انس رضي الله عنه وقوله حتى توضؤا من عند آخرهم مبالغة فى التعميم حتى كان الآخر هو الذي ابتدىء به اشارة الى ان الآخر اسبغ الوضوء من غير نقص مثل اسباغ الاول بل كانه هو الاول وروي ابن شاهين عن انس رضى الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقال المسلمون يارسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل فى شن اى قربة بالية بشىء من ماء فقال هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته فى الماء قال انس رضى الله عنه فرأيتها اى الصحفة تخلل عيونا اى تتخلل اى تنفذ عيونها بين اصابعه فسقينا ابلنا ودوابنا وتزودنا اى حملنا الماء معنا فقال صلى الله عليه وسلم أكفيتم قلنا نعم يارسول الله فرفع يده من الصحفة
فارتفع الماء واخرج البيهقى عن انس ايضا رضى الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى قباء فاتى من بعض بيوتهم بقدح صغير فادخل يده فلم يسعها القدح فادخل اصابعه الاربعة ولم يستطع أن يدخل ابهامه ثم قال للقوم هلموا الى الشراب قال انس رضي الله عنه بصر عيني نبع الماء من بين أصابعه فلم نزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا واما حديث جابر رضى الله عنه ففى

قليل جدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيأ حتى نأتيه فسبق اليه نفر من المنافقين فاستقوا مافيه فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يجد فيه شيأ فقال من سبقنا الى هذا الماء فقيل له فلان وفلان وفلان فقال أولم أنههم ان يستقوا منه شيأ حتى آتيه ثم لعنهم ودعا عليهم ثم نزل صلى الله عليه وسلم فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب فى يده ماشاء الله أن يصب ثم نضحه ومسح بيده ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماشاء ان يدعو به فانخرق من الماء وكان له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم او بقى منكم احد لتسمعن بهذا الوادي وقد اخصب ما بين يديه وماخلفه أى وهذا خلاف عين تبوك الذي تقدم له صلى الله عليه وسلم فيها مايشبه هذا او قوله لمعاذ يامعاذ يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ههنا ملىء جنانا الى آخره لان تلك العين كانت بتبوك وهذا عند منصرفه من تبوك قال واجتمع رأي من كان معه صلى الله عليه وسلم من المنافقين وهم اثني عشر رجلا وقيل اربعة عشر وقيل خمسة عشر رجلا على ان ينكثوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة التى بين تبوك والمدينة وقالوا اذا اخذ في العقبة دفعناه عن راحلته فى الوادى فاخبر الله تعالى رسوله بذلك فلما وصل الجيش العقبة نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادى فانه أسهل لكم واوسع فسلك الناس بطن الوادى وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة فلما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا وسلكوا العقبة وأمر صلى الله عليه وسلم عمار بن ياسر رضى الله عنه ان ياخذ بزمام الناقة يقودها فامر صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما ان يسوق من خلفه وفى الدلائل عن حذيفة قال كنت ليلة العقبة آخذا بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقود به وعمار بن ياسر يسوقه وانا أسوقه وعمار يقوده اى يتناوبان ذلك فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى العقبة اذ سمع حس القوم وقد غشوه فنفرت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي سقط بعض متاعه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر حذيفة ان يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه محجن فجعل يضرب به وجوه رواحلهم وقال اليكم اليكم يا أعداء الله فاذا هو بقوم ملثمين وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم صرخ بهم فولوا مدبرين فعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مكرهم به فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادى واختلطوا بالناس فرجع حذيفة يضرب الناقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عرفت احدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم ملثمين والليلة مظلمة وعن حمزة بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه انه كان يقول لما سقط متاع النبي صلى الله عليه وسلم وأردت جمعه نور لى فى اصابعي الخمس فاضاءت حتى جمعت ماسقط حتى مابقي من المتاع شىء وفى لفظ أن حذيفة رضي الله عنه قال عرفت راحلة فلان وراحلة فلان قال هل علمت ما كان من شأنهم وما أرادوه قال لا قال انهم مكروا بى ليسيروا معي فى العقبة فيزحموني فيطرحوني منها ان الله أخبرني

بهم ويمكرهم وساخبرك بهم وا كتمهم فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء اليه أسيد بن حضير فقال يارسول الله مامنعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان أسهل من سلوك العقبة فقال اتدرى ماأراد المنافقون وذكر له القصة فقال يارسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن ان يقتل الرجل الذى هم بهذا فان احببت بين باسمائهم والذى بعثك بالحق لاأبرح حتى آتيك برؤسهم فقال ﷺ انى اكره ان يقول الناس ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا اظهره الله تعالى بهم اقبل عليهم يقتلهم فقال يارسول الله هؤلاء ليسوا باصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليس يظهرون الشهادة ثم جمعهم رسول الله ﷺ واخبرهم بما قالوه وما اجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا ارادوا الذى ذكر فانزل الله تعالى يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الآية وانزل الله تعالى وهموا بما لم ينالوا ودعا عليهم رسول الله ﷺ وقال اللهم ارمهم بالدبيلة وهى سراج من نار يظهر بين اكتافهم حتى ينجم من صدورهم انتهى اى وفى لفظ شهاب من نار يقع على نياط قلب احدهم فيهلكه وفى الامتاع ان النبى صلى الله عليه وسلم رهو بتبوك صلى الى نخلة فجاء شخص فمر بينه وبين تلك النخلة بنفسه وفى رواية وهو على حمار فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فقال قطع صلاتنا قطع الله اثره فصار مقعدا وكان يقال لحذيفة رضى الله تعالى عنه صاحب سر رسول الله ﷺ قال حذيفة نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن راحلته فاوحى اليه وراحلته باركة فقامت تجر زمامها فلقيتها فاخذت بزمامها وجئت الى قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانختها ثم جلست عندها حتى قام النبى صلى الله عليه وسلم فاتيته بها فقال من هذا فقلت حذيفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انى مسر اليك سرا فلا تذكره انى نهيت ان اصلى على فلان وفلان وعد جماعة من المنافقين فلما توفى رسول الله ﷺ كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته اذا مات الرجل ممن يظن انه من اولئك الرهط اخذ بيد حذيفة رضى الله تعالى عنه وقاده الى الصلاة عليه فان مشى معه حذيفة صلى عليه عمر رضى الله عنه وان انتزع يده من يده ترك الصلاة عليه وقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين عند انصرافه ان بالمدينة لاقواما ماسرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا يارسول الله وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر ثم اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى اوان بحل بينه وبين المدينة ساعة من نهار اى وقال البكرى اظن ان الراء سقطت من بين الهمزة والواو اى اروان منسوب الى البئر المشهورة حين نزل ﷺ اتاه خبر مسجد الضرار فانزل الله تعالى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية اى لاضرار اهل قباء أى فان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء حسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نصلى فى مربط حمار لا لعمر الله أى لانه كان لامرأة كانت تربط فيه حمارها ولكننا نبنى مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه ويصلى فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فيثبت لنا الفضل والزيادة على اخواننا وكان المسلمون فى تلك الناحية كلهم يصلى فى مسجد قباء جماعة فلما بنى هذا المسجد فصرف عن مسجد قباء جماعة وصلوا بذلك المسجد

الصحيحين من رواية سالم ابن ابي الجعد عن جابر رضي الله عنه قال عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها فجهش الناس حوله اي اسرعوا فقال مالكم قالوا يارسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا ماء نشربه الا ما بين يديك فوضع صلي الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا قال سالم قلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى هذه القصة البخاري ايضا عن البراء بن عازب رضى الله عنهما وقال كنا اربع عشرة مائة وجمع بينهما بانهم كانوا اكثر من اربع عشرة مائة فبعضهم جبر الكسر وبعضهم الغاه ويؤيده انه جاء في رواية للبخاري كانوا الفا واربعمائة او اكثر واعتمد النووي هذا الجمع قال لصحة الروايات كلها وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه انه كان مثل ذلك فى غزوة بواط هو واسم جبل من جبال جهينة بقرب ينبع والعطه قال جابر رضي الله عنه قال لى رسول الله نادالا وضوء فقلت ألا وضوء ألا وضوء ألا وضوء قال ثم قلت يارسول الله ماوجدت فى الركب من قطرة وكان رجل من الانصار يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الماء فى اشجاب على حمارة من جريد قال وقال لى انطلق الى فلان الانصاري فانظر هل فى شجابه من شيء فانطلقت اليه فنظرت اليها فلم أجد الاشياء يسيرا لو انى افرغه اشربه يابس الاناء فرجعت فاخبرته قال اذهب فأتنى به فاتيته به فاخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لاادرى ماهو ويغمز بيده ثم اعطانيه فقال ياجابر ناد بجفنة فقلت ياجفنة الركب فاتيت بها تحمل فوضعتها بين يديه فقال صلى الله عليه وسلم بيده هكذا فبسطها وفرق بين اصابعه ثم وضعها فى قعر الجفنة وقال خذ ياجابر فصب على وقل باسم الله فصببت عليه وقلت بسم الله فرأيت الماء يفور من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت حتى امتلأت فقال ياجابر ناد من كنت له حاجة

بماء قال فاتي الناس فاستقوا حتى رووا وتي فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى قال الحافظ ابن حجر وهذه القصة أبلغ من جميع ما تقدم لاشتمالها على قلة الماء وعلى كثرة من استقى منه وقوله في اشجاب جمع شجب وهي القربة البالية وروى حديث جابر رضي الله عنه الامام أحمد في مسنده بلفظ اشتكى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فدعا بعس وهو القدح الكبير فصب فيه شيأ من الماء ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده وقال

استقوا فاستقى الناس فكنت أرى العيون تنبع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وفي لفظ عن جابر ايضا قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه في الاناء ثم قال بسم الله قال اسبغوا الوضوء قال جابر فوالذي ابتلاني ببصري اي بعدمه وذهابه لانه عمي آخر عمره رضي الله عنه لقد رايت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم فما رفعها اي يده حتى توضؤا اجمعون ورواه ايضا عن جابر البيهقي في الدلائل قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اي وهو الحديبية فاصابنا عطش وجهشنا اي اسرعنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في تور من ماء وهو بفتح المثناة الفوقية اناء من حجارة او صفر يشرب فيه قيل انه يشبه الطست فجعل الماء ينبع من بين اصابعه كانه العيون قال خذوا باسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة الف لكفانا قلت لجابر كم كنتم قال كنا الفا وخمسمائة واما حديث ابن مسعود رضي الله عنه ففي صحيح البخاري من رواية علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أي في سفر قيل هو الحديبية وجزم ابو نعيم بان ذلك كان في غزوة خيبر ورجحه الحافظ ابن حجر وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء وفي رواية فجاؤا باناء فيه ماء

صلى

وكان به تفريق المؤمنين فكانوا يجتمعون فيه ويعيبون النبي صلى الله عليه وسلم ويستهزؤن به أي ويقال ان أبا عامر الراهب الذى سماه النبي صلى الله عليه وسلم فاسقا هو الآمر لهم ببنائه فقال لهم ابنوا الى مسجدا واستمدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فاني محد من الروم فاخرج محمدا واصحابه من المدينة وانهم لما فرغوا من بنائهم ارسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم ويصلي فيه كما صلى في مسجد قباء فهم ان يأتيهم فانزل الله تعالى الآية وفي رواية اتوه ﷺ وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله قد بنينا مسجد الذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تأتينا فتصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة قال انى على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا ان شاء الله تعالى لاتيناكم فصلينا لكم فيه فلما قفل من السفر وسألوه اتيان المسجد جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء فامر جماعة منهم وحشي قاتل حمزة رضي الله عنهم وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه على اصحابه ففعل به ذلك قال وكان ذلك بين المغرب والعشاء ووصل الهدم الى الارض واعطاه صلى الله عليه وسلم لثابت بن ارقم رضي الله عنه يجعله بيتا فلم يولد في ذلك البيت مولود قط وحفر به نقبة فخرج منها الدخان ولعل هذا اي جعله بيتا كان بعد ان امر صلى الله عليه وسلم أن يتخذ محلا لالقاء الكناسة والجيفة وفي الكشاف ان مجمع بن حارثة كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ان يأذن لمجمع بن حارثه ان يؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة أليس بامام مسجد الضرار فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القرآن شيأ فعذره وصدقه وامره بالصلاة بهم ولما اشرف رسول الله ﷺ على المدينة قال هذه طابة اسكننيها ربي تنفي خبث اهلها كما ينفي الكير خبث الحديد ولما راى صلى الله عليه وسلم جبل أحد قال هذا أحد جبل يحبنا ونحبه وتقدم ما في ذلك في غزوة احد وعن عائشة رضي الله عنها لما قدم رسول الله ﷺ المدينة تلقاه النساء والصبيان يقولان

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

قال البيهقي رحمه الله وهذا يذكره علماؤنا عند مقدمه صلى الله عليه وسلم المدينة من مكة لا انه عند مقدمه المدينة من تبوك هذا كلامه ولا مانع من تعدد ذلك ولما دنا صلى الله عليه وسلم من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله ﷺ لاصحابه لا تكلموا رجلا منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم فاعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن ابيه واخيه انتهى اي وعن فضالة بن عبيد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غزا غزوة تبوك جهد الظهر جهدا شديدا حتى صاروا يسوقونه فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم ذلك ورآهم يسوقونه فوقف

قليل فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مسعود رضي الله عنه فجعلت ابادرهم الى الماء ادخله في جوفي اى اطلب البركة وفي رواية قال كنا نعد الآيات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا باناء فيه ماء قليل فادخل يده في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين اصابع النبي صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل انما كان النبي صلى الله عليه وسلم يطلب ماء قليلا ويضع يده فيه ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع اناء ادبا مع الله تعالى اذ هو المنفرد بابتداع المعدومات وايجادها من غير اصل ولئلا يظن بعض القاصرين انه هو الموجد للماء وللاشارة الى ان الله تعالى اجرى العادة في الدنيا غالبا بالتسبب وحديث ابن مسعود هذا رواه عنه ايضا عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا اطلب الماء فقال بلال لا والله ماوجدت الماء فقال هل من شن فاتي بشن فبسط كفه فيه فانبعث تحت يده عين فكان ابن مسعود يشرب ويكثر وغيره يتوضأ رواه الدارمي وابو نعيم ورواه الطبراني وابو نعيم من حديث ابي ليلى ورواه ابو نعيم ايضا من طريق القاسم بن عبد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده ابي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تفجر الماء وكثرته ووجوده ببركته صلى الله عليه وسلم وبمسه لمحله ودعوته فمن ذلك ما تقدم ذكره في غزوة تبوك انه صلى الله عليه وسلم مع اصحابه جاؤا عين تبوك فوجدوها تبض بشيء من ماء مثل شراك النعل قال معاذ بن جبل الراوي لهذه القصة فغرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع شيء ثم غسل عليه الصلاة والسلام وجهه ويديه به ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفي رواية

صلى الله عليه وسلم في مضيق والناس يمرون فيه فنفخ في الظهر وقال اللهم احمل عليها في سبيلك فانك تحمل على القوي والضعيف والرطب واليابس في البر والبحر فزال ما بها من الاعياء ومادخلنا الا وهي تنازعنا أزمتها وجاء ان حية عارضتهم في الطريق عظيمة الخلقة فانحاز الناس عنها فاقبلت حتى وقفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته طويلا والناس ينظرون اليها ثم التوت حتى اعتزلت الطريق فقامت قائمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا أحد الرهط الثمانية من الجن الذين وفدوا الى يستمعون القرآن اى بنخلة عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف وتقدم الكلام عليه فرأى عليه من الحق حين ألم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببلده ان يسلم عليه وها هو يقرئكم السلام فقال الناس وعليه السلام ورحمة الله وقد كان تخلف عنه صلى الله عليه وسلم رهط من المنافقين وكانوا بضعة وثمانين رجلا وتخلف عنه ايضا كعب بن مالك وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع وهلال ابن أمية وكانا من الاوس فاما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم علانيتهم ووكل سرائرهم الى الله واستغفر لهم واما الثلاثة فمن كعب بن مالك الخزرجي رضي الله عنه انه قال لما جئته صلى الله عليه وسلم وسلمت عليه تبسم تبسم المغضب وقال لي تعالى فجئت حتى جلست بين يديه فقال ما خلفك فصدقته وقلت والله ما كان لي من عذر والله ما كنت قط أقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك وفي رواية قلت يارسول الله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت اني سأخرج من سخطه بعذر ولقد اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله ان يسخط على فيه ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لارجو فيه عفو الله والله ما كان لي من عذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك وقال الرجلان الآخران وهما مرارة بن الربيع وهلال بن أمية وكانا ممن شهد بدرا وهما من الاوس مثل قول كعب فقال لهما صلى الله عليه وسلم مثل ما قال لكعب ونهى صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامهم فاجتنبهم الناس فاما الرجلان فمكثا في بيوتهما يبكيان واما كعب فكان يشهد الصلاة مع المسلمين ويطوف بالاسواق فلا يكلمه احد منهم قال ولما طال ذلك على من جفوة الناس تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الى فسلمت عليه والله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة أنشدك الله هل تعلمني احب الله ورسوله فسكت فعدت اليه فنشدته فسكت فعدت اليه فنشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار قال وبينما انا امشي بسوق المدينة اذا نبطى من انباط اهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلني على كعب بن مالك فطفق اي جعل الناس يشيرون له حتى اذا جاءني دفع الى كتابا من ملك غسان أى وهو الحرث بن ابي شمر او جبلة بن الايهم وكان الكتاب ملفوفا في قطعة من الحرير فاذا فيه اما بعد فانه بلغني ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسيك

فانخرق من اناء ماء له حس كحس الصواعق فاستقي الناس ثم قال عليه السلام يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما ههنا قد ملىء جنانا أى بساتين وعمرانا وكان كما اخبر ﷺ وفي البخاري فى غزوة الحديبية من حديث المسور بن مخرمة رضى الله عنهما ومروان بن الحكم ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه نزلوا باقصى الحديبية على ثمد قليل الماء فلم يلبث الناس حتي نزحوه وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فوالله

مازال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه والثمد بفتحتين حفرة فيها ماء قليل وفى رواية البخاري عن البراء بن عازب رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم توضا فتمضمض ودعا ومج فى بئر الحديبية منه فجاشت بالماء كذلك وفى مغازى ابى الاسود محمد بن عبد الرحمن الاسدى المدني يتيم عروة ابن الزبير عن عروة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم توضا فى الدلو ومضمض فاه ثم مج فى الدلو وامر ان يصب فى البئر ونزع سهما من كنانته والقاه فى البئر ودعا الله تعالى ففارت الي أن ارتفعت حتي جعلوا يغترفون بايديهم منها وهم جلوس على شفيرها فجمع فى هذه الرواية بين التوضى والمج والقاء سهم من كنانة وفى رواية البخارى اختصار وفيه معجزات ظاهرة وبركة سلاحه وما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم وهذه القصة

غير القصة السابقة قريبا فى ذكر نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم مما رواه البخارى ومسلم فى المغازى من حديث جابر رضى الله عنه لانه قال في حديثه فجعل الماء يفور من بين اصابعه وفي حديث البراء انه صب ماء وضوئه فى البئر فالقصة متعددة فحديث جابر فى نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث المسور والبراء كان في تكثير ماء البئر لارادة ما هو اعم من ذلك كشرب وسقى دواب ويحتمل ان يكون الماء لما انفجر من بين اصابعه ويده فى

كعب

فقلت لما قرأته وهذا ايضا من البلاء فيممت اى قصدت به التنور فسجرته بها اى القيته فيها والانباط قوم يسكنون البطائح بين العراقين قال حتي اذا مضت اربعون ليلة جاءنى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله ﷺ يامرك ان تعتزل امرأتك فقلت اطلقها ام ماذا قال لا بل اعتزلها ولا تقربها وارسل صلى الله عليه وسلم الى صاحبي اى وهما هلال ابن امية ومرارة بن الربيع بمثل ذلك فقلت لامرأتي الحقي باهلك وكوني عندهم حتى يقضى الله فى هذا الامر فجاءت امرأة هلال بن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن لا يقربك قالت والله انه ما به حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا قال كعب فقال لى بعض اهلى قال فى النور الظاهر ان القائل له امرأة لان النساء لم يدخلن فى النهى لانه فى الحديث ونهى المسلمين عن هذا الخطاب لا يدخل فيه النساء فدل على ان المراد الرجال قالت لو استاذنت رسول الله ﷺ فى امرأتك كما اذن لامرأة هلال ابن امية ان تخدمه فقلت لا أستأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدرينى ما يقول لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب ثم مضى بعد ذلك عشر ليال حتى كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما كان صلاة الفجر صبح تلك الليلة سمعت صوتا اوفى على جبل سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آذن اى اعلم بتوبة الله علينا فلما جاءنى الرجل الذى سمعت صوته يبشرنى اى وهو حمزة بن عمرو الاسلمى نزعت له ثوبى فكسوته اياهما ببشراه والله لا أملك غيرهما يومئذ واستعرت اى من أبي قتادة رضي الله عنه ثوبين ولبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقانى الناس فوجا فوجا اي جماعة جماعة يهنونى بالتوبة يقولون ليهنك توبة الله عليك حتي دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنانى والله ما قام الى رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة اى لانه صلى الله عليه وسلم كان آخى بينهما حين قدم المدينة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور وكان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كانه قطعة قمر فلما جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم قال ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك قلت امن عندك يارسول الله ام من عند الله عز وجل قال لا بل من عند الله فقلت يارسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالى صدقة الى الله والى رسوله قال رسول صلى الله عليه وسلم امسك عليك بعض مالك فهو خير لك اى وكان المبشر لهلال بن أمية اسعد بن اسد وكان المبشر لمرارة بن الربيع سلطان بن سلامة او سلامة بن وقش اى وفي البخاري عن كعب رضى الله عنه فانزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقى الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة وكانت ام سلمة رضى الله عنها محسنة فى شانى معينة فى أمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على

الركوة فتوضؤوا كلهم وشربوا وأمر حينئذ الماء بصب الذي ظل بقي في الركوة في البئر فتكاثر الماء فيها قال في فتح الباري وفي حديث زيد بن خالد انهم أصابهم مطر بالحديبية وكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع رضي الله عنهما مما رواه البخاري ومسلم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفيرها قال البراء وأتي صلى الله عليه وسلم بدلو منها فبصق ودعا الله ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة قال البراء فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا نحن وركابنا وفي رواية فارووا انفسهم وركابهم حتى ارتحلوا وفي الصحيحين عن عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنهما وعن ابيهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قيل هو الحديبية وقيل تبوك وقيل غيرهما فاشتكى الناس اليه صلى الله عليه وسلم العطش فنزل صلى الله عليه وسلم ودعا الزبير وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وقال اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فلقيا امرأة على بعير سادلة رجليها بين مزادتين فجاآ بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فافرغ من أفواه المزادتين وأوكأ أفواههما ثم وضع يده في الماء فجعل يفور ونودي في الناس اسقوا واستقوا ففعلوا والمرأة قائمة تنظر ما يفعل بمائها ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اجمعوا لها اي للمرأة اي تطييبا لخاطرها في مقابلة حبسها في ذلك الوقت عن السير الى قومها وما نالها من خوف أخذ مائها قال بعضهم انما اخذوها واستجازوا اخذ مائها لانها كانت حربية وعلى فرض ان يكون لها عهد فضرورة العطش تبيح للمسلم الماء المملوك لغيره على عوض على ان نفس الشارع صلى الله عليه وسلم تفدى بكل نفس فجمعوا لها ما بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما كثيرا فجعلوه في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها وقال لها صلى الله عليه وسلم

كعب قالت أفلا أرسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليلة حتى اذا صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر اعلم بتوبة الله علينا وانزل الله تعالى لقد تاب الله تعالى على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة الى قوله وكونوا مع الصادقين وقال في حق من اعتذر له ﷺ سيحلفون بالله لكم الى قوله فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين واستشكل نزول الوحي بالقرآن في بيت ام سلمة بقوله صلى الله عليه وسلم في حق عائشة رضي الله عنها ما نزل علي الوحي في فراش امرأة غيرها واجاب بعضهم بانه يجوز ان يكون ما تقدم في حق عائشة كان قبل هذه القصة او ان الذي خصصت به عائشة رضي الله تعالى عنها نزول الوحي في خصوص الفراش لا في البيت وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية قال كانوا عشرة ابو لبابة واصحابه تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فلما رجع صلى الله عليه وسلم اوثق سبعة منهم انفسهم بسواري المسجد منهم ابو لبابة فلما مر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من هؤلاء قالوا ابو لبابة واصحاب له تخلفوا عنك حتى تطلقهم وتعذرهم قال صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى يكون الله هو الذي يطلقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فلما بلغهم ذلك قالوا ونحن لا نطلق انفسنا حتى يكون الله هو الذي يطلقنا فانزل الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية فعند ذلك اطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذرهم فجاؤوا باموالهم وقالوا يا رسول الله هذه اموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا فقال صلى الله عليه وسلم ما امرت ان آخذ اموالكم فانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الى قوله وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهم الذين لم يربطوا انفسهم بالسواري وتقدم ان ابا لبابة رضي الله عنه ربط نفسه ببعض سواري المسجد في قصة بني قريظة وعلى هذا فقد تكرر منه ربط نفسه وقد ذكره ابن اسحق فليتامل ذلك ولما قدم صلى الله عليه وسلم من تبوك وجد عويمر العجلاني رضي الله عنه امرأته حبلى اي وهي خولة بنت عمه قيس فلاعن بينهما صلى الله عليه وسلم أي في المسجد بعد العصر وكان قد قذفها بشريك بن سمحاء ابن عمه وقال وجدته على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة اشهر فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عويمرا وقال له اتق الله في زوجتك وابنة عمك فلا تقذفها بالبهتان فقال يا رسول الله اقسم بالله اني رأيت شريكا على بطنها واني ما قربتها منذ اربعة اشهر ودعا صلى الله عليه وسلم بالمرأة التي هي خولة وقال لها اتقي الله ولا تخبريني الا بما صنعت فقالت يا رسول الله ان عويمرا رجل غيور وانه يأتي وشريكا يطيل السهر ويتحدث فحملته الغيرة على ان قال ما قال فدعا شريكا وقال له ما تقول فقال مثل قول المرأة فانزل الله تعالى والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم الآية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينادى بالصلاة جامعة فلما صلى العصر اي وقد نودي بذلك واجتمع الناس قال صلى الله عليه وسلم لعويمر قم فقام وقال اشهد بالله ان خولة لزانية واني لمن الصادقين ثم قال في الثانية اشهد بالله اني رايت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد بالله انها حبلى من غيري واني لمن

تعلمين ما أرزأنا من مائك شيئا ولكن الله هو الذي سقانا فأتت أهلها وقد احتبست عنهم فقالوا ما حبسك يا فلانة فقالت العجب أي حبسني العجب لقيني رجلان فذهبا بي الى هذا الرجل الذي يقال له الصابي ففعل كذا وكذا وحكت لهم ما فعل قالت فوالله انه لاسحر الناس كلهم أو انه لرسول الله حقا فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم الذي هي منه فقالت المرأة يوما لقومها ما أرى ان هؤلاء يدعونكم الا عمدا فهل لكم رغبة في الاسلام فأطاعوها فدخلوا في الاسلام وتقدمت هذه القصة في غزوة تبوك وتقدم فيها أيضا انه صلى الله عليه وسلم توضأ من ميضأة لأبي قتادة رضي الله عنه وبقي فيها شيء من ماء ثم قال صلى الله عليه وسلم لأبي قتادة احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ ثم أصابهم عطش شديد فشكوا عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فدعا بالميضأة فجعل صلى الله عليه وسلم يصب في قدحه وأبو قتادة يسقيهم فازدحم الناس على الميضأة بمجرد رؤية الماء لشدة عطشهم فقال صلى الله عليه وسلم أحسنوا الملء أي لا وأيكم فلا تزدحموا على الاخذ كلكم سيروى ففعلوا أي تركوا الازدحام قال أبو قتادة رضي الله عنه فجعل صلى الله عليه وسلم يصب في قدحه واسقيهم زاد الامام أحمد فشرب القوم وسقوا دوابهم وركابهم وملؤا ما كان معهم من قربة ومزادة حتى ما بقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب لي فقال لي اشرب فقلت لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله قال ان ساقي القوم آخرهم شربا قال فشربت وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم في الوفد عند ذكر وفد بني فزارة انهم شكوا اليه القحط فدعا لهم صلى الله عليه وسلم فأمطرت السماء عليهم سبعا حتى قالوا يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يده اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وسال الوادي قناة شهرا وقناة بمنع أي

الصادقين ثم قال في الرابعة اشهد بالله اني ما قربتها منذ اربعة اشهر واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه ان كان من الكاذبين ثم أمره صلى الله عليه وسلم بالقعود وقال لخولة قومي فقامت فاشهد بالله ما انا زانية وان عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية اشهد بالله ما رأى شريكا على بطني وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة اشهد بالله اني لحبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله انه ما رآني قط على فاحشة وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة ان غضب الله على خولة تعني نفسها ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما أي قال له لا سبيل لك عليها وهو دليل للامام الشافعي رضي الله تعالى عنه القائل ان الفرقة بين الزوجين تحصل بنفس التلاعن وما جاء في بعض الروايات انه طلقها ثلاثا قبل ان يأمره صلى الله عليه وسلم أي بعدم الاجتماع بها فهو محمول على انه ظن ان التلاعن لا يحرمها عليه فأراد تحريمها بالطلاق فقال هي طالق ثلاثا ومن ثم قال له صلى الله عليه وسلم عقب ذلك لا سبيل لك عليها أي لا ملك لك عليها فلا يقع طلاقك ثم قال صلى الله عليه وسلم ان جاء الولد على صفة كذا فعويمر صادق وان جاء على صفة كذا فعويمر كاذب فجاء على الصفة التي تصدق عويمرا فكان الولد ينسب الى أمه وفي البخاري ان عويمرا أتى عاصم بن عدي وكان سيد بني عجلان فقال كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا أيقتله فيقتلونه ام كيف يصنع سل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى عاصم النبي صلى الله عليه وسلم فسأله فكره النبي صلى الله عليه وسلم تلك المسئلة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عويمر فقال له عاصم لم تأتني بخير وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسئلة وعابها أي لانه صلى الله عليه وسلم كان يكره المسئلة التي لا يحتاج اليها أي التي لم تكن وقعت لا سيما ان كان فيها اهتك ستر مسلم او مسلمة قال فعويمر رضي الله عنه لم يكن وقع له مثل ذلك حينئذ ثم اتفق له وقوع ذلك بعد فقال عويمر والله لا انتهي حتى اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فجاءه عويمر وهو وسط الناس فقال يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا ان تكلم جلدتموه وان قتله قتلتموه وان سكت سكت على غيظ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم افتح وجعل يدعو فنزلت آية اللعان وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم لعويمر قد انزل الله فيك وفي صاحبتك قرآنا فاذهب فأت بها أي وذلك بعد ان ذكر له عويمر قصته وفي رواية قد قضى فيك وفي امرأتك فتلاعنا وفيه ان هلال بن امية احد المتخلفين عن تبوك قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم شريك بن سحماء أي وكانت حاملا فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة زاد في رواية او حد في ظهرك فقال يا رسول الله اذا رأى احدنا على امرأته رجلا يتكلف يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول والا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام أي بعد ان قال صلى الله عليه وسلم اللهم افتح أي بين لنا الحكم فانزل الله تعالى والذين يرمون ازواجهم فارسل صلى الله عليه وسلم الى المرأة فجاءت وتلاعنا وعند الخامسة تلكأت ونكصت حتى ظن انها ترجع

الصرف بدل من الوادي وهو اسم لواد معين من أودية المدينة بناحية احد به مزارع ولم يجيء احد من ناحية الاحدث بالجودة بفتح الجيم اى المطر الكثير وتقدم في غزوة تبوك انهم عطشوا عطشا شديدا فقال ابو بكر رضى الله عنه يارسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله لنا ان يسقينا قال اتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء اى غيمت وظهر فيها سحاب فاسكبت فملؤا ما معهم من آنية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز العسكر وروى ابن اسحق في مغازيه عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهما عن أبيه عن جده عبد الله ان أبا طالب قال كنت بذى المجاز وهو اسم سوق بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه فى الجاهلية فادركني العطش فشكوت الى ابن اخى يعنى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا ابن اخي عطشت وقلت له ذلك وانا لا أري عنده شيأ فثني وركه ثم نزل عن الدابة وكان صلى الله عليه وسلم رديفا لابى طالب وقال ياعم عطشت فقلت نعم فاهوى بعقبه الى الارض اى ضرب الارض بقدمه فاذا بالماء فقال اشرب ياعم فشربت ورواه ايضا ابن سعد وابن عساكر والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿ومن معجزاته﴾

صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه * روى البخارى ومسلم وغيرهما عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما فى قصة حفر الخندق قال رأيت بالنبى صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا وهو ضمور البطن من الجوع فاخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة بضم الباء مصغرا وهى الصغيرة من اولاد المعز * وفي رواية عناق داجن أى لاتخرج الى المرعى فذبحتها وطحنت الشعير * وفى رواية فامرت امرأتى فطحنت لنا الشعير * وفى رواية عن جابر رضي الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كدية شديدة فجاؤا الى النبى صلي الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت فى الخندق فقال أنا

أي لانه صلى الله عليه وسلم قال لها انها أى اللعنة موجبة اى للعذاب في الآخرة وعذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة ثم قالت بالله لا افضح بنى قومى سائر الايام وقالتها اى الخامسة اي وقال صلى الله عليه وسلم ان جاءت به كذا فهو لهلال وان جاءت به كذا فهو لشريك فجاءت به على الوصف الذى ذكر انه يكون لشريك فقال صلى الله عليه وسلم لولا ما سبق من كتاب الله تعالى لكان لى ولها شان وجمهور العلماء على أن سبب نزول آية اللعان قصة هلال ابن امية وانه اول لعان وقع فى الاسلام وذهب جمع الى ان سبب نزولها قصة عويمر العجلانى لقوله صلى الله عليه وسلم قد انزل الله فيك وفى صاحبتك قرآنا واجيب بان معناه ما نزل فى قصة هلال لان ذلك عام فى جميع الناس قال الامام النووي رحمه الله يحتمل انها نزلت فيهما جميعا ولعلهما سالا فى وقتين متقاربين اي وقال صلى الله عليه وسلم فى كل اللهم افتح فنزلت هذه الآية فيهما فسبق هلال باللعان فكان اول من لاعن وفى مسلم ان سعد ابن عبادة قال يارسول الله أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلا أيقتله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قال سعد بلى والذي اكرمك بالحق * وفى رواية كلا والذي بعثك بالحق ان كنت لاعاجله بالسيف وفي لفظ لضربته بالسيف من غير صفح اى بل اضربه بحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعوا الى ما يقول سيدكم وليس ذلك من سعد رضي الله تعالى عنه ردا عليه صلى الله عليه وسلم بل انما هو اخبار عن حاله ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم انه لغيور وانا أغير منه والله أغير مني فاخبر صلي الله عليه وسلم عن سعد بانه غيور وانه صلي الله عليه وسلم اغير منه وأن الله اغير منه صلى الله عليه وسلم ومن ثم جاء فى الحديث لا احد اغير من الله لاجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله ومن اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا احد احب اليه المدح من الله ومن اجل ذلك وعد الجنة ليكثر سؤال العباد اياها والثناء منهم عليه وفى تفسير الفخر الرازي رحمه الله لا شخص أغير من الله يدل على جواز اطلاق الشخص على الله تعالى وفي الحلية لابي نعيم رحمه الله عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ يا ابا بكر أرأيت لو وجدت مع أم رومان رجلا ما كنت صانعا قال كنت فاعلا به شرا ثم قال صلى الله عليه وسلم ياعمر أرأيت لو وجدت رجلا أى مع زوجتك ما كنت صانعا قال كنت والله قاتله فقرأ صلى الله عليه وسلم والذين يرمون ازواجهم الاية وفي الام للامام الشافعى رضى الله تعالى عنه عن سعد بن المسيب رضى الله تعالى عنه ان رجلا من اهل الشام وجد مع امرأته رجلا فقتله ورفع الامر الى معاوية رضى الله تعالى عنه فاشكل على معاوية القضاء فيه فكتب معاوية الى ابى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه ان يسال عن ذلك علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه فاستخبر ابو موسى عن القصة فاخبره أبو موسى ان معاوية كتب اليه فى ذلك فقال على كرم الله وجهه انا ابو الحسن ان لم يات باربعة شهداء فليعطه برمته وفى الخصائص الكبرى ان فى غزوة تبوك اجتمع صلي الله عليه وسلم بالياس فعن انس رضى الله تعالى عنه سمعنا صوتا يقول اللهم اجعلنى من امة محمد صلى الله عليه وسلم المرحومة المغفور لها المستجاب لها فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا انس انظر ما هذا الصوت

نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق ذواقا فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم فقلت يارسول الله ائذن لي الى البيت فقلت لامرأتي رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئا ما كان في ذلك صبر فعندك شيء قالت عندي شعير وعناق وذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد اختمر والبرمة بين الاثافي كادت ان تنضج فقالت امرأته لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه فجئته فساررته فقلت يارسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير فتعال أنت ونفر معك يعني دون العشرة * وفي رواية فقلت طعيم لنا صنعته فقم أنت يارسول الله ورجل أو رجلان وكنت أريد ان ينصرف وحده قال كم هو فذكرت له فقال كثير طيب قال لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى اتي فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا اصنع سورا فحيهلا بكم أي هلموا مسرعين والسور الطعام الذي يدعي اليه وفي رواية فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار فلما دخل على امرأته قال ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم قالت هل سالك قلت نعم * وفي رواية قال فلقيت من الحياء مالا يعلمه الا الله تعالى وقلت جاء الخلق على صاع من شعير وعناق فدخلت على امرأتي اقول افتضحت جاءك رسول الله بالجند اجمعين فقالت هل كان سالك كم طعامك فقلت نعم فقالت الله ورسوله اعلم نحن اخبرناه بما عندنا وفي رواية انها خاصمته في أول الامر وقالت بك وبك فلما اعلمها بانه اعلم به النبي صلى الله عليه وسلم سكن ما عندها وقالت الله ورسوله اعلم لعلمها بامكان خرق العادة ودل ذلك على وفور عقلها وكمال فضلها رضي الله عنها واسمها سهيلة بنت معوذ الانصارية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء ثم جاء وفي رواية بعثوا

قال أنس رضي الله تعالى عنه فدخلت الجبل فاذا رجل عليه ثياب بيض ابيض الرأس واللحية طوله اكثر من ثلثمائة ذراع فلما رآني قال انت خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قال ارجع اليه واقرأه السلام وقل له أخوك الياس يريد ان يلقاك فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فجاء صلى الله عليه وسلم يمشي وانا معه حتى اذا كنت منه قريبا تقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتأخرت انا فتحدثا طويلا فنزل عليهما من السماء شيء يشبه السفرة ودعاني فاكلت معهما قليلا فاذا فيها كمأة ورمان وحوت وتمر وكرفس فلما اكلت قمت فتنحيت ثم جاءت سحابة فاحتملته وانا انظر الى بياض ثوبه فيها قال الحافظ ابن كثير هذا حديث موضوع مخالف للاحاديث الصحاح من وجوه واطال في بيان ذلك والعجب من الحاكم كيف يستدركه على الصحيحين وهذا مما يستدرك به على الحاكم وفي النور لم يجيء في حديث صحيح اجتماعه صلى الله عليه وسلم بالياس وفي الجامع الصغير الياس اخو الخضر وفي تفسير البغوي اربعة من الانبياء احياء الى يوم البعث اثنان في الارض وهما الخضر والياس اي والياس في البر والخضر في البحر يجتمعان كل ليلة على ردم ذي القرنين يحرسانه واكلهما الكرفس والكمأة واثنان في السماء ادريس وعيسى عليهما الصلاة والسلام عن ابن اسحق الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل اي وقد يقال لا ينافي ذلك ما تقدم انهما اخوان لجواز ان يكونا اخوين لام قال الحافظ ابن كثير رحمه الله لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن اليه النفس ان الخضر عليه الصلاة والسلام اجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم من الايام ولو كان حيا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان اشرف احواله اجتماعه به صلى الله عليه وسلم وفي الخصائص الكبرى عن انس رضي الله تعالى عنه انه قال خرجت ليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم احمل الطهور فسمع قائلا يقول اللهم اعني على ما ينجيني مما خوفتني منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس ضع طهورا وأت هذا فقل له ادع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعينه الله على ما بعثه به وادع لامته ان ياخذوا ما اتاهم به من الحق فاتيته فقلت له فقال مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم انا كنت احق ان آتيه اقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له اخوك الخضر يقرأ عليك السلام ويقول لك ان الله فضلك على النبيين كما فضل شهر رمضان على الشهور وفضل امتك على الامم كما فضل يوم الجمعة على سائر الايام فلما رأيت سمعته يقول اللهم اجعلني من هذه الامة المرحومة المتاب عليها قال بعضهم وهذا حديث واه منكر الاسناد سقيم المتن ولم يراسل الخضر عليه السلام نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يلقه قال السيوطي في اللآلئ قلت قد اخرج هذا الحديث الطبراني في الاوسط وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الاصابة قد جاء من وجهين وفي الخصائص الصغرى ومن خصائصه صلى الله عليه السلام انه جمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للانبياء عليهم الصلاة والسلام الا احدهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما السلام والمراد بالشريعة الحكم بالظاهر والحقيقة الحكم بالباطن وقد نص العلماء على ان غالب الانبياء عليهم الصلاة والسلام انما

فجئت وجاء النبي صلى الله عليه وسلم يقدم الناس فاخرجت المرأة له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق فيها وبارك اي دعا بالبركة ثم قال لجابر ادع خابزة فلتخبز معي زوجتك ثم قال لها واقدحي اي اغرفي من برمتكم ولا تنزلوها وهم اي القوم الذين جاؤا معه ألف وأقعدهم عشرة عشرة يأكلون فاقسم بالله لقد اكلوا حتى تركوه وانحرفوا أي مالوا عن الطعام وان برمتنا لتغط أي تغلي وتفور كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم (١٧١) لاصحابه ادخلوا ولا تضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال كلي هذا وأهدي فان الناس اصابتهم مجاعة وفي رواية فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا اجمعين ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا فقال كلي وأهدي فلم نزل نأكل ونهدي يوما أجمع وفي رواية فاكلنا وأهدينا لجيراننا فلما خرج صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك وصرح هذا أن الذي باشر الغرف النبي صلى الله عليه وسلم فيخالف ظاهر قوله واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها الدال على ان مباشر ذلك المرأة ويمكن الجمع بينهما فانها كانت تساعده في الغرف وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال ابو طلحة زيد بن سهل الانصاري رضي الله عنه وهو زوج ام أنس لام سليم رضي الله عنها وهي أم أنس رضي الله عنهما لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا اعرف فيه الجوع وفي رواية لمسلم قال ابو طلحة جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عصب بطنه بعصابة فسألت قالوا من الجوع وفي رواية للامام احمد ان أبا طلحة رأى النبي صلى الله عليه وسلم طاويا فدخل على ام سليم فقال هل عندك من شيء يأكله النبي صلى الله عليه وسلم وقالت نعم فاخرجت أقراصا من شعير ثم اخرجت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي اي تحت ابطي ولاثتني اي ببعض الخمار اي أدارت بعض الخمار على رأسه كالعمامة ثم ارسلتني الى رسول الله صلى الله

بعثوا ليحكموا بالظاهر دون ما اطلعوا عليه من بواطن الامور وحقائقها ومن ثم انكر موسى عليه الصلاة والسلام على الخضر صلى الله عليه وسلم في قتله الغلام بقوله لقد جئت شيئا نكرا فقال له الخضر عليه السلام وما فعلته عن أمري ومن ثم قال الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام اني على علم من عند الله لا ينبغي لك ان تعلمه أي تعمل به لانك لست مأمورا بالعمل به وانت على علم من عند الله لا ينبغي لي ان اعلمه أي لا ينبغي لي ان اعمل به لاني لست مأمورا بالعمل به وفي تفسير أبي حيان والجمهور على ان الخضر نبي وكان علمه معرفة بواطن امور اوحيت اليه أي ليعمل بها وعلم موسى عليه السلام الحكم بالظاهر أي دون الحكم بالباطن ونبينا صلى الله عليه وسلم حكم بالظاهر في اغلب أحواله وحكم بالباطن أي في بعضها بدليل قتله صلى الله عليه وسلم للسارق والمصلي لما اطلع على بطن امرهما وعلم منهما ما يوجب القتل وقد ذكر بعض السلف رحمه الله ان الخضر الى الآن ينفذ الحكم بالحقيقة وان الذين يموتون فجاءة هو الذي يقتلهم فان صح ذلك فهو في هذه الامة بطريق النيابة عن النبي ﷺ فانه عليه السلام صار من اتباعه صلى الله عليه وسلم كما ان عيسى عليه السلام لما ينزل يحكم بشريعته نيابة عنه لانه من اتباعه وفيه ان عيسى عليه السلام اجتمع به صلى الله عليه وسلم اجتماعا متعارفا ببيت المقدس فهو صحابي وجاء في حديث مطعون فيه اي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الخضر والياس عليهما السلام يجتمعان في كل عام اي في الموسم ويحلق كل منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله ما يكون من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من قالها حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات عوفي من السرق والحرق والغرق ومن السلطان ومن الشيطان ومن الحية والعقرب وعن علي كرم الله وجهه مسكن الخضر بيت المقدس فيما بين باب الرحمة الى باب الاسباط والله اعلم

﴿ باب سراياه صلى الله عليه وسلم وبعوثه ﴾

لا يخفى ان ما كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له غزوة وما خلا عنه ﷺ يقال له سرية ان كان طائفة اثنين فاكثر فان كان واحدا قيل له بعث وربما سموا بعض السرايا غزوة كما في مؤتة حيث قالوا غزوة مؤتة وكما في سرية الرجيع حيث عبر عنها السيوطي في الخصائص غزوة الرجيع وعن سرية ذات السلاسل بغزوة ذات السلاسل وعن سرية سيف البحر بغزوة سيف البحر وربما سموا الواحد سرية وهو في الاصل كثير وربما سموا الاثنين فاكثر بعثا ومنه قول الاصل كالبخاري بعث الرجيع وظاهر كلامهم انه لا فرق في ذلك بين ان يكون ارسال ذلك لقتال او لغير قتال كتجسس الاخبار او لتعليمهم الشرائع كما في بئر معونة والرجيع او للتجارة كما في سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما حيث ذهب مع جمع بالتجارة للشام فلقيه بنو فزارة فضربوه وضربوا

عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فسلمت عليه وفي رواية فقمت عليهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلك أبو طلحة قلت نعم قال لطعام أي لأجله قلت نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه من أصحابه قوموا فانطلق وانطلقوا وهم سبعون أو ثمانون رجلا وانطلقت بين أيديهم ولأبي نعيم أخذ صلى الله عليه وسلم بيدي فشدها ثم اقبل باصحابه حتى اذا (١٧٢) دنوا أرسل يدي فدخلت وأنا حزين لكثرة من جاء معه حتى جئت أبا طلحة فاخبرته بمجيئهم قال يا انس فضحتنا وللطبراني فجعل يرميني بالحجارة ثم قال ابو طلحة يا ام سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم اي قدر ما يكفيهم فقالت الله ورسوله اعلم كانها عرفت انه فعل ذلك عمدا ليظهر المعجزة في تكثير الطعام ودل ذلك على فضل ام سليم رضي الله عنها ورجحان عقلها فانطلق ابو طلحة حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من ارى فقال ان الله مبارك فيه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو طلحة معه حتى دخل على ام سليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز الذى كانت ارسلته مع انس رضي الله عنه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت اى كسر وعصرت ام سليم عكة وفي رواية فقال هل من سمن فقال ابو طلحة قد كان في العكة شيء فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح ﷺ به سبابته ثم مسح الخبز فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل يصنع ذلك والخبز ينتفخ حتى رأيته في الجفنة يتسع فادمته اى صيرت ما خرج من العكة اداما له ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء ان يقول وفي رواية للامام احمد فقال بسم الله وفي مسلم فمسحها ودعا فيها بالبركة وفي رواية للامام احمد فجئت بها ففتح رباطها ثم

أصحابه وأخذوا ما كان معهم كما سيأتي والسرية في الاصل الطائفة من الجيش تخرج منه ثم تعود اليه خرجت ليلا أو نهارا وقيل السرية هي التي تخرج ليلا والسارية هي التي تخرج نهارا وهي من مائة الى خمسمائة وقيل الى اربعمائة أي وفي القاموس السرية من خمسة أنفس الى ثلثمائة او اربعمائة وعليه فما دون ذلك لا يقال له سرية فما زاد على الثلثمائة أو الاربعمائة الى ثمانمائة يقال له منسر بالنون فان زاد على ذلك الى اربعة آلاف قيل له جيش أي وقيل الجيش من ألف الى اربعة آلاف فان زاد على ذلك قيل له جحفل وجيش جرار أي الى اثني عشر ألفا والبعث في الاصل الطائفة تخرج من السرية ثم تعود اليها وهو من عشرة الى اربعين يقال له حفيرة ومن اربعين الى ثلثمائة يقال له مقنب وما زاد على ذلك يسمى جمرة قال بعضهم والكتيبة ما اجتمع ولم ينتشر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب أربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة آلاف وما هزم قوم بلغوا اثني عشر ألفا من قلة اذا صدقوا وصبروا أي فلا يرد انهزام الجند المذكور يوم حنين قال في الاصل وكانت سراياه صلى الله عليه وسلم التي بعث بها سبعا واربعين سرية وهو في ذلك موافق لما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب قال الشمس الشامي والذي وقفت عليه من السرايا والبعوث لغير الزكاة يزيد على السبعين اه أي وكان صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا على سرية او جيش اوصاه في خاصته بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا بسم الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا والوليد الصبي اي ما لم يقاتل كالنساء والا اقتلوا * وفي رواية لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة وهذا عند العمد فلا ينافي انه يجوز الاغارة على المشركين ليلا وان لزم عليه قتل الصبيان والنساء والشيوخ فقد روى الشيخان سئل ﷺ عن المشركين يبيتون أي يغار عليهم ليلا فيصيبون من نسائهم وذراريهم فقال هم منهم وكان صلى الله عليه وسلم يقول من اطاعني فقد اطاع الله ومن أطاع أميري فقد اطاعني ولا سمع ولا طاعة في معصية الله وكان ﷺ يعتذر عن تخلفه عن تلك السرايا ويقول والذي نفسي بيده لولا ان رجالا من المؤمنين لا تطيب نفوسهم أن يتخلفوا عني ولا اجد ما احملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله والذي نفس محمد بيده لوددت ان اقتل في سبيل الله ثم احيا ثم اقتل ثم احيا ثم اقتل ومن جملة وصيته صلى الله عليه وسلم لمن يوليه على سرية واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال فان هم اجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ادعهم الى الاسلام فان هم ابوا فاسألهم الجزية فان هم ابوا فاستعن بالله وقاتلهم ومن جملة قوله صلى الله عليه وسلم للسرايا فبشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا ولما بعث صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وابا موسى رضي الله تعالى عنهما الى اليمن قال لهما يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا

﴿ سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه ﴾

بعث

بعث رسول الله ﷺ عمه حمزة في ثلاثين رجلا من المهاجرين قيل ومن الانصار وفيه نظر لانه ﷺ لم يبعث من الانصار احدا الا بعد أن غزا بهم بدرا أي وذلك في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة وعقد له صلى الله عليه وسلم لواء أبيض وهو أول لواء عقد في الاسلام حمله أبو مرثد بفتح الميم واسكان الراء ثم مثلثة مفتوحة حليف حمزة رضي الله تعالى عنه ليعترض عير القريش جاءت من الشام تريد مكة وفيها أبو جهل لعنه الله في ثلثمائة رجل او قيل في مائة وثلاثين فسار رضي الله تعالى عنه الى ان وصل سيف البحر أي بكسر السين المهملة واسكان المثناة تحت ثم فاء ساحله من ناحية العيص أرض من جهينة فصادف العير هناك فلما تصافوا للقتال حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفا للفريقين فاطاعوه وانصرفوا ولم يقع بينهم قتال ولما عاد حمزة رضي الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر أي بان مجديا حجز بينهم وانهم رأوا منه نصفة قال صلى الله عليه وسلم في مجدي انه ميمون النقيبة أي مبارك النفس مبارك الامر وقال سعيد أو رشيد الامر أي أموره ناجحة ولم يقع له اسلام أي وفي الامتاع وقدم رهط مجدي على النبي صلى الله عليه وسلم فكساهم

﴿ سرية عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه ﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس ثمانية أشهر من الهجرة عبيدة بن الحرث رضي الله تعالى عنه في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين منهم سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه وعقد له لواء أبيض حمله مسطح بن أثاثة رضي الله تعالى عنه ليعترض عير القريش وكان رئيسهم أبا سفيان وقيل عكرمة بن أبي جهل وقيل مكرز بن حفص في مائتي رجل فوافر العير ببطن رابغ أي ويقال له ودان ولم يكن بينهم الا المناوشة برمي السهام أي فلم يسلوا السيوف ولم يصطفوا للقتال وكان أول من رمى من المسلمين سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه وكان سهمه أول سهم رمي به في الاسلام أي كما ان سيف الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه أول سيف سل في الاسلام ففي كلام ابن الجوزي أول من سل سيفا في سبيل الله الزبير بن العوام وقد ذكر ان سعدا رضي الله تعالى عنه تقدم أصحابه ونثر كنانته وكان فيها عشرون سهما ما منها سهم الا ويجرح انسانا أو دابة أي لو رمى به لصدق رميه وشدة ساعده رضي الله تعالى عنه ثم انصرف الفريقان فان المشركين ظنوا أن للمسلمين مددا فخافوا وانهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو اي الذي يقال له ابن الاسود وعيينة بن غزوان فانهما كانا مسلمين ولكنهما خرجا مع المشركين ليتوصلا بهم الى المسلمين وعلم ان سرية عبيدة بن الحرث رضي الله تعالى عنه بعد سرية حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وقيل بل هي قبلها وكلام الاصل يشعر به ويؤيده قول ابن اسحق كانت راية عبيدة بن الحرث فيما بلغنا اول راية عقدت في الاسلام قال بعضهم ومنشأ هذا الاختلاف ان بعث حمزة وبعث عبيدة رضي الله تعالى عنهما كانا معا أي في يوم واحد في محل واحد أي وشيعهما رسول الله ﷺ جميعا

قال باسم الله اللهم اعظم البركة فيها ثم قال ائذن لعشرة أي بالدخول لانه ارفق ثم لعشرة فاذن لهم فاكلوا حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وتركوا سؤرا أي بقية وفي مسلم وفضلت فضلة فاهديناها لجيراننا ولابي نعيم حتى اهدت أم سليم لجيرانها وهذه القصة قيل انها جرت ايام حفر الخندق كقصة جابر المتقدمة فعلى هذا يكون المراد بالمسجد هنا الموضع الذي اعده النبي صلى الله عليه وسلم فيه حين حاصره الاحزاب بالمدينة في غزوة الخندق ووقع في هذه القصة اختلاف في الالفاظ في رواية كثيرة وفي بعضها انهم صنعوا له صلى الله عليه وسلم عصيدة وهو محمول على تعدد القصة وتكرر ذلك وتقدم في غزوة الحديبية وفي غزوة تبوك ايضا ان الصحابة اصابتهم مجاعة فاستأذنوه صلى الله عليه وسلم في نحر بعض ظهورهم فاذن فقال عمر رضي الله عنه يا نبي الله لو امرتهم ان يجمعوا فضل ازوادهم ثم تدعوا الله لهم بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم نعم فامرهم فجمعوا ذلك ودعا لهم فيه بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فاخذوا حتى ما تركوا اناء الا ملؤه وقال صلى الله عليه وسلم اشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجز عن الجنة وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب بنت جحش الاسدية رضي الله عنها وقالت لي أمي سليم لو اهدينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فقلت لها افعلي فعمدت الى تمر وسمن واقط فصنعت حيسا فجعلته في تور وهو اناء صفر او حجارة وفي رواية للبخاري في برمة وقالت يا أنس اذهب بهذه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل بعثت بهذا اليك أمي وهي تقرئك السلام فقال صلى الله عليه وسلم ضعه أي التور ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت

كما في ذخائر العقبى فاشتبه الامر فمن قائل يقول ان راية حمزة رضى الله تعالى عنه أول راية عقدت في الاسلام وان بعثه أول البعوث ومن قائل يقول ان راية عبيدة رضي الله تعالى عنه أول راية عقدت في الاسلام وان بعثه أول البعوث لكن يشكل على ذلك ان خروج حمزة كان على رأس سبعة أشهر من الهجرة كما تقدم وخروج عبيدة كان على رأس ثمانية أشهر كما تقدم ومما ذكر ان بعثهما معا الى آخره يرد وما أجاب به بعضهم عن هذا الاشكال بانه يحتمل انه ﷺ عقد رايتهما معا وتاخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية أشهر لامر اقتضى ذلك هذا كلامه الا أن يقال يجوز ان يكون المراد بعثهما معا أمرهما بالخروج وان المراد تشييعهما جميعا ان كلا منهما رافقه التشييع منه صلى الله عليه وسلم وذلك لا يقتضي ان يكون ذلك في وقت واحد تامل وفي هذا اطلاق الراية على اللواء وهو الموافق لما صرح به جماعة من أهل اللغة انهما مترادفان وتقدم انه لم يحدث اسم الراية الا في خيبر اى وكانوا لا يعرفون قبل ذلك الا الالوية وما هنا يرده وفي كلام بعضهم كانت رايته صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه أبيض كما في حديث ابن عباس وأبي هريرة رضى الله تعالى عنهما زاد أبو هريرة رضى الله تعالى عنه مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله

﴿ سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه ﴾

الى الخرار بفتح الخاء المعجمة وراءين مهملتين وفي النور بفتح الخاء المعجمة وتشديد الراء الاولى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأس تسعة أشهر من الهجرة سعد بن أبي وقاص في عشرين من المهاجرين أي وقيل ثمانية وعقد له لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو قال والخرار واد يتوصل منه الى الجحفة وقد عهد صلى الله عليه وسلم اليه ان لا يجاوزه ليعترض عير القريش تمر بهم فخرجوا يمشون على اقدامهم يكمنون النهار ويسيرون الليل حتى صبحوا المكان المذكور في صبح خمس فوجدوا العير قد مرت بالامس فانصرفوا راجعين الى المدينة اهـ وقد ذكر ابن عبد البر وابن حزم هذه السرية بعد بدر الاول وفي السيرة الشامية الباب السادس في سرية سعد بن ابي وقاص رضى الله تعالى عنه الى الخرار وساق ما تقدم وقال بعده الباب السابع في سرية سعد بن ابي وقاص رضى الله تعالى عنه روي الامام احمد عنه قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة جاءت جهينة فقالوا انك نزلت بين اظهرنا فاوثق لنا حتى نأتيك وقومنا فاوثق لهم فاسلموا وبعثنا ﷺ ولا نكون مائة وكان ذلك في رجب اي من السنة الثانية وامرنا رسول الله ﷺ ان نغير على حي من كنانة فاغرنا عليهم فكانوا كثيرا فلجأنا الى جهينة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام فقال بعضنا لبعض ما ترون فقال بعضنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره وقال بعض آخر لا نقيم ههنا وقلت انا في اناس معي بل نأتي عير قريش فنقتطعها فانطلقنا الى العير وانطلق بعض اصحابنا الى رسول الله ﷺ واخبروه الخبر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبان محمرا وجهه فقال جئتم متفرقين وانما

غاص باهله قيل لانس كم كان عدد كم قال زهاء ثلثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة من القوم الذين اجتمعوا يأكلون منه ويقولون لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فأكلوا كلهم حتى شبعوا ثم قال لي يا أنس ارفع فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت وروي مسلم عن جابر رضى الله عنه قال ان أم مالك الانصارية كانت تهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الادم وليس عندهم شيء فتعمد الى الذي كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا فما زال يقيم لها ادم بيتها حتى عصرته فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اعصرتيها فقالت نعم قال لو تركتيها ما زال قائما وروي ابن ابي عاصم وابن ابي خيثمة عن ام مالك الانصارية انها جاءت بعكة سمن الى النبي صلى الله عليه وسلم فامر بلالا فعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة فجاءت فقالت انزل في شيء قال وما ذاك قالت رددت على هديتي فدعا بلالا فسأله فقال والذي بعثك بالحق لقد عصرتها حتى استحييت فقال هنيئا لك هذه بركة يا ام مالك هذه بركة عجل الله لك ثوابها ثم علمها ان تقول دبر كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله اكبر عشرا واخرج الطبراني عن انس بن مالك رضى الله عنه عن أمه رضى الله عنها قالت كانت لي شاة فجمعت من سمنها في عكة فبعثت بها مع زينب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أفرغوا لها عكتها ففرغت وجاءت بها فجاءت ام سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر سمنا فقالت يا زينب أليست امرتك ان تبلغي هذه العكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يأتدم بها قالت قد فعلت فان لم تصدقيني فتعالى معي فذهبت معها الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال جاءت بها فقالت والذي بعثك بالهدى ودين الحق انها ممتلئة سمنا تقطر فقال

املاك

أهلك من قبلكم الفرقة لا بعث عليكم رجلا ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش اميرا فامره علينا لنذهب الى جهة نخلة بين مكة والطائف

{ سرية عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه }

الى بطن نخلة قال لما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء الاخيرة قال لعبد الله بن جحش واف مع الصبح معك سلاحك ابعثك وجها فوافاه الصبح ومعه قوسه وجعبته ودرقته فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح يجده واقفا عند بابه فدعا رسول الله ﷺ ابي بن كعب ودخل عليه فامره فكتب كتابا ثم دعا عبد الله بن جحش رضي الله تعالى عنه فدفع اليه الكتاب وقال له قد استعملتك على هؤلاء النفر اه اى وكان قبل ذلك بعث عليهم عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب فلما ذهب لينطلق بكى صبابة الى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليهم عبد الله وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم امير المؤمنين اى فهو اول من تسمى في الاسلام بامير المؤمنين ثم بعده عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولا ينافى ذلك قول بعضهم اول من تسمى في الاسلام بامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لان المراد اول من تسمى بذلك من الخلفاء او ان هذا امير جميع المؤمنين وذاك امير من معه من المؤمنين خاصة فقد جاء ان عمر رضي الله تعالى عنه كان يكتب اولا من خليفة ابي بكر فاتفق ان عمر رضي الله تعالى عنه ارسل الى عامل العراق ان يبعث اليه برجلين جلدين يسالهما عن اهل العراق فبعث اليه بلبيد بن ربيعة وعدى بن حاتم الطائى فقدما المدينة ودخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاصى رضي الله تعالى عنه فقالا استاذن لنا على امير المؤمنين فقال عمرو انتما والله اصبتما اسمه فدخل عليه عمرو وقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقال ما بدا لك في هذا الاسم فاخبره الخبر وقال انت الامير ونحن المؤمنون فاول من سماه بذلك لبيد بن ربيعة وعدي ابن حاتم وقيل اول من سماه بذلك المغيرة بن شعبة وحينئذ صار يكتب من عبد الله عمر امير المؤمنين فقد كتب رضي الله تعالى عنه بذلك الى نيل مصر فان عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه لما فتح مصر ودخل شهر بؤنة من شهور العجم دخل اليه اهل مصر وقالوا له ايها الامير اذا كان احد عشر ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين ابويها وجعلنا عليها من الثياب والحلى ما يكون ثم القيناها في هذا النيل اى ليجرى فقال لهم عمرو رضي الله تعالى عنه ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبله فاقاموا مدة والنيل لا يجرى لا قليلا ولا كثيرا حتى هم اهل مصر بالجلاء منها فكتب عمرو بذلك الى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه كتابا وكتب بطاقة في داخل الكتاب وقال في الكتاب قد بعثت اليك بطاقة في داخل الكتاب فالقها في نيل مصر فلما قدم الكتاب اخذ عمرو البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله يجريك فاسال الله الواحد القهار ان يجريك فالقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم فاصبحوا وقد اجراه الله

أتعجبين يا أم سليم ان الله اطعمك وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رجلا من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه أى أعطاه شطر وسق من شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال له لو لم تكله لاكلتم منه اى دائما او لقام لكم أى مدة حياتكم من غير نقص وهذا الرجل قال بعضهم هو سعيد بن الحرث استعان بالنبي صلى الله عليه وسلم في انكاحه فانكحه امرأة فالتمس صلى الله عليه وسلم ما ساله فلم يجد فبعث أبا رافع وابا ايوب بدرعه فرهناها عند يهودي في شطر وسق من شعير فدفعه صلى الله عليه وسلم اليه قال فاطعمنا منه واكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما ادخلناه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال له لو لم تكله لاكلتم منه ولقام لكم والحكمة في ذهاب السمن حين عصرت ام مالك العكة واعدام الشعير حين كاله ان عصرها وكيله مضاد كل منهما للتسليم والتوكل على رزق الله ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة باسرار حكم الله وفضله فعوقب فاعله بزواله قاله النووى في شرح مسلم وقيل انما كان ذلك لافشائه سرا من اسرار الله ينبغى كتمه ولا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه لانه فيمن يخشى الخيانة او كيلوا ما تخرجونه للنفقة منه لئلا يخرج اكثر من الحاجة او اقل بشرط بقاء الباقى مجهولا او كيلوا عند الشراء وادخاله المنزل * وروى الترمذى وشيخه الدارمى عن سمرة ابن جندب رضي الله عنهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة فيها لحم من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمداى اى شىء كانت تزاد به قال من اى شىء تعجب ما كانت تمد الا من ههنا واشار بيده الى السماء والمراد من احسان الله معجزة له صلى الله عليه وسلم وفى رواية عن سمرة رواها الترمذي والدارمى وابن ابي شيبة والحاكم والبيهقي وابو

نعم قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها أي قعد عليها عشرة بعد عشرة من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون فقال رجل لسمرة هل كانت تمد فقال ما كانت تمد الا من ههنا واشار بيده الى السماء وروى الامام احمد والترمذي والنسائي عن سمرة أيضا رضي الله عنه نحو ذلك وروى البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم (١٧٦) ثلاثين ومائة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل مع أحد منكم طعام فاذا مع رجل صاع من طعام اونحوه فعجن ثم جاء رجل مشرك مشعان اي ثائر الراس شعثة طويل جدا بغنم يسوقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابيعا ام عطية اوقال ام هبة قال لابل بيع فاشترى شاة فصنعت وامر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن ان يشوى وايم الله ما من الثلاثين ومائة الا وقد حز له النبي صلى الله عليه وسلم حزة من سواد بطنها ان كان شاهدا اعطاه اياه وان كان غائبا خبأ له وجعل منها قصعتين فاكلوا اجمعون وشبعنا وفضلت القصعتان فحملناه على بعير وفيه معجزة ظاهرة وآية باهرة من تكثير القدر اليسير من الصاع ومن اللحم حتى وسع الجمع المذكور وفضل * وروى الامام احمد والبيهقي عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه قال لما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب اي بمكة في ابتداء البعثة وكانوا اربعين رجلا منهم جماعة الواحد منهم ياكل الجذعة ويشرب الفرق وهو اناء يسع اثني عشر صاعا وذلك ستة عشر رطلا فصنع لهم مدا من اطعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس من لبن والعس قدح من خشب يروي الثلاثة والاربعة فشربوا منه حتى رووا وبقي كانه لم يشرب منه فلما اراد صلى الله عليه وسلم ان يتكلم قال ابو لهب سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان الغد اعاد لهم ذلك عليهما

ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر الى اليوم وكان اولئك النفر ثمانية اي وقيل اثني عشر من المهاجرين يعتقب كل اثنين منهم بعيرا منهم سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان وكانا يعتقبان بعيرا ومنهم واقد بن عبد الله ومنهم عكاشة بن محصن وأمره صلى الله عليه وسلم عبد الله ان لا ينظر في ذلك الكتاب حتى يسير يومين أي قبل مكة ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره أحدا من اصحابه أي على السير معه أي وعقد له صلى الله عليه وسلم راية قال ابن الجوزي اول راية عقدت في الاسلام راية عبد الله بن جحش أي بناء على ان الراية غير اللواء وحينئذ تعارض القول بترادفهما والقول بان اسم الراية انما وجد في خيبر قال ابن الجوزي رحمه الله وهو أول أمير أمر في الاسلام وفيه انه يخالف ما سبق الا ان يريد اول من سمي أمير المؤمنين فلما سار عبد الله يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف ولا تكرهن احدا من اصحابك على السير معك أي وامض الكتاب سر بسم الله وبركاته ولا تكرهن أحدا من اصحابك على السير معك وامض لامري حتى تاتي بطن نخلة فترصد عير قريش وتعلم لنا أخبارهم فلما قرأ الكتاب على اصحابه قالوا نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولك فسر على بركة الله تعالى اي وجعل البخاري دفعه صلى الله عليه وسلم الكتاب لعبد الله ليقرأه ويعمل بما فيه دليلا على صحة الرواية بالمناولة وهي ان الشيخ يدفع لتلميذه كتابا وياذن له ان يحدث عنه بما فيه وممن قال بصحة المناولة سيدنا مالك بن أنس رضي الله عنه روى اسماعيل بن صالح عنه انه أخرج لهم كتابا مشدودة وقال لهم هذه كتبي صححتها ورويتها فارووها عني فقال له اسماعيل بن صالح نقول حدثنا مالك قال نعم وفي النبط ان عبد الله رضي الله عنه لما قرأ الكتاب قال سمعا وطاعة اي بعد ان استرجع ثم أعلم اصحابه وقال لهم من كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق ومن كره ذلك فليرجع فاما انا فماض الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضوا لم يتخلف منهم احد حتى اذا كانوا ببحران بفتح الموحدة وضمها وسكون الحاء المهملة موضع اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرهما فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله ومن عداهما معه حتى نزل بنخلة فمرت عير لقريش اي تحمل زبيبا وادما اي جلودا من الطائف وامتعة للتجارة في تلك العير عمرو بن الحضرمي وعثمان بن المغيرة واخوه نوفل والحكم بن كيسان ونزلوا قريبا من عبد الله واصحابه وتخوفوا منهم فاشرف عليهم عكاشة ابن محصن وكان قد حلق راسه اي وتراءى لهم ليظنوا انهم عمار فيطمئنوا اي وذلك بارشاد عبد الله ابن جحش رضي الله عنه فانه قال لهم ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم وليتعرض لهم فحلقوا راس عكاشة ثم اشرف عليهم فلما راوا راسه محلوقا قالوا عمار اي هؤلاء قوم معتمرون لا باس عليكم منهم وكان ذلك آخر يوم من شهر رجب اي وقيل اول يوم منه ويدل للاول ما جاء ان عبد الله تشاور مع اصحابه فيهم فقال بعضهم لبعض ان تركتموهم في هذه الليلة دخلوا الحرم فقد تمنعوا منكم به وان قتلتموهم في هذه اليوم تقتلوهم في الشهر الحرام اي وكان ذلك قبل ان يحل القتال في الشهر الحرام فان تحريم القتال في الاشهر الحرم كان معمولا به من عهد ابراهيم واسمعيل

عليهما الصلاة والسلام جعل الله ذلك مصلحة لاهل مكة فان سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما دعا لذريته بمكة ان يجعل الله افئدة من الناس تهوي اليهم لمصلحتهم ومعاشهم جعل الاشهر الحرم اربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب أما الثلاثة فليأمن الحجاج فيها واردين لمكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج وشهرا آخر بعده قدر ما يصل الراكب من أقصي بلاد العرب ثم يرجع وأما رجب فكان للعمار يأمنون فيه مقبلين ومدبرين وراجعين نصف الشهر للاقبال ونصفه الآخر للاياب لان العمرة لا تكون من أقاصي بلاد العرب كالحج وأقصى منازل بلاد المعتمرين خمسة عشر يوما ذكره السهيلي ولم يزل تحريم القتال في تلك الاشهر الحرم الى صدر الاسلام وذلك قبل نزول براءة فان براءة كان فيها نبذ العهد العام وهو أن لا يصد أحد عن البيت جاءه ولا يخاف أحد في الاشهر الحرم وأن لا يحج مشرك واباحة القتال في الاشهر الحرم أي مع بقاء حرمتها فانها لم تنسخ قال تعالى منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم فتعظيم حرمتها باقية لم تنسخ وانما نسخ حرمة القتال فيها خلافا لما نقل عن عطاء من ان حرمة القتال فيها باقية لم تنسخ ويدل للثاني ما في الكشاف وكان ذلك اليوم اول يوم من رجب وهم يظنون انه من جمادي الآخرة فتردد القوم وهابوا الاقدام ثم شجعوا انفسهم عليهم ثم اجمع رأيهم على قتل من قدروا عليه واسر او أخذ ما معهم فقتلوا عمرو بن الحضرمي رماه واقد بن عبد الله بسهم فهو أول قتيل قتله المسلمون واسروا عثمان والحكم فهما أول اسير أسره المسلمون وافلت بفتح الهمزة باقي القوم أي وجاء الخبر لاهل مكة فلم يمكنهم الطلب لدخول شهر رجب اي بناء على ما تقدم واستاق عبد الله وأصحابه رضي الله عنهم العير حتى قدموا على رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو اول غنيمة غنمها المسلمون فقال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام وأبي ان يستلم العير والاسيرين فسقط بالبناء للمجهول في أيديهم أي ندموا وعنفهم اخوانهم من المسلمين وقالت قريش قد استحل محمد واصحابه الشهر الحرام سفكوا فيه الدم واخذوا فيه الاموال وأسروا فيه الرجال اي وصارت قريش تعير بذلك من بمكة من المسلمين يقولون لهم يامعشر الصباة قد استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه وزادوا في التشنيع والتعيير وصارت اليهود تتفاءل بذلك على رسول الله صلي الله عليه وسلم ويقولون القتيل عمرو الحضرمي والقاتل واقد فيه عمرت بفتح العين المهملة وكسر الميم الحرب أي حضرت الحرب ووقدت الحرب فكان ذلك الفال عليهم لعنهم الله وضاق الامر على عبد الله واصحابه رضي الله عنهم فانزل الله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير اى عظيم الوزر وصد عن سبيل الله اى ومنع للناس عن دين الله وكفر به اى بالله والمسجد الحرام اى ومنع للناس عن مكة واخراج اهله منه وهم النبي صلي الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين منه اكبر عند الله اعظم وزرا والفتنة الشرك اى الذي انتم عليه او حملكم من اسلم على الكفر بالتعذيب له اكبر من القتل لكم فيه اى صدهم لكم عن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراجكم من مكة وانتم اهلها وفتنة من اسلم بحيث يرتد عن الاسلام ويرجع الى الكفر اكبر من قتل من قتلتم منهم ففرح

فكان مثل ذلك فاعاد ذلك ثالثا ثم دعاهم الى الله وحذرهم عقابه فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب الى آخر السورة وروى ابن أبي شيبة والطبراني وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدعوا أهل الصفة لطعام يأكلونه عنده فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فيها طعام فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت أي لم تنقص شيأ الا أن فيها أثر الاصابع قال أبو نعيم في الحلية كان أهل الصفة يومئذ ومائة وفي عوارف المعارف انهم كانوا نحو الاربعمائة * وروى الطبراني والبيهقي عن أبي ايوب الانصاري رضى الله عنه انه صنع لرسول الله صلي الله عليه وسلم ولابي بكر رضي الله عنه حين قدما المدينة في الهجرة من الطعام زهاء ما يكفيهما أي طعاما يكفي رجلين فقط فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه أى شبعوا وتركوا الطعام ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فاكلوا حتى تركوا وما خرج أحد منهم حتى أسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة ولطفه بهم قال أبو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وكانه حضر معهم جماعة لم يدعهم حتي بلغوا مائة وثمانين والا فالذين دعاهم مائة وستون وخص النبي صلى الله عليه وسلم أشراف الانصار ليتألفهم وليشاهدوا تلك المعجزة فيسلموا وينصروه وقد كان ذلك وسماهم انصارا لعلمه صلى الله عليه وسلم بانهم سينصرونه وتفؤلا بذلك * وروى ابن سعد عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن علي زين العابدين رضى الله عنهم أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها طبخت قدرا لغدائها ووجهت عليا رضى الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدا معها فامرها صلي الله عليه وسلم فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له

واملي رضي الله عنه ثم لها ثم رفعت القدر وانها تفيض أي لكثرة ما فيها من الطعام حتى كان يسيل من جوانبها ببركته صلى الله عليه وسلم فاكلت فاطمة رضي الله عنها منها ماشاء الله * وروى ابو داود عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان النبى صلي الله عليه وسلم أمره أن يزود أربعمائة راكب من احمس من تمر كان في غرفة فقال يارسول الله ماهي الا أصواع أى ليس ذلك التمر يكفي هؤلاء القوم لقلته قال اذهب واوصل ما آمرك به أى ولا تبال بقلة التمر فذهب فزودهم منه وكان التمر قدر الفصيل اى ولد الناقة الصغير الرابض وبقي بحاله بعد اعطائهم لم ينقص منه شيء رواه احمد باسناد صحيح من رواية النعمان ابن مقرن الا انه قال أربعمائة راكب من مزينة فيحتمل تعدد القصة او انه كان بعضهم من احمس وبعضهم من مزينة *وروى البخارى حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في قصة قضاء دين أبيه لما استشهد يوم احد وعليه دين اراد اداءه لغرمائه وكان قد بذل لغرمائه أبيه أصل ماله اي بستانه ونخلا كان يتقوت منه فلم يقبلوه ولم يكن في ثمره سنين كفاف دينهم فكلم رسول الله صلي الله عليه وسلم فى ذلك فكلم الغرماء وكانوا يهودا فلم يرضوا فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان أمره بجذ الثمار وجعلها بيادر فى أصولها اى جعلها كوما كوما فى أصول النخل فمشي صلي الله عليه وسلم في ارضها ودعا الله تعالى ان يبارك فيها فقضت وزادت عما فى ذمته اجابر الغرماء ووصل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال النبى صلي الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه ائت ابا بكر وعمر فاخبرهما اي ليسرا بذلك وردا بما اورى البيهقي والترمذي عن ابي هريرة رضى الله عنه قال اصاب الناس مخمصة اى جوع زاد فى رواية في بعض غزواته صلي الله عليه وسلم وفي أخرى انها غزوة تبوك فقال لي رسول الله صلى الله عليه

عن عبد الله واصحابه رضي الله عنهم أى وهذا كما ترى يدل على انهم لو اطلعوا علمهم بان ذلك اليوم من رجب وضعف ما تقدم عن الكشاف لموافقة لما أخرجه ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أصحاب محمد كانوا يظنون ان ذلك اليوم آخر جمادى وكان اول رجب ولم يشعروا أى لان جمادي يجوز ان يكون ناقصا وتاما انه لو كان الامر كذلك لاعتذر عبد الله واصحابه رضى الله عنهم بذلك وجاء ان المسلمين اختلفوا فى ذلك اليوم فمن قائل منهم هذه غرة من عدوكم وغنم رزقتموه ولا ندرى أمن الشهر الحرام هذا اليوم ام لا وقال قائل منهم لا نعلم اليوم الا من الشهر الحرام ولا نرى أن تستحلوه لطمع اشفيتم عليه ويذكر انه صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمى أى أعطى ديته ويضعفه ما تقدم في غزوة بدر من ان اخاه طلب ثأره وكان ذلك سببا لاثارة الحرب وان عتبة بن ربيعة اراد ان يتحمل ديته ويتحمل جميع ما أخذ من العير وأن تكف قريش عن القتال وحينئذ تسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين وطمع عبد الله واصحابه في حصول الاجر وسالوا رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ذلك فانزل الله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم اى وقد أثبت لهم الجهاد فى سبيل الله ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم ذلك العير وخمسه أى جعل خمسه لله وأربعة اخماسه للجيش وقيل تركه حتى رجع من بدر وخمسه مع غنائم بدر وقيل ان عبد الله هو الذى خمسها أى فانه رضي الله عنه قال لاصحابه ان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما غنمنا الخمس فاخرج خمس ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي عزله له وقسم سائرها بين اصحابه رضي الله عنهم وحينئذ يكون ما تقدم من قوله وأبي أن يتسلم العير الظاهر في أن العير لم تقسم المراد خمس تلك العير وهو اول غنيمة خمست فى الاسلام اى قبل فرضه ثم فرض على ما صنع عبد الله رضى الله عنه ويوافق ذلك قول ابن عبد البر فى الاستيعاب وعبد الله بن جحش أول من سن الخمس من الغنيمة للنبى صلى الله عليه وسلم من قبل ان يفرض الله الخمس وانزل الله تعالى بعد ذلك آية الخمس واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الآية وانما كان قبل ذلك المرباع هذا كلامه والمرباع ربع الغنيمة وتقدم ان الفيء والغنيمة يطلق احدهما على الآخر وفي كلام فقهائنا ان الغنيمة كانت في صدر الاسلام له صلى الله عليه وسلم خاصة ثم نسخ ذلك بالتخميس وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء عثمان والحكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفديكموها حتى يقدم صاحبانا يعني سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان فانا نخشاكم عليهما فان قتلتموهما نقتل صاحبيكم فان سعدا وعتبة رضي الله عنهما لم يحضرا الواقعة بسبب التماسهما بعيرهما وقد مكثا في طلبه أياما ثم قدما فافدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسيرين اى كل واحد باربعين اوقية فاما الحكم فاسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا أي وعن المقداد أراد اميرنا يعني عبد الله بن جحش ان يقتل الحكم فقلت دعه نقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا ﴿بعث﴾ وفى الاصل تبعا لشيخه

عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فائتني به فقبض قبضة جاء في رواية انهما بضع عشرة تمرة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع لي عشرة فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا ثم قال ادع عشرة فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا وهكذا حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال لي خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت أهلي ومن أردت اطعامه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما الى ان قتل عثمان رضي الله عنه فانتهب مني فذهب وانما قال له خذ ما جئت به لانه نفى بعد أكلهم ما جاء به كحاله فأمره برده الى محله وان يأخذ منه كل ما أراد وفي رواية الترمذي فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله أي جعلته محمولا معي في اسفاري وانا غاز في سبيل الله وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن أباهريرة رضي الله عنه أصابه الجوع مرة فاستتبع النبي صلى الله عليه وسلم أي طلب منه أن يتبعه فتبعه فوجد صلى الله عليه وسلم في بيته لبنا في قدح قد اهدى اليه صلى الله عليه وسلم فأمر أباهريرة رضي الله عنه ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما موقع هذا اللبن منهم أي ما مقدار هذا القليل كاف منهم كنت أحق به منهم لشدة جوعي ولابد من امتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم فدعوتهم اليه صلى الله عليه وسلم فأمرني أن أسقيهم فجعلت أعطي الرجل منهم فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روى جميعهم قال أبو هريرة رضي الله عنه فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت أقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب ومازال يقولها وأشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق لا اجد له مسلكا فأخذ القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة وروى البيهقي من حديث خالد بن عبد العزى وهو خالد بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي أسلم قديما وهاجر الى الحبشة فمات في الطريق وهو ابن أخي

الحافظ الدمياطي

﴿سرية عمير بن عدي﴾

الخطمي الضرير الى عصماء أي الى بنت مروان اليهودية وكانت متزوجة في بني خطمة وكان زوجها مرثد بن زيد بن حصين الانصاري أسلم بعد ذلك رضي الله عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير ابن عدي الخطمي وهو أول من اسلم من بني خطمة الى قتل عصماء بنت مروان لانها كانت تسب الاسلام وتؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وتقول شعرا تحرض عليه فجاءها عمير في جوف الليل حتى دخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام وعلى صدرها صبي ترضعه فجسها بيده ونحى الصبي عن صدرها ووضع سيفه على صدرها وتحامل عليه حتى انفذه من ظهرها ثم صلى الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلت ابنة مروان فقال نعم فهل علي في ذلك من شيء فقال لا ينتطح فيها عنزان أي الامر في قتلها هين لا يعارض فيه معارض وهذه الكلمة من جملة الكلمات التي لم تسمع الا من النبي صلى الله عليه وسلم وقد جمع غالبها في النور في هذا المحل قال وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عميرا هذا البصير لان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال انظروا الى هذا الاعمى الذي يسري في طاعة الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقل الاعمى ولكن البصير * وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما قال الا رجل يكفينا هذه يعني عصماء بنت مروان فقال عمير بن عدي أنا لها فأتاها وكانت تمارة أي تبيع التمر فقال لها أعندك أجود من هذا التمر لتمر بين يديها قالت نعم فدخلت الى البيت وانكبت لتأخذ شيأ من التمر فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فضرب رأسها حتى قتلها وليتأمل هذا مع ما قبله ثم ان عميرا أتى المسجد فصلى الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف صلى الله عليه وسلم من صلاته نظر اليه فقال له اقتلت ابنة مروان قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أحببتم أن تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله فانظروا الى عمير فلما رجع عمير الى منزل بني خطمة وجد بنيها في جماعة يدفنونها فقالوا يا عمير أنت قتلتها قال نعم فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون والذي نفسي بيده لو قلتم باجمعكم ما قالت لاضربنكم بسيفي هذا حتى اموت او اقتلكم فيومئذ ظهر الاسلام في بني خطمة وكان يخفي اسلامه من أسلم منهم لكن جاء في رواية انها كانت تلقي خرق الحيض في مسجد بني خطمة فليتأمل وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما اهدر دم عصماء نذر عمير ان رده الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من بدر الى المدينة سالما ليقتلنها فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر الى المدينة عدا عليها عمير رضي الله تعالى عنه فقتلها وفي كلام السهيلي رحمه الله أن الذي قتل عصماء بعلها وقد يقال لا مخالفة لان عميرا رضي الله عنه جاز أن يكون كان بعلها قبل مرثد ابن زيد وذكر في الاستيعاب في ترجمة عمير رضي الله عنه انه قتل أخته لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمها والقول الظاهر انها غير عصماء لان نسب عصماء غير نسب عدي الا ان يقال انها أخته

لامه و يبعده ما تقدم من أنه كان زوجا لها والله أعلم * بعث وفي الاصل تبعا لشيخه الحافظ الدمياطي

﴿ سرية سالم بن عمير الى أبي عفك ﴾

اي والعفك بفتح العين المهملة والفاء وبالكاف اى الحمق اى ابي الاحمق ليهودي قال صلى الله عليه وسلم يوما من لي بهذا الخبيث يعني أبا عفك أي من ينتدب الى قتله وكان شيخا كبيرا قد بلغ مائة وعشرين سنة وكان يحرض الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبه في شعره فقال سالم بن عمير رضي الله عنه أي وهو أحد البكائين وقد شهد بدرا على نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه وطلب له غرة اى غفلة فلما كانت ليلة صائفة اي شديدة الحر نام ابو عفك بفناء بيته اى خارجه فعلم بذلك سالم رضى الله عنه فاقبل نحوه فوضع السيف على كبده ثم تحامل حتى خش السيف فى الفراش وصاح عدو الله فتركه سالم رضي الله عنه وذهب فقام الى أبي عفك ناس من أصحابه فاحتملوه وأدخلوه داخل بيته فمات عدو الله وابن اسحق قدم هذا البعث على بعث عمير

﴿ سرية عبد الله بن مسلمة رضى الله عنه ﴾

الى كعب بن الاشرف الاوسي اى فان اباه اصاب دما في الجاهلية فاتى المدينة فحالف بني النضير فشرف منهم وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعبا وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة وكان شاعرا مجيدا وقد كان ساد يهود الحجاز بكثرة ماله وكان يعطي احبار اليهود ويصلهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة جاءه احبار يهود من بني قينقاع وبني قريظة لاخذ صلته على عادتهم فقال لهم ما عندكم من أمر هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قالوا هو الذي كنا ننتظر ما أنكرنا من نعوته شيأ فقال لهم قد حرمتم كثيرا من الخير فارجعوا الى أهليكم فان الحقوق عليّ كثيرة فرجعوا عنه خائبين ثم رجعوا اليه وقالوا له إنا عجلنا فيما أخبرناك به ولما استثبتنا علمنا انا غلطنا وليس هو المنتظر فرضي عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعه من الاحبار شيأ من ماله وهذا نزل فيه قوله تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما استودعه شخص دينارا فجحده كذا في تكملة الجلال السيوطي وفى الكشاف وفروعه انها نزلت في فنحاص بن عازوراء وقد يقال لا مانع من تعدد الواقعة ولما بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقدم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة رضي الله تعالى عنهما بشيرين لاهل المدينة بذلك وصارا يقولان قتل فلان وفلان واسر فلان وفلان من اشراف قريش صار كعب يكذب في ذلك ويقول هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله ان كان محمد قتل هؤلاء القوم فبطن الارض خير من ظهرها أى كما تقدم ولما تيقن عدو الله الخبر خرج حتى قدم مكة وكان شاعرا فجعل يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ويمدح عدوهم ويحرضهم عليهم وينشد الاشعار ويبكي من قتل ببدر من أشراف قريش

خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها وأخو حكيم بن حزام رضي الله عنه وكان خالد هذا ينزل بناحية الجعرانة فمر به النبي صلى الله عليه وسلم مرة فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم شاة ليذبحها ويأكلها ضيافة منه له وكان عيال خالد كثيرا اما ذبح الشاة لاجلهم فلا يسكن عطشهم عطاما لكثرتهم فاكل النبي صلى الله عليه وسلم من تلك الشاة وجعل فضلها دلوا لدو عياله بالبركة وفي رواية انه قال اللهم بارك لابي خناش فتزدلك لعياله فاكلوا وأفضلوا ببركته صلى الله عليه وسلم وبركة دعائه قال القاضي عياض في الشفاء واكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة أى نبع الماء من بين أصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته في الصحيح أي من الاحاديث وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة ورواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يمكن ان سكت من حضرها على ما أنكره ويلتحق بهذا ما ذكره في الشفاء مما اخرجه البيهقي وابن سعد وابن عدي عن سعد مولى ابي بكر الصديق رضي الله عنه انهم كانوا في غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا زهاء ثلثمائة فنزلوا على غير ماء وأصابهم عطش فجاءتهم عنز فحلبها النبى صلى الله عليه وسلم أي من يحلبها فاروى لبنها الجند حتى زال ما كان بهم من العطش ثم قال صلى الله عليه وسلم لرافع مولاه أملكها وما أراك مالكها فربطها ثم فقال رجع فوجدها قد انطلقت أي انحل وثاقها وغابت وفي رواية قال رافع ثم نمت في بعض الليل فلم أجدها فاخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رافع ذهب بها الذى جاء بها * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم احياء الموتى وكلامهم له صلى الله عليه وسلم روي البيهقي في الدلائل انه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا الي الاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال النبي صلى الله عليه

وسلم أرني قبرها فأراه اياه فقال صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم أتحبين ان ترجعي فقالت لا والله يارسول الله اني وجدت الله خير الي من أبوي ووجدت الآخرة خير الي من الدنيا وهذه القصة أوردها القاضي عياض في الشفاء بلفظ وعن الحسن أي البصري أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له في واد كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة احيي باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك (١٨١) فقال لها ان أبويك قد أسلما فان أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وروى ابن عدي وابن أبي الدنيا والبيهقي وأبو نعيم عن أنس رضي الله عنه قال كنا في الصفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته عجوز عمياء مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ فلم يلبث ان أصابه وباء المدينة فمرض أياما ثم قبض فغمضه النبي صلى الله عليه وسلم وأمر أي بجهازه فلما أردنا ان نغسله قال يا أنس ائت أمه فأعلمها قال فأعلمتها فجاءت حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما ثم قالت مات ابني فقلنا نعم فقالت اللهم انك تعلم اني أسلمت اليك طوعا وخلعت الأوثان زهدا وخرجت اليك رغبة اللهم لا تشمت بي عبدة الأوثان ولا تحملني في هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحمله فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا معه وعاش حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم وهلكت أمه وهذا وان كانت كرامة لأمه فانما أعطيتها ببركته صلى الله عليه وسلم لدخولها في دينه وكل كرامة لولي فهي معجزة لنبيه وروى الطبري والخطيب البغدادي وابن عساكر وابن شاهين عن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فأقام بها ما شاء الله ثم رجع مسرورا قال سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها الى الموتى وكذا روي من حديث عائشة رضي الله عنها احياء أبويه صلى الله عليه وسلم

فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني ابن الاشرف بما شئت ثم رجع الى المدينة أي بعد ان لم يجد من يأوي رحله بمكة أي لانه لما قدم مكة وضع رحله عند عبد المطلب بن وداعة وأكرمته زوجة عبد المطلب وهي عاتكة بنت أسيد فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان وأخبره بذلك فهجا المطلب وزوجته فلما بلغهما هجاء حسان ألقت رحله وقالت ما لنا ولهذا اليهودي وأسلم المطلب وزوجته بعد ذلك رضي الله عنهما وصار كلما تحول عند قوم من أهل مكة صار حسان يهجوهم فيلقون رحله أي ويقال انه خرج في سبعين راكبا من اليهود الى مكة ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلوا على أبي سفيان فقال لهم أبو سفيان انكم أهل كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نأمن ان يكون هذا مكرا منكم فان أردتم ان نخرج معكم فاسجدوا لهذين الصنمين وآمنوا بهما ففعلوا فانزل الله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت أي وحالفهم عند أستار الكعبة على قتال المسلمين فخرج من مكة للمدينة فلما وصل الى المدينة وصار يشبب بنساء المسلمين أي يتغزل فيهن ويذكرهن بالسوء حتى آذاهن أي وقيل كعب بن الاشرف صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود ان يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم الى الطعام فاذا حضر يفتكون به ثم دعاه فجاء ومعه بعض الصحابة فأعلمه جبريل عليه السلام بما أضمروه بعد ان جالسه فقام صلى الله عليه وسلم وجبريل عليه السلام يستتر بجناحه حتى خرج فلما فقدوه تفرقوا ولا مانع من تعدد الاسباب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينتدب لقتل كعب بن الاشرف وفي لفظ من لنا بابن الاشرف فقد استعلن بعداوتنا وهجائنا أي وفي رواية انه يؤذي الله ورسوله وفي أخرى فانه قد آذانا بشعره وقوى المشركين علينا أي فان أبا سفيان قال لكعب فانك تقرأ الكتاب وتعلم ونحن أميون لا نعلم فأينا أهدى طريقا وأقرب الى الحق أنحن أم محمد فقال كعب اعرضوا علي دينكم فقال أبو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن أهل الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا قديم ودين محمد الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما هو عليه فقال له صلى الله عليه وسلم محمد بن سلمة الاوسي أنا لك به يارسول الله هو خالي لان محمد بن سلمة ابن أخته أنا أقتله وأجمع أي عزم على ذلك هو وأربعة أي من الاوس عباد بن بشر وأبو نائلة وكان رضي الله عنه أخا لكعب بن الاشرف من الرضاعة والحرث بن عيسى والحرث بن أوس ومكث محمد بن سلمة رضي الله عنه بعد قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب الا ما تقوم به نفسه خوفا من عدم وفائه بما ذكر ثم قال يارسول الله لا بد لنا أن نقول أي نذكر ما نتوصل به اليه من الحيلة وحينئذ كان المناسب ان يقول لا بد لنا ان نقول أي نخترع ما نحتال به عليه فقال قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فأباح صلى الله عليه وسلم لهم الكذب لانه من خدع الحرب كما تقدم وقيل انه صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن معاذ أن يبعث رهطا ليقتلوه والجمع ممكن فتقدمهم الى كعب أبو نائلة رضي الله عنه وكان يقول الشعر فتحدث معه ساعة وتناشدا شعرا ثم قال ويحك يا ابن الاشرف اني قد جئتك

حتى آمنا به وتقدم الكلام على ذلك في أول السيرة مستوفى فارجع اليه ان شئت ومما يلحق بذلك ما رواه ابن أبي الدنيا وابن منده والطبراني وأبو نعيم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال كان خارجة بن زيد من سراة الانصار أي أشرافهم فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفي فاعلمت به الانصار فأتوه فاحتملوه الى بيته وسجوه بكساء وبردين وفي البيت نساء من نساء الانصار يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث على حاله مسجى لانهم شكوا في موته لكونه مات فجاة فأخروا تجهيزه ودفنه حتى اذا كان بين المغرب والعشاء اذ سمعوا صوت قائل يقول أنصتوا انصتوا فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب المسجى بها فحسروا عن وجهه الغطاء فاذا هو قائل محمد رسول الله النبي الامي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق ثم قال هذا رسول الله السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان وكأنه رأى روحه صلى الله عليه وسلم حاضرة عنده لان ما ذكر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم * وفي رواية وذكر ابا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أي أثنى عليهم بخير بما فعلوه وأيدوا به الدين ولم يذكر عليا رضي الله عنه لان ذلك كان قبل ولاية علي رضي الله عنه وانما الحق هذا بما نحن فيه وان كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لان هذا الكلام بعد الموت كرامة وكرامات أمته صلى الله عليه وسلم من معجزاته أو يقال انه اذا كان في أمته من يصدر عنه مثل ذلك فكيف لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ومثل ذلك ما رواه البيهقي عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس رضي الله عنه وكان قتل باليمامة وهو خطيب الانصار وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا اليه فاذا هو ميت وتقدم في غزوة

لحاجة أريدان أذكرها لك فاكتم عني قال أفعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الانفس أي وسألنا الصدقة ونحن لا نجد ما نأكل وسائر ما عندنا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه فقال كعب لقد كنت أخبرتك يا ابن سلامة ان الامر سيصير الى ما تقول أي ثم قال له كعب اصدقني ما الذي تريدون في أمره قال خذلانه والتنحي عنه قال سرتني بان لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل فقال أبو نائلة وقيل محمد ابن مسلمة كما في رواية صحيحة قال الحافظ ابن حجر ويحتمل ان كلا منهما قال له اني أريد أن تبيعني وأصحابي طعاما ونرهنك ونوثق لك فقال أترهنوني أبناءكم * وفي رواية نساءكم قال أردت أن تفضحنا نرهنك من الحلقة أي السلاح كما تقدم وقيل الدرع خاصة ما فيه وفاء وقد أردت ان آتيك باصحابي أراد أبو نائلة رضي الله عنه ان لا ينكر كعب السلاح اذا جاءه هو وأصحابه فقال ان في الحلقة لوفاء أي وفي البخاري قال ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب زاد في رواية ولا نأمنك عليهن وأي امرأة تمتنع منك لجمالك فانك تعجب النساء قال فارهنوني أبناءكم قالوا كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فقال رهن بوسق قالوا هذا عار علينا ولكنا نرهنك اللامة أي السلاح فرجع أبو نائلة رضي الله عنه الى أصحابه فأخبرهم الخبر وأمرهم أن يأخذوا السلاح ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجوا من عنده متوجهين الى كعب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي معهم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته أي وأمر عليهم محمد بن مسلمة وكانت تلك الليلة مقمرة فاقبلوا رضي الله عنهم حتى انتهوا الى حصن كعب فهتف به أبو نائلة رضي الله عنه وكان كعب قريب عهد بعرس فوثب في ملحفته واخذت امرأته بناحيتها أي طرفها وقالت انك امرؤ محارب وان اصحاب الحرب لا ينزلون في مثل هذه الساعة قال انه أبو نائلة لو وجدني نائما لا يوقظني فقالت والله اني لأعرف في صوته الشر أي وفي البخاري فقالت له امرأته أين تخرج هذه الساعة فاني اسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم وفي مسلم كأنه صوت دم أي صوت طالب دم قال انما هو ابن أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة ليل لأجاب كذا في البخاري وفي مسلم انما هو محمد ورضيعه قيل وصوابه انما هو محمد ورضيعه أبو نائلة وقد ذكر أهل العلم ان أبا نائلة رضي الله عنه كان رضيعا لمحمد فنزل أي ينفح منه ريح الطيب فتحدث معه هو وأصحابه ساعة ثم تماشوا ثم ان أبا نائلة رضي الله عنه وضع يده على رأس كعب ثم شم يده وقال ما رأيت طيبا أعطر من هذا الطيب أي فقال كيف وعندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب وفي لفظ وأجمل بدل أكمل وهي أشبه فقال له يا أبا سعيد ادنني رأسك اشمه وامسح به عيني ووجهي ثم مشوا ساعة فعاد أبو نائلة لوضع يده على رأسه واستمسك به وقال اضربوا عدو الله فضربوه فاختلفت عليه أسيافهم فلم تغن شيئا أي وقع بعضها على بعض ولصق عدو الله بابي نائلة وصاح صيحة لم يبق حصن الا وعليه نار قال محمد بن مسلمة رضي الله عنه فوضعت سيفي في ثنيته ثم تحاملت عليه حتى بلغ عانته فوقع أي ولما صاح اللعين

صاحت امرأته يا آل قريظة والصير من مرتين فخرجت لليهود فاحذروا على غير طريق الصحابة ففاتوهم قال محمد بن مسلمة رضى الله عنه وأصيب الحرث بن أوس من بعض اسيافنا في رجله ورأسه ونزف به الدم فتخلف عنا أي وناداهم اقرؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام فعطفوا عليه واحتملوه وفي رواية تخلف عن أصحابه فاقتدوه ورجعوا اليه فاحتملوه قال محمد بن مسلمة رضى الله عنه فجئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي فسلمنا عليه فخرج الينا فأخبرناه بقتل عدونا وتفل على جرح صاحبنا فلم يؤلمه. قال وفي رواية انهم حزوا رأس كعب وحملوا ذلك الرأس ثم خرجوا يشتدون فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي تلك الليلة فلما سمع تكبيرهم بالبقيع كبر وعرف انهم قد قتلوا عدو الله وخرج الى باب المسجد فجاؤا فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا على باب المسجد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلحت الوجوه قالوا افلح وجهك يارسول الله ورموا رأسه بين يديه فحمد الله على قتله أي وعند ذلك أصبحت يهود مذعورين فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اقتل سيدنا غيلة فذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم صنيعه من التحريض عليه وأذية المسلمين فازدادوا خوفا

﴿ سرية عبد الله بن عتيك رضى الله عنه ﴾

لقتل أبي رافع سلام بالتخفيف ابن أبي الحقيق على وزن نصير بالتصغير وبالحاء المهملة الخزرجي أي وفي البخاري أبي رافع عبد الله بن أبي الحقيق ويقال له سلام بن أبي الحقيق كان بخيبر وكان تاجراً أهل الحجاز لاقتات لاوس اي عبد الله بن مسلمة وابونائلة وقد تقدم معهما كعب بن الاشرف تذاكر الخزرج من يشابه كعب بن الاشرف في العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الخزرج فذكروا ابارافع سلام بن ابي الحقيق اى لانه كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم اى وعن عروة انه كان ممن اعان غطفان وغيرهم من مشركي العرب بالمال الكثير على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى خرب الاحزاب يوم الخندق لان الاوس والخزرج كانا يتنافسان فيما قرب الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم لا تفعل الاوس شيئا من ذلك الا فعلت الخزرج نظيره وبالعكس ويقولون والله لا يذهبون بهذه فيلاء علينا في الاسلام فانتدب لقتله خمسة من الخزرج منهم عبد الله بن عتيك وعبد الله بن انيس وابوقتادة واستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اى ان يتكلموا بما يتوصلون به اليه من الحيلة فاذن لهم وامر عليهم عبد الله بن عتيك وامرهم ان لا يقتلوا وليدا ولا امراة فخرجوا حتى اتوا خيبر فتسوروا دار ابى رافع ليلا فلم يدعوا بيتا في الدار الا اغلقوه على اهله وكان ابورافع في علية لها درجة اى سلم من الخشب من نخل يصعد عليه الى تلك العلية فطلعوا في تلك الدرجة حتى قاموا على باب تلك العلية فاستاذنوا فخرجت اليه امرأته فقالت من انتم قالوا ناس من العرب نلتمس الميرة وفي لفظ المصعدوا قدموا عبد الله بن عتيك لانه كان يتكلم بلسان يهود فاستفتح وقال جئت ابارافع

خيبر حديث الشاة المسمومة وذلك ان يهودية أهدت له صلى الله عليه وسلم شاة مشوية قد سمتها فاكل صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فانها أخبرتني انها مسمومة * وفي المواهب عن سعيد بن المسيب ان رجلا من الانصار توفي فلما كفن وأتاه القوم يحملونه تكلم وقال محمد رسول الله أخرجه أبو بكر بن الضحاك وأخرج أبو نعيم ان جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة وأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل القوم وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه عليه الصلاة والسلام جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قد قامت الشاة تنفض أذنيها فقال خذ شاتك ياجابر بارك الله لك فيها فاخذتها ومضيت انها لتنازعني أذنها حتى أتيت بها المنزل فقالت المرأة ماهذا ياجابر قالت والله هذه شاتنا التي ذبحناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله فاحياها فقالت أشهد انه رسول الله ورواه أيضا الحافظ محمد بن المنذر المعروف بشكر في كتاب العجائب والغرائب * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم كلام الصبيان له وشهادتهم بنبوته صلى الله عليه وسلم وأبراء ذوي العاهات ببركته صلى الله عليه وسلم روى البيهقي والدارقطني والحاكم والخطيب البغدادى عن معرض بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء الثقيلة ثم ضاد معجمة معيقيب اليماني قال حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرايته صلى الله عليه وسلم فيها ووجهه مثل دائرة البدر * وفي روايه لابن قانع كان وجهه القمر ورايت منه عجبا جاءه رجل من اهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام من انا قال انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة اى لقول المصطفي صلى الله عليه وسلم بارك الله فيك قال الجلال السيوطى

رحمه الله في خصائصه الكبرى قد وقعت رواية هذا الحديث من طرق فهو حديث حسن وقد ذكر السيوطي في نظمه المشهور في عدد الذين تكلموا في المهد مبارك اليمامة هذا حيث قال

تكلم في المهد النبي محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرئ جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

أما تكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقدم في اول السيرة انه تكلم حين خرج من بطن امه وحمد الله تعالى وكان ناغى القمر وكلمه واما بقية هؤلاء الذين تكلموا في المهد فالكلام على قصصهم شهير فلا حاجة الى الاطالة به * وروى البيهقي مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب اى كبر وصار شابا وهو لم يتكلم اي لانه خلق اخرس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من انا قال انت رسول الله فانطقه الله معجزة بعدما كان ابكم فهو بمنزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق وروي الامام احمد والبيهقي وابن ابي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان امرأة جاءت بابن لها الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان ابني به جنون وانه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره بيده الشريفة فثع ثعة بفتح المثلثة وشد العين يعني قاء وخرج من جوفه مثل الجرو الاسود يسعى وشفاه وروي الذي ابن ابي شيبة عن ام جندب رضي الله عنها انه صلي الله عليه وسلم اتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتى بماء فمضمض فاه وغسل يده واعطاها اياه وامرها بسقيه ومسحه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وتقدم في غزوة احد ان قتادة بن النعمان رضي الله عنه لما قلعت عينه اخذها بيده فجاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت صبرت ولك الجنة

بهدية فتحت له امرأته وقالت ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه فلما دخلوا عليه أغلقوا عليهم وعليها باب الحجرة ووجدوه وهو على فراشه مادلهم عليه في الظلمة الا بياضه كانه قبطية بيضاء فابتدروه باسيافهم ووضع عبدالله بن أنيس رضي الله عنه سيفه في بطنه وتحامل عليه حتى نفذه وهو يقول قطني قطني أي يكفيني يكفيني وعند ذلك صاحت المرأة أي قال بعضهم ولما صاحت المرأة جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم تذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده قال وفي رواية ان المرأة لما رأت السلاح أرادت أن تصيح فاشار اليها بعضنا بالسيف فسكتت فابتدرناه باسيافنا وخرجنا من عنده وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيء البصر فوقع من الدرجة فوثبت رجله وثبا شديدا أي جرحت جرحا شديدا وفي لفظ فانكسرت ساقه وفي آخر فانخلعت رجله فعصبها بعمامته والجمع بين كسر ساقه وخلع رجله واضح لان الانخلاع يكون من المفصل فقد انكسرت ساقه وانخلعت من مفصلها ومع الكسر والانخلاع حصلت فيها جراحة أيضا وأما قول ابن اسحق رحمه الله فوثبت يده فقيل وهم والصواب رجله كما تقدم وفي السيرة الهاشمية فوثبت يده وقيل رجله وقد يقال لامانع من حصولها قال فحملناه حتى أتينا محلا استخفينا فيه أي بذلك المحل من افنيتهم التي يلقون فيها كناساتهم وفي لفظ أنهم كمنوا في نهر من عيونهم حتى سكن الطلب وقد يقال لا مخالفة لانهم أوقدوا النيران وتفرقوا من كل وجه يطلبونهم اى وفي لفظ فخرج الحرث في ثلاثة آلاف في آثارهم يطلبونهم بالنيران حتى اذا أيسوا رجعوا الى عدو الله فاكتنفوه وهو بينهم يجود بنفسه فقال بعضنا لبعض كيف نعلم أن عدو الله مات فقال رجل منهم انا أذهب فانظر لكم فانطلق حتى دخل في الناس قال فوجدت امرأته تنظر في وجهه وفي يدها المصباح ورجال يهود حوله وهي تحدثهم وتقول أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي اى وعلى الرواية الآتية أنه أكذبها ثم اقبلت تنظر في وجهه ثم قالت فاضت واله يهود أي خرجت روحه فما سمعت من كلمة كانت ألذ الى نفسي منها ثم جئت واخبرت اصحابي واحتملنا عبدالله بن عتيك وقدمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان ابن عتيك لما عصب رجله انطلق حتى جلس على الباب وقال لا أخرج الليلة حتى أعلم أني قتلته أو لا فلما صاح الديك قام الناعي على السور فقال انعى أبا رافع تاجر اهل الحجاز فانطلق يحجل الي اصحابه وقال قد قتل الله أبا رافع فاسرعوا وليتامل هذا مع ماقبله وقوله انعى هو بفتح العين ٣ قيل والصواب انعوا والنعي خبر الموت والاسم الناعي ويقال له الناعية وكانت العرب اذا مات فيهم الكبير ركب راكب فرسا وسار يذكر أوصافه ومآثره وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك ولا منافاة بين كونه انطلق يحجل الي اصحابه وكونهم حملوه لانه يجوز ان يكون عند وقوعه وحصول ماتقدم له لم يحس بالالم لما هو فيه من الاهتمام وقدر على المشي يحجل ومن ثم جاء في بعض الروايات فقمت أمشي مابي قلبة اى علة مهلكة لما وصل الى اصحابه وعاد عليه المشي احس بالالم فحمله اصحابه وهذا السياق يدل على ان الذى قتله عبدالله بن عتيك وحده وهو مافي البخاري وفي رواية ان

---

٣ قوله قيل والصواب انعوا لا اصل لهذا القيل كما يعلم بالوقوف على عبارة القاموس

وان شئت رددتها فقال يارسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكنى رجل مبتلى بحب النساء وأخاف ان يقلن اعور ولكن تردها وتسال الله لي الجنة فاخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم بصق على أثر سهم في وجه ابي قتادة وهو الحرث ابن ربعي الانصاري السلمي رضي الله عنه قال رضي الله عنه فما ضرب علي ولا قاح أي ما وجعني ولا سال منه قيح

الذى كسرت رجله ابو قتادة لانهم لما قتلوه وخرجوا نسي ابو قتادة قوسه فرجع اليها وأخذها فاصيبت رجله فشدها بعمامته ولحق باصحابه وكانوا يتناوبون حمله فلما قدموا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فمسحها فبرئت أي وقال لما رآهم أفلحت الوجوه قلنا افلح وجهك يارسول الله وأخبرناه بقتل عدو الله واختلفنا عنده صلى الله عليه وسلم في قتله كل منا ادعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتوا أسيافكم فجئناه بها فنظر اليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس هذا قتله ارى فيه أثر الطعام قال والثابت في الصحيح كما علمت ان عبد الله بن عتيك هو الذي انفرد بقتله وان عدو الله كان بحصن بارض الحجاز ولا منافاة لان خيبر من الحجاز أي من قراه وريفه فلما دنوا من خيبر وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال عبد الله لاصحابه اجلسوا مكانكم فاني منطلق ومتلطف للبواب لعلي ان أدخل فاقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كانه يقضي حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب ياعبد الله ناداه بذلك كما ينادي الشخص شخصا لا يعرفه وهو يظن انه من أهل الحصن ان كنت تريد أن تدخل فادخل فاني أريد أن اغلق الباب فدخل وكمن فلما أغلق الباب على المفاتيح قال ثم أخذتها ففتحت الباب وكان ابو رافع يسمر عنده فلما ذهب عنه اهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت بابا اغلقته على من داخله حتى انتهيت اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله لا أدري اين هو من البيت قلت أبا رافع قال من هذا فاهويت نحو الصوت فضربته بالسيف فما أغنت شيا وصاح فخرجت من البيت اى وعند ذلك قالت له امرأته يا ابا رافع هذا صوت عبد الله بن عتيك قال ثكلتك امك واين عبد الله بن عتيك قال ابن عتيك ثم عدت وقلت له ما هذا الصوت يا أبا رافع قال لامك الويل ان رجلا في البيت ضربني بالسيف فعمدت اليه فضربته اخرى فلم تغن شيا فتواريت ثم جئته كهيئة المغيث وغيرت صوتي واذا هو مستلق على ظهره فوضعت السيف فى بطنه وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم ثم جئت الى الدرجة فوقعت فانكسرت رجلي فعصبتها بعمامتي فانطلقت الي اصحابي وقلت النجا قد قتل الله ابا رافع فانتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فمسحها فكاني لم أشتكها قط وعادت كاحسن ما كانت انتهي اى وهذا ما فى البخاري وفيه وفى رواية أخرى ان ابن عتيك قال لما وضعت السيف فى بطنه وتحاملت عليه حتى سمعت صوت العظم خرجت دهشا حتى اتيت السلم اى الذى صعدت فيه أريد ان انزل فاسقطت منه فانخلعت رجلي فعصبتها فاتيت اصحابي احجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني لا ابرح حتي اسمع الناعية فلما كان في وجه الصبح صعد الناعية فقال انعي ابا رافع فقمت امشي ما بى قلبة فادركت اصحابي قبل ان ياتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرته وفى سيرة الحافظ الدمياطي انهم مكثوا في ذلك المحل الذى استخفوا فيه يومين حتي سكن عنهم الطلب وينبغي النظر الى وجه الجمع بين ما ذكر

﴿ سرية زيد بن حارثه ﴾

وروى النسائي والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه عن عثمان بن حنيف رضى الله عنه ان رجلا أعمى قال يارسول الله ادع الله لى أن يكشف عن بصرى يعني يزيل عني العمي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يامحمد اني اتوجه بك الى ربك ان يكشف عن بصرى اللهم شفعه فى فاقام القوم من مجالسهم الا ورجع الرجل وقد أبصر وكان عثمان بن حنيف وبنوه يعلمونه للناس فيدعون به عند تعسر قضاء الحاجات فتقضى وقد أخرجه البرهان الحلبي من طرق متعددة قال الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء فلم يبق فيه شبهة فاحفظه * وروى ابو نعيم ان ملاعب الاسنة عامر بن مالك أصابه استسقاء فبعث الي النبي صلى الله

عليه وسلم قاصدا يلتمس منه الدعاء وان يشفيه الله ببركته فاخذ صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة حثوة من الارض فتفل عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يظن ان قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا اي قريب من الموت فشربها اى بعد ان وضعها فى ماء فشفاه الله ببركته صلى الله عليه وسلم * وروى ابن ابي شيبة والبيهقي والطبراني ان فديك ابن عمرو السلاماني جيء به الي النبي صلي الله عليه وسلم وعيناه مبيضتان وهو عبارة عن العمي فساله عما اصابه فقال كنت اقود

حملالي فوقعت رجلي على بيض حية فاصابت في بصري فلا ابصر شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فكان يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين سنة وتقدم في غزوة خيبر انه صلى الله عليه وسلم قال لاعطين الراية غدا الرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ثم بعث الى على بن ابي طالب رضي الله عنه وكان به رمد فجيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فوضع رأسه على حجره صلى الله عليه وسلم ثم بصق في عينيه وفي رواية وتفل في كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كان لم يكن بهما وجع * وروى البخاري في صحيحه عن المكي بن ابراهيم قال حدثني يزيد ابن ابي عبيد قال رايت اثر ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضي الله عنه فقلت يا أبا مسلم ماهذه الضربة قال هذه ضربة اصابتني يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتي الساعة وهذا من ثلاثيات البخاري * وفي الشفاء ورمى كلثوم بن الحصين رضى الله عنه يوم احد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه اى فى نحره ومحل جراحته فبرأ * وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم تفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد اى لم يبق فيها مدة وقيح * وروى ابو القاسم البغوى باسناده عن معاوية بن الحكم قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يعني في غزوة الخندق كما قال السيوطي فارل أخي على بن الحكم فرسا له الخندق فاصاب رجله جدار الخندق فدقها فاتي النبي صلى الله عليه وسلم وما نزل عن فرسه فمسحها وقال باسم الله فما اذاه شئ وقد عد أبو حاتم البغوى في الثقات وروى ابن اسحق وغيره ان معاذ بن عفراء رضى الله عنه قطعت يده يوم بدر فجاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فبصق عليها والصقها فلصقت كما كانت ببركة ريقه الشريف الذى تفله عليها * وروى ابن اسحق وغيره ايضا ان حبيب بن

رضى الله عنهما الى القردة بفتح القاف والراء وقيل بالفاء مفتوحة وقيل بكسرها وسكون الراء وقدمه في الاصل على الاول اسم ماء وسببها ان قريشا لما كانت وقعة بدر خافوا الطريق التي كانوا يسلكونها الى الشام من على بدر وسلكوا طريقا أخرى من جهة العراق فخرج عير لهم فيه أموال كثيرة جدا من تلك الطريق يريدون الشام واستاجروا رجلا يدلهم على الطريق وكان ذلك الرجل ممن هرب من أسارى بدر وفي ذلك العير من اشراف قريش ابو سفيان وصفوان بن أمية وعبد الله بن ابي ربيعة وحويطب بن عبد العزى فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة في مائة راكب وهي أول سرية لزيد بن حارثة خرج فيها أميرا فصادف تلك العير على ذلك الماء فاصاب العير وأفلت القوم واسر دليلهم وقدم زيد رضى الله عنه بتلك العير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ الخمس ماقيمته عشرون ألف درهم وأتي بذلك الاسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان تسلم تترك اى من القتل فاسلم فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه بعد ذلك

﴿سرية ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسد﴾

وهو ابن عمته صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب واخوه من الرضاعة ارضعتهما ثويبة كما تقدم الى قطن اى وهو جبل وقيل ماء من مياه بني اسد وسببها انه بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان طليحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم اى اخبره بذلك رجل من طيء قدم المدينة لزيارة بنت اخيه بها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سلمة المذكور وعقد لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلا من المهاجرين والانصار وخرج الرجل المخبر له صلى الله عليه وسلم دليلا لهم وقال له صلى الله عليه وسلم سر حتي تنزل أرض بني اسد فاغر عليهم قبل ان يتلاقى عليك جموعهم فاغذ السير اى بفتح الهمزة والغين المشددة والدال المعجمتين اى اسرع ونكب اى بفتح الكاف المخففة عدل عن سمت الطريق وسار بهم ليلا ونهارا ليستبق الاخبار فانتهى الى ماء من مياههم فاغار على سرح لهم واسروا ثلاثة من الرعاة وافلت سائرهم ففرق ابو سلمة اصحابه ثلاث فرق فرقة بقيت معه وفرقتان اغارتا فى طلب النعم والشاء والرجال فاغنموا الاوشاء ولم يلقوا احدا فانحدر ابو سلمة بذلك كله الى المدينة قال وقيل انه اخرج صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك عبدا اى لانه صلى الله عليه وسلم كان يباح له اخذ الصفي وهو ما يختاره او يختاره له امير السرية قبل القسمة من الفيء او الغنيمة من جارية او غيرها كما تقدم واخرج الخمس ثم قسم ما بقي بين اصحابه فاصاب كل انسان سبعة ابعرة اى وطليحة هذا كان يعد بالف فارس قدم عليه صلى الله عليه وسلم فى بعض الوفود واسلم ثم ارتد وادعى النبوة وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقويت شوكته ثم اسلم بعد وفاة ابى بكر رضي الله عنه وحسن اسلامه وحج في زمن عمر رضى الله عنه ولم يعرف لاخيه سلمة اسلام بعث عبد الله بن انيس الى سفيان بن خالد الهذلي ثم اللحياني بكسر اللام وفتحها وسبب ذلك انه عليه

اساف رضي الله عنه أصيب يوم بدر بضربة بسيف على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح
وروى البيهقي والنسائي والطبراني باسناد صحيح ان قدرا انكفأت على ذراع محمد بن حاطب الجمحي وهو طفل فمسح عليه صلى الله
عليه وسلم ودعا له وتفل عليه فبرئ لحينه وروى الطبراني والبيهقي ان شرحبيل الجعفي رضي الله عنه كانت في كفه سلعة تمنعه
القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فجعل يطحنها أي يدير كفه الشريفة عليها

بقوة كما تدور الرحى حتى أزالها ولم يبق لها أثر في قوله يطحنها استعارة لطيفة وروى الطبراني عن ابي أمامة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سالته جارية وهو ياكل فناولها من الطعام الذي بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما أريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يساله أحد شيا فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقى الله عليها الحياء فلم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها والله سبحانه وتعالى أعلم

* ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ظهور الآثار العجيبة فيما لمسه أو باشره وزوال العلل والعاهات وتبدل الصفات الذميمة بالصفات الحميدة وانقلاب الاعيان له صلى الله عليه وسلم ببركته وبآثاره صلى الله عليه وسلم روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان أهل المدينة

فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان به قطاف في السير فلما رجع صلى الله عليه وسلم قال لابي طلحة
وجدنا فرسك بحرا اي كالبحر في شدة جريه فكان ذلك الفرس لا يجارى وروى البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم نخس جمل جابر
ابن عبد الله رضي الله عنهما وكان قد اعيا فنشط حتى كان لا يملك زمامه قال جابر رضي الله عنه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة اي وهي غزوة ذات الرقاع فابطأ به جمله ومر به صلى الله عليه وسلم فقال له ما شانك فقال له ابطأ بي جملي واعيا فتخلفت

الصلاة والسلام بلغه ان سفيان المذكور قد جمع الجموع لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث
عبد الله بن انيس رضي الله عنه ليقتله فقال صفه لي يارسول الله فقال اذا رأيته هبته وفرقت أي خفت
منه وذكرت الشيطان فقال عبد الله يارسول الله مافرقت من شيء قط فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بلى انك تجد قشعريرة اذا رأيته فقال عبد الله فاستاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقول
أي ما أتوصل به اليه من الحيلة فاذن لي أي قال لي قل ما بدا لك أي وقال انتسب الى خزاعة قال عبد الله
ابن أنيس فسرت حتى اذا كنت ببطن عرنة وهو واد بقرب عرفة لقيته يمشي أي يتوكأ على عصا يهد
الارض ووراءه الاحابيش أي أخلاط الناس ممن انضم اليه فعرفته بنعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاني هبته وكنت لا اهاب الرجال فقلت صدق الله ورسوله أي وكان وقت العصر فخشيت ان
يكون بيني وبينه محاولة يشغلني عن الصلاة فصليت وانا امشي نحوه اومئ براسي فلما انتهيت اليه قال
لي من الرجل فقلت رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لاكون معك قال اجل اني لاجمع له
فمشيت معه ساعة وحدثته فاستحلى حديثي أي وكان فيما حدثته به ان قلت له عجبت لما احدث محمد من
هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه احلامهم فقال لي انه لم يلق أحدا يشبهني ولا يحسن قتاله فلما
انتهى الى خبائه وتفرق عنه اصحابه قال لي يا أخا خزاعة هلم فدنوت منه فقال اجلس فجلست معه حتى
اذا هدأ الناس وناموا اغتررته فقتلته واخذت رأسه ثم دخلت غارا في الجبل وضربت العنكبوت أي
نسجت علي وجاء الطلب فلم يجدوا شيا فانصرفوا راجعين ثم خرجت فكنت اسير الليل وأتوارى النهار
حتى قدمت المدينة فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فلما رآني قال قد افلح الوجه قلت
افلح وجهك يارسول الله فوضعت رأسه بين يديه واخبرته خبري فدفع لي عصا وقال تخصر بهذه في الجنة
أي توكأ عليها فان المتخصرين في الجنة قليل فكانت تلك العصا عنده فلما حضرته الوفاة اوصى اهله ان
يدخلوها في كفنه فجعلوها بين جلده وكفنه ففعلوا أي وفي القاموس والمخصرة أي كمكنسة بكسر
الميم عبد الله بن انيس وهذه القصة بقصة كعب ابن الاشرف ترد على الزهري قوله لم يحمل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأس الى المدينة قط وحمل الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه راس فكره ذلك واول من
حملت اليه الرؤس عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وفيه انه لما قتل الحسين وجماعة من اهل بيته
بعث ابن زياد قبحه الله رؤسهم الى يزيد بن معاوية وابن الزبير رضي الله عنه لم يبايع بالخلافة الا بعد
موت يزيد ومضي مدة خلافة ابنه معاوية رضي الله عنه الذي خلع نفسه وهي اربعون يوما ولعل
ارسال راس الحسين ومن معه كان قبل راس عبد الله بن ابي الحمق فلا ينافي قول ابن الجوزي اول راس
حمل في الاسلام اي من المسلمين راس عبد الله بن ابي الحمق وذلك انه لدغ فمات فخشيت الرسل ان
تتهم فقطعوا راسه فحملوه ثم رايت ابن الجوزي قال قال ابن حبيب نصب معاوية رضي الله عنه راس
عمرو بن ابي الحمق ونصب يزيد بن معاوية راس الحسين رضي الله عنه وقول الزهري الى المدينة
لا يخالف ما في النور تقدم في غزوة بدر كم من راس حمل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لان

تلك الرؤس لم تحمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة على أن فيه انه لم يحمل اليه ذلك اليوم الارأس ابي جهل على ماتقدم

﴿ سرية الرجيع ﴾

وفي الاصل بعث الرجيع بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة وقيل ستة عيونا الى مكة يتجسسون اخبار قريش ليأتوه بها وامر عليهم عاصم بن ثابت الانصارى رضي الله تعالى عنه ويقال له ابن ابى الاولح بالفاء وقيل امر عليهم مرثدا الغنوى رضى الله عنه حليف عمه صلى الله عليه وسلم حمزة رضي الله عنه ومرثد بفتح الميم واسكان الراء وبالمثلثة والغنوى بغين معجمة أي وكان مرثد هذا يحمل الاسرى ليلا من مكة حتى يأتي بهم المدينة فوعد رجلا من الاسرى بمكة ان يحمله قال فجئت به حتى انتهيت به الى حائط من حيطان مكة فى ليلة مقمرة فجاءت عناق وكانت من جملة البغايا بمكة فرأت ظلي في جانب الحائط فلما انتهيت الى عرفتني قالت مرثد قلت مرثد قالت مرحبا واهلا هلم تبت عندنا الليلة فقلت يا عناق ان الله حرم الزنا فدلت على فخرج في اثرى ثمانية رجال فتواريت فى كهف الخندمة فجاؤا حتى وقفوا على رأسي فاعماهم الله عني فلما رجعوا رجعت لصاحبي فحملته وكان رجلا ثقيلا حتى انتهيت الى محل ففككت عنه قيده ثم جعلت احمله حتى قدمت الى المدينة ثم استشرته صلى الله عليه وسلم ان أنكح عناقا فامسك عني حتى نزلت الآية الزانى لا ينكح الازانية أو مشركة والزانية لا ينكحها الازان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ودعاني صلى الله عليه وسلم فتلاها على ثم قال لا تتزوجها وفي قطعة التفسير للجلال المحلي ان الآية نزلت فى فقراء المشركين لما هم فقراء المهاجرين أن يتزوجهن وهن موسرات لينفقن عليهم وقيل التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ قوله وأنكحوا الايامي منكم الآية وفيه ان عند فقهائنا يحرم على المسلم نكاح من تعبد الاوثان وان لم تكن بغيا ومن جملة العشرة عبد الله بن طارق وخبيب بن عدي تصغير خب وهو الماكر من الرجال الخداع وزيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر التاء المثلثة وقد تسكن ثم نون مفتوحة ثم تاء تانيث مقلوب من الندثة والندث استرخاء اللحم فخرجوا رضى الله عنهم أى يسيرون الليل ويكمنون النهار حتي اذا كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل لقيهم سفيان بن خالد الهذلى الذى قتله عبد الله بن انيس وجاء برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقومه وهم بنو لحيان فانهم ذكروا لهم فنفروا اليهم فيما يقرب من مائة رام أى ولا يخالف ما في الصحيح قريبا من مائة رجل فاقتفوا آثارهم حتي وجدوا نوى تمرا كلوه في منزل نزلوه أى فان منهم امراة كانت ترعى غنما فرأت النوى فقالت هذا تمر يثرب فصاحت فى قومها اتيتم فتبعوهم الى ان وجدوهم في المحل المذكور فلما احسوا بهم لجؤا الى موضع من جبل هناك أى صعدوا اليه فاحاطوا بهم وقالوا لهم انزلوا ولكم العهد ان لا نقتل منكم أحدا فقال عاصم رضي الله تعالى عنه اما انا فلا انزل على ذمة أى امان وعهد كافر فرموهم بالنبل فقتلوا عاصما اى وستة منهم وصار عاصم

فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب فصار لا يقدر على كفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اشتراه صلى الله عليه وسلم منه ثم لما قدم المدينة وفاه ثمنه وزاد ثم وهب له البعير مع الثمن وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم صنع مثل ذلك بفرس لجعيل بن زياد الاشجعي رضى الله عنه قال كنت فى بعض غزواته صلى الله عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة في أخريات الناس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشانك قلت انها عجفاء ضعيفة فضربها بمخفقة كانت في يده وقال بارك الله لك فيها فلقد رأيتني اول الناس ما املك راسها وبعت من بطنها عدة كثيرة * وفى رواية فخفقتها بمخفقة كانت معه قيل انها الدرة وقيل العصا والخفق الضرب * وفى رواية انه باع من بطنها باثنى عشر الفا يعني من اولادها واولاد اولادها وروى ابن اسحق وابن سعد عن عبد الله بن ابى طلحة انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة الانصارى فرده هملاجا اي سريع السير لا يساير وروى البيهقى ان خالد بن الوليد رضى الله عنه كانت فى قلنسوته شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فكان لا يشهد قتالا الارزق النصر وروى مسلم وابو داود والنسائى وابن ماجة عن اسماء بنت ابى بكر رضي الله عنها انها اخرجت جبة طيالسة اى ذات اعلام خضر وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها فنستشفي بها وروى البيهقي عن انس بن مالك رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد اى بعد ما سكب فيها فضل وضوئه * وفي رواية انه تفل فيها وروى ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم بزق في بئر كانت فى دار انس بن مالك رضي الله عنه فلم يكن بالمدينة اعذب منها ومر على ماء فى بعض اسفاره فسال عن اسمه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب بركته صلى الله عليه وسلم وروى ابن ماجه والبيهقى انه صلى الله عليه وسلم اتى بدلو

يرميهم

يرميهم بالنبل وينشد ابياتا منها

الموت حق والحياة باطل * وكل ماقضى الاله نازل * بالمرء والمرء اليه آيل

ولازال يرميهم حتي فنيت نبله ثم طاعنهم حتي انكسرت رمحه ثم سل سيفه وقال اللهم اني حميت دينك صدر النهار فاحم لحمي آخره ونزل اليهم ثلاثة على العهد وهم خبيب وزيد وعبدالله بن طارق رضى الله تعالى عنه عنهم فلما امسكوهم اطلقوا اوتار قسيهم فربطوا خبيبا وزيدا وامتنع عبدالله وقال هذا أول الغدر أى ترك الوفاء بعهد الله والله لا أصحبكم ان لي بهؤلاء يعنى القتلى أسوة فعالجوه فابي ان يصحبهم اي فقتلوه كما في الصحيح وقيل صحبهم الى ان كانوا بمر الظهران يريدون مكة انتزع عبدالله يده منهم ثم أخذ سيفه واستاخر عن القوم فرموه بالحجارة حتي قتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد اي ودخلوا بهما مكة في شهر القعدة فباعوهما باسيرين من هذيل كان بمكة أي وقيل بيع كل بخمسين من الابل أى وقيل بيع خبيب بامة سوداء فابتاع بنو الحرث بن عامر خبيبا أى لانه قتل الحرث يوم بدر كما في البخارى وتعقب بان المعروف عندهم ان قاتل الحرث يوم بدر انما هو خبيب بن اساف الخزرجي اي وقيل القاتل له على كرم الله وجهه وخبيب بن عدى هذا أوسى لم يشهد بدرا عند احد من ارباب المغازى اي وقيل في هذا تضعيف الحديث الصحيح ثم رايت الحافظ بن حجر رحمه الله ذكر انه لزم من هذا رد الحديث الصحيح ولو لم يقتل خبيب ابن عدي الحرث بن عامر ماكان لاعتناء آل الحرث بشرائه وقتله به معنى الان يقال لكونه من قبيلة قاتله وهم الانصار وابتاع زيدا صفوان بن أمية رضى الله تعالى عنه فانه اسلم بعد ذلك ليقتله بابيه فحبسوهما الى ان تنقضى الاشهر الحرم واستعار خبيب رضى الله تعالى عنه وهو محبوس موسى من بنت الحرث وفى الصحيح من بعض بنات الحرث ليستحد بها أي يحلق بها عانته فدرج ابن لها صغير وهي غافلة عنه حتى اتى الي خبيب رضى الله تعالى عنه فاجلسه خبيب رضي الله تعالى عنه على فخذه والموسى بيده ولما رأت انها على تلك الحالة فزعت فزعة عرفها خبيب رضي الله تعالى عنه فقال تخشين ان اقتله ماكنت لافعل ذلك ان شاء الله تعالى وذلك بكسر الكاف لانه خطاب للمؤنث وروى انه رضى الله تعالى عنه أخذ بيد الغلام وقال هل أمكن الله منكم فقالت المرأة ماكان هذا ظنى بك فرمي لها بالموسي وقال انما كنت مازحا ما كنت لاغدر وفي السيرة الشامية ان تلك المرأة قالت قال لي تعني خبيبا رضى الله تعالى عنه حين حضره القتل ابعثى الي بحديدة اتطهر بها للقتل اى وقد كان رضي الله تعالي عنه قال لها اذا ارادوا قتلى فآذنينى فلما ارادوا قتله آذنته فطلب منها تلك الحديدة قالت فاعطيت غلاما من الحي الموسى فقلت له ادخل بها على هذا الرجل البيت قالت فوالله لما دخل عليه الغلام قلت والله اصاب الرجل ثاره يقتل هذا الغلام ويكون رجل برجل فلما ناوله الحديدة اخذها من يده ثم قال لعمرك ماخافت امك غدري حين بعثتك بهذه الحديدة الي ثم خلى سبيله ويقال ان الغلام ابنها اى ويرشد اليه قول خبيب رضى الله تعالي عنه ماخافت امك وكانت بنت الحرث تقول والله ما رايت اسيرا خيرا من خبيب قالت والله لقد وجدته يوما اى وقد اطلعت عليه من شق الباب

من ماء زمزم فمج فيه اي التي فيها ماء فمه وريقه فصارت رائحته أطيب من المسك وروى الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وهما يبكيان عطشا فسكتا وروى البيهقى انه صلي الله عليه وسلم كان يتفل في أفواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الي الليل وفي رواية أنه كان يفعل ذلك بهم يوم عاشوراء وتقدم في باب ماجاء في شانه صلى الله عليه وسلم عن احبار اليهود عند ذكر قصة سلمان الفارسى رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اعطاه مثل بيضة الدجاج من الذهب وقال أدها لغرمائك عما عليك وكان عليه أربعون أوقية فقال سلمان واين تقع هذه مما على فاخذها صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه وقال خذها فان الله سيؤدى بها عنك قال سلمان فوزنت لهم منها أربعين أوقية وبقى عندى مثل ما أعطيتهم وروى الامام قاسم بن ثابت فى الدلائل عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما عن حنش بن عقيل وكان من أصحاب النبى صلي الله عليه وسلم قال سقانى رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب صلي الله عليه وسلم أولها وشربت آخرها يعنى انه صلي الله عليه وسلم شرب منها أولا لتحصل البركة فيها ثم ناوله الاناء فشرب بقيته قال فما برحت أجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وروي الامام احمد عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه انه صلي الله عليه وسلم اعطى قتادة بن النعمان رضى الله عنه وقد صلي معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال لقتادة انطلق به فانه سيضيء من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتي يخرج فانه الشيطان فانطلق قتادة فأضاء له العرجون حتي دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج من بيته كما اخبره صلي الله عليه وسلم وروي البيهقي انه صلي الله عليه وسلم دفع لعكاشة بن محصن رضي الله عنه جذل حطب وهو عود غليظ او اصل من اصول الشجر حين انكسر سيفه يوم بدر وقال اضرب به فعاد

يأكل قطفا من عنب في يده أي مثل رأس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة ثمرة * وفي رواية ولا اعلم في ارض الله عنبا يؤكل أي واستدل الممتنا بقصة خبيب هذه على انه يستحب لمن اشرف على الموت ان يتعهد نفسه بتقليم اظفاره واخذ شعر شاربه وابطه وعانته ولعل ذلك كان بلغ النبي صلى الله عليه وسلم وأقره ولما انقضت الاشهر الحرم بانقضاء المحرم خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه في الحل فلما قدم للقتل قال لهم دعوني اصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين وقال لهم والله لولا ان تحسبوا أن ما بي من جزع لزدت ثم قال اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا أي متفرقين واحدا بعد واحد ولا تبق منهم احدا أي الكفار وقد قتلوا في الخندق متفرقين قال ذكرانهم لما خرجوا به ليقتلوه خرج النساء والصبيان والعبيد ولما انتهوا به الى التنعيم أمروا بخشبة طويلة فحفروا لها فلما انتهوا بخبيب اليها وبعد صلاته للركعتين صلبوه على تلك الخشبة اي ليراه الوارد والصادر فيذهب بخبره الي الاطراف ثم قالوا له ارجع عن الاسلام نخل سبيلك وان لم ترجع لنقتلنك قال ان قتلي في سبيل الله لقليل اللهم انه ليس هنا احد يبلغ رسولك عني السلام فبلغه انت عني السلام وبلغه ما يصنع بنا وعن اسامة بن زيد رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع اصحابه فاخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحي وسمعناه يقول وعليه السلام ورحمة الله وبركاته فلما سري عنه صلى الله عليه وسلم قال هذا جبريل عليه السلام يقرئني من خبيب السلام خبيب قتلته قريش وقد جاء ان المشركين دعوا اربعين ولدا ممن قتل آباؤهم يوم بدر فاعطوا كل واحد رمحا وقالوا هذا الذي قتل آباءكم فطعنوه بتلك الرماح حتى قتلوه وكانوا بتلك الخشبة أربعين رجلا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم المقداد والزبير بن العوام رضي الله تعالي عنهما في انزال خبيب عن خشبته وفي لفظ قال صلى الله عليه وسلم ايكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال له الزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه انا يارسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود فجاء ووجدا عندها أربعين رجلا لكنهم سكارى نيام فانزلاه وذلك بعد اربعين يوما من صلبه وموته وحمله الزبير رضى الله تعالى عنه على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء فيشعر بهما المشركون أي وكانوا سبعين رجلا فتبعوهما ولما لحقوا بهما قذفه الزبير رضي الله تعالي عنه فابتلعته الارض اه ومن ثم قيل له بليع الارض اي وكشف الزبير رضى الله تعالى عنه والعمامة عن رأسه وقال لهم انا الزبير بن العوام وصاحبي المقداد بن الاسود أسدان رابضان يذبان عن شبلهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم فانصرفوا عنهما وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان عنده صلي الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال له جبريل يا محمد ان الملائكة تباهي هذين الرجلين من اصحابك نزل فيهما ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله الآية وتقدم انه قيل انها نزلت في علي كرم الله وجهه لما نام على فراشه صلى الله عليه وسلم ليلة ذهابه الى الغار وقيل انها نزلت في حق صهيب لما اراد الهجرة ومنعته منها قريش فيجعل لهم ثلث ماله اوكله كما تقدم ورايت بعضهم هنا قال انها نزلت في صهيب رضى الله تعالى عنه لما أخذه المشركون ليعذبوه فقال لهم اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت

في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض اللون شديد المتن أي قوم الجرم صلبا فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الرده وكان هذا السيف يقال له العون وروى أهل السير والبيهقي وابن عبد البر في الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم دفع لعبد الله بن جحش رضى الله عنه يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع سيفا وقصة شاة أم معبد مشهورة رواها أصحاب السنن والسير وافردها الحافظ العلائي بالتأليف وملخصها أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ماعندي غير شاة عجفاء لا لبن فيها فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها فدرت فحلب ما كفاه ومن معه وبقي في الاناء بقية فلما جاء زوجها اخبرته بخبره وصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله عليه وسلم المدينة وولد لها صغير واسلمت رضى الله عنها وتقدم عند ذكر رضاع حليمة صلى الله عليه وسلم ان حليمة بعد ان اخذته لترضعه قام زوجها لشارفها وهى الناقة المسنة فوجدها حافلة بالدر فحلب منها ما اشبعهم كلهم وباتوا بخير ليلة فقال حليمة انها نسمة مباركة فقالت اني والله ارجوا بركته الى آخر القصة وروى البيهقي قصة شاة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وملخصها انه كان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن ابي معيط فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضى الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم هل عندك لبن قال نعم لكني مؤتمن وقال ائتني بشاة لم ينز عليها الفحل فاتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله واتاه ابو بكر رضي الله عنه بصحفة وحلب فيها وقال لابي بكر رضي الله عنه اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا هو سبب اسلام عبد الله بن مسعود رضى الله عنه وروى مسلم والبيهقي قصة شاة المقداد بن الاسود رضي الله عنه قال كنت انا وصاحبان لي قد بلغ منا الجهد اي من الجوع فعرضنا أنفسنا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلم يقبلنا أحد فاتينا النبي صلي الله عليه وسلم فانطلق بنا الى اهله فاذا ثلاثة أعنز فقال احتلبوا منها لبنا بيننا فكنا نحتلب ونشرب ونرفع
للنبى صلي الله عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل ويشرب ه ووقع فى نفسى ذات ليلة انه صلى الله عليه وسلم يأتيه الانصار فاين شربه
ولا حاجة له بهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية انه اذا لم يجدها يدعوا على فاهلك فلم انم ونام صاحباي فجاء صلى الله عليه وسلم كعادته
فكشف الاناء فلم يجد شيأ فرفع بصره الى السماء فقلت يدعو على فقال اللهم اطعم من اطعمنى واسق من سقانى
فاخذت الشفرة وانطلقت
الى الاعنز لاذبح ماسمن
منها فاذاهن حفل كلهن
فحلبت في اناء حتى علت
الرغوة وجئت اليه صلى
الله عليه وسلم به فشرب ثم
ناولني فلما علمت انه روى
واصبت دعوته ضحكت
حتي استلقيت فقال صلي
الله عليه وسلم احدى
سوآتك يامقداد يعنى انك
فعلت سوأة فما هى فقلت
يارسول الله كان مني كذا
وكذا فقال ماهذه الارحمة
من الله لوكنت ايقظت
صاحبيك فاصابا منها فقلت
والذى بعثك بالحق ماابالى
اذا أصبتها واصبت فضلته
من اخطاها من الناس
وروى ابن سعد انه صلى
الله عليه وسلم اعطى بعض
اصحابه وقد ارادوا السفر
سقاء فيه ماء بعد أن
اوكاه ودعا فيه بالبركة
فلما حضرت الصلاة
نزلوا فحلوا وكاءه فاذا هو
لبن حليب وزبدة فى فمه
وفي الشفاء انه صلى الله
عليه وسلم مسح على راس
عمير بن سعد وضبطه بعضهم عمر بن سعد ودعا له بالبركة في عمره وصحبته فمات وهو ابن ثمانين فما شاب أى بركة مس يده الشريفة
لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم وروي ابن حبان انه صلي الله عليه وسلم مسح رأس مدلوك الفزارى رضى الله عنه فكان مامسته يده
اسود وسائر رأسه ابيض يعني انه لم يشب موضع المس وروي الطبراني والبيهقي انه كان يوجد لعتبة بن فرقد رضي الله عنه طيب
يغلب طيب نسائه أى ان رائحته تزيد على رائحة طيب نسائه حتى قالت زوجته أم عاصم كنا عنده ثلاث نسوة ومامنا واحدة

اومن غيركم فهل لكم أن تاخذوا مالي وتدعوني وديني ففعلوا * وفي كلام ابن الجوزى رحمه الله أن
عمرو بن أمية هو الذي انزل خبيبا فعنه رضي الله تعالي عنه قال جئت الى خشبة خبيب فرقيت فيها
فحللته الى الارض ثم التفت فلم أر خبيبا ابتلعته الارض وهذا هو الموافق لما فى السيرة الهشامية
وان ذلك كان حين أرسله صلى الله عليه وسلم والانصار لقتل ابي سفيان بن حرب كما سياتى ان شاء الله
تعالى اي وكان خبيب رضي الله تعالى عنه تحرك على الخشبة فانقلب وجهه على القبلة اى الكعبة
فقال اللهم ان كان لى عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فقال الحمد لله
الذى جعل وجهي نحو قبلته التي رضى لنفسه ولنبيه عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين ودعا عليهم
خبيب رضي الله تعالي عنه فقال اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم احدا قال معاوية بن
أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما فالقي أبو سفيان نفسه الى الارض على جنبه خوفا من دعوة خبيب
رضى الله تعالى عنه لانهم كانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زال عنه أي لم تصبه
تلك الدعوة وقد ولي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه سعد بن عامر رضى الله تعالى عنه على بعض
اجناد الشام فقيل له انه مصاب يلحقه غشي فاستدعاه فلما قدم عليه وجد معه مزودا وعكازا وقدحا فقال
له عمر رضى الله تعالى عنه ليس معك الاما أرى فقال له وما اكثر من هذا ياأمير المؤمنين مزودى اضع فيه
زادى وعكازى احمل به ذلك وقدحي آكل فيه فقال له عمر رضى الله تعالى عنه انك لم فقال لا فقال فما
غشية بلغني انها تصيبك فقال والله ياامير المؤمنين مابى من باس ولكني كنت فيمن حضر خبيب بن
عدى حين قتل وسمعت دعوته فوالله ماخطرت على قلبي وانا في مجلس قط الاغشي على فزاده ذلك عند
عمر رضى الله تعالى عنهما خيرا ووعظ عمر فقال له من يقدر على ذلك فقال انت ياأمير المؤمنين انما هو أن
يقال فتطاع له عمر رضي الله تعالى عنه ارجع الى عملك فابي وناشده الاعفاء فاعفاه وكان خبيب
رضي الله تعالى عنه هو الذى سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة اى لانه صلى الله عليه وسلم بلغه ذلك
عنه فاستحسنه فكان سنة وهذا يدل على أن واقعة زيد بن حارثة رضى الله تعالي عنهما متاخرة عن
قصة خبيب رضي الله تعالى عنه لكن في النور والمعروف ان زيد بن حارثة صلاهما قبل خبيب بزمن
طويل وفي الينبوع ان قصة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما كانت قبل الهجرة اى وكان ابن
سيرين رحمه الله اذا سئل عن الركعتين قبل القتل قال صلاهما خبيب رضي الله تعالى عنه وحجر وهما
فاضلان ويعنى بحجر حجر بن عدى رضى الله تعالى عنه فان زيادا والى العراق من قبل معاوية رضي الله
تعالى عنه وشى به الى معاوية فامر معاوية باحضاره فلما قدم على معاوية قال له السلام عليك ياأمير
المؤمنين فقال معاوية رضي تعالي عنه او امير المؤمنين انا اضربوا عنقه فلما قدم للقتل قال دعونى
اصلى ركعتين فصلاهما خفيفتين ثم قال رضي الله تعالى عنه لولا ان تظنوا بى غير الذى بى لاطلتهما ثم قتل
هو وخمسة من اصحابه ولما حج معاوية رضي الله تعالي عنه وجاء المدينة زائرا استاذن على عائشة رضى الله
تعالى عنها فاذنت له فلما قعد قالت له اماخشيت الله في قتل حجر واصحابه قال انما قتلهم من شهد

الا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب ريحا من صاحبتها وعتبة لا يمس طيبا فكان اطيب منهن ريحا فقلت له في ذلك فقال أصابني الشري على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال أخذني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي فتفل في كفه ودلكها بالاخرى ثم امرهما على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون والشرى بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالبا وتشتد ليلا وروى الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم سلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو المزني

عليهم وقصة زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما رواها الليث بن سعد قال بلغني ان زيد بن حارثة اكترى بغلا من رجل بالطائف فمال به ذلك الرجل الى خربة وقال له انزل فنزل زيد رضى الله تعالى عنه فاذا في الخربة المذكورة قتلى كثيرة فلما اراد ان يقتله قال له دعني اصلي ركعتين اي لانه راى ان الصلاة خير ما ختم به عمل العبد قال صل فقد صلى قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيا وهذا يدل على ان القتلى كلهم كانوا مسلمين قال فلما صليت أتاني ليقتلني فقلت يا أرحم الراحمين قال فسمع صوتا يقول لا تقتله فهاب ذلك وخرج يطلبه فلم ير شيا فرجع الي فناديت يا ارحم الراحمين فعل ذلك ثلاثا فاذا بفارس على فرس في يده حربة حديد في رأسها شعلة نار فطعنه بها فانفذها من ظهره فوقع ميتا ثم قال لي لما دعوت الاولى يا أرحم الراحمين كنت في السماء السابعة فلما دعوت الثانية يا ارحم الراحمين كنت في سماء الدنيا فلما دعوت الثالثة اتيتك * اقول وقد وقع مثل ذلك لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار يكنى ابا معلق وكان يتجر بمال له ولغيره يسافر به في الآفاق وكان ناسكا ورعا فخرج مرة في بعض أسفاره فلقيه لص مقنع في السلاح فقال له ضع مامعك فاني قاتلك فقال ماتريد من دمي فشانك والمال فقال أما المال فلي ولست اريد الا دمك فقال ذرني اصلي أربع ركعات فقال صل ماشئت فتوضأ ثم صلى اربع ركعات ثم دعا في آخر سجدة فقال ياودود ياذا العرش المجيد يافعال لما تريد أسالك بعزك الذي لايرام وملكك الذي لايضام وبنورك الذى ملأ أركان عرشك ان تكفيني شر هذا اللص يامغيث اغثني وكرر ذلك ثلاث مرات فاذا هو بفارس قد اقبل بيده حربة وضعها بين أذني فرسه فلما بصر به اللص اقبل نحوه فطعنه الفارس فقتله ثم اقبل الي ابي معلق فقال قم فقال من انت بابي انت وامي فلقد اغاثني الله بك اليوم قال انا ملك من اهل السماء الرابعة دعوت بدعائك الاول فسمعت لابواب السماء قعقعة ثم دعوت بدعائك الثاني فسمعت لاهل السماء ضجة ثم دعوت بدعائك الثالث فقيل لي دعاء مكروب فسالت الله تعالى أن يوليني قتله قال أنس رضي الله تعالى عنه من فعل ذلك استجيب لكم مكروبا كان اوغير مكروب اي وقد وقع نظير هذه المسئلة اي من حيث اقراره صلى الله عليه وسلم على فعل غيره وهو أنهم كانوا ياتون الصلاة وقد سبقهم النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فكان الرجل يشير الي الرجل كم صلى فيقولون واحدة او اثنتين فيصليهما وحده ثم يدخل مع القوم في صلاتهم فجاء معاذ رضي الله تعالى عنه فقال لا اجده صلى الله عليه وسلم على حال ابدا الا كنت عليها ثم قضيت ما سبقني فجاء وقد سبقه النبي صلى الله عليه وسلم ببعضها فثبت معه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قام فقضي ما عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد سن لكم معاذ فكذا فاصنعوا أي وكان هذا قبل قوله صلى الله عليه وسلم ما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا واخرج صفوان بن أمية رضى الله تعالى عنه زيدا رضي الله تعالى عنه الى الحل مع مولى له ليقتله به واجتمع عند قتله رهط من قريش فيهم ابوسفيان بن حرب فلما قدم للقتل قال له ابوسفيان رضي الله تعالى عنه انشدك بالله يازيد أتحب محمدا الآن عندنا مكانك تضرب عنقه وانت في اهلك فقال والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي

رضي الله عنه لما جرح يوم حنين أي مسح صلى الله عليه وسلم وجهه بيده متكئا عليه حتي اخرج ماعليه من الدم ودعا له فكانت له غرة بيضاء منيرة كغرة الفرس من اثر يده الشريفة صلى الله عليه وسلم وروي ابن الكلبي انه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس قيس بن زيد الجذامي رضى الله عنه ودعا له فمات قيس وهو ابن مائة سنة ورأسه ابيض إلا موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت عليه فانه اسود اي لم يشب ببركته صلى الله عليه وسلم وكان يدعى الاغر لما في وجهه من النور وروى البيهقي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني رضى الله عنه ولامانع من التعدد وجاء انه صلى الله عليه وسلم مسح وجه خزيمة بن سواد بن الحارث فصارت له غرة بيضاء وروى انه مسح أيضا

هو
ناصية طلحة ابن ام سليم فكانت له غرة ومازال على وجهه نور من آثار انواره صلى الله عليه وسلم ومسح صلى الله عليه وسلم وجه قتادة بن ملحان رضي الله عنه فكان لوجهه بريق أي لمعان وصفاء سرة حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة أي يقابل الناظر اليه وجهه بوجهه ليري صورة وجهه فيه كالمرآة الشديدة الصفاء شرة وروي البيهقي انه صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأس حنظلة بن حذيم الحنفي وهو بالحاء المهملة والذال المعجمة بوزن درهم ودعا له بالبركة فكان يؤتي بالرجل قد ورم

وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيضع محل الورم من الوجه والضرع على الموضع الذى مسه كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم الذى كان اصابه وروي ابن عبد البر في الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم نضح فى وجه زينب بنت ام سلمة رضى الله عنها نضحة من ماء فما كان يعرف فى وجه امرأة من الجمال ما كان بها قال ابن عبد البر فى الاستيعاب دخلت زينب رضى الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل فنضح فى وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت وعجزت وكانت عند

هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وانى لجالس فى اهلى فقال ابو سفيان رضي الله تعالى عنه ورأيت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ونقل مثل ذلك عن خبيب رضي الله تعالى عنه اي فانهم لما وضعوا السلاح فى خبيب رضى الله تعالى عنه وهو مصلوب نادوه وناشدوه اتحب ان محمدا مكانك قال لا والله ما احب ان يؤذى بشوكة فى قدمه ثم قتله ذلك المولى اي طعنه برمح في صدره حتي انفذه من ظهره وقيل رمي بالنبل وأرادوا فتنة عن دينه فلم يزدد الا ايمانا ولما قتل عاصم رضى الله تعالى عنه الذى هو امير هذه السرية على ما تقدم ارادت هذيل اخذ رأسه ليبيعوه من سلافة وهى ام مسافع وجلاس ابني طلحة بن ابي طلحة بن عبد الدار وكلام بعضهم يقتضى انها اسلمت بعد فان عاصما هذا كما تقدم قتل يوم احد ولديها كلاهما اشعره وسمهما وكل ياتي اليها بعد اصابته بالسهم ويضع رأسه فى حجرها فتقول يا بني من اصابك فيقول سمعت رجلا يقول حين رماني خذها وانا ابن ابى الاقلح فنذرت ان قدرت على رأسه لتشربن فى قحفه الخمر وجعلت لمن يجىء برأسه مائة ناقة كما تقدم فحالت الدبر بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وهى الزنابير بينهم وبين عاصم رضى الله تعالى عنه كلما قدموا على قحفه طارت فى وجوههم ولدغتهم فقالوا دعوه حتى يمسي فناخذه فبعث الله الوادى اى سال فاحتمل السيل عاصما فذهب به حيث اراد الله فسمي حمى الدبر وبعث ناس من قريش لما بلغهم قتل عاصم فى طلب جسده اوشيء منه يعرفونه اى ليمثلوا به لانه قتل عظيما من عظمائهم قال الحافظ ابن حجر لعله عقبة بن ابى معيط فان عاصما قتله صبرا باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان انصرفوا من بدر كما تقدم قال وكان قريشا لم تشعر بما جرى لهذيل من منع الزنابير لهم عن عاصم او شعروا بذلك ورجوا ان الزنابير تركته اى ولم يشعروا بان السيل اخذه اه اى وقد كان عاصم رضى الله تعالى عنه دعا الله ان لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك فى حياته وتقدم هنا انه دعا الله ان يحمى لحمه فاستجاب الله له فلم يحصل له ذلك لا فى حياته ولا بعد موته اى وفي كلام بعضهم لما نذر عاصم ان لا يمس مشركا في بنذره عصمه الله عن مساس سائر المشركين اياه فصار عاصم معصوما هذا وقيل ان هؤلاء العشرة لم يخرجوا ليأتوا بخبر قريش وانما خرجوا مع رهط من عضل والقارة وهما بطنان من بني الهون قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من اصحابك يفقهونا في الدين ويقرؤنا القرآن ويعلمونا شرائع الاسلام فبعث صلى الله عليه وسلم معهم اولئك النفر فساروا حتى اذا كانوا على الرجيع استصرخوا عليهم هذيلا فلم يشعروا الا والرجال بايديهم السيوف قد غشوهم فاخذوا اسيافهم ليقتلوا القوم فقالوا لهم والله لا نريد قتلكم ولكنا نريد ان نصيب بكم شيئا من اهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه ان لا نقتلكم فابوا الحديث والحافظ الدمياطى رحمه الله اقتصر على هذا الثاني وان اميرهم كان مرثد الغنوي رضي الله تعالى عنه فقال سرية مرثد الغنوى الى الرجيع قال قدم رهط من عضل والقارة فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما الحديث لكنه فى سياق القصة قال وأمر عليهم عاصما وقيل مرثدا رضى الله تعالى عنهما واخر هذه السرية عن السرية بعدها التي هي سرية القراء

عبد الله بن زمعة فولدت له وكانت من أفقه أهل زمانها واعقلهم وفى الشفاء انه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره ومسح على غير واحد من الصبيان والمجانين فبرئوا وفى الشفا ايضا واتاه رجل ذو أدرة وهى انتفاخ فى الخصيتين فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ وروى الطبرى ان المهلب بن يزيد الطائى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه قرع فمسح رأسه فنبت شعره وروى عن طاوس بن كيسان اليماني لم يؤت النبى صلى الله عليه وسلم باحد به مس اى جنون فصك فى صدره الا ذهب المس وروى الامام احمد عن وائل بن حجر انه صلى الله عليه وسلم مج فى دلو فيه ماء اخرج من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك وصح انه ضرب صدر جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب واثبتهم ومسح صلى الله عليه وسلم على رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما اى حقيرا ودعا له بالبركة فى خلقته وسائر اموره ففرع الناس طولا وتماما اى زاد عليهم فى الطول وتمام سائر الاعضاء وكمل الله خلقته بدعائه صلى الله عليه وسلم وفى الصحيحين ان ابا هريرة رضى الله عنه شكا اليه صلى الله عليه وسلم النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه اي فعل فعلا

﴿ سرية القراء رضى الله تعالى عنهم الى بئر معونة ﴾

لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو عامر بن مالك ملاعب الاسنة ويقال ملاعب الرماح وهو رأس بني عامر اى ويقال له ايضا ابو براء بالمد لا غير وهو عم عامر بن الطفيل عدو الله اى واهدى اليه صلى الله عليه وسلم فرسين وراحلتين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اقبل هدية من مشرك * وفى رواية نهيت عن عطايا المشركين * اقول وفي كلام السهيلي انه اهدى اليه فرسا وارسل اليه اني قد اصابني وجع فابعث الى بشىء اتداوى به فارسل اليه صلى الله عليه وسلم بعكة عسل وامره ان يستشفى به وقال نهيت عن زبد المشركين قال السهيلي والزبد مشتق من الرفد لانه نهي عن مداهنتهم والملاينة لان المداهنة مشتقة من الدهن فرجع المعنى الى اللين كذا قال ولعل هذا كان بعد ما تقدم ويحتمل ان يكون قبله وهو الاقرب والله اعلم ولما قدم عليه ابو عامر عرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام دعاه اليه فلم يسلم ولم يبعد عن الاسلام أي وقال انى ارى امرك هذا امرا حسنا شريفا ولم يسلم بعد ذلك على الصحيح خلافا لمن عده في الصحابة ثم قال يا محمد لو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد أى وهم بنو عامر وبنو سليم فدعوتهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اخشى أهل نجد عليهم قال ابو براء انا لهم جار وهم فى جوارى وعهدى فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فخرج ابو براء الى ناحية نجد واخبرهم انه قد اجار اصحاب محمد فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو رضي الله تعالى عنه فى اربعين وقيل فى سبعين وعليه اقتصر الحافظ الدمياطي اى لانه الذي فى صحيح البخاري وقيل فى ثلاثين رجلا من اصحابه من خيار المسلمين أى وذكر الحافظ ابن حجر ان هذا القيل وهم انه يمكن الجمع بين كونهم سبعين وكونهم اربعين بان الاربعين كانوا رؤساء وبقية العدة كانوا اتباعا ويقال لهؤلاء القراء أى لملازمتهم قراءة القرآن وكانوا اذا امسوا اجتمعوا في ناحية المدينة يصلون ويتدارسون القرآن فيظن اهلوهم انهم في المسجد ويظن اهل المسجد انهم فى اهاليهم حتى اذا كان وجه الصبح استعذبوا من الماء واحتطبوا وجاؤا بذلك الى حجر النبي صلى الله عليه وسلم وفى كلام بعضهم انهم كانوا يحتطبون بالنهار ويتدارسون القرآن بالليل وكانوا يبيعون الحطب ويشترون به طعاما لاصحاب الصفة وقد يقال لا منافاة لجواز انهم كانوا يفعلون هذا مرة وهذا اخرى او بعضهم يفعل احد الامرين وبعضهم يفعل الآخر وكان منهم عامر بن فهيرة رضى الله تعالى عنه * وكتب صلى الله عليه وسلم لهم كتابا فساروا حتى نزلوا بئر معونة وهى بين ارض بني عامر وحرة بني سليم والحرة ارض فيها حجارة سود فلما نزلوها بعثوا حرام بالحاء المهملة والراء ابن ملحان وهو خال انس بن مالك بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدو الله عامر بن الطفيل لعنه الله وهو رأس بنى سليم وفى لفظ سيد بنى عامر وابن اخي ابي براء عامر بن مالك

يشبه من يغرف من شيء مما يضعه فى آخر ثم امره بضمه فضمه فما نسى شيأ قال ابو هريرة رضى الله عنه فما كان احد احفظ مني الحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عبد الله بن عمرو لتقدم اسلامه ولانه كان يكتب وانا لا اكتب ﴿ ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم ﴾ اجابة دعائه لناس دعا لهم او عليهم وهذا باب واسع جدا قال القاضي عياض فى الشفا اجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة دعا لهم او عليهم متواترة معلومة ضرورة وقد جاء فى حديث رواه الامام احمد عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال كانت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت ولده وولد ولده اى وصل اثر الدعوة وبركاتها الى ولده وولد ولده وروى البخاري عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قالت امى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله خادمك انس ادع الله تعالى له فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته قال انس فوالله ان مالى لكثير وان ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة اي يزيدون عليها وفى رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدى هاتين مائة من ولدى لا اقول سقطا ولا ولد ولد وقد اجاب الله دعوته صلى الله عليه وسلم وجاء انه مات له فى الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدا وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال فى دعائه له واطل حياته وان انسا قال فاكثر الله مالى حتى ان لى كرما يحمل في السنة مرتين وولد لصلبى مائة وستة وروى مسلم عن انس رضى الله عنه انه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا وما هو الا انا وأمي وام حرام خالتي فقالت امى يا رسول الله خويدمك انس ادع الله له فدعا لى بكل خير وكان فى اخر ما دعا لى اللهم اكثر ماله وولده بارك له فيه وفى رواية واطل عمره واجعله رفيقي فى الجنة وكان انس رضى الله عنه يقول بعد ان طال عمره وكثر ماله وولده وانا ارجو هذه يعني كونه رفيقه صلى الله

كما

عليه وسلم في الجنة ومن دعائه صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقي دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بالبركة اي بان يبارك الله
له فيما رزقه قال عبد الرحمن رضي الله عنه فلو رفعت حجرا لرجوت ان اصيب تحته ذهبا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم
ذهبا وفتح الله له ابواب الخيرات وكان حين قدم المدينة فقيرا لا يملك شيئا فآخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع فاراد
سعد بن الربيع ان يطلق احدى زوجتيه ليتزوجها عبد الرحمن وان يقاسمه

ماله فقال لا حاجة لي في ذلك بارك

كما تقدم فلما اتاه لم ينظر في كتابه حتى عدا عليه فقتله اي بعد أن قال يا أهل بئر معونة اني رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فآمنوا بالله ورسوله وجاءه رجل من خلفه فطعنه بالرمح في جنبه
حتى نفذ من جنبه الآخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة وقال بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه
ثم استصرخ عليهم أي استغاث بني عامر فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه قالوا لن نخفر ابا براء
اي لا نزيل خفارته وننقض عهده وقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من سليم قال
الحافظ الدمياطي عصية ورعلا وذكوان زاد بعضهم وبني لحيان قال بعضهم وليس في محله * قول
كان قائله سرى اليه ذلك من كونه صلى الله عليه وسلم جمع بني لحيان في الدعاء عليهم مع من ذكر
قبله وسياتي انه انما جمعهم معهم لان خبر اصحاب الرجيع واصحاب بئر معونة جاءه صلى الله عليه وسلم
في يوم واحد وبنو لحيان اصحاب الرجيع ودعا عليهم دعاء واحدا والله اعلم فلما دعا تلك القبائل الثلاثة
التي هي عصية ورعل وذكوان اجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى احاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم
اخذوا سيوفهم فقاتلوهم حتى قتلوا الى آخرهم الا كعب بن زيد رضي الله تعالى عنه فانهم تركوه وبه رمق
وحملوه من المعركة فعاش بعد ذلك حتى قتل يوم الخندق شهيدا الا عمرو بن امية الضمري رضي الله
تعالى عنه ورجلا آخر كانا في سرح القوم ولما احاطوا بهم قالوا اللهم انا لا نجد من يبلغ رسولك عنا
السلام غيرك فاقرأه منا السلام فاخبره جبريل عليه السلام بذلك فقال وعليهم السلام وفي لفظ انهم
قالوا اللهم ابلغ عنا نبينا ﷺ انا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا فلما جاءه الخبر من السماء قام
صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان اخوانكم قد لقوا المشركين وقتلوهم وانهم قالوا
ربنا بلغ قومنا انا قد لقينا ربنا فرضينا عنه ورضي عنا وفي لفظ ورضي عنا وارضانا فانا رسولهم
اليكم انهم قد رضوا عنه ورضي عنهم وذكر انس رضي الله عنه ان ذلك انزل فيهم القرآن وكان قرآنا
يتلى ثم نسخت تلاوته اي صار ليس له حكم القرآن من التعبد بتلاوته وانه لا يمسه الا طاهر ولا يتلى
في صلاة الى غير ذلك من احكام القرآن * ولما رأى عمرو بن امية والرجل الذي معه الطير تحوم على
محل اصحابهما اي كانا في رعاية ابل القوم كما تقدم قالا والله ان لهذا الطير لشأنا فاقبلا ينظران فاذا
القوم في دمائهم واذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال الرجل الذي مع عمرو ماذا ترى فقال ارى ان نلحق
برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فقال له لكني ما كنت لارغب بنفسي عن موطن قتل فيه
المنذر بن عمرو فقاتل القوم فقتل ذلك الرجل واسر عمرو فاخبرهم انه من مضر فاخذه عامر بن
الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة كانت على امه فخرج عمرو حتى جاء الى ظل فجلس فيه فاقبل
رجلان حتى نزلا معه فسالهما فاخبراه انهما من بني عامر وفي لفظ من بني سليم وكان معهما عهد من
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلم به عمرو فامهلهما حتى ناما فعدا عليهما فقتلهما وهو يرى اي يظن
انه قد اصاب بهما ثارا من بني عامر فلما قدم عمرو على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره الخبر واخبره
بقتل الرجلين فقال له لقد قتلت قتيلين لادينهما اي لادفعن ديتهما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

الله لك في زوجتيك
ومالك ثم قال دلوني على
السوق فصار يتعاطى
التجارة وفي اقرب زمن
رزقه الله مالا كثيرا ببركة
دعائه صلى الله عليه وسلم
حتى انه لما توفي رضي الله
عنه بالمدينة سنة احدى
وثلاثين او اثنتين وثلاثين
حفر الذهب من تركته
بالفؤوس حتى مجلت
الايدي من كثرة العمل
واخذت كل زوجة من
زوجاته الاربع ثمانين
الفا وقيل ان نصيب كل
واحدة من الاربع مائة
الف وقيل بل صولحت
احداهن على نيف
وثمانين الفا من الدنانير
واوصى رضي الله عنه
بالف فرس وخمسين
الف دينار في سبيل الله
واوصى بحديقة لامهات
المؤمنين رضي الله عنهن
بيعت باربعمائة الف
واوصى لمن بقي من اهل
بدر لكل رجل باربعمائة
دينار وكانوا مائة
فاخذوها واخذ عثمان
فيمن اخذ وهذا كله غير

صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة فقد اعتق ومائة الف عبدا وتصدق مرة بعير وهي الجمال التي تحمل الميرة وكانت تلك
العير فيها سبعمائة بعير وردت عليه وكان ارسلها للتجارة فجاءت تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها من طعام وغيره وباحلاسها
واقتابها وجاء انه تصدق مرة بشطر ماله وكان الشطر اربعة آلاف ثم تصدق باربعين الفا ثم باربعين الف دينار ثم بخمسمائة فرس
في سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة وروي انه رضي الله عنه لما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة جاءه باربعة آلاف درهم

وقال يارسول الله كان لي ثمانية آلاف درهم فاقرضت ربي اربعة آلاف وامسكت لعيالي اربعة آلاف فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما امسكت فبارك الله له في ماله ومن دعائه صلى الله عليه وسلم دعاؤه لمعاوية بن ابي سفيان رضى الله عنهما بالتمكين في البلاد فنال الخلافة وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لن يغلب معاوية وقد بلغ ان عليا رضى الله عنه هذه الرواية فقال لو علمت لما حاربته ذكره ملا على

وروى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية رضى الله عنه اللهم علمه الكتاب ومكن له في البلاد وقه العذاب ودعا له مرة فقال اللهم اجعله هاديا مهديا وورد في فضائله احاديث اخر وكان اول التمكين له ان استعمله اميرا ابو بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم فكان اميرا على الشام عشرين سنة ثم صار خليفة عشرين سنة وانعقد الامر على استخلافه حين نزل له الحسن بن على رضى الله عنهما عن الخلافه وبايعه الناس واما ماوقع بينه وبين على رضى الله عنه بسبب طلبه لدم عثمان فينبغى الكف عنه لانه كان باجتهاد للمصيب فيه اجران وللمخطى اجر واحد وقد وردت احاديث فيها الوعيد الشديد على تعرض لسب احد من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم او تنقص احدا منهم وقد قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه واعدلهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وقال تعالى للمهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون فبعد ان شهد الله لهم بالصدق واخبرنا انه رضى عنهم ورضوا عنه فلا ينبغي لمؤمن ان يتعرض لاحد منهم بل يفوض ماوقع بينهم الى الله ويترك الخوض فيه ويعتقد انهم مجتهدون ماجورون وقال تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك

هذا عمل ابي براء قد كنت لهذا كارها متخوفا ولما بلغ ابي براء ان عامر بن الطفيل ولد اخيه ازال خفارته شق عليه ذلك وشق عليه ما اصاب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه فعند ذلك حمل ربيعة ابن ابي براء عامر بن الطفيل أى الذي هو ابن عمه فطعنه بالرمح فوقع في فخذه ووقع عن فرسه وقال ان انا مت فدمى لعمى يعنى ابا براء وان اعش فسارى رايي اى وفى لفظ نظرت في امرى وفى الاصابة ان ربيعة جاء الى النبي ﷺ فقال يارسول الله ايغسل عن أبي هذه الغدرة ان اضرب عامر بن الطفيل ضربة او طعنة قال نعم فرجع ربيعة فضرب عامرا ضربة اشواه منها فوثب عليه قومه فقالوا لعامر بن الطفيل اقتص فقال قد عفوت اى وعقب ذلك مات ابو براء أسفا على ماصنع به ابن اخيه عامر بن الطفيل من ازالته خفارته وعاش عامر بن الطفيل ولم يمت من هذه الطعنة بل مات بالطاعون بدعائه ﷺ كما سياتى في الوفود في وفد بنى عامر اي وقال بعضهم قد اخطا المستغفرى في عده صحابيا ولما قتل عامر بن فهيرة رضي الله تعالى عنه رفع الى السماء فلما راى قاتله ذلك اسلم اى وهو جبار بن سلمى اى لا عامر بن الطفيل كما وقع في بعض الروايات كما علمت وقال صلى الله عليه وسلم اى لما بلغه قتل عامر بن فهيرة ان الملائكة وارت جثة عامر بن فهيرة اي في الارض اى بناء على انه لما رفع الى السماء وضع كما في البخارى فقد جاء ان عامر بن الطفيل قال لعمرو بن امية رضى الله تعالى عنه واشار الى قتيل من هذا فقال له عمرو هذا عامر بن فهيرة فقال لقد رايته بعد ماقتل رفع الى السماء حتي انى لا نظر الى السماء بينه وبين الارض ثم وضع وفى بعض الروايات ان عامر بن فهيرة التمس في القتلي يومئذ اى فلم يوجد فيرون ان الملائكة رفعته وظاهرها ان الملائكة لم تضعه في الارض بل رفعته اى ويؤيده ان عامر بن الطفيل لعنه الله دخل بعمرو بن امية رضى الله تعالى عنه في القتلى وصار يقول له ما اسم هذا ما اسم هذا ما اسم هذا ثم قال له هل من اصحابك من ليس فيهم قال نعم مارايت فيهم عامر بن فهيرة مولى ابى بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما قال له عامر اى رجل هو فيكم قال من افضلنا ومن اولى اى ومن اولى المسلمين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عامر لما قتل رايته رفع الى السماء وعن انس بن مالك رضى الله عنه انه قال مارايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد على احد ماوجد على اصحاب بئر معونة ومكث يدعو عليهم ثلاثين صباحا * اقول وفى رواية الشيخين قنت شهرا اى متتابعا يدعو على قاتلي اصحاب بئر معونة اى بعد الاعتدال في الصلوات الخمس من الركعة الاخيرة وحينئذ يكون المراد بالصباح اليوم وليلته وذكر بعض اصحابنا انه صلى الله عليه وسلم كان رفع يديه في الدعاء المذكور وقاس عليه رفعهما في قنوت الصبح وروى الحاكم انه صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه في قنوت الصبح واستدل اصحابنا على استحباب القنوت للنازلة في سائر المكتوبات بقنوته ودعائه على قاتلى اصحابه ببئر معونة وفى بعض السير فدعا النبي ﷺ شهرا عليهم في صلاة الغداة وفى لفظ يدعو في الصبح وذلك بدء القنوت وما كان يقنت رواه الشيخان وقد سئل الجلال السيوطى هل دعاؤه صلى الله عليه وسلم على من قتل اصحابه كان عقب فراغه من القنوت المشهور او كان الدعاء هو قنوته

فاجاب

اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى وقال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون فيؤخذ من مجموع الآيتين انهم كلهم في الجنة رضى الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا اى لا فرضا ولا نفلا والاحاديث في ذلك كثيرة نسأل الله ان يحيينا ويميتنا على محبتهم وان لا يجعل لاحد منهم في عنقنا ظلامة وان (١٩٧) يجعلهم شفعاء لنا يوم القيامة آمين

فاجاب رحمه الله بانه لم يقف على شيء من الاحاديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم جمع بين القنوت والدعاء قال بل ظاهر الاحاديث انه اقتصر على الدعاء اى فيكون قنوته هو الدعاء وهو الموافق لقول اصحابنا ويستحب القنوت في اعتدال آخرة صبح مطلقا وآخر سائر المكتوبات اى باقيها للنازلة وهو اللهم اهدنا الخ في ان ال في القنوت للعهد والله أعلم وفي رواية انه يدعو على الذين اصابوا اصحابه في الموضعين أى بئر معونة والرجيع دعاء واحدا لانه صلى الله عليه وسلم جاءه خبرهما في وقت واحد كما تقدم وادمج البخاري رحمه الله بئر معونة مع بعث الرجيع لقربهما في الزمن اى ففيه مكث صلى الله عليه وسلم يدعو على احياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان اى وهو يقتضي انهما شيء واحد وليس كذلك وقد علمت ان بني لحيان قتلوا اصحاب الرجيع ومن قبلهم قتلوا اصحاب بئر معونة والله سبحانه وتعالى اعلم

﴿سرية محمد بن مسلمة الى القرطاء﴾

بالقاف مفتوحة وبالطاء المهملة وهم بنو بكر بن كلاب بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الى القرطاء في ثلاثين راكبا اى وامره ان يسير الى الليل ويكمن النهار وأمره أن يشن عليهم الغارة فسار الليل وكمن النهار قال وصادف في طريقه ركبا نازلين فارسل اليهم رجلا من اصحابه يسأل من هم فذهب الرجل ثم رجع اليه فقال قوم من محارب فنزل قريبا منهم ثم امهلهم حتي عطنوا اي بركوا الابل حول الماء اغار عليهم فقتل نفرا منهم اى عشرة وهرب سائرهم واستاق نعما وشاء ولم يتعرض للظعن أى النساء انتهى ثم انطلق حتى اذا كان بموضع يطلعه على بني بكر بعث عباد بن بشير اليهم وخرج محمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه في اصحابه فشن عليهم الغارة فقتل منهم عشرة واستاقوا النعم والشاء ثم انحدر رضى الله عنه الى المدينة فخمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ماجاء به وعدل الجزور بعشرة من الغنم وكان النعم مائة وخمسين بعيرا والغنم ثلاثة آلاف شاة واخذت تلك السرية ثمامة بن اثال الحنفي من بني حنيفة اى سيد اهل اليمامة وهم لا يعرفونه وجيء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اتدرون من اخذتم هذا ثمامة بن اثال الحنفي فاحسنوا اساره اى قيده فربط بسارية من سوارى المسجد قال وقيل ان هذه السرية لم تأخذه بل دخل المدينة وهو يريد مكة للعمرة فتحير في المدينة وقد كان جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا من عند مسيلمة واراد اغتياله صلى الله عليه وسلم فدعا ربه ان يمكنه فاخذ وجيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فربط بسارية من سوارى المسجد فدخل صلى الله عليه وسلم على اهله فقال اجمعوا ما كان عندكم من طعام فابعثوا به اليه وامر له صلى الله عليه وسلم بناقة يأتيه لبنها مساء وصباحا وكان ذلك لا يقع عند ثمامة موقعا من كفايته اي وجاء اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا ثمامة هل امكن الله منك فقال قد كان ذلك يا محمد وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه فيقول ما عندك يا ثمامة فيقول يا محمد عندي

وعن المقداد رضى الله عنه ان سعدا رضى الله عنه قال يارسول الله ادع الله ان يستجيب دعائي فقال ياسعد ان الله لا يستجيب دعاء أحد حتي يطيب طعمته فقال ادع الله ان يطيب طعمتي فاني لا اقوى الا بدعائك فقال اللهم اطب طعمة سعد واستجب دعوته وقد خرج اهل الصحيح كثيرا من دعوات سعد رضى الله عنه المستجابة وهي مشهورة مأثورة فمنها ان رجلا نال من على رضى الله عنه وكرم وجهه بحضرة سعد فقال اللهم ان كان كاذبا فارني فيه آية فجاء جمل فتخبطه حتي قتله ومنها مارواه البخاري ان سعدا رضي الله عنه دعا على ابى سعدة بقوله اللهم اطل عمره واطل فقره وعرضه للفتن قال الراوي فلقد رأيته شيخا كبيرا سقط حاجباه على عينيه يتعرض للجوارى يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون اصابته دعوة سعد وروي الترمذى انه صلى الله عليه وسلم دعا بعز الاسلام اى بان الله يعز الاسلام اي يقويه وينصره باحد الرجلين بعمر بن الخطاب اوبابي جهل فاستجيب له في عمر رضى الله عنه فكانوا قبل اسلام عمر رضى الله عنه لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفا من المشركين فلما اسلم رضي الله عنه صلوا معه عند الكعبة وقد روي من طرق انه صلى الله عليه وسلم خص عمر رضى الله عنه بالدعاء فقال اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم ايد الاسلام بعمر وجمع بين الروايتين بانه اولا دعا بان الله يعز

الاسلام باحدهما ثم لما تبين له باعلام من الله والهام منه ان الاولى بذلك عمر خصه بدعائه ثانيا وكرره حتى استجيب له وتقدمت قصة اسلامه رضي الله عنه وما كان من تعذيب قريش المستضعفين عند ذكر من هاجر من المسلمين ودعا صلى الله عليه وسلم لابي قتادة رضي الله عنه كما رواه البيهقي في الدلائل بقوله افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة كانه ابن خمس عشر سنة في نضارته وقوته لم يتغير فلم يفضض شعره ودعا صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدي وهو قيس بن عبد الله لما انشده قصيدته التي يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بها فلما وصل قوله فيها

ولا خير في حلم اذا لم يكن له
بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له
حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

وقال له صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية وكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة وقيل مائة واربعين وقيل مائتين وثمانين وروى البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنهما بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم الحبر وترجمان القرآن وكان اعلم الناس بالتفسير والفقه والفرائض واشعار العرب وايامها ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم دعا لعبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنهما بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه وروى ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم دعا للمقداد بالبركة وكانت عنده غرائر من المال قالت ضباعة بنت الزبير وهي زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من حجره بدينار ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجاء بها المقداد للنبي صلى الله عليه وسلم

خير ان تقتل تقتل ذا كرم وفي لفظ ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت ففعل ذلك معه ثلاثة ايام قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه فجعلنا ايها المساكين اي اصحاب الصفة نقول بيننا ما يصلي الله عليه وسلم ما يصنع بدم ثمامة والله لاكلة جزور سمينة من فدائه احب الينا من دم ثمامة وفي الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم انصرف عن ثمامة وهو يقول اللهم اكلة لحم من جزور احب الي من دم ثمامة ثم امر به فاطلق ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الثالث قال اطلقوا ثمامة فقد عفوت عنك يا ثمامة فانطلق فانطلق الى ماء جار قريب من المسجد فاغتسل وطهر ثيابه ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله الي وهذا يخالف ما ذكره فقهاؤنا من الاستدلال بقصة ثمامة على انه يستحب لمن اسلم ان يغتسل لاسلامه ثم رأيت بعض متاخري اصحابنا اجاب بانه اسلم اولا ثم لما اغتسل اظهر اسلامه وفي الاستيعاب فاسلم فامره النبي ﷺ ان يغتسل كما في رواية اخرى انه قال يا محمد والله ما كان على الارض وجه ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه كلها الي والله ما كان على الارض من دين ابغض الي من دينك فقد اصبح دينك احب الدين كله الي والله ما كان من بلد ابغض الي من بلدك فقد اصبح بلدك احب البلاد الي ثم شهد شهادة الحق فلما امسى جيء له بما كان يأتيه من الطعام فلم ينل منه الا قليلا ولم يصب من حلاب اللقحة الا يسيرا فعجب المسلمون قال وقال يا رسول الله اني خرجت معتمرا وفي لفظ الصحيح فان خيلك اخذتني وانا اريد العمرة فماذا ترى فامره ان يعتمر فلما قدم بطن مكة لبى فكان اول من دخل مكة ملبيا فاخذته قريش فقالوا لقد اجترأت علينا اصبوت يا ثمامة قال اسلمت واتبعت خير دين دين محمد والله لا يصل اليكم حبة من حنطة اي من اليمامة من ارض اليمن وكانت ريفا لاهل مكة حتى ياذن فيها رسول الله ﷺ وقدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة فخلوا سبيله فخرج ثمامة الى اليمامة فمنعهم ان يحملوا الى مكة شيئا حتى اضر بهم الجوع واكلت قريش العلهز وهو الدم يخلط باوبار الابل ويشوى بالنار كما تقدم فكتبت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين وقد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع انك امرت بصلة الرحم وانك قد قطعت ارحامنا فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثمامة رضي الله تعالى عنه ان يخلي بينهم وبين الحمل وفي لفظ خل بين قومي وبين ميرتهم ففعل فانزل الله تعالى ولقد أخذناهم بالعذاب الآية هذا والذي في الاستيعاب ان ثمامة لما دخل مكة وقد سمع المشركين خبره فقالوا يا ثمامة صبوت وتركت دين آبائك قال لا ادري ما تقولون الا اني أقسمت برب هذه البنية يعني الكعبة لا يصل اليكم من اليمامة شيء مما تنتفعون به حتى تتبعوا محمدا من آخركم وكانت ميرة قريش ومنافعهم من اليمامة ثم خرج رضي الله تعالى عنه فمنع عنهم ما كان ياتي منها فلما أضر بهم ذلك كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدنا بك وانت تامر بصلة الرحم وتحث عليها وان ثمامة قد قطع عنا ميرتنا واضر بنا فان رأيت ان تكتب اليه ان يخلي بيننا وبين ميرتنا فافعل فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان يخلى بين قومي و بين ميرتهم * ولما تعجب المسلمون من أكله بعد اسلامه رضي الله تعالى عنه لكونه دون ما كان قبل اسلامه قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تعجبون ان رجل اكل اول النهار في معي كافر وأكل آخر النهار في معى مسلم ان الكافر ليأكل في سبعة امعاء وان المسلم يأكل في معى واحد انتهى اي وقد وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك مع جهجاه الغفاري رضي الله تعالى عنه فانه اكل مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو كافر فاكثر ثم اكل معه وقد اسلم فاقل فقال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة امعاء ولعل المراد بالاكل ما يشمل الشرب ثم رايت في الجامع الصغير ان الكافر ليشرب في سبعة امعاء والمسلم يشرب في معى واحد والمراد انه يأكل ويشرب مثل الذي يأكل ويشرب في سبعة امعاء وكان رضي الله تعالى عنه مقيما باليمامة ولما ارتد اهل اليمامة ثبت ثمامة في قومه على الاسلام وكان ينهاهم عن اتباع مسيلمة لعنه الله ويقول لهم اياكم وامرا مظلما لا نور فيه وانه لشقاء كتبه الله على من اتبعه منكم

﴿ سرية عكاشة بن محصن رضي الله عنه الى الغمر ﴾

بفتح الغين المعجمة وسكون الميم والراء ماء لبني اسد اي جمع من بني اسد وبعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن الاسدي رضي الله عنه في اربعين رجلا منهم ثابت بن ارقم رضي الله عنه وقيل ان ثابتا رضي الله عنه هو الذي كان الامير على هذه السرية فخرج يسرع في السير الى ان وصل الى الماء المذكور فوجد القوم علموا بهم فهربوا ولم يجدوا في دارهم احدا فبعث شجاع بن وهب طليعة يطلب خبرا ويرى اثرا فاخبر انه رأى اثر نعم قريبا فخرجوا فوجدوا رجلا نائما فسألوه عن خبر الناس فقال واين الناس لقد لحقوا بعليات بلادهم قالوا فالنعم قال معهم فضربه احدهم بسوط في يده فقال تؤمنوني على دمي واطلعكم على نعم لبني عم لهم لم يعلموا بمسيركم اليهم قالوا نعم فامنوه فانطلقوا معه فامعن أي بالغ في الطلب حتى خافوا ان يكون ذلك غدرا منه لهم فقالوا له والله لتصدقنا او لنضربن عنقك فقال تطلعون عليهم من هذا الحزن فلما طلعوا منه وجدوا نعما واتبع فاغاروا عليها فاستاقوها فاذا هي مائة بعير وشردت الاعراب في كل وجه ولم يطلبوهم وانحدروا الى المدينة بتلك الابل واطلقوا الرجل الذي امنوه والله اعلم

﴿ سرية محمد بن مسيلمة رضي الله عنه لذي القصة ﴾

بفتح القاف والصاد المهملة المشددة وهو موضع قريب من المدينة بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة في عشرة نفر لبني ثعلبة وبني عوال من ثعلبة بذي القصة فورد عليهم ليلا فكمن القوم وهم مائة رجل لمحمد بن مسلمة واصحابه وأمهلوهم حتى ناموا او احدقوا بهم أي فما شعروا الا وقد خالطهم القوم فوثب محمد بن مسلمة فصاح في اصحابه السلاح فوثبوا وتراموا ساعة ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم ووقع محمد بن مسلمة جريحا فضربوا كعبه فلم يتحرك فظنوا موته فجردوهم من الثياب وانطلقوا ومر بمحمد واصحابه رجل من المسلمين فاسترجع فلما سمعه محمد رضي الله تعالى عنه يسترجع تحرك

واخبره بخبره فقال له ادخلت يدك في الحجر قال لا والذي بعثك بالحق فقال صدقة تصدق الله بها عليك بارك الله لك فيها قالت ضباعة فما في آخرها حتى رأيت غرائر الورق في بيت المقداد ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وروى البخاري والامام احمد انه صلى الله عليه وسلم دعا لعروة بن ابي الجعد البارقي رضي الله عنه بمثل دعائه للمقداد قال عروة فلقد كنت أقوم بالكناسة وهو اسم لسوق بالكوفة أي أقوم فيه للتجارة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا قال البخاري (١٩٩) في حديث عروة فكان لو اشترى التراب لربح فيه وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم دعا لام ابي هريرة رضي الله عنهما بان يهديها الله للاسلام فاسلمت وحازت شرف الصحبة رضي الله عنها وكان ابو هريرة قبل ذلك حريصا على اسلامها فدعاها للاسلام فابت واسمعته ما يكره في حق النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يبكي وقال اني كنت ادعوها للاسلام فتأبى فدعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما اكره فادع الله ان يهديها فقال اللهم اهد ام ابي هريرة فخرج مستبشرا بدعائه فلما اتى الباب سمعت خشف اقدامه فقالت مكانك يا ابا هريرة فسمع صوت الماء فاغتسلت ولبست درعها وخمارها وفتحت له الباب فلما دخل قالت يا ابا هريرة اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع ابو هريرة رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وقال ابشر يا رسول الله فقد اجيبت دعوتك وهدى الله امي للاسلام فحمد الله تعالى فقال يا رسول الله ادع الله ان يحببني انا وامي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال اللهم حبب عبدك هذا وامه الى عبادك وحببهم لهما فكان لا يسمع به احد ولا يراه الا احبه ورواه البيهقي ايضا في الدلائل وروى البيهقي عن عمران بن حصين رضي الله عنهما وعن ابيهما قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم واقبلت فاطمة ووقفت بين يديه فنظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع فوضع يده على

صدرها وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران فرايت وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم جئتها فقالت ما جعت يا عمران بعد أي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم لها قال البيهقي وكان هذا قبل نزول آية الحجاب وروى ابن اسحق والبيهقي وابن جرير انه صلى الله عليه وسلم دعا للطفيل بن عمرو الدوسي ان يجعل له آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يارب اني أخاف ان يقولوا مثله فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمى الطفيل ذا النور

له فاخذه وحمله الى المدينة فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح في اربعين رجلا الى مصارعهم فلم يجدوا أحدا ووجدوا نعما وشاء فانحدروا بها الى المدينة

﴿سرية ابي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه الى ذي القصة ايضا﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه في أربعين رجلا الى من بذي القصة فانه بلغه صلى الله عليه وسلم انهم يريدون أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى يومئذ بمحل بينه وبين المدينة سبعة أميال فصلوا المغرب ومشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع عماية الصبح فاغاروا عليهم فاعجزوهم هربا في الجبال وأسروا رجلا واحدا واخذوا نعما من نعمهم ورثة أي ثيابا خلقة من متاعهم وقدموا بذلك الى المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم الرجل فتركه صلى الله عليه وسلم

﴿سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنه الى بني سليم بالجموح﴾

بفتح الجيم وهو اسم لناحية من بطن نخل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى بني سليم بالجموح فسار حتى ورد ذلك المحل فاصابوا امرأة من مزينة فدلتهم على محلة من محال القوم فاصابوا في تلك المحلة نعما وشاء واسروا منها جماعة من جملتهم زوج تلك المرأة وانحدروا بذلك الى المدينة فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتلك المرأة نفسها وزوجها

﴿سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه الى العيص﴾

وهو محل بينه وبين المدينة اربع ليال بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عير القريش قد أقبلت من الشام فبعث زيد بن حارثة في سبعين ومائة راكب ليعترضها أي وكان فيها ابو العاص بن الربيع وقدم به وبتلك العير المدينة فاستجار ابو العاص بزوجته زينب رضي الله عنها فاجارته ونادت في الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر أي دخل في الصلاة هو واصحابه فقالت ايها الناس اني قد اجرت ابا العاص بن الربيع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي لما سلم واقبل على الناس وقال هل سمعتم ما سمعتم قالوا نعم قال اما والذي نفسي بيده ما علمت شيء من هذا اي ثم انصرف صلى الله عليه وسلم ودخل على ابنته وقال قد اجرنا من اجرت قال وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم ادناهم اى وفي الصحيحين ذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم فمن اخفر مسلما اي ازال خفارته اي نقض جواره وعهده فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ثم دخلت عليه صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله تعالى عنها فسالته ان يرد على ابي العاص ما أخذ منه فاجابها الى ذلك وقال لها صلى الله عليه وسلم اى بنية اكرمي مثواه ولا يخلص اليك فانك لا تحلين له اى لتحريم نكاح المؤمنات على المشركين اى كما تقام في الحديبية وبعث صلى الله عليه وسلم للسرية فقال لهم ان هذا الرجل منا

وقدمت قصته في باب الوفود عند ذكر وفد دوس وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم دعا على مضر حين تأخر اسلامهم وقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الجلود والدم والعظام فقال له ابو سفيان انك تامر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار فما اتى عليهم جمعة حتى مطروا وروى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في اقطار الدنيا وروى ابو داود والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم دعا على صبي قطع عليه صلاته اى مر بينه وبين سترته ان يقطع الله اثره فاقعد قال ابن مهران رايت مقعدا بتبوك يسمي زيد ابن بهرام فسالته اى عن سبب اقعاده فقال مررت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع اثره فما مشيت بعد وروى مسلم عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال له صلى الله عليه وسلم لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وروى الحاكم والبيهقي وابن اسحق من طرق صحيحة انه صلى الله عليه

حيث

وسلم دعا على عتيبة بالتصغير ابن ابي لهب وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وقيل ان المدعو عليه أخوه عتبة بالتكبير لكن الصحيح الاول لان عتبة المكبر ومعتبا أخاه أسلما عام الفتح وحسن اسلامهما رضي الله عنهما وعقير الاسد انما هو عتيبة المصغر وتقدمت قصته في باب مراتب الوحي عند تعداد ماوقع له صلى الله عليه وسلم من الادية ومن دعائه صلى الله عليه وسلم دعاؤه المشهور على ابي جهل وعقبة بن ابي معيط وغيرهما من عتاة قريش حين وضعوا السلى على كتفه وهو ساجد مع الفرث والدم فاستجاب الله دعوته عليهم فقتلوا يوم بدر وتقدم الكلام على ذلك في الباب المذكور عند تعداد ماوقع له صلى الله عليه وسلم من الادية وروي البيهقي باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم دعا على الحكم بن ابي العاص ابن أمية وهو ابو مروان وكان يختلج بوجهه أي يحرك وجهه وحاجبيه وشفتيه استهزاء بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم كن كذلك فلم يزل يختلج الي ان مات وتقدم الكلام عليه مبسوطا فى الباب المذكور عند ذكر المستهزئين واستهزائهم وروى البيهقي وابن جرير عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم دعا على محلم بن جثامة الكنانى الليثى فمات بعد سبع ليال من دعائه ولما دفنوه لفظته الارض ثم دفنوه فلفظته وهكذا امرات فالقوه في شعب ورضموا عليه الحجارة وسبب دعائه عليه انه صلى الله عليه وسلم بعثه في سرية امر عليها عامر بن الاضبط فلقوا عامر بن الاضبط فقتل محلم عامرا لذحل كان بينهما فلما بلغه صلى الله عليه وسلم دعا عليه ولما اخبروه صلى الله عليه وسلم بان الارض لفظته قال ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن الله اراد ان يجعله لكم عبرة وهذا الباب واسع جدا لان أدعيته صلى الله عليه وسلم المستجابة كثيرة لا تكاد تنحصر وماذكر قطرة من بحر وفيه كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم * ومن

حيث قد علمتم بقد اصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا عليه الذي له فانا نحب ذلك وان ابيتم فهو في الله الذي افاء عليكم فانتم احق به فقالوا يارسول الله بل نرده عليه فردوا عليه ما أخذ منه وهذا السياق يدل على ان ذلك كان قبل صلح الحديبية ووقوع الهدنة لان عند ذلك لم تتعرض سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش وهو يخالف قوله صلى الله عليه وسلم لها لايخلص اليك لان تحريم نكاح المؤمنات على المشركين انما كان فى الحديبية وقد ذكر بعضهم ان ذلك كان قبيل الفتح سنة ثمان ومن ثم ذكر الزهري وتبعه ابن عقبة رحمهما الله تعالى ان الذين اخذوا هذا العير وأسروا من فيها ابو بصير وابو جندل واصحابهما رضي الله عنهم لانهم كانوا في مدة صلح الحديبية من شانهم ان كل عير مرت بهم لقريش أخذوها بغير معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم ولما أخذوا هذه العير خلوا سبيل ابي العاص لكونه صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اعجزهم هربا وجاء تحت الليل فدخل على زوجته زينب رضي الله تعالى عنها فاستجار بها فاجارته ثم كلمها فى اصحابه الذين أسروا فكلمت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فخطب الناس وقال انا صاهرنا أبا العاص فنعم الصهر وجدناه وانه قد أقبل من الشام فى اصحاب له من قريش فاخذهم ابو جندل وابو بصير وأسروهم واخذوا ما كان معهم وان زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سالتني ان اجيرهم فهل انتم مجيرون ابا العاص واصحابه فقال الناس نعم فلما بلغ أبا جندل وأبا بصير واصحابهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا الاسرى وردوا عليهم كل شيء حتى العقال وصوب في الهدى هذا الذي ذكره الزهري أي لما علمت ان مما يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لبنته زينب ولا يخلص اليك فانك لاتحلين له لان تحريم نكاح المؤمنات على المشركين انما كان بعد الحديبية وذكر ان المسلمين قالوا لابي العاص ياأبا العاص انك في شرف من قريش وانت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اى لانه يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده عبد مناف فهل لك ان تسلم فتغنم مامعك من أموال أهل مكة فقال بئسما أمرتموني أفتتح ديني بغدرة اى بالغدر وعدم الوفاء ثم ذهب ابو العاص الى أهل مكة فادى كل ذى حق حقه ثم قام فقال ياأهل مكة هل بقي لاحد منكم مال لم ياخذه هل وفيت ذمتي فقالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما فقال اني اشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله والله مامنعني عن الاسلام عنده الا خشية أن تظنوا أني انما أردت ان آكل اموالكم ثم خرج حتى قدم المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فرد له رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضي الله عنها على النكاح الاول ولم يحدث نكاحا وذلك بعد ست سنين وقيل بعد سنة واحدة انتهى * أقول وفي رواية بعد سنتين والمتبادر أن السنة او السنتين من اسلامها دونه وهو مخالف لما عليه أهل العلم من أنه لابد ان يجتمع الزوجان فى الاسلام والعدة ومن ثم قالت طائفة منهم الترمذى هذا حديث ليس باسناده باس ولكن لا يعرف وجهه وفي كلام بعض الحفاظ يمكن ان يقال قوله بعد ست سنين ولم يقل من اسلامها دونه صيره مجهول تاريخ الابتداء فلا يصح الاستدلال به وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رد ابنته زينب

معجزاته صلى الله عليه وسلم اخباره بكثير من المغيبات قال في الشفاء وهذا بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره اي ماؤه الكثير وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على طريق القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب ولا يكون ذلك الا بوحي من الله تعالى فمن ذلك ما تقدم في هذا الكتاب في مواضعه وهو كثير ومن ذلك ما رواه أبو داود وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما أي يخطب فما ترك شيأ مما يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ورواه البخاري أيضا لكن رواية أبي داود ابسط وفيها انه ليكون منه الشيء اي يوجد الشيء مما حدثنا به قد نسيته فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم رآه ثم قال حذيفة ما ادري أنسي أصحابي أم تناسوه اي اظهروا نسيانه خوف الفتن والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه باسمه واسم أبيه وقبيلته بحيث لم تبق فيه شبهة وروى الامام احمد والطبراني عن ابي ذر رضي الله عنه قال لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه الا ذكر لنا منه علما اى يذكر لنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره وقد خرج البخاري ومسلم وغيرهما من اصحاب السنن ما أعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على اعدائه لغلبتهم وفل شوكتهم كفتح مكة فانه اخبرهم به قبل وقوعه ولما انفتحت قال لهم هذا الذي قلت لكم واخبرهم بفتح بيت المقدس واخبر تميما الداري رضي الله عنه حين اسلامه بان الله سيفتح بيت المقدس وأقطعه ارضا بها فلما فتح في خلافة عمر رضي الله عنه اعطى تميما اعطاه تحقيقا لوعد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وأخبر بفتح الشام واليمن

على ابي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد قال بعضهم وهذا في اسناده مقال وقال غيره هذا حديث ضعيف وقال آخر لا يثبت والحديث الصحيح انما هو أن النبي صلى الله عليه وسلم أقرها على النكاح الاول وقال ابن عبد البر حديث انه صلى الله عليه وسلم اقرها على النكاح الاول متروك لا يعمل به عند الجميع وحديث ردها بنكاح جديد عندنا صحيح يعضده الاصول وان صح الاول أريد به على الصداق الاول وهو محمل حسن هذا كلامه قال بعضهم تصحيح ابن عبد البر لحديث انه ردها بنكاح جديد مخالف لكلام أئمة الحديث كالبخاري وأحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان والدارقطني والبيهقي وغيرهم هذا كلامه وفي كون زينب رضي الله تعالى عنها كانت مشركة وأسلمت قبل زوجها المشعر به قول بعضهم ولم ينقل من اسلامها نظر لانها تبعت ما بعث به ابوها صلى الله عليه وسلم من غير تقدم شرك منها لا يقال فحيث كانت مسلمة فكيف زوجها من ابي العاص وهو كافر لانا نقول على فرض انه صلى الله عليه وسلم زوجها له بعد البعث فقد زوجها له قبل نزول قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا لان تلك الآية نزلت بعد صلح الحديبية كما علمت على ان ابن سعد ذكر انه صلى الله عليه وسلم زوجها له في الجاهلية أي قبل البعثة والله أعلم

﴿ سرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى بني ثعلبة ﴾

أي بالطرف ككتف اسم ماء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا أي بالطرف فاصاب عشرين بعيرا وشاء واقتصر الحافظ الدمياطي على النعم ولم يذكر الشاء ولم يجد أحدا لانهم ظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار اليهم فصبح زيد رضي الله تعالى عنه بالنعم والشاء المدينة أي وقد خرجوا في طلبه فاعجزهم * وكان شعارهم الذي يتعارفون به في ظلمة الليل أمت أمت

﴿ سرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الي جذام ﴾

محل يقال له حسمي بكسر الحاء المهملة وسكون السين على وزن فعلي وهو موضع وراء وادي القرى يقال ان الطوفان أقام بذات المحل بعد نضوبه اي ذهابه ثمانين سنة وسببها ان دحية الكلبي رضي الله تعالى عنه أقبل من عند قيصر ملك الروم أي وكان صلى الله عليه وسلم وجهه اليه * كذا قيل ولعله من تصرف بعض الرواة وانه ارسله اليه بغير كتاب والا فارساله اليه بالكتاب كان بعد هذه السرية لانه كان بعد الحديبية ولما وصل رضي الله تعالى عنه اليه أجازه بمال وكساه فاقبل بذلك الي أن وصل ذلك المحل فلقيه الهنيد وابنه في ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق وسلبوه ما معه ولم يتركوا عليه الا ثوبا خلقا فسمع بذلك نفر من جذام من بني الضبيب أي ممن أسلم منهم فنفروا اليهم واستنقذوا لدحية رضي الله تعالى عنه ما أخذ منه وقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة في خمسمائة رجل ورد معه دحية وكان زيد رضي الله تعالى عنه يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه

دليل

والعراق وظهور الامن في الممالك الاسلامية حتى تظعن المرأة أن تسافر وحدها من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله والحيرة مدينة بقرب الكوفة وقد حقق الله ما أخبر به واخبر بان المدينة ستغزى فكان ذلك في وقعة الحرة واعلمهم بفتح خيبر على يد علي رضي الله عنه فكان ذلك كما تقدم واخبر بما يفتح الله على أمته من البلدان و بما يوسع الله عليهم من الدنيا ويؤتون من زهرتها وانهم يقتسمون كنوز كسرى وقيصر فكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه ومن بعده من الخلفاء واخبرهم بما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف وبان أمته ستفرق على ثلاث وسبعين فرقة والناجية منها واحدة وان الناجي من كان على ما أنا عليه واصحابي فكان ذلك كما اخبر واخبر بان أمته ستتبع سنن من قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قال حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يارسول الله اليهود والنصارى قال فمن أذن وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال سيكون لامته انماط وهي جمع نمط كسبب واسباب وهو البساط يعني ان امته يتوسعون في الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسطة الله لهم الرزق بعد ما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة وانهم يغدوا أحدهم في حلة ويروح في أخرى وتوضع بين يدى أحدهم صحفة وترفع اخرى وانهم يسترون حيطان بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال في آخر الحديث في رواية رواها الترمذي وانتم اليوم خير منكم يومئذ أي لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله و يتعب القلب والبدن كما يشاهده من ابتلي به وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم ان أمته اذا مشوا المطيطا اي مشوا بالتبختر وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله بأسهم بينهم والمراد به وقوع العداوة والقتال بينهم وسلط الله شرارهم على خيارهم واخبر أن الروم ذات قرون أي جماعات وملك قائم بديارهم الي آخر الدهر بخلاف فارس فان الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوته

دليل من بني عذرة فاقبل حتى هجم على القوم اى على الهنيد وابنه ومن كان معهم مع الصبح فقتلوا الهنيد وابنه ومن كان معهم واخذوا من النعم الف بعير ومن الشاء خمسة آلاف ومن السبي مائة من النساء والصبيان قال ولما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد رضي الله تعالى عنه ركبوا وجاؤا الي زيد وقال له رجل منهم انا قوم مسلمون فقال له زيد اقرأ ام الكتاب فقرأها ثم قدم منهم جماعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر وقال بعضهم يارسول الله لا تحرم علينا حلالا ولا تحل لنا حراما فقال كيف اصنع بالقتلى فقال اطلق لنا من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق فقالوا ابعث معنا رجلا الى زيد رضي الله تعالى عنه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عليا كرم الله وجهه يامر زيدا ان يخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم أى فقال علي يارسول الله ان زيدا لا يطيعني فقال خذ سيفي هذا فاخذ وتوجه فلقي علي كرم الله وجهه رجلا ارسله زيد رضي الله تعالى عنه مبشرا على ناقة من ابل القوم فردها على كرم الله وجهه على القوم واردفه خلفه واتى زيدا فابلغه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وعند ذلك قال له زيد ما علامة ذلك فقال هذا سيفه صلى الله عليه وسلم فعرف زيد السيف وصاح بالناس فاجتمعوا فقال من كان معه شيء فليرده فهذا سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد الناس كافة كل ما أخذوه انتهى اقول وهذا السياق يدل على ان جميع ما اخذ من النعم والشاء والسبي كان لمن أسلم من جذام من بني الضبيب وان بعض من قتل مع الهنيد وابنه كان مسلما وفي ذلك من البعد ما لا يخفى والله اعلم

﴿ سرية أمير المؤمنين ابي بكر الصديق رضي الله عنه لبني فزارة ﴾

كما في صحيح مسلم بوادي القرى عن مسلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله تعالى عنه الى فزارة وخرجت معه حتى اذا صلينا الصبح امرنا فشننا الغارة فوردنا الماء فقتل أبو بكر اى جيشه من قتل ورأيت طائفة منهم الذراري فخشيت ان يسبقوني الى الجبل فادركتهم ورميت بسهم بينهم و بين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة أى وهي أم قرفة عليها قشع من أدم اى فروة خلقة معها ابنتها من احسن العرب فجئت بهم اسوقهم الى ابي بكر فنفلني أبو بكر رضي الله تعالى عنه ابنتها فلما كشفت لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياسلمة هب لي المرأة لله أبوك أى أبوك لله حاصل حيث أنجب بك واتى بمثلك يقال ذلك في مقام المدح والتعجب اي وقد كان وصفها له صلى الله عليه وسلم جمالها فقلت هي لك يارسول الله فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ففدى بها اسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين وفي لفظ فدى بها اسيرا كان في قريش من المسلمين كذا ذكر الاصل ان أمير هذه السرية أي التي أصابت ام قرفة ابو بكر رضي الله تعالى عنه وانه الذي في مسلم وذكر الاصل قبل ذلك عن ابن اسحق وابن سعد ان امير هذه السرية اي التي اصابت ام قرفة زيد بن حارثة رضي الله عنهما وانه اتى

صلى الله عليه وسلم واخبر بذهاب الامثل فالامثل أي الاشرف فالاشرف من الناس وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله أي لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كساعة والساعة كالضرمة بالنار وهي حشيش يحترق سرعة والمراد ارتفاع البركة من الاعوام والايام واخبر بقبض العلم وظهور الفتن وروى الشيخان عن زينب ام المؤمنين رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال ويل للعرب من شر قد اقترب واخبر بانه زويت له الارض أي جمعت وضم بعضها الى بعض فاري مشارقها ومغاربها وانه سيبلغ ملك أمته ما زوي له منها فكان كذلك فامتدت مملكتهم في المشارق والمغارب ما بين أرض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجه وهي بلدة بساحل بحر المغرب وروى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة واخبر بملك بني امية وولاية معاوية رضي الله عنه ووصاه اذا تملك بالعدل والرفق وقال له اذا ملكت فاسجح اى ارفق قال معاوية رضي الله عنه فما زلت أطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم * وفي رواية انه قال له يا معاوية اذا ملكت فاحسن وروي الترمذي والبيهقي والحاكم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو أبي العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا أي يتداولونه واحدا بعد واحد والمراد أنهم يستأثرون بالمال ويمنعون الحقوق ويبذرون ويسرفون ويضيعون بيت مال المسلمين فكان كذلك وروى البيهقي والامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم اخبر بخروج ولد العباس بالرايات السود حتى ينزلوا بالشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وفي رواية تخرج الرايات

بني فزارة واصيب بها ناس من اصحابه وارتث زيد من بين القتلى اى احتمل جريحا وبه رمق ولما قدم زيد رضي الله تعالى عنه نذر ان لا يمس رأسه غسل من الجنابة حتى يغزو بني فزارة فلما عوفي ارسله صلى الله عليه وسلم اليهم فكمنوا النهار وساروا الليل حتى احاطوا بهم وكبروا واخذوا ام قرفة وكانت ام قرفة في شرف من قومها كان يعلق في بيتها خمسون سيفا كلهم لها محرم وكان لها اثنا عشر ولدا ومن ثم كانت العرب تضرب بها المثل في العزة فتقول لو كنت اعز من ام قرفة فامر زيد بن حارثة ان تقتل ام قرفة اي لانها كانت تسب النبي ﷺ وجاء انها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت لهم اغزوا المدينة واقتلوا محمدا لكن قال بعضهم انه خبر منكر () فربط برجليها حبلين ثم ربطا الى بعيرين وزجرهما أى وقيل الى فرسين فركضا فشقاها نصفين وقرفة ولدها هذا الذي تكنى به قتله النبي صلى الله عليه وسلم وبقية اولادها قتلوا مع اهل الردة في خلافة الصديق ولا خير فيها ولا في بنيها ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة ام قرفة وذكرله صلى الله عليه وسلم جمالها فقال صلى الله عليه وسلم لابن الاكوع ياسلمة ما جارية اصبتها قال يارسول الله جارية رجوت ان افدى بها امرأة منا في بني فزارة فاعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلام مرتين او ثلاثا فعرف سلمة انه صلى الله عليه وسلم يريدها فوهبها له فوهبها النبي صلى الله عليه وسلم لخاله حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بمكة كان أحد الاشراف وولدت له عبد الرحمن بن حزن وانما قيل لحزن خاله لان فاطمة ام أبي النبي ﷺ هي بنت عائذ كما تقدم وعائذ جد حزن لابيه وفي لفظ بنت عمرو بن عائذ وفي كلام السهيلي ان رواية الفداء لمن كان اسيرا بمكة اصح من رواية انه صلى الله عليه وسلم وهبها لخاله حزن وجمع الشمس الشامي بين الروايتين حيث قال يحتمل انهما سريتان اتفق لسلمة بن الاكوع فيهما ذلك أى أحداهما لابي بكر والاخرى لزيد بن حارثة ويؤيد ذلك ان في سرية أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بنت ام قرفة الى مكة ففدى بها اسرى كانوا في ايدى المشركين اي وفي سرية زيد وهبها لخاله حزن بمكة قال ولم أر من تعرض لتحرير ذلك انتهى اقول في هذا الجمع نظر لانه يقتضي ان أم قرفة تعددت وان كل واحدة كانت لها بنت جميلة وان سلمة بن الاكوع اسرهما وانه ﷺ اخذهما منه وفي ذلك بعد الا أن يقال لا تعدد لام قرفة وتسمية المرأة في سرية أبي بكر ام قرفة وهم من بعض الرواة ويدل عليه ان بعضهم اوردها ولم يسم المرأة ام قرفة بل قال فيهم امرأة من بني فزارة معها ابنة لها من أحسن العرب فنفلني أبو بكر بنتها فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق مرتين في يومين وقال يا سلمة هب لي المرأة فقلت هي لك فبعث بها الى مكة ففدى بها ناسا كانوا اسرى بمكة ثم لا يخفي ان ماذكره الاصل عن ابن اسحق وابن سعد من انه صلى الله عليه وسلم ارسل زيد بن حارثة الى وادي القرى أي عاريا لبني فزارة وانه لقيهم واصيب بها ناس من أصحابه وافلت زيد من بين القتلى جريحا الخ يخالفه ماذكره عن ابن سعد مما يقتضي ان زيد بن حارثة في هذه لم يكن غازيا بل كان تاجرا وانه لم يرسل لبني فزارة وانما اجتاز بهم فقاتلوه المذكور عن ابن سعد مانصه

قالوا

قالوا خرج زيد بن حارثة في تجارة الي الشام ومعه بضائع لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولما كان دون وادي القرى لقيه ناس من فزارة فضربوه وضربوا أصحابه أي فظنوا انهم قد قتلوا واخذوا ما كان معهم فقدموا المدينة ونذر زيد ان لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بني فزارة فلما خلص من جراحته بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية لهم وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل وخرج بهم دليل من بني فزارة وقد نذر بهم القوم فكانوا يجعلون له ناظرا حين يصبحون فينظر على جبل يشرف على وجه الطريق الذي يرون ان المسلمين يأتون منه فينظر قدر مسيرة يوم فيقول اسرحوا فلا بأس عليكم فاذا أمسوا أشرف ذلك الناظر على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول ناموا فلا بأس عليكم في هذه الليلة فلما كان زيد بن حارثة واصحابه على نحو مسيرة ليلة أخطأ بهم الدليل الفزاري طريقهم فاخذ بهم طريقا أخرى حتى امسوا وهم على خطأ وعاينوا الحاضر من بني فزارة فحمد زيد خطأهم فكمن لهم في الليل حتى اصبحوا فاحاطوا بهم ثم كبر زيد وكبر اصحابه الى آخر ما تقدم ولما قدم زيد بن حارثة المدينة جاء اليه صلى الله عليه وسلم وقرع عليه الباب فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانا يجر ثوبه واعتنقه وقبله وساله فاخبره بما ظفره الله تعالى به وحينئذ يشكل ما في الاصل تبعا للحافظ ابن سعد ان لزيد بن حارثة سريتين بوادي القري احداهما في رجب والاخري في رمضان فانه بظاهره يقتضي انه ارسل غازيا في المرتين لبني فزارة بوادي القرى وقد علمت ان كلام ابن سعد يدل على ان زيد بن حارثة في السرية الاولى انما كان تاجرا اجتاز بني فزارة بوادي القرى فقاتلوه هو واصحابه واخذوا ما معهم ثم رأيت الاصل تبع في شيخه الحافظ الدمياطي حيث قال سرية زيد بن حارثة الى وادي القري في رجب قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا رضي الله تعالى عنه اميرا ثم قال سرية زيد بن حارثة الى أم قرفة ناحية وادي القرى في رمضان وفيه ما علمت ثم لا يخفي ان في هذا اطلاق السرية على الطائفة التي خرجت للتجارة ولا يختص بالتي خرجت للقتال أو لتجسس الاخبار وقد تقدم

﴿ سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه الى دومة الجندل ﴾

بضم الدال المهملة وفتحها وانكره ابن دريد لبني كلب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن ابن عوف رضي الله تعالى عنه فاقعده بين يديه وعممه بيده قال أي بعد ان قال له تجهز فاني باعثك في سرية من يومك هذا أو من الغد ان شاء الله تعالي ثم أمره ان يسري من الليل الى دومة الجندل في سبعمائة وعسكروا خارج المدينة فلما كان وقت السحر جاء عبد الرحمن بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال احببت يارسول الله ان يكون آخر عهدي بك وكان عليه عمامة من كرابيس أي غليظة قد لفها على رأسه فنقضها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ثم عممه بعمامة سوداء وارخى بين كتفيه منها اربع اصابع أو نحوا من ذلك ثم قال هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن واعرف ثم امر صلى الله عليه وسلم بلالا ان يدفع اليه اللواء فدفعه اليه وقام صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم صلى على نفسه ثم قال

السود من خراسان لا يردها شيء حتى تنصب بايليا أي بيت المقدس وأخبر العباس بان الخلافة قد تكون في ولده فلكانوا يتوقعون ذلك وروي الحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال ان أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلا وتشريدا واخبر بقتل علي ابن ابي طالب رضي الله عنه كما رواه الامام احمد والطبراني وان أشقى هذه الامة الذي يخضب هذه يعني لحية علي رضي الله عنه من هذه يعني رأسه يشير الى انه يضرب على رأسه ضربة يسيل منها دمه حتى يبل لحيته وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم اخبر بقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو يقرأ في المصحف وكان كذلك وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما يعني عثمان رضي الله عنه وان الله عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه قال لعثمان رضي الله عنه فلا تخلعه وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيقطر من دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وتكلم في هذا الحديث بعضهم لكن قال المحب الطبري ان اكثرهم روى ان قطرة من دمه أو قطرات سقطت في المصحف على قوله تعالى فسيكفيكهم الله ونقل عن حذيفة رضي الله عنه قال أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال والذي نفسي بيده لا يموت احد وفي قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان الا تبع الدجال ان ادركه وان لم يدركه آمن به في قبره اخرجه الحافظ السلفي واخبر صلى الله عليه وسلم ان الفتن يعني بين اصحابه لا تظهر مادام عمر رضي الله عنه حيا واتي عمر رضي الله عنه وابا ذر رضي الله عنه فاخذ بيده وعصرها فقال دع يدي ياقفل الفتنة فقال له ماهذا يا ابا ذر قال جئت يوما ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت أن تتخطى الناس فجلست في أدبارهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصيبكم فتنة مادام هذا فيكم وروي الشيخان ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوما أيكم يحفظ

ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة التي تموج كموج البحر فقال حذيفة رضي الله عنه ليس عليك منها باس ياامير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا قال أيفتح أم يكسر قال يكسر قال اذن لا يغلق أبدا فقيل لحذيفة من الباب قال هو عمر قيل له أكان عمر يعلمه قال نعم كما يعلم ان دون غد الليلة انى حدثته حديثا ليس بالاغاليط وخطب خالد بن الوليد رضي الله عنه مرة بالشام فقال له رجل اصبر أيها الامير فان الفتن قد ظهرت (٢٠٦) فقال أما وابن الخطاب حي فلا انما ذاك بعده وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم أخبر بمحاربة الزبير لعلي وهو اى الزبير ظالم وكان صلى الله عليه وسلم رآهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلي رضي الله عنه اتحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن عمتي صفية وعلى ديني فقال للزبير اتحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن خالي وعلى ديني فقال أما انك ستقاتله وانت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له علي رضي الله عنه وقال له ناشدتك الله أسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله انك ستقاتلني وانت لي ظالم قال نعم ولكن نسيته منذ سمعته منه صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا اقاتلك فرجع يشق الصفوف راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال مالك قال ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتقاتلنه وانت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا لمقاتلته فقال قد حلف أن لا اقاتله قال اعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم

الاصل

ففعل فلما اختلف الامر ذهب فلما كان بوادي السباع خرج اليه ابن جرموز وهو نائم فقتله فقال علي رضي الله عنه اشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قاتل الزبير في النار وكان سبب هذا القتال أن قتلة عثمان رضي الله عنه بايعوا عليا لما بايعه الناس ولم يرض بما بعتهم لكنه خشي الفتنة لكثرتهم ولغلبهم وأراد تاليف الناس فاشتد غيظ الناس من مبايعتهم اياه وامتنع معاوية

خذه يا ابن عوف انتهى وقال اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله ولا تغل أي لا تخن في المغنم ولا تغدر أي لا تترك الوفاء ولا تقتل وليدا وفي رواية لا تغلوا ولا تغدروا ولا تنكثوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا اى صبيا فهذا عهد الله وسنة نبيكم ﷺ فيكم ثم قال صلى الله عليه وسلم له اذا استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن بن عوف حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة ايام يدعوهم الى الاسلام وهم يابون ويقولون لا نعطي الا السيف وفي اليوم الثالث اسلم رأسهم وملكهم الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا قال في النور لم أجد احدا ترجمه والظاهر انه ما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فهو تابعي واسلم معه ناس كثير من قومه واقر من اقام على كفره باعطاء الجزية أي وارسل رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمه بذلك وانه يريد ان يتزوج فيهم فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تزوج بنت الاصبغ أي فتزوجها رضي الله تعالى عنه وبنى بها عندهم وقدم بها المدينة وهي أم ولده سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وهي أول كلبية نكحها قرشي ولم تلد غير سلمة وطلقها عبد الرحمن في مرض موته ثلاثا ومتعها جارية سوداء ومات وهي في العدة وقيل بعد انقضاء العدة فورثها عثمان رضي الله تعالى عنه قال وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما انه قال سرت لاسمع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه فاذا فتى من الانصار اقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس فقال يارسول الله أي المؤمنين أفضل قال احسنهم خلقا ثم قال وأي المؤمنين أكيس قال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم له استعدادا قبل ان ينزل بهم اولئك الاكياس ثم سكت الفتى وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يامعشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلت بكم واعوذ بالله أن تدركوهن انه لن تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الاظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم الذين مضوا وما نقص المكيال والميزان في قوم الا اخذهم الله بالسنين ونقص من الثمرات وشدة المؤنة وجور السلطان لعلهم يذكرون وما منع قوم الزكاة الا أمسك الله عنهم قطر السماء ولولا البهائم لم يسقوا وما نقض قوم عهد الله ورسوله الا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فاخذ ما كان في أيديهم وما حكم قوم بغير كتاب الله الا جعل الله تعالى باسهم بينهم وفي رواية الا البسهم الله شيعا واذاق بعضهم باس بعض وفي الاصل ذكر ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث أباعبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه لدومة الجندل في سرية زاد في السيرة الشامية على ذلك قوله كما سياتي

﴿ سرية زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما الى مدين ﴾

قرية سيدنا شعيب صلوات الله وسلامه عليه وهي تجاه تبوك فاصاب سبيا وفرقوا في بيعهم بين الامهات والاولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال مالهم فقيل يارسول الله فرق بينهم اى بين الامهات والاولاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تبيعوهم الا جميعا قال في

الاصل وكان معه زيد رضى الله تعالى عنه في هذه السرية ضميرة مولى على بن أبي طالب كرم الله وجهه وكذا أخوه رضى الله تعالى عنه وأخ وهو تابع له في ذلك لابن هشام وورد بان مولى على هذا الذى هو ضميرة لم يذكر في كتب الصحابة وكذا أخوه

﴿سرية أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه الي بنى سعد بن بكر بفدك﴾

وهى قرية بينها وبين المدينة ست ليال أي وفي لفظ ثلاث مراحل وهى خراب الآن وفي الصحاح فدك قرية بخيبر وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه أن لبنى سعد جمعا يريدون ان يمدوا يهود خيبر وان يجعلوا لهم تمر خيبر أي مايوجد من غلتها فبعث عليهم عليا كرم الله وجهه فى مائة رجل فسار الليل وكمن النهار الى ان نزلوا محلا بين خيبر وفدك فوجدوا به رجلا فسالوه عن القوم أى فقال لاعلم لى فشدوا عليه فاقر أنه عين اى جاسوس لهم وقال اخبركم على ان تؤمنونى فامنوه فدلهم فاغاروا عليهم واخذوا خمسمائة بعير والفى شاة وهربت بنو سعد بالظعن وعزل على كرم الله وجهه صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوحا أى حلوبا ( ) قريبة عهد بنتاج تدعى الحفدة بفتح الحاء وكسر الفاء وفتح الدال المهملة لسرعة سيرها ومنه فى الدعاء اليك نسعي ونحفد ثم عزل الخمس وقسم الباقي على اصحابه اقول قوله يريدون ان يمدوا يهود خيبر يقتضى بظاهره ان ذلك كان عند محاصرة خيبر اوعند ارادة ذلك وفيه مالا يخفي لما تقدم والله اعلم

﴿سرية عبد الله بن رواحة رضى الله عنه الى أسير﴾

بضم الهمزة وفتح السين ويقال اسير بن رزام اليهودى بخيبر لما قتل الله ابارافع بن سلام بن أبى الحقيق عظيم يهود خيبر كما تقدم امروا عليهم اسير بن رزام قال ولما امروه عليهم قال لهم انى صانع بمحمد مالم يصنعه صحابى فقالوا له وماعسيت ان تصنع قال اسير فى غطفان فاجمعهم لحربه قالوا نعم مارأيت وكان ذلك قبل فتح خيبر انتهي فسار في غطفان وغيرهم بجمعهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فوجه اليه عبد الله بن رواحة في ثلاثة نفر سرا يسال عن خبر اسير وغرته فاخبر بذلك فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس لذلك فانتدب له ثلاثون رجلا وأمر عليهم عبد الله بن رواحة رضى الله تعالى عنه وقيل عبد الله بن عتيك فقدموا على اسير فقالوا نحن آمنون حتى نعرض عليك ماجئنا له قال نعم ولى منكم مثل ذلك فقالوا نعم فقلنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج اليه فيستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك أى واستشار يهود فى ذلك فاشاروا عليه بعدم الخروج وقالوا ما كان محمد ليستعمل رجلا من بنى اسرائيل قال بلى قد مل الحرب قال في النور هذا الكلام لا يناسب ان يقال قبل فتح خيبر فالذى يظهر انها بعد فتح خيبر واقول يجوز ان يكون المراد باستعماله على خيبر المصالحة وترك القتال ومن ثم اجاب بقوله انه صلي الله عليه وسلم قد مل الحرب والله أعلم فخرج وخرج معه ثلاثون رجلا من يهود مع

وجماعة من البيعة لعلي رضي الله عنه حتى يسلم قتلة عثمان وارادت عائشة رضى الله عنها ان تساوي الامر بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وتدفع الخوارج حتى يؤخذ منهم بدم عثمان رضى الله عنه فصارت في هودجها ومعها جماعة من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله الزبير رضى الله عنهما حتى اتت وامع على رضى الله عنه وارادوا الصلح بينه وبين معاوية فلم تم لامر ووقع القتال بينهم فلتة من غير قصد وكانوا كلهم مجتهدين رضي الله عنهم ثم تبين لعائشة رضي الله عنها ان الحق مع على رضى الله عنه في عدم تسليم قتلة عثمان رضي الله عنه لكثرتهم وانتشارهم وتشعب امرهم فكان يرى تاخير امرهم حتي تجتمع كلمة المسلمين ثم يتتبعون ويقتاد منهم فلما تبين لها ذلك اصلحت معه ورجعت الى المدينة في عز واكرام وكان النبي صلي الله عليه وسلم أشار الي هذا القتال واخبر به وذلك ان عائشة رضى الله عنها كانت مع نساء النبى صلى الله عليه وسلم يوما والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وهن يتحدثن فقال ايتكن تنبحها كلاب الحواب بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ماء أو موضع في طريق الذاهب من المدينة الي البصرة وفى حديث آخر اخبر انه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت فلما كانت وقعة الجمل ومرت عائشة رضي الله عنها بذلك المكان نبحتها كلاب فسالت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحواب فهمت بالرجوع فحلفوا لها انه ليس الحواب ثم تبين لها الامر فعادت بعد الصلح كما تقدم وروى الحاكم والبيهقي عن أم سلمة رضى الله عنها قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج بعض امهات المؤمنين فضحكت عائشة رضى الله عنها أى تعجبا من خروج المرأة على الخليفة فقال انظري ياحميراء أن لا تكوني أنت ثم التفت الى علي رضى الله عنه فقال ان وليت من امرها شيئا فارفق بها وقد امتثل الامر رضي الله عنه فانه ارسلها الى المدينة ومعها أخوها محمد وشيعها علي رضي الله عنه

بنفسه أميالا وشرح سيه معها يوما ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ان عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية وكان هو مع علي بصفين وكان كل من علي ومعاوية رضي الله عنهما مجتهدا لكن عليا رضي الله عنه هو المصيب في تأخير أمر قتلة عثمان ومعاوية رضي الله عنه هو المخطئ في طلب التعجيل بأخذ ثاره قبل استقرار أمر المسلمين واجتماع كلمتهم لكن حيث كان ذلك ناشئا عن اجتهاد فلا لوم عليه

للحديث المشهور ان المجتهد اذا أصاب له أجران واذا أخطأ له أجر واحد فلا يجوز تنقيص واحد منهما رضي الله عنهما هذا مذهب اهل السنة والجماعة وما عداه زيغ وضلال نسأل الله الحفظ منه ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب قوله لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ويل للناس منك وويل لك من الناس وويل هنا للتحسر والتأسف لا للدعاء بالاهلاك وسبب قوله ذلك أنه صلى الله عليه وسلم احتجم واعطى دمه لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ليدفنه وكان صغيرا فتوارى وشربه ولما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال له أما انك ان تمسك النار وقال له أيضا ويل للناس منك وويل لك من الناس حتى كان ما كان من أمره وأمر عبد الملك بن مروان الى ان وجه اليه الحجاج فقاتله ثم قتله وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنه يكر على الصفوف فيهزمها وكان الناس يرون أن ماعنده من القوة والشجاعة انما كان من ذلك الدم ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب قوله في حق قزمان انه من اهل النار وذلك ان قزمان قاتل في بعض الغزوات أي غزوة خيبر وقيل حنين قتالا شديدا حتى اعجب اصحابه رضي الله عنهم وكان شجاعا وهو مولى لبعض الانصار فلما رأى الصحابة اقدامه وشجاعته أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بخبره فقال انه من اهل النار ثم لم يزل يقاتل حتى أثخن بالجراحة فجعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل انه أخرج من كنانته

كل رجل منهم رديف من المسلمين قال عبد الله بن أنيس كنت رديفا لاسير وكان أسيرا ندم على خروجه معنا فاهوى بيده الى سيفي ففطنت نفتح الطاءله وقلت اغدرا عدو الله اغدرا عدو الله فضربته بالسيف فطحت عامة فخذه فسقط وكان بيده مخرش من شوحط فضربني به على رأسي فشجني مأمومة وملنا على اصحابه فقتلناهم الا رجلا واحدا أعجزنا جريا ثم أقبلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثناه الحديث فقال صلى الله عليه وسلم قد نجاكم الله من القوم الظالمين ونفث في شجتي فلم تقح علي ولم تؤذني قال وفي رواية زيادة على ذلك وهي وقطع لي قطعة من عصاه فقال امسك هذه معك علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها فانك تأتي يوم القيامة متخصرا فلما دفن عبد الله بن أنيس جعلت معه على جلده دون ثيابه انتهى أقول تقدم نظير ذلك لعبد الله بن انيس هذا لما أرسله صلى الله عليه وسلم لقتل سفيان بن خالد الهذلي وجاء برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان هذا وهم من بعض الرواة ويحتمل تعدد الواقعة أي أعطاه صلى الله عليه وسلم عصاه أولا في تلك وأعطاه أخرى ثانيا في هذه وجعل العصاتين بين جلده وكفنه ولا مانع منه لكن ربما تتشوف النفس للسؤال عن حكمة تكرير ذلك لعبد الله بن أنيس وتخصيصه بهذه المنقبة دون بقية الصحابة والله اعلم

﴿سرية عمرو بن أمية الضمري وسلمة بن اسلم بن حريس رضي الله عنهما﴾

بالحاء المهملة وكسر الراء وسين مهملة وكل ما في الانصار حوس بالسين المهملة الا الحريش فانه بالشين المعجمة وقيل بدله جبار بن صخر الى ابي سفيان بن حرب بمكة ليغتالاه وسببها ان أبا سفيان رضي الله عنه قال لنفر من قريش لا احد يغتال محمدا فانه يمشي في الاسواق وحده فاتاه رجل من الاعراب وقال يعني نفسه قد وجدت اجمع الرجال قلبا واشدهم بطشا واسرعهم عدوا فان انت قويتني خرجت اليه حتى اغتاله فان معي خنجرا بفتح الخاء المعجمة كجناح النسر واني عارف بالطريق فقال له انت صاحبنا فاعطاه بعيرا ونفقة وقال له أطو أمرك وخرج ليلا الى ان قدم المدينة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل عليه وكان صلى الله عليه وسلم في مسجد بني عبد الاشهل فعقل راحلته واقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال ان هذا يريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد فجاء ليجني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه بداخله أزاره أي بحاشيته من داخل فاذا بالخنجر فاخذ أسيد بخنقه خنقا شديدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اصدقني قال وأنا آمن قال نعم فاخبره فخلى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم أي وقال يا رسول الله ما كنت أخاف الرجال فلما رأيتك ذهب عقلي وضعفت نفسي ثم اطلعت على ما هممت به و لمت انك على الحق فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري ومن تقدم معه الى ابي سفيان بمكة أي وذلك بعد قتل خبيب بن عدي

رضي الله تعالى عنه وصلبه على الخشبة ومضى عمرو ابن أمية رضي الله تعالى عنه يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن ابي سفيان رضي الله تعالى عنهما فعرفه فاخبر قريشا بمكانه فخافوه لانه كان فاتكا في الجاهلية وقالوا لم يات عمرو بخير واشتدوا في طلبه قال وفي رواية لما قدم مكة حبس جمالها ببعض الشعاب ثم دخلا ليلا فقال له صاحبه ياعمرو لو طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ثم طلبنا ابا سفيان فقال له عمرو اني اعرف بمكة من الفرس الابلق أي وان القوم اذا تعشوا اجلسوا على أفنيتهم فقال كلا ان شاء الله قال عمرو فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا لطلب ابي سفيان فلقينا رجلا من قريش فعرفني وقال عمرو بن امية فاخبر قريشا بي فهربت انا وصاحبي انتهى اي وصعدنا الجبل وخرجوا في طلبنا فدخلنا كهفا في الجبل ولقي عمرو رجل من قريش فقتله أي قتل ذلك الرجل عمرو ولما اصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا ونحن في الغار فقلت لصاحبي ان رآنا صاح بنا فخرجت اليه ومعي خنجر اعددته لابي سفيان فضربته على يده فصاح صيحة اسمع اهل مكة فجاء الناس يشتدون فوجدوه باخر رمق فقالوا له من ضربك قال عمرو بن أمية وغلبه الموت فاحتملوه فقلت لصاحبي لما امسينا النجاة فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس الذين يحرسون خشبة خبيب بن عدي رضي الله تعالى عنه فقال أحدهم لولا ان عمرو ابن امية بالمدينة فقلت انه هذا الماشي فلما حاذيت الخشبة شددت عليها فحملتها واشتددت انا وصاحبي فخرجوا وراءنا فالقيت الخشبة فغيبه الله عنهم كذا في السيرة الهشامية وتقدم انه صلى الله عليه وسلم ارسل الزبير والمقداد لانزاله وان الزبير انزله فابتلعته الارض وتقدم عن ابن الجوزي مثل ما هنا من ان الذي انزله عمرو ابن امية رضي الله تعالى عنه فيحتاج الى الجمع على تقدير صحة الروايتين ويقال ان عمرا قتل رجلا آخر سمعه يقول

ولست بمسلم ما دمت حيا * ولست ادين دين المسلمينا

ولقي رجلين بعثتهما قريش بالمدينة يتجسسان لهم الخبر فقتل احدهما واسر الاخر ثم قدم رضي الله تعالى عنه المدينة وجعل يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك

﴿ سرية سعيد بن زيد رضي الله تعالى عنه ﴾

وقيل كرز بن جابر رضي الله تعالى عنه وعليه الاكثرون ومن ثم اقتصر عليه الحافظ الدمياطي اي وقيل جرير بن عبد الله البجلي ورد بان اسلام جرير بن عبد الله المذكور كان بعد هذه السرية بنحو اربع سنين الى العرنيين وسببها انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر اي ثمانية من عرينة وقيل اربعة من عرينة وثلاثة من عكل والثامن من غيرهما مسلمين نطقوا بالشهادتين كانوا مجهودين قد كادوا يهلكون اي لشدة هزالهم وصفرة الوانهم وعظم بطونهم وقالوا يارسول الله آونا واطعمنا فانزلهم صلى الله عليه وسلم عنده اي بالصفة ثم قال لهم اي بعد ان ذكروا له صلى الله عليه وسلم ان المدينة وبيئة وخمة وانهم أهل ضرع ولم يكونوا أهل ريف لو خرجتم الى ذود لنا اي لقاح وكانت خمسة

سهماً فنحر به نفسه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم به فقال ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وأمر منادياً ان ينادي في الناس أنه لا يدخل الجنة الا مؤمن وقوله صلى الله عليه وسلم فيه انه من اهل النار اما لكونه منافقاً وانه ارتد قبل موته لما كثرت عليه الجراحة او انه استحل قتل نفسه فلا ينافي ان قتل الشخص نفسه لا يقتضي كفره وروى الطبراني والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال في الحق جماعة من الصحابة كانوا عنده فيهم ابو هريرة وحذيفة بن اليمان وسمرة بن جندب آخركم موتاً في النار فكان بعضهم يسال عن البعض فكان سمرة آخرهم موتا كبر سنه فاصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفأ منه فاوقدت له نار ليصطلي بها فاحترق فيها لغفلة اهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم صحة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم وابهم لهم النار حيث لم يبين لهم انها نار الدنيا ليجدوا في أعمالهم ويداموا على الخوف والمراقبة أو انه لم يؤذن له في ذلك وذلك من الحكم الخفية قال ابن حكيم الضبي كنت اذا لقيت اباهريرة رضي الله عنه سالني عن سمرة فاذا أخبرته بصحته فرح فسالته عن ذلك فقال كنا عشرة في بيت فقال صلى الله عليه وسلم آخركم موتا في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله * وفي رواية للبيهقي كان اذا أراد احد ان يغيظ ابا هريرة قال مات سمرة فيضعف ويغشى عليه ثم مات ابو هريرة قبل سمرة رضي الله عنهما وروى ابن اسحق عن عاصم بن عمر ابن قتادة انه صلى الله عليه وسلم قال في حنظلة بن ابي عامر الانصاري الغسيل الذي استشهد يوم احد اني رأيت الملائكة تغسله فسلوا امرأته عنه فسألوها فقالت انه خرج جنبا اعجله الحال عن الغسل وكان عروسا بنى بجميلة بنت عبد الله بن ابي ابن سلول المنافق وكانت امرأة صالحة قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ووجدنا رأسه تقطر ماء اي وذلك من اثر تغسيل الملائكة ومن اخباره صلى

الله عليه وسلم بالغيب مارواه الامام احمد والترمذي بل واصحاب الكتب الستة من قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكا عضوضا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما أقاموا الدين اي فاذا غيروا غيرهم الله وقد وقع كما قاله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال يكون في ثقيف كذاب ومبير اي مهلك

يكثر القتل قال العلماء ان المراد بهما الحجاج والمختار بن ابي عبيد قال النووي اجمع العلماء على ان المبير هو الحجاج والكذاب هو المختار بن ابي عبيد الثقفي كان يزعم ان جبريل عليه السلام يأتيه وكان يتكهن ويزعم انه يوحى اليه وكان له كرسي يضاهي به تابوت بني اسرائيل فهو ضال مضل وكان في اول امره يظهر الصلاح والتنسك ويزعم انه ياخذ بثار الحسين حتى استحوذ على الكوفة وقتل خلقا كثيرا واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب ابن الزبير واما الحجاج فامره اشهر من ان يذكر ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات مارواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما ان مسيلمة الكذاب يعقره الله * وفي رواية يقتله وكان ادعى النبوة في اخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم وجهز اليه الصديق رضي الله عنه جيشا وامر عليه خالد بن الوليد فقاتلوا مسيلمة وقومه حتى قتله الله وكان قتله على يد وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وشاركه فيه ناس ففي التعبير عن قتله بالعقر اشارة الى هذا انه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات مارواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنته صلى الله عليه وسلم اول اهله لحوقا به اي اول أهل بيته لحوقا به فماتت بعده بستة اشهر ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات انه انذر اصحابه بمن يرتد بعده من العرب وبما يكون من قتالهم فوقع ذلك في خلافة ابي بكر رضي

عشر فشربوا من البانها وابوالها اي لان في ابن اللقاح جلاء وتليينا وادرارا وتفتيحا للسدد فان الاستسقاء وعظم البطن انما ينشأ عن سدد وآفة في الكبد ومن اعظم منافع الكبد ابن اللقاح لا سيما ان استعمل بحرارته التي يخرج بها من الضرع مع بول الفصيل مع حرارته التي يخرج بها ففعلوا ثم لما اصبحت اجسامهم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعيها وهو يسار مولى النبي ﷺ ومثلوا به أي قطعوا ايديه ورجليه وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات واستاقوا اللقاح وفي لفظ انهم ركبوا بعضها واستاقوها فادركهم يسار ومعه نفر فقاتلهم فقطعوا يده ورجله الحديث وبلغه ﷺ الخبر فبعث صلى الله عليه وسلم في اثارهم عشرين فارسا واستعمل عليهم من تقدم وارسل معهم من يقص اثارهم فادركوهم فاحاطوا بهم فاسروهم ودخلوا بهم المدينة فامر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقطعت ايديهم وارجلهم وسملت اعينهم أي غورت بمسامير محماة بالنار والقوا بالحرة اي وهي ارض ذات حجارة سود كانها احرقت بالنار يستقون فلا يسقون قال انس رضي الله تعالى عنه ولقد رايت احدهم يكدم الارض بفيه من العطش ليجد بردها لما يجده من شدة العطش حتى ماتوا على حالهم وانزل الله فيهم انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الاية ولم يقع بعد ذلك انه صلى الله عليه وسلم سمل عينا وفي لفظ انهم لما اسروا ربطوهم واردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة فخرجوا بهم نحوه فلقوه بمجمع السيول فامر بهم فقطعت ايديهم وارجلهم وسملت اعينهم وصلبوا هنالك وانه صلى الله عليه وسلم فقد من اللقاح لقحة تدعى الحفاء فسال عنها فقيل نحروها كذا في سيرة الحافظ الدمياطي وقدم فيها هذه السرية على سرية عمرو بن أمية الضمري رضي الله تعالى عنه

﴿ سرية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى طائفة من هوازن ﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في ثلاثين رجلا الى عجز بفتح العين المهملة وبضم الجيم وبالزاي محل بينه وبين مكة اربع ليال بطريق صنعاء يقال له تربة بضم المثناة فوق وفتح الراء ثم موحدة مفتوحة ثم تاء تانيث وأرسل معه صلى الله عليه وسلم دليلا من بني هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار فاتى الخبر لهوازن فهربوا فجاء عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه محالهم فلم يجد منهم احدا فانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بمحل بينه وبين المدينة ستة اميال قال له الدليل هل لك في جمع آخر من خثعم فقال عمر رضي الله تعالى عنه لم يامرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم انما امرني بقتال هوازن

﴿ سرية ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه الى بني كلاب ﴾

عن سلمة بن الاكوع رضي الله تعالى عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر وأمره علينا فسبى ناسا من المشركين فقتلناهم فقتلت بيدي سبعة اهل ابيات من المشركين وما زاده الاصل على

الله عنه فارتد بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم كثير من العرب الا اهل الحرمين واهل البحرين فكفى الله امر المرتدين بابي بكر رضي الله عنه بعد ان قاسى منهم امورا شديدة فما توفي رضي الله عنه حتى رجعت العرب الى الاسلام ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه البزار عن ابي عبيدة رضي الله عنه والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه من قول صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر اي دين الاسلام بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا

ثم يكون عتوا وجبرية من الجبر وهو الاكراه والقهر وفسادا في الامة فكان الامر كما اخبر ومما اخبر به من المغيبات ما رواه مسلم وغيره من التنويه بشأن اويس القرني رضي الله عنه وكان قد اشتغل ببر امه عن الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم والا فقد ادرك زمن النبوة وهو خير التابعين بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم الله وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتيكم اويس بن عامر مع امداد من اهل اليمن من مراد من قرن كان به بياض اي برص فبرأ منه الا موضع درهم اي لانه دعا الله تعالى ان يزيله الا لمعة يتذكر بها نعمته تعالى عليه فمن ادركه منكم فاستطاع ان يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله عليه وسلم لهم بانه اشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به مجهول في اهل الارض معروف في السماء لو اقسم على الله لابره تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء الا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف واشفع فيشفعه الله في ربيعة ومضر يا عمر ويا علي اذا انتما لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما فمكثا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التي توفي فيها عمر رضي الله عنه قام على ابي قبيس فنادي يا اهل اليمن هل فيكم اويس فقام شيخ وقال لا ندري ما اويس ولكن ابن اخ لي

هذا من قوله ان سلمة بن الاكوع قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله تعالى عنه الى فزارة الخ سبب فيه للوهم لان ذلك كان في سريته لبني فزارة بوادي القرى وقد تقدمت فهما قصيتان مختلفتان جمع بينهما اي وهذا الذي في الاصل تبع فيه شيخه الحافظ الدمياطي وفيه ما علمت

{ سرية بشير بن سعد الانصاري رضي الله تعالى عنه الى بني مرة بفدك }

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد في ثلاثين رجلا الى بني مرة بفدك وتقدم انها قرية بينها وبين المدينة ستة اميال فخرج فلقي رعاء الشاء فسأل عن الناس فقيل في بواديهم فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة فخرج الصريخ اليهم فادركه منهم العدد الكثير عند الليل فباتوا يترامون بالنبل حتى فني نبل اصحاب بشير اي فلما اصبحوا حملوا على بشير واصحابه فقتلوا منهم من قتلوا وولى من ولى منهم وقاتل بشير قتالا شديدا حتى ارتث اي جرح وصار ما به رمق وضربت كعبه اختبارا لحياته فلم يتحرك وقيل مات فرجعوا بنعمهم وشياههم وجاء اليه صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم جاء بشير رضي الله تعالى عنه الى المدينة بعد ذلك اي فانه استمر بين القتلى الى الليل فلما امسى تحامل حتى انتهى الى فدك فاقام بفدك عند يهودي اياما حتى قوي على المشي وجاء الى المدينة * اقول وهذا يدل على ان بني مرة الذين توجه اليهم بشير لم يكونوا بفدك بل بالقرب منها فيكون قوله اولا لبني مرة بفدك فيه تسمح وان بشيرا حصلت له هذه الحالة مرتين فليتامل

{ سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه الى بني عوال وبني عبد بن ثعلبة بالميفعة اسم محل وراء بطن نخل }

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه في مائة وثلاثين رجلا لبني عوال وبني عبد بن ثعلبة بالميفعة ودليلهم يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجموا عليهم جميعا ووقعوا في وسط محالهم فقتلوا جماعة من اشرافهم واستاقوا نعما وشاء ولم يأسروا احدا وفي هذه السرية قتل اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما الرجل الذي قال لا اله الا الله وهو مرداس بن نهيك وفي سيرة الحافظ الدمياطي نهيك بن مرداس والاول هو الذي في الكشاف وقال له النبي صلى الله عليه وسلم هلا شققت عن قلبه فتعلم اصادق هو ام كاذب فعن اسامة رضي الله تعالى عنه بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف الانصاري وطعنته برمحي حتى قتلته ولما قدمنا على رسول الله ﷺ قال يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت انما قالها متعوذا فما زال يكررها حتى تمنيت اني لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم اي تمنيت ان اكون اسلمت اليوم فيكفر عني ما صنعت قال كذا وقع في الاصل ان قتل اسامة للرجل الذي قال لا اله الا الله كان في هذه السرية وقد تبع في ذلك ابن سعد وانما كان ذلك في سرية اسامة بن زيد للحرقة بضم الحاء المهملة وفتح الراء وبالقاف ثم تاء تانيث بطن من جهينة وسيأتي

الحمل ذكرا واهون من أن نرفعه اليك وهو المنا برعاها فعمي عليه عمر رضي الله عنه كأنه لا يريده ثم قال ابن هو فقال بارك عرفات فركب عمر وعلى رضي الله عنهما اليه فاذا هو قائم يصلى فسلما عليه وقالا من الرجل قال راعي ابل اجير فقالا لسنا نسالك عن ذلك ما اسمك فقال عبد الله فقال كلنا عبيد الله ما اسمك الذي سمتك به امك قال ما تريدان مني فاخبراه بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وسالاه ان يكشف لهما عن البياض الذي تحت منكبه الايسر لتتحقق العلامة فكشف لهما وتحقق

عن اسامة بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فصبحناها فكان رجل يدعى مرداس بن نهيك اذا اقبل القوم كان من أشدهم علينا واذا ادبروا كان من حاميتهم فهزمناهم فتبعته انا ورجل من الانصار فرفعت عليه السيف فقال لا اله الا الله وزاد في رواية محمد رسول الله فكف الانصاري فطعنته برمحي حتى قتلته ثم وجدت في نفسي من ذلك موجدة شديدة حتى ما اقدر على اكل الطعام حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلني واعتنقني قال بعضهم وكان صلى الله عليه وسلم اذا بعث اسامة بن زيد يسال عنه اصحابه و يحب ان يثني عليه خيرا فلما رجعوا لم يسالهم عنه فجعل القوم يحدثون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون يارسول الله لو رايت ما فعل اسامة ولقيه رجل فقال الرجل لا اله الا الله وشد عليه اسامة فقتله وهو صلى الله عليه وسلم يعرض عنهم فلما اكثروا عليه صلى الله عليه وسلم رفع راسه الشريف لاسامة وقال يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة فقال اسامة رضي الله تعالى عنه انما قالها خوفا من السلاح وفي رواية انما كان متعوذا من القتل قال اسامة رضي الله تعالى عنه ولا زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرر على حتى تمنيت اني لم اسلم الا يومئذ انتهى والذي في الكشاف في تفسير قوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا انه ان مرداس بن نهيك رجل من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عليها غالب بن فضالة الليثي رضي الله تعالى عنه فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرا الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال فكيف بلا اله الا الله فما زال يكررها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وسياتي نحو ذلك في سرية غالب بن عبد الله الليثي الى مصاب بشير بن سعد و بعد تعدد هذه الواقعة سيما في مواطن ثلاثة اوار بعة وكون يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دليلا في هذه السرية يقتضي انها متقدمة على سرية العرنيين فقد تقدم انهم قتلوه ثم رايته في النور قال ولعل هذا غير ذاك لكن لم اره ذكر في الموال الان يكون احد موالي أقاربه عليه الصلاة والسلام فنسب اليه ومن ثم لم يشهد اسامة رضي الله تعالى عنه مع على كرم الله وجهه قتالا وقال له لو ادخلت يدك في فم تنين لادخلت يدي معها ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتلت ذلك الرجل الذي شهد أن لا اله الا الله وقلت له اعطى الله عهدا ان لا اقتل رجلا يقول لا اله الا الله والله اعلم

﴿ سرية بشير بن سعد الانصاري رضي الله تعالى عنه الى يمن ﴾

بفتح الياء آخر الحروف وقيل بضمها ويقال أمن بالهمزة مفتوحة وسكون الميم وجبار بفتح الجيم واد

عنـدهما الوصف كما اخبر صلى الله عليه وسلم وسالاه الدعاء كما امرهما ثم صلى الله عليه وسلم سالهما من هما فعرفاه بانفسهم وقام لهما وعظمهما وسلم عليهما وقال لهما جزاكما الله خيرا عن امة محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لهما كما امرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضي الله عنه مكانك حتى يرحمك الله آتيك بنفقة من عطائي وكسوة من ثيابي فقال لا ميعاد لي ولا تراني بعد اليوم وما اصنع بالنفقة والكسوة ثم اقبل على العبادة وجاء في حديث صحيح ان خير التابعين رجل يقال له اويس القرني وقال الامام احمد ان سعيد بن المسيب افضل التابعين قال القرافي لعل الامام احمد لم يقف على هذا الحديث اولم يصح عنده وقال النووي افضلية اويس شدة زهده وخشيته لله وافضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه فلا منافاة وقيل افضلهم الحسن البصري وقيل حفصة بنت سيرين قريب قال بعضهم ولا شك ان الافضلية على الاطلاق لاويس وبالعلم النافع لسعيد بن المسيب والله اعلم ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ورواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه من اخباره بانه سيكون امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تامرني قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها فصل معهم فانها لك نافلة وقد وقع ذلك كما اخبر به صلى الله عليه وسلم ومما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم

قريب من خيبر لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من غطفان قد واعدهم عيينة بن حصن اي قبل ان يسلم رضي الله تعالى عنه ليكون معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد فعقد له لواء وبعث معه ثلثمائة رجل فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتوا المحل المذكور فاصابوا نعما كثيرا وتفرق الرعاء بكسر الراء والمد وذهبوا الى القوم واخبروهم فتفرقوا ولحقوا بعليا بلادهم وعليا بضم العين وسكون اللام مقصورا نقيض السفلى فلم يظفر باحد منهم الا برجلين اسروهما فرجع بالنعم والرجلين الى المدينة فاسلم الرجلان فارسلهما صلى الله عليه وسلم قال والرجلان من جمع عيينة فان المسلمين لما لقوا جمع عيينة انهزموا امامهم وتبعوهم اخذوا منهم ذينك الرجلين انتهى اي وعيينة بن حصن كان يقال له الاحمق المطاع لانه كان يتبعه عشرة آلاف قناة وقيل له عيينة قال في الاصل لان عينيه جحظتا اي عظمت وكبرت فلقب بذلك رضي الله تعالى عنه

﴿ سرية ابن ابي العوجاء السلمي رضي الله تعالى عنه الى بني سليم ﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ابي العوجاء رضي الله تعالى عنه السلمي في خمسين رجلا الى بني سليم وكان لهم جاسوس مع القوم فخرج اليهم وسبق القوم وحذرهم فجمعوا لهم جمعا كثيرا فجاؤهم وهم معدون لهم فدعوهم الى الاسلام فقالوا لا حاجة لنا بما تدعونا اليه فتراموا بالنبل ساعة وجعلت الامداد تاتيهم واحدقوا بالمسلمين من كل ناحية فقاتل المسلمون قتالا شديدا حتى قتل عامتهم واصيب ابن ابي العوجاء جريحا مع القتلى ثم تحامل حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه الى بني الملوح ﴾

بضم الميم وفتح اللام وتشديد الواو مكسورة ثم حاء مهملة بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي في بضعة عشر رجلا قال ومانقل عن الواقدي انهم كانوا مائة وثلاثين رجلا وذلك في سرية لغالب غير هذه انتهى * اقول وهي المتقدمة التي توجهت لبني عوال وبني عبد بن ثعلبة بالميفعة والله اعلم وامره صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله واصحابه ان يشنوا الغارة على القوم فخرجوا حتى اذا كانوا بقديد لحقوا الحرث الليثي فاسروه فقال انما خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اريد الاسلام فقالوا ان كنت مسلما لم يضرك ربطنا لك يوما وليلة وان كنت غير ذلك استوثقنا منك فشدوه وثاقا وخلفوا عنده سويد بن صخر وفي لفظ خلفوا عليه رجلا اسود منهم وقالوا له ان نازعك فاحتز رأسه وساروا حتى اتوا محل القوم عند غروب الشمس وكمنوا في ناحية الوادي قال جندب الجهني وارسلني القوم جاسوسا لهم فخرجت حتى اتيت تلا مشرفا على الحاضر اي القوم المقيمين بمحلهم فلما استويت على رأسه انبطحت عليه لانظر اذ خرج رجل منهم فقال لامرأته اني لانظر على هذا الجبل سوادا ما رأيته قبل انظري الى اوعيتك لا تكون الكلاب جرت منها شيئا فنظرت فقالت والله ما فقدت من اوعيتي شيئا فقال ناوليني قوسي ونبلي فناولته قوسه وسهمين

من المغيبات مارواه البزار والطبراني بسند صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يكثر فيكم العجم يأكلون افياءكم ويضربون رقابكم وقد وقع ذلك كما اخبر صلى الله عليه وسلم وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال خير امتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن يعني عظم البدن لكثرة اكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم في (٢١٣) عواقب الامور وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال هلاك امتي على يد اغيلمة من قريش قال ابو هريرة رضي الله عنه راوي الحديث لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان واراد يزيد وبعض بني مروان ولم يسمهم خوف الفتنة وكان ابو هريرة رضي الله عنه يقول اعوذ بالله من رأس الستين وامارة الصبيان فتوفي قبل ذلك وكانت ولاية يزيد عام الستين فعلموا بذلك انه هو الذي اراده ابو هريرة رضي الله عنه ولكن ذلك باعلام من النبي صلى الله عليه وسلم واخبر صلى الله عليه وسلم بظهور القدرية في حديث رواه الترمذي وابو داود والحاكم واخبر انهم مجوس هذه الامة وكذا اخبر بظهور الرافضة في احاديث رواها البيهقي من طرق متعددة منها قوله صلى الله عليه وسلم يكون في امتي قوم يسمون الرافضة فارفضوهم وفي رواية فاقتلوهم فانهم مشركون واخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البغوي وغيره بانها لا تذهب هذه الامة حتى يلعن آخرها اولها وقد وقع ذلك من كثير من اهل البدع يتناولون كثيرا من الصحابة واهل البيت وكثير من السفهاء يتعاطون سب كثير من الاولياء كسيدي محي الدين بن العربي وسيدي عمر بن الفارض رضي الله عنهما فنعوذ بالله من امثال ذلك فانه موجبات سوء الخاتمة ونسأل الله ان ينفعنا ببركاتهم وان يحشرنا في زمرتهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الانصار يقولون حق

فارسل سهما فوالله ما اخطا بين عيني فانتزعته وثبت مكاني فارسل آخر فوضعه في منكبي فانتزعته وثبت مكاني فقال لامرأته والله لو كان جاسوسا لتحرك لقد خالطه سهمان لا ابالك اي بكسر الكاف اي لا كافل لك غير نفسك وهو بهذا المعنى يذكر في معرض المدح وربما يذكر في معرض الذم وفي معرض التعجب لا بهذا المعنى فاذا اصبحت فابطر بهما لا تمضغهما الكلاب ثم دخل فلما اطمانوا وناموا شنينا عليهم الغارة واستقنا النعم والشاء بعدان قتلنا المقاتلة وسبينا الذرية اي ومرا على الحرث الليثي فاحتملوه واحتملوا صاحبهم الذي تركوه عنده فخرج صريخ القوم في قومهم فجاء مالا قبل لنا به فصار بيننا وبينهم الوادي فارسل الله سحابا فامطر الوادي ما راينا مثله فسال الوادي بحيث لا يستطيع احد ان يجوزه فصاروا وقوفا ينظرون الينا ونحن متوجهون الى ان قدمنا المدينة اي وفي لفظ آخر فقلنا القوم ينظرون الينا اذ جاء الله بالوادي من حيث شاء يملا جنبيه ماء والله ما راينا يومئذ سحابا ولا مطر فجاء بما لا يستطيع احد ان يجوزه فوقفوا ينظرون الينا وقد وقع نظير ذلك اي سيل الوادي لقطبة بن عامر حين توجه الى بني خثعم بناحية تبالة كما سياتي

﴿ سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله تعالى عنه الى مصاب اصحاب بشير بن سعد رضي الله تعالى عنه ﴾

أي في بني مرة بفدك لما قدم غالب من الكديد مؤيدا منصورا بعثه صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل الى حيث اصيب اصحاب بشير بن سعد وذلك في بني مرة بفدك وكان قبل قدوم غالب هيا صلى الله عليه وسلم الزبير لذلك وعقد له لواء فلما قدم غالب رضي الله تعالى عنه قال صلى الله عليه وسلم للزبير اجلس فسار غالب رضي الله تعالى عنه الى ان اصبح القوم فاغاروا عليهم وكان غالب رضي الله تعالى عنه قد اوصاهم بعدم مخالفتهم له وآخى بين القوم وساقوا نعما وقتلوا منهم قال لما دنا غالب منهم ليلا قام فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال أما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله تعالى وحده لا شريك له وان تطيعوني ولا تخالفوا الى امرا فانه لا رأى لمن لا يطاع وفي رواية لا تعصوني فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يطع اميري فقد اطاعني ومن عصاه فقد عصاني وانكم متى ما تعصوني فانكم تعصون نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الف رضي الله تعالى عنه بين القوم فقال يا فلان انت وفلان ويا فلان انت وفلان لا يفارق رجل منكم زميله فاياكم ان يرجع الرجل منكم واقول له اين صاحبك فيقول لا ادري فاذا كبرت فكبروا فلما احاطوا بالقوم كبر غالب رضي الله تعالى عنه وكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعار المسلمين أمت أمت وكان في القوم اسامة ابن زيد رضي الله تعالى عنهما ففقده غالب رضي الله تعالى عنه فلم يره وبعد ساعة اي من الليل اقبل فلامه غالب وقال الم تر الى ما عهدت اليك فقال خرجت في اثر رجل منهم جعل يتهكم بي حتى اذا دنوت منه وضربته بالسيف قال لا اله الا الله فقال له الامير بئسما فعلت وما جئت به تقتل امرأ يقول لا اله الا

يكونوا كالملح في الطعام فمن ولي منكم شيا يضر فيه قوما وينفع آخرين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم وقال لهم انكم ستلقون اثرة بعدي فاصبروا حتى تلقوني على الحوض فكان ذلك كله كما اخبر صلى الله عليه وسلم واخبر بشان الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وجاء ذلك في أحاديث رواها الشيخان وغيرهما اخبر بان آيتهم رجل اسود احدى ثدييه مثل ثدي المرأة ومثل البضعة تدردر فلما قاتلهم علي رضي الله عنه خطب الناس وذكر الحديث وقال اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاؤا به وقال فشقوا قميصه فلما رأى احدى ثدييه مثل ثدي المرأة عليه شعرات سجد شكرا لله اذ صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وعلم انه رضي الله عنه على الحق وهم على الباطل اي زاده ذلك يقينا واخبر ان سيماهم التحليق اي حلق رؤسهم ولم يكن في الصدر الاول حلق الرؤس الا في نسك واخبر صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان ترى رعاء الشاء رؤس الناس والعراة الحفاة يتطاولون في البنيان وهذا كناية عن توسع من لا قدرة له في الدنيا عليها وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله ومما اخبر عنه من المغيبات ما رواه الشيخان ان قريشا لا يغزونه بعد غزوة الاحزاب وانه هو الذي يغزوهم فكان كذلك وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم أخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس والموتان على زنة البطلان والمراد منه الموت الكثير الله فكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه بعد فتح بيت المقدس ويسمي طاعون عمواس بفتحتين قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكر المسلمين وهو اول طاعون وقع في الاسلام مات فيه سبعون الفا في ثلاثة ايام وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان ياخذ فيكم

كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين وهو داء تموت به الغنم ثم استفاضة المال وفتنة وهدنة بينكم وبين بني الاصفر وروى ابو داود عن انس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال له يا أنس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان انت مررت بها او دخلتها فاياك وسباخها وكلائها وسوقها وباب امرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ وضواحيها اونواحيها وكلاؤها بشدة اللام مرسى سفنها وفي هذا الحديث من اعلام نبوته ومن الاخبار بالغيب ما لا

الله فقدم اسامة وساق المسلمون النعم والشاء والذرية فكان سهم كل رجل عشرة ابعرة وعدل البعير بعشرة من الغنم انتهى وتقدمت الحوالة على هذه وتقدم ما فيها وقوله هنا حتى اذا دنوت منه وضربته بالسيف قال لا اله الا الله يقتضي انه انما قال لا اله الا الله بعد ضربه بالسيف الا ان يحمل على الارادة وتقدم انه طعنه برمحه فليتامل

﴿ سرية شجاع بن وهب الاسدي رضى الله تعالى عنه الى بني عامر ﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب رضى الله تعالى عنه في اربعة وعشرين رجلا الى جمع من هوازن أي يقال لهم بني عامر وأمره صلى الله عليه وسلم أن يغير عليهم فكان يسير بالليل ويكمن بالنهار حتى صبحهم وهم غافلون اى وقد نهى اصحابه أن يمنعوا في الطلب فاصابوا نعما وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة فكان سهم كل رجل خمسة عشر بعيرا وعدل البعير بعشرة من الغنم

﴿ سرية كعب بن عمير الغفاري رضى الله تعالى عنه ﴾

بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفاري الى ذات اطلاح من ارض الشام وراء وادى القري في خمسة عشر رجلا فوجدوا جمعا كثيرا اى لانه لما دنا كعب بن عمير رضى الله تعالى عنه من القوم ذهب عين لهم فاخبروهم بقلة المسلمين * فدعوهم الى الاسلام فلم يستجيبوا ورشقوهم بالنبل فقاتلوهم المسلمون اشد القتال حتى قتلوا عن آخرهم الا كعب بن عمير فانه ظن قتله فلما امسى تحامل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه فهم بالبعث اليهم فبلغه انهم ساروا الى محل آخر فتركهم أقول لم أقف على السبب الذى اقتضى البعث الى ذلك المحل والله اعلم

﴿ سرية عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه الى ذات السلاسل ﴾

ارض بها ماء يقال لها السلاسل بضم السين الاولى وكسر الثانية اى وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى المشهور انها بفتح الاولى قيل سمي المكان بذلك لانه كان به رمل بعضه على بعض كالسلسلة يقال ماء سلسل وسلسال اذا كان سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه وتلك الارض وراء وادي القري وقيل لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة ان يفروا * اقول وخالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه في زمن الصديق غزاة مع اهل فارس يقال لها ذات السلاسل لكثرة من تسلسل فيها من الشجعان خوف الفرار فقتلوا عن آخرهم لان السلاسل منعتهم من الهزيمة وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسلاسل الى الصديق رضى الله تعالى عنه والله اعلم * بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جمعا من قضاعة قد تجمعوا يريدون المدينة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه اى وذلك بعد اسلامه بسنة وعقد له لواء ابيض وجعل معه راية سوداء وبعثه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا وامره صلى الله عليه وسلم أن يستعين بمن يمر عليهم

يخفى فاستمصرت البصرة في خلافة عمر رضى الله عنه سنة سبع عشرة بناها عتبة بن غزوان رضى الله عنه وسكنت سنة ثماني عشرة وكان انس رضي الله عنه ممن سكنها ومن شرفها انه لم يعبد بها صنم ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الشيخان ان امته يغزون في البحر كالملوك على الاسرة ولم يكن ذلك في حياته صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كما اخبروا الحديث مروى في الصحيحين عن انس بن مالك رضي الله عنه عن خالته ام حرام بنت ملحان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام عندها يوما ثم استيقظ صلى الله عليه وسلم وهو يتبسم فقالت له ما اضحكك يا رسول الله فقال اناس من امتى عرضوا على يركبون ثبج البحر اى وسطه كالملوك على الاسرة قالت ادع الله ان يجعلني منهم فدعا لها ثم نام فراى مثل ذلك فسألته فقال لها مثل ما قال اولا فقالت ادع الله ان يجعلني منهم فقال لها انت من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت رضى الله عنه مع المسلمين الغزاة مع معاوية في خلافة عثمان رضى الله عنهما فركبوا البحر فلما رجعوا قربوا لها دابة لتركبها فوقعت وماتت شهيدة رضى الله عنها وكان عمر رضي الله عنه يمنع الناس من ركوب البحر فلما سمع هذا الحديث اذن للناس في ركوبه وأم حرام رضي الله عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف يزار وأخبر صلى الله عليه وسلم ان الدين لو كان منوطا بالثريا

الليل ويكمن النهار حتى قرب من القوم وبلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن كعب الجهني رضى الله تعالى عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح فى مائتين من سراة المهاجرين والانصار منهم ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما وعقد له لواء وامره ان يلحق بعمرو وان يكونا جميعا ولا يختلفا فلحق بعمرو ابو عبيدة واراد ابو عبيدة ان يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت على مددا وانا الامير قال وعند ذلك قال جمع من المهاجرين الذين مع أبي عبيدة لعمرو انت أمير اصحابك وهو أمير اصحابه فقال عمرو انتم مدد لنا فلما رأى ابو عبيدة الاختلاف قال لتعلم يا عمرو أن آخر شيء عهد الى رسول الله ﷺ ان قال ان قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا وانك والله ان عصيتني لاطيعنك قال فاني الامير عليك قال فدونك اه () أي لان أبا عبيدة رضى الله تعالى عنه كان أحسن الخلق لين العريكة وكان عمرو يصلى بالناس أى وعن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه قال بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرنى ان آخذ ثيابي وسلاحى فقال يا عمرو انى أريد ان ابعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك فقلت انى لم أسلم رغبة فى المال قال نعم المال الصالح للرجل الصالح رأوا جمعا كثيرا فحمل عليهم المسلمون فتفرقوا فقال واراد المسلمون ان يتبعوهم فمنعهم عمرو رضى الله تعالى عنه وارادوا أن يوقدوا نارا ليصطلوا عليها من البرد فمنعهم عمرو أي وقال كل من أوقد نارا لاقذفنه فيها فشق عليهم ذلك لما فيه من شدة البرد فكلمه بعض سراة المهاجرين فى ذلك فغالظه عمرو فى القول وقال له قد أمرت ان تسمع لى وتطيع قال نعم قال فافعل ولما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه غضب وهم ان يأتيه فمنعه ابو بكر رضى الله تعالى عنه وقال ان رسول الله ﷺ لم يستعمله الا لعلمه بالحرب فسكت واحتلم عمرو رضى الله تعالى عنه وكانت تلك الليلة شديدة البرد جدا فقال لاصحابه ماترون قد والله احتلمت فان اغتسلت مت فدعا بماء فغسل فرجه وتوضأ وتيمم ثم قام وصلى بالناس اه ثم بعث عمرو عوف بن مالك مبشرا للنبى صلى الله عليه وسلم بقدومهم وسلامتهم قال قال عوف ابن مالك رضى الله تعالى عنه جئته صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فى بيته فقلت السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته فقال عوف بن مالك فقلت نعم بابي انت وامي يارسول الله قال اخبرنى فاخبرته بما كان من مسيرنا وما كان بين أبي عبيدة بن الجراح وبين عمرو ومطاوعة ابي عبيدة لعمرو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله ابا عبيدة بن الجراح واخبرته بمنع عمرو رضي الله تعالى عنه المسلمين من اتباع العدو ومن ايقاد النار ومن صلاته باصحابه وهو جنب فلما قدم عليه عمرو كلمه صلى الله عليه وسلم فى ذلك قال كرهت ان يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت ان يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفون عليهم فحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم امره قال عمرو وسألنى عن صلاتى فقال ياعمرو صليت باصحابك وانت جنب فقلت والذى بعثك بالحق انى لو اغتسلت لمت لم اجد بردا قط مثله وقد قال الله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فضحك صلى الله عليه وسلم اه اى ويحتاج ائمتنا الى الجواب عن صلاة الصحابة خلفه فانى لم أقف على انه صلى الله عليه وسلم امرهم بالقضاء

الا له رجال من ابناء فارس وقد حقق الله ذلك بسلمان الفارسى والامام أبي حنيفة والبخاري وامثالهم رضى الله عنهم وظهر فيهم من الاولياء والعلماء والتصانيف مالا يعد ولا يحصى وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه قال هاجت ريح النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته أى وهى غزوة تبوك وقيل غزوة بنى المصطلق فقال انها هاجت لموت منافق يعني رفاعة بن زيد بن التابوت وكان من عظماء اليهود كهف المنافقين وكان بالمدينة فلما رجعوا وجدوا ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم ووجدوا اهلاكه وقت اخباره صلى الله عليه وسلم وروى الطبرانى عن رافع بن خديج رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يوما لقوم من جلسائه ضرس احدكم فى النار مثل احد قال ابو هريرة رضى الله عنه فذهب القوم كلهم اى ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة ولم يعينه لكراهته او طلبا للستر وروى ابو داود والنسائى عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم اخبر بالذى غل خرزا من خرز يهود خيبر وكان قد توفي فاخبره صلى الله عليه وسلم به ليصلى عليه فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت اوجه الناس فقال ان صاحبكم قد غل فى سبيل الله ففتشوا متاعه فوجدوا فيه تلك الخرزات التى غلها فى رحله وروى البيهقى ان ناقته صلى الله عليه وسلم ضلت فطلبها الناس فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولا يعلم خبر ناقته الا يخبره الذى يأتيه بالوحى فاتاه جبريل واخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ما ازعم انى اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله اخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى فهي فى الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق وهو زيد بن اللصيت ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما اعلم به اصحابه حين تجهز عام الفتح وقد اراد اخفاء

﴿ سرية الخبط ﴾

وهو ورق السمر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اباعبيدة بن الجراح في ثلثمائة رجل من المهاجرين والانصار فيهم عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الى حي من جهينة في ساحل البحر وقيل ليرصد واعيرا لقريش اي وعليه فتكون هذه السرية قبل الهدنة الواقعة في الحديبية لما تقدم انه صلى الله عليه وسلم بعد الهدنة لم يكن يرصد عيرا لقريش الى الفتح وتعدد سرية الخبط بعيد فلا يقال يجوز أن تكون سرية الخبط مرتين مرة قبل الهدنة ومرة بعدها ومن ثم حكم على هذا القول بانه وهم فقاموا بالساحل نصف شهر فاصابهم جوع شديد حتي أكلوا الخبط أي كانوا يبلونه بالماء ويأكلونه حتى تقرحت اشداقهم فان اباعبيدة رضي الله تعالى عنه كان يعطى الواحد منهم في اليوم والليلة تمرة واحدة يمصها ثم يصرها في ثوبه أي وعن الزبير رضي الله تعالى عنه انه قيل له كيف كنتم تصنعون التمرة قال نمصها كما يمص الصبي ثدى أمه ثم نشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا الى الليل لانه صلى الله عليه وسلم زودهم جرابا من تمر فجعل ابوعبيدة رضي الله تعالى عنه يقوتهم اياه حتي صار يعده لهم عدا حتي كان يعطى الواحد تمرة كل يوم ثم بعد التمر أكلوا الخبط ولما رأي قيس بن سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنهما مابالمسلمين من جهد الجوع أي مشقته أي وقال قائلهم والله لو لقينا عدوا ما كان منا حركة اليه لما بالناس من الجهد قال من يشتري مني تمرا أوفيه له في المدينة بجزر يوفيها الى هنا فقال له رجل من أهل الساحل انا أفعل لكن والله ماأعرفك فمن أنت قال انا قيس بن سعد بن عبادة فقال الرجل ما اعرفني بسعد ان بيني وبين سعد خلة سيد أهل يثرب فاشتري خمس جزائر كل جزور بوسق من تمر والوسق بفتح الواو وكسرها ستون صاعا وجمع الاول اوسق والثاني اوساق فقال له الرجل اشهد لي فاشهد من تحب فاشهد نفرا من المهاجرين والانصار من جملتهم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وقيل ان عمر رضى الله تعالي عنه امتنع من ان يشهد وقال هذا يدان ولا مال له انما المال لابيه فقال الرجل والله ما كان سعد ليتخلى بابنه أي لا يوفي عن ابنه ماالزمه فكان بين قيس وعمر كلام حتي اغلظ له قيس الكلام واخذ قيس رضي الله تعالى عنه الجزر ونحر لهم منها ثلاثا في ثلاثة أيام واراد أن ينحر لهم في اليوم الرابع فنهاه ابوعبيدة وقال له عزمت عليك أن لا تنحر تريد ان تخفر ذمتك اى لا توفى لك بما التزمت ولا مال لك فقال له قيس رضى الله تعالى عنه اتري اباثابت يعني والده سعدا يقضي ديون الناس ويطعم في المجاعة ولا يقضي دينا استدنته لقوم مجاهدين في سبيل الله وفي البخاري ان قيسا رضي الله تعالى عنه نحر لهم تسع جزائر كل يوم ثلاثا ثم نهاه أبوعبيدة أى ومما يؤيد ماذكر من ان الجزر كانت خمسة وانه نحر لهم ثلاثة ايام كل يوم جزورا ماجاء في بعض الروايات انه بقي معه جزوران قدم بهما المدينة يتعاقبون عليها فلينظر الجمع ثم ان البحر القى لهم دابة هائلة يقال لها العنبر بحيث ان اباعبيدة رضى الله تعالى عنه نصب لهم ضلعا من اضلاعها وفي لفظ من اضلاعه ومر تحته أطول رجل في القوم اى وهو قيس بن سعد بن عبادة راكبا على اطول بعير لم يطاطئ رأسه وعن جابر رضي الله تعالي عنه انه قال دخلت انا وفلان وفلان وعد خمسة

آمره من أن حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه كتب الى اهل مكة يعلمهم بمسيره صلى الله عليه وسلم اليهم وأخفى الكتاب وبعث به مع امرأة وقال لها أخفيه مااستطعت وقال صلى الله عليه وسلم لعلي والزبير والمقداد رضي الله عنهم انطلقوا الى روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فأتوني به فانطلقوا وجاؤا بالكتاب فسأل صلى الله عليه وسلم حاطبا فاعتذر وحلف انه مافعل ذلك نفاقا ولا ارتدادا فقبل صلى الله عليه وسلم عذره كما تقدم ذلك مبسوطا في غزوة الفتح * ومما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ماأظهره صلى الله عليه وسلم من شان عمير بن وهب بن خلف لما قدم المدينة وأظهر انه جاء لطلب فك ابنه وهب من الاسر وقد توافق مع صفوان بن أمية في الحجر على ان صفوان يتحمل دينا كان عليه وهو يتوجه الى المدينة لقتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدم المدينة سأله صلى الله عليه وسلم ماجاء بك قال جئت لهذا الاسير فاحسنوا فيه فقال صلى الله عليه وسلم بل قعدت انت وصفوان بالحجر وذكرتما أصحاب القليب وقلت لولا دين علي وعيالي خرجت الى محمد حتى أقتله فتحمل دينك وعيالك وجئت لتقتلني فقال أشهد انك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا أمر لم يحضره الا انا وصفوان فوالله اني لاعلم انه ماأتاك به الا الله فالحمد لله الذي هداني للاسلام أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم فقهوا اخاكم وتقدم ذلك في غزوة بدر عند تعداد الاسراء * ومن اخباره بالغيب قوله صلى الله عليه وسلم لابي بن خلف انا اقتلك ان شاء الله حين قال له ابي عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا اقتلك عليها وقد حقق الله قول نبيه صلى الله عليه وسلم فانه قتل أبيا يوم أحد كما تقدم في غزوة احد * ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب مارواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على الارض ثم قال هذا مصرع

بهر عينها ما رأيناه أحداى بقي انفلط ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم في وقب عينها فأكلوا منها أياما أي نحو شهر وكانوا ثلثمائة وفي بعضهم لما تقرحت أشداقنا من الخبط انطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا كهيئة الكثيب الضخم فأتيناه فإذا هي دابة تدعى العنبر فقال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه ميتة ثم قال اضطررتم فكلوا فأقمنا عليه ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينه بالدهن القلال * وفي رواية فأخرجنا من عينه كذا وكذا قلة ودك وحملوا من لحمها إلى المدينة أي وقيل لها العنبر لأنها تبتلع العنبر فعن إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه قال سمعت من يقول رأيت العنبر نابتا في البحر ملتويا مثل عنق الشاة وفي البحر دابة تأكله وهو سم لها فيقتلها فيقذفها البحر فيخرج العنبر من جوفها وقيل العنبر اسم لسمكة مخصوصة في البحر هائلة الخلقة طولا وعرضا وقد أخبرني بعض الناس أن جملا من الجمال على شاطىء البحر فأتى في البحر فأتته سمكة فوضعت حنكيها في حلقه فجرته سمكة فابتلعت تلك السمكة وفي زمن الحاكم بأمر الله وجدت سمكة بدمياط طولها مائة ذراع وعرضها مائة وستون ذراعا وكان يقف في حلقها خمس رجال بالمجاريف يجرفون الشحم وأقام أهل دمياط يأكلون من لحمها خمسة أشهر * ولما علم سعد بن عبادة ما حصل للمسلمين من المجاعة قبل قدومهم قال إن يكن قيس يعني ولده كما أعهد فإنه ينحر للقوم فلما قدم قيس قال له سعد ما صنعت في مجاعة القوم قال نحرت قال أصبت قال ثم ماذا قال نحرت قال أصبت قال ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم قال ماذا قال ثم نهيت وفي من نهاك قال أبو عبيدة قال لم قال زعم أنه لا مال لي إنما المال لأبيك وقلت له أبي يقضي عن الأباعد ويحمل الكل ويطعم في المجاعة ولا يصنع هذا بي فلان لولا توقفي فأبى عليه عمر بن الخطاب إذ العصميم على المنع فقال سعد لولده قيس لك أربع حوائط أي بساتين أدناها بستان يحصل منه خمسون وسقا ثم إن قيسا رضي الله تعالى عنه وفي الرجل صاحب الجزر وحمله أي أعطاه ما يركبه وكساه وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل قيس فقال إنه في بيت جود إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت أي ومن ثم قال بعضهم لم يكن في الأوس والخزرج مطعمون يتوالدون في بيت واحد إلا قيس وأبوه سعد وأبوه عبادة وأبوه دليم كان في كل يوم يقف شخص على أطم ينادي من يريد الشحم واللحم فليأت دار بني دليم أي وكان أصحاب الصفة إذا أمسوا انطلق الرجل بالواحد والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة وأما سعد فينطلق بالثمانين ودعا سعد بن عبادة رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في منزله فقال السلام عليكم ورحمة الله ثم قال اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة قال ويذكر أن سعدا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال من عذيري من ابن الخطاب يدخل على ابنتي ويذكر عن سعد بن عبادة أنه كان شديد الغيرة لم يتزوج إلا بكرا وما طلق امرأة وقدر أحد أن يتزوجها وعن جابر رضي الله تعالى عنه ولما قدمنا المدينة ذكرنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر العنبر فقال رزق أخرجه الله تعالى لكم لعل معكم من لحمه شيء فتطعمونا فأرسلنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فأكله أي ولم يكن أروح بدليل أنه صلى الله عليه وسلم قال لو نعلم أنا ندرككم لم يروح لأحببنا لو كان عندنا منه قال ذلك ازديادا منه

فلان ويضع يده عليها ويقول ههنا ههنا مشيرا إلى مصارعهم فصرعوا كذلك ما تجاوز واحد منهم موضعه الذي أشار إليه * ومن إخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الشيخان وغيرهما من قوله صلى الله عليه وسلم في الحسن بن علي رضي الله عنهما إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك وذلك أنه لما قتل علي كرم الله وجهه بايع الناس الحسن على الموت وكان الذين بايعوه أكثر من أربعين ألفا وكانوا أطوع له وأحب من أبيه فبقي نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وخراسان وما وراء النهر ثم سار إلى معاوية وسار معاوية إليه فلما تراءى الجمعان بناحية الأنبار علم الحسن رضي الله عنه أنه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين وعلم معاوية رضي الله عنه مثل ذلك فسعى بينهما جماعة بالصلح وأرسل له معاوية رضي الله عنه رقا أبيض وقال اكتب فيه ما شئت وأنا ألتزمه فاصطلحا على أن الحسن يفوض الأمر له بشرط أن لا يطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء كان في أيام أبيه فأجابه معاوية رضي الله عنه إلى ذلك واشترط أن يكون الأمر له بعد معاوية فالتزم معاوية ذلك كله وحقن الله دماء المسلمين وحقق الله قول نبيه صلى الله عليه وسلم إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به وفي رواية ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين * ومن إخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون وذلك أن سعدا رضي الله عنه مرض بمكة وكان يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها واشتد مرضه حتى أشفى أي أشرف على الموت فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده ولم يكن لسعد إلا بنت فقال يا رسول الله أوصي بمالي كله قال لا إلى أن قال الثلث والثلث كثير وهو حديث مشهور ثم قال له صلى الله عليه وسلم لعلك تخلف أي تعيش حتى ينتفع بك أقوام

﴿ سرية

﴿ سرية أبي قتادة رضي الله تعالى عنه الى غطفان ﴾

أرض محارب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة في خمسة عشر رجلا الى غطفان وأمره أن يشن الغارة عليهم فسار بسير الليل ويكمن النهار حتى هجم عليهم وأحاط بهم فقتلوا من أشراف لهم واستاقوا الابل والغنم فكانت الابل مائتي بعير والغنم ألفي شاة وسبوا سبايا كثيرة فأصاب كل رجل بعد اخراج الخمس اثني عشر بعيرا وعدل البعير بعشرين من الغنم ووقع في سهم أبي قتادة رضي الله تعالى عنه جارية حسناء وضيئة فاستوهبها منه صلى الله عليه وسلم فوهبها له ثم وهبها صلى الله عليه وسلم لشخص أي كان وعده بجارية من أول فيء يفيء الله به فجاء ذلك الشخص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أبا قتادة قد أصاب جارية وضيئة وقد كنت وعدتني جارية من أول فيء يفيء الله به عليك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي قتادة قال هب لي الجارية فوهبها له الحديث

﴿ سرية عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي رضي الله تعالى عنه الى الغابة ﴾

وهي الشجر الملتف قال عبد الله المذكور تزوجت امرأة من قومي فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على ذلك فقال كم أصدقت قلت مائتي درهم فقال سبحان الله لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واديكم هذا أو في لفظ لو كنتم تغرفونها من ناحية بطحان ما زدتم والله ما عندي ما أعينك به فلبثت أياما فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقال له رفاعة بن قيس أو قيس بن رفاعة في جمع عظيم نزل بالغابة يريد حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين من المسلمين فقال اخرجوا الى هذا الرجل حتى تأتوني منه بخبر ودفع لنا شارفا عجفاء أي ناقة مسنة وقال تبلغوا عليها واعتقبوها فركبها أحدنا فوالله ما قامت به ضعفا حتى دفعها الرجال من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت وخرجنا ومعنا سلاحنا النبل والسيوف حتى اذا جئنا قريبا من القوم عند غروب الشمس وكنت في ناحية وصاحباي في ناحية أخرى وقلت لهما اذا سمعتماني قد كبرت فكبرا والله انا كذلك ننتظر غرة القوم الا ورفاعة بن قيس أو قيس ابن رفاعة المجمع للقوم خرج في طلب راع لهم أبطأ عليهم فتخوفوا عليه فقال له نفر من قومه نحن نكفيك ولا تذهب أنت فقال والله لا يذهب الا أنا فقالوا نحن معك فقال والله لا يتبعني أحد منكم وخرج حتى مر بي فلما أمكنني نفحته أي رميته بسهم فوضعته في فؤاده فوالله ما تكلم ووثبت عليه فاحتززت رأسه وشددت في ناحية العسكر وكبرت وشد صاحباي وكبرا فهرب القوم واستقنا ابلا وغنما كثيرة فجئنا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجئت برأسه أحمله معي الى رسول الله ﷺ فأعانني رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الابل بثلاثة عشر بعيرا في صداقي قال وبعضهم جعل هذه السرية وسرية أبي قتادة الى غطفان بأرض محارب التي قبل هذه واحدة أي ومن ثم ذكرتها عقبها خلاف ما صنع في الاصل قال ويدل لكونهما واحدة ما نقل عن عبد الله بن أبي حدرد قال لما طلبت منه صلى الله عليه وسلم الاعانة في مهر زوجتي قال لي ما وافقت عندي شيئا أعينك به ولكن قد أجمعت

وسيتضرر بك آخرون فشفاه الله من ذلك المرض وفتح الله العراق على يديه وهدى الله به أناسا أسلموا على يديه وغنموا معه وأضر الله به أناسا من الكفار جاهدهم فقتل منهم وسبى كان المدة التي عاش بعدها بعد تلك المرضة خمسين سنة قال النووي وهذا الحديث من المعجزات وقد تحقق ما أخبر به فيه ✱ ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه من اخباره صلى الله عليه وسلم بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينه وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وذلك أنه بعث جيشا جهة الشام وقال أميركم زيد بن حارثة فان أصيب فجعفر بن أبي طالب فان أصيب فعبد الله بن رواحة فان أصيب فليرتض المسلمون فلما التقوا مع المشركين كشف الله له عن موضع قتالهم وجاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفع لي الارض حتى رأيت معركتهم فنعاهم لاصحابه وقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب وعيناه صلى الله عليه وسلم تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتح الله عليهم فلما أتاه يعلى بن أمية رضي الله عنه وكان رسولا من الجيش قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرني وان شئت أخبرتك فقال أخبرني فأخبره ووصفهم له فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بموت النجاشي يوم مات وهو بأرضه يعني أرض الحبشة وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم أخبر رسول كسرى بموت كسرى يوم مات فلما تحقق ذلك أسلم وروى الماوردي في أعلام النبوة أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بأن فيروز الديلمي قتل الاسود العنسي الذي ادعى النبوة بصنعاء وكان كذلك وروى الامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أبا ذر رضي الله عنه بخروجه من المدينة وأنه يعيش

ان ابعث أباقتادة في أربعة عشر رجلا في سرية فهل لك أن تخرج فيها فاني ارجو ان يغنمك الله مهر امرأتك فقلت نعم فخرجنا حتى جئنا الحاضر أي وهم القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرتحلون عنه أي كما تقدم ولما ذهبت فحمة العشاء أي اقباله وأول سواده خطبنا أبو قتادة واوصانا بتقوى الله تعالى والف بين كل رجلين وقال لا يفارق كل رجل زميله حتى يقفل أي يرجع ولا يجيء الى الرجل فاسأله عن صاحبه فيقول لي لا علم لي به واذا كبرت فكبروا واذا حملت فاحملوا ولا تمعنوا في الطلب فاحطنا بالحاضر فجرد أبو قتادة سيفه وكبر وجردنا سيوفنا وكبرنا معه وقاتل رجال من القوم واذا فيهم رجل طويل فاقبل علي وقال لي يامسلم هلم الى الجنة يتهكم بي فملت اليه فذهب امامي أي وصار يقبل علي بوجهه مرة ويدبر عني بوجهه مرة أخرى فتبعته فقال لي صاحبي لا تتبعه فقد نهانا أميرنا أن نمعن في الطلب ولا زال كذلك وقال ان صاحبكم لذو مكيدة وان امره هو الامر فادركته فرميته بسهم فقتلته وأخذت سيفه وجئت صاحبي فاخبرني انهم جمعوا الغنائم وان أباقتادة تغيظ علي وعليك فجئت أباقتادة ولامني فاخبرته الخبر ثم سقنا النعم وحملنا النساء وجفون السيوف معلقة بالاقتاب ثم لما اصبحنا رأيت في السبي امرأة كانها ظبي تكثر الالتفات خلفها وتبكي فقلت لها أي شيء تنظرين قالت والله انظر الى رجل لئن كان حيا ليستنقذنا منكم فوقع في نفسي انه الذي قتلته فقلت لها والله قد قتلته وهذا والله سيفه معلق بالقتب فقالت فالقي الي غمده فقلت هذا غمد سيفه فلما رأته بكت ولبثت اهـ ولا يخفى ان السياق في كل يبعد كونهما واحدة

﴿ سرية ابي قتادة رضي الله تعالى عنه الى بطن اضم ﴾

اسم موضع أو جبل لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بغزو أهل مكة بعث اباقتادة رضي الله تعالى عنه في ثمانية نفر من جملتهم محكم بن جثامة الليثي الى بطن اضم ليظن ظان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية وتنتشر بذلك الاخبار فمر عليهم عامر بن الاضبط الاشجعي فسلم عليهم بتحية الاسلام فامسك عنه القوم وحمل عليه محكم فقتله أي لشيء كان بينه وبينه وسلبه متاعه وبعيره وعند وصولهم الى المحل رجعوا فبلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه الى مكة فحولوا اليه حتى لقوه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمحكم قتلته بعد ما قال آمنت بالله * وفي رواية بعد ما قال اني مسلم أي أتى بما يأتي به المؤمن آمن بالله وكان مسلما يا رسول الله انما قالها أي تحية الاسلام متعوذا قال أفلا شققت عن قلبه قال لم يا رسول الله قال لتعلم اصادق هو أم كاذب أي وفي رواية وقال يا رسول الله لو شققت عن قلبه أكنت أعلم ما في قلبه فقال له فلا أنت قبلت ما تكلم به ولا أنت تعلم ما في قلبه فقال استغفر لي يا رسول الله فقال لا غفر الله لك فقام يتلقى دمعه ببرده اهـ وانزل الله تعالى فيه يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة الى آخر الآية وذكر ابن اسحق في خبر محكم ان النبي صلى الله

وحده ويموت وحده فسكن الربذة في آخر عمره حتى مات بها وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم أخبر ان اسرع زوجاته لحوقا به اطولهن يدا أي من الطول بفتح الطاء وهو الجود والانعام وكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها أكثرهن صدقة فكانت أول الزوجات موتا وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم اخبر بقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بالطف وهو مكان بناحية الكوفة ويعرف بكربلاء واخرج صلى الله عليه وسلم بيده تربة وقال فيها مضجعه وفي رواية ان جبريل عليه السلام جاءه بها وروى ابن عدي والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال في زيد بن صوحان العبدي رضي الله عنه يسبقه عضو من اعضائه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال في الذين كانوا معه على حراحين تحرك بهم وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير أثبت فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم وعد بعضهم سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه وقد مات بالطاعون وهو نوع من أنواع الشهادة وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم قال لسراقة بن مالك حين تعرض له في طريقه وهو مهاجر الى المدينة كيف بك اذا لبست سواري كسرى وتقدمت قصة تعرضه للنبي صلى الله عليه وسلم وانه اخذ امانا ثم اسلم عام الفتح رضي الله عنه ولما سلب الله كسرى ملكه في خلافة عمر رضي الله عنه اتي بسوارية لعمر رضي الله عنه فالبسهما سراقة رضي الله عنه تحقيقا لما اخبر به صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة وكانتا من ذهب وليس هذا من استعمال الذهب المحرم لانه انما فعل ذلك تحقيقا وتصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن يقرهما بعد ذلك ومثل ذلك لا يعد استعمالا محرما وروى أبو نعيم في الدلائل والخطيب البغدادي في تاريخه انه صلى الله عليه وسلم قال تبنى مدينة بين دجلة والصراط * وهو نهر بالعراق مشهور تجبى اليها

عليه وسلم بحنين ثم عمد الي ظل شجرة فجلس تحتها فقام اليه الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن يختصمان فى عامر بن الاضبط عيينة بن حصن يطلب دمه أى ويقول والله يارسول الله انى لا ادعه حتى اذيق نساءه من الحر مثل ما اذاق نسائي والاقرع يدافع عن محكم وارتفعت الاصوات وكثرت الخصومة ورسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لعيينة ومن معه بل تاخذون الدية خمسين في سفرنا هذا وخمسين اذا رجعنا وهو يابى عليه فلم يزل به حتي اتفقا على الدية ثم قالوا ان محكما يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام محكم وهو رجل آدم طويل أى عليه حلة قد كان تهيأ للقتل فيها حتى جلس بين يدي رسول الله صلي الله عليه وسلم وعيناه تدمعان فقال ما اسمك قال انا محكم قد فعلت الذي بلغك واني أتوب الى الله تعالى واستغفر لى يارسول الله فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال اللهم لا تغفر لمحكم قالها ثلاثا بصوت عال فقام يتلقى دمعه بفضل ردائه فما مكث الاسبعا حتي مات فلفظته الارض مرات حتى ضموا عليه الحجارة وواروه أى ولما أخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال لهم ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم لكن الله يعظكم أى وفى رواية ان الله أحب ان يريكم تعظيم حرمة لا اله الا الله اى حرمة من ياتي بها ولفظ الارض له يرد ما قيل ان رسول الله صلي الله عليه وسلم استغفر له بعد دعائه عليه الا ان يكون المراد استغفر له بعد موته ويوافقه ما في بعض الروايات اراد الله ان يجعله موعظة لكم لكيلا يقدم رجل منكم على قتل من يشهد ان لا اله الا الله او يقول انى مسلم اذهبوا به الى شعب بنى فلان فادفنوه فان الارض ستقبله فدفنوه في ذلك الشعب فيجوز ان يكون استغفر له حينئذ وقيل ان الذي لفظته الارض غير محكم لان محكما مات بحمص ايام ابن الزبير رضى الله تعالى عنه والذي لفظته الارض اسمه فليت

﴿سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الي العزى﴾

ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى حين فتح مكة خالد بن الوليد في ثلاثين فارسا من اصحابه الى العزى وهو صنم كان لقريش وكان معظما جدا وفي لفظ العزى نخلات اى سمرات مجتمعة لانه كان يهدي اليها كما يهدى الى الكعبة لان عمرو بن لحى اخبرهم ان الرب يشتى بالطائف عند اللات ويصيف عند العزي فلما وصل الى محلها اى وكان بناء على ثلاث سمرات فقطع السمرات وهدم ذلك البناء ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال له هل رأيت شيئا قال لا قال فارجع اليها فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس أي شعر رأسها منتشر تحثوا التراب على رأسها فجعل السادن يصيح بها أى يقول ياعزى عوريه يا عزى خبيليه فضربها خالد فقطعها نصفين أى وهو يقول

ياعـز كفرانك لاسبحانك * انى رأيت الله قـد أهانك

ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم تلك العزى

خزائن الارض يخسف بها يعنى بتلك المدينة وهي بغداد وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من نمائها في الدولة العباسية وجباية الاموال اليها وبقي أمر الخسف وسيظهر كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وروى الامام احمد والبيهقى انه صلى الله عليه وسلم قال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه قال الاوزاعي فكانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم تبين انه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذى كان مفتاح ابواب الفتن على هذه الامة وكان سفيها مدمنا للخمر تفاءل يوما في المصحف فخرج له واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فرمى المصحف بالسهام ومزقه وأنشا يقول

اتوعد كل جبار عنيد

فها أنا ذاك جبار عنيد

اذا ماجئت ربك يوم حشر

فقل يارب مزقنى الوليد

وفى هذا الحديث معنى لطيف وهو ان فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد بن مصعب فشاركه في التسمية بالوليد وبويع له بعد عمه هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة ثم سلط الله عليه الجند فقتلوه ومزقوه بالسلاح كما مزق المصحف ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وروي الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتي تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقد وقع هذا فى صفين في وقعة على ومعاوية رضي الله عنهما وكانت دعواهما في اعتقادهما وديتهما واحدة وهو الاسلام وكل منهما كان مجتهد وروى البيهقي والحاكم انه صلي الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سهيل بن عمرو العامرى رضي الله عنه عسى ان يقوم مقاما يسرك ياعمر فكان كذلك فان سهيلا رضى الله عنه قام في أهل مكة يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطبهم وثبتهم بنحو قيام أبي بكر رضي الله عنه فى اهل المدينة وخطبته لهم وتثبيته اياهم كما تقدم بيان قيام سهيل لاهل مكة عند ذكره فى جملة اسرى بدر وروى ابن اسحق والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال لخالد بن الوليد رضي الله عنه حين أرسله لاكيدر دومة ملك

بمجده يصيد البقر فخرج خالد بن الوليد ومعه أربعمائة وعشرون فارسا فاتوه في ليلة مقمرة فوجدوه يصطاد بقر الوحش هو وأخوه حسان فشدوا عليهما فقتلوا أخاه حسان واسروا أكيدر وقدموا به على النبي صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله ومات على نصرانيته وقيل اسلم ثم ارتد والله أعلم * ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب ما كان يخبر به اصحابه عن المنافقين

مما أسروه وأخفوه ببواطنهم من النفاق والكفر ومن أقوالهم فيه صلى الله عليه وسلم وفي المؤمنين حتى ان بعضهم كان يقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء وتقدم في قصة فتح مكة انه صلى الله عليه وسلم امر بلالا رضي الله عنه ان يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها وابو سفيان بن حرب وعتاب ابن اسيد والحرث بن هشام رضي الله عنهم جلوس بفناء الكعبة قبل ان يتمكن الاسلام في قلوبهم فقال عتاب بن اسيد لقد اكرم الله اسيدا اولم يرهذا اليوم وقال الحرث اماوجد محمد مؤذنا غيرهذا الغراب الاسود فقال ابو سفيان لا اقول شيئا ولو تكلمت لاخبرته هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال علمت الذى قلتم وذكر مقالتهم فقال الحرث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك * ومن اخباره بالغيب في الصحيحين

﴿سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه الى سواع﴾

بالعين المهملة اى صنم مسمى باسم سواع بن نوح عليه السلام وكان على صورة امرأة وكان لقوم نوح ثم صار لهذيل وكانوا يحجون اليه أى قبل فتح مكة وبعد ذلك أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص في جماعة من اصحابه الى سواع ليكسره ويهدم محله قال عمرو رضي الله عنه فانتهيت الى ذلك الصنم وعنده سادنه اى خادمه فقال لى ماتريد فقلت أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه قال لا تقدر قلت لم قال تمنع قلت حتى الآن انت على الباطل ويحك وهل يسمع أو يبصر فدنوت منه وكسرته وامرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم نجد فيها شيئا ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

﴿سرية سعد بن زيد الاشهلى رضى الله عنه الى مناة﴾

صنم كان للاوس والخزرج ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الاشهلى في عشرين فارسا الى مناة ليهدم محله ولما وصلوا الى ذلك الصنم قال السادن لسعد ماتريد قال هدم مناة قال انت وذاك فاقبل سعد الى ذلك الصنم فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال لها السادن مناة دونك بعض عصياتك فضربها سعد رضي الله عنه فقتلها وهدم محلها

﴿سرية خالد بن الوليد رضي الله عنه الى بني جذيمة﴾

بناحية يلملم يدعوهم الى الاسلام اى ولم يكن صلى الله عليه وسلم علم باسلامهم ولم يأمره بقتالهم اى ادا لم يسلموا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه في ثلثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والانصار ومن بني سليم أى بعد هو عليه السلام مقيم بمكة الى بني جذيمة وكانوا في الجاهلية قد قتلوا الفاكه عم خالد وقتلوا اخا الفاكه ايضا في الجاهلية وكانوا من أشر حي في الجاهلية وكانوا يسمون لعقة الدم وقتلوا والد عبد الرحمن بن عوف ولما علموا به وعلموا ان معه بني سليم وكانوا قتلوا منهم مالك بن الشريد واخويه في موطن واحد خافوا ولبسوا السلاح فلما انتهى خالد رضي الله عنه اليهم تلقوه فقال لهم خالد أسلموا فقالوا نحن قوم مسلمون قال فالقوا السلاح وانزلوا قالوا والله ما بعد وضع السلاح الا القتل ما نحن بآمنين لك ولا لمن معك قال خالد فلا امان لكم الا ان تنزلوا فنزلت فرقة منهم فاسرهم وتفرقت بقية القوم * وفي رواية لما انتهى خالد الى القوم تلقوه فقال لهم ما انتم أى أمسلمون أم كفار فقالوا مسلمون قد صلينا وصدقنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبنينا المساجد في ساحتنا وأذنا فيها وفي لفظ لم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا فقالوا صبأنا صبأنا قال فما بال السلاح عليكم فقالوا ان بيننا وبين قوم من العرب عداوة فخفنا ان تكونوهم فاخذنا السلاح قال فضعوا السلاح فوضعوا فقال استأسروا فامر بعضهم فكتف بالتخفيف بعضا وفرقهم في اصحابه فلما كان في السحر نادى منادي خالد رضي الله عنه من كان معه أسير فليقتله فقتل بنو سليم من كان معهم وامتنع المهاجرون والانصار رضي الله تعالى عنهم وارسلوا اسراهم فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم مافعل خالد أى فان رجلا من القوم

من اعلامه صلى الله عليه وسلم بصفة السحر الذى سحره به لبيد بن الاعصم اليهودى وانه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وانه في بئر ذروان والمشاطة مايسقط من الشعر والجف وعاء الطلع الذى يكون عليه كالغشاء فكان كما قال صلى الله عليه وسلم ووجد على تلك الصفة فارسل صلى الله عليه وسلم بعض صحابه فاستخرجوه وصار ماء البئر كنقاعة الحناء وروى البيهقي وغيره انه صلى الله عليه وسلم اعلم عمه أبا طالب بأكل الارضة ما في صحيفة قريش التي تظاهروا بها على بني

القوم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما فعل خالد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هل انكر عليه احد منهم قال نعم رجل اصفر ربعة ورجل طويل احمر فقال عمر رضي الله تعالى عنه والله يارسول الله اعرفهما اما الاول فهو ابني وهذه صفته واما الثاني فهو سالم مولى ابي حذيفة فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد اي قال ذلك مرتين وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فودي لهم قتلاهم قال له صلى الله عليه وسلم يا علي اخرج الى هؤلاء القوم فانظر في أمرهم ودفع اليه صلى الله عليه وسلم مالا أي ابلا وورقا فودى به قتلاهم واعطاهم منه بدل ما تلف عليهم من أموالهم فودى قتلاهم واعطاهم عوض ما تلف عليهم حتى ميلغة الكلب اي الاناء التي يشرب فيها حتى اذا لم يبق لهم دم ولا مال قال هل بقي لكم دم او مال قالوا لا قال اعطيكم ما بقي معي من المال احتياطا بدل مالا تعلمون اي مما تلف من اموالكم ثم رجع الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الخبر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبت وأحسنت أي وزاد في رواية والذي انا عبده لهي احب الي من حمر النعم ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة شاهرا يديه يقول اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات اي ووقع بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهما شر بسبب ذلك فقال له عبد الرحمن عملت بامر الجاهلية في الاسلام فقال له انما أخذت بثأر أبيك فقال له عبد الرحمن كذبت انا قتلت قاتل أبي أي * وفي رواية كيف تأخذ مسلمين بقتل رجل في الجاهلية فقال خالد ومن اخبركم انهم اسلموا فقال اهل السرية كلهم اخبروا بانك قد وجدتهم بنوا المساجد واقروا بالاسلام فقال جاءني امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أغير فقال له عبد الرحمن بن عوف كذبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اخذت بثأر عمك الفاكه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا يا خالد دع عنك أصحابي فوالله لو كان لك أحد ذهبا فانفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل منهم ولا روحته أي والغدوة السير في أول النهار الي الزوال والروحة السير من الزوال الي آخر النهار والمراد باصحابه هنا السابقون الى الاسلام ومنهم عبد الرحمن بن عوف بل هو المراد كما تصرح به الرواية الآتية فقد نزل صلى الله عليه وسلم الصحابة غير السابقين الذين يقع منهم الرد على الصحابة غير السابقين لكون ذلك لا يليق بهم منزلة غير الصحابة قال ولما عاب عبد الرحمن على خالد الفعل المذكور واعان عبد الرحمن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرض عن خالد وقال يا خالد ذر أصحابي وفي رواية لا تسب أصحابي لو كان لك احد ذهبا فانفقته قيراطا قيراطا في سبيل الله لم تدرك غدوة أو روحة من غدوات أو روحات عبد الرحمن انتهى أي ولا يخفى انه يبعد أن خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه انما قتلهم لقولهم صبأنا ولم يقولوا اسلمنا الان فقال يجوز ان يكون خالد فهم انهم قالوا ذلك على سبيل الانفة وعدم الانقياد الى الاسلام وانه صلى الله عليه وسلم انما انكر عليه العجلة وترك التثبت في امرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم صبأنا ثم لا يخفى انه جاء لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا

هاشم حتى امتنعوا من تسليم النبي صلى الله عليه وسلم لقريش فقتلوه وان الارضة ابقت فيها اسم الله تعالى ووجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم وتقدمت القصة في ابتداء البعثة بتمامها هذا كله مع ما أخبر به من الحوادث التي تكون بعده فجاء كثير منها كما اخبر وبقي بعض سيظهر كما أخبر صلى الله عليه وسلم فمما أخبر بأنه يكون بعده ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء (٢٢٣) اعناق الابل ببصرى أي وهي مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل وفي كامل ابن عدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يسيل واد من اودية الحجاز بالنار تضيء له اعناق الابل ببصرى قال الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري وكذلك العلامة القسطلاني وهذا ينطبق على النار التي ظهرت بالمدينة في المائة السابعة وتقدمتها زلزلة وكان ابتداؤها يوم الاحد مستهل جمادي الآخرة من سنة اربع وخمسين وستمائة وقيل ابتدأت يوم الثلاث ثالث الشهر المذكور وجمع بان الاول نظر لابتدائها الخفي على بعض الناس والثاني نظر الى ظهورها للخاص والعام واشتدت حركتها وعظمت رجفتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات لبارئها تتوسل أن ينظر اليها ودامت حركة بعد حركة حتى ايقن اهل المدينة بالهلكة وزلزلوا زلزالا شديدا فلما كان يوم الجمعة في نصف النهار ثار في الجو دخان متراكم امره تفاقم ثم شاع شعاع النار وعلا حتى غشي الابصار ونقل العلامة القسطلاني عن القرطبي في تذكرته انه كان بدؤها زلزلة عظيمة ليلة الاربعاء ثالث جمادى الآخرة سنة اربع وخمسين وستمائة وان النار تزايدت الى ضحى يوم الجمعة فسكنت بقريظة عند قاع التنعيم طرف الحرة ترى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط بها عليه شراريف كشراريف الحصون وابراج ومآذن ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل

نصيفه ونقل الامام السبكي عن الشيخ تاج الدين بن عطاء الله قال كان يحضر مجلس وعظه ان قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا أصحابي كان خطابا لمن يأتي بعده من أمته لانه صلى الله عليه وسلم كان له تجليات فرأى في بعضها سائر أمته الآتين من بعده فقال خطابا لهم لا تسبوا اصحابي وارتضي منه هذا التاويل اه فالنهي والخطاب بلا تسبوا أصحابي لغير الصحابة تنزيلا للغائب الذي لم يوجد منزلة الموجود الحاضر وفيه أن هذا لا يساعد عليه المقام وفي الحديث من التنويه برفعة الصحابة وعلو منزلتهم ما يقطع الاطماع عن مداناتهم فان كون ثواب انفاق مثل جبل احد ذهبا في وجه الخير لا يبلغ ثواب التصدق بنصف المد الذي اذا طحن وعجن لا يبلغ الرغيف المعتاد امر عظيم * اقول ووقع لخالد رضي الله تعالى عنه نظير ذلك في زمن خلافة الصديق فان العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم عين خالد لقتال اهل الردة وكان من جملتهم مالك بن نويرة فاسره خالد هو واصحابه وكان الزمن شديد البرد فنادى منادي خالد ان ادفئوا اسراكم فظن القوم انه اراد ادفنوا اسراكم اي اقتلوهم فقتلوهم وقتل مالك بن نويرة فلما سمع خالد بذلك قال اذا أراد الله أمرا امضاه وتزوج خالد رضي الله عنه زوجة مالك بن نويرة وكانت من اجمل النساء ويقال ان خالدا استدعى مالك بن نويرة وقال له كيف ترتد عن الاسلام وتمنع الزكاة الم تعلم ان الزكاة قرينة الصلاة فقال كان صاحبكم يزعم ذلك فقال له أهو صاحبنا وليس هو بصاحبك يا ضرار اضرب عنقه وأمر برأسه فجعل ثالث حجرين جعل عليهما قدر يطبخ فيه لحم فعل ذلك ارهابا لاهل الردة فلما بلغ سيدنا عمر ذلك قال للصديق رضي الله تعالى عنهما اعزله فان في سيفه رهقا كيف يقتل مالكا ويأخذ زوجته فقال الصديق رضي الله عنه لا أشيم سيفا سله الله على الكافرين والمنافقين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم عبد الله واخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكافرين والمنافقين وقال الصديق رضي الله تعالى عنه في حق خالد عجزت النساء ان يلدن مثل خالد بن الوليد وفي كلام السهيلي انه روي عن عمر بن الخطاب انه قال لابي بكر الصديق ان في سيف خالد رهقا فاقتله وذلك حين قتل مالك بن نويرة وجعل رأسه تحت قدر حتى طبخ به وكان مالك ارتد ثم رجع الى الاسلام ولم يظهر ذلك لخالد وشهد عنده رجلان من الصحابة برجوعه الى الاسلام فلم يقبلهما وتزوج امرأته فلذلك قال عمر لابي بكر اقتله فقال لا افعل لانه متاول فقال اعزله فقال لا اغمد سيفا سله الله تعالى على المشركين ولا اعزل واليا ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل واصل العداوة بين خالد وسيدنا عمر رضي الله عنهما على ما حكاه الشعبي انهما وهما غلامان تصارعا وكان خالد ابن خال عمر فكسر خالد ساق عمر فعولجت وجبرت ولما ولي سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه الخلافة اول شيء بدأ به عزل خالد لما تقدم وقال لا يلي لي عملا ابدا وقيل لكلام بلغه عنه ومن ثم ارسل الى ابي عبيدة ان اكذب خالد نفسه فهو امير على ما كان عليه وان لم يكذب نفسه فهو معزول فانتزع عمامته وقاسمه ماله نصفين فلم يكذب نفسه فقاسمه ابو عبيدة ماله حتى احدى نعليه وترك الاخرى وخالد يقول سمعا وطاعة لامير المؤمنين وبلغه ان خالدا اعطى الاشعث بن قيس عشرة آلاف وقد قصده ابتغاء

ألادكته واذاته ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه وينتهي الى محط الركب العراقي فاجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم وانتهت النار الى قرب المدينة وكان يأتي المدينة ببركة النبي صلى الله عليه وسلم نسيم بارد ويشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر وانتهت الى قرية من قرى اليمن فاحرقتها قال القرطبي وقال لي بعض أصحابنا لقد رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام من المدينة وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرى

وقال أبو شامة وردت كتب من المدينة في بعضها انه ظهر نار بالمدينة انفجرت من الارض وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل احد وفي آخر سال منها واد مقداره اربعة فراسخ وعرضه اربعة اميال يجري على وجه الارض يخرج منها مهاد وجبال صغار قال السيد السمهودي في تاريخ المدينة ان النفوس حينئذ سكرت من حلول الوجل * وفنيت من نزول الاجل * وضج المجاورون بالجؤار بالاستغفار * وعزموا على الاقلاع عن الاصرار وعلى التوبة عما اجترحوا من الاوزار وفزعوا بالصدقة بالاموال وبالهم من الخوف والارع ما لا يمكن ذكره وحصره ثم صرفها الله عنهم ذات اليمين وذات الشمال وظهر حسن بركة نبينا صلى الله عليه وسلم في امته * ويمن طلعته في رفقته * فرقته احسانه

* وفي المواهب ان مدة اقامة تلك النار اثنان وخمسون يوما وكان اطفاؤها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الاسراء والمعراج وفي شرح البخاري للعلامة القسطلاني فقد ظهر ان النار المذكورة في حديث الباب هي النار التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره وكذلك قال النووي في شرح مسلم وكان ظهورها في ايامه وقد تضمن الحديث ثلاثة امور خروجها من الحجاز وسيلان واد منه بالنار وقد وجدوا واما الثالث وهو اضاءة اعناق الابل ببصرى

احسان فارسل لابي عبيدة ان يصعد المنبر ويوقف خالدا بين يديه وينزع عمامته وقلنسوته ويقيده بعمامته لان العشرة الاف ان كان دفعها من ماله فهو سرف وان كان من مال المسلمين فهي خيانة فلما قدم خالد رضي الله تعالى عنه على عمر رضي الله تعالى عنه قال له من اين هذا اليسار الذي تجيز منه بعشرة الاف فقال من الانفال والسهمان قال ما زاد على الستين الفا فهو لك ثم قوم امواله وعروضه واخذ منه عشرين الفا ثم قال له والله انك على لكريم وانك لحبيب ولم تعمل لي بعد اليوم على شيء وكتب رضي الله عنه الى الامصار اني لم اعزل خالدا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع اي وان نصر خالد على من قاتله من المشركين ليس بقوته ولا شجاعته بل بفضل الله فالصديق لم يعزل خالد بن الوليد مع فعله ما يكرهه بتاويل له في ذلك كما انه صلى الله عليه وسلم لم يعزله مع فعله لما كرهه صلى الله عليه وسلم حيث رفع يديه الى السماء وقال اللهم اني ابرأ اليك مما فعل خالد لكونه كان شديدا على الكفار لرجحان المصلحة على المفسدة وسيدنا عمر رضي الله تعالى عنه عزله لخوف افتتان الناس به فعزله وولى ابا عبيدة بن الجراح قال بعضهم كان الصديق رضي الله تعالى عنه لينا وخالد ابن الوليد شديدا وعمر رضي الله عنه كان شديدا وابو عبيدة لينا فكان الاصلح لكل منهما ان يولي من ولاه ليحصل التعادل والله اعلم واخبر النبي ﷺ انه كان في القوم رجل قال لهم اني لست من هؤلاء ولكني عشقت امرأة فلحقتها فدعوني انظر اليها ثم افعلوا بي ما بدا لكم ثم اشار الى نسوة مجتمعات غير بعيد قال بعضهم فقلت له ليسير ما طلب فاخذته حتى اوقفته عليهن فانشدا بياتا ثم جئت به فقدموه فضربت عنقه فقامت امرأة من بينهن فجاءت حتى وقفت عليه فشهقت بفتح الهاء شهقة أو شهقتين ثم ماتت أي وفي رواية فاكبت عليه تقبله حتى ماتت انتهى وفي رواية فانحدرت اليه من هودجها فحنت عليه حتى ماتت فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما كان فيكم رجل رحيم القلب

﴿ سرية ابي عامر الاشعري رضي الله عنه الى اوطاس ﴾

لما انصرف صلى الله عليه وسلم من حنين وانهزم المشركون عسكر منهم طائفة باوطاس فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عامر الاشعري عم ابي موسى الاشعري في جمعة فيهم ابو موسى الاشعري ووقع في الاصل ان ابا عامر ابن عم ابي موسى الاشعري قال في النور وهو غلط وانما هو موسى ابن اخي أبي عامر فلحقوا القوم وتناوشوا القتال اي تكاوحوا فيه وبارز ابو عامر تسعة وقيل انهم اخوة وهو يقتلهم واحدا بعد واحد اي وصار كل من برز له منهم يدعوه الى الاسلام فيأبى فيقول اللهم اشهد ويحمل عليه فيقتله ثم برز له اخوهم العاشر فقتل اباعامر أي فانه قال له اسلم فابى فقال اللهم أشهد فقال اللهم لا تشهد وفرش يديه فظن ابو عامر انه اسلم فكف عنه فعاد الى ابي عامر فقتله ثم اسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وكان اذا رآه ﷺ يقول هذا شريد ابي عامر قال وعن ابي موسى الاشعري قال جئت لابي

قال العلامة القسطلاني فقد جاء من اخبره فاذا ثبت هذا فقد صحت الامارات وتمت العلامات ثم ذكر انه جاء من اخبر انه أبصرها من تيماء وبصرى على مثل ما هي عليه بالمدينة فتعين انها المراد وارتفع الشك والعناد واما النار التي تسوق الناس الى ارض المحشر فنار أخرى لم تظهر الى الآن وهي تخرج من قعر عدن * ومن اخباره صلى الله عليه وسلم عما سيقع ما رواه ابو داود في سننه من قوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية * ومن ذلك اخباره باشراط الساعة وظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وذكر الحشر والنشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وغير ذلك وحسبك هذا الفصل ان يكون مؤلفا مفردا يشتمل على أجزاء وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى اعلم ﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم ما فضله الله به زائدا على غيره من كمال خلقته وجمال صورته ونهاية قوته وفرط شجاعته ووفور علمه وعظيم حلمه وكل ما أكرمه الله به وميزه به على غيره من الاخلاق الزكية والاوصاف المرضية ومعرفة ذلك كله من تمام الايمان فان من الايمان التصديق بان الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على هيئة لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله وكل ما يشاهد من بدنه صلى الله عليه وسلم آيات ومعجزات لمن شاهده وهي تدل على عظيم اخلاق باطنه فان المشاهد الظاهرة تدل على الباطن وذلك الباطن دليل على ما أورد في قلبه من العلوم والمعارف ولله در البوصيري حيث يقول

فهو الذي تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارىء النسم
منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعني حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه وهي غير منقسمة بينه

عامر وفيه رمق يا عم من رماك فقال ذاك واشار الى شخص من القوم فقصدته فلحقته فلما رآني ولى فاتبعته وجعلت اقول له الا تستحي الا تثبت فثبت فاختلفنا ضربتين فقتلته ثم قلت لابي عامر قد قتل الله صاحبك قال فانزع هذا السهم فنزعته فقال يا ابن اخي اقرئ النبي صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له يستغفر لي وقال ادفع فرسي وسلاحي له انتهى فليتامل الجمع بين هذا وما قبله وقبل ان يموت ابو عامر رضي الله عنه استخلف ابن عمه اباموسي ودفع الراية له وفي لفظ ان اباعامر رماه واحد فاصاب قلبه ورماه آخر فاصاب ركبته فقتلاه وولى الناس ابا موسى فحمل عليهما فقتلهما اي وفتح الله عليهم وانهزم المشركون وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا ولما رجع ابو موسى رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بموت ابي عامر استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اجعله من اعلى امتي في الجنة أي وفي رواية اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك من الناس ودعا لابي موسى اي فقال اللهم اغفر له ذنبه وادخله يوم القيامة مدخلا كريما

﴿ سرية الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه الى ذي الكفين صنم عمرو بن حميمة الدوسي ليهدمه ﴾

لما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير الى الطائف بعث الطفيل رضي الله تعالى عنه لهدم ذي الكفين وامره ان يستمد قومه ويوافيه بالطائف فخرج سريعا الى قومه فهدم ذا الكفين وجعل يحشي النار في وجهه وانحدر معه من قومه اربعمائة سراعا فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف بعد مقدمه باربعة ايام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الازد من يحمل رايتكم فقال الطفيل من كان يحملها في الجاهلية النعمان بن الراوية قال اصبتم

﴿ سرية عيينة بن حصين الفزاري رضي الله تعالى عنه الى بني تميم ﴾

أي وسببها انه صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سفيان الى بني كعب لاخذ صدقاتهم وكانوا مع بني تميم على ماء فاخذ بشر صدقات بني كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك لم تعطوهم اموالكم فاجتمعوا واشهروا السلاح ومنعوا بشرا من اخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن اسلمنا ولا بد في ديننا من دفع الزكاة فقال لهم بنو تميم والله لا ندع يخرج بعير واحد ولما رأى بشر رضي الله تعالى عنه ذلك قدم المدينة واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا انصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم واخذ منهم احد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وفي لفظ احدى عشرة امرأة وثلاثين صبيا فجاء بهم الى المدينة فامر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا في دار رملة بنت الحرث فجاء في اثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس وقيس بن الحرث ونعيم بن سعد وعمرو بن الاهتم ورباح بكسر الراء والمثناة تحت ابن الحرث فلما رأوا هم

وبين غيره لانه الذي تم معناه وصورته دون غيره والمراد انه صلى الله عليه وسلم اعطى اهل الصفات اللائقة بالبشر وشاركه غيره في الاتصاف ببعضها فيكون ذلك البعض مشتركا وتميز المصطفى صلى الله عليه وسلم بالزيادة التي لم يؤتها غيره واما قوله صلى الله عليه وسلم اعطى يوسف شطر فالمراد منه انه اوتي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا وفي الآثار ان خالد ابن الوليد رضي الله عنه خرج في سرية من السرايا فنزل ببعض الاحياء فقال له

سيد ذلك الحي صف لنا محمدا فقال اما اني افصل فلا لأن صفاته لا يمكن الاحاطة بها فقال الرجل اجمل فقال خالد رضي الله عنه الرسول على قدر المرسل اي على حالة تليق به وهو رسول الله بعثه لتبليغ احكامه فمن لازمه انه بالغ الغاية فكل ما تصور فيه من كمال دون ما ثبت له فان الملك اذا بعث رسولا لقضاء ما يريد انما يرسل من يقدر على ذلك بحيث يكون ذا مرتبة شريفة وتصرف تام ولا يلزم منه مساواته لبقية الرسل لان عموم رسالته ونسخها لشرائع من قبله يقتضي رتبة زائدة عليهم فمن ذا الذي تصل قدرته الى معرفة ما اعطى صلى الله عليه وسلم وفي المواهب نقلا عن القرطبي عن بعضهم انه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما طاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم لعجزنا عن ذلك ولقد أحسن البوصيري رحمه الله حيث قال

اعيا الورى فهم معناه فليس يرى * في القرب والبعد منه غير منفحم
كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من امم

وهذا مثل قوله في الهمزية

انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

يعني ان واصفيه لم يبلغوا حقيقته صلى الله عليه وسلم لانهم لم يحيطوا بها وانما غاية ما وصلوا اليه تصويرصورها الحاكية لمباديها كما ان الماء لم يحك الا مجرد صورها لا غيره * ولنشرع في ذكر جملة من اوصاف ذاته الشريفة فنقول

اما وجهه الشريف فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وروى الترمذي والامام أحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت شيأ احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه ومعناه أن جريان الشمس في فلكها كجريان الحسن في وجهه اي ان شدة النور والبريق واللمعان يعم وجهه الشريف ولا تختص ببعض منه دون

باقيه فهو شبيه بجريان الشمس في فلكها ولله در القائل

لم لا يضيء بك الوجود وليله
فيه صباح من جمالك مسفر
فبشمس حسنك كل يوم مشرق
وببدر وجهك كل ليل مزهر

وفي البخاري سئل البراء ابن عازب رضي الله عنهما أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل القمر وكأن السائل أراد مثل السيف في الطول فرد عليه البراء ردا بليغا فقال بل مثل القمر اي في التدوير او ان السائل أراد مثل السيف في اللمعان والصقالة فقال بل فوق ذلك وعدل الى التشبيه بالقمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان فهو رد لتوهم السائل ان لمعانه كلمعان السيف بانه وان شاركه في اللمعان لكن لمعان الوجه الشريف لا يساويه شيء وقال بعضهم يحتمل أن السائل سال عنهما جميعا ففي هذا الحديث اشارة الا ان التشبيه ممن لا يحسنه لا يليق الاقرار عليه لان السائل شبه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ولو شبهه بالقمر لكان اولي فلذلك رد عليه البراء فقال بل مثل القمر وابدع في تشبيهه لان القمر يملأ الارض بنوره ويؤنس من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا تقل في العين بضعفها والناظر الى القمر متمكن من النظر بخلاف الشمس فان النظر اليها يحصل للبصر منه كلال وضعف وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما ان رجلا قال له أكان وجه

تكن اليهم السماء والدراري فجؤوا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم اي بعد ان دخلوا المسجد ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبطؤه فجاؤوا من وراء الحجرات فنادوا اي بصوت جاف اخرج الينا نفاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين يا محمد اخرج الينا فخرج رسول الله ﷺ اي وقد تأذى من صياحهم واقام بلال رضي الله تعالى عنه الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم أي قالوا له نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد اي بعد ان قالوا له ما تقدم ومنه ان مدحنا لزين وان شتمنا لشين نحن أكرم العرب فقال لهم رسول الله ﷺ كذبتم بل مدح الله عز وجل الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام ثم قالوا له فائذن لخطيبنا وشاعرنا فقال أذنت فليقم وفي لفظ اني لم ابعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فقدموا عطارد بن حاجب وفي لفظ قال الاقرع بن حابس لشاب منهم قم يا فلان فاذكر فضلك وفضل قومك فتكلم وخطب أي فقال الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا اعز اهل المشرق وأكثرهم عددا فمن مثلنا في الناس ألسنا رؤس الناس واولي فضلهم فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا ولو نشاء لاكثرنا وانما أقول قولي هذا لان تأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس اي وفي رواية انه قال الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه واعطانا اموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن خير اهل الارض واكثرهم عددا وأكثرهم سلاحا فمن انكر علينا قولنا فليأت بقول هو احسن من قولنا أو بفعال احسن من فعالنا فامر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس ان يجيبه اي قال له قم فاجب الرجل في خطبته فقام ثابت رضي الله تعالى عنه فقال الحمد لله الذي السموات والارض خلقه قضى فيهن امره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط الا من فضله ثم انه كان من فضله ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا واصدقه قيلا وافضله حسبا فانزل عليه كتابا وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان فامن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوو رحمه أكرم الناس احسابا واحسن الناس وجوها وخير الناس فعالا ثم كان أول الناس اجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن انصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع دمه وماله ومن كفر جاهدناه في الله وكان قتله علينا يسيرا أقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم أي وفي رواية انه قال الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بني عمه احسن الناس وجوها واعظم الناس احلاما فاجابوه والحمد لله الذي جعلنا انصاره ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ومن أباها

رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر والمراد انه مثل الشمس في البهاء والاشراق ومثل القمر في الاستدارة والنور فقد كان مستديرا لا طويلا والمراد الاستدارة مع الاسالة كما في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أسيل الخدين وفي حديث عن علي رضي الله عنه كان في وجهه تدوير أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل ولم يكن كثير السمن ولا نحيفا والمراد انه ما كان في غاية التدوير بل كان فيه سهولة وهي أحلى عند العرب وغيرهم من كل ذي ذوق سليم وطبع قويم فالمقصود تشبيهه بمحاسن كل حسن وروي الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر اليه والى القمر فلهو في عيني أحسن من القمر * وفي رواية بعد قوله حمراء فجعلت أماثل بينه وبين القمر فهو عندي أحسن من القمر وروي البخاري عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه وقالت عائشة رضي الله عنها دخل على النبي صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا تبرق أسارير وجهه وهي جمع اسرار جمع سر بكسر السين وهي الخطوط التي في الجبهة تبرق عند الفرح ولذلك قال كعب كأنه قطعة قمر اشارة الى موضع الاستنارة وهو الجبين وهذه الاستنارة التي تحصل عند السرور زائدة على ما هو وأما موجود قبل من النور والبهاء المشبه بضياء الشمس ونور القمر وروى الطبراني عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال التفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه مثل شقة القمر وهي بكسر الشين قطعة القمر وهذا محمول على صفته عند الالتفات أو انه كان متلثما ولا ينافي ان وجهه كله يوصف بتلك الاستنارة وقد أخرج الطبراني حديث كعب بن مالك رضي الله عنه من طرق في بعضها

قاتلناه وكان رغمه في الله عليا هينا أقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ثم قال الزبرقان لرجل منهم فقم يا فلان وقل ابياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقال ابياتا منها

نحن الكرام فلا حي يعادلنا * نحن الرؤس وفينا يقسم الربع
اذا ابينا ولا يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بحسان بن ثابت فحضر فقال له قم فاجبه فقال يسمعني ما قاله فاسمعه فقال حسان رضي الله تعالى عنه أبياتا منها

نصرنا رسول الله والدين عنوة * على رغم عات من بعيد وحاضر
وأحياؤنا من خير من وطئ الحصا * وأمواتنا من خير اهل المقابر

وثابت بن قيس هذا كان يعرف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لي علمه فقال رجل انا يا رسول الله فذهب فوجده في منزله جالسا منكسا رأسه فقال له ما شأنك قال احسبني ان أكون من أهل النار لاني رفعت صوتي فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمه فقال اذهب اليه وقل له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة فقال صلى الله عليه وسلم نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس قتل يوم اليمامة وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فاخذها فبينما رجل من المسلمين نائم أتاه ثابت في منامه فقال له اني أوصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه اني لما قتلت مر بي رجل من المسلمين فاخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فات خالدا فمره فليأخذها واذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ابا بكر رضي الله تعالى عنه فقل له ان علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق فاستيقظ الرجل فاتى خالدا فاخبره فبعث الى الدرع فاتي بها فوجدها على ما وصف وحدث ابا بكر رضي الله تعالى عنه برؤياه فاجاز وصيته قال بعضهم ولا يعلم احد اجيزت وصيته بعد موته سواه ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وبين حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه كل منهما ينشئ قصيدة يذكر فيها فخرا فمن قصيدة الزبرقان بن بدر وهي مطلعها

نحن الكرام ولا حي يعادلنا * منا الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضي الله تعالى عنه وهو مطلعها

انا أبينا ولم يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

وفيه ان هذا البيت من قول بعض بني تميم وقد اسمعه لحسان كما تقدم فليتامل ووقعت مفاخرة بين الاقرع بن حابس وبين حسان رضي الله تعالى عنه فقال الاقرع بن حابس اني والله يا محمد قد قلت شعرا فاسمعه فقال له صلى الله عليه وسلم هات فانشد

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا * اذا خالفونا عند ذكر المكارم

وأما رؤس الناس من كل معشر * وان ليس في ارض الحجار كدارم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم باحسان فاجبه فقال

بني دارم لاتفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وانتم * لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاقرع لقد كنت غنيا يا اخا بني دارم ان تذكر ما كنت ترى ان الناس قد نسوه فكان هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد عليهم من قول حسان رضي الله تعالى عنه وحينئذ قال الاقرع بن حابس لخطيبه يعني صلى الله عليه وسلم اخطب من خطيبنا ولشاعره اشعر من شاعرنا ولاصواتهم اعلى من اصواتنا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يضرك ما كان قبل هذا ورأى النبي ﷺ يقبل الحسن رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول الله لي من الولد عشرة ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم قال ابن دريد رحمه الله اسم الاقرع نواس وانما لقب الاقرع لقرع كان في رأسه والقرع انحصاص الشعر وكان رضي الله تعالى عنه شريفا في الجاهلية والاسلام ونزل فيهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم ووقع ان عمرو بن الاهتم مدح الزبرقان للنبي ﷺ انه لمطاع في انديته سيد في عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدني يا رسول الله لشرفي ولقد علم افضل مما قال فقال عمرو انه لزمن المروءة ضيق العطن لئيم الخال وفي لفظ ان الزبرقان قال يا رسول الله انا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وامنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الاهتم فقال عمرو انه لشديد العارضة مانع لجانبه مطاع في اذنيه مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان والله لقد كذب يا رسول الله وما منعه ان يتكلم الا الحسد فقال عمرو انا احسدك والله انك للئيم الخال حديث المال احمق الوالد مبغض في العشيرة فعرف عمرو الانكار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية رضيت فقلت احسن ما علمت وسخطت فقلت اقبح ما علمت وفي رواية والله يا رسول الله لقد صدقت فيهما ارضاني فقلت احسن ما علمت واسخطني فقلت اسوأ ما علمت فعند ذلك قال النبي ﷺ ان من البيان لسحرا وجاء ان من البيان سحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيا قال بعضهم اما قوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا فان الرجل يكون عليه الحق وهو الحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق واما قوله ان من العلم جهلا فان العالم يتكلف ما لا يعلم فيجهله ذلك واما قوله ان من الشعر حكما فهو هذه المواعظ والامثال واما قوله وان من القول عيا فعرضك كلامك وحديثك على من ليس من شانه هذا كلامه وفيه ان هذا بيان للسحر المذموم وليس المراد هنا وانما هو من السحر الحلال ومن ثم اقر صلى الله عليه وسلم عمرو بن الاهتم عليه ولم يسخطه منه

كأنه دارة قمر وروى ابو نعيم عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر وروى البيهقي عن امرأة من همدان نسي اسمها بعض الرواة قالت حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه بردان يكاد يمس شعره منكبه اذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم رفعه الى فيه فيقبله قال ابو اسحق البيهقي الراوي عنها فقلت لها شبهيه فقالت كالقمر ليلة البدر لم ار قبله ولا بعده مثله وروى الدارمي والبيهقي وابو نعيم والطبراني عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال قلت للربيع بنت معوذ رضي الله عنهما صفي لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لو رأيته لقلت الشمس طالعة وروى مسلم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي الصحابي رضي الله عنه وهو آخر الصحابة موتا ولد عام الهجرة وتوفي عام مائة حدث يوما في آخر عمره فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بقي على وجه الارض احد رآه غيري فقيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان ابيض مليح الوجه وروى الترمذي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سألت خالي هند بن ابي هاله وهو اخو السيدة فاطمة رضي الله عنها من أمها خديجة رضي الله عنها وابوه ابو هالة واسمه النباش وقيل مالك وقيل زرارة وكانت خديجة متزوجة به قبل النبي صلى الله عليه وسلم ثم مات عنها واما هند ابنه فصحابي رضي الله عنه وهاجر وقتل سنة ست وثلاثين يوم الجمل وهو مع علي رضي الله عنه وهو خال الحسن والحسين رضي الله عنهما قال الحسن بن علي رضي الله عنهما كان خالي هند بن ابي هاله وصافا لحلية النبي صلى الله عليه وسلم وكنت اشتهي ان يصف لي منها شيئا اتعلق به فقال لي يوما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما اي عظيما في نفس الامر معظما في صدور الصدور وعيون العيون يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقالت أم معبد حين وصفته

لزوجها مبلج الوجه تعني مشرقة مضيئة ومنه تبلج الصبح اذا أسفر قال في المواهب وما أحسن قول السيد علي وفي رضي الله عنه حيث قال الا ياصاحب الوجه * سألتك لا تغيب فات روحي متي ماغاب شجصك عن عياني * رجعت فلا تري الاضريحي بحقك جد لرقك ياحبيبي * وداوي لوعة القلب الجريح ورق لمغرم في الحب أمسى * واصبح في الهوى دنفا طريح محب ضاق بالاشواق درعا * وآوى منك للكرم الفسيح وفي المواهب نقلا عن النهاية لابن الاثير انه صلى

فالسحر المذموم ان يصور الباطل في صورة الحق ببيانه ويخدع السامع بتمويهه وهو المراد عند الاطلاق والسحر غير المذموم فما كان من البيان على حق لان البيان بعبارة مقبوله عذبة لا ستكراه فيها تستميل القلوب كما يستميل الساحر قلوب الحاضرين الى ماموه به ثم انه صلى الله عليه وسلم ردعليهم الاسارى والسبي واحسن جوائزهم قال اي بعد ان اسلموا واعطى كل واحد اثني عشر أوقية قيل الا عمرو ابن الاهتم فان القوم خلفوه في ظهورهم لانه كان أصغرهم سنا فاعطاه خمس اواق وقد اختلف في وفدهذا الوفد فقيل كانوا سبعين رجلا وقيل كانوا ثمانين وقيل كانوا تسعين انتهى اي والذي في الاستيعاب ثم اسلم القوم وبقوا في المدينة مدة يتعلمون الدين والقرآن ثم ارادوا الخروج الى قومهم فاعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم اسراهم ونساؤهم وقال اما بقي منكم احد وكان عمرو بن الاهتم في ركابهم فقال قيس ابن عاصم وكان مشاحنا له لم يبق منا الا غلام في ركبنا وازري به فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم وبلغ عمرو ماقال قيس في حقه فانشدا بياتا تتضمن لومه على ذلك وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا محسنا يقال ان شعره كان حللا منشورة وكان رضي الله تعالى عنه جميلا يدعي المكحل لجماله وهو القائل لعمرك ماضاقت بلاد باهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

هذا كلامه وانزل الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قيل معناه لا تجعلوا دعاءه اياكم كدعاء بعضكم بعضا فتؤخروا الاجابة بالاعذار التي يؤخر بها بعضكم اجابة بعض ولكن عظموه صلى الله عليه وسلم بسرعة الاجابة

﴿ سرية قطبة بن عامر رضى الله تعالى عنه الى حي من خثعم ﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قطبة بن عامر في عشرين رجلا الى حي من خثعم وامره أن يشن الغارة عليهم فخرجوا على عشرة ابعرة يعتقبونها فاخذوا رجلا فسالوه فاستعجم عليهم أى سكت ولم يعلمهم بالامر فجعل يصيح بالحاضر اى وهم القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرتحلون عنه كما تقدم ويحذرهم فضربوا عنقه ثم امهلوا حتى نام الحاضر فشنوا الغارة عليهم فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى في الفريقين وساقوا النعم والشاء الى المدينة وجاء سيل فحال بينهم وبين القوم فلم يجد القوم اليهم سبيلا وتقدمت الحوالة على هذا

﴿ سرية الضحاك الكلابي رضى الله تعالى عنه ﴾

في جمع الى بني كلاب فلقوهم ودعوهم الى الاسلام فابوا فقاتلوهم فهزموهم وكان من جملة المسلمين شخص لقي أباه في جملة القوم فدعاه الى الاسلام فسبه وسب الاسلام فضرب عرقوب فرسه فوقع فامسك اباه الى ان أتى بعض المسلمين فقتله اي وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث لبني كلاب وكتب اليهم في رق فلم ينقادوا للاسلام وغسلوا الخط من الرق وخاطوه تحت دلوهم فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال مالهم اذهب الله عقولهم فصاروا لا يوجد احد منهم الا مختل العقل مختلط الكلام

الله عليه وسلم كان اذاسر فكان وجهه المرآة وكان الجدر تلاحك وجهه والملاحكة شدة الموافقة والمراد انه يرى شخص الجدر في وجهه صلى الله عليه وسلم لشدة ضيائه وقول ابن أبي هالة رضى الله عنه في حديثه المتقدم يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فيه تشبيه وجهه الشريف بالبدر وهو أبلغ في العرف من التشبيه بالقمر لان البدر هو القمر وقت كماله وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كلما رأي النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بهذا البيت
لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة البدر
وقد صادف تشبيهه صلى الله عليه وسلم معناه الحقيقي ايضا فمن أسمائه صلى الله عليه وسلم البدر فقد روي ان الله قال لموسى صلى الله عليه وسلم ان محمدا هو البدر الباهر والنجم الزاهر والبحر الزاخر ولهذا انشد نساء الانصار لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة في الهجرة ومن غزوة تبوك بحيث طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا * مادعا لله داعي ومن احسن قول ابن الحلاوي في صفته صلى الله عليه وسلم يقولون يحكي البدر في الحسن وجهه * وبدر الدجي عن ذلك الحسن ينحط كما شبهوا غصن النقا بقوامه * لقد بالغوا في المدح للغصن واشتطوا اى فقد حصل للبدر والغصن غاية في الفخر بهذا التشبيه على ان هذه التشبيهات الواردة

فى صفاته صلى الله عليه وسلم أنما هى على عادة الشعراء والعرب والا فلا شيء فى هذه التشبيهات المحدثات يعادل صفاته الخلقية والخلقية
ولله در سيدى محمد وفى رضى الله عنه حيث قال   كم فيه للابصار حسن مدهش * كم فيه للارواح روح مسكر
سبحان من انشاه من سبحاته * بشرا باسرار الغيوب يبشر   فاسوه جهلا بالغزال تغزلا * هيهات يشبهه الغزال الاحور
هذا وحقك ماله من مشبه * وارى المشبه بالغزاله يكفر   يأتي عظيم الذنب فى تشبيهه * لولا رب جماله يستغفر

الى اجابته بحيث لا يفهم كلامه

﴿ سرية علقمة بن مجزز رضى الله تعالى عنهما ﴾

بضم الميم وفتح الجيم وزائين الاولى مكسورة مشددة المدلجي اي وهو ولد القائف الذى قاف في حق زيد ابن حارثة وأسامة رضى الله تعالى عنهما وقال ان بعض هذه الاقدام من بعض فهو صحابى ابن صحابى الى جمع من الحبشة بلغ رسول الله ﷺ ان ناسا من الحبشة تراآهم اهل جدة اي فى مراكب وجدة بضم الجيم وتشديد الدال المهملة قرية سميت بذلك لانها على ساحل البحر لان الجدة شاطىء فبعث اليهم علقمة بن مجزز رضى الله تعالى عنهما فى ثلثمائة فخاض بهم البحر حتى اتوا الى جزيرة فى البحر فهربوا اى ورجعوا ولم يلق كيدا ثم لما كانوا فى اثناء الطريق اذن علقمة رضي الله تعالى عنه لجماعة ان يتعجلوا وامر عليهم احدهم ونزلوا ببعض الطريق واوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم اميرهم عزمت عليكم الا تواثبتم اى وقعتم فى هذه النار فقام بعض القوم فحجزوا حتى ظن انهم واثبون فيها فقال اجلسوا انما كنت اضحك معكم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من امركم بمعصية الله فلا تطيعوه قال وعن على كرم الله وجهه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار وامرهم ان يسمعوا له ويطيعوا فاغضبوه في شيء فقال اجمعوا لى حطبا فجمعوا له ثم قال اوقدوا نارا فاوقدوها ثم قال ألم يامركم رسول الله صلي الله عليه وسلم ان تسمعوا لى وتطيعوا قالوا بلى قال فادخلوها فنظر بعضهم الى بعض وقالوا انا فررنا الى رسول الله ﷺ من النار فكان كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار فلما رجعوا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك فقال لو دخلوها ماخرجوا منها ابدا وقال صلى الله عليه وسلم لا طاعة فى معصية الله وانما الطاعة فى المعروف انتهي اى والضمير فى دخلوها للنار التي اوقدت والضمير فى منها النار الآخرة لان الدخول فيها معصية والعاصي يستحق النار فالمقصود من ذلك الزجر وفى رواية من امركم منهم اي من الامراء بمعصية الله فلا تطيعوه وفي لفظ لا طاعة فى معصية الله ولا مانع من تكرر هذه الواقعة

﴿ سرية على بن ابي طالب كرم الله وجهه ﴾

الى هدم الفلس بضم الفاء وسكون اللام صنم طيء والغارة عليهم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابي طالب في خمسين ومائة رجل من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا معه راية سوداء ولواء ابيض الى هدم الفلس والغارة عليهم فشنوا الغارة عليهم مع الفجر فهدموا الفلس واحرقوه واستاقوا النعم والشاء والسبي وكان فى السبي اخت عدي بن حاتم الطائي اى واسمها سفانة بفتح السين المهملة وتشديد الفاء وبعد الالف نون مفتوحة ثم تاء تانيث والسفانة فى الاصل هي الدرة وهذه اسلمت رضي الله تعالى عنها قال بعضهم ولا يعرف لحاتم بنت الا هذه ووجدوا فى خزانة الصنم ثلاثة اسياف معروفة عند العرب وهي رسوب والمخذم واليماني وثلاثة أدراع وجعل الرسوب والمخذم صفيا لرسول الله صلى الله

طاب الملاح بحسنه وجماله * وبحسنه كل المحاسن تفخر
فجماله مجلى لكل جميلة * وله منار كل وجه نير
جنات عدن فى جنى وجناته * ودليله ان المراشف كوثر
هيهات الهوى عن هواه بغيره * والغير فى حشر الاجانب يحشر
كتب الغرام على فى أسفاره * كتبا تؤول بالهوي وتفسر
فدعى الداعي ومادعاه فى الهوى * فدعيه بالهجر فيه تهجر

وقوله بالهجر هو بضم الهاء الهذيان والتخليط والتهجر الاذي والهلاك ويقال تهجر سار وقت الهاجرة اى شدة الحر فكأنه قال مدعى المحبة بمجرد اللفظ شبيه بالسائر فى شدة الحر فاتعب نفسه واذاها يلام عليه عاجلا * وآجلا وأما بصره الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله فى كتابه العزيز بقوله تعالى مازاغ البصر وماطغى اى مامال بصره عما رآه ليلة الاسري وما جاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا وما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها وما جاوزها وقد قال تعالى فى علة الاسراء لنريه من آياتنا فقوله تعالى مازاغ البصر وماطغى يفيد انه صلى الله عليه وسلم اعطى قوة البصر بحيث انه لا يحصل له تخييل فى شيء رآه حتى يكون على خلاف الواقع بل متى تعلق بمبصر أدركه على ماهو به في الواقع وان كان فى غاية الخفاء وروى البيهقي عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يري بالليل فى الظلمة كما يري بالنهار فى

عليه وسلم ثم صار اليه الثالث الذى هو اليماني قال ومر النبي صلى الله عليه وسلم باخت عدي وقامت اليه وكانت امرأة جذلة اي ذات وقار وعقل وكلمته صلى الله عليه وسلم ان يمن عليها فمن عليها فاسلمت رضي الله تعالى عنها وخرجت الى اخيها عدي فاشارت اليه بالقدوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم عليه كما سيأتي في الوفود ويذكر انها قالت له صلى الله عليه وسلم يا محمد ارأيت ان تخلي عنا ولا تشمت بنا احياء العرب فاني ابنة سيد قومي وان ابي كان يحمي الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العاري ويقري الضيف ويطعم الطعام ويفشي السلام ولم يرد طالب حاجة قط انا ابنة حاتم طيء فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق اي وفي لفظ قالت له صلى الله عليه وسلم يا محمد ارأيت ان تمن علي ولا تفضحني في قومي فاني بنت سيدهم ان ابي كان يطعم الطعام ويحفظ الجوار ويرعى الذمار ويفك العاني ويشبع الجائع ويكسو العريان ولم يرد طالب حاجة قط انا بنت حاتم الطائي فقال لها صلى الله عليه وسلم هذه مكارم الاخلاق حقا ولو كان ابوك مسلما لترحمت عليه خلوا عنها بان اباها كان يحب مكارم الاخلاق وان الله يحب مكارم الاخلاق وفي رواية انها قالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك قال ومن وافدك قالت عدي بن حاتم قال الفار من الله ورسوله اي لانه هرب لما رأى الجيش كما سيأتي في الوفود قالت ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني حتى اذا كان من الغد قلت له كذلك وقال لي مثل ذلك ففي اليوم الثالث اشار الي رجل خلفه بان كلميه فكلمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فعلت فلا تعجلي حتى يجيء من قومك من يكون لك ثقة يبلغك الى بلادك فآذنيني اي اعلميني وسألت عن الرجل الذي اشار علي بكلامه فقيل لي انه علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه قالت فصبرت حتى قدم علي من اثق به فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة قالت فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملني واعطاني نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على اخي انتهى

﴿ سرية علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه الى بلاد مذحج ﴾

بفتح الميم واسكان الذال المعجمة ثم حاء مهملة مكسورة ثم جيم كمسجد ابو قبيلة من اليمن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه الى بلاد مذحج من ارض اليمن في ثلثمائة فارس وعقد له لواء وعممه بيده وقال امض ولا تلتفت فاذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك فكانت اول خيل دخلت الى تلك البلاد ففرق اصحابه رضي الله تعالى عنهم فاتوا بنهب بفتح النون وغنائم واطفال ونساء ونعم وشاء وغير ذلك وجعل على الغنائم بريدة من الحصيب بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ثم لقي جمعهم ودعاهم الى الاسلام فابوا ورموا بالنبل والحجارة فصف اصحابه ودفع لواءه الى مسعود بن سنان ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلا فانهزموا وتفرقوا فكف عن طلبهم ثم دعاهم الى الاسلام فاسرع

الضوء والمعنى ان رؤيته في النهار الصافي والليل المظلم متساوية لان الله تعالى لما رزقه الاطلاع بالباطن والاحاطة بادراك مدركات القلوب جعل له مثل ذلك في مدركات العيون * وروى البيهقي وابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الظلماء كما يرى في الضوء وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يرى المحسوس من وراء ظهره كما يراه من امامه فقد روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتي ههنا فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا سجودكم * وفي رواية ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم اني لاراكم من وراء ظهري * وفي رواية لمسلم عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود فاني اراكم من امامي ومن خلفي وعن مجاهد انه صلى الله عليه وسلم كان يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه وهذه الرؤية رؤية ادراك وابصار حقيقية خاصة به صلى الله عليه وسلم انخرقت له فيها العادة فهي من المعجزات والرؤية عند اهل السنة لا تتوقف عقلا على مقابلة ولا على اتصال اشعة من الرائي متصلة بالمرئي نعم ذلك شرط بحسب العادة وقد خرق الله العادة لنبيه صلى الله عليه وسلم كما يخرقها للمؤمنين يوم القيامة يرون ربهم من غير شرط من تلك الشروط * ومما يدل على قوة بصره صلى الله عليه وسلم وان الله اعطاه قوة خارقة للعادة انه كان يرى في الثريا ومتابعته اثني عشر نجما لم يتحقق للناس منها غير ستة او سبعة ولم ير جميعها غير النبي صلى الله عليه وسلم لقوة جعلها الله في بصره ومن قوة بصره صلى الله عليه وسلم انه كان يرى الملائكة والشياطين ورفع له النجاشي حتى صلى عليه ورأى بيت المقدس حين وصفه لقريش ورأى الكعبة من المدينة حين بنى مسجده ورأى جبريل في صورته وله ستمائة جناح وجاء في حديث ابن ابي هالة رضي الله عنه انه

صلى الله عليه وسلم كان اذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره الي الارض اكثر من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة فقوله اذا التفت التفت جميعا أراد انه لا يسارق النظر ولا يلوي عنقه يمنة ولا يسرة اذ لا يفعل ذلك الا الطائش الخفيف ولكنه صلي الله عليه وسلم كان يقبل جميعا ويدبر جميعا وقوله خافض الطرف معناه أنه اذا نظر الى شيء خفض بصره ولا ينظر الي الاطراف والجوانب بلا سبب بل لم يزل مطرقا متوجها الى عالم الغيب مشغولا بحاله متفكرا في أمور الآخرة لان هذا شان

ومتابعته نفر من رؤسائهم وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالي وجمع علي كرم الله وجهه الغنائم فجزأها على خمسة أجزاء فكتب في سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم الباقي على أصحابه ثم رجع علي كرم الله وجهه فوافي النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قدمها للحج اى حجة الوداع وذكر بعضهم انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا كرم الله وجهه في سرية الى اليمن فاسلمت همدان كلها في يوم واحد فكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ كتابه خر ساجدا ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع أهل اليمن الى الاسلام قال في الاصل ان هذه السرية هي الاولى وماقبلها السرية الثانية

﴿ سرية خالد بن الوليد رضي الله تعالي عنه ﴾

الى اكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل وكان نصرانيا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد في اربعمائة وعشرين فارسا في رجب سنة تسع الى اكيدر بدومة الجندل وقال له انك ستجده يصيد البقر فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين وكانت ليلة مقمرة صافية وهو على سطح له ومعه امرأته فجاءت البقر تحك بقرونها باب الحصن فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله قالت فمن يترك هذه قال لا أحد فنزل فامر بفرسه فاسرج وركب معه نفر من أهله فيهم أخ له يقال له حسان فتلقتهم خيل خالد فاستاسر اكيدر وقاتل أخوه حتى قتل وأجار خالد اكيدر من القتل حتى يأتى به رسول الله صلي الله عليه وسلم على ان يفتح له دومة الجندل وكان على اكيدر قباء من ديباج مخوصة اي فيها خوص منسوجة بالذهب مثل خوص النخلة فاستلبه خالد اياها وارسلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتعجبت الصحابة منها فقال صلى الله عليه وسلم لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا اى وقد تقدم وصالح على أهل دومة الجندل بالفي بعير وثمانمائة رأس واربعمائة درع واربعمائة رمح ثم خرج خالد باكيدر واخيه مصاد قافلا الى المدينة فقدم بالاكيدر على رسول الله صلي الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه ودم أخيه وخلى سبيلهما وكتب له كتابا فيه امانهم وختمه يومئذ بظفره اى ومن جملة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لاكيدر حين اجاب الى الاسلام وخلع الانداد والاصنام مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل واكنافها الي آخره وهذا كما لا يخفى يدل على ان اكيدر اسلم اى وهو الموافق لقول ابى نعيم وابن منده باسلامه وانه معدود من الصحابة وأهدي الى النبي صلي الله عليه وسلم حلة فوهبها صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب وذكر ابن الاثير أى في أسد الغابة ان القول باسلامه غلط فاحش فانه لم يسلم بلا خلاف بين أهل السير وحينئذ يكون قوله في الكتاب حين اجاب الى الاسلام اى انقاد اليه ويبعده قوله وخلع الانداد والاصنام فليتأمل وانه صلى الله عليه وسلم لما صالحه عاد الي حصنه وبقي فيه على نصرانيته ثم ان خالدا رضي الله تعالى عنه حاصره في زمن ابى بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما فقتله لنقضه العهد قال ابن الاثير وذكر البلادرى ان

المتواضع المتفكر المشتغل بربه وقيل هو كناية عن شدة حيائه ولين جانبه او عدم كثرة سؤاله واستقصائه وقوله نظره الى الارض أكثر من نظره الى السماء اي حال السكوت وعدم التحدث لانه اجمع للفكرة واوسع للاعتبار لاشتغاله بالباطن واعماله جنانه فيما بعث لاجله او لكثرة حيائه وأدبه مع ربه أولانه بعث لتربية أهل الارض لا أهل السماء والاول احسن وقوله جل نظره الملاحظة معناه أنه يلاحظ الشيء بمؤخر عينه من غير التفات فلا ينافي قوله واذا التفت التفت جميعا وقيل المراد من الملاحظة المراقبة وقيل المراد أن نظره الي الاشياء لم يكن كنظر أهل الحرص على الدنيا وزخرفها عملا بقوله تعالى ولا تمدن عينيك الآية وفي حديث الشمايل في وصف علي رضي الله عنه للنبي صلي الله عليه وسلم قال كان صلي الله عليه وسلم ادعج العينين وهو شدة سواد العين مع سعتها اهدب الاشفار جمع شفر بالضم وهي حروف الاجفان التي ينبت عليها الشعر والمراد انه طويل شعر الاشفار مشرب العين بحمرة وهي عروق حمر رقاق * وفي رواية لجابر بن سمرة رضي الله عنهما انه صلي الله عليه وسلم اشكل العينين والشكلة هي الحمرة تكون في بياض العين وذلك محبوب محمود قال الحافظ العراقي وهي احدى علامات نبوته صلي الله عليه وسلم ولما سافر مع ميسرة الى الشام سال عنه الراهب فقال افي عينيه

اكيدر لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم أسلم ثم بعد موته صلى الله عليه وسلم ارتد ثم قتله خالد أى بعد أن عاد من العراق الى الشام قال وعلى هذا القول لا ينبغي ان يذكر في الصحابة والا كان كل من اسلم في حياته صلى الله عليه وسلم ثم ارتد أي ومات مرتدا يذكر في الصحابة اي ولا قائل بذلك ثم رأيت الذهبي قال في عمارة بن قيس بن الحرث الشيباني انه ارتد وقتل مرتدا في خلافة ابى بكر وبهذا خرج عن أن يكون صحابيا بكل حال

﴿ سرية اسامة بن زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهم ﴾

الى ابنى بضم الهمزة ثم موحدة ثم نون مفتوحة مقصورة اسم موضع بين عسقلان والرملة وفى كلام السهيلي رحمه الله وهى قرية عند مؤتة التى قتل عندها زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنهما لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة امر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لغزوة الروم ولما كان من الغد دعا صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال سر الى موضع قتل أبيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل ابنى وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الاخبار فان ظفرك الله عليهم فاقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك فلما كان يوم الاربعاء بدأ به صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد صلى الله عليه وسلم لاسامة لواء بيده ثم قال اغز بسم الله وفى سبيل الله وقاتل من كفر بالله فخرج رضي الله تعالى عنه بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من وجوه المهاجرين والانصار الا انتدب لذلك منهم ابو بكر وعمر وابو عبيدة الجراح وسعد بن أبي وقاص رضى الله تعالى عنهم فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الاولين والانصار أي لان سن أسامة رضى الله تعالى عنه كان ثمان عشرة وقيل تسع عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة ويؤيد ذلك أن الخليفة المهدي لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية الذي يضرب به المثل في الذكاء وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة فقال المهدي أف لهذه العثانين أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ثم التفت اليه المهدي وقال كم سنك يافتى فقال سني أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن اسامة بن زيد بن حارثة رضى الله تعالي عنهم لما ولاه رسول الله صلي الله عليه وسلم جيشا فيهما ابو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فقال تقدم بارك الله فيك وكان سنه سبع عشرة سنة ومما يؤثر عنه من لم يعرف عيبه فهو أحمق وقيل له ما عيبك يا أبا واثلة قال كثرة الكلام وقيل كان عمر اسامة رضى الله تعالى عنه عشرين سنة ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهم وطعنهم في ولايته مع حداثة سنه غضب صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تاميري اسامة ولئن طعنتم في تاميري اسامة لقد طعنتم في امارتي أباه من قبله وايم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق للامارة وان كان لمن أحب

الناس

حمرة فقال ماتفارقه فقال الراهب وهو * وفي رواية عن على رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان ادعج العينين اهدب الاشفار مقرون الحاجبين * وفي رواية أزج الحواجب سوابغ من غير قرن يعني ان طرف حاجبيه قد سبغا أى طالا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا وهذا هو مراد من قال مقرون الحاجبين ولا تنافي بين الروايتين * وفى رواية بعد قوله أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أى يحركه ويظهره أى يظهر ويرتفع عند الغضب * وفى المواهب عن على رضى الله عنه قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقمت لاخطب يوما اى اعظهم وأذكرهم ليتمكن ايمان من آمن ويؤمن من لم يكن آمن فخطبت وحبر من احبار اليهود واقف بيده سفر اى كتاب كبير ينظر فيه فلما رآني قال لي صف لي أبا القاسم فقلت ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحديث يعني المذكور فيه جملة من أوصافه صلى الله عليه وسلم قال على رضي الله عنه ثم سكت فقال الحبر وماذا فقلت هذا ما يحضرني الآن اى من صفته قال الحبر في عينيه حمرة حسن اللحية فقال على قد والله صفته قال الحبر فاني اجد هذه الصفة التي وصفتها يا علي والتي ذكرتها لك في سفر آبائي واني اشهد انه رسول الله الى الناس كافة * واما سمعه الشريف صلى الله عليه وسلم فحسبك انه قال اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها ان تئط ليس فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى رواه الترمذي والامام احمد وابن ماجه والحاكم وصححوه كلهم من رواية ابي ذر رضى الله عنه وقوله اطت بفتح الهمزة وشد الطاء اى صاحت من ازدحام الملائكة وكثرة الساجدين فيها وروى ابو نعيم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه اذ قال لهم تسمعون ما اسمع قالوا ما نسمع من شيء قال اني لأسمع أطيط السماء وما تلام ان تئط وما فيها موضع شبر الا وعليه ملك

ساجدا وقائم * وأما جبينه صلى الله عليه وسلم فقد جاء في وصفه انه كان واضح الجبين والمراد جنس الجبين لان لكل انسان جبينين وهما مكتنفان الجبهة يمينا وشمالا * وفي رواية صلت الجبين أي واسع الجبينين والمراد سعتهما امتدادهما طولا وعرضا وسعتهما محمودة عند كل ذي ذوق سليم وذكر ابن ابي خيثمة انه صلي الله عليه وسلم كان اجلى الجبين اذا طلع جبينه أي اذا طلع بوجهه على الناس تراءى جبينه كانه السراج المتوقد يتلألأ وكانوا يقولون هو كما قال حسان رضي الله عنه

متى يبد في الليل البهيم جبينه
يلح مثل مصباح الدجا المتوقد
فمن كان أو من قد يكون كاحمد
نظام لحق أو نكال لملحد

وروى البيهقي عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم ولا ضرر في ابهامه لان الصحابة كلهم عدول قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين ولله در سيدي محمد وفي رضي الله عنه حيث يقول في وصفه صلى الله عليه وسلم

جبينه مشرق من فوق طرته
يتلوا الصحى ليله والليل كافره
بالمسك خطت على كافور جبهته
من فوق نونا تهاسينا ضفائره
مكمل الخلق ما تحصى خصائصه
منضر الحسن قد قلت نظائره

وعن مقاتل أوحى الله الى عيسى عليه السلام اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البتول اني خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فاياي فاعبد وعلي فتوكل فسر لاهل سوران اني انا الله الحي القيوم لا أزول فصدقوا النبي الامي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الاهدب الاشفار الادعج العينين الاقني الانف الواضح الخدين أى سهل الخدين ليس فيهما نتوء ولا ارتفاع الكث اللحية عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريحه كالمسك ينفح منه كان عنقه ابريق

الناس الي وانهما لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم وتقدم أنه رضي الله تعالى عنه كان يقال له الحب ابن الحب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح خشمه وهو صغير بثوبه ثم نزل صلي الله عليه وسلم فدخل بيته وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع اسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى العسكر بالجرف وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول ارسلوا بعث اسامة أى واستثنى صلى الله عليه وسلم أبا بكر وامره بالصلاة بالناس أى فلا منافاة بين القول بان ابا بكر رضي الله عنه كان من جملة الجيش وبين القول بانه تخلف عنه لانه كان من جملة الجيش أولا وتخلف لامره صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وبهذا يرد قول الرافضة طعنا في أبي بكر رضى الله عنه انه تخلف عن جيش اسامة رضى الله عنه لما علمت ان تخلفه عنه كان بامر منه صلى الله عليه وسلم لاجل صلاته بالناس وقول هذا الرافضى مع انه صلي الله عليه وسلم لعن المتخلف عن جيش اسامة مردود لانه لم يرد لعن في حديث اصلا فلما كان يوم الاحد اشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ودخل اسامة من عسكره والنبي صلي الله عليه وسلم مغمور وطاطا رأسه فقبله وهو صلي الله عليه وسلم لا يتكلم فجعل يرفع يديه الي السماء ثم يضعهما على اسامة رضى الله عنه قال اسامة فعرفت انه صلي الله عليه وسلم يدعو لي ورجع اسامة رضي الله عنه الى عسكره ثم دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فقال له صلى الله عليه وسلم اغد على بركة الله فودعه اسامة وخرج الى معسكره وامر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب اذا رسول امه أم أيمن رضي الله عنها قد جاءه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يموت وفي لفظ وسار حتى بلغ الجرف فارسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول له لا تعجل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل فاقبل وأقبل معه عمر وابو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنهم فانتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس أي وفي لفظ انه رضي الله عنه لما نزل بذي خشب قبض النبي صلي الله عليه وسلم فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الي المدينة ودخل بريدة بلواء اسامة حتى أتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده ولما بويع لابي بكر رضى الله عنه بالخلافة أمر بريدة ان يذهب باللواء الي بيت اسامة وان يمضي اسامة لما أمر به فلما مات صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب أى فانه لما اشتهرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق وقويت نفوس اهل النصرانية واليهودية وصارت المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية وارتدت طوائف من العرب وقالوا نصلي ولا ندفع الزكاة وعند ذلك كلم ابو بكر رضى الله عنه في منع اسامة من السفر أي قالوا له كيف يتوجه هذا الجيش الي الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فابي أى وقال والله الذى لا اله الا هو لو جرت الكلاب بارجل ازواج رسول الله صلي الله عليه وسلم ما ارد جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء عقده وفي لفظ والله لان تخطفني الطير أحب الي من ان أبدا بشيء قبل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم * أقول ذكر بعضهم ان اسامة رضى الله

عنه وقف بالناس عند الخندق وقال لسيدنا عمر ارجع الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذنه أن ياذن لي ان أرجع بالناس فان معي وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم وثقله واثقال المسلمين ان يتخطفهم المشركون وقالت له الانصار رضي الله عنهم فان أبى أبو بكر الاان يمضي اي الجيش فابلغ منا السلام واطلب اليه ان يولى امرنا رجلا اقدم سنا من اسامة فقدم عمر على أبى بكر رضى الله عنهما واخبره بما قال اسامه فقال ابو بكر والله لو تخطفني الذئاب والكلاب لم أرد قضاء قضي به رسول الله ﷺ قال عمر رضى الله عنه فان الانصار امروني ان ابلغك انهم يطلبون ان تولى أمرهم رجلا أقدم سنا من اسامة فوثب ابو بكر وكان جالسا واخذ بلحية عمر وقال ثكلتك امك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتامرني ان أنزعه فخرج عمر الى الناس فقال امضوا ثكلتكم امهاتكم ما لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا هذا كلامه وفيه ان هذا مخالف لما تقدم من صعوده صلى الله عليه وسلم المنبر وانكاره على من طعن في ولاية اسامة اذ يبعد عدم بلوغ ذلك الانصار رضى الله عنهم الا أن يقال لعل من قال لسيدنا عمر هذه مقالة جمع من الانصار لم يكونوا سمعوا ذلك ولا بلغهم أو جوزوا ان الصديق رضي الله عنه يوافق على ذلك حيث رأى فيه المصلحة وسيدنا عمر رضى الله عنه جوز ذلك حيث لم يتكفل بالرد عليهم بانه صلى الله عليه وسلم انكر على من طعن في ولاية اسامة رضى الله عنه فليتامل والله أعلم وكلم أبو بكر رضى الله عنه اسامة في عمر رضي الله عنه ان ياذن لي في التخلف ففعل ولعل ذلك كان تطييبا لخاطر اسامة ومن ثم كان عمر رضي الله عنه لا يلقي اسامة الا قال السلام عليك ايها الامير كما ياتى فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة أحدي عشرة خرج اسامة رضي الله عنه أى في ثلاثة آلاف فيهم الف فرس وودعه سيدنا ابو بكر رضى الله عنه بعد ان سار الى جانبه ساعة ماشيا وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود براحلة الصديق فقال أسامة يا خليفة رسول الله أما ان تركب وأما ان انزل فقال والله لست بنازل ولست براكب ثم قال له الصديق رضى الله عنه استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك وقد وقع نظير ذلك لرسول الله صلى الله علية وسلم لما بعث معاذا رضي الله عنه الي اليمن شيعة صلى الله عليه سلم وهو يمشى تحت راحلة معاذ وهو يوصية ثم ان اسامة رضي الله عنه سار الى أهل ابنى فشن عليهم الغارة أى فرق الناس عليهم وكان شعارهم يا منصور امت فقتل من قتل واسر من اسر وحرق منازلهم وحرق ارضها فازال نخلها وأجال الخيل فى عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين احد وكان اسامة رضى الله عنه على فرس ابيه وقتل قاتل ابيه رضى الله عنهما واسهم للفرس سهمين وللفارس سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك فلما امسى أمر الناس بالرحيل وأسرع السير وبعث مبشرا الى المدينة بسلامتهم وخرج أبو بكر في المهاجرين والانصار ممن لم يكن في تلك السرية يتلقون اسامة ومن معه وسروا بسلامتهم ودخل اسامة رضي الله عنه واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد ثم انصرف الى بيته أى وكان في خروج هذا الجيش نعمة عظيمة وانه كان سببا لعدم ارتداد كثير من طوائف العرب ارادوا ذلك وقالوا لولا قوة اصحاب محمد صلى الله

فضه وفى حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في وصفه صلى الله علية وسلم قال كان صلي الله عليه وسلم أبيض كانما صيغ من فضة وفى حديث آخر من رواية هند بن ابى هالة رضي الله عنهم كان عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة والمراد وصف عنقه بالدمية وهو العاج فى الاشراق والاعتدال وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال لان صورة العاج يتانق الناس فى صنعتها وبالفضة في اللون والاشراق والجمال وقوله في الحديث السابق أقني الانف القنا في الانف طوله ودقة ارنبته مع حدب فى وسطه وهو معني قول ابن الاثير وهو السائل الانف المرتفع وسطه ووصف صلى الله عليه وسلم بانه دقيق العرنين أى أعلى الانف حيث يكون الشمم وهو ما تحت مجتمع الحاجبين وقال ابن ابى هالة رضي الله عنه أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتامله أشم أي وليس هو باشم والاشم الطويل قصبة الانف مع استواء اعلاه * وأما رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم فتدل على وصفه قول غير واحد انه صلى الله عليه وسلم كان عظيم الهامة أى الرأس وفي رواية البيهقى عن على رضي الله عنه ضخم الرأس أى عظيمة من غير افراط وهو محبوب ممدوح لانه اعون على الادراكات ونيل الكمالات اما مع الافراط في العظم فهو آية البلادة * وأما فمه الشريف صلى الله عليه وسلم ففي مسلم من حديث جابر بن سمرة رضى الله عنهما أنه صلي الله عليه وسلم كان ضليع الفم أى عظيمه اوواسعه من غير افراط والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم لدلالة السعة على الفصاحة والصغر على ضددها والمولدون من الشعراء يمدحون صغره وهو خطأ منهم أو لمعني لا يلتفت اليه او ان ذلك بالنسبة للنساء عليه وزاد فى حديث بن ابى هالة رضي الله عنه كان يفتتح الكلام ويختتمه باشداقه أى جوانب فمه وفي حديث عن البزار والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسع الفم اشنب مفلج الاسنان والشنب رونق الاسنان وماؤها وتحديدها

ومفلج الاسنان متفرقها وقال علي رضي الله عنه مبلج الثنايا بالموحدة أي براقها وجاء في رواية براق الثنايا أي مضيئها وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم افلج الثنيتين اي بعيد ما بين الثنايا والرباعيات اذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه وكان صلى الله عليه وسلم قوي الاسنان وهذا هو المراد من رواية عظيم الاسنان فالمراد شدتها وقوتها وتمامها ولا يتوهم من سياق المدح غير هذا وكان عليه الصلاة والسلام أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم وكان صلى الله عليه وسلم ضخم الكراديس وهي رؤس العظام وذلك يدل على وفور المادة وقوة الحواس وكثرة الحرارة وكمال القوي وفي رواية جليل المشاش والكتد وفسر برؤس العظام كالركبتين والمرفقين اي عظيمهما وفي الصحاح المشاش رؤس الاصابع اللينة التي يمكن مضغها والكتد بفتحتين مجتمع الكتفين وفي المواهب عن ابي قرصافة أي وهو جندرة بن خشينة الكناني الليثي الصحابي رضي الله عنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وأمي وخالتي فلما رجعنا قالت لي أمي وخالتي يا بني ما رأينا مثل هذا الرجل اي خلقا وخلقا لا أحسن وجها ولا انقي ثوبا ولا الين كلاما ورأينا كالنور يخرج من فيه * وأما ريقه صلى الله عليه وسلم فحسبك ما تقدم في قصة فتح خيبر لما بصق في عيني علي رضي الله عنه وهو رمد فبرئ من ساعته حتى كان لم يكن به وجع وروى الطبراني انه عليه الصلاة والسلام دخلت عليه عميرة بنت مسعود الانصارية هي وأخواتها يبايعنه فوجدنه يأكل قديدا أي لحما مقددا فمضغ لهن قديدة فاخذتها فمضغت كل واحدة منهن قطعة منها فلقين الله اي متن وما وجد لافواههن خلوف اي تغير رائحة وتقدم في معجزة ظهور الآثار العجيبة فيما لمسه ذكر جملة من بركات ريقه صلى الله عليه وسلم وروى ابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم اعطي الحسن بن علي رضي الله عنهما لسانه وكان قد اشتد ظمؤه فمصه حتى روى وروى الطبراني ان امراة بذية اللسان جاءته صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم ماخرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على الاسلام اي وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بعد ان ولي الخلافة اذا رأى اسامة رضي الله عنه قال السلام عليك ايها الامير فيقول اسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا فيقول لا أزال ادعوك ما عشت الامير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت علي أمير وفي السيرة الشامية سرايا أخر تركنا ذكرها تبعا للاصل * وفي السنة الثامنة امر صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضي الله عنه ان يحج بالناس وهو بمكة وقد كان صلى الله عليه وسلم استعمله عليها لما أراد الخروج الى حنين وقيل لما رجع من حنين واستمر اميرا على مكة حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقره الصديق رضي الله عنه الى ان توفي وكانت وفاته يوم وفاة الصديق رضي الله عنهما أي لانه أطعم سم سنة في اليوم الذي اطعم فيه الصديق ذلك وكان ذلك الحج على ما كانت عليه العرب في الجاهلية من حج الكفار مع المسلمين لكن كان المسلمون بمعزل عنهم في الموقف ولما دخلت سنة تسع استعمل صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه على الحج فخرج في ثلثمائة رجل من المدينة وبعث معه صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة قلدها صلى الله عليه وسلم واشعرها بيده الشريفة وساق أبو بكر رضي الله عنه خمس بدنات ثم تبعه علي كرم الله وجهه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء اي بفتح القاف والمد وقيل بالضم والقصر ونسب للخطا فقال له أبو بكر رضي الله عنه استعملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج قال لا ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس وانبذ على كل ذي عهد عهده وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عاما وخاصا فالعام ان لا يصد احد عن البيت جاءه ولا يخاف احد في الاشهر الحرم كما تقدم والخاص بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب الى آجال مسماة وفي كلام السهيلي رحمه الله تعالى لما ارد ف ابو بكر بعلي رضي الله عنهما رجع أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله هل انزل في قرآن قال لا ولكن اردت ان يبلغ عني من هو من أهل بيتي فمضى أبو بكر رضي الله عنه فحج بالناس اي في ذي الحجة لا في ذي القعدة كما قيل من اجل النسيء الذي كان في الجاهلية يؤخرون له الاشهر الحرم اي فان براءة نزلت اي صدرها والا فقد نزل منها قبل ذلك في غزوة تبوك انفروا خفافا وثقالا الآيات وكان نزول صدرها بعد سفر أبي بكر رضي الله عنه فقيل له صلى الله عليه وسلم لو بعثت بها الى ابي بكر لا يؤدي عني الا رجل من اهل بيتي ثم دعا صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقال اخرج بصدر براءة واذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى فقرأ علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه براءة يوم النحر اي الذي هو يوم الحج الاكبر عند الجمرة الاولى وقال لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال امرني علي كرم الله وجهه ان اطوف في المنازل من منى ببراءة فكنت اصيح حتى صحل حلقي فقيل له بماذا كنت تنادي فقال باربع ان لا يدخل الجنة الا مؤمن وان لا يحج بعد العام مشرك وان لا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد فله عهد اربعة اشهر ثم لا عهد له وأول تلك الاربعة يوم النحر من ذلك العام ومن لا عهد له فعهده الى انقضاء المحرم وكان

وهو يأكل قديدا فقالت ألا تطعمني فناولها من بين يديه فقالت لا الا الذي في فيك فأخرجه فأعطاه لها فأكلته فلم يعلم منها بعد ذلك شيء مما كانت عليه من البذاءة * وأما فصاحة لسانه صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فكان صلى الله عليه وسلم افصح خلق الله كلاما وأعظمهم نظاما وأسرعهم اداء حتى ان كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ففصاحة كلامه غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يداني منتهاها وكيف لا يكون كذلك وقد جعل الله لسانه سيفا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعوا اليه عباده ويكشف عن مراده بحقيقة ذكره فهو افصح خلق الله اذا لفظ وانصحهم اذا وعظ لا يقول هجرا ولا ينطق هذرا أي لا يخلط في كلامه ولا ينطق بما لا ينبغي لانه كان أشد حياء من العذراء في خدرها كلامه كله يثمر علما وشرعا وحكما لا يتفوه بشر بكلام أحكم منه في مقالته ولا أجزل منه في عذوبته وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه وأقام الله به الحجة على عباده ببيانه وبين مواضع فروضه واوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده وارشاده ان يكون احكم الخلق جنانا وافصحهم لسانا واوضحهم بيانا وقد كان عليه الصلاة والسلام اذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بهذرمسرع لا يحفظ وروى مسلم والبخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث سردا وفي رواية انما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما تفهمه القلوب كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه والمراد المبالغة في الترتيل والتفهيم وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يعيد الكلمة ثلاثا حتى تعقل عنه وروى ابن عساكر وأبو نعيم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال له يا رسول الله مالك افصحنا ولم تخرج من بين اظهرنا فقال كانت لغة اسمعيل قد درست فجاء ني بها جبريل فحفظتها وروى العسكري ان علي بن أبي طالب

المشركون اذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلي كرم الله وجهه سترون بعد الاربعة اشهر فانه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن والضرب وانما امر صلى الله عليه وسلم بما ذكر لانهم كانوا يحجون مع المسلمين ويرفعون اصواتهم بقولهم لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك اي وتقدم سبب الاتيان بذلك ويطوف رجال منهم عراة ليس على رجل منهم ثوب بالليل يقول الواحد منهم اطوف بالبيت كما ولدتني امي ليس على شيء من الدنيا خالطه الظلم اي وفي لفظ التي قارفنا فيها الذنوب وكان لا يطوف الواحد منهم بثوب الا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره او يكتريه واذا طاف بثوب من ثيابه ألقاه بعد طوافه فلا يمسه هو ولا احد غيره ابدا فكانوا يسمون تلك الثياب اللقى وفي الكشاف كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا بان يتعروا من الذنوب كما يتعرون من الثياب وكانت النساء يطفن كذلك وقيل كانت الواحدة تلبس درعا مفرجا وقد طافت أمرأة عريانة ويدها على قبلها وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا احله

فانزل الله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق فابطلت ذلك سورة براءة في تلك السنة اى وقيل الزينة المشط وقيل الطيب وكان بنو عامر في ايام الحج لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجتهم فقال المسلمون فانا أحق ان نفعل ذلك فقيل لهم كلوا واشربوا ولا تسرفوا ويحكى ان بعض الاطباء الحذاق من النصارى قال لبعض العلماء ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في بعض آية من كتابه قال له وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم صلى الله عليه وسلم شيء من الطب قال قد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال ذلك الطبيب ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس شيئا وبينت براءة ان من كان له عهد فعهده الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله الى اربعة أشهر وفي لفظ لما لحق علي كرم الله وجهه ابا بكر رضي الله عنه قال له أبو بكر اميرا او مأمور قال بل مأمور وزعمت الرافضة انه صلى الله عليه وسلم عزل ابا بكر عن امارة الحج بعلي وعبارة الرافضة ولما تقدم أبو بكر بسورة براءة رده صلى الله عليه وسلم بعد ثلاثة أيام بوحي من الله وكيف يرضى العاقل امامة من لا يرتضيه النبي صلى الله عليه وسلم بوحي من الله لاداء عشر آيات من براءة هذا كلامه قال الامام ابن تيمية رحمه الله وهذا أبين من الكذب فان من المعلوم المتواتر أن ابا بكر رضي الله عنه لم يعزل وانه حج بالناس وكان علي كرم الله وجهه من جملة رعيته في تلك السفرة يصلي خلفه كسائر المسلمين ولم يرجع الى المدينة حتى قضى الحج في ذلك العام وانما اردف صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه بعلي كرم الله وجهه لنبذ العهود وكان من عادة العرب لا ينبذ العهد الا المطاع او رجل من اهل بيته أي فلو تلا أبو بكر رضي الله عنه ما فيه نقض عهد عاهد عليه رسول الله صلى الله

عليه

رضي الله عنه قال لما قدمنا نوفد على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث المتقدم في المكاتبات وفيه ذكر خطبتهم وما أجابهم به النبي صلى الله عليه وسلم وكلمهم بما هو معروف من لغتهم قال علي فقلنا يا نبي الله نحن بنو أب واحد ونشأنا في بلد واحد وانك لتكلم العرب بلسان ما نعرف أكثره قال ان الله عز وجل أدبني فأحسن تأديبي ونشأت في بني سعد بن بكر وتقدم في المكاتبات جمل كثيرة من مخاطباته ومكاتباته صلى الله عليه وسلم لقبائل العرب وتكليم كل قبيلة

بما تعرفه وذلك يدل على كمال فصاحته وبلاغته ومعرفته وسعة اطلاعه على لغات العرب قال في المواهب وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته الى شاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند وقد جمع العلماء من كلامه الموجز البديع الذي لم يسبق اليه دواوين وفي كتاب الشفا للقاضي عياض من ذلك ما يشفي العليل ثم ذكر في المواهب جملة من ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وكقوله الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شئت وقوله جمال الرجل فصاحة لسانه وقوله انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم وفي رواية ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق وقوله الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقوله الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه وقوله القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى وقوله الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم وحسن الخلق نصف الدين وقوله لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف عن الحرام ولا حسب كحسن الخلق وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما حرم الله وقوله التجاوز عن الذنب لا يزيد العبد الا عزا وصنائع المعروف تقي مصارع السوء والتواضع لا يزيد العبد الا رفعة وما نقص مال من صدقة وقوله اخسر الناس صفقة

عليه وسلم ربما تمالؤوا وقال قائلهم هذا خلاف ما نعرف فاراح الله منهم بكون ذلك على يد رجل من بني ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم الادني اليه ممن له ذرية وهو عبد المطلب قال وهذا غير بعيد من افتراء الرافضة وبهتانهم اي وعلى عادة العرب بما ذكرناه قوله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عني الا رجل من اهل بيتي كما تقدم وفي لفظ الا رجل مني اي لا يبلغ عني عقد العقود ولا حلها الا رجل مني اي من بني ابي الادني ولا اب له ذرية ادني اليه صلى الله عليه وسلم من عبد المطلب ولا يجوز حمل ذلك على تبليغ الاحكام والقرآن اذ كل احد من المسلمين مأذون له في تبليغ ذلك عنه صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة التي هي سنة تسع تتابعت الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قيل لها سنة الوفود

﴿ باب يذكر فيه ما يتعلق بالوفود التي وفدت عليه صلى الله عليه وسلم ﴾

أي غير من تقدم فقد تقدم انه قدم عليه صلى الله عليه وسلم وفد هوازن بالجعرانة وكذا وفد عليه بها مالك بن عوف النصري وذلك في آخر سنة ثمان أي ووفد نصارى نجران اي قبل الهجرة ووفد بني تميم في سرية عيينة بن حصن وذكر ابن سعد ان ذلك كان في المحرم سنة تسع ووفد عليه وفد نصارى نجران ايضا بعد الهجرة وكانوا ستين راكبا ودخلوا المسجد النبوي اي وعليهم ثياب الحبرة واردية الحرير مختمين بخواتم الذهب أي ومعهم هدية وهي بسط فيها تماثيل ومسوح فصار الناس ينظرون للتماثيل فقال صلى الله عليه وسلم اما هذه البسط فلا حاجة لي فيها واما هذه المسوح فان تعطونيها آخذها فقالوا نعم نعطيكها ولما رأي فقراء المسلمين ما عليه هؤلاء من الزينة والزي الحسن تشوقت نفوسهم الي الدنيا فانزل الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار الآيات وأرادوا أن يصلوا بالمسجد بعد ان حان وقت صلاتهم وذلك بعد العصر فاراد الناس منعهم فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا وقالوا قد كنا مسلمين قبلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم لحم الخنزير وزعمكم ان لله ولدا أي لان أحدهم قال له صلى الله عليه وسلم المسيح عليه السلام ابن الله لانه لا أب له وقال له آخر المسيح هو الله لانه أحيا الموتي وأخبر عن الغيوب وابرأ من الادواء كلها وخلق من الطين طيرا وقال له أفضلهم فعلام تشتمه وتزعم انه عبد فقال صلى الله عليه وسلم هو عبد الله وكلمته القاها الى مريم فغضبوا وقالوا انما يرضينا ان تقول انه اله وقالوا له صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فارنا عبد الله يحيي الموتى ويشفي الاكمه والابرص ويخلق من الطين طيرا فينفخ فيها فتطير فسكت صلى الله عليه وسلم عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقوله تعالى أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم ان الله امرني ان لم تنقادوا للاسلام ان اباهلكم ان ندعوا ونجتهد في الدعاء باللعنة على الكاذب

من أذهب آخرته بدنيا غيره وقوله ان من كنوز البر كتمان المصائب وقوله لاتظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك ومن عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله وقوله من ضمن لي ما بين لحييه ورجليه ضمنت له على الله الجنة وقوله لايكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه وقوله السعيد من وعظ بغيره وقوله انما الاعمال بالنيات وقوله نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله وأمثال هذه الاحاديث الجوامع مما اطال العلماء في شرحها وبيان مااشتملت عليه من المعاني والاحكام روي الترمذي عن عطية بن عروة السعدي رضي الله عنه قال قال لي النبي صلي الله عليه وسلم مااغناك الله فلا تسال الناس شيا فان اليد العليا هي المنطية والسفلى هي المنطاة ومال الله مسئول ومنطى قال وكلمنا رسول الله صلي الله عليه وسلم بلغتنا وقد كان من معجزاته وخصائصه صلى الله عليه وسلم ان يكلم كل ذى لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب الفاظها واساليب كلمها وكان احدهم لايتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربى وماذلك منه صلي الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الي الكافة طرا والى الناس سودا وحمرا فعلمه الله جميع اللغات قال تعالي وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أى لغتهم فلما بعثه للجميع علمه الجميع وكان كلامه صلى الله عليه وسلم باى لغة يقع في غاية البيان ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته الاقاصرا في الترجمة نازلا عن الاصل في تلك اللغة لابيناه صلى الله عليه وسلم فانه زاده الله تكريما وشرفا اذا تكلم باى لغة كان أفصح بها من أهلها وهو جدير بذلك فقد أوتى فى سائر القوي البشرية المحمودة زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الاصناف والاجناس بما لا يضبطه قياس ولا يدخل فى تحقيقه الباس ومن تكلمه صلي الله عليه وسلم بلغة الحبشة مارواه البخاري من قوله صلى الله عليه

وقالوا له يا أبا القاسم نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك فخلا بعضهم ببعض فقال بعضهم والله علمتم أن الرجل نبي مرسل وما لاعن قوم قط نبيا الا استؤصلوا أي أخذوا عن آخرهم وان أبيتم الا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا الى بلادكم وفى لفظ انهم ذهبوا الى بنى قريظة أى من بقى منهم وبنى النضير وبنى قينقاع واستشاروهم فاشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه وفي لفظ انهم وادعوه على الغد فلما أصبح صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلى رضي الله عنهم وقال اللهم هؤلاء أهلى أي وعند ذلك قال لهم الاسقف انى لارى وجوها لو سألوا الله أن يزيل لهم جبلا لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصرانى فقالوا لانباهلك وعن عمر رضى الله عنه انه قال للنبي صلي الله عليه وسلم لولاعنتهم يارسول الله بيد من كنت تاخذ قال ﷺ آخذ بيد على وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة وهذا أي زيادة عائشة وحفصة في هذه الرواية دل عليه قوله تعالى ونساءنا ونساءكم وصالحوه صلى الله عليه وسلم على الجزية صالحوه على الف حلة فى صفر والف في رجب ومع كل حلة أوقية من الفضة وكتب لهم كتابا وقالوا له أرسل معنا أمينا فارسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه وقال لهم هذا امين هذه الامة أى وفي رواية هذا هو القوى الامين وكان لذلك يدعى في الصحابة بذلك ويروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اما والذى نفسي بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ولولاعنونى لمسخوا قردة وخنازير ولاضرم الوادى عليهم نارا ولاستاصل الله تعالى نجران واهله حتى الطير على الشجر ولا حال الحول على النصاري حتى يهلكوا ووفد عليه صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة الداريون أبو هند الدارى وتميم الدارى وأخوه نعيم وأربعة آخرون وسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم أرضا من أرض الشام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا حيث شئتم قال أبو هند فنهضنا من عنده نتشاور في أى أرض ناخذ فقال تميم الداري رضي الله عنه نساله بيت المقدس وكورتها فقال أبو هند هذا محل ملك العجم وسيصير محل ملك العرب فاخاف ان لا يتم لنا قال تميم نساله بيت جيرون وكورتها فنهضنا الى رسول الله ﷺ فذكرنا له فدعا بقطعة من أدم وكتب لهم كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ماوهب محمد رسول الله ﷺ للداريين اذا اعطاه الله الارض وهب لهم بيت عينون وجيرون والمرطوم وبيت ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى ابد الابد شهد بذلك عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب ثم أعطانا كتابنا وقال انصرفوا حتى تسمعوا اني قد هاجرت قال أبو هند فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا عليه وسالناه ان يجدد لنا كتابا آخر وكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما انطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لتميم الدارى واصحابه اني انطيكم بيت عينون وجيرون والمرطوم وبيت ابراهيم عليه الصلاة والسلام برمتهم وجميع مافيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم من بعدهم ابد الابد فمن آذاهم آذاه الله شهد بذلك أبو بكر بن ابى قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن ابي طالب ومعاوية بن ابى سفيان وكتب نقل ذلك فى

وسلم لام خالد وهى بنت خالد بن سعيد بن العاص سناه سناه وفى رواية سنه سنه يعنى حسنة يصف لها خميصة أعطاها اياها وام خالد رضى الله عنها ولدت بأرض الحبشة وتربت بها فعرفت شيئاً من كلامهم وكقوله يكثر الهرج وفسروه بالقتل على لغة الحبشة وقوله فى قصة طعام جابر رضى الله عنه أن جابرا قد صنع لكم سورا ومعناه بالفارسية الطعام الذى يدعى اليه وروى ابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال هجر النبى صلى الله عليه وسلم وهجرت وصليت ثم جلست فالتفت لى وقال إلى شكم درد فقلت نعم يارسول الله فقال قم فصل فان فى الصلاة شفاء وشكم بكسر الشين وفتح الكاف وسكون الميم معناه بالفارسية البطن ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة ومعناه بالفارسية الوجع وهم يقدمون المضاف اليه على المضاف فقوله شكم درد معناه وجع بطن والمعنى على الاستفهام اى ألك وجع بطن فقال أبوهريرة رضى الله عنه نعم فقال له قم فصل فان فى الصلاة شفاء ورواه بعضهم دردم بزيادة ميم فى آخره وهذه الميم فى اللغة الفارسية ضمير المتكلم قال العلامة منلا على القارى فى شرحه على الشفا انه لايظهر لى وجه خطاب ابى هريرة رضى الله عنه بهذه الكلمة اللهم الا أن يحمل على المزاح والمطايبة فى المخاطبة يعنى كما اذا رأيت انسانا يشكو شيئا فاظهرت له ان بك مثل مابه من الشكوى اظهارا للمطايبة فى المخاطبة لزيادة المحبة وضبطه بعضهم أشكنب درد بفتح الهمزة وسكون الشين وفتح الكاف ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة ومعناها عندهم الكرش وقد يزيدون لها هاء فيقولون اشكنبه وذكر الكرش لايناسب تفسيره بوجع البطن الا أن يقال ان الكرش قد تطلق ويراد بها البطن قال منلا على وحديث العنب دودو يعنى اثنين اثنين والتمر يك يك يعنى واحدة واحدة فمشهور على ألسنة العامة ولا أصل له عند الخاصة والله

المواهب وأقره وخطب صلى الله عليه وسلم خطبة قال فيها حدثنى تميم الدارى وذكر خبر الجساسة اى لان تميما رضى الله عنه أخبره صلى الله عليه وسلم انه ركب البحر فتاهت به سفينته فسقطوا الى جزيرة فخرجوا اليها يلتمسون الماء فلقى انسانا يجر شعره فقال له من انت قال انا الجساسة قالوا فاخبرنا قال لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فاذا رجل مقيد فقال من أنتم قلنا ناس من العرب قال مافعل هذا النبى الذى خرج فيكم قلنا قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه قال فان ذلك خير لهم قال أفلا تخبرونى عن عين زغر مافعلت فاخبرناه عنها فوثب وثبة ثم قال مافعل نخل بيسان العرب هل اطعم ثمره فاخبرناه انه قد أطعم فوثب مثلها فقال أما لو قد أذن لى فى الخروج لوطئت البلاد كلها غير طيبة فأخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناس فقال هذه طيبة وذاك الدجال قال ابن عبد البر وهذا أولى مايخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار أى كما تقدم ووفد عليه صلى الله عليه وسلم وهو فى خيبر الاشعريون صحبة أبى موسى الاشعرى وصحبوا جعفر بن أبى طالب من الحبشة وقال صلى الله عليه وسلم فيهم كما تقدم اتاكم اهل اليمن هم أرق افئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال فى حق أهل اليمن يريد أقوام أن يضعوهم ويأبى الله الا أن يرفعهم والاشعرى نسبة الى أشعر واسمه نبت بن أدد بن يشجب وانما قيل له اشعر لان أمه ولدته والشعر على بدنه قال ولما فتحت مكة ودانت له صلى الله عليه وسلم قريش عرفت العرب انه لاطاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعداوته لان قريشا كانت قادة العرب ودخلوا فى دين الله أفواجا قال فى النهاية الوفد القوم يجتمعون ويردون البلاد واحدهم وافد اه والوفد رسول القوم يقدمهم وقد يراد به ماهو أعم من ذلك فيشمل من قدم غير رسول وحينئذ يكون من ذلك كعب بن زهير رضى الله تعالى عنه فانه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب ذلك أن أخاه بجير بن زهير خرج يوما هو وكعب فى غنم لهما فقال لاخيه كعب اثبت فى الغنم حتى آتى هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم واسمع كلامه واعرف ماعنده فأقام كعب ومضى بجير فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه وآمن به وذلك ان اباهما زهير كان يجالس اهل الكتاب ويسمع منهم انه قد آن مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير والدهما رضى الله تعالى عنهما انه قد مد بسبب من السماء وانه مد يده ليتناوله ففاته فاوله بالنبى صلى الله عليه وسلم الذى يبعث فى آخر الزمان وانه لايدركه وأخبر بنيه بذلك وأوصاهم أن ادركوا النبى صلى الله عليه وسلم أن يسلموا ولما اتصل خبر اسلام بجير بأخيه كعب أغضبه ذلك فلما كان منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف كتب بجير رضى الله تعالى عنه الى أخيه كعب بن زهير وكان ممن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره بفتح مكة وانه صلى الله عليه وسلم قتل بها رجالا ممن كان يهجوه من شعراء قريش وهرب بعضهم فى كل وجه كابن الزبعرى وهبيرة بن أبى وهب وانه صلى الله عليه وسلم قال من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله فان كان لك فى نفسك حاجة فطر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لايقتل أحدا جاء تائبا ولا يطالبه بما تقدم الاسلام وان أنت لم تفعل فانج الى نجاتك وفى تصحيح الانساب لابن أبى الفوارس

سبحانه وتعالى أعلم (وأما صوته) الشريف صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه قال ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت وروى نحوه عن على رضى الله عنه وفى الصحيحين عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال قرأ النبى صلى الله عليه وسلم فى العشاء والتين والزيتون فلم اسمع صوتا احسن منه وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم حسن النغمة رواه أبو الحسن بن الضحاك وروى الطبرانى والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تكلم رئى كالنور يخرج من ثناياه وكان صوته يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره وروى البيهقى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى خدورهن وروى أبو نعيم عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة فى بنى غنم فجلس فى مكانه وروى ابن سعد عن عبد الرحمن بن معاذ التيمى ابن عم طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه وكان من مسلمة الفتح قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت اسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن فى منازلنا وروى ابن ماجه عن أم هانىء بنت ابى طالب رضى الله عنها قالت كنا نسمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فى جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشى أى سريرى قال العلامة الزرقانى فسماعها له وهى على سريرها داخل بيتها البعيد عن محل القراءة دليل على قوته (وأما ضحكه) صلى الله عليه وسلم ففى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا أى ضحكا تاما بحيث ينفتح فمه حتى أرى لهواته انما كان يتبسم واللهوات بفتح اللام جمع لهاة وهى اللحمة التى بأعلى

ان زهير بن أبى سلمى قال لاولاده انى رأيت فى المنام سببا التى الى من السماء فمددت يدى لأتناوله ففاتنى فأولته انه النبى الذى يبعث فى هذا الزمان وأنا لا أدركه فمن أدركه منكم فليصدقه وليتبعه ليهتدى به فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم آمن به ابنه بجير وأقام كعب ابنه على الشرك والتشبيب بام هانىء بنت أبى طالب رضى الله تعالى عنها فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال لئن وقع كعب فى يدى لأقطعن لسانه الحديث أى ولا مانع أن يكون ضم الى هذا هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض وارجف به اعداؤه وصاروا يقولون هو مقتول لا محالة فلم يجد بدا من مجيئه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعمل القصيدة التى مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فيها ارجاف اعدائه به رضى الله تعالى عنه التى مطلعها * بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * ثم خرج رضى الله تعالى عنه حتى قدم المدينة فنزل على رجل كان بينه وبينه معرفة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح فاشار له ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فقام الى ان جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع يده فى يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اى ومن حضره لا يعرفه فقال يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال يارسول الله انا كعب بن زهير فوثب رجل من الأنصار فقال يارسول الله دعنى وعدو الله اضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه قد جاء تائبا نازعا فلما انشد القصيدة المذكورة ومدح فيها المهاجرين ولم يتعرض للانصار قيل حمله على ذلك ما سمعه من ذلك الانصارى مما اغاظه ولم يسمع من المهاجرين شيئا يغيظه وفيه ان هذا واضح اذا كان انشأ ذلك فى ذلك الوقت وأما اذا كان عمله قبل مجيئه كما هو ظاهر ما تقدم انه عمل تلك القصيدة التى من جملتها ما ذكر فلا فعند ذلك عضب الانصار فمدحهم بالقصيدة التى مطلعها

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى مقنب من صالحى الانصار

اى ويقال انه صلى الله عليه وسلم هو الذى حضه على مدحهم وقال له لما انشد بانت سعاد ورآها صلى الله عليه وسلم مشتملة على مدح المهاجرين دون الانصار لولا أى هلا ذكرت الانصار بخير فان الانصار اهل لذلك أى ولما انشده صلى الله عليه وسلم بانت سعاد وقال

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

القى عليه صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه صلى الله عليه وسلم وقد اشتراها معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنهما من آل كعب بمال كثير اى بعد أن دفع لكعب فيها عشرة آلاف فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب رضى الله تعالى عنه أخذها من ورثته بعشرين الفا وتوارثها خلفاء بنى أمية ثم خلفاء بنى العباس اشتراها السفاح أول خلفاء بنى العباس بثلاثمائة دينار أى بعد انقراض دولة بنى أمية أى وكانوا يطرحونها على اكتافهم

جلوسا

الحنجرة من أقصى الفم وأما حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي فيه فضحك حتى بدت نواجذه أي أضراسه فهذا كان منه نادراولم تره عائشة رضي الله عنها ورآه أبو هريرة رضي الله عنه فرواه وقال ابن أبي هالة رضي الله عنه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام أي يبدي أسنانه ضاحكا وحب الغمام هو البرد بفتحتين فشبه أسنانه بالبرد في الصفاء والبياض واللمعان والرطوبة قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر من مجموع الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم كان معظم أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك أي ولم يقهقه والمكروه من الضحك إنما هو الاكثار منه أوالافراط فيه لأنه يذهب الوقار فالذي ينبغي أن يقتصى به صلى الله عليه وسلم من أفعاله ما واظب عليه من ذلك وهو التبسم فيقتصر عليه وضحكه كان لبيان الجواز وقد روى البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه وإذا ضحك صلى الله عليه وسلم يتلألأ أي يضيء في الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار أي يشرق نوره عليها اشراقا كاشراق الشمس عليها وكان صلى الله عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل عليه السلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اعظاما له بترك الاشتغال بشيء يشغله عنه أو اعتبارا وتفكرا بما أتاه به وكان ﷺ اذا خطب أو ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما ﴿ وأما بكاؤه صلى الله عليه وسلم ﴾ فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تهملا و يسمع لصدره أزيز يبكي رحمة لميت وخوفا على أمته وشفقة من خشية الله وعند سماع القرآن وأحيانا في الصلاة وقد حفظه الله من التثاؤب ففي تاريخ البخاري ومصنف ابن أبي شيبة عن يزيد بن

جلوسا وركوبا وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم ويقال ان التي كانت عند بني العباس بردته صلى الله عليه وسلم التي أعطاها لأهل أيلة مع كتابه الذي كتبه لهم أمانا وذلك في غزوة تبوك وحينئذ تكون بردة كعب رضي الله تعالى عنه فقدت عند زوال دولة بني أمية وأما هذه البردة فلعل فقدها كان في فتنة التتار ثم رأيت ابن كثير رحمه الله قال ان معاوية رضي الله تعالى عنه اشترى البردة التي كانت عند الخلفاء من أهل كعب بأربعين ألف درهم ثم توارثها الخلفاء الامويون والعباسيون حتى أخذها التتر منهم سنة أخذ بغداد وقال هذا من الأمور المشهورة جدا ولكني لم أر ذلك في شيء من الكتب باسناد أرتضيه وصار كعب رضي الله تعالى عنه من شعرائه ﷺ الذين يذبون عن الاسلام كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت الانصاريين رضي الله تعالى عنهما ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان قدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف وكان من خبرهم أنه لما انصرف رسول الله ﷺ عن محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود رضي الله تعالى عنه حتى أدركه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل الى المدينة فأسلم وسأله أن يرجع الى قومه بالاسلام وقال له رسول الله ﷺ انهم قاتلوك فقال له عروة يارسول الله أنا أحب اليهم من أبكارهم أي أول أولادهم (وفي رواية) من أبصارهم فخرج رضي الله تعالى عنه يدعو قومه الى الاسلام رجاء أن لا يخالفوه لمرتبته فيهم أي لأنه رضي الله تعالى عنه كان فيهم محببا مطاعا فلما أشرف لهم على علية ودعاهم الى الاسلام وأظهر لهم دينه رموه بالنبل من كل جانب فأصابه سهم فقتله وفي لفظ أنه رضي الله تعالى عنه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم الى الاسلام ونصح لهم فعصوه وأسمعوه من الاذى مالم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده حتى اذا كان السحر وطلع الفجر قام على غرفة في داره وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقيل له قبل أن يموت ماترى في دمك فقال كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله الي فليس في الا مافي الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم فدفنوه معهم وقال في حقه صلى الله عليه وسلم ان مثله في قومه كمثل صاحب يس أنه قال لقومه اتبعوا المرسلين الآيات فقتله قومه أي المذكورة في سورة يس وهو حبيب بن مرى وقال السهيلي يحتمل أن المراد به صاحب الياس فان الياس يقال في اسمه يس أيضا وقد قال ﷺ مثل هذه المقالة في حق شخص آخر يقال له قرة بن حصين أو ابن الحرث بعثه النبي ﷺ الى بني هلال بن عامر يدعوهم الى الاسلام فقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم مثله مثل صاحب يس ثم ان ثقيفا أقامت بعد قتل عروة شهرا ثم انهم ائتمروا بينهم ورأوا أنهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد أسلموا فأجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله ﷺ رجلا فكلموا عبد ياليل بن عمرو وكان في سن عروة بن مسعود رضي الله تعالى عنه في ذلك فأبى أن يفعل لأنه خشي أن يفعل به كما فعل بعروة وقيل كلموا مسعود بن عبد ياليل وسموا قاتله الى الغلظ فقال لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجالا فبعثوا معه خمسة أنفار منهم شرحبيل بن غيلان أحد

الاصم ابن أخت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنهما قالت ما تثاءب النبي صلى الله عليه وسلم قط وفي رواية ما تثاءب نبي قط وفي البخاري مرفوعا أن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ﴿ وأما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم ﴾ فقد وصفه غير واحد بأنه كان شثن الكفين أي غليظهما وغليظ أصابعهما من غير قصر ولا خشونة وذلك حمال في الرجال وذم في النساء وبأنه عبل الذراعين أي قويهما ضخمهما رحب الكفين أي

واسعهما ويكنون بذلك عن السخاء والكرم وقد مسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة خد جابر بن سمرة رضي الله عنهما تأنيسا وشفقة قال جابر فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جونة عطار والبرد كناية عن لين كفه ورطوبته أو هو بمعنى الراحة واللذة والطيب قال ابن الأثير كل محبوب عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة الباردة الهنية قال بعضهم ان برد اليد حقيقة ممدوح عند العرب لاسيما في الزمن الحار ولا بعد في أنه خاص به صلى الله عليه وسلم مع كمال حرارته الغريزية وروى الطبراني والبيهقي عن وائل بن حجر رضي الله عنه لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدي جلده فأتعرفه بعد في يدي أي فأعرف أثره بعد مفارقته لي وأنه لأطيب رائحة من المسك وقال يزيد بن الاسود رضي الله عنه ناولني رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فاذا هي أبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك رواه البيهقي وروى الطبراني عن المستورد بن شداد عن أبيه رضي الله عنهما قال أتيت النبي ﷺ فأخذت بيده فاذا هي ألين من الحرير وأبرد من الثلج وروى الامام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه ﷺ دخل على سعد بن أبي وقاص يعوده حين اشتكى عام حجة الوداع قال سعد فرفع يده صلى الله عليه وسلم على جبهتي فمسح وجهي وصدري وبطني فمازلت يخيل إلى انى أجد برديده

أشراف ثقيف أسلم غيلان بالغين المعجمة على عشر نسوة وممن أسلم على عشر نسوة أيضا عروة بن مسعود وكذلك مسعود بن معتب ومسعود بن عمير وسفيان بن عبد الله وأبو عقيل مسعود بن عامر وكلهم من ثقيف ويقال وفد عليه ﷺ تسعة عشر رجلا هم أشراف ثقيف فيهم كنانة بن عبد ياليل وهو رأسهم يومئذ وفيهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغرهم فلما قربوا من المدينة لقوا المغيرة ابن شعبة الثقفي فذهب مسرعا ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقيه أبو بكر رضي الله تعالى عنه فأخبره فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أقسمت عليك لا تسبقني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ففعل فدخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله ﷺ فأخبره بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة أي وعلمهم رضي الله تعالى عنه كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا إلا التحية الجاهلية وهي عم صباحا ثم قدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب لهم قبة في ناحية المسجد أي ليسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا وكانوا يغدون إلى رسول الله ﷺ كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص عند أسبابهم فكان عثمان إذا رجعوا ذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الدين ويستقرئه القرآن وإذا وجد النبي ﷺ نائما ذهب إلى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وكان يكتم ذلك عن أصحابه فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبه وكان فيهم رجل مجذوم فأرسل ﷺ يقول له انا بايعناك فارجع وفي المرفوع لا تديموا النظر إلى المجذومين وجاء كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين وهذا معارض بقوله صلى الله عليه وسلم لا عدوى ولا طيرة وبما جاء في أحاديث اخر أنه ﷺ أكل مع المجذوم طعاما وأخذ بيده وجعلها معه في القصعة وقال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه وأجيب بأن الأمر باجتناب المجذوم ارشادي ومؤاكلته لبيان الجواز أو جواز المخالطة محمولة على من قوي إيمانه وعدم جوازها على من ضعف ايمانه ومن ثم باشر ﷺ الصورتين ليقتدي به فيأخذ القوي الايمان بطريق التوكل والضعيف الايمان بطريق الحفظ والاحتياط وعند انصرافهم قالوا يارسول الله أمر علينا رجلا يؤمنا فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رأى من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين ولقول الصديق رضي الله تعالى عنه له ﷺ يارسول الله اني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن (وفي رواية) أن عثمان بن أبي العاص قال قلت يارسول الله اجعلني أمام قومي قال أنت أمامهم وقال لي إذا أممت فاخفف بهم الصلاة واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا فكان خالد بن سعد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى كتب لهم كتابا وكان الكاتب له خالد المذكور ومن جملته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله ﷺ إلى المؤمنين أن عضاه وج وصيده حرام لا يعضد شجره ومن وجد يفعل شيئا من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه ووج واد بالطائف وقيل هو الطائف والعضاه كل شجر له شوك واحده عضة كشفة وشفاه وروى أبو داود والترمذي إلا أن

صيد

على كبدي حتى الساعة وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في صفة النبي ﷺ قال ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت ريحا قط أو عرقا قط أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ والمراد اللين في الجلد فلا ينافي الغلظ في العظام الذي جاء في وصف علي وابن أبي هالة رضي الله عنهما حيث قالا غليظهما أي الكفين في خشونة أي في العظام أي فيكون قد جمع له نعومة البدن وقوته وكانت كفه ﷺ ممتلئة لحما غير أنها مع ضخامتها كانت لينة كما في حديث أنس رضي الله عنه وروى الطبراني والبزار عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال أردفني النبي صلى الله عليه وسلم خلفه في سفر فما مسست شيئا قط ألين من جلده صلى الله عليه وسلم وأصيب عائذ بن عمرو المزني في وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبي صلى الله عليه وسلم الدم أي أزاله بيده عن وجهه وصدره ثم دعا له وكان أثر يده عليه الصلاة والسلام الى منتهى ما مسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم وأبو نعيم وغيرهما وتقدمت جملة من بركات يده صلى الله عليه وسلم في معجزة ظهور الآثار فيما لمسه ﴿وأما بياض ابطه صلى الله عليه وسلم﴾ فقد جاء في عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة قال الحافظ ابن حجر واختلف في المراد من ذلك فقيل المراد أن لونهما كلون جسده الشريف وأنه لم يكن تحت ابطيه شعر البتة وقيل كان يداوم تعهده فلا يبقى فيه شعر وعند مسلم في حديث حتى رأينا عفرة ابطيه ولا تنافي بينهما لأن الأعفر ما بياضه ليس بناصع وهذا شأن المغابن يكون لونها في البياض دون بقية الجسد وقال الطبري من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الابط من جميع الناس متغير اللون إلا هو عليه الصلاة والسلا قال الولي العراقي الخصائص لا تثبت بالاحتمال ولم يثبت ذلك بوجه من الوجوه ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض ابطيه أن لا يكون

صيد وج وعضاهه حرام محرم وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وسألوا رسول الله ﷺ أن يترك لهم الصلاة فقال لا خير في دين لا صلاة فيه وفي لفظ لا ركوع فيه وأن يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك وسألوه أن يترك لهم الطاغية التي هي صنمهم وهي اللات أي وكانوا يقولون لها الربة لا يهدمها إلا بعد ثلاث سنين من مقدمهم له فأبى رسول الله ﷺ ذلك فلا زالوا يسألونه سنة وهو يأبى عليهم حتى سألوه شهرا واحدا بعد قدومهم وأرادوا بذلك ليدخل الاسلام في قومهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم بهدمها فأبى عليهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وعند خروجهم قال لهم سيدهم كنانة أنا أعلمكم بثقيف اكتموا اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال وأخبروهم أن محمدا ﷺ سألنا أمورا عظيمة فأبيناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية وأن نترك الزنا والربا وشرب الخمر فلما جاءتهم ثقيف وسألوهم قالوا جئنا رجلا فظا غليظا قد ظهر بالسيف ودان له الناس فعرض علينا أمورا شدادا وذكروا ما تقدم قالوا والله لا نطيعه ولا نقبل هذا أبدا فقالوا لهم أصلحوا السلاح وتهيئوا للقتال ورموا حصنكم فمكثت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة ثم ألقى الله الرعب في قلوبهم وقالوا والله ما لنا من طاقة فارجعوا اليه وأعطوه ما سأل فعند ذلك قالوا لهم قد قاضيناه وأسلمنا فقالوا لهم لم كتمتمونا قالوا أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان فأسلموا ومكثوا أياما فقدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنهما لهدم الطاغية (وفي رواية) لما فرغوا من أمرهم وتوجهوا الى بلادهم راجعين بعث صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان والمغيرة بن شعبة لهدم الطاغية فخرجا مع القوم حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة رضي الله تعالى عنه أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال ادخل أنت على قومك فلما دخل المغيرة علاها ليضربها بالمعول أي الفاس العظيمة التي يقطع بها الصخر وقام قومه دونه خشية أن يرمى كما رمي عروة وخرج نساء ثقيف حسرا أي مكشوفات الرؤس حتى العواتق من الحجال يبكين على الطاغية قال (وفي رواية) يظنون أنه لا يمكن هدمها لأنها تمنع من ذلك وأراد المغيرة رضي الله تعالى عنه أن يسخر بثقيف وقال لأصحابه لأضحكنكم من ثقيف فأتى بنفسه لما علا على الطاغية ليهدمها وفي لفظ أخذ يركض فصاحوا صيحة واحدة وقالوا أبعد الله المغيرة قتلته الربة وقالوا والله لا يستطيع هدمها (وفي رواية) لما أخذ المعول وضرب به اللات ضربة صاح وخر لوجهه فارتج الطائف بالصياح سرورا وأن اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيت يا مغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم أنها تهلك من عاداها فقام المغيرة يضحك منهم ويقول لهم يا خبثاء والله ما قصدت إلا الهزؤ بكم (وفي رواية) فوثب وقال لهم قبحكم الله إنما هي لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله واعبدوه ثم أخذ في هدمها اهـ فهدمها بعد أن بدأ بكسر بابها حتى هدم أساسها وأخرج ترابها لما سمع سادنها يقول ليغضبن الأساس فليخسفن بهم وأخذ مالها وحليها ولما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضي دين عروة

له شعر لاحتمال أنه كان يديم تعهده فان الشعر إذا نتف بقي المكان أبيض و إن بقي فيه آثار الشعر وقال عبد الله بن أرقم الخزاعي رضي الله عنه كنت أنظر الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع فهذا يدل على أن أثر الشعر هو الذي جعل المكان أعفر و إلا فلو كان المكان خاليا عن نبات الشعر جملة لم يكن أعفر بل الذي نعتقده أنه لم يكن لابطه رائحة كريهة انتهى كلام الحافظ ولي الدين العراقي قال العلامة الزرقاني (٢٤٦) وقد يمنع دلالته على ما قال بما تقدم عن الحافظ أن شأن المغابن كونها أقل بياضا من

والأسود أخوه من مال الطاغية فقضاه فان أبا مليح بن عروة بن مسعود وقارب ابن عمه ابن الأسود أخو عروة بن مسعود سألا رسول الله ﷺ في ذلك وكانا قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين لما قتلت ثقيف عروة بن مسعود قبل أن تسلم ثقيف كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم قد أجاب أبا مليح فقال له نعم فقال له ابن عمه قارب بن الأسود وعن الأسود يارسول الله فان عروة والأسود أخوان لأب وأم فقال ﷺ ان الأسود مات مشركا فقال قارب يارسول الله انما الدين علي وأنا الذي أطلب به (ومن الوفود وفد بني تميم) وقد تقدم ذكره أي في الكلام على سرية عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم وفي ذلك الوفد عطارد بن حاجب وعمرو بن الأهتم والأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وذكر في الاستيعاب أنه كان مع وفد تميم قيس بن عاصم فأسلم وذلك في سنة تسع فلما رآه رسول الله ﷺ قال هذا سيد أهل الوبر وكان عاقلا حليما مشهورا بالحلم قيل للأحنف بن قيس وكان من أحلم الناس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه فأتي برجل مكتوف وآخر مقتول فقيل له هذا ابن أخيك قد قتل ابنك قال فوالله ماحل حبوته ولا قطع كلامه فلما أتمه التفت الى ابن أخيه فقال يا ابن أخي بئس مافعلت أثمت بربك وقطعت رحمك وقتلت ابن عمك ورميت نفسك بسهمك ثم قال لابن له آخر قم يا بني فوار أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى أمك مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة وكان قيس بن عاصم رضي الله تعالى عنه ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية وسبب ذلك أنه سكر يوما فغمز عكنة ابنته وسب أبويها ورأى القمر فصار يخاطبه وأعطى الخمار مالا كثيرا فلما أفاق أخبر بذلك فحرمها على نفسه وقال في ذمها أبياتا كثيرة ولما حضرته الوفاة دعا بنيه فقال لهم يا بني احفظوا عني فلا أحد أنصح لكم مني اذا مت فسودوا كباركم ولا تسودوا صغاركم فيسفه الناس كباركم وتهونوا عليهم وعليكم باصلاح المال فانه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم وإياكم ومسألة الناس فانها آخر كسب الرجل فاذا مت فلا تنوحوا علي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينح عليه وقد قيل فيه من جملة أبيات عند موته

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وتقدم أنهم نادوه صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات يامحمد اخرج الينا ثلاث مرات فخرج اليهم الى آخر ما تقدم (ومنها وفد بني عامر) فيهم عامر بن الطفيل واربد بن قيس وجبار بن سلمى بضم السين وفتحها وكانوا أي هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وكان عامر بن الطفيل عدو الله سيدهم كان مناديه ينادي بسوق عكاظ هل من راجل فنحمله أو جائع فنطعمه أو خائف فنؤمنه وكان من أجمل الناس وكان مضمرا الغدر برسول الله ﷺ فقال لأربد وهو أخو لبيد الشاعر إذا قدمنا على هذا الرجل فاني شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف وقد قال له قومه ياعامر ان الناس قد أسلموا فأسلم فقال والله لقد كنت آليت أي حلفت أن لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي فانا أتبع عقب هذا الفتى من قريش فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل يا محمد خلني أي اجعلني

خليلا

باقي الجسد وروى البزار عن رجل من بني حريش وهم بطن من الأنصار قال ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال علي من عرق ابطيه مثل ريح المسك * وأما بطنه وظهره * صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان مفاض البطن أي مستوي البطن مع الصدر عظيم مشاش المنكبين والمشاش بضم الميم ومعجمتين رؤس العظام كالركبتين ووصف بعض الصحابة ظهره صلى الله عليه وسلم بقوله اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا فنظرت الى ظهره كأنه سبيكة فضة وروى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان بعيد ما بين المنكبين أي عريض الصدر وقد روى ابن سعد عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم رحب الصدر أي واسعه * وأما قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم * فقد ثبت له من الكمال ما لم يثبت لغيره وقد جعل الله القلوب محل السر والاخلاص الذي هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده فأول قلب أودعه السر قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أول مخلوق وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة ظهرت من صور الأنبياء فهو أولهم بوجود صورته النورية المخلوقة قبل الأنبياء كلها وآخرهم ظهورا في هذا العالم إذ لا نبي بعده وقد جعل الله سبحانه وتعالى أخلاق القلوب

اعلاما على أسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت أخلاقه لجميع خلق الله فيعاملهم برفق ولين على مقتضى الحال فيعامل كل انسان بما يليق بحاله بغاية الرفق حتى العصاة ينهاهم عن معصيتهم ببيان ما يضرهم وما ينفعهم كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاذا لم يجد في كفهم عن المعاصي الا الزجر الشديد عاملهم به وأقام عليهم الحدود ليكفهم عن العود الى ما صدر منهم وذلك من سعة الخلق لانه نفع لهم بل قتال الكفار والبغاة من سعة الخلق ولذلك جعل الله لنبينا صلى الله عليه وسلم جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين فتكون خواص جثمانيته آيات دالة على احوال نفسه الشريفة وعظم خلقه وتكون أحواله وأخلاقه العظيمة آيات على سر قلبه المقدس المطهر ولما كان قلبه صلى الله عليه وسلم أوسع قلب اطلع الله عليه كان هو الأولى أن يكون هو قلب العبد الذي يقول فيه تعالى ماوسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن ومعناه وسع قلبه الايمان بي ومحبتي ومعرفتي والا فمن قال ان الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا من ذلك بالمسيح وحده وقد روى الطبراني عن أبي عتبة الخولاني يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ان لله آنية من أهل الارض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها اليه ألينها وأرقها وكان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء بمنزلة سائر النبيين يضيق صدره من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به كما قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فلما اسري به زاده الله قوة فاتسع قلبه وانشرح صدره وقد صح ان جبريل عليه السلام شق قلبه صلى الله عليه وسلم واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك أي هذا هو الموضع الذي يتوصل الشيطان منه الى وسوسة الناس ثم غسله في طست وانما خلقت هذه العلقة في ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لانها من جملة الاجزاء الانسانية التي اقتضت الحكمة وجودها

خليلا وصديقا فقال لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له فقال يا محمد خالني وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم وينتظر من اربد ما كان أمره به فجعل اربد لا يأتي بشيء (وفي رواية) لما اتاه صلى الله عليه وسلم عامر وسده أي ألقى له وسادة ليجلس عليها ثم قال له صلى الله عليه وسلم يا عامر فقال له عامر ان لي اليك حاجة قال اقرب مني فقرب منه حتى حنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على ان قوله خالني أي اجعل لي منك خلوة وهو المناسب لقول عامر لاربد اني اشاغل عنك وجهه قال وذكر ان عامر بن الطفيل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال له أسلم يا عامر فقال اتجعل لي الامر بعدك ان أسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك ولا لقومك أي انما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء أي وقال له يا محمد اسلم على ان لي الوبر ولك المدر فقال لا فقال فمالي ان أسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال اما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا (وفي رواية) خيلا جردا ورجالا مردا ولأربطن بكل نخلة فرسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعك الله عز وجل قال السهيلي وجعل اسيد بن حضير رضي الله تعالى عنه يضرب في رؤسهما ويقول اخرجا أيها الهجرسان أي القردان فقال له عامر ومن أنت فقال اسيد بن حضير فقال احضير بن سماك قال نعم قال أبوك كان خيرا منك قال بلى انا خير منك ومن أبي لان أبي كان مشركا وانت مشرك ومكث صلى الله عليه وسلم اياما يدعو الله عليهم ويقول اللهم اكفني عامر بن الطفيل بما شئت وابعث له داء يقتله اه أي ثم قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو اسلم واسلمت بنو عامر لزاحمت قريشا على منابرها ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا قوم آمنوا ثم قال اللهم اهد بني عامر واشغل عني عامر بن الطفيل بما شئت وانى شئت وفي البخاري انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ولي أهل الوبر أو أكون خليفتك من بعدك أو اغزوك من غطفان بالف اشقر والف شقراء فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لاربد ويلك يا اربد أين ما كنت امرتك به والله ما كان على وجه الارض من رجل اخافه على نفسي منك ابدا وايم الله لا اخافك بعد اليوم ابدا فقال لا ابا لك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي امرتني به الا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما ارى غيرك افاضربك بالسيف أي وفي رواية الا رأيت بيني وبينه سورا من حديد (وفي رواية) لما وضعت يدي على قائم السيف يبست فلم استطع ان احركها (وفي رواية) لما اردت سل سيفي نظرت فاذا فحل من الابل فاغرفاه بين يدي يهوي الي فوالله لو سللته لخفت ان يبتلع رأسي ويمكن الجمع بان ما في الرواية الاولى كان بعد ان تكرر منه الهم وما في الرواية الثانية كان بعد ان حصل منه هم آخر وكذا يقال في الثالثة وخرجوا راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه أي وفي لفظ حلقه أي وأوى لبيت امرأة سلولية من بني سلول وكانوا موصوفين باللؤم وفي كلام السهيلي إنما اختصها بالذكر لقرب نسبها منه لانها منسوبة الى سلول بن صعصعة والطفيل من بني عامر بن صعصعة أي فهي تأسف عليه وصار يأسف الذي كان موته بيتها وصار يمس الطاعون ويقول يا بني عامر غدة

فى الانسان فخلقها تكملة للخلق الانسانى فلابد منها ونزعها أمر زائد على طرو بعد خلقها فاخراجها بعد خلقها ادل على مزيد الرفعة والتعظيم وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها وأيضا لو خلق سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته فاظهره الله على يد جبريل ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر وهذا الشق وقع له صلى الله عليه وسلم أربع مرات الأولى فى بنى سعد وهو ابن أربع سنين عند حليمة السعدية (٢٤٨) رضى الله عنها والثانية وهو ابن عشر والثالثة عند البعثة والرابعة عند المعراج وذكر بعضهم خامسة ولم تثبت فالاولى والثانية ليتقوى من صغره وينشأ على قوة الايمان والرحمة والثالثة ليتقوى لتحمل أعباء الوحى والرابعة ليتقوى على مشاهدة ما أراه الله اياه ليلة الاسراء من عجائب الأرض والسماء والشق بأقسامه هو المراد بقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك فانه لو لم يشرح لكان ضيقا والقلب اذا ضاق لا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو فى الابتداء حصل الأمن وزال الضيق وانشرح الصدر واتسع وتيسر له القيام بأداء العبودية ووجد للطاعة لذة وللايمان حلاوة وههنا نكتة دقيقة لطيفة هى انه تعالى قال حكاية عن موسى عليه السلام رب اشرح لى صدرى وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ألم نشرح لك صدرك وأعطى بلا سؤال قال الاستاذ أبو على الدقاق رضى الله عنه كان موسى عليه السلام مريدا اذ قال رب اشرح لى صدرى ونبينا صلى الله عليه وسلم مرادا إذ قال الله له ألم نشرح لك صدرك وفرق بين المريد والمراد ﴿ واما جماعه صلى الله عليه وسلم ﴾ فقد كان يدور على نسائه أى يجامعهن فى الساعة الواحدة من النهار أو الليل وهن احدى عشرة قال قتادة بن دعامة لانس بن مالك رضى الله عنه أو كان يطيقه أى الدوران عليهن فقال أنس كنا نتحدث انه أعطى قوة ثلاثين وفى رواية أربعين رجلا زاد أبو نعيم عن مجاهد كل رجل

أى اعد عدة كغدة البعير وموتا فى بيت امرأة من بنى سلول ائتونى بفرسى ثم ركب فرسه وأخذ رمحه وصار يجول حتى وقع عن فرسه ميتا أى ويذكر انه صار يقول ابرز ياملك الموت وفى لفظ ياموت ابرز لى أى لاقاتلك وهذا يدل على ان موت عامر لم يتأخر سيما وقد جاء فى رواية فخرج حتى إذا كان بظهر المدينة صادف امرأة من قومه يقال لها سلولية فنزل عن فرسه ونام فى بيتها فأخذته غدة فى حلقه فوثب على فرسه وأخذ رمحه وأقبل يجول وهو يقول غدة كغدة البكر وموت فى بيت سلولية فلم يزل على تلك الحالة حتى سقط عن فرسه ميتا ويحتاج للجمع بينه وبين قول الاوزاعى قال يحيى فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو على عامر بن الطفيل ثلاثين صباحا وقدم صاحباه على قومهما فقالوا لأربد ما وراءك يا اربد فقال لاشىء والله لقد دعانا إلى عبادة شىء لوددت انى عنده الآن فارميه بالنبل حتى اقتله فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جمله يتبعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة احرقتهما أى وذلك فى يوم صحو قائظ وانزل الله تعالى قوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء واما جبار بن سلمى الذى هو ثالثهم فقد اسلم مع من اسلم من بنى عامر (ومنها وفود ضمام بن ثعلبة) أى وقيل وفد فى سنة خمس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه متكئا جاءه رجل من أهل البادية قال فيه طلحة بن عبيد الله جاء ناعرابى من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوى صوته ولا نفقه مايقول الحديث أى جاء على جمل وأناخه فى المسجد ثم عقله وقال ايكم ابن عبد المطلب أى وفى رواية ايكم محمد قالوا هذا الامغر المرتفق أى الأبيض المشرب بحمرة المتكىء على مرفقه فدنا منه صلى الله عليه وسلم وقال انى سائلك فمشدد عليك فى المسئلة قال سل عما بدالك أى وفى رواية لمغلظ عليك فى المسئلة فلا تجد على فى نفسك مالا اجد فى نفسى فقال سل مابدالك وقال يامحمد جاءنا رسولك فذكر لنا انك تزعم ان الله أرسلك قال صدق فقال اناشدك بفتح الهمزة برب من قبلك ورب من بعدك وفى رواية بالذى خلق السموات والارض ونصب هذه الجبال قال اللهم نعم قال وفى رواية انه قال له قبل ذلك آلله أمرك ان تأمرنا ان نعبده وحده لا نشرك به شيئا وان نخلع هذه الانداد التى كان آباؤنا يعبدون قال اللهم نعم انتهى قال انشدك بالله آلله امرك ان نصلى خمس صلوات فى كل يوم وليلة قال اللهم نعم قال وانشدك بالله آلله امرك ان تأخذ من أموال اغنيائنا فترده على فقرائنا قال اللهم نعم قال وانشدك بالله آلله امرك ان نصوم هذا الشهر من اثنى عشر شهرا قال اللهم نعم قال وانشدك بالله آلله امرك ان يحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال فانى قد آمنت وصدقت وانا ضمام بن ثعلبة (اقول) وهذا السياق يدل على ان وفوده كان بعد فرض الحج وهو يخالف ماسبق انه كان فى سنة خمس ومن ثم استبعده ابن القيم قال والظاهر ان هذه اللفظة مدرجة من كلام بعض الرواة وفيه ان الذى جزم به ابن اسحق وأبو عبيدة انه وفد فى سنة تسع وصوبه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ومن ثم جاء ذكر الحج فى مسلم ويؤيد ذلك قول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم علينا الحديث لان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما إنما قدم المدينة بعد الفتح ولما ان ولى ضمام رضى الله تعالى عنه قال

من رجال الجنة وروى أبو نعيم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع يعني من أهل الجنة وروى الامام أحمد والحاكم عن زيد بن أرقم أنه صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل من أهل الجنة ليعطى مائة قوة في الاكل والشرب والجماع والشهوة فاذا ضربنا أربعين في مائة بلغت أربعة آلاف وبهذا يندفع ما استشكل من كونه صلى الله عليه وسلم أعطي قوة أربعين فقط وسليمان عليه السلام أعطي قوة مائة رجل أو ألف رجل فان مثار

رسول الله ﷺ فقه الرجل أي بضم القاف صار فقيها وبكسرها فهم وفي لفظ لئن صدق ليدخلن الجنة وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول ما رأيت أحدا أحسن مسئلة ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة أي وفي لفظ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فما سمعنا بوافد وقد كان أفضل من ضمام ولما رجع ضمام رضي الله تعالى عنه إلى قومه قال لهم إن الله تعالى قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه قال وفي رواية ان أول شيء تكلم به أن سب اللات والعزى فقال له قومه مه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون فقال لهم ويلكم والله انهما لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا إلى آخر ما تقدم وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه فلم يبق من القوم رجل ولا امرأة إلا وأسلم (ومنها وفد عبد القيس) وفيهم الجارود وكان نصرانيا أي قد قرأ الكتب فقال أبياتا مخاطبا بها النبي ﷺ منها

يا نبي الهدى أتاك رجال * قطعت فدفدا وآلا فآلا
تتقي وقع شر يوم عبوس * أوجل القلب ذكره ثم هالا

الفدفد المفازة والآل ما يرفع الشخوص في أول النهار وفي آخره وقيل السراب قيل وكانوا ستة عشر فعرض عليهم ﷺ الاسلام فقال يا محمد إني كنت على دين وإني تارك ديني لدينك فتضمن لي ديني فقال النبي ﷺ نعم أنا ضامن لك ان قد هداك الله إلى ما هو خير لك منه فأسلم وأسلم أصحابه ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحملهم فقال والله ما عندي ما أحملكم عليه فقال يا رسول الله بحال بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال المسلمين أي من الابل والبقر مما يحمي نفسه أفنتبلغ عليها أي نركبها إلى بلادنا قال لا إياك وإياها فانما تلك حرق النار أي لهبها كذا في الأصل وفي السيرة الهشامية أن الجارود إنما وفد مع حلف له يقال له سلمة بن عياض الأزدي وأن الجارود قال لسلمة ان خارجا خرج بتهامة يزعم أنه نبي فهل لك أن تخرج إليه فان رأينا خيرا دخلنا فيه وأنا أرجو أن يكون هو النبي الذي بشر به عيسى بن مريم لكن يضمر كل واحد منا له ثلاث مسائل يسأله عنها لا يخبر بها صاحبه فلعمري أنه ان أخبرنا بها أنه لنبي يوحى إليه فلما قدم عليه ﷺ قال له الجارود بم بعثك ربك يا محمد قال بشهادة أن لا إله إلا الله وأني عبد الله ورسوله والبراءة من كل ند أو دين يعبد من دون الله وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة لحقها وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا غير إلحاد من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد قال الجارود يا محمد ان كنت نبيا فأخبرنا عما أضمرنا عليه فخفق رسول الله ﷺ خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه الشريف والعرق يتحدر عنه فقال أما أنت يا جارود فانك أضمرت أن تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية وعن المنيحة ألا وان دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الاسلام ألا وإن أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة أو لبن شاة فانها تغدو برفده وتروح بمثله وأما أنت يا سلمة فانك أضمرت على أن تسألني عن عبادة الأوثان وعن يوم السباسب وعن عقل الهجين فأما عبادة الأوثان فان الله تعالى يقول انكم وما

الاشكال حملها على رجال الدنيا وليس كذلك بل ما ورد في سليمان عليه السلام محمول على رجال الدنيا لعدم ورود ما يخالف ذلك وفي نبينا عليه السلام على رجال الجنة كما ورد وذلك أربعة آلاف فقد زاد على سليمان عليه السلام بكثير وزال الاشكال وذكر ابن العربي أنه كان له عليه الصلاة والسلام من القوة في الوطء الزيادة الظاهرة على الخلق وكان له في الأكل القناعة وأكثر أكله بلغة ليجمع الله له الفضيلتين في الأمور الاعتيادية كما جمع له الفضيلتين في الأمور الشرعية وهما ما شارك أمته فيه من التكاليف وما خص به منها ومن كل ما يقربه إلى الله تعالى مما لم يطلع عليه أحدا من الخلق حتى يكون حاله كاملا في الدارين وروى ابن سعد عن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه

التسع في ليلة وروى مرسلا أنه صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه السلام بقدر فأكلت منها فأعطيت قوة أربعين رجلا من رجال الجنة ووصله أبو نعيم والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعين فيه ما في القدر وروى ابن سعد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه شكا رسول الله ﷺ إلى جبريل قلة الجماع فتبسم جبريل حتى تلألأ مجلس رسول الله ﷺ من بريق ثنايا جبريل عليه السلام فقال له أين أنت من

أكل الهريسة فإن فيها قوة أربعين رجلا وأخذ من هذا وما أشبهه أنه يستحب للرجل تناول ما يقوى شهوته لاستكثار الوقاع كالأدوية المقوية للمعدة لتعظم شهوتها للطعام وكالأدوية المثيرة للشهوة ورده الغزالي بأنه صلى الله عليه وسلم إنما فعله لأنه كان عنده من النساء عدد كثير ويحرم على غيره نكاحهن إن طلقهن أو مات عنهن فكان طلبه القوة لهذا المعنى لا للتمتع والتلذذ مع أنه لا يشغل قلبه عن ربه شيء فلا تقاس الملائكة بالحدادين قال وما مثال من يفعل ما يعظم شهوته إلا كمن بلي بسباع ضارية وبهائم عادية فتنام عنه أحيانا فيحتال لإثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها وإصلاحها فإن شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يراد التخلص منها وروى الدارقطني من حديث حذيفة رضي الله عنه بلفظ أطعمني جبريل الهريسة أشد بها ظهري وأتقوى بها وروى مثل ذلك من حديث جابر بن سمرة وابن عباس رضي الله عنهم وكلها أحاديث واهية أوردها ابن الجوزي في الموضوعات بل صرح الحافظ ابن ناصر الدين أيضا بأنها موضوعات في جزء له سماه رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة وقد حفظ الله النبي صلى الله عليه وسلم من الاحتلام بل جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ما احتلم نبي قط أي لأنه من تلاعب الشيطان ولا سلطان له عليهم

﴿ وأما صفة قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم ﴾ فقد وصفه غير واحد كعلي وهند وأنس رضي الله عنهم بأنه كان شثن القدمين أي غليظ أصابعهما مع غاية النعومة رواه الترمذي وغيره وفي رواية ضخم القدمين وجاء من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم منهوس القدمين أي قليل لحم العقب فيهما وعن ميمونة بنت كردم الثقفية رضي الله عنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه رواه الإمام أحمد والطبراني وعلى هذا يحمل

تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وأما يوم السباسب فقد أعقبه الله ليلة خير من ألف شهر فاطلبوها في العشر الأواخر من رمضان فإنها ليلة ملجة سمحة لا ريح فيها تطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها وأما عقل الهجين فإن المؤمنين إخوة تتكافأ دماؤهم يجير أقصاهم على أدناهم أكرمهم عند الله أتقاهم وقال لا نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله انتهى وذكر في السيرة الهشامية في وفد عبد القيس أنه كان قبل فتح مكة وذكر ما حاصله أنه صلى الله عليه وسلم بينما هو يحدث أصحابه إذ قال لهم سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق وفي رواية ليستين ركب من المشرق لم يكرهوا على الإسلام قد أنضوا أي أهزلوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فقام عمر رضي الله تعالى عنه فتوجه نحو مقدمهم فلقي ثلاثة عشر راكبا وقيل كانوا عشرين راكبا وقيل كانوا أربعين رجلا فقال من القوم قالوا من بني عبد القيس فقال أما إن النبي ﷺ قد ذكركم آنفا فقال خيرا ثم مشى معهم حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر للقوم هذا صاحبكم الذي تريدون فرمى القوم أنفسهم عن ركائبهم بباب المسجد بثياب سفرهم وتبادروا يقبلون يده ﷺ ورجله وكان فيهم عبد الله بن عوف الأشج وهو رأسهم وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع وذلك بمرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج ثوبين أبيضين لبسهما ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وكان رجلا دميما ففطن لنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دمامته فقال يا رسول الله إنه لا يستقى أي يشرب في مسوك أي جلود الرجال وإنما يحتاج الرجل من أصغريه لسانه وقلبه فقال له رسول الله ﷺ إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والأناة فقال يا رسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما قال لا بل الله تعالى جبلك عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والأناة على وزن قناة التؤدة وقد جاء التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزأ من النبوة وفي رواية أنهم لما قدموا على رسول الله ﷺ قال لهم من القوم قالوا من ربيعة أي وهو المراد بما في بعض الروايات ربيعة فإنه من التعبير عن البعض بالكل وفي البخاري في الصلاة إن هذا الحي من ربيعة أي إن هذا الحي حي من ربيعة وهو في الأصل اسم لمنزل القبيلة سميت به القبيلة لأن بعضهم يحيا ببعض قال خير ربيعة عبد القيس مرحبا بالقوم أي صادفتم رحبا بضم الراء أي سعة وأول من قال مرحبا سيف بن ذي يزن وقد تكررت هذه الكلمة منه ﷺ قالها لابنة عمه أم هانىء رضي الله تعالى عنها وقال لعكرمة بن أبي جهل رضي الله تعالى عنه مرحبا بالراكب المهاجر وقال لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها مرحبا بابنتي وقال لشخص دخل عليه مرحبا وعليك السلام ثم قال لهم ﷺ غير خزايا ولا ندامى أي حالة كونكم سالمين من الخزي ومن الندم وفي لفظ مرحبا بالوفد الذين جاؤا غير خزايا ولا ندامى أنا حجيج من طلع عبد القيس فقالوا يا رسول الله إنا نأتيك من شقة بعيدة أي من سفر بعيد لأن مساكنهم بالبحرين وما والاها من أطراف العراق وأنه يحول بيننا وبينك

مااشتهر على الالسنة ان سبابة النبي ﷺ كانت أطول من الوسطى وربما يتوهم بعض الناس ان ذلك فى يديه قال الحافظ ابن حجر لما سئل عنه وهو غلط ممن قاله وانما ذلك فى أصابع رجليه وعن عبدالله بن بريدة رضى الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم أحسن البشر قدما رواه ابن سعد (وأما طوله) ﷺ فقال على رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم لاقصير ولاطويل وهو إلى الطول أقرب رواه البيهقى ورواه الترمذى بلفظ لم يكن بالطويل ولا بالقصير وروى عبدالله ابن الامام أحمد عن على رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب أى المفرط طولا وفوق الربعة إذا جاء مع القوم غمرهم أى زاد عليهم فى الطول فكان فوق كل من معه وروى البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة وهو الى الطول أقرب وفى روايه عند الترمذى عن على رضي الله عنه لم يكن بالطويل الممغط أى المتناهى فى الطول ولا بالقصير المتردد وكان ربعة من القوم وفى رواية عن عائشة رضى الله عنها ولم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول الاطاله أو زاد عليه صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولها أى يزيد عليهما طولا اكراما من الله تعالى حتى لايزيد عليه أحد صورة فاذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الربعة رواه ابن عساكر والبيهقى واختلف فى زيادة طوله صلى الله عليه وسلم هل هو باحداث الله له طولا حقيقة حينئذ ولا مانع منه أو ان ذلك يرى فى أعين الناظرين فقط وجسده باق على أصل خلقته على حد قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم قال الزرقانى وهذا هو الظاهر فهو مثل تطور الولى وذلك كيلا يتطاول عليه أحد صورة كما لا يتطاول معنى فمثل ارتفاعه المعنوى فى عين الناظر فرآه رفعة حسية وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروى

وبينك هذا الحى من كفار مضر وانا لانصل اليك الا فى شهر حرام أى وفى لفظ الا فى هذا الشهر الحرام ٣ وهو كمسجد الجامع ونساء مؤمنات وهو شهر رجب للتصريح به فى بعض الروايات وقال بعضهم وفى هذا دليل على ان الاعمال الصالحة تدخل الجنة اذا قبلت وقبولها يقع برحمة الله لان مضر كانت تبالغ فى تعظيم شهر رجب زيادة على بقية الأشهر الحرم ومن ثم قيل رجب مضر فأمرنا بأمر فصل أى فاصل بين الحق والباطل فقال آمركم بأربع أى بخصال أربع أو جمل أربع وفى بعض الروايات قالوا حدثنا بجمل من الأمر وأنهاكم عن أربع آمركم بالايمان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله أى وفيه ان القوم كانوا مؤمنين مقرين بكلمة الشهادة ووقع فى البخارى فى الزكاة زيادة واو قبل شهادة وهى زيادة شاذة لم يتابع عليها راويها واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس أى لانهم كانوا بصدد محاربة كفار مضر وهذا زائد على الأربع ومن ثم قال بعضهم هو معطوف على قوله بأربع أى آمركم بأربع وبأن تعطوا ومن ثم غاير فى الأسلوب وفى مسلم آمركم بأربع اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان واعطوا الخمس من الغنائم ولم يذكر الحج لانه لم يكن فرض على الصحيح كما قال الحافظ الدمياطى رحمه الله وهو بناء على الأصح انه فرض سنة ست وقول الواقدى ان قدوم وفد عبد القيس كان فى سنة ثمان ليس بصحيح لكن ذكر بعضهم أن لعبد القيس وفدتين واحدة كانت قبل فرض الحج وواحدة بعده ومن ثم جاء ذكر الحج فى مسند الامام أحمد وهو وأن تحجوا البيت وانه لم يتعرض فى هذه الروايه لعدد أى لقوله أربع ثم قال صلى الله عليه وسلم لهم وأنهاكم عن أربع عن الدباء أى القرع أى عما ينبذ فيها والحنتم وهو جرر مدهونة بدهان أخضر أى عما ينبذ فيها أى وقيل الحنتم جرار كانت تعمل من طين وشعر وأدم والنقير أصل النخلة ينقر وينبذ فيه التمر أى ما ينبذ فى ذلك والمزفت ماطلى بالزفت أى عما ينبذ فيه وفى رواية زيادة على ذلك والقير ماطلى بالقار وهو نبت يحرق اذا يبس وتطلى به السفن كما تطلى بالزفت زاد فى روايه وأخبروا بهن من وراءكم أى من جئتم من عندهم ومن يحدث من الأولاد قالوا فيم نشرب يارسول الله قال فى أسقية الادم أى الجلود التى يلاث أى يربط على أفواهها قالوا يارسول الله ان أرضنا كثيرة الجرذان أى الفيران أى لاتبقى فيها أسقية الادم قال وان أكلها الجرذان قال ذلك مرتين أو ثلاثا فقال له الأشج يارسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب هذه الأشربة عظمت بطوننا فرخص لنا فى مثل هذه وأومأ ﷺ بكفيه وقال له ياأشج ان رخصت لك فى مثل هذه شربته فى مثل هذه وفرج بين يديه وبسطها يعنى أعظم منها حتى اذا ثمل أى سكر أحدكم من شرابه قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وكان فى القوم رجل وقع له ذلك أى وهو جهم بن قثم قال لما سمعت ذلك من رسول الله ﷺ جعلت أسدل ثوبى لاغطى الضربة وقد أبداها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أى وفى كلام السهيلى فعجبوا من علم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك واشارته الى ذلك الرجل هذا كلامه أى وفى رواية انهم سألوه عن النبيذ فقالوا يارسول الله ان أرضنا أرض وخمة لا يصلحها

ابن سبع فى الخصائص انه صلى الله عليه وسلم كان إذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين وحكمته أن لا يزيد أحد عليه صورة كما تقدم ووصفه ابن أبى هالة بأنه صلى الله عليه وسلم بادن متماسك أى معتدل الخلق كأن أعضاءه يمسك بعضها بعضا من غير ترجرج وفسره بعضهم بأنه ليس بسمين رخى البدن (وأما شعره) الشريف صلى الله عليه وسلم فعن قتادة قال سألت أنسا رضى الله عنه عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شعر بين شعرين لا رجل ولا سبط أى مسترسل والمراد ان شعره ليس بنهاية فى الجعودة وهى تكسره الشديد ولا فى السبوطة وهى عدم تكسره وتثنيه بالكلية بل كان وسطا بينهما وخير الامور أوساطها قال الزمخشرى الغالب على العرب جعودة الشعر وعلى العجم سبوطته وقد أحسن الله برسوله صلى الله عليه وسلم الشمائل وجمع فيه ما تفرق فى الطوائف من الفضائل وكان شعر رأسه صلى الله عليه وسلم يضرب إلى منكبيه وفى رواية الى انصاف أذنيه وجمع بأنه تارة يكون الى نصف الأذن وتارة الى المنكب وفى رواية كان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة والجمة هى الشعر الذى نزل الى المنكبين والوفرة ما نزل الى شحمة الأذنين وملخص ذلك ان شعره تارة يكون كذا وتارة كذا فلا تنافى بين الروايات وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤسهم وكان أهل الكتاب يسدلون رؤسهم وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشىء تألفا لهم ثم فرق صلى الله عليه وسلم رأسه قال القرطبى حبه لموافقتهم كان أولا فى الوقت الذى كان يستقبل فيه قبلتهم ليتألفهم حتى يصغوا الى ما جاء به فلما غلبت عليهم الشقوة ولم ينفع فيهم ذلك أمر بمخالفتهم فى أمور كثيرة كقوله ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وسدل الشعر ارساله والمراد انه يتركه على حاله يشبه شعر الناصية المقصوص

الا النبيذ قال فلا تشربوا فى النقير وكأنى بكم إذا شربتم فى النقير قام بعضكم إلى بعض بالسيوف فضرب رجلا منكم ضربة لا يزال يعرج منها إلى يوم القيامة فضحكوا فقال ﷺ ما يضحككم قالوا والله لقد شربنا فى النقير فقام بعضنا الى بعض بالسيوف فضرب هذا ضربة بالسيف فهو أعرج كما ترى ثم ذكر لهم ﷺ أنواع تمر بلدهم فقال لكم تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا فقال له رجل من القوم بأبى أنت وأمى يا رسول الله لو كنت ولدت فى جوف هجر ما كنت بأعلم منك الساعة أشهد أنك رسول الله فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرضكم رفعت الى منذ قعدتم أى فنظرت من أدناها إلى أقصاها وقال لهم خير تمركم البرنى يذهب بالداء ولا داء معه أى وانما اقتصر صلى الله عليه وسلم فى المناهى على شرب الأنبذة فى الأوعية المذكورة مع ان فى المناهى ما هو أشد فى التحريم لكثرة تعاطيهم لها قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ومعنى النهى عن الانتباذ فى هذه الأوعية بخصوصها انه يسرع فيها الاسكار فربما يشرب منها من لا يشعر بذلك وكان فى عبد القيس أبو الوازع بن عامر وابن أخته مطر بن هلال ولما ذكروا للنبى صلى الله عليه وسلم انه ابن أختهم قال ابن أخت القوم منهم وكان فيهم ابن أخى الوازع وكان شيخا كبيرا مجنونا جاء به الوازع معه ليدعو له صلى الله عليه وسلم فمسح ظهره ودعا له فبرأ لحينه وكسى شبابا وجمالا حتى كان وجهه وجه العذراء وجاء انه صلى الله عليه وسلم زودهم الاراك يستاكون به وذكر انه كان فيهم غلام ظاهر الوضاءة فأجلسه النبى صلى الله عليه وسلم خلف ظهره وقال انما كان خطيئة داود عليه الصلاة والسلام النظر * ﴿ ومنها وفد بنى حنيفة ﴾ ومعهم مسيلمة الكذاب قيل جاءت بنو حنيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم مسيلمة الكذاب يسترونه بالثياب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى أصحابه رضى الله تعالى عنهم معه عسيب من عسب النخل فى رأسه خويصات فلما انتهى مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله أن يشركه معه فى النبوة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه وقيل ان بنى حنيفة جعلوه فى رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه وقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبنا فى رحالنا يحفظها لنا فأمر له ﷺ بمثل ما أمر به لواحد من القوم وهو خمس أواق من فضة وقال أما انه ليس بشركم مكانا فلما رجعوا اليه أخبروه بما قال عنه وقال انما قال ذلك لانه عرف ان لى الأمر من بعده فلما رجعوا وانتهوا الى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وكذب وادعى انه أشرك معه صلى الله عليه وسلم فى النبوة وقال لمن وفد معه ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له اما انه ليس بشركم مكانا ما ذاك الا لما كان يعلم انى أشركت معه فى الأمر أى وهو صلى الله عليه وسلم انما أراد بذلك انه حفظ ضيعة أصحابه هذا وفى الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه ثابت بن قيس بن شماس رضى الله تعالى عنه وفى يد النبى صلى الله عليه وسلم قطعة من جريد حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه فقال ان سألتنى عن هذه القطعة ما أعطيتكها أى فانه صلى الله عليه وسلم بلغه عنه انه قال ان جعل لى محمد الأمر من بعده اتبعته وانى لأراك الذى منه رأيت وهذا قيس يجيبك عنى ثم

انصرف

وأما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض روى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت إنا فرقت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه أى شعر رأسه قال العلماء والفرق سنة لأنه الذى رجع اليه صلى الله عليه وسلم والصحيح جواز الفرق والسدل معا ولكن الفرق أفضل وروى الترمذى عن أم هانىء بنت أبى طالب رضى الله عنها قالت قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمة تعنى يوم فتح مكة وله أربع غدائر أى ذوائب وفى رواية لها رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا ضفائر أربع قال فى شرح المصابيح لم يحلق رأسه صلى الله عليه وسلم فى سنى الهجرة الا عام الحديبية ثم عام القضاء ثم فى حجة الوداع فليعتبر الطول والقصر منه بالمسافات الواقعة منه فى تلك الأزمنة وأقصرها ما كان بعد حجة الوداع فانه توفى بعدها بثلاثة أشهر وأما شعر لحيته صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم أسود اللحية حسن الشعر كما رواه البيهقى وروى مسلم من حديث ابن سيرين قال سألت أنس بن مالك رضى الله عنه هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب فقال لم يبلغ الخضاب كان فى لحيته عليه الصلاة والسلام شعرات بيض وفى رواية له لم ير من الشيب الا قليلا لو شئت ان أعد شمطات كن فى رأسه فعلت وجاء ان الذى ابيض فى لحيته ورأسه كان سبع عشرة أو ثمانى عشرة شعرة أو عشرين شعرة وفى رواية ما شانه الله ببيضاء وإنما كان كذلك لأن النساء يكرهن الشيب غالبا ومن كره من النبى صلى الله عليه وسلم شيئا كفر فرحمهن الله بعدم شيبه ولأن فيه إزالة لبهجة الشباب ورونقه والحاقه بالشيوخ الذين يكون الشيب فيهم دالا على ضعف القوة ومفارقة قوة الشباب والنشاط واطلاق الشين على الشيب يحمل على هذه الاعتبارات فلا ينافى أنه وقار ونور روى ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه مرفوعا الشيب نور من خلع الشيب فقد خلع نور الاسلام وروى الديلمى عن أنس مرفوعا أيما رجل نتف شعرة

انصرف والذى رآه منه صلى الله عليه وسلم أنه رأى فى المنام ان فى يده سوارين من ذهب قال فأهمنى شأنهما فأوحى الله الى فى المنام ان انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى أى وهما طليحة العبسى صاحب صنعاء ومسيلمة الكذاب صاحب اليمامة فان كلا منهما ادعى النبوة فى حياته صلى الله عليه وسلم وكان طليحة العبسى يقول ان ملكا كان يقال له ذو النون يأتينى كما يأتى جبريل محمدا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لقد ذكر ملكا عظيما فى السماء يقال له ذو النون وجمع بعضهم بين هذا الذى فى الصحيحين وما هنا بأنه يجوز أن يكون مسيلمة قدم مرتين الأولى كان تابعا ومن ثم كان فى حفظ الرحال والثانية كان متبوعا ولم يحضر أنفة منه واستكبارا وعامله صلى الله عليه وسلم معاملة الاكرام على عادته صلى الله عليه وسلم فى الاستئلاف وأتى الى قومه وهو فيهم كذا قيل ولا يخفى ان قوله ولم يحضر يقتضى أنه لم يجىء الى النبى صلى الله عليه وسلم فى المرتين وتقدم أنه جاء اليه صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب وهذا أى ستره بالثياب هو المناسب لكونه متبوعا ثم صار مسيلمة لعنه الله يتكلم بالهذيان يضاهى به القرآن فمن ذلك قوله قبحه الله لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين شغاف وحشا وقال والطاحنات طحنا والعاجنات عجنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما ووضع عنهم الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا وقيل إنه لعنه الله طلب منه ان يتفل فى بئر تبركا ففعل فملح ماؤها ومسح رأس صبى فصار أقرع قرعا فاحشا ودعا الرجل فى ابنين له بالبركة فيهما فرجع الرجل الى منزله فوجد أحدهما قد سقط فى بئر والآخر أكله الذئب ومسح على عينى رجل للاستشفاء بمسحه فابيضت عيناه فعل ذلك مضاهاة للنبى صلى الله عليه وسلم وهذا السياق يرشد الى أنه كان برأس ذلك الصبى قراع يسير فمسح عليه للاستشفاء ثم أظهر معجزة بزعمه وهو أنه أدخل بيضة فى قارورة وافتضح بأن البيضة بعد يوم إذا ألقيت فى الخل والنوشادر يوما وليلة فانها تمتد كالخيط فتجعل فى القارورة ويصب عليها ماء فتجمد وبهذا يرد على من رثاه من بنى حنيفة بقوله

لهفى عليك أبا ثمامة * كم آية لك فيهمو * كالشمس تطلع من غمامه

فيقال له كذبت بل كانت آياته معكوسة قال وكتب مسيلمة قبحه الله الى النبى صلى الله عليه وسلم كتابا فقال من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله أما بعد فانى قد اشركت فى الأمر معك وان لنا نصف الأمر وليس قريش قوما يعدلون وبعث رجلين فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ثم قال للرجلين وإن ثمامة ولان مثل ما يقول قالا نعم قال أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما انتهى (ومنها وفد طيىء) وفيهم زيد الخيل رضى الله تعالى عنه وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفيهم قبيصة بن الأسود وسيدهم زيد الخيل قيل له ذلك لخمسة أفراس كانت له أى ولو كان وجه التسمية يلزم اطراده لقيل للزبرقان بن بدر زبرقان الخيل فقد قيل إنه وفد على عبد الملك بن مروان وقاد اليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل واحدة من تلك الأفراس إلى

بيضاء متعمدا صارت رمحا يوم القيامة يطعن به وروى ابن سعد أن حجاما أخذ من شارب صلى الله عليه وسلم فرأى شيبة في لحيته فأهوى إليها فأمسك صلى الله عليه وسلم بيده وقال من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا الشيب نور المؤمن لا يشيب رجل شيبة في الاسلام الا كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة وقول أنس رضي الله عنه إنه لم يبلغ الخضاب (٢٥٤) يدل على انه صلى الله عليه وسلم ما خضب لحيته ولا يعارضه ما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة فانه محمول عند العلماء على صبغ الثياب لما في سنن أبي داود كان يصبغ بالورس والزعفران حتى عمامته وحمله بعضهم على عمومه وقال بصبغ شعره واستدل بما في السنن انه كان يصفر بهما لحيته وأجيب باحتمال انه كان مما يتطيب به لا انه كان يصبغ بهما والحاصل أنه اختلف العلماء هل خضب النبي صلى الله عليه وسلم شيبه أم لا قال القاضي عياض منعه الأكثرون وهو مذهب مالك أي ووافق أنسا على الانكار وتأول حديث ابن عمر بحمله على الثياب لا الشعر وقال النووي المختار أنه صبغ شعره حقيقة لأن التأويل خلاف الأصل لكنه فعل ذلك في وقت وتركه في معظم الأوقات فأخبر كل بما رأى وكان صلى الله عليه وسلم إذا ادهن لم يتبين شيبه لتفرقه وكان كثير شعر اللحية وكان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته بالماء وقد وصفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأنه ذو مسربة ومسربة خيط الشعر بين الصدر والسرة ووصفه أيضا ابن أبي هالة رضي الله عنه بأنه كان صلى الله عليه وسلم موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين أي لم يكن عليهما شعر أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق

آبائها وأمهاتها وحلف على كل فرس يمينا غير اليمين التي حلف بها على غيرها فقال عبد الملك عجبي من اختلاف أيمانه أشد من عجبي من معرفته بأنساب الخيل وكان زيد الخيل شاعرا خطيبا لبيبا جوادا فعرض عليهم صلى الله عليه وسلم الاسلام فأسلموا وحسن اسلامهم وقال صلى الله عليه وسلم في حق زيد الخيل ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رأيته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ أي ما قيل فيه كل ما فيه وسماه صلى الله عليه وسلم زيد الخير أي فانه صلى الله عليه وسلم قال له وهو لا يعرفه الحمد لله الذي أتى بك من سهلك وحزنك وسهل قلبك للايمان ثم قبض صلى الله عليه وسلم على يده فقال من أنت قال أنا زيد الخيل بن مهلهل أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله فقال له صلى الله عليه وسلم بل أنت زيد الخير ثم قال يا زيد ما أخبرت عن رجل قط شيئا الا رأيته دون ما أخبرت عنه غيرك أي وأجار صلى الله عليه وسلم كل واحد منهم خمس أواق وأعطى زيد الخيل اثنتي عشرة أوقية ونشا أي وأقطعه محلين من أرضه وكتب له بذلك كتابا ولما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها إلى قومه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينجو زيد من الحمى أي ما ينجو منها وفي أثناء الطريق أصابته الحمى أي وفي لفظ انه صلى الله عليه وسلم قال له يا زيد تقتلك أم ملدم يعني الحمى (وفي رواية) ان زيد الخيل لما قام من عنده صلى الله عليه وسلم وتوجه الى بلاده قال صلى الله عليه وسلم أي فتى ان لم تدركه أم كلبة يعني الحمى والكلبة الرعدة (وفي رواية) ما قدم على رجل من العرب بفضل قومه الا رأيته دون ما يقال فيه الا ما كان من زيد فان ينج زيد من حمى المدينة فلأمر ما هو قال ولما مات أقام قبيصة بن الأسود النائحة عليه سنة ثم وجه براحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اقطعه فيه محلين بأرضه فلما رأت امرأته الراحلة ضرمتها بالنار فاحترقت واحترق الكتاب انتهى وفي كلام السهيلي وكتب له كتابا على ما أراد وأطعمه قرى كثيرة منها فدك هذا كلامه وقيل بقي إلى خلافة عمر رضي الله عنهما ﴿ ومنها وفود عدي بن حاتم الطائي ﴾ حدث عدي رضي الله عنه قال كنت امرأ شريفا في قومي آخذ المرباع من الغنائم كما هو عادة سادات العرب في الجاهلية أي وهو ربع الغنيمة كما تقدم فلما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ما من رجل من العرب كان أشد كراهة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني فقلت لغلام كان راعيا لي لا أبا لك اعزل من ابلي أجمالا ذللا سمانا فاحتبسها قريبا مني فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذني ففعل ثم انه أتاني ذات يوم وقال يا عدي ما كنت صانعا إذا غشيك محمد فاصنعه الآن فاني قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد فقلت له قرب لي أجمالي فقربها فاحتملت أهلي وولدي والتحقت بأهل ديني من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فأصيبت فيمن أصيب أي سبيت فيمن أصيب من الحاضر فلما قدمت في السبايا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربي إلى الشام من عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساها وحملها وأعطاها نفقة وخرجت الى أن قدمت على الشام فوالله اني لقاعد في أهلي اذ نظرت الى ظعينة تؤمنا فقلت ابنة حاتم فاذا هي

حلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل اى تيمنا وتبركا وجاء انه صلى الله عليه وسلم لم يحلق رأسه في غير نسك
فتبقية الشعر في الرأس وعدم إزالته إلا لنسك اقتداء به صلى الله عليه وسلم سنة قال في المواهب ومنكرها مع علمه يجب تأديبه ومن
لم يستطع التبقية يباح له ازالته وعن محمد بن سيرين قال قلت لعبيدة السلماني عندنا شيء من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبناه
من قبل انس فقال لأن تكون عندي شعرة منه أحب الي من الدنيا وما فيها (وأما مشيه) صلى الله عليه وسلم

وعن علي رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأ تكفؤا أي تمايل الى قدام كانما ينحط من صبب أي كانما ينزل في موضع منحدر والمراد أن مشيه ليس فيه تبختر ولا تصنع رواه الترمذي وروى البزار عن أبي هريره رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا وطىء بقدمه وطىء بكلها وعند الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحداً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له أي كأنما تجمع وتجعل مطوية تحت قدميه مع كونه على غاية من التأني وعدم العجلة أي بالنسبة له لا لمن يماشيه بدليل قول أبي هريره رضي الله عنه وانا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث

أي غير مبال بجهدنا وغير مسرع بحيث تلحقه مشقة اى مكان يمشي على هينته و يقطع ما نقطع بالجهد من غير جهد منه وروى
ابن سعد عن يزيد بن مرثد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى اسرع حتى يهرول الرجل وراءه فلا يدركه قال الزمخشري
أراد السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت امتثالا لقوله تعالى واقصد في مشيك اى اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا يدب
دبيب المتماوتين ولا يثب وثب الشياطين وروى انه كان اذا مشى يمشي مجتمعا اى قوى الاعضاء غير مسترخ في المشي وعند ابن

هي فلما وقعت على قالت القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وقطعت بقية والديك وعورتك فقلت
اى اخية لا تقولي الا الخير أنا والله مالي من عذر ولقد صنعت ما ذكرت ثم نزلت وأقامت عندي فقلت لها
وكانت امرأة حازمة ماذا ترين في أمر هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يكن نبيا فللسابق
اليه فضله وان يكن ملكا فأنت أنت فقلت والله ان هذا للرأى ولعلها لم تطهر له اسلامها لئلا ينفر
طبعه من قولها له ان يكن نبيا اى على الفرض والتنزل تحريضا له على اللحوق به ﷺ
فخرجت حتى جئته ﷺ بالمدينة فدخلت عليه فقال من الرجل فقلت عدي بن حاتم
فقام رسول الله ﷺ وانطلق بي إلى بيته فوالله انه لعامد بي اليه اذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة
فاستوقفته ﷺ فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها فقلت ما هو بملك ثم مضى رسول
الله ﷺ حتى إذا دخل بيته تناول وسادة بيده من أدم محشوة ليفا فقدمها الي وقال اجلس
على هذه فقلت بل انت فاجلس عليها قال بل انت فجلست عليها وجلس رسول الله ﷺ
بالأرض فقلت والله ما هذا بأمر ملك ثم قال لي ما معناه يا عدي بن حاتم أسلم تسلم قالها ثلاثا فقلت انى
على دين قال أنا أعلم بدينك منك فقلت أنت أعلم بديني قال نعم ألست من الركوسية ألست من القوم
الذين لهم دين لأنه تقدم انه كان نصرانيا فقلت بلى فقال ألم تكن تسير في قومك بالمرباع أى تأخذ ربع
الغنيمة كما هو شأن الاشراف من أخذهم في الجاهلية ربع الغنيمة قلت بلى قال فان ذلك لم يكن يحل لك
في دينك فقلت أجل والله وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يجهل ثم قال ﷺ لعلك يا عدي انما
يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له وقد رمتهم العرب
مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك انما يمنعك من
الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أتعرف الحيرة قلت لم ارها وقد سمعت بها قال فوالله
وفي لفظ فوالذي نفسي بيده ليتمن هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير
جوار احد (وفي رواية) ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية أي وهي قرية بينها وبين
الكوفة نحو مرحلتين على بعيرها حتى تزور البيت اى الكعبة لا تخاف ولعلك انما يمنعك من الدخول
فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور البيض من ارض بابل
قد فتحت عليهم قال عدي وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وايم الله
لتكونن الثانية ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه ﴿ ومنها وفود فروة بن مسيك المرادى ﴾
وفد على رسول الله ﷺ فروه مفارقا لملوك كندة وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل
الاسلام وقعة اصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا في يوم يقال له الردم وقال له رسول الله ﷺ
هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم فقال يارسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي
يوم الردم ولا يسوءه فقال له رسول الله ﷺ اما أن ذلك لم يزد قومك في الاسلام الا خيرا
واستعمله ﷺ على مراد وزبيد وبعث معه خالد بن سعيد بن العاصي على الصدقة فكان

عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما كان يمشي مشيا يعرف فيه انه ليس بعاجز ولا كسلان وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري للملائكة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل في شمس ولا قمر لأنه كان نورا رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان وروى ابن المبارك وابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع الشمس قط الا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوءه ضوء السراج قال ابن سبع كان صلى الله عليه وسلم نورا فكان اذا مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل لأن النور لا ظل له ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني نورا (وأما لونه) الشريف الازهر صلى الله عليه وسلم فقد وصفه جمهور اصحابه الواصفين له بالبياض منهم أبو بكر وعمر وعلي وابو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن أبي هالة والحسن بن علي والطفيل بن واثلة وابن مسعود والبراء بن عازب وعائشة وانس رضي الله عنهم ورواياتهم في الصحيحين وغيرهما ففي بعضها كان أبيض مليحا وفي بعضها أبيض مليح الوجه وفي رواية لابي الطفيل ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة سواد شعره وفي شعر ابي طالب

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وفي رواية عن علي رضي الله عنه ابيض مشرب بحمرة وقال ابو هريرة رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم ابيض كأنما صيغ من فضة اي كأنما خلق منها والتشبيه بالفضة باعتبار ما كان يعلو بياضه من الاضاءة ولمعان الانوار والبريق الساطع فلا ينافي انه مشرب بحمرة وفي رواية لأنس أزهر اللون وهو بمعنى قول علي ابيض مشرب بحمرة وفي رواية لأنس ازهر اللون ليس بابيض أمهق اي شديد البياض

معه في بلاده حتى توفي رسول الله ﷺ وقال فروه عند توجهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما رأيت ملوك كندة اعرضت * كالرجل خان الرجل عرق نسائها
قربت راحلتي أؤم محمدا * ارجو فواضلها وحسن ثوابها

(ومنها وفد بني زبيد) بضم الزاي وفتح الموحدة وفد بنو زبيد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم عمرو بن معديكرب الزبيدي وكان فارس العرب مشهورا بالشجاعة شاعرا مجيدا فقال لابن أخيه قيس المرادي انك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول انه نبي فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لن يخفى عليك واذا لقيناه اتبعناه وان كان غير ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو رضي الله عنه حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فاسلم فلما بلغ ذلك قيسا قال خالفني وترك امري ورأيي وتوعد عمرا فقال عمرو في قيس ابياتا منها

فمن ذا عاذري من ذي سفاه * يريد بنفسه شد المرار
اريد حياته ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مرادي

أي وبعد موته صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو وهذا مع الاسود العنسي ثم اسلم وحسن اسلامه وشهد فتوحات كثيرة في ايام الصديق وأيام عمر رضي الله عنهما وعن ابن اسحق قيل ان عمرو بن معديكرب لم يأت النبي صلى الله عليه وسلم واسلم قيس بعد ذلك قيل له صحبة وقيل لا (ومنها وفد كندة) أي ولده صلى الله عليه وسلم جدة منهم وهي ام جده كلاب وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثمانون أي وقيل ستون من كندة فيهم الاشعث بن قيس وكان وجيها مطاعا في قومه وفي الامتاع وهو اصغرهم فلما أرادوا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم رجلوا اي سرحوا جممهم أي شعور رءوسهم اي الساقطة على مناكبهم وتكحلوا ولبسوا عليهم جبب الحبرة أي بوزن عنبة برود اليمن المخططة قد كففوها أي سجفوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله ﷺ أي وعند ذلك قالوا أبيت اللعن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ملكا انا محمد بن عبد الله قالوا لا نسميك باسمك قال أنا أبو القاسم فقالوا يا أبا القاسم انا خبأنا لك خبأ فما هو وكانوا خبؤا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عين جرادة في ظرف سمن فقال رسول الله ﷺ سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والكهانة والمتكهن في النار فقالوا كيف نعلم أنك رسول الله فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصباء فقال هذا يشهد أني رسول الله فسبح الحصى في يده فقالوا نشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني بالحق وأنزل علي كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصافات صفا حتى بلغ رب المشارق والمغارب ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن بحيث لا يتحرك منه شيء ودموعه تجري على لحيته فقالوا انا نراك تبكي أفمن مخافة من ارسلك تبكي فقال صلى الله عليه وسلم ان خشيتي منه أبكتني بعثني على صراط مستقيم

كلون الجص وفي رواية ولا آدم اي شديد السمرة قال الحافظ ابن حجر مبينا لمجموع ما يؤخذ من الأحاديث المتفرقة انه ليس بالابيض الشديد البياض ولا بالآدم الشديد الادمة وانما يخالط بياضه حمرة والعرب قد تطلق على من كان كذلك أسمر ولهذا جاء في بعض روايات أنس رضي الله عنه كان أسمر اللون فالمراد ان بياضه يميل إلى السمرة أي فيه حمرة قليلة وفي الشفاء من قال ان النبي ﷺ كان أسود يقتل

صلى الله عليه وسلم فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا روى ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسري به ريحه ريح عروس وأطيب من ريح عروس والمراد أنه ازداد طيب ريحه بعد الاسراء فلا ينافي انه طيب الرائحة من حين ولد كما رواه أبو نعيم والخطيب ان أمه آمنة لما ولدته قالت ثم نظرت اليه فاذا هو كالقمر ليلة البدر ريحه يسطع كالمسك الاذفر وروى الامام أحمد عن أنس رضي الله عنه ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية للبخاري ومسلم ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم واذا أودع الله بعض الحيوان محاسن بعض المشمومات كالمسك من الغزال والزباد من الهرة فلا بدع في ان يدع في أشرف خلقه ما هو أطيب من ذلك في نفس خلقته وفي رواية للترمذي ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبو يعلى والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني زوجت ابنتي وأنا أحب أن تعينني بشيء فقال ما عندي شيء ولكن إذا كان غدا فأتني بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة وآية ما بيني وبينك ان أجيف ناحية الباب فلما كان الغد أتاه بذلك

مستقيم في مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا ﷺ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك الآية ثم قال لهم ﷺ ألم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هذا الحرير في أعناقكم فعند ذلك شقوه منها وألقوه وفيه أن هذا يخالف ما قاله فقهاؤنا معاشر الشافعية من جواز التسجيف بالحرير الا أن يقال الجواز مخصوص بان لا يجاوز الحد اللائق بالشخص ولعل سجفهم جاوزت الحد اللائق بهم وقد قال الاشعث ﷺ نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار يعني جدته أم كلاب فقد تقدم انها من كندة وقيل انما قال ذلك الاشعث لان عمه العباس بن عبد المطلب كان إذا دخل حيا من أحياء العرب لانه كما تقدم كان تاجرا فاذا سئل من أين قال أنا ابن آكل المرار ليعظم يعني انتسب إلى كنده لان كنده كانوا ملوكا فاعتقدت كندة ان قريشا منهم لقول العباس المذكور فقال له ﷺ لا نحن بنو النضر بن كنانه لا نقفوا أمنا ولا ننتفي من آبائنا أي لا ننتسب الى الامهات ونترك النسب الى الآباء والاشعث هذا ممن ارتد بعد موت النبي ﷺ ثم عاد الى الاسلام في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه أي فانه حوصر ثم جيء به أسيرا فقال للصديق حين أراد قتله استبقني لحروبك وزوجني أختك فزوجه أخته أم فروة فدخل سوق الابل بالمدينة واخترط سيفه فجعل لا يرى جملا إلا عرقبه وصاح الناس كفر الاشعث فلما فرغ طرح سيفه وقال والله ما كفرت الا ان الرجل يعني أبا بكر رضي الله عنه زوجني أخته ولو كنا ببلادنا لكانت لنا وليمة غير هذه وقال يا أهل المدينة انحروا وكلوا وأعطى أصحاب الابل أثمانها قال وقال ﷺ للاشعث هل لك من ولد فقال لي غلام ولد لي عند مخرجي اليك لوددت ان لي به لسبعة فقال انهم لمجبنة مبخلة محزنة وانهم لقرة العين وثمرة الفؤاد انتهى ومنها وفد ازد شنوءة وفد الى رسول الله ﷺ جمع من الازد وفيهم صرد بن عبدالله الازدي أي وكان أفضلهم فأمر صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتى نزل بجرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة وهي مدينة بها قبائل من قبائل اليمن وحاصرها المسلمون قريبا من شهر ثم رجعوا عنها حتى إذا كانوا بجبل يقال له شكر بالشين المعجمة والكاف المفتوحتين وقيل باسكان الكاف فلما وصلوا ذلك المحل ظن أهل جرش ان المسلمين رضي الله عنهم انما رجعوا عنهم منهزمين فخرجوا في طلبهم حتى إذا أدركوهم عطفوا عليهم فقتلوهم قتلا شديدا وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان أي ينظران الاخبار فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال رسول الله ﷺ بأي بلاد الله شكر فقام اليه رجلان فقالا يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال انه ليس بكشر ولكنه شكر قالا فما شأنه يا رسول الله قال ان بدن الله لتنحر عنده الآن وأخبرهما الخبر فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين إلى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا في اليوم والساعة التي قال فيها رسول الله ﷺ ما قال وعند اخبارهما لقومهما بذلك وفد وفد جرش على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم أحسن الناس

فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسلت العرق عن ذراعيه حتى امتلأت القارورة فقال خذها وأمر ابنتك ان تغمس هذا العود فى القارورة وتطيب به وكانت إذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وروى الدارمى والبيهقى وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كان فى رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال أى خارقة للعادة منها انه لم يكن يمر فى طريق

فيتبعه أحد الاعرف انه سلكه من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر الاسجدله ولله در من قال

ولو أن ركبا يمموك لقادهم
نسيمك حتى يستدل به الركب

وروى أبو يعلى والبزار عن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر فى طريق من طرق المدينة وجدوا منه أى الطريق رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق قال بعض العارفين ان القلب الطاهر الحى يشم منه رائحة الطيب كما ان القلب الخبيث الميت يشم منه رائحة النتن لأن نتن القلب والروح يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره والعرق يفيض من الباطن فالنفس الطيبة يقوى طيبها ويفوح عرف عرقها حتى يبدو على الجسد والخبيثة بضدها وما أحسن قول من قال

يروح على غير الطريق التى غدا
عليها ولا ينهى علاه نباته
تمسه فى الوقت أنفاس عطره * ثمن طيبه طابت له طرقاته
تروح له الأرواح حيث تسمت * له سحرا من نحوه نسماته

وروى ابن عساكر وأبو نعيم والخطيب باسناد حسن عن عائشة رضى الله عنها قالت كنت قاعدة أغزل والنبي ﷺ يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فقال مالك بهت قلت جعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم انك أحق بشعره حيث يقول

ومبرأ من كل غبر حيضة *

وجوها وأصدقه لقاء وأطيبه كلاما وأعظمه أمانة أنتم منى وأنا منكم وحمى لهم حمى حول بلدهم ومنهم وفد رسول ملوك حمير وحامل كتابهم اليه ﷺ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول ملوك حمير وحامل كتابهم اليه صلى الله عليه وسلم باسلام الحرث بن عبد كلال بضم الكاف وقد اختلف فى كون الحرث له وفادة فهو صحابى أولا والنعمان ومعافر بالفاء مكسورة وهمدان أى باسكان الميم وفتح الدال المهملة وهى قبيلة واما همذان بفتح الميم والذال المعجمة فقبيلة بالعجم فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى الحرث ابن عبد كلال والى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فانى أحمد الله الذى لا إله إلا هو أما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم أى رجوعنا من غزوة تبوك فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبى ﷺ وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فان محمدا النبى أرسل إلى زرعة ذى يزن وفى الاستيعاب زرعة ابن سيف ذى يزن وفى كلام الذهبى زرعة بن سيف ذى يزن ان إذا أتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مراره وأصحابهم وان أجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم بالخاء المعجمة جمع مخلاف وأبلغوها رسلى وان أميرهم معاذ ابن جبل فلا ينقلبن الا راضيا أما بعد فان محمدا يشهد أن لا إله إلا الله وانه عبده ورسوله ثم ان مالك ابن كعب بن مرارة قد حدثنى انك قد أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين فابشر بخير وآمرك بحمير خيرا ولا تخونوا ولا تخاذلوا بضم التاء المثناه الفوقية وكسر الدال ويجوز أن يكون بفتح المثناه وفتح الدال محذوف احدى التاءين فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته إنما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيرا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومنها وفد رسول فروة بن عمرو الجذامى وفد رسول فروة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره باسلامه وأهدى له صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء أى يقال لها فضة وحمارا يقال له يعفور وفرسا يقال له الظرب وثيابا وقباء مرصعا بالذهب وكان فروة رضى الله عنه عاملا للروم على ما يليهم من العرب فلما بلغ الروم اسلامه أخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه وصلبوه أى بعد ان قال له الملك ارجع عن دين محمد ونحن نعيدك إلى ملكك قال لا أفارق دين محمد صلى الله عليه وسلم وانك تعلم ان عيسى عليه الصلاة والسلام بشر به ولكنك تضن بملكك ومنها وفد بنى الحرث ابن كعب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه الى بنى الحرث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم وقال له ان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد رضى الله عنه حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون أيها الناس اسلموا تسلموا فأسلموا فقام فيهم خالد بن الوليد رضى الله عنهم يعلمهم

الاسلام

وفساد مرضعة وداء مغيل * وإذا نظرت إلى أسرة وجهه * برقت بروق العارض المتهلل هكذا اقتصر عليه العلامة الزرقاني في شرح المواهب وزاد في شرح الشهاب الخفاجي على الشفاء قالت عائشة رضي الله عنها فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عيني وقال ماسررت بشيء كسروري بهذا وقوله غير حيضة بضم الغين وشد الياء ومعناه أن أمه لم تحمل به في آخر الحيض بل بعد انقضائه وحصول الطهر وهو محمود مصلح للولد به يكون صحيح الحملة محكم البنية وحيضة بكسر الحاء وقوله وفساد مرضعة أي ولا حملت عليه في الحال رضاعه فيفسد رضاعه والمغيل بوزن مكرم بالكسر من الغيل بفتح المعجمة وسكون التحتية وهي ان ترضعه وهي حامل وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأنورهم لونا لم يصفه واصف قط إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ أي في البياض والصفاء وأطيب من المسك الاذفر أي طيب الرائحة وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا أي نام وقت القائلة فعرق فجاءت أمي أم سليم بنت ملحان الانصارية رضي الله عنها بقارورة فجعلت تسلت العرق وتجعله فيها قال القاضي عياض كانت محرما له من قبل الرضاع فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ماهذا الذي تصنعين قالت هذا عرقك نجعله في طيبنا (وفي رواية) لطيبنا وهو لطيب الطيب (وفي رواية) كان صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سليم وليست فيه فينام على فراشها أي لعلمه برضاها وفرحها به قال فجاءت ذات يوم فنام على فراشها فقيل لها هذا النبي صلى الله عليه وسلم نائم في بيتك على فراشك فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في قواريرها ففزع صلى الله عليه وسلم فقال ما تصنعين

الاسلام أي شرائعه وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فكتب له رسول الله ﷺ أن يقبل و يقبل معه وفدهم فأقبل رضي الله عنه ومعه وفدهم وفيهم قيس بن الحصين ذو الغصة بالغين المعجمة أي لأنه كان في حلقه غصة لا يكاد يبين الكلام منها وهي صفة لأبيه الحصين ورثها وصف بها قيس قال في النور يحتمل أن يقال له ذو الغصة وابن ذو الغصة لأنه وأباه كانت بهما الغصة وفيه بعد وحين اجتمعوا به ﷺ قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم وأمر عليهم صلى الله عليه وسلم يزيد بن الحصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم الى قومهم الا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله ﷺ ومنها أنه وفد عليه صلى الله عليه وسلم رفاعة بن زيد الخزاعي وفد رفاعة بن زيد الخزاعي بالخاء المعجمة والزاي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما فأسلم وحسن اسلامه وكتب له رسول الله ﷺ كتابا الى قومه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لرفاعة بن زيد اني بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم رفاعة رضي الله عنه على قومه أجابوا وأسلموا ومنها وفد همدان وفد على رسول الله ﷺ جمع من همدان فيهم مالك بن نمط وكان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الحبرات بكسر الحاء المهملة ثياب قصار وقيل مخططة من برود اليمن والعمائم العدنية نسبة الى عدن مدينة باليمن سميت بذلك لأن تبعا كان يحبس فيها أرباب الجرائم وفدوا اليه ﷺ على الرواحل المهرية والأرحبية والمهرية نسبة الى قبيلة يقال لها مهرة باليمن والأرحبية نسبة الى ارحب وصار مالك ابن نمط يرتجز أي يقول الرجز بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول

اليك جاوزنا سواد الريف * في هبوات الصيف والخريف * مخطمات بحبال الليف

(ومن شعره)

حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق * رسول أتى من عند ذي العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على أعدائه من محمد

وقد أمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وأمره بقتال ثقيف فكان لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه كذا في الأصل وفي الهدى روى البيهقي باسناد صحيح أن رسول الله ﷺ بعث خالد ابن الوليد رضي الله عنه الى من ذكر يدعوهم الى الاسلام فأقام ستة أشهر يدعوهم الى الاسلام فلم يجيبوه ثم إنه ﷺ بعث عليا كرم الله وجهه وأمر خالدا بالرجوع اليه وان من كان مع خالد ان شاء عقب مع علي وان شاء رجع مع خالد فلما دنا من القوم خرجوا اليه فصف علي كرم الله وجهه أصحابه صفا واحدا ثم تقدم بين أيديهم وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلموا جميعا وكتب بذلك

يا أم سليم قالت يارسول الله نرجو بركته لصبياننا قال أصبت والعتيدة كالصندوق الصغير الذى تترك فيه المرأة ما يعز عليها من متاعها وقيل حقة للمرأة تعدها للطيب (وفى رواية) قالت هذا عرقك أدوف أى أخلط به طيبى وروى أبو نعيم عن عائشة رضى الله عنها قالت كانت كفه صلى الله عليه وسلم ألين من الحرير وكأن كفه كف عطار مسها الطيب أو لم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها أى طيبا خليقا (٢٦٠) خصه الله به معجزة وتكرمة ويضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان بريحها وروى الطبرانى عن وائل بن حجر رضى الله عنه قال كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدى جلده فاعرفه بعد فى يدى وانه لأطيب من ريح المسك وفى الشفاء والمواهب أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يتغوط انشقت الارض وابتلعت بوله وغائطه وفاحت لذلك رائحة طيبة ولم يطلع على ما يخرج منه بشر قط يعنى إذا بال أو تغوط على الارض فلا ينافى ذلك ما رواه الحاكم والدارقطنى والطبرانى وأبو نعيم عن أم أيمن رضى الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة فى جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر انه بول أى لطيب ريحه فلما أصبح النبى صلى الله عليه وسلم قال يا أم أيمن قومى فأهريقى ما فى تلك الفخارة فقلت قد والله شربت ما فيها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال أما والله لا ييجعن بطنك أبدا يا رسول

وروى عبد الرزاق وأبو داود عن أميمة بنت بجاد بن عبد الله التيمى وأمها رقيقة بنت خويلد أخت خديجة رضى الله عنها فرقية خالة السيدة فاطمة رضى الله عنها وكانت أميمة رضى الله عنها صحابية من المبايعات قالت كان للنبى صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يبول فيه وعيدان بفتح المهملة وإسكان التحتية ومهملة مفتوحة جمع عيدانة بالهاء وهو الطوال من النخل وكان يوضع

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه ثم قال السلام على همدان السلام على همدان وهذا أصح لأن همدان لم تكن تقاتل ثقيفا فان همدان باليمن وثقيفا بالطائف أى وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال نعم الحى همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد ومنها وفد تجيب أى بضم المثناة فوق وتحتية وبجوز الفتح وهى قبيلة من كندة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد تجيب وقد كانوا ثلاثة عشر رجلا وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأكرم مثواهم وقالوا يا رسول الله انا سقنا اليك حق الله فى أموالنا فقال رسول الله ﷺ ردوها فاقسموها على فقرائكم قالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا أى وفضل بفتح الضاد وكسرها قال أبو بكر يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيرا شرح صدره للايمان وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم رغبة وأرادوا الرجوع إلى أهليهم وقيل له ما يعجلكم قالوا نرجع إلى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلاقينا اياه وما ورد علينا ثم جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه فأرسل اليهم بلالا فأجازهم بأرفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بقى منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنا قال فارسلوه الينا فأرسلوه فأقبل الغلام حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أنا من الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتى قال وما حاجتك قال تسأل الله عز وجل ان يغفر لى ويرحمنى ويجعل غناى فى قلبى فقال رسول الله ﷺ اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه فى قلبه ثم أمر له صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ثم انهم بعد ذلك وافوا رسول الله ﷺ بمنى فى الموسم إلا ذلك الغلام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل الغلام الذى أتانى معكم قالوا يا رسول الله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا بأقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت اليها فقال رسول الله ﷺ الحمد لله انى لأرجو أن يموت جميعا فقال رجل منهم أوليس يموت الرجل جميعا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تشعب أهواؤه وهمومه فى أودية الدنيا فلعل الأجل يدركه فى بعض تلك الأودية فلا يبالى الله عز وجل فى أيها هلك ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع من رجع من أهل اليمن عن الاسلام قام ذلك الغلام فى قومه فذكرهم الله والاسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه يذكر ذلك الغلام ويسأل عنه ولما بلغه ما قام به كتب إلى زياد بن الوليد أى وكان واليا على حضرموت يوصيه به خيرا ﴿ومنها وفد بنى ثعلبة﴾ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من الجعرانة أربعة نفر من بنى ثعلبة أى مقرين بالاسلام فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء قال بعضهم فرمى ببصره الينا فأسرعنا اليه وبلال يقيم الصلاة فسلمنا عليه وقلنا

تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شيء فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما وكانت أم حبيبة من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وكانت بركة جاءت معها من الحبشة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم أين البول الذي كان في القدح قالت شربته قال صحة يا أم يوسف أي جعله الله صحة فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه وصحح ابن دحية انهما قصتان احداهما قصة أم أيمن والثانية قصة بركة أم يوسف قال في المواهب وقد وضح أن بركة أم يوسف غير بركة أم أيمن لأن أم يوسف كانت تخدم أم حبيبة رضي الله عنها وجاءت معها من الحبشة وأم أيمن هي مولاته صلى الله عليه وسلم وحاضنته قال القاضي عياض والنووي حديث شرب المرأة البول صحيح وفيه دلالة على طهارة بوله وكذا سائر فضلاته صلى الله عليه وسلم وحديث شرب البول كاف في الاحتجاج لكل الفضلات قياسا وكذا حديث الدم الذي شربه عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت يارسول الله انك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئا من الأذى فقال يا عائشة أو ما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء وروى ابن سبع عن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال صحبته صلى الله عليه وسلم في سفر فلما أراد قضاء الحاجة تأملته فدخل مكانا فقضى حاجته فدخلت الموضع الذي خرج منه فلم أر له أثر غائط ولا بول ورأيت في ذلك الموضع ثلاثة أحجار فأخذتهن فوجدت لهن رائحة طيبة وعطرا أي طيبا وكانت الصحابة رضي الله عنهم يتبركون بدمه صلى الله عليه وسلم وشعره وماء وضوئه وجميع آثاره وروى البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني الدم بعد فراغه من الحجامة فقال اذهب يا عبد الله فغيبه (وفي رواية) اذهب بهذا الدم فواره

يارسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اسلام لمن لا هجرة له فقال رسول الله ﷺ حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم أي ثم صلى رسول الله ﷺ بنا الظهر ثم انصرف الى بيته فلم يلبث ان خرج الينا فدعانا فقال كيف بلادكم فقلنا مخصبون فقال الحمد لله فأقمنا أياما وضيافته صلى الله عليه وسلم تجري علينا ثم لما جاؤا يودعونه ﷺ قال لبلال اجزهم فاعط كل واحد منهم خمس أواق فضة أي والاوقية أربعون درهما ﴿ومنها وفد بني سعد هذيم من قضاعة﴾ عن النعمان رضي الله عنه قال قدمت على رسول الله ﷺ وافدا في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد أجعلها موطأة قهرا وغلبة وأراح العرب أي استولى عليها والناس صنفان اما داخل في الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فنجد رسول الله ﷺ يصلي على جنازة في المسجد أي وهو سهيل بن البيضاء لانه صلى الله عليه وسلم لم يصل في مسجده على جنازة الا عليه رضي الله عنه وما وقع في مسلم انه ﷺ صلى فيه على سهيل وأخيه نظر فيه مع أن فقهاءنا ذكروه وأقروه فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه (ثم انصرف) رسول الله ﷺ فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن أنتم فقلنا من بني سعد هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم قلنا يارسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أينما اسلمتم فأنتم مسلمون قال فأسلمنا وبايعنا رسول الله ﷺ بايدينا على الاسلام ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله ﷺ في طلبنا فأتي بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام فقلنا يارسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال صلى الله عليه وسلم سيد القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان رضي الله عنه فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله ﷺ له ثم امره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فكان يؤمنا فلما أراد الانصراف أمر صلى الله عليه وسلم بلالا فأجازنا بأواق من فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا (ومنها وفد بني فزاره) وفد عليه ﷺ بضعة عشر رجلا من بني فزاره فيهم خارجة بن حصن أخو عيينة بن حصن وابن أخيه الحر بن قيس بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون أي توالى عليهم الجدب على ركائب عجاف أي هزال فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقال رجل منهم أي وهو خارجة أسنتت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا أي ما حولنا وغرثت () أي جاعت عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله ويلك هذا انا أشفع الى ربي عز وجل فمن ذا الذي يشفع ربنا اليه لا إله الا هو العلي العظيم وسع كرسيه أي علمه كذا قيل وقيل موضع قدميه السموات والارض أي أحاط بالسموات والأرض وهو دون العرش كما جاءت به الآثار فهي تئط أي تصوت من

حيث لا يراه أحد فذهبت فشربته ثم أتيته صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعت قلت غيبته قال لعلك شربته قلت شربته (وفي رواية) قلت جعلته في أخفى مكان ظننت انه خاف عن الناس قال لعلك شربته قلت شربته قال ويل لك من الناس وويل للناس منك فقوله ويل لك للتحسر والتألم وذلك اشارة إلى محاصرته وتعذيبه وقتله وصلبه على يد الحجاج وويل للناس منك اشاره لما أصابهم من حروبه ومحاصره مكة بسببه وقتل من قتل وما أصاب أمه وأهله من المصائب وما لحق قاتليه من الإثم العظيم وتخريب الكعبة فهو بيان لما تسبب عن شرب دمه فانه بضعة من النبوة وبرواية قويت قلبه حتى زادت شجاعته وعلت همته عن الانقياد لغيره ممن لا يستحق امارة فضلا عن الخلافة وفي رواية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حملك على ذلك قال قد علمت ان دمك لا تصيبه نار جهنم فشربته لذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمسك النار ومسح على رأسه وجاء في رواية ان ابن الزبير رضي الله عنهما لما شرب دمه صلى الله عليه وسلم تضوع فمه مسكا وبقيت رائحته في فمه الى ان صلب بعد قتله رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وكانت خلافته بمكة تسع سنين قال الامام مالك رضي الله عنه وكان أحق بها من عبد الملك وأبيه مروان وروى الزبير بن بكار انه حين ولدته أمه رآه صلى الله عليه وسلم فقال هو هو فسمعته أمه فأمسكت عن رضاعه فقال أرضعيه ولو بماء عينيك كيس كيس بين ذئاب في ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ووقع كما أخبر وقد بويع له بالخلافة سنة خمس وستين بعد وفاة معاوية فأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراقين وخراسان وحج بالناس ثمان سنين حتى ثارت الفتنة بينه وبين عبد الملك بن مروان فبعث اليه الحجاج فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوما حتى لم يبق معه أحد

عظمته وجلاله كما يئط الرحل بالحاء المهملة الحديث أي من ثقل الحمل (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليضحك من شغفكم وأزلكم أي شدة ضيقكم وجدبكم وقرب غياثكم فقال الاعرابي لن نعدم من رب يضحك خيرا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فتكلم بكلمات وكان لا يرفع يديه أي الرفع البالغ في شيء من الدعاء الا في الاستسقاء ورفع صلى الله عليه وسلم يديه حتى رؤي بياض ابطيه أي وفي النور وقد جوزت وجها وهو أنه عليه الصلاة والسلام كان يرفع يديه في الاستسقاء يعني ظهور كفيه الى السماء كما في مسلم أي فيكون التقدير لا يرفع ظهور كفيه إلى السماء الا في الاستسقاء (وأقول) فيه إن هذا يقتضي انه يفعل ذلك وان كان استسقاؤه لطلب حصول شيء كما في دعائه صلى الله عليه وسلم في هذا الاستسقاء فانه متضمن للحصول (وقد ذكر في النور) ان ما كان الدعاء فيه لطلب شيء كان بطون الكفين إلى السماء والظاهر ان مستند ذلك استقراء حاله صلى الله عليه وسلم في الدعاء في الاستسقاء وغيره فليتأمل والله أعلم (ومما حفظ من دعائه) صلى الله عليه وسلم اللهم أسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلدك الميت اللهم اسقنا غيثا أي مطرا مغيثا مريعا بضم الميم واسكان الراء وبالموحدة مكسورة وبالعين المهملة مسرعا لاخراج الربيع مرتعا بالتاء المثناة فوق من رتعت الدابة اذا أكلت ماشاءت طبقا أي مستوعبا للارض منطبقا عليها واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم اسقنا رحمة ولا تسقنا عذابا ولا هدما ولا غرقا ولا محقا اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام أبو لبابة رضي الله عنه فقال يارسول الله التمر في المرابد أي وتكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم ومن أبي لبابة ثلاث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقنا الغيث حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده أي المحل الذي يخرج منه ماء المطر بازاره فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت فوالله مارأينا الشمس سبتا أي من السبت الى السبت الآخر وقام أبو لبابة رضي الله عنه عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه (وفي بعض الروايات) فأمطرت السماء وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم طاف الانصار بأبي لبابة رضي الله عنهم يقولون له يا أبا لبابة إن السماء والله لم تقلع حتى تقوم عريانا تسد ثعلب مربدك بازارك كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام أبو لبابة رضي الله عنه عريانا تسد ثعلب مربده بازاره فاقلعت السماء وحينئذ يكون قول الراوي لئلا يخرج منه التمر بحسب ما فهمه ويكون قول الصحابة والله مارأينا الشمس سبتا كان في قصة غيرها فخلط بعض الرواة فجاء ذلك الرجل أو غيره والذي في الصحيح أنه الرجل الأول وذكر بعض الحفاظ انه خارجة بن حصن فقال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه وهو أي بياض الابط معدود من خصائصه صلى الله عليه وسلم ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام بكسر الهمزة جمع اكمة وهي التل المرتفع والظراب بكسر الظاء المشالة جمع ظرب بفتحها الروابي الصغار وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة أي أقلعت عن المدينة

انجياب

فقاتل حتى قتل رضى الله عنه سنة ثلاث وسبعين وعمره ثنتان وسبعون سنة وأيام وروى الشعبي قال هاج الدم برسول الله صلى الله عليه وسلم فحجمه أبو طيبة فقال النبي ﷺ اشكوه فاعطوه ديناراً وقال لابن الزبير واره يعني الدم فتوارى ابن الزبير رضى الله عنهما فشرب الدم فبلغ رسول الله ﷺ فعله فقال أما انه لا تصيبه النار أولا تمسه النار قال الشعبي وقيل لابن الزبير كيف وجدت طعم الدم فقال أما الطعم فطعم العسل وأما الرائحة فرائحة المسك وهذا من باب قلب الأعيان الذي عد من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروى ابن حبان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال حجم النبي صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته أخذ الدم فذهب به من وراء الحائط فنظر يميناً وشمالاً فلم ير أحداً فحساأي شرب دمه حتى فرغ ثم أقبل فنظر صلى الله عليه وسلم في وجهه فقال ويحك ماصنعت فقلت غيبته في بطني فقال صلى الله عليه وسلم اذهب فقد أحرزت نفسك من النار ولا منافاة لاحتمال تعدد الواقعة وفي سنن سعيد ابن منصور أن مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضى الله عنه لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه يوم أحد مص جرحه حتى أنقاه ولاح بعد المص أبيض فقال مجه فقال لا والله لا أمجه أبداً ثم ازدرده أي ابتلعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد يومئذ بأحد فظهر صدق قوله ﷺ انه من أهل الجنة (وفي رواية) أنه قال من سره أن ينظر الى رجل خالط دمي دمه فلينظر الى مالك بن سنان (وكان ﷺ) يتستر عند البراز وغيره فمن تستره وحسن أدبه مادل عليه قول عائشة رضى الله عنها مارأيت فرج رسول الله ﷺ قط رواه ابن ماجه والترمذي وعن علي رضى الله عنه قال أوصاني النبي ﷺ أن لا يغسله غيري فانه لا يرى أحد عورتي الا طمست

انجياب الثوب (أقول) لعل هذا المطر كان عاما للمدينة وماحولها حتى وصل الى محل هؤلاء الوفد والافهم انما طلبوا حصول المطر بمحلهم ولا يلزم من وجوده بالمدينة وجوده بمحلهم الا اذا كان قريبا للمدينة بحيث إذا وجد المطر بها يوجد بمحلهم غالبا وقد أشار صاحب الهمزية رحمه الله تعالى الى هذه القصة بقوله

ودعا للأنام إذ دهمتهم * سنة من محولها شهباء
فاستهلت بالغيث سبعة أيا * م عليهم سحابة وطفاء
تتحرى مواضع الرعي والسقـ * ـي وحيث العطاش توهى السقاء
وأتى الناس يشتكون أذاها * ورخاء يؤذي الانام غلاء
فدعا فانجلى الغمام فقل في * وصف غيث اقلاعه استسقاء
ثم أثرى الثرى وقرت عيون * بقراها وأحييت احياء
فترى الأرض غبه كسماء * أشرقت من نجومها الظلماء
يخجل الدر واليواقيت من نو * ر رباها البيضاء والحمراء

ثم رأيت في الحدائق لابن الجوزي رحمه الله عن أنس رضى الله عنه (قال) أصابت الناس سنة على عهد رسول الله ﷺ فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يوم الجمعة فقام اعرابي فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله أن يسقينا فرفع رسول الله ﷺ يديه وما في السماء قزعة سحاب فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل ﷺ عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته الشريفة قال فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذي يليه الى الجمعة الأخرى فقام ذلك الاعرابي أو غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال ادع الله لنا فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فجعل يشير بيديه الى ناحية من السماء الا انفرجت حتى صارت المدينة في مثل الجونة حتى سال الوادي شهرا فلم يجيء أحد من ناحية الاحدث بالجود (ثم رأيت بعضهم) قال أحاديث الاستسقاء ثابتة في الصحيحين وظاهرها انه تعدد ففي بعضها انه وقع وهو في خطبة الجمعة وفي بعضها انه صعد المنبر حين شكي اليه فخطب ودعا وفي بعضها أنه خرج الى المصلى بعد أن وعد الناس يوما يخرجون فيه ونصب له منبرا واستسقى وأجيبت دعوته ونزل المطر وجاء اليه ﷺ اعرابي وقال له يارسول الله أتيناك وما لنا بعير يئط ولا صغير يغط ثم أنشد شعراً يقول فيه

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام ﷺ يجر رداءه حتى صعد المنبر فدعا فسقى ثم قال ﷺ لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي كرم الله وجهه فقال يارسول الله كأنك تريد قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

عياه وروى الحاكم وأبو عوانه عن عائشه رضى الله عنها قالت مابال رسول الله ﷺ قائما منذ أنزل عليه القرآن (وفى رواية) قالت من حدثكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه وما كان يبول الا قاعدا (وفى رواية) الا جالسا والمراد من حدثكم ان ذلك عادته فلا ينافى ما صح عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائما والسباطه المزبلة وموضع القمامة والأوساخ فهذا كان منه صلى الله عليه وسلم للتشريع

وبيان الجواز أو لكونه لم يجد فى السباطة المذكوره موضعا خاليا عن الأوساخ يجلس فيه وأيضا عائشة رضى الله عنها ما شهدت هذه الحالة فاخبرت بما شاهدته من أحواله المستمرة وعادته الدائمة وقيل السبب فى بوله قائما ماروى عن الامامين الشافعى وأحمد رضى الله عنهما ان العرب كانت تستشفى لوجع الصلب بالبول قائما فلعله كان به وجع صلب وروى البيهقى والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال انما بال صلى الله عليه وسلم قائما لجرح كان بمأبضه والمأبض بهمزة ساكنة بعدها موحدة مكسورة ثم ضاد معجمة باطن الركبة فكأنه لم يتمكن لأجله من القعود وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يدخل الخلاء قال اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث أى ذكران الشياطين وأناثهم وكان عليه الصلاة

والسلام يستعيذ اظهارا للعبودية والا فهو معصوم من الشياطين كسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ويجهر بذلك للتعليم وكان اذا أراد قضاء الحاجة لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض واذا خرج من الخلاء قال غفرانك الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى منه وكان يقول إذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره وبقية الآداب شهيرة فلا حاجة الى الاطالة بها والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ومن معجزاته﴾ ﷺ ما أكرمه الله به من الأخلاق الزكية

الأبيات فقال ﷺ أجل وفى رواية لما جاءه صلى الله عليه وسلم المسلمون وقالوا يارسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشى وأسنت الناس فاستسق لنا ربك فخرج صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءه وكان يقرأ فى العيدين والاستسقاء فى الركعة الأولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الأعلى وفى الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكى ينقلب القحط الى الخصب ثم جثى صلى الله عليه وسلم على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيره ثم قال اللهم اسقنا وأغثنا غيثا مغيثا رحيما واسعا وجدا طبقا مغدقا عاما هنيئا مريئا مربعا مرتعا وابلا سائلا مسبلا مجللا دائما دارا نافعا غير ضار عاجلا غير رائث غيثا اللهم تحيى به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد اللهم أنزل فى أرضنا زينتها وأنزل علينا سكنها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهورا تحيى به بلدة ميتا واسقه مما خلقت انعاما وأناسى كثيرا فما برحوا حتى أقبل قزع من السحاب فالتأم بعضه الى بعض ثم أمطرت سبعة أيام لا تقلع عن المدينة فأتاه ﷺ المسلمون فقالوا قد غرقت الأرض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يصرفها عنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر حتى بدت نواجذه تعجبا لسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على رؤس الظراب ومنابت الشجر وبطون الأودية وظهور الآكام فتقشعت عن المدينة ثم قال ﷺ لله در أبى طالب لو كان حيا قرت عيناه من الذى ينشد بنا قوله فقام على كرم الله وجهه فقال يارسول الله كأنك أردت قوله فقال الأبيات (ومنها وفد بنى أسد وفد) على رسول الله ﷺ رهط من بنى أسد فيهم ضرار بن الازور ووابصة بن معبد وطلحة بن عبدالله الذى ادعى النبوه بعد ذلك ثم أسلم وحسن اسلامه ومنهم معاذه بن عبدالله بن خلف وقد استهدى رسول الله ﷺ منه ناقة تكون جيده للركوب والحلب من غير أن يكون لها ولد معها فطلبها فلم يجدها الا عند ابن عم له فجاء بها الى رسول الله ﷺ فحلبها فشرب منها ثم سقاه ثم قال اللهم بارك فيها وفيمن منحها فقال يارسول الله وفيمن جاء بها فقال وفيمن جاء بها ومنهم حضرمى بن عامر ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد مع أصحابه فسلموا عليه وقال شخص منهم يارسول الله صلى الله عليك وسلم أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله وجئناك يارسول الله ولم تبعث الينا بعثا ونحن لمن وراءنا أى وفى لفظ ان حضرمى بن عامر قال أتيناك نتدرع الليل البهيم فى سنة شهباء أى ذات قحط ولم تبعث الينا وفى رواية يارسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب فانزل الله تعالى على رسوله ﷺ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين وسألوه ﷺ عما كانوا يفعلونه فى الجاهلية من العيافة وهى زجر الطير والتخرص على الغيب والكهانة وهى الاخبار عن الكائنات فى المستقبل وضرب الحصباء فنهاهم ﷺ عن ذلك فقالوا يارسول الله خصلة بقيت فقال وما هى قالوا

والاوصاف المرضية زيادة على ما كان فى جبلته من كمال خلقه وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال حركاته وسكناته فمن ذلك ما خصه الله به من كمال العلم والحلم والصبر والشكر والزهد والعدل والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وغير ذلك من الاخلاق الحميدة التى جماعها حسن الخلق وقد اتصف بها جميعها صلى الله عليه وسلم (٢٦٥) ونحن إذا شاهدنا من اتصف بصفة أو صفتين وجدناه يعظم قدره ويضرب به الامثال ويتقرب له بذلك الوصف فى القلوب مكرمة يتفرد بها كما نراه فى اشتهار حاتم بالكرم وكسرى بالعدل وحسان بالفصاحة وعنتر بالشجاعة فيقولون أجود من حاتم واعدل من كسرى وافصح من حسان واشجع من عنتر فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل الصفات الحميده الى مالا يأخذه عد ولا احصاء ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة وإنما يكون بتفضل الكبير المتعال ومن تأمل فى صفاته صلى الله عليه وسلم وجده حائزا لجميع صفات الكمال محيطا بشتات محاسنها بلا خلاف بين نقلة الاخبار من ثقات الرجال بل بلغ ذلك مبلغ القطع بالتواتر لا يشك فيه الا مخذول مستغرق فى بحار الضلال وناهيك بقوله تعالى له وانك لعلى خلق عظيم وقوله وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما ولنشرع فى ذكر جملة من اخلاقه العظيمة فنقول (أما وفور عقله) وحلمه وذكائه صلى الله عليه وسلم فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم فطنة وفهما ومن تفكر فى تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم بحسن تصرفه وسياسته العامة والخاصة لم يشك فى رجحان عقله وثقوب فهمه وقد اطلعه الله على ظواهر أحوال الخلائق وخفياتها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها وهو مبعوث الى سائر العباد داع الى الله وهذا إنما يكون باصلاح بواطنهم

الخط أى خط الرمل ومعرفة ما يدل عليه قال صلى الله عليه وسلم علمه نبى فمن صادف مثل علمه علم أى وفى رواية لمسلم فمن وافق خطه أى علم موافق خطه فذاك أى يباح له والا فلا يباح له الا بتيقين الموافقة أى وفى شرح مسلم ان محصل مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهى عنه أى لأنه لا طريق لنا الى العلم اليقينى بالموافقة وكأنه صلى الله عليه وسلم قال لو علمتم موافقته لكن لاعلم لكم بها واقاموا أياما يتعلمون الفرائض ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم وودعوه وأمر لهم بجوائز ثم انصرفوا الى أهليهم (ومنها وفد بنى عذرة قبيلة باليمن) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا من بنى عذرة أى وسلموا بسلام الجاهلية فقال لهم رسول الله ﷺ من القوم فقال قائلهم من بنى عذرة أى أخو قصى لأمه نحن الذين عضدوا قصيا وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبنى بكر فلنا قرابات وأرحام فقال رسول الله ﷺ مرحبا بكم وأهلا أى لقيتم رحبا وأتيتم أهلا فاستأنسوا ولا تستوحشوا ما أعرفنى بكم قال ثم قال ﷺ لهم فما يمنعكم من تحية الاسلام قالوا يا محمد كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لأنفسنا ولقومنا وقالوا ألا تدعو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له وان تشهدوا إنى رسول الله الى الناس كافة فقال متكلمهم فما وراء ذلك فقال رسول الله ﷺ الصلوات الخمس تحسن طهورهن وتصليهن لمواقيتهن فانه أفضل العمل ثم ذكر لهم ﷺ باقى الفرائض من الصيام والزكاة والحج انتهى فأسلموا وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده ونهاهم ﷺ عن سؤال الكاهنة أى فقد قالوا يارسول الله ان فينا امرأة كاهنة قريش والعرب يتحاكمون اليها أفنسألها عن أمور فقال ﷺ لا تسألوها عن شىء ونهاهم ﷺ عن الذبائح التى كانوا يذبحونها الى أصنامهم وقالوا نحن أعوانك وانصارك ثم انصرفوا وقد أجيزوا أى وكسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهم بردا ﴿ ومنها وفد بنى بلى ﴾ على وزن على مكبرا وهو حى من قضاعة وفد على رسول الله ﷺ وفد من بلى منهم وهو شيخهم أبو الضبيب تصغير الضب الدابة المعروفة نزلوا على رويفع بن ثابت البلوى وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هؤلاء قومى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك وبقومك فاسلموا وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هداكم للاسلام فمن مات منكم على غير الاسلام فهو فى النار قال وفى بعض رواية عن رويفع رضى الله عنه قال قدم وفد قومى فأنزلتهم على ثم خرجت بهم حتى اتينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى أصحابه فسلمنا عليه فقال صلى الله عليه وسلم رويفع فقلت لبيك قال من هؤلاء القوم قلت قومى يارسول الله قال مرحبا بك وبقومك قلت يارسول الله قدموا وافدين عليك مقرين بالاسلام وهم على من وراءهم من قومهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يهديه للاسلام فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله انا وفدنا اليك لنصدقك ونشهد أنك نبى حق ونخلع ما كنا نعبد وكان يعبد آباؤنا فقال

وظواهرهم وهو يتوقف على معرفة ذلك فموسى عليه الصلاة والسلام كان ينظر فى أحكام أمته بالظاهر والخضر عليه السلام أعطاه الله العلم بباطن الأمر والنظر اليه ونبينا صلى الله عليه وسلم أعطاه الله العلم بالظاهر والباطن فكان ينظر الى ظواهر الخلائق و بواطنهم و يعامل كل انسان بما يقتضيه حاله من رعاية ظاهره أو باطنه فكان يسوس الخلق على حسب اختلاف أحوالهم حتى انه يأتيه الاعرابى الجلف فيتلطف (٢٦٦) به و يسوسه حتى ينطق بالحكمة فى أقرب زمن وكانت الاعراب كالوحش الشارد فساسهم واحتمل جفاءهم وصبر على أذاهم الى أن انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه أهلهم وآباءهم وأبناءهم واختاروه على أنفسهم وهجروا فى رضاه أوطانهم وأحباءهم وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل انسان منهم على قدر عقله و يفتيه على حسب حاله وهذا مع ما أفاضه صلى الله عليه وسلم عليهم من العلم وورثه لهم من الشرع وكل ذلك دون تعلم سبق له من غيره ولا ممارسة تقدمت لشىء من ذلك ولا مطالعة للكتب فمن تأمل ذلك كله تحقق أنه صلى الله عليه وسلم أعقل العالمين قال وهب ابن منبه قرأت فى أحد وسبعين كتابا من كتب الله المنزلة فوجدت فى جميعها ان النبى صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفى رواية فوجدت فى جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل فى جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا أى لم يعطهم له جميعا منه شيئا نسبته الى عقله الا كنسبة حبة بالنسبة الى رمالها ولما كان عقله عليه الصلاة والسلام أوسع العقول اتسعت اخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن شىء فمن ذلك اتساع خلقه فى الحلم والعفو مع القدرة وصبره على ما يكره وغير ذلك من كريم اخلاقه (أما صبره) فحسبك فيه صبره عليه الصلاة والسلام على الكافرين وعفوه عن المقاتلين المحاربين له مع ما ناله منهم من الجراح

صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى هدانا للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو فى النار انتهى وقال له أبو الضبيب يارسول الله ان لى رغبة فى الضيافة فهل لى فى ذلك أجر قال نعم وكل معروف صنعته الى غنى أو فقير فهو صدقة فقال يارسول الله ما وقت الضيافة قال ثلاثة أيام فما بعد ذلك صدقة ولا يحل للضيف ان يقيم عندك فيحرجك أى يضيق عليك أى وفى لفظ فيؤثمك أى يعرضك للاثم أى تتكلم بسيء القول قال يارسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها فى الفلاة من الأرض قال هى لك أو لأخيك أو للذئب قال فالبعير قال مالك وله دعه حتى يجده صاحبه قال ثم قاموا ورجعوا الى منزلى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى منزلى يحمل تمرا فقال استعن بهذا التمر فكانوا يأكلون منه ومن غيره فأقاموا ثلاثة أيام ثم ودعوا رسول الله ﷺ وأجازهم ورجعوا إلى بلادهم (ومنها وفد بنى مرة) وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلا من بنى مرة رأسهم الحرث بن عوف فقال يارسول الله انا قومك وعشيرتك نحن قوم من بنى لؤى بن غالب فتبسم رسول الله ﷺ وقال للحرث أين تركت أهلك فقال بسلاح وما والاها فقال كيف البلاد فقال والله انا لمسنتون وما فى المال مخ أى صوت يردده فادع الله لنا فقال رسول الله ﷺ اللهم اسقهم الغيث فأقاموا أياما ثم أرادوا الانصراف الى بلادهم فجاؤا رسول الله ﷺ مودعين له فأمر بلالا ان يجيزهم فأجازهم بعشر أواق من فضة وفضل الحرث بن عوف وأعطاه اثنى عشر أوقية أى وهذا يفيد ان كل واحد أعطى عشر أواق ورجعوا إلى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسألوا قومهم متى مطرتم فاذا هو ذلك اليوم الذى دعا فيه رسول الله ﷺ واخصبت لهم بعد ذلك بلادهم ﴿ومنها وفد خولان﴾ وهى قبيلة من اليمن وفد على رسول الله ﷺ عشرة من خولان فقالوا يارسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله وقد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الأرض وسهولها وحزون كفلوس وهو ما غلظ منها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال رسول الله ﷺ أما ما ذكرتم من مسيركم الى فان لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة وأما قولكم زائرين لك فانه من زارنى بالمدينة كان فى جوارى يوم القيامة فقالوا يارسول الله هذا السفر الذى لا توى عليه أى والتوى بفتح المثناة فوق وفتح الواو مقصورا هو هلاك المال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل عم أنس وهو صنم خولان الذى كانوا يعبدونه قالوا ابشر بدلنا الله تعالى ما جئت به وقد بقيت منا بعد بقايا شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قدمنا عليه هدمناه إن شاء الله تعالى وقد كنا منه فى غرور وفتنة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أعظم ما رأيتم من فتنة قالوا القد رأيتنا بضم المثناة فوق واسنتنا حتى أكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثور ونحرناها لعم أنس قربانا فى غداة واحدة وتركناها يردها السباع ونحن أحوج اليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا الغيث يوارى الرجال و يقول قائلنا انعم علينا عم أنس وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم من انعامهم وحرثهم فقالوا كنا نزرع الزرع فنجعل

والجهد بحيث كسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج وجهه يوم أحد حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف وصار ينشفه ويقول لو وقع شيء منه على الأرض لنزل عليهم العذاب من السماء وشق ذلك على أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم وقال انى لم أبعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة أي لمن أراد الله اخراجه من الكفر إلى الايمان ثم قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وفى رواية اللهم اهد قومى وهو المراد من قوله اللهم اغفر لهم فان المغفرة لا تكون الا بعد الهداية فالدعاء بالمغفرة متضمن للدعاء لهم بالهداية وفى الشفاء عن عمر رضى الله عنه أنه قال فى بعض كلامه بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا لهلكنا من عند آخرنا ولقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وهنا دقيقة وهى أن حلمه صلى الله عليه وسلم وعفوه انما هو فيما يتعلق بنفسه الشريفة وأما اذا انتهكت حرمات الله فكان يغضب أشد الغضب ولهذا لما شغله المشركون عن الصلاة يوم الخندق قال اللهم املأ بطونهم نارا وفى رواية ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا فالصلاة عماد الدين فرجح حق الله ودعا على من شغله عنها بخلاف شج الوجه فانه حقه صلى الله عليه وسلم فعفا فالصبر على الأذى هو جهاد النفس الأكبر وقد جبل الله النفس على التألم بما يفعل بها وكان الكفار والمنافقون يفعلون معه ﷺ كثيرا من الأذى فكان يصبر ويعفو اذا كان فى حق نفسه لما علم من جزيل ثواب الصابرين والعافين أما اذا كان لله فانه يمتثل فيه أمر الله من الشدة كما قال تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وأما حلمه ﷺ) وعفوه مع القدرة فيدل عليه ما رواه الطبرانى وابن حبان والحاكم والبيهقى أن سعد بن سعنة بفتح السين المهملة وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها

له وسطه فسميه له وسمى زرعا آخر حجره أى ناحيته لله فاذا مالت الريح بالذى سميناه له أى لله جعلناه لعم أنس واذا مالت الريح بالذى سميناه لعم أنس لم نجعله لله وذكرهم رسول الله ﷺ ان الله تعالى أنزل على فى ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا الآية قالوا وكنا نتحاكم اليه فيتكلم فقال رسول الله ﷺ تلك الشياطين تكلمكم وسألوه صلى الله عليه وسلم عن فرائض الله فأخبرهم بها صلى الله عليه وسلم وأمرهم بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة وحسن الجوار لمن جاوروا وأن لا يظلموا أحدا فان الظلم ظلمات يوم القيامة ثم ودعوه ﷺ بعد أيام وأجازهم أى أعطى كل واحد اثنتى عشرة أوقية ونشا ورجعوا الى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا عم أنس (ومنها وفد بنى محارب) وفد على رسول الله ﷺ عشرة من بنى محارب وفيهم خزيمة بن سواد وكانوا أغلظ العرب وأشدهم على رسول الله ﷺ أيام عرضه نفسه على القبائل فى المواسم يدعوهم إلى الله تعالى فجلسوا عنده يوما من الظهر إلى العصر وأدام ﷺ النظر إلى رجل منهم وقال له قد رأيتك فقال له ذلك الرجل أى والله لقد رأيتنى وكلمتك أقبح الكلام ورددتك بأقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس فقال رسول الله ﷺ نعم ثم قال يارسول الله ما كان فى أصحابى أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الاسلام منى فأحمد الله الذى جاءنى حتى صدقت بك ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معى على دينهم فقال رسول الله ﷺ ان هذه القلوب بيد الله عز وجل فقال يارسول الله استغفر لى من مراجعتى إياك فقال رسول الله ﷺ ان هذا الاسلام يجب ما قبله من الكفر أى ومسح رسول الله ﷺ وجه خزيمة بن سواد فصارت له غرة بيضاء وأجازهم كما يجيز الوفود ثم انصرفوا إلى أهليهم ﴿ومنها وفد صداء﴾ حى من عرب اليمن وفد على رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلا من صداء وسبب ذلك أنه صلى الله عليه وسلم هيأ بعثا أربعمائة من المسلمين استعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة رضى الله تعالى عنهم ودفع له لواء أبيض ودفع اليه راية سوداء وأمره أن يطأ ناحية من اليمن كان فيها صداء فقدم على رسول الله ﷺ رجل منهم وعلم بالجيش فأتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله جئتك وافدا على من ورائى فاردد الجيش وأنا لك بقومى فرد رسول الله ﷺ قيس بن سعد رضى الله تعالى عنهما وخرج الصدائى إلى قومه فقدم على رسول الله ﷺ بأولئك القوم فقال سعد بن عبادة يارسول الله دعهم ينزلون على فنزلوا عليه فحياهم بالموحدة أعطاهم وأكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم إلى النبى ﷺ فبايعوه على الاسلام وقالوا له نحن لك على من وراءنا من قومنا فرجعوا إلى قومهم ففشا فيهم الاسلام فوافى رسول الله ﷺ منهم مائة رجل فى حجة الوداع وسمى ذلك الرجل الذى كان سببا فى رد الجيش ومجىء الوفد زياد بن الحرث الصدائى أى وذكر زياد أنه ﷺ قال له يا أخا صداء انك لمطاع فى قومك قال فقلت بل من من الله عز وجل ومن رسوله قال وفى رواية بل الله هداهم للاسلام فقال رسول الله ﷺ أفلا أؤمرك عليهم

هاء أحد أحبار اليهود الذين أسلموا قال لم يبق من علامات النبوة شيء وفي رواية ما بقي شيء من نعت محمد في التوراة الا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتلطف له توصلا لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله فابتعت أي اشتريت منه تمرا إلى أجل وفي رواية لأبي نعيم وأعطاه زيد بن سعنة ثمانين مثقالا ذهبا في تمر معلوم إلى أجل معلوم قال زيد بن سعنة فلما كان قبل مجيء الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه على عنقه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت الا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر وفي رواية أبي نعيم فنظر اليه عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير وقال أي عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وتفعل به ما أرى والله لولا ما أحاذر فوته أي من بقاء الصلح بين المسلمين وبين قومه لضربت بسيفي رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى عمر بسكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن التباعة وفي رواية تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من أجله ثلاث فكرم صلى الله عليه وسلم بالتعجيل وقال اذهب يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما روعته أي في مقابلة ترويعك له ففعل ذلك عمر رضي الله عنه قال زيد فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما أي بما رأيت من فعله صلى الله عليه وسلم فاشهد يا عمر اني قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وفي رواية فاحملني على ما رأيت مني صنعت يا عمر الا أني كنت رأيت صفاته التي في التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف هؤلاء

فقلت لي يا رسول الله فكتب لي كتابا بذلك فقلت يا رسول الله مر لي بشيء من صدقاتهم قال نعم فكتب لي كتابا آخر انتهى (قال زياد) رضي الله تعالى عنه وكنت معه صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وكنت رجلا قويا فلزمت غرزه أي ركابه وجعل أصحابه يتفرقون عنه فلما كان السحر قال صلى الله عليه وسلم أذن يا أخا صداء فأذنت على راحلتي ثم سرنا حتى نزلنا فذهب صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع فقال يا أخا صداء هل معك ماء قلت معي شيء في اداوتي أي وهي إناء من جلد صغير (وفي رواية) لا إلا شيء قليل لا يكفيك قال هاته فجئت به قال صب فصببت ما في الاداوة في القعب أي وهو القدح الكبير وجعل أصحابه صلى الله عليه وسلم يتلاحقون ثم وضع صلى الله عليه وسلم كفه في الاناء فرأيت بين كل أصبعين من أصابعه عينا تفور ثم قال يا أخا صداء لولا اني أستحي من ربي عز وجل لسقينا واستقينا أي من غير أصل ثم توضأ وقال أذن في أصحابي من كانت له حاجة في الوضوء بفتح الواو فليرد قال فورد الناس من آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم فأقمت ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا فلما سلم يعني من صلاته قام رجل يشكو من عامله فقال يا رسول انه آخذنا بذحول كانت بيننا وبين قومه في الجاهلية أي وفي رواية آخذنا بكل شيء كان بيننا وبين قومه في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في الامارة لرجل مسلم ثم قام رجل آخر فقال يا رسول الله أعطني من الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يكل قسمتها إلى ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى جزأها ثمانية أجزاء فان كنت جزأ منها أعطيتك وان كنت غنيا عنها فانما هي صداع في الرأس وداء في البطن فقلت يا رسول الله هذان كتاباك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم قلت اني سمعتك تقول لا خير في الامارة لرجل مسلم وأنا رجل مسلم وسمعتك تقول من سأل الصدقة وهو عنها غني فانما هي صداع في الرأس وداء في البطن وأنا غني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان الذي قلت كما قلت ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على رجل من قومك أستعمله فدللته صلى الله عليه وسلم على رجل منهم فاستعمله قلت يا رسول الله ان لنا بئرا اذا كان الشتاء كفانا ماؤها وان كان الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه والاسلام فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا في بئرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولني سبع حصيات فناولته ففركهن في يده الشريفة ثم دفعهن الي وقال اذا انتهيت اليها فالق فيها حصاة حصاة وسم الله قال ففعلت فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة ﴿ومنها وفد غسان﴾ اسم ماء نزل عليه قوم من الأزد فنسبوا اليه ومنهم بنو حنيفة وقيل غسان قبيلة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة نفر من غسان فأسلموا وقالوا لا ندري هل يتبعنا قومنا أم لا وهم يحبون بقاء ملكهم وقربهم من قيصر فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز وانصرفوا راجعين إلى قومهم فلما قدموا عليهم ولم يستجيبوا لهم كتموا إسلامهم ﴿ومنها وفد سلامان﴾ بفتح السين وتخفيف اللام وفي العرب بطون ثلاثة منسوبون اليه بطن من الأزد وبطن من طيء وبطن من قضاعة وهم

فى التوراة وانى اشهدك أن هذا التمر وشطر مالى فى فقراء المسلمين وأسلم هو وأهل بيته كلهم إلا شيخا غلبت عليه الشقوة وروى أبو داود والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم قام وقمنا حين قام فنظرنا الى أعرابى قد أدركه فجبذه بردائه فحمر رقبته وكان رداء خشنا فالتفت اليه صلى الله عليه وسلم فقال له الأعرابى احملى على بعيرى هذين أى حملهما الى طعاما من مال الله الذى عندك فانك لا تحملنى من مالك ولا من مال أبيك فقال له (٢٦٩) صلى الله عليه وسلم لا وأستغفر الله

هؤلاء وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من سلامان فيهم حبيب بن عمرو السلامانى وأسلموا (قال) وعن خبيب رضى الله تعالى عنه صادفنا رسول الله ﷺ خارجا من المسجد الى جنازة دعى اليها فقلنا السلام عليك يارسول الله فقال وعليكم السلام من أنتم قلنا نحن من سلامان قدمنا اليك لنبايعك على الاسلام ونحن على من وراءنا من قومنا فالتفت صلى الله عليه وسلم الى ثوبان غلامه فقال أنزل هؤلاء وسألناه عن أشياء انتهى (قال) خبيب رضى الله تعالى عنه قلت يارسول الله ما أفضل الأعمال قال الصلاة فى وقتها وصلوا معه ﷺ يومئذ الظهر والعصر ثم شكوا له ﷺ جدب بلادهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقهم الغيث فى دارهم فقلت يارسول الله ارفع يديك فانه أكثر وأطيب فتبسم رسول الله ﷺ ورفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قام صلى الله عليه وسلم وقمنا معه وأقمنا ثلاثة ايام وضيافته ﷺ تجرى علينا ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فأعطينا خمس أواق فضة لكل واحد واعتذر الينا بلال رضى الله تعالى عنه وقال ليس عندنا اليوم مال فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه ثم رجعنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت فى اليوم الذى دعا فيه رسول الله ﷺ ﴿ ومنها وفد بنى عبس ﴾ وفد على رسول الله ﷺ ثلاثة من بنى عبس فقالوا يارسول الله قدم علينا قراؤنا فاخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواش هى معاشنا فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له بعناها وهاجرنا من آخرنا فقال رسول الله ﷺ اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم أى ينقصكم من أعمالكم شيئا وسألهم رسول الله ﷺ عن خالد بن سنان هل له عقب فأخبروه أنه لا عقب له كانت له ابنة فانقرضت وأنشأ رسول الله ﷺ يحدث أصحابه عن خالد بن سنان وقال انه نبى ضيعه قومه وجاء ليس بينى وبين عيسى عليه الصلاة والسلام نبى أى وإذا صح شئ من الأحاديث التى ذكر فيها خالد بن سنان أو غيره يكون معناه لم يكن بينه ﷺ وبين عيسى عليه السلام نبى مرسل أى ونحو ما فى ذلك ﴿ ومنها وفد النخع ﴾ أى بفتح النون والخاء المعجمة قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود وكان وفودهم سنة احدى عشرة فى المنصف من المحرم ووفد على رسول الله ﷺ مائتا رجل من النخع مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يارسول الله إنى رأيت فى سفرى هذا عجبا أى وفى رواية رأيت رؤيا هالتنى قال وما رأيت قال رأيت أتانا تركتها فى الحى ولدت جديا أى وهو ولد المعز أسفع أحوى أى والأسفع الذى سواده مشرب بحمرة والأحوى الذى ليس شديد السواد ومن ثم فسر بالأخضر فقال رسول الله ﷺ هل تركت أمة لك مصرة لك على حمل قال نعم قال فانها تلد غلاما وهو ابنك قال يارسول الله فماله أسفع أحوى قال ادن منى فدنا منه فقال هل بك من برص تكتمه قال والذى بعثك بالحق ما علم به أحد ولا اطلع عليه غيرك قال هو ذاك قال يارسول ورأيت النعمان بن المنذر أى وهو ملك العرب وعليه قرطان والقرط ما يكون فى شحمة الأذن ودملجان بضم الدال المهملة

لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله أى لا أحملك من مالى ولا من مال أبى وفى روايه المال مال الله وأنا عبده أى أتصرف فيه باذنه وأعطى من يأمرنى باعطائه ثم قال لا أحملك حتى تقيدنى من جبذتك التى جبذتنى أى تمكنى من القود من نفسك فأفعل معك مثل ما فعلت معى من جبذ ردائى قال الأعرابى والله لا أقيدكها قال لم قال لأنك لا تكافىء بالسيئة السيئة فضحك صلى الله عليه وسلم أى تطمينا لقلبه إذا بدى بالمسرة بمقالته وسرورا بما رآه من حسن ظنه به وأنه لم يفعل ذلك تنقيصا له وهذا يقتضى أنه كان مسلما غير منافق غير أن فيه جفاء البادية ثم دعا صلى الله عليه وسلم رجلا وفى رواية دعا عمر فقال احمل له على بعيريه هذين على بعير تمرا وعلى الآخر شعيرا وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال كنت أمشى مع

النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه أعرابى فجبذ بردائه جبذة شديدة قال أنس رضى الله عنه فنظرت الى صفحة عاتقه وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته وفى رواية مسلم وانشق البرد وذهبت حاشيته فى عنقه ثم قال يا محمد مرلى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء والعطاء المذكور يحتمل أنه تحميل البعيرين المذكورين آنفا ويحتمل أنه غيره وتكون هذه قصة أخرى وفى هذا بيان حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره على الأذى فى النفس والمال والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه

على الاسلام وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت لم يكن فاحشا ولا متفحشا أي متكلفا للفحش أي لم يقم به فحش طبعا ولا تكلفا ولا يجزىء بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ومثل ذلك روى عن أنس وعبد الله ابن عمر رضي الله عنهم وروى الحاكم وغيره عن عائشة رضي الله عنها ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر صريح اسمه وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يضرب (٢٧٠) في سبيل الله ولا سئل شيئا قط فمنعه إلا أن يسئل مأثما ولا انتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم وفي رواية عن أنس رضي الله عنه فإن انتهكت حرمات الله كان أشد الناس غضبا وقد وصفه الله بحسن الخلق في قوله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وأمر بقوله ادفع بالتي هي أحسن الآية روى أن أعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان فصيح اللسان قوي الجنان وكان يدفع شعرا مشتملا على حكمة وظن أن أحدا لا يقدر أن يأتي بما فيه من الحكمة فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اصغ الى أوصاف ثم قال

خذ من ذوي الأضغان بسلى نفوسهم
تحيتك الحسنى فقد ترقع النقل
فإن همهموا بالقول فاعف تكرما
وإن جاسوا عنك الكلام ولا تسل
فإن الذي يؤذيك منه استماعه * كأن الذي قالوا وراءك لم يقل

فقرأ عليه صلى الله عليه وسلم ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم فقال الأعرابي ليس هذا من كلام البشر وكان سبب اسلامه رضي الله عنه ومما يدل على كمال حلمه وصبره وعفوه صلى الله عليه وسلم اتساع خلقه للمنافقين قال ابن عباس رضي الله عنهما كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النساء مائة وسبعين وكانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم اذا غاب

وضم اللام وفتحها ومسكنا بضم الميم وسكون المهملة قال ذلك ملك العرب رجع الى أحسن زيه وهيئته قال يارسول الله ورأيت عجوزا شمطاء أي يخالط شعر رأسها الأبيض شعر أسود خرجت من الأرض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الأرض فحالت بيني وبين ابن لي يقال له عمرو وهي تقول لظى لظى بصير وأعمى أطعموني أكلكم أهلكم ومالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون في آخر الزمان قال يارسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس امامهم ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس ويشجرون بالشين المعجمة وبالجيم أي يشتبكون في الفتنة اشتباك أطباق الرأس وخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصابعه يحسب المسيء فيها أنه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أسهل أي وفي لفظ أحلى من شرب الماء البارد وإن مات ابنك أدركت الفتنة وإن مت أنت أدركها ابنك فقال يارسول الله ادع الله أني لا أدركها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركها فمات وبقي ابنه عمرو ولم يجتمع به صلى الله عليه وسلم فهو تابعي وكان ممن خلع عثمان رضي الله تعالى عنه (قال) وفي رواية أن النخع بعثت رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم ارطاة بن شرحبيل من بني حارثة والأرقم من بني بكر فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الاسلام فقبلاه فبايعاه على قومهما وأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما وحسن هيئتهما وقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم هل خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما قالا يارسول الله قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلا كلهم أفضل منا وكلهم يقطع الأمر وينفذ الأشياء ما يشاء فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بخير وقال اللهم بارك في النخع وعقد صلى الله عليه وسلم لارطاة لواء على قومه فكان في يده يوم الفتح وشهد به القادسية وقتل يومئذ رضي الله تعالى عنه اهـ وقوله وكان في يده يوم الفتح لا يناسب ما تقدم ان وفد النخع كان قدومه في سنة احدى عشرة الا أن يقال ان هذين وفدا قبل وفود ذلك الجمع وقد ترك الأصل التعرض لجملة من الوفود ذكرت في السيرة العراقية والسيرة الهشامية تركناها تبعا للأصل منها أن عمرو بن مالك وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ثم رجع الى قومه فدعاهم الى الاسلام فقالوا حتى نصيب من بني عقيل مثل ما أصابوا منا فكان بينهم وبين بني عقيل مقتلة وكان عمرو بن مالك هذا من جملة من قاتل معهم فقتل رجلا من بني عقيل قال عمرو فشددت يدي في غل وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغه ما صنعت فقال صلى الله عليه وسلم إن أتاني لأضربن ما فوق الغل من يده فلما جئت سلمت فلم يرد على السلام وأعرض عني فأتيته عن يمينه فأعرض عني فأتيته عن يساره وأعرض عني فأتيته من قبل وجهه فقلت يارسول الله إن الرب عز وجل ليترضى فيرضى فارض عني رضي الله تعالى عنك قال رضيت وتقدم أنه قد جاء في الصحيح لا أحد أحب اليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ولا أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه ولا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والله أعلم

﴿باب بيان كتبه صلى الله عليه وسلم التي أرسلها الى الملوك يدعوهم الى الاسلام﴾

ويتملقون إذا حضر وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى يؤيدها العناية الربانية وكان صلى الله عليه وسلم كلما أذن له في التشديد عليهم فتح لهم بابا من الرحمة لأنه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى أنزل الله تعالى عليه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فقال عليه الصلاة والسلام خيرني ربي فاخترت أن أستغفر لهم ولما قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال ﷺ والله لأزيدن على السبعين وفي رواية وأنا أستغفر سبعين سبعين سبعين إلى أن أنزل الله عليه في سورة المنافقين سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فترك الاستغفار وروى ابن منده أن الحباب عبد الله بن أبي ابن سلول جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه لما بلغه بعض مقالاته في النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقه وكان ابنه صحابيا صالحا فأبى صلى الله عليه وسلم أن يأذن له في قتله وأمره ببره وحسن صحبته وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما لما مرض عبد الله بن أبي جاءه النبي صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال قد فهمت ما تقول فامنن علي وكفني في قميصك وصل علي ففعل وكان طلب ذلك منه بما قالا عن حقيقة إيمان ولما مات كفنه النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب خلعه عن بدنه صلى الله عليه وسلم وصلى عليه تطييبا لقلب ابنه وتألفا لبقية المنافقين ولما قيل له ﷺ في ذلك قال وما يغني عنه قميصي وإني لأرجو أن يسلم بذلك ألف من قومه روي ان ألفا من الخزرج أسلموا لما رأوه يستشفع بثوبه ويتوقع اندفاع العذاب عنه وجاء أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد النبي أن يصلي عليه منعه وصار يجذبه بثوبه ويقول يا رسول الله أتصلي على رأس المنافقين فنتر ثوبه من عمر رضي الله عنه أي جذبه منه بقوة وقال إليك عني يا عمر وصلى عليه فخالف مؤمنا في حق عدو منافق كل ذلك رحمة منه لأمته لكمال شفقته صلى الله عليه وسلم على من تعلق بطرف من الدين وليطيب قلب ولده الصحابي الصالح ولتألف الخزرج لرياسته فيهم لأنه لو لم

أي في الغالب والافمنها ما ليس كذلك وهذه غير كتبه ﷺ التي كتبها بالامان التي تقدم ذكرها أي ولما أراد ﷺ أن يكتب الملوك قيل له يا رسول الله انهم لا يقرؤون كتابا إلا إذا كان مختوما أي ليكون في ذلك اشعار بأن الأحوال المعروضة عليهم ينبغي أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وفيه أن هذا واضح إذا كان الختم عليها بعد طيها ويجعل عليها نحو شمع ويختم فوق ذلك والظاهر أن ذلك لم يكن وحينئذ يكون الغرض من ذلك أمن التزوير لبعده مع الختم فاتخذ ﷺ خاتما من فضة أي بعد أن اتخذ خاتما من ذهب فاقتدى به صلى الله عليه وسلم ذوو اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب ولما لبس رسول الله ﷺ ذلك لبس أصحابه رضي الله تعالى عنهم خواتيمهم فجاءه جبريل عليه السلام بعد من الغد بأن لبس الذهب حرام على ذكور أمتك فطرح رسول الله ﷺ ذلك الخاتم وطرح أصحابه خواتيمهم وكان نقش خاتمه الفضة ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر (وفي حديث موضوع) كان نقش خاتمه صدق الله وفي رواية شاذة أنه بسم الله محمد رسول الله والأسطر الثلاثة تقرأ من أسفل إلى فوق فمحمد آخر الأسطر ورسول في الوسط والله فوق كذا قال بعض أئمتنا قال في النور الذي ظهر لي أن هذه الكتابة كانت مقلوبة حتى إذا ختم بها يختم على الاستواء كما في خواتم الكبراء اليوم وختم ﷺ بذلك الخاتم الكتب وكان في يده الشريفة ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله تعالى عنهم حتى وقع في بئر اريس في السنة التي توفي فيها عثمان رضي الله تعالى عنه فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه وذكر أن هذا الخاتم الذي كان في يده ﷺ ثم في يد أبي بكر ثم في يد عمر ثم في يد عثمان رضي الله تعالى عنهم كان الخاتم الحديد الذي كان ملويا عليه الفضة وأنه الذي كان في يد خالد بن سعيد فرآه النبي ﷺ فقال ما نقش هذا الخاتم قال محمد رسول الله قال اطرحه إلي فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسه فكان في يده ثم في يد أبي بكر الحديث (وعن أنس) رضي الله تعالى عنه أنه ﷺ لبس خاتم فضة فصه حبشي أي من جزع لأنه يؤتى به من بلاد الحبشة وقيل فصه من الزبرجد وأنه الذي نقش فيه محمد رسول الله وفي لفظ فصه منه وفي لفظ فصه من عقيق أي ولا ينافي ذلك وصفه بأنه حبشي لأن العقيق يؤتى به من بلاد الحبشة ولم يرد أنه ﷺ لبس خاتما كله عقيق (وفي الحديث) تختموا بالعقيق فانه مبارك تختموا بالعقيق فانه ينفي الفقر (قيل) وكان خاتمه ﷺ في خنصر يده اليسرى وهو المروي عن عامة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين وقيل كان في خنصر يمينه صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وطائفة ومنهم عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه وقبض والخاتم في يمينه (قال بعضهم) وهذا رواه عبيدة بن القاسم وهو كذاب أي وهو يخالف ما جمع به البغوي أنه تختم أولا في يمينه ثم تختم به في يساره وكان ذلك آخر الأمرين وروى أشعب الطامع عن عبد الله

ابن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم فى اليمين (قال الامام النووى) رحمه الله التختم فى اليمين أو اليسار كلاهما صح فعله عن النبى ﷺ لكنه فى اليمين أفضل لأنه زينة واليمين بها أولى هذا كلامه أى ولأن ابن أبى حاتم نقل عن أبى زرعة أنه كان فى يمينه صلى الله عليه وسلم أكثر منه فى يساره وكان يجعل فصه مما يلى كفه وتقدم أن الخاتم الذى لبسه ﷺ يوما وألقاه كان من الذهب وقيل كان ذلك الخاتم من حديد (وقد قال) صلى الله عليه وسلم للابس خاتم الحديد مالى أرى عليك حلى أهل النار فطرحه ولعله لكون سلاسل أهل النار وأغلالهم وقيودهم من حديد أى ثم جاءه وعليه خاتم من صفر أى نحاس فقال مالى أرى فيك ريح الأصنام ولعل الأصنام كانت تتخذ من نحاس غالبا ثم أتاه وعليه خاتم من ذهب فقال مالى أرى عليك حلية أهل الجنة أى المختص اباحتها بأهل الجنة فى الجنة قال يا رسول الله من أى شىء أتخذه قال من ورق ولا تتمه مثقالا أى وزن مثقال لكن فى رواية أبى داود ولا تتمه مثقالا ولا قيمة مثقال وهى تفيد أن الخاتم إذا كان دون مثقال وربما لكن بلغ بالصنعة قيمة مثقال كان منهيا عنه (وفى الحديث) ما طهر الله كفا فيه خاتم من حديد وهو يفيد كراهة لبس الخاتم الحديد (وفى كلام) الشمس العلقمى ولا يكره كونه من نحو حديد ونحاس لحديث الشيخين التمس ولو خاتما من حديد فليتأمل (وعند عزمه) ﷺ على ارسال الكتب وتكلم مع أصحابه فى ذلك خرج على أصحابه يوما فقال أيها الناس ان الله بعثنى رحمة وكافة فادوا عنى رحمكم الله ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم عليه السلام وقال أصحابه رضى الله تعالى عنهم وكيف اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام يا رسول الله قال دعاهم لمثل ما دعوتكم له فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وأبى فشكى ذلك عيسى عليه السلام إلى ربه عز وجل فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذى وجه اليهم

﴿ ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى قيصر ﴾

المدعو هرقل ملك الروم على يد دحية الكلبى رضى الله تعالى عنه والدحية بلسان اليمن الرئيس وقيصر معناه فى اللغة البقير لأنه شق عنه لأن أم قيصر ماتت فى المخاض فشق عنه وأخرج فسمى قيصر وكان يفتخر بذلك ويقول لم أخرج من فرج أى لأن كل من ملك الروم يقال له قيصر كتب صلى الله عليه وسلم كتابا الى قيصر يدعوه الى الاسلام وبعث به دحية الكلبى رضى الله تعالى عنه وأمره أن يدفعه الى قيصر ففعل كذلك أى بعد أن قال ﷺ من ينطلق بكتابى هذا فيسير الى هرقل وله الجنة (وقيل) أمر صلى الله عليه وسلم دحية أن يدفعه الى عظيم بصرى وهو الحرث ملك غسان ليدفعه الى قيصر ولما انتهى دحية رضى الله تعالى عنه الى الحرث أرسل معه عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه ليوصله الى قيصر فذهب به اليه فقال قومه لدحية رضى الله تعالى عنه إذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك (قال) دحية رضى الله تعالى عنه لا أفعل هذا أبدا ولا أسجد لغير الله

بعث ابنه إلى ما سأل وترك الصلاة عليه قبل ورود النهى الصريح لكان سبة على ابنه وعارا على قومه فاستعمل صلى الله عليه وسلم أحسن الأمرين فى السياسة حتى كشف الله الغطاء فأنزل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية فما صلى على منافق بعد ولا قام على قبره وهذه من الآيات التى جاءت موافقة لرأى عمر رضى الله عنه وقيل انما كفنه ﷺ فى قميصه مكافأة له لأنه ألبس العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم قميصا حين أسر يوم بدر فكافأه بقميصه حتى لا يكون له على عمه منة وفى ذلك كله بيان عظيم مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له كقوله ليخرجن الاعز منها الاذل وقوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وتوليه كبر الافك ومع ذلك كله قابله بالحسنى وألبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال مجمع بن حارثة رضى الله عنه ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطال الصلاة على جنازة قط ما أطال على جنازة ابن أبى ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه وفى البخارى عن عمر رضى الله عنه لما صلى النبى صلى الله عليه وسلم على ابن أبى قال فصلينا معه قال أبو نعيم فيه أن عمر رضى الله عنه ترك رأى نفسه وتابعه صلى الله عليه وسلم ومن مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم عفوه عن لبيد بن الاعصم اليهودى حين صنع له صلى الله عليه وسلم سحرا فاعلمه الله به فأرسل واستخرجه من بئر   قالوا
ذروان ولم يعاقبه وقال قد شفانى الله وكرهت أن أثير شرا وعفا عن اليهودية التى سمت له الشاة بالسمة لنفسه صلى الله عليه وسلم فلا ينافى أنه قتلها بعد ذلك لما مات بشر بن البراء قصاصا وتقدمت القصة تمامها فى غزوة خيبر ورحم الله القائل فى حقه صلى الله عليه وسلم

وما الفضل الا خاتم أنت فصه * وعفوك نقش الفص فاختم به عذرى

وحسبك ما نقل فى كتب السنة الصحيحة

نقلا متواترا يطلع مطلع اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة إلى أن أظفره الله عليهم وحكمه فيهم عام الفتح وهم لا يشكون في استئصاله جماعاتهم وقطعه دابرهم فما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون إني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء فانطلقوا كأنما نشروا من قبورهم وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال هبط ثمانون رجلا من التنعيم عام الحديبية صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغتة فأمسكهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجاؤا بهم إليه صلى الله عليه وسلم فأعتقهم وأطلقهم وأنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم الآية وقد لاطف صلى الله عليه وسلم أبا سفيان فقال له ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم وتشهد أن لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما أحلمك وأوصلك فانظر إلى هذه الملاطفة منه صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان مع ما كان منه من المحاربة وتحزيب الأحزاب وغير ذلك مما صدر منه فعفا عنه ولاطفه بالقول والفعل ومن رحمته صلى الله عليه وسلم ما رواه الدارقطني والحاكم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يصغي أي يميل إلى الهرة الإناء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها ومن رحمته شفقته على أهل الكبائر من أمته وأمره إياهم بالستر حيث قال من ابتلي بهذه القاذورات فليستتر وأمر أمته أن يستغفروا للمحدود ويترحموا عليه لما اغتاظوا عليه فسبوه ولعنوه فقال قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه (وأما تواضعه) ﷺ وحسن عشرته مع أهله وخدمه وأصحابه مع ما خصه الله به من الرفعة وعلو المقام فأمر لا تدرك له غاية كما يأتي وصفه قال بعضهم

قالوا إذا لا يؤخذ كتابك فقال له رجل منهم أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له فقال دحية رضي الله تعالى عنه وما هو فقال إن له على كل عتبة منبرا يجلس عليه فضع صحيفتك تجاه المنبر فإن أحدا لا يحركها حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها ففعل فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية ثم قال انظروا لنا من قومه أحدا نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه بالشام أي بغزة مع رجال من قريش في تجارة زمن هدنة الحديبية أي وكان أولها في ذي القعدة سنة ست وقيل كتب إليه ﷺ من تبوك وذلك في السنة التاسعة وجمع بينهما بأنه ﷺ كتب لقيصر مرتين والأول ما هو في الصحيحين والثاني قاله السهيلي واستدل له بخبر في مسند الإمام أحمد أي وأغرب من قال إن الكتابة له كانت سنة خمس (قال) أبو سفيان فأتانا رسول قيصر أي وهو والي شرطته فانطلق بنا حتى قدمنا عليه أي في بيت المقدس فإذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله فقال لترجمانه أي وهو المعبر عن لغة بلغة وهو معرب وقيل اسم عربي سلهم أيهم أقرب نسبا لهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي أي وفي لفظ لهذا الرجل الذي خرج بأرض العرب يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان أنا أقربهم نسبا إليه لأنه لم يكن في الركب يومئذ من بني عبد مناف غيري أي لأن عبد مناف هو الأب الرابع له ﷺ وكذا لأبي سفيان أي وزاد في لفظ ما قرابتك منه قلت هو ابن عمي فقال له ادن مني ثم أمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري ثم قال لترجمانه قل لأصحابه إنما قدمت هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي وإنما جعلتكم خلف ظهره لتردوا عليه كذبا إن قاله أي حتى لا تستحيوا أن تشافهوه بالتكذيب إذا كذب قال أبو سفيان ووالله لولا الحياء يومئذ أن يردوا علي كذبا لكذبت ولكني استحييت فصدقت وأنا كاره أي وفي رواية لولا مخافة أن يؤثر عني الكذب لكذبت أي لولا خفت أن ينقل عني الكذب إلى قومي ويتحدثوا به في بلادي لكذبت عليه لبغضي إياه ومحبتي نقصه وبه يعلم أن الكذب من القبائح جاهلية وإسلاما ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال قل له هل قال هذا القول أحد منكم قبله قلت لا قال قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس قبل أن يقول ما قال قلت لا أي وفي رواية هل كان حلافا كذابا مخادعا في أمره لعله يطلب ملكا وشرفا كان لأحد من أهل بيته قبله قال هل كان من آبائه ملك قلت لا أي وزاد في رواية كيف عقله ورأيه قال لم نعب عليه عقلا ولا رأيا قط قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم أي والمراد بأشراف الناس أهل النخوة وأهل التكبر ولا يرد مثل أبي بكر وعمر وحمزة رضي الله عنهم ممن أسلم قبل هذا السؤال وعند ابن إسحق رحمه الله تعالى تبعه منا الضعفاء والمساكين والأحداث وأما ذوو الأحساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو محمول على الأكثر الأغلب أي الأكثر والأغلب أن أتباعه صلى الله عليه وسلم ضعفاء قال فهل يزيدون أو ينقصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه أي كراهة له وعدم رضا به بعد أن يدخل فيه قلت لا ولا يقال هذا منقوض بما وقع لعبد الله بن جحش حيث ارتد ببلاد الحبشة لأنه لم يرتد كراهية للإسلام بل لغرض نفساني كما تقدم قال فهل يغدر إذا عاهد قلت

ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان المشاهده فى قلبه و إنما يحصل ذلك برياضة النفس ومجاهدتها فى الاقبال على الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فعند ذلك تذوب النفس وتنفى قواها عن ميلها إلى الشهوات و يتيسر لها استعمال القوى والجوارح فى الطاعات كل الأوقات وعند ذلك تصفو من غش الكبر وتطمئن بذكر الله وتقبل عليه بجملتها فلم يبق لها تعلق بشىء من مألوفها وتلبى للحق والخلق لمحو آثارها (٢٧٤) وسكون وهجها وغبارها وقد كان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم وكلما ازداد قربا ازداد تواضعا وحسبك من تواضعه عليه الصلاه والسلام أن خيره ربه بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا تواضعا لربه مع انه لوكان نبيا ملكا ما ضره ولكن رأى التواضع يزيده قربا من ربه وأعطاه الله بتواضعه أن جعله أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامه وأول شافع وأول مشفع فلم يأكل متكئا بعد أن اختار العبوديه حتى فارق الدنيا وكان يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخارى والترمذى وغيرهما لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والمعنى لا تتجاوزوا الحد فى مدحى بأن تقولوا مالا يليق بى كما تجاوزته النصارى ولكن قولوا الخ وأثبت لنفسه ماهو ثابت له من العبودية والرساله وسلم لله ماهو عنده

لا ونحن الآن منه فى مدة لا ندرى ماهو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف حربكم وحربه قلت دول وسجال ندال عليه مرة أى كما فى أحد و يدال علينا أخرى أى كما فى بدر وقد تقدم فى أحد أن أبا سفيان رضى الله عنه قال يوم أحد يوم بيوم بدر والحرب سجال أى نوب * وفى لفظ قال أبو سفيان انتصر علينا مره يوم بدر وانا غائب ثم غزوتهم فى بيوتهم ببقر البطون وبجدع الآذان والانوف والفروج وأشار بذلك إلى يوم أحد قال فما يأمركم به قلت يأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا أى والذى فى البخارى يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا وينهانا عما كان يعبد آباؤنا و يأمرنا بالصلاة والصدقة وفى لفظ والزكاة وفى لفظ جمع بين الصدق والصدقة والعفاف أى ترك المحارم وخوارم المروءة و يأمرنا بالوفاء بالعهد وأداء الامانة فقال لترجمانه قل له إنى سألتك عن نسبه فزعمت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث فى نسب قومها وسألتك هل هذا القول قاله أحد منكم قبله فزعمت أن لا فلو كان أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت هو يأتم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت أن لا فقد عرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس و يكذب على الله تعالى وسألتك هل كان من آبائه ملك فقلت لا فلو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك أأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل أى لان الغالب ان أتباع الرسل أهل الاستكانة لا أهل الاستكبار وسألتك هل يزيدون أو ينقصون فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فزعمت أن لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب إذا حصل بها انشراح الصدور والفرح به لا يسخطه أحد وسألتك هل قاتلتموه قلت نعم وان حربكم وحربه دول وسجال يدال عليكم مره وتدالون عليه أخرى وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة وسألتك ماذا يأمركم به فزعمت انه يأمركم بالصلاة والصدقة والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الامانة أى وفى البخارى وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر أى لانها لا تطلب حظ الدنيا الذى لا يناله طالبه إلا بالغدر فعلمت انه نبى وقد كنت أعلم انه خارج ولكن لم أظن أنه فيكم وان كان ما حدثتنى به حقا فيوشك أى يقرب أن يملك موضع قدمى هاتين أى ودكر بعضهم أن هذا يدل على ان هذه الأشياء التى سأل عنها هرقل كانت عنده فى الكتب القديمة من علامات نبوته ﷺ وفيه ان هذا لا يأتى مع قوله ما تقدم إذ هو يقتضى ان ذلك علامة على رساله كل رسول ثم قال قيصر ولو أعلم أنى أخلص أى أصل اليه لتجشمت أى تكلفت مع المشقة لقيه أى وفى لفظ آخر لا أستطيع أن أفعل إن فعلت ذهب ملكى وقتلنى الروم قال الامام النووى رحمه الله تعالى ولا عذر له فى هذا لانه قد عرف صدق النبى ﷺ وإنما شح بالملك وطلب الرياسة وآثرها على الاسلام ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشى ومازالت عنه الرياسة قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى لو تفطن هرقل لقوله صلى الله عليه وسلم فى الكتاب اليه أسلم تسلم وحمل الجزاء على عمومه فى الدنيا والآخره لسلم لو أسلم من كل ما يخافه ولكن التوفيق بيد الله ثم قال ولو كنت

له تعالى لا لسواه (ومن تواضعه) صلى الله عليه وسلم انه كان لا ينهر خادما روى البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال خدمت النبى ﷺ عشر سنين فما قال لى أف قط وفى رواية لأبى نعيم فما سبنى قط وما ضربنى من ضربة ولا انتهرنى ولا عبس فى وجهى ولا أمرنى بأمر فتوانيت فيه فعاتبنى عليه فان عاتبنى أحد قال دعوه ولو قدر شىء كان وفى

رواية البخاري ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وفي رواية ولكن يقول قدر الله وما شاء الله فعل ولو قدر الله كان ولو قضى لكان وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مع عبيده وامائه ما ضرب منهم أحدا قط وهذا امر لا تتسع له الطباع البشرية ولا تطيقه ولا تقدر عليه لولا التأييدات الربانية وما ذاك الا لكمال معرفته صلى الله عليه وسلم انه لا فاعل ولا معطي ولا مانع الا الله وان الخلق آلات ووسائط فالغضب على المخلوق في شيء فعله كالاشراك المنافي للتوحيد وقيل سبب ذلك انه كان يشهد تصريف محبوبه

عنده لغسلت عن قدميه أي مبالغة في خدمته والتعبد له ولا أطلب منه ولاية ولا منصبا قال أبو سفيان ثم دعا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرىء عليه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أي ومن لم يتبع الهدى فلا سلام عليه فليس في هذا بداءة الكافر بالسلام أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام أي بالكلمة الداعية للاسلام وهي كلمة التوحيد أي اليها فالباء موضع الى اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين أي لايمانك بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم أو لايمانك واتباعك سبب ايمانك فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين أي فلاحين القرى أي ومن ثم جاء في رواية اثم الفلاحين (وفي رواية) اثم الاكارين والاكار الفلاح لان أهل السواد وما والاهم أهل فلاحة والمراد اثم رعاياك الذين يتبعونك و ينقادون لامرك وخص هؤلاء بالذكر لانهم اسرع انقيادا من غيرهم لان الغالب عليهم الجهل والجفاء وقوله الدين والمراد عليك مع اثمك اثم رعاياك لانه إذا أسلم اسلموا و إذا امتنع امتنعوا فهو متسبب في عدم اسلامهم والفاعل لمعصية المتسبب لارتكاب غيره لها عليه الاثم من جهتين جهة فعله وجهة تسببه و يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون والواو في قوله صلى الله عليه وسلم و يا أهل الكتاب عاطفة على مقدر معطوف على قوله ادعوك والمقدر ادعوك بدعاية الاسلام وأقول لك ولاتباعك يا أهل الكتاب قيل وهذه الآية كتبها صلى الله عليه وسلم قبل نزولها لانها احدى آيات في وفد نجران وذلك في سنة تسع وهذه القصة كانت في سنة ست وقيل بعد نزولها لان نزولها كان في أول الهجرة في شأن اليهود قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى وجوز بعضهم نزولها مرتين وهو بعيد كذا قال فليتأمل قال أبو سفيان رضي الله عنه فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت أصوات الذين حوله وكثر لغطهم أي أصواتهم التي لا تفهم وفي البخاري كثر عنده الصخب وارتفع الاصوات والصخب اختلاط الاصوات عند المخاصمة زاد البخاري فلا أدري ماقالوا وامر بنا فأخرجنا فلما خرجت انا وأصحابي وخلصنا قلت لهم لقد أمر أمر ابن أبي كبشة أي عظم امره هذا ملك بني الاصفر يخافه فمازلت موقنا ان سيظهر حتى ادخل الله على الاسلام أي فأظهرت ذلك اليقين لانه ارتفع وفي لفظ فمازلت مرعوبا من محمد حتى اسلمت وقد تقدم الكلام على كبشة وهو ان جد وهب لأمه أبو آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة قال في شرح مسلم وهو الذي كان يعبد الشعرى وأبو سلمة أم جده عبد المطلب كان يكنى أبا كبشة وزوج مرضعته صلى الله عليه وسلم كان يكنى ابا كبشة وتقدم الكلام أيضا على بني الاصفر و يروى ان ابا سفيان رضي الله عنه قال لقيصر لما سأله هل كنتم تتهمونه بالكذب فقال لا لكني اخبرك عنه أيها الملك خبرا تعرف به انه قد كذب قال وما هو قال انه يزعم لنا انه خرج من ارضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا في تلك الليلة قبل الصباح فقال بطريق أي قائد من قواد الملك كان واقفا عند رأس قيصر صدق أيها الملك فنظر اليه قيصر فقال ما اعلمك بهذا قال اني كنت لا أنام ليلة أبدا حتى

فيه وتصريف المحبوب في المحب لا يعلل بل يسلم ليستلذ بكل ما يفعله الحبيب محبوب وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه ما رأيت أحدا ارحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا قط ولا ضرب امرأة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء فينتقم من صاحبه الا ان ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله ثم يستثنى من ذلك ما رواه النسائي عن طفيل الاشجعي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم ضرب فرسه لما رآه متخلفا عن الناس وقال اللهم بارك فيها قال طفيل فلقد رأيتني ما أملك رأسها ولقد بعت من بطنها باثني عشر الفا أي وذلك من بركة قوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك فيها وكرجمل جابر رضي الله عنه حتى سبق الناس بعدما كان متأخرا عنهم وذلك معجزة فلا يشكل على قول عائشة رضي الله عنها ما ضرب شيئا قط وروى ابن سعد وغيره عن عائشة رضي الله عنها وقد سئلت كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في بيته قالت كان ألين الناس بساما ضحاكا لم يرقط مادا رجليه بين أصحابه وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه الا قال لبيك وروى أبو داود والترمذي عن أنس والبزار

عن أبي هريرة رضي الله عنهما ما التقم أحد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحى رأسه عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينحى رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ وروى الامام أحمد وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويرقع دلوه ويفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق ويفعل ذلك ارشادا للتواضع وترك الكبر ومع ذلك فهو المشرف بالوحي والنبوه المكرم بالرسالة والآيات وفلية الثوب إنما كان للتعليم أو لتفتيش نحو خرق فيه ليرقعه أولما علق به من نحو شوك أو وسخ لانه صلى الله عليه وسلم نور ولا عفونة فيه وأكثر القمل من العفونة ومن العرق وعرقه طيب ولا يلزم من التفلية وجود القمل وقيل كان في ثوبه قمل ولا يؤذيه وانما يفليه استقذارا له وقيامه بخدمة نفسه صلى الله عليه وسلم دليل على كمال تواضعه وهذا لا ينافي انه كان له خدم يقومون بخدمته فيحمل قيامه بخدمة نفسه على بعض الأوقات وكان تارة يخدم نفسه وتارة يخدمه غيره وتارة بالمشاركة لتعليم أمته وبيان ندب الانسان إلى خدمة نفسه وأنه لا يخل بمنصبه وان جل وكان يركب الحمار تارة موكفا وتارة عريا ليس عليه شيء وفي ذلك غاية التواضع وارشاد للعباد وبيان ان ركوبه كذلك لا يخل بمروءة ولا رفعة بل فيه غاية التواضع وكسر النفس وكان يردف خلفه الذكر والانثى وقد أردف صفية أم المؤمنين رضي الله عنها في رجوعه من خيبر وأركب معه الصغار والكبار وكان إذا قدم من غزو استقبله الصبيان فيركبهم معه ويأمر أصحابه باركابهم وركب يوم بني قريظة والنضير وخيبر على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه أكاف من ليف وهذا نهاية التواضع وأي تواضع أعظم من هذا وقد ظهر له صلى الله عليه وسلم من النصرة عليهم

اغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة اغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبني فاستعنت عليه بعمالي ومن يحضرني فلم نستطع أن نحركه كأنما نزاول جبلا فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا لا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فلما اصبحت جئت اليه فاذا الحجر الذي في زاوية المسجد مثقوب قال في النور الذي يظهر لي انه الصخرة أي المراد بالصخرة في بعض الروايات كما قدمناه واذا فيه أثر مربط الدابة فقلت لأصحابي ما حبس هذا الباب الليلة إلا لهذا الأمر فقال قيصر لقومه ياقوم ألستم تعلمون ان بين يدي الساعة نبيا بشركم به عيسى بن مريم ترجون أن يجعله الله فيكم قالوا بلى قال فان الله قد جعله في غيركم وهي رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء أي وأمر بانزال دحية واكرامه وذكر ان ابن أخي قيصر أظهر الغيظ الشديد وقال لعمه قد ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم التي به يعني الكتاب وقال له والله انك لضعيف الرأي أترى أرمي بكتاب رجل يأتيه الناموس الأكبر هو أحق أن يبدأ بنفسه ولقد صدق أنا صاحب الروم والله مالكي ومالكه أي وفي لفظ ان أخا قيصر لما سمع الترجمان يقرأ من محمد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم ضرب في صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الكتاب من يده وأراد أن يقطعه فقال له قيصر ما شأنك فقال تنظر في كتاب رجل قد بدأ بنفسه قبلك وسماك قيصر صاحب الروم وما ذكر لك ملكا فقال له قيصر انك أحمق صغير أو مجنون كبير أتريد أن تخرق كتاب رجل قبل ان أنظر فيه ولعمري ان كان رسول الله كما يقول لنفسه أحق أن يبدأ بها مني ولئن سماني صاحب الروم لقد صدق ما أنا إلا صاحبهم وما أملكهم ولكن الله سخرهم لي ولو شاء لسلطهم على كما سلط فارس على كسرى فقتلوه ولما جاءه صلى الله عليه وسلم الخبر عن قيصر قال ثبت ملكه وفي لفظ سيكون لهم بقيه ولقد صدق الله ورسوله وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى ان الملك المنصور قلاوون أرسل بعض أمرائه إلى ملك المغرب بهدية فأرسله ملك المغرب إلى ملك الفرنج في شفاعة فقبله وأكرمه وقال له لأتحفنك بتحفة سنية فأخرج له صندوقا مصفحا بالذهب وأخرج منه مقلمة وفي لفظ قصبة من الذهب فعن السهيلي رحمه الله تعالى قال بلغني ان هرقل وضع الكتاب في قصبة من ذهب تعظيما له فأخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه وقد ألصق عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدي قيصر ما زلنا نتوارثه إلى الآن وذكر لنا آباؤنا عن آبائهم انه ما دام هذا الكتاب عندنا لا يزول الملك عنا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه عن النصارى ليدوم الملك فينا أي ولا ينافيه ما جاء إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لان المراد إذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه أحد وكان كذلك لم يبق إلا ببلاد الروم أي ويروى ان قيصر لما رجع من بيت المقدس إلى محل دار ملكه وهي حمص أي فانه لما ظهر على الفرس وأخرجهم من بلاده نذر أن يأتي بيت المقدس ماشيا شكرا لله فلما أراد الذهاب إلى بيت المقدس ماشيا بسط له البسط وطرح له عليها الرياحين ولا زال يمشي على ذلك إلى أن وصل إلى بيت المقدس كما سيأتي فلما رجع إلى حمص كان له فيها قصر عظيم فأغلق أبوابه وأمر مناديا ينادي ألا ان هرقل قد آمن بمحمد واتبعه فدخلت الأجناد في سلاحها وطافت بقصره تريد قتله فأرسل اليهم إني أردت اختبار صلابتكم في دينكم فقد

رضيت

والظفر بأموالهم ما هو معروف وروى ابو داود وغيره عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا ليركبه ووطأ عليه بقطيفة وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس أصحب رسول الله ﷺ أي كن معه في خدمته قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت أن أركب أي تأدبا معه لا مخالفة لأمره فقال اما أن تركب واما أن تنصرف أي ترجع ولا تمشي معي موافقة على الركوب فقال له اركب امامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها وفي رواية لابن منده فارسل ابنه معه ليرد الحمار فقال صلى الله عليه وسلم احمله بين يدي قال سعد سبحان الله أتحمله بين يديك قال نعم هو أحق بصدر حماره قال هولاك يارسول الله قال أحمله ادن حلو وجاء في بعض روايات هذه القصة أنه صلى الله عليه وسلم جاء على حمار مردفا اسامة خلفه فعلى هذا تقريب سعد رضي الله عنه الحمار لا لعدم دابة يركبها صلى الله عليه وسلم بل ليرجع عليه وحده ويبقي اسامة على الحمار الذي جاء عليه وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر واني لرديف أبي طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني صفية رضي الله عنها اذ عثرت الناقة فقلت المرأة أي وقعت أو أوقعتها الدابة فقال صلى الله عليه وسلم انها أمكم تذكيرا لهم بوجوب تعظيمها فشددت الرحل وركب رسول الله ﷺ وركبت خلفه وصح عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال بينا أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه الا آخرة الرحل وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة استقبله أغيلمة بني عبد المطلب فجعل واحدا بين يديه وآخر خلفه وروى البخاري أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتى رسول

رضيت فرضوا عنه والذي في البخاري ان قيصر لما سار إلى حمص أذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الأبواب فوجدوها قد أغلقت فلما رأى قيصر نفرتهم وأيس من الايمان منهم أي وقالوا له أتدعونا أن نترك النصرانية ونصير عبيدا لأعرابي فقال ردوهم علي وقال اني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه وعند ذلك كتب كتابا وأرسله مع دحية إلى رسول الله ﷺ يقول فيه اني مسلم ولكنني مغلوب وأرسل بهدية فلما قرئ عليه صلى الله عليه وسلم الكتاب قال كذب عدو الله ليس بمسلم وقبل ﷺ هديته وقسمها بين المسلمين ومصداق قوله صلى الله عليه وسلم ان قيصر بعد هذه القصة بدون سنتين قاتل المسلمين بغزوة مؤتة وفي صحيح ابن حبان عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كتب اليه أيضا من تبوك يدعوه وانه قارب للاجابة ولم يجب وفي مسند الامام أحمد انه كتب من تبوك إلى النبي ﷺ اني مسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذب انه على نصرانيته وفي لفظ كذب عدو الله وانه ليس بمسلم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله فعلى هذا إطلاق صاحب الاستيعاب انه آمن أي اظهر التصديق لكنه لم يستمر عليه ولم يعمل بمقتضاه بل شح بملكه وآثر الفانية على الباقية لعنة الله عليه أي لانه تحقق كفره أي وقد ذكر حامل كتابه اليه صلى الله عليه وسلم قال جئت تبوك فاذا هو جالس بين ظهراني أصحابه محتبيا فقلت أين صاحبكم قيل هو هذا فاقبلت أمشي حتى جلست بين يديه فناولته كتابي فوضعه في حجره ثم قال من أنت قلت أنا أحد تنوخ قال هل لك في الاسلام دين الحنيفية ملة ابراهيم قلت اني رسول قوم وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع اليهم فضحك صلى الله عليه وسلم وقال انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين فلما فرغ من قراءة كتابي قال ان لك حقا وانك رسول فلو وجدت عندنا جائزة جوزناك بها انا قوم سفر فقال رجل أنا اجوزه فأتى بحلة فوضعها في حجري فسألت عنه فقيل لي انه عثمان بن عفان رضي الله عنه

﴿ ذكر كتابه ﷺ إلى كسرى ملك فارس ﴾

على يد عبد الله بن حذافة أي لانه كان يتردد عليه كثيرا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة السهمي وقيل أخاه خنيسا وقيل أخاه خارجة وقيل شجاع بن وهب وقيل عمر بن الخطاب رضي الله عنهم الى كسرى و بعث معه كتابا مختوما فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ادعوك بدعاية الله فاني انا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم فان أبيت فعليك اثم المجوس أي الذين هم اتباعك قال عبد الله بن حذافة رضي الله عنه فأتيت الى بابه وطلبت الاذن عليه حتى وصلت إليه ودفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه فأخذه ومزقه أي وفي رواية ان كسرى لما أعلم بكتاب رسول الله صلى الله

الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد حمل قثم بن العباس رضى الله عنهما بين يديه والفضل خلفه أو قثم خلفه والفضل بين يديه شك الراوى وذكر المحب الطبرى فى مختصر السيرة النبوية التى صنفها أنه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قباء وأبو هريرة رضى الله عنه معه قال يا أبا هريرة أأحملك قال ماشئت يارسول الله أى فافعله فقال اركب فوثب وأبو هريرة رضى الله عنه ليركب فلم يقدر فاستمسك أى تعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أبا هريرة أأحملك

عليه وسلم فادن حامل الكتاب ان يدخل عليه فلما وصل أمر كسرى ان يقبض منه الكتاب فقال لا حتى أدفعه اليك كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كسرى ادنه فدنا فناوله الكتاب فدعا من يقرؤه فقرأه فاذا فيه من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى عظيم فارس فأغضبه حين بدأ رسول الله ﷺ بنفسه وصاح ومزق الكتاب قبل أن يعلم مافيه وأمر باخراج حامل ذلك الكتاب فاخرج فلما رأى ذلك قعد على راحلته وسار فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث فى طلب حامل الكتاب فلم يجده فلما وصل اليه صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر قال ﷺ مزق كسرى ملكه وكتب كسرى الى بعض أمرائه باليمن يقال له باذان انه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبى فسر اليه فاستتبه فان تاب وإلا فابعث إلى برأسه يكتب الى هذا الكتاب أى الذى بدأ فيه بنفسه وهو عبدى أى وفى رواية أن تكفينى رجلا خرج بأرضك يدعونى إلى دينه وإلا فعلت فيك كذا يتوعده فابعث اليه برجلين جلدين فيأتيانى به فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبى صلى الله عليه وسلم مع قهرمانه وبعث معه رجلا آخر من الفرس وبعث معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى فخرجا وقدما الطائف فوجدا رجلا من قريش فى أرض الطائف فسألاه عنه فقال هو بالمدينة فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم المدينة قالا له شاهنشاه ملك الملوك كسرى بعث الى الملك باذان يأمره أن يبعث اليك من يأتى بك وقد بعثنا اليك فان أبيت هلكت وأهلكت قومك وخربت بلادك وكانا على زى الفرس من حلق لحاهم واعفاء شواربهم فكره صلى الله عليه وسلم النظر اليهما ثم قال لهما ويلكما من أمركما بهذا قالا أمرنا بهذا ربنا يعنيان كسرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أمرنى ربى باعفاء لحيتى وقص شاربى ثم قال لهما ارجعا حتى تأتيانى غدا وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه يقتله فى شهر كذا فى ليلة كذا فلما كان الغد دعاهما وأخبرهما الخبر وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى باذان ان الله قد وعدنى أن يقتل كسرى يوم كذا من شهر كذا فلما أتى الكتاب باذان توقف وقال ان كان نبيا فسيكون ماقال فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله ﷺ على يد ولده شيرويه قيل قتله ليلا بعد مامضى من الليل سبع ساعات فيكون المراد باليوم فى تلك الرواية مجرد الوقت أى وفى رواية قال ﷺ لرسول باذان اذهب الى صاحبك وقل له ان ربى قد قتل ربك الليلة ثم جاء الخبر بان كسرى قتل تلك الليلة فكان كما أخبر ﷺ فلما جاءه صلى الله عليه وسلم هلاك كسرى قال لعن الله كسرى أول الناس هلاكا فارس ثم العرب وعن جابر بن سمرة رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال لتفتحن عصابة من المسلمين أو المؤمنين أو رهط من أمتى كنوز كسرى التى فى القصر الأبيض فكنت أنا وأبى فيهم وأصبنا من ذلك ألف درهم وقدم على باذان كتاب ولد كسرى شيرويه فيه أما بعد فقد قتلت كسرى ولم أقتله الاغضبا لفارس فانه قتل اشرافهم فتفرق الناس فاذا جاءك كتابى هذا

قال ماشئت يارسول الله فقال اركب فلم يقدر أبو هريرة رضى الله عنه فتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أبا هريرة أأحملك قال لا والذى بعثك بالحق لارميتك ثالثا وذكر المحب الطبرى أيضا فى كتابه المذكور أنه عليه الصلاة والسلام كان فى سفر وأمر أصحابه باصلاح شاة أى تهيئتها للاكل فقال رجل يارسول الله على ذبحها وقال آخر يارسول الله على سلخها وقال آخر يارسول الله على طبخها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمع الحطب فقالوا يارسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفونى ولكن أكره ان أتميز عليكم فان الله يكره من عبده ان يراه متميزا بين أصحابه وروى ابن اسحق والبيهقى عن أبى قتادة رضى الله عنه قال وفد وفد النجاشى فقام النبى صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك قال انهم كانوا لأصحابنا مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم وروى أبو الطفيل عامر بن واثلة رضى الله عنه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وأنا غلام اذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من عنده من هذه قالوا أمه التى أرضعته رواه أبو داود وروى أيضا أن رسول الله ﷺ كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاع فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه

الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة كان في عقلها شيء فقالت ان لي اليك حاجة فقال اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس اليك زاد مسلم حتى أقضي حاجتك فخلا معها في بعض الطريق حتى فرغت من حاجتها وروى النسائي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال كان عليه الصلاة والسلام لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة وفي

رواية للبخاري كانت الأمة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وفي رواية للامام أحمد ان كانت الوليدة من ولائد المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به لحاجتها فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت والمقصود من الأخذ باليد لازمه وهو الانقياد وقد اشتمل ذلك على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل والأمة دون الحرة وحيث عم الاماء أي أمة كانت وبقوله حيث شاءت أي من الامكنة والتعبير باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحالة لساعدها على ذلك بالخروج معها وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر صلى الله عليه وسلم ومن ثم أورده البخاري في باب الكبر اشارة الى براءته صلى الله عليه وسلم منه ووصفه صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بأنه لم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وفي رواية وكان لا يخرج شيئا من أطرافه وهو بين أصحابه أي كقطع ظفره أو قلع وسخه أو طرح براقه أو مخاطه وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان امتنع ويكني أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع أحد على حديثه وكان

فخذ لي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب اليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه فبعث باذان باسلامه واسلام من معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا (وفي رواية) أنه قيل له صلى الله عليه وسلم إن كسرى قد استخلف ابنته فقال لا يفلح قوم تملكهم امرأة

﴿ ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للنجاشي ملك الحبشة ﴾

على يد عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري رضي الله تعالى عنه الى النجاشي وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة سلم أنت أي أنت سالم لان السلم يعني السلامة فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة أي العفيفة أي المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها فيهم أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها ومن ثم قيل لفاطمة بنت النبي ﷺ البتول فحملت بعيسى حملته من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فاني رسول الله وإني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم أسلم ودعا بحق من عاج أي وهو عظم الفيل وجعل فيه كتاب رسول الله ﷺ وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم أي وفي كلام بعضهم وبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي فكان أول رسول وكتب اليه كتابين يدعوه في أحدهما الى الاسلام وفي الآخر يأمره أن يزوجه ﷺ أم حبيبة فأخذ الكتابين وقبلهما ووضعهما على رأسه وعينيه ونزل عن سريره تواضعا ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكتب اليه صلى الله عليه وسلم النجاشي أي جواب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله ﷺ من النجاشي أصحمة السلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته الذي لا إله الا هو الذي هداني للاسلام أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام فورب السماء والأرض ان عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه يعني جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين رضي الله عنهم فأشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك أي جعفر بن أبي طالب وأسلمت على يده لله رب العالمين أي وعند ذلك قال ﷺ أتركوا الحبشة ما تركوكم وذكر أن عمرو بن أمية رضي الله عنه قال للنجاشي أي عند اعطائه الكتاب يا أصحمة ان علي القول وعليك الاستماع انك كأنك في الرقة علينا منا وكأنا في الثقة بك منك لأنا لم نظن بك خيرا قط إلا نلناه ولم نخفك على شر قط إلا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم والانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك موقع

لا يجلس اليه أحد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته ودخل الحسن السبط ابن علي رضي الله عنهما عليه صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وقد سجد وركب على ظهره وأبطأ صلى الله عليه وسلم في سجوده حتى نزل الحسن رضي الله عنه فلما فرغ قال له بعض أصحابه يارسول الله قد أطلت سجودك قال ان ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله أي جعلني كالراحلة وركب على ظهري ودخل

عليه مرة جابر بن عبد الله رضي الله عنهما والحسن والحسين رضي الله عنهما على ظهره صلى الله عليه وسلم راكبين وقال لهما جابر رضي الله عنه نعم الجمل جملكما فقال له صلى الله عليه وسلم ونعم الراكبان هما وتقدم انه كان يحمل في الصلاة امامة بنت زينب ابنته من أبي العاص رضي الله عنهما ومثل هذا لا يشغل أرباب الكمال عما هم فيه من حسن الحال حيث وصلوا الى مرتبة جمع الجمع وهم الذين لا تحوم حولهم التفرقة ولا تمنعهم الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة فهم كائنون بائنون قريبون غريبون عرشيون فرشيون بحسب الارواح اللطيفة والاشباح الشريفة فالذي ما زاغ بصره وما طغى فيما رأى من آيات ربه الكبرى كيف يشغل قلبه قطعة من لحمه وهذا كله من شدة تواضعه وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم (ومن تواضعه) صلى الله عليه وسلم أنه كان يعود المرضى الشريف منهم والوضيع والحر والعبد حتى عاد مرة غلاما يهوديا كان يخدمه صلى الله عليه وسلم فقعد عند رأسه فقال له أسلم فنظر الى أبيه فقال له أبوه أطع أبا القاسم فأسلم فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه من النار رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه والعيادة فيها مع التواضع رضا الله وحيازة الثواب ففي الترمذي مرفوعا من عاد مريضا ناداه مناد طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا ولأبي داود من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه

الخير واصابة الفضل والا فأنت في هذا النبي الأمي صلى الله عليه وسلم كاليهود في عيسى بن مريم عليه السلام وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشي أشهد بالله انه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى عليه الصلاة والسلام براكب الحمار كبشارة عيسى عليه الصلاة والسلام براكب الجمل وان العيان ليس بأشفى من الخبر زاد بعضهم ولكن أعواني من الحبشة قليل فانظرني حتى أكثر الأعوان وألين القلوب * أقول كذا في الأصل وهو صريح في أن هذا المكتوب اليه هو الذي هاجر اليه المسلمون سنة خمس من النبوة ونعاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم توفي وصلى عليه بالمدينة منصرفه ﷺ من تبوك وذلك في السنة التاسعة والذي قاله غيره كابن حزم أن هذا النجاشي الذي كتب اليه صلى الله عليه وسلم الكتاب وبعث به عمرو بن أمية الضمري لم يسلم وأنه غير النجاشي الذي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم الذي آمن به وأكرم أصحابه وفي صحيح مسلم ما يوافق ذلك ففيه عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النجاشي الذي كتب اليه ليس بالنجاشي الذي صلى عليه ويرد بأنه يجوز أن يكون ﷺ كتب للنجاشي الذي صلى عليه وللنجاشي الذي تولى بعده على يد عمرو ابن أمية فلا مخالفة * ومن ثم قال في النور والظاهر أن هذه الكتابة متأخرة عن الكتابة لأصحمة الرجل الصالح الذي آمن به ﷺ وأكرم أصحابه هذا كلامه * وفيه أن رد الجواب على النبي صلى الله عليه وسلم بالكتاب المذكور ورده على عمرو بن أمية بقوله أشهد بالله أنه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب الى آخره انما يناسب الاول الذي هو الرجل الصالح ويكون جواب الثاني لم يعلم وقد تقدم عن ابن حزم أنه لم يسلم وقال بعضهم انه الظاهر وحينئذ يكون الرواي خلط فوهم أن المكتوب اليه ثانيا هو المكتوب اليه أولا كما أشار اليه في الهدى والله أعلم

﴿ ذكر كتابه ﷺ للمقوقس ملك القبط ﴾

وهم أهل مصر والاسكندرية وليسوا من بني اسرائيل على يد حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الى المقوقس أي فانه ﷺ عند منصرفه من الحديبية قال أيها الناس أيكم ينطلق بكتابي هذا الى صاحب مصر وأجره على الله فوثب اليه حاطب رضي الله عنه وقال أنا يارسول الله قال بارك الله فيك ياحاطب قال حاطب رضي الله عنه فأخذت الكتاب وودعته ﷺ وسرت الى منزلي وشددت على راحلتي وودعت أهلي وسرت زاد السهيلي وأنه صلى الله عليه وسلم أرسل مع حاطب جبرا مولى أبي رهم الغفاري فان جبرا هو الذي جاء بمارية من عند المقوقس واعترض بأن هذا لا يلزمه أن يكون ﷺ أرسل جبرا مع حاطب للمقوقس لجواز أن يكون المقوقس أرسل جبرا مع حاطب والمقوقس لقب وهو لغة المطول للبناء واسمه جريج بن مينا وبعث معه ﷺ كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من

المسلم محتسبا بوعد من جهنم سبعين خريفا وانما كان فيها تواضع لان فيها خروج الانسان من مقتضى جاهه وتنزهه عن مرتبته الى مادون ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يشهد الجنازة سواء كانت لشريف أو وضيع فيتأكد التأسي به ﷺ وآثر قوم العزلة ففاتهم خير كثير وروى البيهقي وابن اسحق عن أنس رضي الله عنه انه ﷺ لما فتحت مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ رأسه على رحله حتى كاد يمس رحله تواضعا لله تعالى وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه

أنه عليه الصلاة والسلام حج على رحل رث وعليه قطيفة أو كساء له ثمن لا يساوي أربعة دراهم وذلك لأنه في أعظم مواطن التواضع اذ الحج حاله تجرد واقلاع وخروج من المواطن وسفر الى الله ألا ترى الى مافيه من الاحرام فانه اشارة الى ان المراد إحرام النفس من الملابس تشبيها بالفارين الى الله وليكون تذكره للوقوف الحقيقي وقال في تلبيته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله حجا لارياء فيه ولا سمعة وهذا قاله تخشعا وتذللا وعدا لنفسه كواحد من الآحاد فيكون دالا على عظيم تواضعه لان الرياء لا يكون ممن حج على رحل رث وانما يكون ممن حج على مراكب نفيسة وملابس فاخرة وأغشية محبرة وأكوار مفضضة هذا مع انه صلى الله عليه وسلم اهدى في هذه الحجة مائة بدنة وأهدى أصحابه

مالا يسمح بمثله فمن جملة ما أهداه عمر رضي الله عنه بعير أعطى فيه ثلثمائة دينار فأبى قبولها رواه أبو داود ومن تواضعه ﷺ انه كان اذا صلى الصبح جاءه خدم أهل المدينة بآنيتهم فيها الماء يريدون التبرك بأثر يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فما يؤتى باناء الا غمس يده فيه وربما جاؤه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها ولا يمتنع لاجل البرد وهذا من مزيد لطفه وحسن خلقه وكمال تواضعه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم والترمذي وغيرهما وفي ذلك

محمد بن عبد الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك إثم القبط أي الذين هم رعاياك و يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون وختم الكتاب وجاء به حاطب رضي الله عنه حتى دخل على المقوقس بالاسكندرية أي بعد أن ذهب الى مصر فلم يجده فذهب الى الاسكندرية فأخبر انه في مجلس مشرف على البحر فركب حاطب رضي الله عنه سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه فلما رآه أمر باحضاره بين يديه فلما جيء به نظر الى الكتاب وفضه وقرأه وقال لحاطب مامنعه ان كان نبيا ان يدعو على من خالفه أي من قومه وأخرجوه من بلده الى غيرها ان يسلط عليهم فاستعاد منه الكلام مرتين ثم سكت وقال له حاطب ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله فماله حيث أخذه قومه وأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله اليه قال احسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال له حاطب رضي الله عنه انه كان قبلك رجل يزعم انه الرب الاعلى يعني فرعون فأخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر غيرك بك ان هذا النبي ﷺ دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى عليهما الصلاة والسلام الا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبي أدرك قوما فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه فأنت ممن أدرك هذا النبي ولسنا ننهاك عن دين المسيح عليه السلام ولكنا نأمرك به فقال اني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء بفتح الخاء المعجمة وهمزة في آخره أي الشيء الغائب المستور والاخبار بالنجوى أي يخبر بالمغيبات وسأنظر وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وجعله في حق عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له * ثم دعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك اما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ماذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك أي فانه قد دفع له مائة دينار وخمسة أثواب و بعثت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم أي وهما مارية وسيرين بالسين المهملة مكسورة و بثياب أي وهي عشرون ثوبا من قباطي مصر * قال بعضهم و بقيت تلك الثياب حتى كفن صلى الله عليه وسلم في بعضها وفي كلام هذا البعض وأرسل له ﷺ عمائم وقباطي وطيبا وعودا وندا ومسكا مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير فكان ﷺ يشرب فيه أي لانه سأل حاطبا رضي الله عنه فقال أي طعام أحب الى صاحبكم قال الدباء يعني القرع ثم قال له في أي شيء يشرب قال في قعب من خشب ثم قال واهديت اليك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يزد على ذلك ولم يسلم ولا يخفى انه سيأتي أنه

دليل على بروره للناس وقربه منهم ليصل كل ذي حق لحقه وليعلم الجاهل ويقتدي بافعاله وهكذا ينبغي للأئمة بعده وروى أبو نعيم في الدلائل عن أنس رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس لطفا والله ما كان يمتنع في غداة باردة من عبد ولا أمة تأتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه وما كلمه أحد قط الا أصغى إليه فلا ينصرف حتى يكون هو الذي ينصرف عنه وما تناول أحد يده قط الا ناوله اياها فلا ينزع حتى يكون

هو الذي ينزعها ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه كان حسن العشرة مع أزواجه وكان ينام معهن في فراش واحد ولو كانت حائضا مع مواظبته على قيام الليل فينام مع احداهن فاذا اراد القيام لوظيفته قام وتركها فيجمع بين وظيفته من قيام الليل وأداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا ان اجتماع الزوج مع زوجته في فراش واحد أفضل من نوم كل في فراش اذا لقصد الانس لا الجماع لاسيما ان عرف من حالها حرصها على ان ينام معها فيتأكد الاستحباب ويكون تركه مكروها ولا يلزم من نومه معها الجماع ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم مارواه الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم كان يسرب أي يرسل لعائشة رضي الله عنها بنات الانصار يلعبن معها وذلك في أول تزوجه بها لانها كانت صغيرة وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم اذا شربت عائشة رضي الله عنها من الاناء يأخذه فيضع فمه على موضع فمها ويشرب اشارة الى مزيد حبها وهذا من شدة تواضعه ﷺ واذا تعرقت عرقا بفتح العين واسكان الراء وهو العظم الذي عليه اللحم أخذه فوضع فمه على موضع فمها وكان يتكئ في حجرها ويقبلها وهو صائم رواه الشيخان وروى أصحاب السنن الستة انه ﷺ كان يقبل نساءه وهو صائم كل ذلك للتلطف بهن وحسن العشرة معهن وهذا لا يكون الا ممن حسنت اخلاقه وكمل تواضعه وجاء انه ﷺ وقف

أهدى اليه صلى الله عليه وسلم زيادة على الجاريتين جارية أخرى اسمها قيسر وهي أخت مارية ولعله انما اقتصر على ذكر الجاريتين دون هذه الثالثة مع أنها أخت مارية لأنها دونهما في الحسن وذكر بعضهم أن سيرين أيضا أخت مارية فالثلاثة أخوات * وفي ينبوع الحياة لابن ظفر فاهدى اليه صلى الله عليه وسلم المقوقس جواري أربعا أي ويوافقه قول بعضهم وأرسل اليه صلى الله عليه وسلم جارية سوداء اسمها بريرة وفي كلام بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم أهدى احدى الجاريتين لابي جهم بن قيس العبدي وهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاصي على مصر وأخرى اهداها لحسان بن ثابت وهي أم عبد الرحمن بن حسان كما تقدم في قصة الافك وأهدى اليه المقوقس زيادة على ذلك خصيا أي ممسوحا أي غلاما اسود يقال له مابور باثبات الراء وقيل بحذفها وقيل هابو أي بالهاء بدل الميم واسقاط الراء ابن عم مارية وكونه كان ممسوحا باعتبار ما له وكان المهدي له المقوقس هو المشهور وفي كلام بعضهم ان المهدي له جريج بن مينا القبطي الذي كان على مصر من قبل هرقل وأنه لم يكن حال الارسال ممسوحا وأنه قدم مع مارية فأسلم وحسن اسلامه وكان يدخل عليها وأنه رضي من مكانه من دخوله على سرية النبي صلى الله عليه وسلم أن يجب نفسه فقطع ما بين رجليه حتى لم يبق منه شيء وليتأمل وسيأتي ماوقع له واهدى اليه المقوقس زيادة على البغلة وهي الدلدل وكانت شهباء والدلدل في اللغة اسم للقنفذ العظيم وكانت أنثى ولا يستدل بلحوق التاء لها لانها للوحدة وفي كلام بعضهم أجمع أهل الحديث على أن بغلة النبي صلى الله عليه وسلم كانت ذكرا لا أنثى وأول من استنتج البغال قارون قالوا والبغل أشبه بأمه منه بأبيه قيل ولم يكن يومئذ في العرب بغلة غيرها وقد قال له سيدنا علي رضي الله عنه لو حملنا الحمر على الخيل لكان لنا مثل هذه فقال رسول الله ﷺ انما يفعل ذلك الذين لا يعلمون قال ابن حبان أي الذين لا يعلمون النهي عنه وفيه ان الله امتن بها كالخيل والحمير ولا يقع الامتنان بالمكروه وحمارا أشهب يقال له يعفورا وعفير بالعين المهملة مضمومة وضبطه القاضي عياض بالمعجمة وغلط في ذلك مأخوذ من العفرة وهي لون التراب وفرسا وهو اللزاز أي فان المقوقس سأل حاطبا رضي الله عنه ما الذي يحب صاحبك من الخيل فقال له حاطب الاشقر وقد ترك عنده فرسا يقال له المرتجز فانتخب له ﷺ فرسا من خيل مصر الموصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه صلى الله عليه وسلم الميمون وأهدى له صلى الله عليه وسلم عسلا من عسل بنها بكسر الباء الموحدة قرية من قرى مصر وأعجب به ﷺ ودعا في عسل بنها بالبركة لانه حين أكل منه قال ان كان عسلكم اشرف فهذا أحلى ثم دعا فيه بالبركة * وأهدى اليه مربعة يضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط والمقص والمسواك ومكحلة من عيدان شامية ومرآة ومشطا أي فان المقوقس سأل حاطبا عن النبي ﷺ هل يكتحل فقال له نعم وينظر في المرآة ويرجل شعره ولا يفارق خمسا في سفر كان أو في حضر وهي المرآة والمكحلة والمشط والمسواك والمدرى والمدرى شيء كالمسلة يفرق به بين شعر الرأس ويحك به لان حكه بالأصبع يشوش الشعر ويلوي بها قرون شعر الرأس وعن عائشة

لعائشة رضى الله عنها يسترها وهى تنظر الى الحبشة يلعبون بالحراب وهى متكئة على منكبه قالت فقال لى اما شبعت أما شبعت فجعلت أقول لا لا رواه الترمذى وقال حسن صحيح و روى الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال صلى الله عليه وسلم للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت عنى حتى حملت اللحم و بدنت وسمنت خرجت معه (٢٨٣) فى بعض أسفاره فقال للناس تقدموا

رضى الله عنها سبع لم يفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر ولا حضر القارورة التى يكون فيها الدهن والمشط والمكحلة والمقراض أى المقص والسواك والمرآة زاد بعضهم والابرة والخيط ولعل عدم ذكر ذلك فى الكتاب أنه لم يره شيئا يعنى ذكره أى وقد قال بعضهم إن المقوقس أرسل مع الهدية طبيبا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ارجع إلى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع واعترض كون الحمار الذى أرسله المقوقس يسمى يعفورا بأن الحمار الذى يسمى يعفورا أهداه له فروة بن عمرو الجذامى عامل قيصر وأهدى اليه أيضا بغلة شهباء يقال لها فضة وفرسا يقال له الظرب كما تقدم ثم رأيت بعضهم سمى الحمار الذى أهداه عامل قيصر عفيرا أيضا وعليه فتسمية حمار المقوقس عفيرا أيضا كما فى الأصل أن الحمار الذى أهداه المقوقس يقال له يعفور وعفير من خلط بعض الرواة فليتأمل وفى هذا قبول هدية المشركين وقد تقدم رده صلى الله عليه وسلم لهداياهم وقال لا أقبل زبد المشركين ومما يشكل عليه أيضا أنه صلى الله عليه وسلم فى هدنة الحديبية أهدى صلى الله عليه وسلم لأبى سفيان عجوة واستهداه أدما فأهدى اليه أبو سفيان وهو على شركه وذكر أن المقوقس قال لحاطب رضى الله عنه القبط لا يطاوعوننى فى اتباعه ولا أحب أن تعلم بمحاورتى إياك وأنا أضن أى أبخل بملكى أن أفارقه وسيظهر على البلاد وينزل بساحتنا هذه أصحابه من بعده أى وكان كذلك فان المسلمين فتحوا مصر سنة ست عشرة ونزلها الصحابة فارجع إلى صاحبك وارحل من عندى ولا تسمع منك القبط حرفا واحدا قال حاطب رضى الله عنه فرحلت من عنده أى وبعث معه جيشا إلى أن دخل جزيرة العرب ووجد قافلة من الشأم تريد المدينة فرد الجيش وارتفق بالقافلة قال حاطب وذكرت قوله للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه ومن ثم ذكر بعضهم أن هرقل لما علم ميل المقوقس إلى الاسلام عزله ويخالفه قول بعضهم وبعث أبو بكر رضى الله عنه حاطبا هذا إلى المقوقس بمصر فصالح القبط الا أن يقال يجوز أن يكون المقوقس عاد لولايته بعد عزله * وذكر بعضهم أن بانى الاسكندرية لما أراد بناءها قال أبنى مدينة فقيرة إلى الله غنية عن الناس فدامت وبنى أخوه مدينة قال عند ارادة بنائها أبنى مدينة فقيرة إلى الناس غنية عن الله فسلط الله عليها الخراب فى أسرع وقت ولما افتتح عمرو بن العاصى رضى الله عنه مصر ووقف على بعض ما بقى من آثار تلك المدينة سأل عن ذلك فأخبر بهذا الخبر

﴿ ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمنذر بن ساوى العبدى بالبحرين على يد العلاء بن الحضرمى ﴾

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى و بعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى سلام عليك فانى أحمد الله اليك الذى لا إله الا هو وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده و رسوله أما بعد فانى أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وأنه من يطع رسلى و يتبع أمرهم فقد أطاعنى ومن نصح لهم فقد نصح لى وان رسلى قد

ثم قال تعالى أسابقك فسبقنى فجعل يضحك و يقول هذه بتلك وانما قال ذلك لها تلطفا بها وتطييبا لخاطرها رضى الله عنها وذلك من كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم و روى الطبرانى فى الصغير والأوسط عن أنس رضى الله عنه أنهم يعنى الصحابة رضى الله عنهم كانوا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة رضى الله عنها ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحفة من بيت أم سلمة رضى الله عنها فوضعت بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وقال ضعوا أيديكم أى للأكل فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده ووضعنا أيدينا فأكلنا وعائشة رضى الله عنها تصنع طعاما عجلته حين رأت الصحفة التى أتى بها من بيت أم سلمة رضى الله عنها فلما فرغ من طعامها جاءت به فوضعته ورفعت صحفة أم سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا باسم الله أى من صحفة عائشة غارت أمكم ثم أعطى صحفتها أم سلمة رضى الله عنها وقال طعام مكان طعام وإناء مكان إناء وهذا الحديث رواه البخارى بلفظ كان صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه فأرسلت احدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التى النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع النبى صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذى كان فى الصحفة و يقول غارت أمكم ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة

من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفة إلى التي كسرت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت واتفقوا على أن التي كان في بيتها هي عائشة رضي الله عنها واختلفوا في التي جاء الطعام من عندها فجاء في رواية أنها أم سلمة وفي أخرى أنها صفية وحمل بعضهم ذلك على التعدد ولا مانع منه وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت ثم رجعت إلى نفسي وندمت فقلت يا رسول الله ما كفارته قال إناء كاناء وطعام كطعام وجاء في

بعض الروايات أنه صلى الله عليه وسلم حين كسرت لم يثرب عليها أي لم يلمها ولم يعبها فوسع خلقه الشريف آثار غيرتها ولم يتأثر من فعلها ذلك بحضوره وحضور أصحابه لمزيد حلمه وعلمه بما تؤدي إليه الغيرة وقضى عليها بحكم الله في القصاص بحمل المكسورة عندها ودفع الصحيحة لضرتها وهكذا كانت أحواله صلى الله عليه وسلم مع أزواجه لا يؤاخذ عليهن ويعذرهن ويرفع اللوم عنهن وإن أقام عليهن ميزان العدل من غير قلق ولا غضب فهو رءوف رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن عزيز عليه أي شديد عليه ما يعنتهم أي ما يشق عليهم وفي الحديث اشارة إلى أن المرأة ينبغي أن لا تؤاخذ فيما يصدر عنها من الغيرة لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبا لشدة الغضب الذي أثارته الغيرة وقد أخرج أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الغيرى أي المرأة

أثنوا عليك خيرا وانى قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية أي وهذا جواب كتاب أرسله المنذر جوابا لكتاب أرسله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يدعوه إلى الاسلام فأسلم وحسن اسلامه * أقول ولم أقف على ذلك الكتاب ولا على حامله والظاهر أنه العلاء المذكور وقد ذكر السهيلي رحمه الله أن العلاء قدم على المنذر بن ساوى فقال له يا منذر انك عظيم العقل في الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ينكح فيها ما يستحيا من نكاحه ويأكلون ما يتكره من أكله وتعبدون في الدنيا نارا تأكلكم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأى فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا أن لا نصدقه ولمن لا يخون أن لا نأتمنه ولمن لا يخلف أن لا نثق به فان كان هذا هكذا فهذا هو النبي الأمي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه أو ما نهى عنه أمر به فقال المنذر قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخره ورأيت في دينكم فرأيته للآخره والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياه وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده وان من اعظام من جاء به أن يعظم رسوله وسأنظر والله أعلم * ومن جملة كتاب المنذر أي الذي هذا الكتاب جوابه أما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضي مجوس ويهود فأحدث لي في ذلك أمرك وذكر ابن قانع أن المنذر المذكور وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فهو من الصحابه قال أبو الربيع ولا يصح ذلك

﴿ ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم إلى جيفر وعبد ابني الجلندى ملكي عمان ﴾

أي بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلده من بلاد اليمن على يد عمرو بن العاصي رضي الله عنه بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاصي رضي الله عنه إلى جيفر وعبد ابني الجلندى وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوكما بدعاية الاسلام اسلما تسلما انى رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتما أن تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي تحل أي تنزل ساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما وختم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب * قال عمرو ثم خرجت حتى انتهيت إلى عمان فعمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا فقلت انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى أخيك فقال أخي المقدم علي بالسن والملك وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك ثم قال وما تدعو اليه قلت أدعوك إلى الله وحده وتخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمداً عبده ورسوله قال يا عمرو انك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك يعني العاص بن وائل فان لنا فيه قدوة قلت مات ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت له لو كان آمن وصدق به وقد كنت قبل على مثل رأيه حتى هداني الله للاسلام قال فمتى تبعته قلت قريبا فسألني أين كان اسلامي

الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه وروى البزار والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه اذ أقبلت امرأة عريانة فقام اليها رجل فألقى عليها ثوبا وضمها اليه فتغير وجهه صلى الله عليه وسلم فقال بعض جلسائه أحسبها أي أظنها امرأته فقال صلى الله عليه وسلم أحسبها غيرى ان الله كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال فمن صبر منهن كان له أجر شهيد وفي المواهب عن عائشة رضي الله عنها قالت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم

وقلت عند النجاشي وأخبرته ان النجاشي قد أسلم قال فكيف صنع قومه بملكه قلت أقروه واتبعوه قال والاساقفة أي رؤساء النصرانية والرهبان قلت نعم قال انظر ياعمرو ما تقول انه ليس من خصلة في رجل أفضح له أي أكثر فضيحة من كذب قلت وما كذبت وما نستحله في ديننا ثم قال ما أرى هرقل علم باسلام النجاشي قلت له بلى قال بأي شيء علمت ذلك ياعمرو قلت كان النجاشي رضي الله عنه قال يخرج له خراجا فلما أسلم النجاشي وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم قال لا والله ولو سألني درهما واحدا ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال له أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خراجا ويدين دينا محدثا فقال هرقل رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكي لصنعت كما صنع قال انظر ما تقول ياعمرو قلت والله صدقتك قال عبد فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ما أحسن هذا الذي يدعو اليه لو كان أخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا أي تابعا قلت انه ان أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم وردها على فقيرهم قال ان هذا الخلق حسن وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات في الأموال أي ولما ذكرت المواشي قال ياعمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وترد المياه فقلت نعم فقال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا * قال عمرو فمكثت أياما بباب جيفر وقد أوصل اليه أخوه خبري ثم انه دعاني فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعي أي عضدي قال دعوه فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس فنظرت اليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه كتابا مختوما ففض خاتمه فقرأه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه ثم قال ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب في الدين واما راهب مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله اياهم انهم كانوا في ضلال مبين فما أعلم أحدا بقي غيرك في هذه الحرجة وأنت ان لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك الخيل وتبيد خضراءك أي جماعتك فاسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال قال دعني يومي هذا وارجع الي غدا فلما كان الغد أتيت اليه فأبى أن يأذن لي فرجعت الى أخيه فأخبرته اني لم أصل اليه فأوصلني اليه فقال اني فكرت فيما دعوتني اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي وهو لا تبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله ألفت أي وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى قلت وأنا خارج غدا فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فأصبح فأرسل الي فأجاب الى الاسلام هو وأخوه جميعا وصدقا وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا لي عونا على من خالفني

﴿ ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى هوذة ﴾

بخزيرة طبختها وقلت لسودة أم المؤمنين رضي الله عنها والنبي ﷺ بيني وبينها كلي فأبت فقلت لها كلي فأبت فقلت لها لتأكلن أو لألطخن بها وجهك فأبت فوضعت يدي في الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك رسول الله ﷺ فوضع رأسي على فخذه وقال لسودة الطخي وجهها قصاصا فلطخت بها وجهي فضحك رسول الله ﷺ والخزيرة لحم يقطع صغارا أو يصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق وبالجملة فمن تأمل (٢٨٥) سيرته عليه الصلاة والسلام مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والأيتام والأرامل والأضياف والمساكين علم انه قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التي لا مرمى وراءها لمخلوق وان كان يشتد في حدود الله وحقوقه ودينه حتى قطع يد السارق وحد الزاني الى غير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يلاطف أصحابه ويباسطهم بالقول والفعل بما يوجب حبه في القلوب تطمينا لهم وتقوية لايمانهم وتعليما لهم أن يباسطوا بعضهم بعضا لانهم إذا رأوا ذلك من أكمل الخلق وأفضلهم وقد علموا قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة اطمأنت قلوبهم على فعل ذلك مع بعضهم وروى عبد الرزاق والترمذي عن أنس رضي الله عنه ان رجلا من البادية يسمى زهيرا أو في رواية زاهر بن حرام الأشجعي وكان يهادي النبي صلى الله عليه وسلم بوجود البادية أي بما يستطرف ويستملح منها وكان ﷺ يهاديه ويكافئه بوجود الحاضرة أي بما يستطرف منها وكان ﷺ يقول زهير باديتنا ونحن حاضرته وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه وسلم الى السوق فوجده قائما يبيع متاعه فجاءه من قبل ظهره وضمه بيده الى صدره فأحس زهير بأنه رسول الله ﷺ قال فجعلت أمسح ظهري في صدره رجاء حصول بركته وفي رواية فاحتضنه ﷺ من خلفه وهو لا يبصره فقال ارسلني من هذا فالتفت

وعرف انه النبي ﷺ فجعل لا يألو ما ألصق ظهره أي لا يقصر في الصاق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه تبركا وتلذذا فجعل رسول الله ﷺ يقول ملاطفة معه من يشترى العبد فقال زهير يارسول الله اذن تجدني كاسدا فقال له ﷺ أنت عبد الله قال وفي رواية لكن عند الله لست بكاسد فهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم وشدة تلطفه باصحابه وأخرج أبو يعلى عن (٢٨٦) زيد بن أسلم ان رجلا يلقب بعبد الله الحمار كان يهدي للنبي ﷺ العكة من السمن تارة والعسل أخرى فاذا جاء صاحبه يتقاضاه أي يطلبه الثمن جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أعط هذا ثمن متاعه فما يريد النبي صلى الله عليه وسلم على أن يتبسم ويأمر فيعطى الثمن وفي روايه وكان لايدخل الى المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء فقال يارسول الله هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب ثمنه جاء به فيقول أعط هذا الثمن فيقول ألم تهده لي فيقول ليس عندي ما أعطيه فيضحك صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه ثمنه ووقع نحو ذلك للنعيمان بالتصغير بن عمرو بن رفاعة الأنصاري رضي الله عنه ذكر الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح أنه كان لايدخل المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول هذا أهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه أحضره الى النبي ﷺ فيقول اعط هذا ثمن متاعه فيقول أولم تهده لي وسلم
فيقول والله لم يكن عندي ثمنه ولقد أحببت أن تأكله فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه وكان ﷺ يمزح ولا يقول الا حقا وذلك ان الناس مأمورون بالاقتداء بهديه ولو ترك الطلاقة والبشاشة ولزم العبوس لأخذ الناس نفوسهم بذلك على ما في مخالفة الغريزة من المشقة والعناء فمزح ليمزحوا قال بعض السلف كان للنبي ﷺ مهابة فلولا أنه كان يتبسط لاصحابه

بالذال المعجمة وقيل بالدال المهملة قال في النور ولا أظنه الاسبق قلم صاحب اليمامة أي وزاد بعضهم والى ثمامة بن أثال الحنفيين ملكي اليمامة وفيه نظر لان ثمامة رضي الله عنه كان مسلما حينئذ على يد سليط بفتح السين المهملة بن عمرو العامري أي لانه كان يختلف الى اليمامة وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ﷺ الى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم ان ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر أي حيث تقطع الابل والخيل فاسلم تسلم واجعل لك ماتحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله ﷺ مختوما أنزله وحياه وقرأ عليه الكتاب فرد ردا دون رد وكتب الى النبي ﷺ ما أحسن ماتدعو اليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل الي بعض الأمر أتبعك وأجاز سليطا رضي الله عنه بجائزة وكساه أثوابا من نسج هجر فقدم بذلك كله على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وقرأ النبي ﷺ كتابه وقال لو سألني سيابة أي بفتح السين المهملة وتخفيف المثناة من تحت وموحدة مفتوحة أي قطعة من الأرض مافعلت باد وباد ما في يديه فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل عليه السلام فاخبره بان هوذة قد مات فقال ﷺ أما ان اليمامة سيخرج بها كذاب يتنبأ يقتل بعدي أي فقال قائل يارسول الله من يقتله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت وأصحابك وكان كذلك بأقول هذا يدل على أن القائل له صلى الله عليه وسلم ذلك هو خالد بن الوليد رضي الله عنه فان أبا بكر رضي الله عنه وجهه أميرا على الجيش الذي أرسله لمقاتلة مسيلمة لعنه الله وتقدم الخلاف في قاتله والمشهور انه وحشي قاتل حمزة رضي الله عنهما وكان سن هوذة مائة وخمسين سنة ويذكر ان هوذة هذا كان عنده عظيم من عظماء النصارى حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما قال فقال له لم لا تجيبه قال أنا ملك قومي ولئن اتبعته لم أملك فقال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وان الخيرة لك في اتباعه وانه النبي العربي الذي بشر به عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام وانه لمكتوب عندنا في الانجيل محمد رسول الله الحديث اي وذكر السهيلي رحمه الله تعالى ان سليطا قال له ياهوذة انه سودتك أعظم حائلة أي بالية وأرواح في النار يعني كسرى لانه الذي كان توجه وانما السيد من متع بالايمان ثم تزود بالتقوى وان قوما سعدوا برأيك فلا تشقين به وأنا آمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شر منهي عنه آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فان في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت مارجوت وأمنت ماخفت وان أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهو المطلع فقال هوذة ياسليط سودني من لو سودك تشرفت به وقد كان لي رأي أختبر به الأمور ففقدته فاجعل لي فسحة ليرجع الي رأيي فأجيبك به ان شاء الله تعالى

﴿ ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى الحرث بن أبي شمر الغساني ﴾

أي وكان بدمشق أي بغوطتها أي وهو محل معروف كثير المياه والشجر بعث رسول الله صلى الله عليه

و يداعبهم لما استطاعوا مكالمته ولا المقام معه لشدة ما افاضه الله عليه من الهيبة والجلال روى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قالوا يارسول الله انك تداعبنا قال اني لا أقول الا حقا و روى الترمذي وأبو داود وغيرهما أن رجلا كان به لله أي غفلة في أمور الدنيا قال يارسول الله احملني أي مرلي ببعير أركب عليه لأغزو معكم فباسطه ﷺ فقال اني حاملك على ابن الناقة فسبق لخاطره استصغار ابن الناقة فقال يارسول الله ما عسى أن يغني عني ابن الناقة فقال ﷺ ويحك وهل يلد الجمل الا الناقة أي لو تدبرت وتأملت لادركت وفهمت أن ابن الناقة يصدق على الجمل الكبير وجاءته امرأة فقالت يارسول الله احملني على بعير فقال احملوها على ابن بعير فقالت وما اصنع به وما يحملني يارسول الله فقال هل يجيء بعير الا ابن بعير و روى الترمذي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم باسط عمته صفية بنت عبد المطلب أم الزبير ابن العوام رضي الله عنه حين قالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فخرجت فقال لها انك تعودين الى صورة الشباب في الجنة ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وكان عليه الصلاة والسلام يمازح اصحابه بالقول والفعل للملاطفة ويخالطهم ويحادثهم تأنيسا لهم وجبرا لقلوبهم و يأخذ معهم في تدبير أمورهم و يداعب صبيانهم و يجلسهم في حجره جاءته أم قيس رضي الله عنها بابن لها صغير لم يأكل الطعام فاجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يقل شيئا وهو ﷺ مع ذلك قلبه يجول في الملكوت حيث أراد الله به وما ورد عنه عليه الصلاة والسلام في النهي عن المداعبة محمول على الافراط لما فيه من الشغل عن ذكر الله وعن التفكر في مهمات الدين وغير ذلك كقسوة القلب وكثرة الضحك وذهاب ماء الوجه بل كثيرا ما يولد الايذاء والحقد والعداوة وجراءة الصغير على الكبير قال عمر رضي الله عنه من

وسلم شجاع بن وهب الى الحرث بن أبي شمر الغساني و بعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحرث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق واني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وختم الكتاب قال شجاع رضي الله تعالى عنه فخرجت حتى انتهيت الى بابه فأقمت يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه اني رسول رسول الله ﷺ اليه فقال لا تصل اليه حتى يخرج يوم كذا وجعل حاجبه يسألني عن رسول الله ﷺ وما يدعو اليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول اني قرأت في الانجيل واجد صفة هذا النبي بعينه فكنت أراه أي أظنه يخرج بالشام فأراه قد خرج بأرض القرظ أي وهو ورق أو ثمر السلم فانا أومن به وأصدقه وأنا أخاف من الحرث بن أبي شمر ان يقتلني فكان هذا الحاجب يكرمني ويحسن ضيافتي ويخبرني عن الحرث باليأس منه ويقول هو يخاف قيصر فخرج الحرث يوما وجلس وعلى رأسه التاج واذن لي عليه فدفعت اليه كتاب رسول الله ﷺ فقرأه ثم رمى به ثم قال من ينزع مني ملكي أنا سائر اليه ولو كان باليمن جئته علي بالناس فلم يزل جالسا يعرض عليه حتى الليل وأمر بالخيل ان تنعل ثم قال لي أخبر صاحبك بما ترى وكتب الى قيصر يخبره الخبر وصادف ان كان عند قيصر دحية الكلبي رضي الله عنه بعثه اليه رسول الله ﷺ فلما قرأ قيصر كتاب الحرث كتب اليه ان لا تسر اليه واله عنه أي لا تذكره واشتغل بايلياء أي بيت المقدس ومعنى ايلياء بالعبرانية بيت الله والمراد باشتغاله بذلك ان يهيء لقيصر الانزال ببيت المقدس فانه نذر المشي من حمص وقيل من قسطنطينية الى بيت المقدس ماشيا شكرا لله تعالى حيث كشف عنه جنود فارس واظهر الله تعالى الروم على فارس ففرشوا له بسطا ونثروا عليها الرياحين وهو يمشي عليها حتى بلغ بيت المقدس فجاء اليه كتاب قيصر أي الذي فيه انه يلهو عنه ولا يذكروا بامقيم فدعاني وقال متى تريد أن تخرج إلى صاحبك قلت غدا فأمر لي بمائة مثقال ذهبا ووصلني حاجبه بنفقة وكسوة وقال لي ذلك الحاجب اقرأ على رسول الله ﷺ مني السلام وأخبره اني متبع دينه قال شجاع وقدمت على النبي ﷺ فاخبرته بما كان من الحرث قال باد أي هلك ملكه وأقرأته السلام من الحاجب وأخبرته بما قال فقال رسول الله ﷺ صدق * وفي كلام بعض أهل السير على ان الحرث اسلم ولكن قال أخاف أن أظهر اسلامي فيقتلني قيصر * وذكر ابن هشام وغيره ان شجاع بن وهب انما توجه الى جبلة بن الايهم ويقال إن شجاع بن وهب ارسل الى الحارث والى جبلة بن الايهم وان شجاعا قال له يا جبلة ان قومك نقلوا هذا النبي من داره الى دارهم يعني الانصار فآووه ومنعوه ونصروه وان هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت الروم ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس فان أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم وان لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لك الآخرة وقد كنت استبدلت المساجد بالبيع والاذان بالناقوس والجمع بالشعانين وكان ما عند الله خيرا وأبقى فقال جبلة اني والله لوددت ان الناس اجتمعوا على هذا النبي اجتماعهم على من خلق السموات والارض وقد سرني اجتماع

كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به وكل ذلك محمول على الافراط ولذا قيل فاياك اياك المزاح فانه * يجري عليك الطفل والرجل النذلا ويذهب ماء الوجه من كل سيد * ويورثه من بعد عزته ذلا والذي يسلم من ذلك هو المباح الذي لا يؤدي الى حرام ولا الى مكروه فان صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم فهو مستحب وروى البخاري ومسلم عن أنس (٢٨٨) رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان له نغير يلعب به فمات فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم حزينا فقال ما شأنه فقالوا مات نغيره فقال يا أبا عمير ما فعل النغير ملاطفة وتأنيسا له وتسلية وذلك من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع وفي رواية للترمذي عن أنس رضي الله عنه قال ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لأخ لي يا أبا عمير ما فعل النغير والنغير تصغير نغر بوزن رطب وهو طائر صغير كالعصفور والجمع نغران كصرد وصردان ومع ذلك كله كان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة والعظمة في القلوب قبل بعثته وبعدها قدرا عظيما حتى ان قومه الذين كانوا يكذبونه بعد البعثة اذا واجهوه عظموه وقضوا حاجته لما ألقي عليه من الجلال والمهابة التي تدهش القلوب وتحيرها من رآه بديهة هابه قال الابوصيري كأنه وهو فرد من جلالته * في عسكر حين تلقاه وفي حشم ذكر أي لجلالته ومهابته عند رؤيته وهو منفرد أعظم من مهابة أعظم ملك عند رؤيته وهو مع عسكره وحشمه ولقد جاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل لحاجة يذكرها فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هون عليك فاني لست بملك ولا جبار وانما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة أي اللحم المقدد فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس اني أوحي الي ان

قومي له وقد دعاني قيصر الى قتال أصحابه يوم مؤتة فأبيت عليه ولكني لست أرى حقا ولا باطلا وسأنظر * وفي كلام بعضهم أنه أسلم ورد جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه باسلامه وأرسل الهدية وكان ثابتا على اسلامه الى زمن عمر رضي الله عنه فانه حج في خلافته * أي وفي كلام بعضهم لما أسلم جبلة بن الايهم في أيام عمر رضي الله عنه كتب اليه يخبره باسلامه ويستأذنه في القدوم عليه فسر عمر بذلك وأذن له فخرج في خمسين ومائتين من أهل بيته حتى اذا قارب المدينة عمد الى أصحابه فحملهم على الخيل وقلدها بقلائد الذهب والفضة وألبسها الديباج وفرش الحرير ووضع تاجه على رأسه فلم تبق بكر ولا عانس الا خرجت تنظر اليه والى زينته ولما دخل على عمر رضي الله عنه رحب به وأدنى مجلسه وأقام بالمدينة مكرما فخرج عمر رضي الله عنه حاجا فخرج معه وحين تطوف بالبيت وطئ رجل من فزارة ازاره فانحل فلطم الفزاري لطمة هشم بها أنفه وكسر ثناياه أي ويقال فقأ عينه فشكى الفزاري ذلك الى عمر رضي الله تعالى عنه فاستدعاه وقال له لم هشمت أنفه أو قال لم فقأت عينه فقال يا أمير المؤمنين تعمد حل ازاري ولولا حرمة البيت لضربت عنقه بالسيف فقال له عمر أما أنت فقد أقررت فاما ان ترضيه والا أقدته منك وفي رواية وحكم اما بالعفو واما بالقصاص فقال جبلة فتصنع بي ماذا قال مثل ما صنعت به وفي رواية أتقتص له مني سواء وأنا ملك وهذا سوقي فقال له عمر رضي الله عنه الاسلام سوى بينكما ولا فضل لك عليه الا بالتقوى فقال ان كنت أنا وهذا الرجل سواء في الدين فأنا أتنصر فاني كنت أظن يا أمير المؤمنين اني أكون في الاسلام أعز مني في الجاهلية فقال له عمر رضي الله عنه اذا أضرب عنقك فقال فأمهلني الليلة حتى أنظر في أمري قال ذلك الى خصمك فقال الرجل أمهلته يا أمير المؤمنين فأذن له عمر رضي الله عنه في الانصراف ثم ركب في بني عمه وهرب الى القسطنطينية أي فدخل على هرقل وتنصر هناك ومات على ذلك وقيل عاد الى الاسلام ومات مسلما * وكان جبلة رجلا طوالا طوله اثنا عشر شبرا وكان يمسح الارض برجليه وهو راكب فسر هرقل به وزوجه ابنته وقاسمه ملكه وجعله من سماره وبنى له مدينة بين طرابلس واللاذقية سماها جبلة باسمه يقال ان بها قبر ابراهيم بن أدهم وقيل المحاكمة كانت عند أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه أي فقد ذكر بعضهم ان جبلة لم يزل مسلما حتى كان في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبينما هو في سوق دمشق اذ وطئ رجلا من مزينة فوثب المزني فلطم خد جبلة فأرسله مع جماعة من قومه الى أبي عبيدة ابن الجراح فقالوا هذا لطم جبلة قال فليلطمه قالوا أما يقبل قال لا يقبل قالوا أفما تقطع يده قال لا انما أمر الله بالقود فلما بلغ جبلة ذلك قال أتروني اني جاعل وجهي ندا لوجه بئس الدين هذا ثم ارتد نصرانيا وترحل بقومه حتى دخل أرض الروم على هرقل

﴿ حجة الوداع ﴾

ويقال لها حجة البلاغ وحجة الاسلام لانه صلى الله عليه وسلم ودع الناس فيها ولم يحج بعدها ولانه

توا ضعوا ألا وتواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله اخوانا وانما قال ذلك لانه لما رأى تواضعه كان سببا في تسكين روع الرجل حث الناس على التواضع ليتمكن الناس من قضاء حاجاتهم والتواضع انكسار القلب وخفض جناح الذل والرحمة للخلق حتى لا يرى له عند أحد حقا بل يرى الحق لغيره وقوله صلى الله عليه وسلم فاني لست بملك قصد به سلب صفة الملوك عنه لما يلزمها من الجبروتية والتكبر والافتخار وقال أنا ابن امرأة (٢٨٩) تأكل القديد تواضعا لان القديد طعام

ذكر لهم ما يحل وما يحرم وقال لهم هل بلغت ولانه صلى الله عليه وسلم لم يحج من المدينة غيرها وقيل لاخراج الكفار الحج عن وقته لان أهل الجاهلية كانوا يؤخرون الحج في كل عام أحد عشر يوما حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود إلى وقته ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في هذه الحجة ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض فان هذه الحجة كانت في السنة التي عاد فيها الحج إلى وقته وكانت سنة عشر قال الجمهور وفرض الحج كان سنة ست من الهجرة أي وصححه الرافعي في باب السير وتبعه النووي وقيل فرض سنة تسع وقيل سنة عشر انتهى وبه قال أبو حنيفة ومن ثم انه على الفور وقيل فرض قبل الهجرة واستغرب خرج رسول الله ﷺ يريد الحج وأعلم الناس بذلك ولم يحج منذ هاجر إلى المدينة غير هذه الحجة قال وأما بعد النبوة قبل الهجرة فحج ثلاث حجات أي وقيل حجتين أي وهما اللتان بايع فيهما الأنصار عند العقبة وفي كلام ابن الاثير كان ﷺ يحج كل سنة قبل أن يهاجر وفي كلام ابن الجوزي حج صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وبعدها حججا لا يعلم عددها أي وكان ﷺ قبل النبوة يقف بعرفات ويفيض منها إلى مزدلفة مخالفا لقريش توفيقا له من الله فانهم كانوا لا يخرجون من الحرم فانهم قالوا نحن بنو ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأهل الحرم وولاة البيت وقاطنو مكة فليس لأحد من العرب مثل منزلتنا فلا تعظموا شيئا من الحل أي كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمكم وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فليس لنا ان نخرج من الحرم نحن الحمس فتركوا الوقوف بعرفة والافاضة منه إلى المزدلفة ويرون ذلك لسائر العرب قال بعض الصحابة لقد رأيت رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي وانه واقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقا له من الله عز وجل : وعند خروجه صلى الله عليه وسلم للحج أصاب الناس بالمدينة جدري بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما أو حصبة منعت كثيرا من الناس من الحج معه ﷺ ومع ذلك كان معه جموع لا يعلمها الا الله تعالى قيل كانوا أربعين ألفا وقيل كانوا سبعين ألفا وقيل كانوا تسعين ألفا وقيل كانوا مائة ألف وأربعة عشر ألفا وقيل وعشرين ألفا وقيل كانوا أكثر من ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم أي عند ذهابه عمرة في رمضان تعدل حجة أو قال حجة معي أي قال ذلك تطييبا لخواطر من تخلف وصوب بعضهم ان هذا انما قاله ﷺ بعد رجوعه () أي الى المدينة قاله لأم سنان الانصارية لما قال لها ما منعك أن تكوني حججت معنا وقالت لنا ناضحان حج أبو فلان تعني زوجها وولدها على أحدهما وكان الآخر يسقي عليه أرضا لنا وقال ذلك أيضا لغيرها من النسوة قاله لام سليم ولام طلق ولام الهيثم ولا مانع أن يكون قال ذلك مرتين مرة عند ذهابه لما ذكر ومرة عند رجوعه لمن ذكر () وكان خروجه ﷺ يوم الخميس لست بقين من ذي القعدة أي وقيل يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة () ورجحه بعضهم وأطال في الاستدلال له وذلك سنة عشر نهارا بعد أن ترجل وادهن وبعد أن صلى الظهر بالمدينة وصلى عصر ذلك اليوم بذي الحليفة ركعتين وطاف تلك الليلة على

أهل المسكنة وكأنه قال أنا ابن امرأة مسكينة تأكل من مفضول الاكل فكيف يخاف مني وروى أبو داود وغيره ان قيلة بنت مخرمة التميمية رأته جالسا في المسجد فارعدت من الفرق أي الخوف والفزع وقال لها صلى الله عليه وسلم يامسكينة عليك السكينة وانما قال لها ذلك ذهب عنها ما كان بقلبها من الرعب وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيماله ولو قيل لي صفه أي بجميع أوصافه لما قدرت واذا كان هذا قوله وهو من عظماء الصحابة فما بالك بغيره ويبين ذلك ويوضحه ماروى أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا فرغ من صلاة الليل حدث عائشة رضي الله عنها ان كانت مستيقظة والا اضطجع

 بالأرض ثم خرج بعد ذلك للصلاة وما ذاك الا انه صلى الله عليه وسلم كان يتهجد ليلا ويشتغل بما يقربه من الله فيظهر عليه حال حتى يظن أنه ليس من البشر فلو خرج على تلك الحالة التي كان عليها وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته وسماع كلام ربه وغير ذلك من الاحوال التي يكل اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر أن يلقاه فكان عليه الصلاة والسلام يتحدث مع عائشة ويضطجع بالأرض حتى يحصل التأنيس بجنسهم وهو التأنيس بعائشة التي هي من البشر أو من جنس

أصل الحلقة الذي هو الارض ثم خرج اليهم ليمكن الناس من مخالطته والتكلم معه وما كان يفعل ذلك الا رفقا بهم وكان بالمؤمنين رؤفا رحيما وقد جاء في الحديث انه لما أخير على لسان اسرافيل بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا نظر عليه الصلاة والسلام إلى جبريل عليه السلام كالمستشير له فنظر جبريل إلى الأرض يشير إلى التواضع وفي رواية فأشار إلى جبريل أن تواضع فقلت نبيا عبدا فاختار عليه الصلاة والسلام العبودية تواضعا فلذلك أورثه الله الرفعة حتى رفع إلى السماء وأطلعه الله على الملكوت الاعلى وفي البخاري ان محمود بن الربيع الانصاري الخزرجي رضي الله عنه وقف على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمس سنين فمج عليه الصلاة والسلام في وجهه مجة من ماء بئر في دارهم يمازحه بها فكان في ذلك المج من البركة انه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الا تلك المجة وعد بسبب ذلك من الصحابة فقد علمت انه عليه الصلاة والسلام كان مع أصحابه وأهله ومع القريب والغريب في غاية ونهاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق ولين الجانب حتى يظن كل واحد من أصحابه انه أحبهم اليه وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويقف مع من استوقفه ويمزح مع الصغير والكبير أحيانا اذا اقتضاه المقام ويجيب الداعي وهذا الميدان لاتجد فيه الا واجبا أو مستحبا أو مباحا وكان يباسط الخلق ويلاطفهم ليستضيؤا بنور هدايته من ظلمات دياجي الجهل ويقتدوا بهديه صلى الله عليه وسلم وكانت مجالسته ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله تعالى وترغيب وترهيب اما بتلاوة القرآن أو بما آتاه الله من الحكمة والمواعظ الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين كما أمره الله أن يذكر ويعظ ويقص وأن يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يبشر وينذر فلذلك كانت تلك المجالس توجب لأصحابه رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في

نسائه أي فانهن كن معه صلى الله عليه وسلم في الهوادج وكن تسعة ثم اغتسل ثم صلى الصبح أي والظهر ثم طيبته عائشة رضي الله عنها بذريرة هي نوع من الطيب مجموع من اخلاط الطيب وبطيب فيه مسك ثم أحرم صلى الله عليه وسلم أي وذلك بعد أن اغتسل () لاحرامه غير غسله الأول وتجرد في ازاره وردائه أي فقد روى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم أحرم في رداء وازار ولم يغسل الطيب بل كان يرى وبيص المسك في مفارقه ولحيته الشريفة أي فانه صلى الله عليه وسلم لبد شعر رأسه بما يلزق بعضه ببعض فلا يشعث وعن عائشة رضي الله عنها طيبته ﷺ لحرمه وحله وعنها رضي الله تعالى عنها قالت كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحرامه قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت رواه الشيخان وعنها قالت كنت أطيب رسول الله ﷺ ثم يطوف على نسائه ثم يصبح محرما ينضح طيبا وبه رد على ابن عمر رضي الله عنهما قوله لان أصبح مطليا بقطران أحب إلي من أن أصبح محرما أنضح طيبا ويؤيد ما قاله ابن عمر رضي الله عنهما ما تقدم في الحديبية من أمره ﷺ من تطيب قبل احرامه بغسل الطيب وتقدم ما فيه أي وصلى كما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما ركعتين أي قبل أن يحرم وبه يرد قول ابن القيم رحمه الله تعالى لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه صلى للاحرام ركعتين غير فرض الظهر () وأهل حيث انبعثت به راحلته أي وهي القصواء () أي وهو يرد ما روى عن ابن سعد رحمه الله تعالى حج النبي ﷺ وأصحابه مشاة من المدينة إلى مكة قد ربطوا أوساطهم ومن ثم قال ابن كثير رحمه الله تعالى انه حديث منكر ضعيف الاسناد وانما كان صلى الله عليه وسلم راكبا وبعض أصحابه مشاة * ولم يعتمر ﷺ في عمره ماشيا وأحواله صلى الله عليه وسلم أشهر من أن تخفى على الناس بل هذا الحديث منكر شاذ لا يثبت مثله وكان على راحلته ﷺ رحل رث يساوي أربعة دراهم وفي رواية حج صلى الله عليه وسلم على رحل وقطيفة تساوي أولا تساوي أربعة دراهم وقال اللهم اجعله حجا مبرورا لارياء فيه ولا سمعة وذلك عند مسجد ذي الحليفة وأحرم بالحج والعمره معا فكان قارنا * قال وقيل أحرم بالحج فقط فكان مفردا وقيل بالعمره فقط أي ثم أحرم بالحج بعد فراغه من أعمال العمره فكان متمتعا أخذا من قول بعض الصحابة انه ﷺ أحرم متمتعا وقيل أطلق احرامه وفي كلام السهيلي رحمه الله واختلفت الروايات في احرامه ﷺ هل كان مفردا أو قارنا أو متمتعا وكلها صحاح الا من قال كان متمتعا وأراد انه أهل بعمره * قال الامام النووي وطريق الجمع أي بين من يقول انه أحرم قارنا ومن يقول انه أحرم مفردا ومن يقول انه أحرم متمتعا انه أحرم أولا مفردا أي بالحج ثم أدخل العمره أي وذلك أي دخول الاضعف وهي العمرة على الاقوى الذي هو الحج من خصائصه ﷺ فصار قارنا * ويدل لذلك حديث البخاري انه ﷺ أهل بالحج فلما كان بالعقيق أتاه آت من ربه فقال له صل بهذا الوادي المبارك وقل لبيك بحجة وعمرة معا فصار قارنا بعد أن كان مفردا * فمن روى القران اعتمد آخر الأمر أي ومنه قول سيدنا أنس رضي الله عنه

الآخرة حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه ما كنت أظن أحدا من الصحابة يريد الدنيا حتى نزل منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ومن تواضعه ﷺ أنه ما عاب ذواقا قط ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه واعتذر كاعتذاره لما رفع يده عن الضب بأنه لم يكن بأرض قومه وهذا من حسن الأدب لان المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهيه غيره وكل مأذون من جهة الشرع لا عيب فيه أما إذا كان حراما فانه يعيبه ويذمه وينهى عنه للمنع منه شرعا لا من حيث ذاته وقد يكون حسن المذاق والصنعة فالعيب ان كان من جهة صنعة الآدميين فقد يجوز وأما من حيث صنعة الله فالعيب لا يجوز قال النووي ومن آداب الطعام المتأكدة أن لا يعاب كقوله مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق غير ناضج ونحو ذلك ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ان هذه الدنيا شاع سبها في العالمين قديما وحديثا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا نعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر وكان الذين يسبونها يظهرون الاستغناء عنها وعدم الاعتبار بها مع أنه خلاف الواقع لان الله جعلها وسيلة لتحصيل الخير فمدحه صلى الله عليه وسلم لها ونهيه عن سبها فيه اظهار للحقق من احتياج من فيها اليها وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر وفي رواية لا تقولوا خيبة الدهر فان الله هو الدهر أي هو الفاعل لما يحدث فيه والمعنى انكم إذا سببتم الدهر وقع السب على الله لانه الفعال لما يريد لا الدهر جالب الحوادث ومتوليها هو الله لا غيره وجاء في رواية أنا الدهر بيدي الليل والنهار أي أقلبهما كيف شئت وأدبر فيهما كيف أريد فهو كالتفسير لقوله أنا الدهر ومن تواضعه وحسن خلقه ﷺ أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه ومن تواضعه ﷺ أنه لم يكن له بواب راتب روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة وهي تبكي

عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول لبيك عمرة وحجا * ومن روى التمتع أراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق بالقران انتهى أي بالقران المذكور الذي هو ادخال العمرة على الحج لانه يكتفي فيه بالاقتصار على عمل واحد في النسكين أي فلا يأتي بطوافين ولا سعيين أي وليس مراده التمتع الحقيقي بأن أحرم بعمرة فقط ثم بعد فراغه من أعمالها أحرم بالحج كما هو حقيقة التمتع ومن ثم قال بعضهم أكثر السلف يطلقون المتعة على القران * ومن روى الافراد اعتمد أول الأمر ومنه قول ابن عمر رضي الله عنهما وقد سئل عن ذلك لبى بالحج وحده وأن ابن عمر سمعه يقول لبيك بحج ولم يسمع قوله وعمرة فلم يحك إلا ما سمع وأنس رضي الله عنه سمع ذلك أي سمع الحج والعمرة أي فان ابن عمر رضي الله عنه قيل له عن أنس بن مالك انه سمع النبي ﷺ يلبي بالحج والعمرة فقال ابن عمر لبى بالحج وحده وقيل لانس عن ابن عمر ذلك فقال أنس رضي الله عنه ما يعدونا إلا صبيانا سمعت رسول الله ﷺ يقول لبيك لبيك عمرة وحجا أي يصرح بهما جميعا وقال إني لرديف لابي طلحة وان ركبتي لتمس ركبة رسول الله ﷺ وهو يلبي بالحج والعمرة وذلك مثبت لما قاله ابن عمر وزائد عليه فليس مناقضا له أي ودليل من قال انه أحرم مطلقا ما رواه امامنا الشافعي رضي الله عنه أنه ﷺ خرج هو وأصحابه رضي الله عنهم مهلين أي محرمين احراما مطلقا ينتظرون القضاء أي نزول الوحي لتعيين ما يصرفون احرامهم المطلق اليه أي بافراد أو تمتع أو قران أي فجاءه ﷺ الوحي أن يأمر من لا هدي معه أن يجعل احرامه عمرة فيكون متمتعا ومن معه هدي أن يجعله حجا فيكون مفردا لان من معه هدي أفضل ممن لا هدي معه والحج أفضل من العمرة * ويدل لكون الصحابة أطلقوا احرامهم ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها خرجنا لا نرى إلا الحج ولا نذكر حجا ولا عمرة لكن أجيب عن ذلك بانهم لا يذكرون ذلك مع التلبية وان كانوا سموه حال الاحرام * هذا وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع رسول الله ﷺ فقال من أراد منكم أن يهل بحج وعمرة فليفعل ومن أراد أن يهل بعمرة فليفعل ولينظر الجمع بين هذا وما قبله * وجاء انه ﷺ قال لهم من لم يكن معه هدي وأحب أن يجعلها عمرة فليفعل ومن كان معه هدي فلا أي فلا يجعلها عمرة بل يجعل احرامه حجا ولم يذكر القران * وجاء في بعض الطرق انه أمر من كان معه هدي أن يحرم بالحج والعمرة معا * وفي بعض الروايات خرج ﷺ من المدينة لا يسمي حجا ولا عمرة ينتظر القضاء فنزل عليه القضاء وهو بين الصفا والمروة فأمر أصحابه من كان منهم أهل بالحج ولم يكن معه هدي أي يجعله عمرة * وفي الهدى الصواب أنه ﷺ أحرم بالحج والعمرة معا من حين أنشأ الاحرام فهو قارن ولم يحل حتى حل منهما جميعا وطاف لهما طوافا واحدا وسعيا واحدا كما دلت عليه النصوص المستفيضة التي تواترت تواترا يعلمه أهل الحديث * وما ورد أنه ﷺ طاف طوافين وسعى سعيين لم يصح * قال وغلط من قال لبى بالحج وحده ثم أدخل عليه العمرة أي الذي تقدم في الجمع بين الروايات عن النووي رحمه

عند قبر فقال لها اتقي الله واصبري فقالت إليك عني فإنك خلو من مصيبتي وفي رواية فإنك لم تصب بمصيبتي وخاطبته بذلك ولم تعرفه صلى الله عليه وسلم فجاوزها ومضى فمر بها رجل وهو الفضل بن العباس رضي الله عنهما فقال لها ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما عرفته أي لأنه صلى الله عليه وسلم من تواضعه لم يكن يستتبع الناس وراءه إذا مشى كعادة الملوك والكبراء وأيضا فقد كانت هي في غاية من الوجد والبكاء وقال الفضل للمرأة إنه لرسول الله ﷺ زاد مسلم في رواية فأخذها مثل الموت من شدة الكرب الذي أصابها لما عرفت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت إلى بابه فلم تجد عليه بوابا أي فكأنها تعجبت لأنها لما قيل لها إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم استشعرت خوفا وهيبة في نفسها فتصورت أنه كالملوك له حاجب وبواب يمنع الناس من الوصول إليه فوجدت الأمر بخلاف ما تصورته فقالت له صلى الله عليه وسلم معتذرة لم أعرفك فقال إنما الصبر عند الصدمة الأولى وكونه صلى الله عليه وسلم ليس له بواب إنما هو باعتبار أغلب الأحوال فلا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم لما جلس على بئر أريس كان أبو موسى الأشعري رضي الله عنه جالسا على باب الحائط كالبواب لا يدخل أحد عليه صلى الله عليه وسلم حتى يستأذن له وجمع بعضهم بينهما بأنه كان عليه الصلاة والسلام إذا لم يكن في شغل من أهله ولا انفراد من أمره يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة إليه وإذا اشتغل بأمر نفسه اتخذ بوابا (وأما حياؤه) ﷺ فحسبك ما في البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها وإذا كره شيئا عرف في وجهه وهو إشارة إلى أنه لم يكن يواجه أحدا بما يكرهه بل يتغير وجهه فيفهم أصحابه كراهته لذلك وأخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال

الله * ومن قال لبى بالعمرة ثم أدخل عليها الحج أي وهذا لم يتقدم * ومن قال أحرم إحراما مطلقا لم يعين فيه نسكا ثم عينه بعد إحرامه أي وهو ما تقدم عن إمامنا الشافعي رضي الله عنه * ومن قال أفرد الحج أراد به أنه أتى بأعمال الحج ولم يفرد للعمرة أعمالا وهذا محمل ما في بعض الروايات وأفرد رسول الله ﷺ الحج ولم يعتمر على أن بعض الحفاظ قال إنه حديث غريب جدا وفيه نكارة شديدة * ثم لبى صلى الله عليه وسلم أي بعد أن استقبل القبلة () فقال لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك * وروي أنه زاد على ذلك لبيك إله الحق لبيك * أي وروي أنه زاد لبيك حقا تعبدا ورقا على تلبيته المذكورة والناس معه يزيدون فيها وينقصون لم ينكر عليهم وبه استدل أئمتنا على عدم كراهة الزيادة على تلبيته المشهورة المتقدمة () وكان ابن عمر رضي الله عنهما يزيد فيها لبيك لبيك وسعديك والخير في يديك لبيك والرغباء إليك والعمل * وأتاه ﷺ جبريل عليه السلام وأمره أن يأمر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية من شعائر الحج فعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه السلام فقال مر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية فإنها من شعائر الحج * واستعمل ﷺ على المدينة أبا دجانة رضي الله عنه وقيل سباع بن عرفطة رضي الله عنه () وولدت أسماء بنت عميس زوج أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ولدها محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم في ذي الحليفة وأرسلت إليه صلى الله عليه وسلم فأمرها أن تغتسل وتستثفر أي بخرقة عريضة بعد أن تحشو بنحو قطن وتربط طرفي تلك الخرقة في شيء تشده في وسطها لتمنع بذلك سيلان الدم كما تفعل الحائض وتحرم * ثم حاضت سيدتنا عائشة رضي الله عنها في أثناء الطريق بمحل يقال له سرف بكسر الراء وكانت قد أحرمت بعمرة وفي البخاري أنها قالت وكنت فيمن أهل بعمرة فأمرها رسول الله ﷺ أن تغتسل وتدخل الحج على العمرة * أقول وقد جاء أنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال ما يبكيك يا عائشة وفي لفظ ما يبكيك يا هنتاه لعلك نفست أي حضت قلت نعم والله لوددت أني لم أخرج معكم عامي هذا في هذا السفر قال لا تقولين ذلك فهذا شيء كتبه الله على بنات آدم * أي واستدل البخاري رحمه الله بهذا على أن الحيض كان في جميع بنات آدم وأنكر به على من قال إن الحيض أول ما وقع في بني إسرائيل وفي لفظ قال ما شأنك قلت لا أصلي قال لا يضير عليك إنما أنت امرأة من بنات آدم كتب الله عليك ما كتب عليهن أهلي بالحج وفي رواية ارفضي عمرتك أي لا تشرعي في شيء من أعمالها وأحرمي بالحج فإنك تقضين كل ما يقضي الحاج أي تفعلين كل ما يفعل الحاج وأنت حائض إلا أنك لا تطوفين بالبيت ففعلت ذلك أي أدخلت الحج على العمرة ووقفت المواقف فوقفت بعرفة وهي حائض حتى إذا طهرت أي وذلك يوم النحر وقيل عشية عرفة طافت بالبيت وبالصفا والمروة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حللت من حجك وعمرتك جميعا * وذكر بعضهم أن في هذه الحجة كان جمل عائشة رضي الله عنها سريع المشي مع خفة حمل عائشة وكان جمل صفية بطيء المشي مع ثقل حملها فصار يتأخر الركب

كان صلى الله عليه وسلم يغتسل من وراء الحجرات وما رأى أحد عورته قط أى وهذا من شدة حيائه صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يواجه أحدا في وجهه بشيء يكرهه فدخل عليه يوما رجل وعليه أثر صفرة فلما قام قال لأصحابه لو غير أو نزع هذه الصفرة وفي رواية لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة وعلى حسب حياة القلب ويقظته ومعرفته لما يضره وينفعه في الدارين تكون فيه قوة خلق الحياء وقلة الحياء من موت القلب أى من فقد صفاته المقتضية للكمال وكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم ولذا كان تمام الحياء في النبي صلى الله عليه وسلم إذ لا قلب أحيى من قلبه وفي الشرع الحياء خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ولذا جاء في الحديث الحياء من الإيمان والحياء خير كله وإذا لم تستح فاصنع ما شئت والحياء أقسام كثيرة منها حياء الكرم كحيائه صلى الله عليه وسلم من القوم الذين دعاهم إلى وليمة زينب بنت جحش رضي الله عنها لما تزوجها وطولوا المقام بعد الأكل فاستحيا أن يقول لهم انصرفوا فقام فقاموا إلا ثلاثة أو اثنين فمكثوا حتى انطلق صلى الله عليه وسلم إلى أزواجه فسلم عليهن ثم قاموا فأخبره أنس رضي الله عنه بقيامهم فجاء ودخل على زينب رضي الله عنها وأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ومنها حياء العبودية وهو حياء يمتزج بمحبة وخوف ومشاهدة عدم صلاحية عبوديته لمعبوده وإن قدر المعبود أعلى وأجل فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة ومنها حياء المرء من نفسه وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقناعتها بالدون فيجد نفسه مستحييا من نفسه حتى

بسبب ذلك فأمر صلى الله عليه وسلم أن يجعل حمل صفية على جمل عائشة وأن يجعل حمل عائشة على جمل صفية فجاء صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها يستعطف خاطرها فقال لها يا أم عبد الله جملك خفيف وجملك سريع المشي وجمل صفية ثقيل وجملها بطيء فأبطأ ذلك الركب فنقلنا حملك على جملها وحملها على جملك ليسير الركب فقالت له إنك تزعم أنك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أفي شك أنى رسول الله أنت يا أم عبد الله قالت فمالك لا تعدل قالت وكان أبو بكر رضي الله عنه فيه حدة فلطمني على وجهي فلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما سمعت ما قالت فقال دعها فإن المرأة الغيراء لا تعرف أعلى الوادي من أسفله ❊ قال ولما نزلوا بمحل يقال له العرج فقد البعير الذي عليه زاملته صلى الله عليه وسلم وزاملة أبي بكر أى زادهما وكان ذلك البعير مع غلام لأبي بكر فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه للغلام أين بعيرك قال ضللته البارحة فقال أبو بكر وقد اعترته حدة بعير واحد تضله وأخذ يضربه بالسوط ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انظروا إلى هذا المحرم ما يصنع ويتبسم لا يزيد على ذلك فلما بلغ بعض الصحابة أن زاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضلت جاء بحيس فوضعه بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله تعالى عنه وهو يغتاظ على الغلام هون عليك يا أبا بكر فإن الأمر ليس لك ولا إلينا وقد كان الغلام حريصا على أن لا يضل بعيره وهذا عداء طيب قد جاء الله به وهو خلف عما كان معه فأكل صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ومن كان يأكل معهما حتى شبعوا فأقبل صفوان بن المعطل رضي الله تعالى عنه وكان على ساقة القوم أى لأن هذا كان شأنه كما تقدم في قصة الإفك والبعير معه وعليه الزاملة حتى أناخه على باب منزله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر انظر هل تفقد شيئا من متاعك فقال ما فقدت شيئا إلا قعبا كنا نشرب فيه فقال الغلام هذا القعب معي ولما بلغ سعد بن عبادة وابنه قيس رضي الله تعالى عنهما أن زاملته صلى الله عليه وسلم قد ضلت جاءا بزاملة وقالا أى كل واحد منهما يا رسول الله بلغنا أن زاملتك ضلت الغداة وهذه زاملة مكانها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاء الله بزاملتنا فارجعا بزاملتكما بارك الله لكما اه ثم نزل صلى الله عليه وسلم بذي طوى فبات بها تلك الليلة وصلى بها الصبح أى بعد أن اغتسل بها أى ثم سار صلى الله عليه وسلم ونزل بالمسلمين ظاهر مكة ودخل مكة نهارا أى وقت الضحى من الثنية العليا التي هي ثنية كداء بفتح الكاف والمد قال أبو عبيدة لا ينصرف وهي التي ينزل منها إلى المعلاة مقبرة مكة وهي التي يقال لها الآن الحجون التي دخل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة كما تقدم ودخل المسجد الحرام ضحى من باب عبد مناف وهو باب بني شيبة المعروف الآن باب السلام وكان صلى الله عليه وسلم إذا أبصر البيت قال اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبرا وفي مسند إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه أخبرنا سعيد بن سالم عن جريج أن النبي ﷺ كان إذا رأى

كأن له نفسين يستحيي بإحداهما من الأخرى وهذا من أكمل ما يكون من الحياء فإن العبد إذا استحيا من نفسه فهو بأن يستحيي من غيره أجدر وأحق والحياء لا يأتي إلا بخير لأن من استحيا أن يراه الناس يأتي بقبيح دعاه ذلك إلى أن يكون حياؤه من ربه أشد فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة وهو من الإيمان لأنه يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي وأكمل الحياء وأولاه الحياء من الله وهو أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وكماله إنما ينشأ عن المعرفة ودوام المراقبة والحياء غريزي ومكتسب فالمكتسب هو الذي جعله الشارع من الإيمان وهو المكلف به غير أن من كان فيه غريزة منه فإنها تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون المكتسب غريزة وكان صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان فكان في الغريزي أشد حياء من العذراء في خدرها حتى روي أنه صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد أي لا يديم نظره فيه ولا يتأمله (وأما خوفه) صلى الله عليه وسلم من ربه جل وعلا فكان على غاية لا يساويه أحد فيها وكان أتقى الناس وأشدهم خشية وكان صلى الله عليه وسلم يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل لغلبة الخشية وكان يصلي ويبكي وتسيل دموعه من غير صوت ويسمع لجوفه صوت خفي والمرجل القدر من النحاس وفي رواية أنين كأنين الجا وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وخوفه صلى الله قل عليه وسلم كان خوف هيبة وتعظيم وإجلال وهذا لا يكون إلا مع كمال المعرفة والمحبة فهو تعظيم مقرون بالحب قال بعضهم الخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العاملين والهيبة للمحبين والإجلال للمقربين فهو صلى الله عليه وسلم أكمل المحبين المقربين فكان خوفه خوف هيبة وإجلال وقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فكان يشهد الأشياء عيانا مع الخشية

البيت رفع يديه وقال اللهم زد هذا البيت الخ وفي رواية كان صلى الله عليه وسلم إذا دخل مكة فرأى البيت رفع يديه وكبر وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت الخ وعند دخوله صلى الله عليه وسلم المسجد طاف بالبيت أي سبعا ماشيا فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال دخلنا مكة عند ارتفاع الشمس فأتى النبي صلى الله عليه وسلم باب المسجد فأناخ راحلته ثم دخل المسجد فبدأ بالحجر الأسود فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء ثم رمل ثلاثا ومشى أربعا فلما فرغ صلى الله عليه وسلم قبل الحجر ووضع يديه عليه ومسح بهما وجهه رواه البيهقي في السنن الكبرى بإسناد جيد وقيل طاف صلى الله عليه وسلم على راحلته الجدعاء أي لأنه صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكي فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم مكة وهو يشتكي فطاف على راحلته فلما أتى الركن استلمه بمحجن فلما فرغ من طوافه أناخ فصلى ركعتين رواه أبو داود ورد بأن هذا الحديث تفرد به يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف على أن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يذكر أن ذلك كان في حجة الوداع ولا في الطواف الأول من طوافاتها الثلاثة التي هي طواف القدوم وطواف الإفاضة وطواف الوداع فيدعى أن يكون ذلك في غير الطواف الأول بأن يكون في طواف الإفاضة أو طواف الوداع فلا ينافي ما تقدم عن جابر ولا ما في مسلم عنه أنه قال طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على راحلته بالبيت ليراه الناس فيسألوه وقوله ورمل في ثلاث منها أي يسرع المشي مع تقارب الخطا ومشى أي على هيئته في أربع يستلم الركن اليماني والحجر الأسود في كل طوفة وابتداء الرمل كان في عمرة القضاء لما قال المشركون غدا يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ليرى المشركون جلدهم ومن ثم قال بعضهم لبعض هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا كما تقدم ولما كانت هذه الحجة فعلوا كذلك فصارت سنة قال وثبت أنه صلى الله عليه وسلم قبل الحجر الأسود وثبت أنه استلمه بيده ثم قبلها وثبت أنه استلمه بمحجنه فقبل المحجن ولم يثبت أنه صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليماني ولا قبل يده حين استلمه اهـ وعند إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه يستحب أن يقبل ما استلمه به وروى إمامنا الشافعي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحجر فاستلمه ثم وضع شفتيه عليه طويلا وكان صلى الله عليه وسلم إذا استلم الحجر قال بسم الله والله أكبر وقال بينهما أي بين الركن اليماني والحجر ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم شيء من الأذكار في غير هذا المحل حول الكعبة ولم يستلم الركنين المقابلين للحجر أي لأنهما ليسا على قواعد سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله تعالى عنه إنك رجل قوي لا تزاحم على الحجر أي الأسود تؤذي الضعيف إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله وهلل وكبر () وأخذ منه بعض فقهائنا أن من شق عليه استلام الحجر الأسود يسن له أن يهلل ويكبر ثم بعد الطواف صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين عند مقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام جعل المقام بينه وبين الكعبة أي استقبل جهة باب المحل الذي به المقام الآن وهو المراد بخلف المقام قرأ فيهما مع أم القرآن

القلبية واستحضار العظمة الالهية على وجه لم يجتمع لغيره صلى الله عليه وسلم ولذا قال ان أتقاكم وأعلمكم بالله أنا (وأما شجاعته) ﷺ فانه قد كان أشجع خلق الله وقد تواترت بذلك الأحاديث والأخبار فمن ذلك مارواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت على فرس عرى لأبي طلحة والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وفي رواية كان فزع من عدو بالمدينة فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من أبي طلحة يقال له المندوب فركبه عليه الصلاة والسلام فلما رجع قال ما رأينا من شيء أي يوجب الفزع وان وجدناه أي الفرس لبحراً أي واسع الجري قال الراوي وكان فرسا يبطىء أي لا يسرع في مشيه وفي رواية إن أهل المدينة فزعوا مرة أي ليلا فركب صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف أو فيه قطاف أي بطء فلما رجع قال وجدنا فرسكم هذا بحرا فكان بعد لا يجارى وفي رواية فما سبق بعد ذلك وفي هذا الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم وذلك مأخوذ من شدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعا بعد أن كان بطيئا قال القاضي عياض وقد كان في أفراسه ﷺ فرس اسمه مندوب فلعله صار اليه بعد وقال النووي يحتمل انهما فرسان اتفقا في الاسم قال الزرقاني وهذا أولى وروى الامام أحمد والنسائي وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ما رأيت أشجع ولا أنجد من رسول الله ﷺ والنجدة الشجاعة والشدة وفي رواية ولا أجود ولا أرضى من رسول الله ﷺ وعطف أجود على أنجد للمناسبة بينهما

قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ودخل صلى الله عليه وسلم زمزم فنزع له دلو فشرب منه ثم مج فيه ثم أفرغها في زمزم ثم قال لولا ان الناس يتخذونه نسكا لنزعت أي وتقدم في فتح مكة انه صلى الله عليه وسلم قال لولا أن تغلب بنو عبد المطلب لانتزعت منها دلوا فنزع له العباس ثم رجع صلى الله عليه وسلم إلى الحجر الأسود فاستلمه ثم خرج إلى الصفا وقرأ ان الصفا والمروة من شعائر الله ابدؤا بما بدأ الله به فسعى بين الصفا والمروة سبعا راكبا على بعيره وعن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه ان سعيه الذي طاف لقدومه كان على قدميه لا على بعير أي وذكر البعير في هذا السعي غلط من بعض الرواة ثم رأيت بعضهم قال بعض الروايات عن جابر وغيره يدل على انه ﷺ كان ماشيا بين الصفا والمروة ولعل بين الصفا والمروة مدرجة أو انه صلى الله عليه وسلم سعى بين الصفا والمروة بعض المرات على قدميه فلما ازدحم الناس عليه ركب في الباقي ويدل لذلك انه قيل لابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قومك يزعمون ان السعي بين الصفا والمروة راكبا سنة فقال صدقوا وكذبوا فقيل كيف صدقوا وكذبوا فقال صدقوا في ان السعي سنة وكذبوا في أن الركوب سنة فان السنة المشي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشى في السعي فلما كثر عليه الناس يقولون هذا محمد هذا محمد حتى خرج العواتق من البيوت وكان رسول الله ﷺ لا يضرب الناس بين يديه فلما كثر عليه الناس ركب وبهذا يحصل الجمع بين الأحاديث الدالة على انه ﷺ مشى بين الصفا والمروة والأحاديث الدالة على انه ﷺ ركب فيه وصار صلى الله عليه وسلم في السعي يخب ثلاثا ويمشي أربعا ويرقى الصفا ويستقبل الكعبة ويوحد الله ويكبره ويقول لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده أي من غير قتال ثم يفعل على المروة مثل ذلك واعترض بان كونه كان يخب ثلاثا ويمشي أربعا كان في الطواف بالبيت لا في السعي بين الصفا والمروة وهذا السياق يقتضي انه ﷺ سعى بعد طواف القدوم وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم حج وأول شيء بدأ به حين قدم مكة انه توضأ ثلاثا ثم طاف بالبيت ولم يذكر السعي أي وفي مسلم في سبب نزول قوله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله ان المهاجرين في الجاهلية كانوا يهلون بصنمين على شط البحر يقال لهما اساف ونائلة ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة ثم يحلقون فلما جاءهم الاسلام كرهوا أن يطوفوا بين الصفا والمروة يرون ان ذلك من أمر الجاهلية فانزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله وقيل ان سبب نزولها ان الأنصار كانوا في الجاهلية يهلون لمناة وكان من أحرم بمناة لا يطوف بين الصفا والمروة وانهم سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك حين أسلموا فأنزل الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الآية ثم أمر ﷺ من لا هدى معه بالاحلال أي وان لم يكن أحرم بالعمرة بان لم يكن سمع أمره ﷺ بان من لا هدى معه يحرم بالعمرة فاحرم بالحج قارنا أو مفردا قال السهيلي رحمه الله ولم يكن ساق الهدى معه من أصحابه رضي الله تعالى عنهم إلا طلحة بن عبد الله وكذا علي كرم الله وجهه جاء من اليمن وقد ساق الهدى معه ويأتي ما فيه أي وأمره ﷺ من ذكر بالاحلال كان بعد الحلق والتقصير لانه أتى بعمل العمرة فحل له كل ما حرم على

اذا الجواد لايخاف الفقر والشجاع لايخاف الموت ولان النجدة جود بالنفس وهو أفضى مراتب الجود وروى ابن اسحق والحاكم وغيرهما انه كان بمكة رجل يقال له ركانة وكان شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس يأتونه للمصارعة فيصرعهم فبينما هو ذات يوم فى شعب من شعاب مكة إذ لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك اليه فتؤمن بالله ورسوله فقال له ركانة يا محمد هل لك من شاهد يدل على صدقك فقال أرأيت ان صرعتك أتؤمن بالله ورسوله قال نعم يا محمد فقال له تهيأ للمصارعة فقال تهيأت فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ثم صرعه فتعجب من ذلك ركانة ثم سأله الاقالة والعودة ففعل به ذلك ثانياً وثالثاً فوقف ركانة متعجبا وقال ان شأنك لعجيب قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم ابن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبى روى البلاذرى انه قدم من سفر فأخبر خبر النبى صلى الله عليه وسلم أى دعواه النبوة وكان أشد الناس فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ان صرعتنى آمنت بك فصرعه فقال أشهد انك ساحر ثم أسلم بعد وأطعمه النبى صلى الله عليه وسلم خمسين وسقا وقيل لقيه فى بعض جبال مكة فقال يا ابن أخى بلغنى عنك شئ فان صرعتنى علمت انك صادق فصارعه فصرعه وأسلم ركانة فى فتح مكة وقيل عقب مصارعته ومات فى خلافة معاوية رضى الله عنه وقيل فى خلافة عثمان رضى الله عنه وقيل عاش إلى سنة إحدى وأربعين وجاء فى بعض روايات الذى هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم صارع يزيد بن ركانة فلعل تلك المصارعة قد تعددت فمرة مع ركانة ومرة مع ابنه يزيد ولكل منهما صحبة رضى الله عنهما وروى الخطيب البغدادى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء يزيد بن ركانة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة من الغنم فقال يا محمد هل لك أن تصارعنى قال وما تجعل لى ان صرعتك قال مائة من الغنم فصارعه فصرعه ثم قال

المحرم من وطء النساء والطيب والمخيط وأن يبقى كذلك إلى يوم التروية الذى هو اليوم الثامن من ذى الحجة فيهل أن يحرم بالحج وقيل له يوم التروية لانهم كانوا يتروون فيه الماء ويحملونه معهم فى ذهابهم من مكة إلى عرفات لعدم وجدان الماء بها فى ذلك الزمن وأمر صلى الله عليه وسلم من معه الهدى أن يبقى على احرامه أى بالحج قارنا أو مفردا حتى قال بعضهم لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ماسقت الهدى قال ويروى ان قائل ذلك هو صلى الله عليه وسلم فعن جابر عن عبد الله رضى الله تعالى عنهما انه ﷺ لما تم سعيه قال لو أنى استقبلت من امرى ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة قال ذلك جوابا لقول بلغه عن جمع من الصحابة تنطلق إلى منى وذكر أحدنا يقطر وفى لفظ وفرجه يقطر منيا أى قد جامع النساء أى وفيه انهم لا ينطلقون إلى منى الا بعد الاحرام بالحج لانهم يحرمون من مكة الا أن يقال مرادهم انا كيف نجامع النساء بعد احرامنا بالحج وكيف نجعلها عمرة بعد الاحرام بالحج كما سيأتى فى بعض الروايات وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان فقلت من أغضبك يارسول الله أدخله الله النار فقال أو ماشعرت انى أمرت الناس بأمر فاذا هم يترددون وقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت الخ تأسف على فوات أمر من أمور الدين ومصالح الشرع كذا قال الامام أحمد رضى تعالى عنه لانه يرى ان التمتع افضل ورد بأنه لم يتأسف على التمتع لكونه أفضل وانما تأسف عليه لكونه أشق على أصحابه فى بقائه محرما على احرامه وأمره لهم بالاحلال وقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح لو تفتح عمل الشيطان محمول على التأسف على فوات حظ من حظوظ الدنيا فلا تخالف ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما بلغه تلك المقالة قام خطيبا فحمد الله تعالى وقال أما بعد فتعلمون أيها الناس لأنا والله أعلمكم بالله وأتقاكم له ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت ماسقت هديا ولا حللت وفى رواية قالوا كيف نجعلها عمره وقد سمينا الحج فقال صلى الله عليه وسلم افعلوا ما أمرتكم به واجعلوا إهلالكم بالحج عمره فلولا انى سقت الهدى لفعلت مثل الذى أمرتكم به ففعلوا وأهلوا فسخ الحج إلى العمره وكان من جملة من ساق الهدى أبو بكر وعمر وطلحة والزبير وعلى رضى الله تعالى عنهم فان عليا كرم الله وجهه قدم إلى مكة من اليمن ومعه هدى وعن جابر رضى الله تعالى عنه لم يكن أحد معه هدى غير النبى صلى الله عليه وسلم وطلحة وفى روايه ان رسول الله ﷺ قال لعلى كرم الله وجهه انطلق وطف بالبيت وحل كما أحل أصحابك فقال يارسول الله أهللت كما أهللت فقال له ارجع فاحل كما أحل أصحابك قال يارسول الله انى قلت حين أحرمت اللهم انى أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد فقال هل معك من هدى قال لا فأشركه رسول الله ﷺ فى هديه وثبت على احرامه وهذا صريح فى ان احرامه صلى الله عليه وسلم كان بالحج ويمكن الجمع بين رواية ان عليا قدم من اليمن ومعه هدى وبين روايه انه لم يكن معه هدى بان الهدى تأخر مجيئه بعده لانه تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على الجيش رجلا من أصحابه ويؤيد ذلك قول بعضهم كان الهدى

الذي قدم به علي كرم الله وجهه من اليمن والذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم مائة أي وإلا فالذي أتى به النبي ﷺ ثلاثة وستين بدنه والذي قدم به من اليمن لعلي كان سبعة وثلاثين بدنة ولا يخالف ذلك اشراكه له في الهدي لأنه يجوز أن يكون ﷺ فعل ذلك لاحتمال تلف ذلك الهدي وعدم مجيئه والذي في البخاري لما قدم علي كرم الله وجهه من اليمن قال له النبي صلى الله عليه وسلم بم أهللت يا علي قال بما أهل به النبي صلى الله عليه وسلم قال فاهد وامكث حراما كما أنت أي فانه تقدم أنه ﷺ كان أرسل خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه الى اليمن لهمدان يدعوهم إلى الاسلام قال البراء رضي الله تعالى عنه فكنت ممن خرج مع خالد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم إلى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان رسول الله ﷺ بعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فأمره أن يقفل خالد بن الوليد ويكون مكانه وقال مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقفل فكنت ممن أعقب مع علي كرم الله وجهه فلما دنونا من القوم خرجوا الينا وصلى بنا علي كرم الله وجهه ثم صفنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فأسلمت همدان جميعا فكتب علي رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله ﷺ باسلامهم فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه وقال السلام على همدان السلام على همدان وكان من جملة من لم يسق الهدي أبو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه فانه لما قدم من اليمن قال له بم أهللت قال أهللت كاهلال النبي ﷺ قال له هل معك من هدي قال قلت لا فأمرني فطفت بالبيت والصفا والمروه ورواية الشيخين عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال له بم أهللت فقلت لبيك باهلال كاهلال النبي صلى الله عليه وسلم قال فقد أحسنت طف بالبيت وبالصفا والمروه وأحل أي بعد الحلق أو التقصير وفيه أنه ﷺ كان مهلا بالحج فقط أو مع العمرة إلا أن يقال جوز لأبي موسى الفسخ من الحج إلى العمرة كما فعل ذلك مع غيره من الصحابة الذين أحرموا بالحج ولا هدي معهم ومن جملة من لم يسق الهدي أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن فاحللن أي لأنهن أحرمن احراما مطلقا ثم صرفنه للعمره أو أحرمن متمتعات أي بالعمرة إلا عائشة رضي الله تعالى عنها فانها لم تحل أي لأنها أدخلت الحج على العمره كما تقدم وممن أحل سيدتنا فاطمة بنت النبي ﷺ أي لأنها لم يكن معها هدي وأسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما وشكا علي كرم الله وجهه فاطمة رضي الله تعالى عنها للنبي صلى الله عليه وسلم إذ أحلت أي فانه وجدها لبست صبيغا واكتحلت فأنكر عليها فقالت رضي الله تعالى عنها أمرني أبي بذلك وذهب إلى النبي ﷺ محرشا له عليها رضي الله تعالى عنها فصدقها عليه الصلاة والسلام في أنه أمرها بذلك أي فانه صلى الله عليه وسلم قال له صدقت صدقت صدقت أنا أمرتها بذلك يا علي وسأله سراقة بن مالك رضي الله تعالى عنه وقال يا رسول الله متعتنا هذه لعامنا هذا أم للابد فشبك ﷺ أصابعه وقال بل للابد الأبد دخلت العمرة في الحج هكذا إلى يوم القيامة أي وفي رواية فشبك بين أصابعه واحدة في أخرى وقال دخلت العمرة في الحج هكذا مرتين بل لابد الابد بالاضافة أي

هل لك في العود قال وما تجعل لي قال مائة أخرى فصارعه فصرعه وذكر الثالثة فقال يا محمد ما وضع جنبي في الأرض أحد قبلك وما كان أحد أبغض الي منك وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقام عنه ورد عليه غنمه فاتضح بهذا أنه صلى الله عليه وسلم صارع ركانة وابنه جميعا وصارع جماعة غيرهما منهم أبو الأسود الجمحي كما قاله السهيلي ورواه البيهقي وكان شديدا بلغ من شدته أنه كان يقف على جلد البقرة ويتجاذب أطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرى (٢٩٧) أي الجلد يتقطع ولم يتزحزح عنه ودعا أبو الأسود رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصارعة وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن به وقد حضر صلى الله عليه وسلم المواقف الصعبة كبدر وأحد وحنين وفر الكماة والأبطال عنه وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة إلا النبي صلى الله عليه وسلم روى البخاري عن البراء ابن عازب رضي الله عنهما وقد سأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله علية وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا وفي رواية انهزموا فأكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام وفرت الاعراب ومن تعلم من الناس ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وأن أبا سفيان بن الحرث آخذ بزمامها وهو صلى الله عليه وسلم يقول

أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة لانه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بسريعة ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب وليست من مراكب الحرب بل من مراكب الطمأنينة فركوبها دليل على النهاية في الشجاعة والثبات وأن الحرب عنده كالسلم وهو مع ذلك يركضها إلى وجوههم وينوه

باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه وكل ذلك مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو وروى مسلم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال كنا إذا احمر البأس أي اشتد اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الشجاع منا الذي يحاذيه ومعنى قوله اتقينا به جعلناه قدامنا واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه وروى الامام أحمد والنسائي عن علي رضي الله عنه كنا إذا حمي البأس وفي رواية إذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وروى أبو الشيخ في الاخلاق عن عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما قال ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب أي يقدم على ضربهم ويتوجه الى حربهم بالجملة فقد كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس كما يومىء اليه قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم مع ما ورد من اعطائه قوة أربعين رجلا وربما يقاوم بعض الرجال ألفا كبعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم أجمعين بل له من القوة الالهية ما تعجز عنها القوى البشرية والملكية (وأما كرمه) صلى الله عليه وسلم فكان لا يوارى ولا يمارى فيه وقد وصفه بذلك كل من عرفه وشاع ذلك واشتهر حتى بلغ مبلغ التواتر وقد روى البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس أي وذلك لأنه ﷺ لما كانت نفسه أشرف النفوس ومزاجه أعدل الأمزجة وشكله أملح الاشكال وخلقه أحسن الاخلاق لابد أن يكون فعله أحسن الافعال فلا شك يكون أجود الناس وأنداهم يدا وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه ما سئل رسول الله صلى

إلى آخر الدهر وهذا الجواب بقوله دخلت العمرة في الحج يدل على أن مراد السائل بالتمتع القران لا حقيقته الذي هو الاحرام بالحج بعد الفراغ من عمل العمرة لكن قول بعضهم لما كان آخر سعيه صلى الله عليه وسلم على المروة قال لو اني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي وجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة فقام سراقة فقال يارسول الله ألعامنا هذا أم للأبد الحديث يدل على أن مراده بالتمتع حقيقته لكن لا يحسن الجواب بقوله دخلت العمرة في الحج إلا أن يقال المراد حصلت العمرة مع الاحرام بالحج لقلب الاحرام بالحج إلى العمرة لأن هذا كله يدل على أنه أمر من أحرم بالحج ممن لا هدي معه أن يقلب احرامه عمرة وأجاب عنه أئمتنا بأن ذلك أي فسخ الحج إلى العمرة كان من خصائص الصحابة في تلك السنة ليخالفوا ما كان عليه الجاهلية من تحريم العمرة في أشهر الحج ويقولون إنه من أفجر الفجور وبهذا قال أبو حنيفة ومالك وامامنا الشافعي وجماهير العلماء من السلف والخلف رضي الله عنهم وفي مسلم عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه لم يكن فسخ الحج إلى العمرة الا لأصحاب محمد ﷺ وخالف الامام أحمد رضي الله عنه وطائفة من أهل الظاهر وقالوا بل ليس هذا خاصا بالصحابة في تلك السنة أي بل باق لكل أحد الى يوم القيامة فيجوز لكل من أحرم بالحج وليس معه هدي أن يقلب احرامه عمرة ويتحلل بأعمالها وبعضهم قال بأن قول سراقة رضي الله تعالى عنه معناه أن جواز العمرة في أشهر الحج خاصة بهذه السنة أو جائزة الى يوم القيامة وفيه أنه لا يحسن الجواب عنه بما تقدم من قوله دخلت العمرة في الحج ثم نهض ﷺ ونهض معه الناس يوم التروية الذي هو اليوم الثامن الى منى وأحرم بالحج كل من كان أحل فصلى رسول الله ﷺ الظهر بمنى والعصر والمغرب والعشاء وبات بها تلك الليلة أي وكانت ليلة الجمعة وصلى بها الصبح ثم نهض بعد طلوع الشمس الى عرفة وأمر ﷺ أن تضرب له قبة من شعر بنمرة فأتى عليه الصلاة والسلام عرفة نزل في تلك القبة حتى اذا زالت الشمس أمر بناقته القصواء بفتح القاف والمد وقيل بضم القاف والقصر وهو خطأ كما تقدم وفي كلام الأصل أن القصواء والعضباء والجدعاء اسم لناقة واحدة وفيه ما لا يخفى فرحلت ثم أتى بطن الوادي فخطب على راحلته خطبة ذكر فيها تحريم الدماء والأموال والاعراض ووضع ربا الجاهلية وأول ربا وضعه ربا عمه العباس رضي الله تعالى عنه ووضع الدماء في الجاهلية وأول دم وضعه دم ابن عمه ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب قتلته هذيل فقال هو أول دم أبدأ به من دماء الجاهلية موضوع فلا يطالب به في الاسلام وأوصى ﷺ بالنساء خيرا وأباح ضربهن غير المبرح ان أتين بما لا يحل وقضى لهن بالرزق والكسوة بالمعروف على أزواجهن وأمر صلى الله عليه وسلم بالاعتصام بكتاب الله عز وجل أي وسنة رسوله ﷺ وأخبر أنه لا يضل من اعتصم به واشهد الله عز وجل على الناس أنه قد بلغهم ما يلزمهم فاعترف الناس بذلك وأمر أن يبلغ ذلك الشاهد الغائب ومن ذلك قوله ﷺ إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا كل شيء من أمر الجاهلية

الله عليه وسلم شيئا إلا أعطاه فجاءه رجل فأعطاه صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فرجع إلى قومه فقال يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر أي وذلك آية لنبوته صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل الذي أعطاه الغنم بين الجبلين قيل هو صفوان ابن أمية وقيل غيره وروى مسلم والترمذي عن صفوان بن أمية الجمحي رضي الله عنه قال لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس (٢٩٩) إلي قال ابن شهاب الزهري أعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وجاء أنه طاف معه صلى الله عليه وسلم يتصفح الغنائم وكان على دين قومه إذ مر بشعب مملوء إبلا وغنما فأعجبه وجعل ينظر إليه فقال صلى الله عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب قال نعم قال هو لك بما فيه فقال صفوان أشهد أنك رسول الله ما طابت بهذا نفس أحد قط إلا نفس نبي ثم أسلم وحسن إسلامه رضي الله عنه وعاش إلى سنة اثنتين وأربعين من الهجرة وقيل توفي أيام قتل عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين والحكمة في كون إعطائه لم يكن دفعة واحدة بل تدريجا أن هذا العطاء دواء لدائه والحكيم لا يعطي الدواء دفعة واحدة بل تدريجا لأنه أقرب إلى الشفاء وقد علم صلى الله عليه وسلم أن داءه لا يزول إلا بهذا الدواء وهو الإحسان فعالجه به حتى برئ من داء الكفر وأسلم رضي الله عنه وهذا من كمال شفقته صلى الله عليه وسلم ورحمته ورأفته إذ عامله بكمال الإحسان وأنقذه من حر النيران إلى برد لطف الجنان وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه إذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأصدق الناس لهجة رواه الترمذي وروى أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم عن الأجود الله الأجود وأنا أجود ولد آدم وأجودهم من بعدي رجل تعلم علما فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل

تحت قدمي موضوع وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف وإنكم لتسألون عني فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم فاشهد ثلاث مرات وجاء أنه صلى الله عليه وسلم أمر مناديا صار ينادي بكل ما قاله من ذلك أي وهو ربيعة بن أمية بن خلف أخو صفوان بن أمية وكان صيتا وصار صلى الله عليه وسلم يقول له يا ربيعة قل يا أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا كأنه لم يسمع به وهو واقف تحت صدر ناقته ﷺ وربيعة هذا ارتد في زمن عمر رضي الله تعالى عنه فإنه شرب الخمر وهرب منه إلى الشام ثم هرب إلى قيصر فتنصر ومات عنده وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أنه طاف ليلة هو وعمر رضي الله تعالى عنهما للحرس بالمدينة فرأوا نورا في بيت فانطلقوا يؤمونه فإذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر رضي الله تعالى عنه لعبد الرحمن أتدري بيت من هذا قال لا قال هذا بيت ربيعة بن أمية وهم الآن شرب فما ترى قال أرى أنا قد أتينا ما نهى الله عنه ولا تجسسوا فانصرف عمر ثم إن عمر رضي الله تعالى عنه غرب ربيعة إلى خيبر فكان ما تقدم وقد رأى ربيعة قبل ذلك في المنام كأنه في أرض معشبة مخصبة وخرج منها إلى أرض مجدبة كالحة ورأى أبا بكر رضي الله تعالى عنه في جامعة من حديد عند سرير إلى الحشر فقص ذلك على أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال إن صدقت رؤياك تخرج من الإيمان إلى الكفر وأما أنا فإن ذلك دين جمع لي في أشد الناس إلى يوم الحشر وبعثت إليه ﷺ أم الفضل زوجة العباس أم عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم لبنا في قدح فشربه أمام الناس وعلموا أنه ﷺ لم يكن صائما ذلك اليوم الذي هو يوم التاسع أي لأنهم تماروا عندها في صيامه ﷺ ذلك اليوم الذي هو يوم عرفة وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة أي وبهذا استدل أئمتنا على أنه لا يستحب للحاج صوم يوم عرفة الذي هو التاسع من ذي الحجة ولما تم صلى الله عليه وسلم خطبته أمر بلالا فأذن ثم أقام فصلى الظهر ثم أقام فصلى العصر ولم يصل بينهما شيئا فصلاهما مجموعتين في وقت الظهر بأذان واحد وإقامتين أي لأنه ﷺ لم يقم بمكة إقامة تقطع السفر لأنه دخلها في اليوم الرابع وخرج يوم الثامن فصلى بها إحدى وعشرين صلاة من أول ظهر يوم الرابع إلى عصر الثامن يقصر تلك الصلوات فالجمع للسفر كما يقول إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه كالجمهور لا للنسك كما يقول غيرهم (أقول) وفيه أن فقهاءنا ذكروا أنه صلى الله عليه وسلم لم يصل الجمعة في حجة الوداع مع عزمه على الإقامة أياما أي تقطع السفر لعدم استيطانه ويرد بأنه من أين أنه صلى الله عليه وسلم عزم على الإقامة بمكة المدة التي تقطع السفر هذه دعوى تحتاج إلى دليل وأيضا عزمه على ذلك إنما هو بعد عوده إلى مكة بعد فراغه من الوقوف والرمي ولا ينقطع سفره إلا بوصوله إلى مكة والأولى استدلال فقهائنا على وجوب الاستيطان في إقامة الجمعة بعدم أمره صلى الله عليه وسلم لأهل مكة بإقامة

جاهد في سبيل الله حتى يقتل فهو صلى الله عليه وسلم بلا ريب أجود بني آدم على الاطلاق كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله في اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم قال في المواهب ويرحم الله ابن جابر حيث قال في وصف كرمه (٣٠٠) صلى الله عليه وسلم هذا الذي لا يتقي فقرا اذا * أعطى ولو كثر الانام وداموا

الجمعة مع انهم غير مسافرين لعدم استيطانهم للمحل فما ذهب اليه امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه من أن الجمع للسفر لا للنسك في محله وقد رأيت ان مالكا رضي الله تعالى عنه سأل أبا يوسف وقد كان حج مع هرون الرشيد وذلك بحضرة الرشيد فقال له ما تقول في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم بعرفات يوم الجمعة أصلى جمعة أم صلى ظهرا مقصورة فقال أبو يوسف صلى جمعة لأنه خطب لها قبل الصلاة فقال مالك أخطأت لأنه لو وقف يوم السبت لخطب قبل الصلاة فقال أبو يوسف فما الذي صلى فقال مالك صلى الظهر مقصورة لأنه أسر بالقراءة فصوبه هرون في احتجاجه على أبي يوسف والله أعلم ثم ركب صلى الله عليه وسلم راحلته الى أن أتى الموقف فاستقبل القبلة ولم يزل واقفا للدعاء من الزوال الى الغروب وفي الحديث أفضل الدعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي أي في يوم عرفة كما في بعض الروايات لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وجاء ان من جملة دعائه في ذلك اليوم اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر ومن وسوسة الشيطان ومن وسوسة الصدر ومن شتات الأمر ومن شر كل ذي شر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان فيما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع اللهم إنك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من أمري أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسؤلين ويا خير المعطين واستمر كذلك صلى الله عليه وسلم حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة أي وخطب صلى الله عليه وسلم على ناقته في ذلك اليوم فعن شهر بن حوشب عن عمرو بن خارجة رضي الله تعالى عنهم قال بعثني عتاب بن أسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة ورسول الله ﷺ واقف بعرفة فبلغته ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لعابها ليقع على راسي فسمعته يقول أيها الناس ان الله قد أدى الى كل ذي حق حقه وانه لا تجوز وصية لوارث والولد للفراش وللعاهر الحجر ومن ادعى الى غير أبيه أو مولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله له صرفا ولا عدلا وجاءه صلى الله عليه وسلم جماعة من نجد فسألوه كيف الحج فأمر مناديا ينادي الحج عرفة من جاء ليلة جمع أي المزدلفة قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج وجمع بفتح الجيم وسكون الميم أيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه أي وقال صلى الله عليه وسلم وقفت ههنا وعرفة كلها موقف زاد مالك في الموطأ وارفعوا عن بطن عرنة وفي كلام بعضهم نزلت اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي يوم الجمعة بعد العصر والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء وكاد عضد الناقة يندق من ثقل الوحي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اتفق في ذلك اليوم أربعة أعياد عيد للمسلمين وهو يوم الجمعة وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للمجوس ولم

وادمن الانعام أعطى آملا

فتحيرت لعطائه الأوهام

(وقال ابن جابر أيضا في وصفه صلى الله عليه وسلم)

يروى حديث الندى والبشر عن يده

ووجهه بين منهل ومنسجم

من وجه أحمد لي بدر ومن يده

بحر ومن فمه در لمنتظم

يمم نبيا تبارى الريح أنمله

والمزن من كل هامي الودق مرتكم

لو عامت الفلك فيما فاض من يده

لم تلق أعظم بحرا منه ان تعم

تحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ

به ودع كل طامي الموج ملتطم

لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت

كل الأنام وروت قلب كل ظمي

فسبحان من أطلع أنوار الجمال من أفق حبيبه

وانشأ أمطار السحائب من غمائم يمينه وروى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم حمل اليه تجتمع تسعون ألف درهم قال بعضهم هي التي جاءته من البحرين وقيل غيرها فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وروى الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يعطيه فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءني شيء قضيته فقال عمر يا رسول الله

وفي رواية فاذا جاء ناشيء قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله مالا تقدر اي ما ليس حاصلا عندك فكره النبي صلى الله عليه وسلم
قول عمر رضي الله عنه لما فيه من حرمان السائل فقال رجل من الانصار حين رأى كراهة النبي صلى الله عليه وسلم للمنع
يارسول الله أنفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا امرت وقيل ان القائل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر هو بلال رضي الله عنه ولعل القصة تعددت (٣٠١) وإنما قال عمر رضي الله عنه

تجتمع أعيادا لأهل الملل في يوم قبله ولا بعده ولما نزلت بكى عمر رضي الله تعالى عنه فقال له النبي ﷺ ما يبكيك يا عمر فقال رضي الله تعالى عنه أبكاني انا كنا في زيادة أما إذا كمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال صدقت وكانت هذه الآية نعي رسول الله ﷺ فانه لم يعش بعدها الا ثلاثة أشهر وثلاثة أيام ولم ينزل بعدها شيء من الأحكام ثم أردف رسول الله ﷺ أسامة ابن زيد رضي الله تعالى عنه خلفه ودفع إلى مزدلفة وقد ضم زمام راحلته القصواء التي خطب عليها في نمرة حتى أن رأسها ليصيب طرف رحليه بسير العنق حتى إذا وجد فسحة سار النص وهو فوق العنق وهو يأمر الناس بالسكينة في السير ولما كان في الطريق عند الشعب الايسر نزل فيه فبال وتوضأ وضوأ خفيفا ثم ركب حتى أتى المزدلفة التي هي جمع أي وتقدم ان وقوفه صلى الله عليه وسلم بعرفات وافاضته الى مزدلفة قبل ان يبعث كان مخالفا في ذلك لقومه وصلى المغرب والعشاء مجموعتين في وقت العشاء أي مقصورتين بأذان واحد واقامتين ثم اضطجع واذن للنساء والضعفة أي الصبيان أن يرموا ليلا أي ان يذهبوا من مزدلفة الى منى بعد نصف الليل بساعة ليرموا جمرة العقبة قبل الزحمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيهم ان لا يرموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس وليتأمل ذلك فعن عائشة رضي الله عنها ان سودة رضي الله عنها أفاضت في النصف الأخير من مزدلفة باذن النبي ﷺ ولم يأمرها بالدم ولا النفر الذين كانوا معها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال انا ممن قدم النبي صلى الله عليه وسلم في ضعفة أهله وروى ذلك الشيخان ولم يأذن ﷺ للرجال في ذلك لا لضعفائهم ولا لغير ضعفائهم أي فالمراد بالضعفة الصبيان كما تقدم وبهذا استدل أئمتنا على انه يستحب تقديم النساء والضعفة بعد نصف الليلة الى منى أي وان يبقى غيرهم حتى يصلوا الصبح مغلسين وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت فلأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنت سودة أحب الي من مفروح به أي لأرمي الجمرة قبل أن يأتي الناس وفي لفظ قبل حطمة الناس لأن سودة رضي الله عنها كانت امرأة ضخمة ثقيلة فاستأذنت رسول الله ﷺ ان تفيض من مزدلفة مع النساء والضعفة وفي مسلم بعث أم حبيبة من جمع بليل أي في نصف الليل وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال أرسلني ﷺ مع ضعفة أهله فصلينا الصبح بمنى ورمينا الجمرة فلما كان وقت الفجر قام صلى الله عليه وسلم وصلى بالناس أي بالمزدلفة الصبح مغلسا ثم أتى المشعر الحرام فوقف به أي وهو راكب ناقته واستقبل القبلة ودعا الله وكبر وهلل ووحد ولم يزل واقفا حتى أسفر جدا وجاء أنه صلى الله عليه وسلم دعا بالمغفرة لأمته يوم عرفة فأجيب بأنه يغفرها ما عدا المظالم ثم دعا بذلك أي بالمغفرة لأمته بمزدلفة فأجيب الى ذلك أي الى غفران المظالم فجعل إبليس لعنه الله يحثو التراب على رأسه فضحك صلى الله عليه وسلم من فعله وجاء ما بين أن المراد بالأمة من وقف بعرفة ثم انه ﷺ دفع أي من المشعر الحرام قبل ان تطلع الشمس أي قال جابر رضي الله تعالى عنه وكان المشركون لا ينفرون حتى تطلع الشمس وأردف خلفه الفضل بن العباس وجاءته امرأة تسأله فقالت له يارسول الله ان

ما كلفك الله مالا تقدر شفقة عليه صلى الله عليه وسلم لعلمه بكثرة السائلين له وتهافتهم عليه والانصاري راعى حاله صلى الله عليه وسلم فلذا سره كلامه فقوله بهذا امرت اشارة الى أنه أمر خاص به ومن يمشي على قدمه وذكر ابن فارس انه صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة يوم حنين فأنشدت شعرا تذكر فيه أيام رضاعه في هوازن فرد عليهم ما أخذه المسلمون من السبايا وكان ذلك عطاء كثيرا حتى قوم ما أعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف ألف قال ابن دحية وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله في الوجود وفي البخاري من حديث أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أتى بمال من خراج البحرين فقال انثروه يعني صبوه في المسجد وكان أكثر مال أتي به صلى الله عليه وسلم أي من الدراهم أو الخراج ولا ينافي انه غنم في حنين
ما هو أكثر منه من أموالهم وقسمه ورد عليهم سبيهم قال أنس رضي الله عنه فخرج ﷺ الى المسجد ولم يلتفت اليه فلما
قضى الصلاة جاء فجلس اليه أي عنده فما كان يرى أحدا الا أعطاه إذ جاء العباس عمه صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أعطني
فاني فاديت نفسي يوم بدر وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يارسول الله مر بعضهم يرفعه علي
فقال لا قال فارفعه أنت علي فقال لا وإنما فعل ذلك تنبيها له على الاقتصاد وترك الاستكثار من المال فنثر العباس رضي الله عنه منه

فريضة الله على عباده الحج ادركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يثبت على الراحلة فأحج عنه قال نعم فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه فجعل صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر وفي لفظ آخر فوضع صلى الله عليه وسلم يده على وجه الفضل فحول الفضل وجهه إلى الشق الآخر وفي لفظ آخر انه صلى الله عليه وسلم لوى عنق الفضل فقال له أبوه العباس رضي الله عنهما يارسول الله لويت عنق ابن عمك قال رأيت شابا وشابة فلم آمن عليهما الشيطان فلما وصل صلى الله عليه وسلم الى محسر حرك ناقته قليلا وسلك الطريق التي تسلك على جمرة العقبة ورمى بها من أسفلها سبع حصيات التقطها له عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من موقفه الذي رمى فيه مثل حصا الخذف بفتح الخاء المعجمة واسكان الدال المعجمة وهذا لا يخالف ما عليه أئمتنا من ان الأولى ان يلتقط حصى الرمي من مزدلفة ويكره أخذه من المرمى لجواز أن يكون التقط له ذلك من مزدلفة ثم سقط منه عند جمرة العقبة فأمر ابن عباس بالتقاطه لكن الذي في مسلم انه صلى الله عليه وسلم لما دخل محسرا أي الوادي المعروف وهو أول منى قال عليكم بحصى الخذف الذي يرمى به الجمرة وهو يدل على ان أخذ الحصى من ذلك أولى الا أن يقال يجوز أن يكون قال ذلك لجماعة تركوا أخذ ذلك من مزدلفة وأمر صلى الله عليه وسلم بمثلها ونهى عن أكبر منها وقطع صلى الله عليه وسلم التلبية عند الرمي وصار يكبر عند رمي كل حصاة وهو راكب ناقته (وفي رواية) على بغلة قال بعضهم وهو غريب جدا وبلال وأسامة أحدهما آخذ بخطامها والآخر يظله بثوبه لا ضرب ولا طرد ولا اليك اليك (وفي روايه) ورأيت بلالا رضي الله عنه يقود براحلته وأسامة بن زيد رضي الله عنه رافع عليه ثوبه يظله من الحر حتى رمى جمرة العقبة وخطب صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء وقيل على بعير بمنى خطبة قرر فيها تحريم الدماء والأموال والأعراض وذكر حرمة يوم النحر وحرمة مكة على جميع البلاد فقال يا أيها الناس أي يوم هذا قالوا يوم حرام قال فأي بلد هذا قالوا بلد حرام قال فأي شهر هذا قالوا شهر حرام قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا اعادها مرارا ثم رفع صلى الله عليه وسلم رأسه وقال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت فليبلغ الشاهد منكم الغائب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وأمرهم صلى الله عليه وسلم أخذ مناسكهم عنه لعله لا يحج بعد عامه ذلك وكان وقوفه صلى الله عليه وسلم بين الجمرات والناس بين قائم وقاعد وجاء انه صلى الله عليه وسلم خطب في اليوم الأول واليوم الثاني من أيام التشريق وهو أوسطها ويقال له يوم النفر الأول لجواز النفر فيه كما يقال لليوم الثالث في أيام التشريق يوم النفر الآخر ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى المنحر بمنى فنحر ثلاثة وستين بدنة أي وهي التي قدم بها من المدينة وذلك بيده الشريفة لكل سنة بدنة قال بعضهم وفي ذلك اشارة الى منتهى عمره صلى الله عليه وسلم لأن عمره صلى الله عليه وسلم كان في ذلك اليوم ثلاثا وستين سنة فنحر صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة لكل سنة بدنة وطبخ له اللحم من لحمها وأكل منه أي أخذ من كل بدنة بضعة فجعل ذلك في قدر وطبخ فأكل من ذلك اللحم وشرب

ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يارسول الله مر بعضهم يرفعه علي قال لا قال فارفعه انت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله قال ابن كثير كان العباس رضي الله عنه شديدا طويلا نبيلا فاحتمل شيئا يقارب أربعين ألفا وانطلق وهو يقول إنما أخذت ما وعد الله وقد أنجز يشير الى قوله تعالى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم قال أنس رضي الله عنه فما قام صلى الله عليه وسلم من ذلك المجلس وثم أي هناك (٣٠٢) منها درهم واشترى صلى الله عليه وسلم من جابر رضي الله عنه جملا ثم أعطاه ثمنه وزاده عليه ثم قال له اذهب بالجمل والثمن بارك الله لك فيهما وقد كان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله في ابتغاء مرضاته فتارة كان يبذل المال لفقير أو محتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتألف به على الاسلام من يقوى الاسلام باسلامهم وتارة يؤثر على نفسه واولاده فيعطي ما بيده للمحتاجين ويتحمل المشقة هو وعياله فيأتي عليه الشهر والشهران لا توقد في بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من الجوع حتى ان ابنته فاطمة رضي الله عنها جاءته تشكو ما تلقى من الرحى وخدمة البيت وكانت سمعت بسبي جاءه وطلبت منه خادما فقال لا أعطيك وادع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وأمرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد فمنع أحب أهله شفقة على الفقراء وهذه القصة رواها الامام أحمد وغيره عن علي رضي الله عنه أنه قال لفاطمة رضي الله عنها لقد سنوت حتى اشتكيت صدري من

وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه فقالت وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يداي بفتح الجيم وكسرها أي نفطت من كثرة الطحن فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما جاء بك أي بنية قالت جئت لاسلم عليك واستحييت أن تسأله ورجعت فقال ما فعلت فالت استحييت ان أسأله فأتيا جميعا النبي صلى الله عليه وسلم فقال علي يارسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقالت

فاطمة لقد طحنت حتى مجلت يداى وقد جاء الله بسبى وسعة فاخدمنا فقال والله لا أعطيكم وادع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم فرجعا فأتاهما النبى صلى الله عليه وسلم وقد دخلا فى قطيفتهما اذا غطت رؤسهما كشفت أقدامهما واذا غطت أقدامهما كشفت رؤسهما فثارا فقال مكانكما ثم قال ألا أخبركما بخير مما سألتمانى قالا بلى قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام تسبحان فى دبر كل صلاة عشرا وتحمدان عشرا وتكبران عشرا واذا أويتما الى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين والحديث فى البخارى ومسلم عن على رضى الله عنه وفى شرح الزرقانى على المواهب أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه أعياء لأن فاطمة رضى الله عنها شكت التعب من العمل فأحالها عليه وفى الصحيحين عن على رضى الله عنه أنه ما ترك هذا الذكر منذ سمعه قيل له ولا يوم صفين قال ولا يوم صفين • ومن كرمه صلى الله عليه وسلم ما رواه البخارى أن امرأة أتته صلى الله عليه وسلم ببردة فقالت يارسول الله أكسوك هذه قال نعم فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة فقال يارسول الله ما أحسن هذه البردة فاكسنيها فقال صلى الله عليه وسلم نعم فجلس ما شاء الله فى المجلس ثم رجع فطواها فأرسل بها اليه فلام الناس السائل وقالوا ما أحسنت حين رأيت النبى صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجا اليها ثم سألته اياها وقد عرفت أنه لا يسئل شيئا فيمنعه وفى رواية لا يرد سائلا فقال رجوت بركتها حين لبسها النبى صلى الله عليه وسلم لعلى أكفن فيها وفى رواية فقال الرجل والله ما سألتها إلا لتكون كفنى يوم أموت قال سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه فكانت كفنه وروى الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم أمر أن يصنع له غيرها فمات قبل أن يفرغ منها والرجل الذى سألها فكانت كفنه هو عبد الرحمن بن عوف

من مرقته ثم أمر صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فنحر ما بقى وهو تمام المائة أى ولعله الذى أتى به على كرم الله وجهه من اليمن هذا وجاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أهدى رسول الله ﷺ فى حجة الوداع مائة بدنة نحر منها ثلاثين بدنة ثم أمر صلى الله عليه وسلم عليا فنحر ما بقى منها وقال له اقسم لحومها وجلودها وجلالها بين الناس ولا تعط جزارا منها شيئا وخذ لنا من كل بعير حذية من لحم واجعلها فى قدر واحدة حتى نأكل من لحمها ونحسو من مرقها ففعل وأخبر صلى الله عليه وسلم أن منى كلها منحر وأن فجاج مكة كلها منحر ثم حلق صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف أى حلقه معمر بن عبد الله وقال له ها وأشار بيده الى الجانب الأيمن فبدأ بشقه الأيمن فحلقه ثم بشقه الأيسر وقسم شعره فأعطى نصفه لأبى طلحة الانصارى أى شعر نصف رأسه الأيسر بعد أن قال ههنا أبو طلحة وقيل أعطاه لام سليم زوج أبى طلحة رضى الله عنهما وقيل لابى كريب وأعطى من نصفه الثانى أى الذى هو الأيمن الشعرة والشعرتين للناس (وفى رواية) ناول ﷺ الحلاق شقه الايمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة الانصارى فأعطاه إياه ثم ناول الحلاق الشق الايسر فحلقه وأعطاه أبا طلحة وقال اقسمه بين الناس (قال) فى النور والحاصل أن الروايات اختلفت فى مسلم فى بعضها أنه أعطاه الايسر وفى بعضها أنه أعطاه الايمن ورجح ابن القيم أن الذى اختص به أبو طلحة هو الشق الايسر أقول الذى فى مسلم قال للحلاق ها وأشار بيده الى جانبه الايمن فقسم شعره بين من يليه وفى رواية فوزعه الشعرة والشعرتين ثم أشار الى الحلاق والى جانبه الايسر فحلقه فأعطاه لام سليم (وفى رواية) قال ههنا أبو طلحة وفى لفظ أين أبو طلحة فدفعه الى أبى طلحة (وفى رواية) ناول الحلاق شقه الايمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة فأعطاه إياه ثم ناوله الشق الايسر فحلقه فأعطاه أبا طلحة وقال اقسم بين الناس والجمع ممكن بين هذه الروايات والله أعلم وعن بعضهم قال نشقت قلنسوة خالد ابن الوليد رضى الله عنه يوم اليرموك وهو فى الحرب فسقطت فطلبها طلبا حثيثا فعوتب فى ذلك فقال ان فيها شيئا من شعر ناصية رسول الله ﷺ وأنها ما كانت معى فى موقف الا نصرت بها وعن أنس رضى الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وقد طاف به أصحابه ما يريدون أن تقع شعرة إلا فى يد رجل ثم تطيب ﷺ طيبته عائشة رضى الله عنها بطيب فيه مسك قبل أن يطوف طواف الافاضة ويقال له طواف الركن ويقال له طواف الصدر والاشهر أن طواف الصدر طواف الوداع وحلق بعض أصحابه وقصر بعض آخر وعند ذلك قال ﷺ اللهم اغفر للمحلقين قالوا والمقصرين فأعاد صلى الله عليه وسلم وأعادوا ثلاثا وقال فى الرابعة والمقصرين والصحيح المشهور أنه قال ذلك فى هذه الحجة التى هى حجة الوداع كما قال ذلك فى الحديبية كما تقدم وقيل لم يقله الا فى الحديبية وبه جزم امام الحرمين فى النهاية وقال النووى ولا يبعد أن يكون وقع ذلك منه ﷺ فى الموضعين قال فى فتح البارى بل هو المتعين(١) لتظافر الروايات بذلك فى الموضعين أى فان فى مسلم فى حجة الوداع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال

(١) قوله لتظافر كذا فى النسخ بظاء مشالة وهو وان اشتهر خطأ والصواب كما فى القاموس وكتاب لبعض المحققين تضافر بضاد معجمة اه

أو سعد بن أبي وقاص كما قيل بكل ويحتمل تعدد القصة لكي استعده بعضهم واستنبط السادة الصوفية من هذه القصة جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركا بهم وبلباسهم كما استدلوا الالباس الشيخ للمريد بحديث أنه صلى الله عليه وسلم ألبس أم خالد بنت سعيد بن العاص رضي الله عنهما خميصة سوداء ذات علم رواه البخاري قال في الشفاء وهذه الخصال الممدوحة كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث أي لأن هذه الخصائل والشمائل طبعت في أصل فطرته ومادة خلقته قبل بعثته بل

قبل حصول ولادته كما ورد كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقد قالت له خديجة رضي الله عنها وكذا ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة رضي الله عنها انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وروى الترمذي عن معوذ بن عفراء قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يعني بقوله قناع طبقا وأجر زغب أي قثاء صغار فأعطاني ملء كفه حليا وذهبا وفي مسند الامام أحمد عن ابنة الربيع بالتصغير قالت بعثني معوذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه أجر زغب من قثاء وكان صلى الله عليه وسلم يحب القثاء فأعطاني ملء كفيه حليا أو ذهبا وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد أي لسماحة نفسه وسخاوة كفه وثقته بربه وهذا بالنسبة لخاصة نفسه لقوه قبل حاله ولا ينافيه أنه كان يدخر قوت سنة لعياله أي تسكينا لقلوبهم وهذا وقع في بعض السنين دون بعض وفي الشفاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله أي شيئا من العطاء فاستلف له نصف وسق فلما جاء الرجل أي رب الدين يتقاضاه أي يطالب النبي ﷺ بوفاء الثمن أعطاه وسقا بكماله وقال نصفه قضاء ونصفه نائل أي عطاء قال الشيخ أبو علي الدقاق الفتوة غاية الكرم والايثار وهذا الخلق لا يكون الا لنبي صلى الله عليه وسلم فان كل واحد في القيامة

رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر للمحلقين قالوا يارسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يارسول الله وللمقصرين قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا يارسول الله وللمقصرين قال وللمقصرين ثم نهض صلى الله عليه وسلم راكبا الى مكة فطاف في يومه ذلك طواف الافاضة قبل الظهر وشرب من نبيذ السقاية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه أسامة رضي الله عنه فاستسقى فأتيناه باناء من نبيذ أي من سقاية العباس رضي الله عنه فانهم كانوا يصنعون في السقاية التمر والزبيب كما تقدم فشرب صلى الله عليه وسلم وسقى فضله لأسامة رضي الله تعالى عنه وقال أحسنتم وأجملتم كذا فاصنعوا ثم شرب صلى الله عليه وسلم من ماء زمزم بالدلو قيل وهو قائم وقيل وهو على بعير والذي نزع له الدلو عمه العباس بن عبد المطلب أي وفعل ذلك عند فتح مكة أيضا كما تقدم وقيل لما شرب صلى الله عليه وسلم صب منه على رأسه الشريف وعن ابن جريج أنه صلى الله عليه وسلم نزع الدلو لنفسه وقيل ان هذا يخالف ما تقدم من قوله لولا أن الناس يتخذونه نسكا لنزعت ومن قوله يوم فتح مكة لولا أن تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى منى فصلى بها الظهر كما اتفق عليه الشيخان وقيل صلاه بمكة وبه انفرد مسلم ورجح بأمور وجمع بينهما بأنه يجوز أن يكون صلى الظهر بمكة أول الوقت ثم رجع الى منى فصلاها مرة أخرى بأصحابه أي الذين تخلفوا عنه بمنى فانه صلى الله عليه وسلم وجدهم ينتظرونه وهي له ﷺ معادة قال بعضهم وهذا مشكل على من لم يجوز الاعادة وعورض هذا بأنه صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم رمى جمرة العقبة ونحر ثلاثا وستين بدنة ونحر علي كرم الله وجهه بقية المائة وأخذ من كل بدنة بضعة ووضعت في قدر وطبخت حتى نضجت فأكل من ذلك اللحم وشرب من مرقه وحلق رأسه ولبس وتطيب وخطب فكيف يمكن أن يكون صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بمكة أول الوقت ويعود الى منى في وقت الظهر على أن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت أفاض رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخر يومه حين صلى الظهر ثم رجع الى منى رواه أبو داود وأجيب بأن النهار كان طويلا فلا يضر صدور أفعال منه ﷺ كثيرة في صدر ذلك اليوم على أن ابن كثير رحمه الله قال لست أدري أن خطبته صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم أكانت قبل ذهابه أو بعد رجوعه الى منى وأما رواية عائشة رضي الله عنها المقتضية لكونه ﷺ صلى الظهر بمنى قبل أن يذهب الى البيت فأجاب بعضهم عنها بأنها ليست بنافي ذلك بل تحتمل فليتأمل فان قيل روى البخاري وأهل السنن الأربعة أن النبي ﷺ أخر الزيارة الى الليل وفي لفظ زار ليلا قلنا المراد بالزيارة زيارة تحيته لا طواف الزيارة الذي هو طواف الافاضة فقد روى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم كان يزور البيت كل ليلة من ليالي منى وهو قول عروة بن الزبير أن رسول الله ﷺ أخر الطواف يوم النحر الى الليل فقد أخذه من قول عائشة المتقدم وقد علمت ما فيه وقد قال بعضهم الصحيح من الروايات وعليه الجمهور أنه ﷺ طاف يوم النحر بالنهار والأشبه أنه كان

يقول نفسي نفسي وهو صلى الله عليه وسلم يقول أمتي أمتي ﴿ وأما أمانته ﷺ وعدله وعفته وصدق لهجته ﴾ * وقد كان صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أمانة وأعدل الناس وأعفهم وأصدقهم لهجة ولقد اعترف له بذلك اعداؤه وكان يسمى قبل النبوة الأمين روى الامام أحمد والحاكم والطبراني انه حين اختلفت أكابر قريش عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر الاسود حكموا أن يكون الواضع أول داخل عليهم فاذا بالنبي ﷺ داخل وذلك (٣٠٥) قبل نبوته فقالوا هذا محمد الأمين قد

قبل الزوال هذا كلامه وطافت أم سلمة رضي الله عنها في ذلك اليوم على بعيرها من وراء الناس قالت وطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جانب البيت وهو يقرأ بالطور وكتاب مسطور أي وعورض ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم أرسل أم سلمة رضي الله عنها ليلة النحر فرمت جمرة العقبة قبل الفجر ثم مضت فأفاضت فكيف يلتئم هذا مع طوافه قبل الظهر لانه ﷺ لم يكن ذلك الوقت بمكة و يجاب بأنه يجوز أن تكون أم سلمة أخرت طوافها لذلك الوقت وان كانت قدمت مكة قبل الفجر وعورض بانه ﷺ لم يقرأ في ركعتي الطواف بالطور ولا جهر بالقراءة في النهار بحيث تسمعه أم سلمة من وراء الناس هذا من المحال و يجاب بأن كونه صلى الله عليه وسلم لم يقرأ في ركعتي الطواف بالطور شهادة نفي على من يثبت وأم سلمة رضي الله عنها لم تدع انها سمعت قراءته ﷺ ثم رأيت ابن كثير رحمه الله قال والظاهر انه عليه الصلاة والسلام صلى الصبح يومئذ أي عند قدومه مكة لطواف الوداع عند الكعبة وأصحابه وقرأ في صلاته والطور بكمالها قال و يؤيد ذلك ما روى عن أم سلمة قالت شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أشتكي قال طوفي من وراء الناس وأنت راكبة فمضت ورسول الله ﷺ يصلي حينئذ إلى جنب البيت وهو يقرأ والطور وكتاب مسطور أي وحينئذ يكون ما تقدم من قول الراوي وطافت أم سلمة في ذلك اليوم الذي هو يوم النحر وقوله في الرواية الأخرى أرسل أم سلمة ليلة النحر فرمت جمرة العقبة قبل الفجر ثم مضت فأفاضت أي طافت طواف الافاضة وما جاء عن أم سلمة ان رسول الله ﷺ أمرها أن توافي معه صلاة الصبح يوم النحر بمكة قال بعضهم ذكر يوم النحر غلط من الراوي أو من الناسخ وانما هو يوم النفر و يقال بمثل ذلك فيما قبله فليتأمل فانه سيأتي في بعض الروايات انه طاف طواف الوداع سحرا قبل صلاة الصبح إلا أن يقال انه صلى الله عليه وسلم مكث بعد الطواف لصلاة الصبح حتى صلاها وفيه ان بعضهم ذكر انه ﷺ طاف بالبيت أي طواف الوداع بعد صلاة الصبح والله أعلم وطافت في ذلك اليوم الذي هو يوم النحر عائشة رضي الله عنها بعد ان طهرت من حيضها وكانت حائضا يوم عرفة أي كما تقدم وطافت أيضا صفية رضي الله عنها في ذلك اليوم وسئل صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم عما تقدم بعضه على بعض من الرمي والحلق والنحر والطواف فقال لاحرج أي لا إثم وفي مسلم عن عمرو بن العاصي رضي الله عنه قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى على راحلته للناس يسألونه فجاء رجل فقال يارسول الله لم أشعر ان التحلل قبل النحر فحلقت قبل أن أنحر فقال اذبح ولا حرج ثم جاءه رجل آخر فقال يارسول الله لم أشعر أن الرمي قبل النحر فنحرت قبل أن أرمي فقال ارم ولا حرج وجاءه آخر فقال اني أفضت إلى البيت قبل أن أرمي فقال ارم ولا حرج قال فما سئل عن شيء قدم ولا أخر إلا قال افعل ولا حرج ولذلك قال ﷺ أيضا في تقديم السعي بين الصفا والمروة قبل الطواف بالبيت أي فمن شاء قدم السعي عقب طواف القدوم ومن شاء أخره عن طواف الافاضة وقد تقدم انه ﷺ أتى بالسعي عقب طواف القدوم وأقام صلى الله عليه وسلم بمنى ثلاثة أيام

رضينا به فمرش صلى الله عليه وسلم رداءه المبارك ووضع الحجر عليه وأمر كل رئيس أن يأخذ بطرف منه وهو آخذ من تحته ثم أخذه ووضعه في موضعه وكانوا قبل بعثته صلى الله عليه وسلم يتحاكمون اليه في كثير من قضاياهم وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لأمين في السماء وأمين في الأرض وروى الترمذي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه ان أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك أي لا ننسبك إلى الكذب لثبوت صدقك ولكن نكذب بما جئت به وأنزل الله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وفي رواية لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب وروى البيهقي والطبراني وغيرهما أن الاخنس بن شريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء لقي أبا جهل يوم بدر

 وقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا فيما بيننا أخبرني عن محمد صادق أم كاذب فقال أبو جهل والله ان محمداً لصادق وما كذب محمد قط زاد في رواية ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فهذا يدل على انه مامنعه عن توحيد الله إلا طلب الجاه وطلب الجاه حجاب عظيم عن الحق والاخنس ابن شريق اختلف فيه فقيل له اسلام وصحبة وقيل قتل كافرا يوم بدر وقيل الذي قتل كافرا شريق لا الاخنس وجاء ان هرقل

لما سأل أبا سفيان رضي الله عنه فقال له هل كنتم تتهمونه بالكذب قال لا وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النضر بن الحرث العبدري قال لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم أي أكثركم أفعالا مرضية وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم انه ساحر لا والله ماهو بساحر وسبب قوله ذلك أن أبا جهل أراد أن يرضخ رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وهو يصلي تحت الكعبة فتمثل له جبريل في صورة فحل فهرب هاربا ويبست يده على الحجر فلما سمع بذلك النضر بن الحرث قال يامعشر قريش والله قد نزل فيكم أمر ما أتيتم فيه بحيلة قد كان محمد إلى آخر ما تقدم زاد في رواية وقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم وقلتم انه كاهن والله ماهو بكاهن وقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقد قلتم شاعر والله ماهو بشاعر وقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون والله ماهو بمجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه ولا وسوسته فانظروا في شأنكم والله قد نزل بكم أمر عظيم وهذا غاية منه في الانصاف وكان من شياطين قريش ومن أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول في القرآن أساطير الأولين وأخذ أسيرا يوم بدر وأمر النبي صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه فقتله بالصفراء عقيب الوقعة وأما النضير بالتصغير فهو أخوه وقد أسلم عام الفتح وكان من المؤلفة وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين مائة من الابل فاحذر أن يتصحف ويلتبس عليك ومن أمانته صلى الله عليه وسلم ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت ما مست يده صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط لا يملك رقها أي لا يملكها نكاحا أو ملكا فان التزويج يسمى رقا قال صلى الله عليه وسلم لأسماء رضي الله عنها التزويج رق المرأة فلتنظر أين تضع رقها ومن عدله صلى الله عليه وسلم قوله أبلغوا عني حاجة

رمي الجمار أي ماشيا في ذهابه وإيابه وأمر صلى الله عليه وسلم شخصا أن ينادي في الناس بمنى انها أيام أكل وشرب وباءة ورمي لكل جمرة من الجمرات الثلاث بعد الزوال أي قبل الصلاة للظهر سبع حصيات يبدأ بالتي تلي مسجد منى أي الخيف ويقف عندها للدعاء ثم التي تليها وهي الوسطى ثم يقف للدعاء ثم جمرة العقبة ولم يقف عندها للدعاء أي وكان أزواجه صلى الله عليه وسلم يرمين بالليل وخطبهم أي الناس في اليوم الأول من أيام منى كما تقدم ويقال لذلك اليوم يوم القر لانهم يقرون فيه في منى وهو يوم الرؤس لأكلهم الرؤس في ذلك اليوم وفي اليوم الثاني من أيام منى وهو يوم النفر الأول أي ويقال له يوم الأكارع أي لأكلهم الأكارع في ذلك اليوم وأوصى بذوي الأرحام خيرا فقد خطب صلى الله عليه وسلم في الحج خمس خطب الأولى يوم السابع من ذي الحجة بمكة والثانية يوم عرفة والثالثة يوم النحر بمنى والرابعة يوم القر بمنى والخامس يوم النفر الأول بمنى أيضا ثم نهض صلى الله عليه وسلم من منى في اليوم الثالث الذي هو يوم النفر الآخر ونفر معه المسلمون بعد الزوال أي وبعد الرمي واستأذنه عمه العباس رضي الله عنه في عدم المبيت بمنى في الليالي الثلاث من أجل السقاية فرخص له في ذلك وضربت له صلى الله عليه وسلم قبة بالمحصب وهو الابطح أي ضربها له أبو رافع رضي الله عنه وكان على ثقله ولم يأمره صلى الله عليه وسلم بذلك فعن أبي رافع رضي الله عنه لم يأمرني رسول الله ﷺ أن أنزل بالابطح ولكني جئت فضربت قبة فجاء فنزل وكان صلى الله عليه وسلم قال لأسامة رضي الله عنه غدا ننزل بالمحصب وهو المحل الذي تحالف فيه قريش وكنانة على منابذة بني هاشم وبني المطلب حتى يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أي وكان ذلك سببا لكتابة الصحيفة وفيه أنه تقدم في فتح مكة انه صلى الله عليه وسلم نزل بالحجون عند شعب أبي طالب المكان الذي حصرت فيه بنو هاشم وبنو المطلب وانه خيف بني كنانة الذي تقاسمت قريش فيه عليهم وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال منزلنا ان شاء الله إذا فتح الله الخيف حيث تقاسموا على الكفر ولما نزل صلى الله عليه وسلم بالمحصب صلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة ثم ان عائشة رضي الله عنها قالت له يارسول الله أرجع بحجة ليس معها عمرة فدعا عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فقال اخرج باختك من الحرم ثم أفرغا من طوافكما حتى تأتياني ههنا بالمحصب قالت فقضى الله العمرة وفي لفظ فاعتمرنا من التنعيم مكان عمرتي التي فاتتني وفرغا من طوافها في جوف الليل فأتيناه صلى الله عليه وسلم بالمحصب فقال فرغتما من طوافكما قلنا نعم فأذن في الناس بالرحيل (وفي رواية) فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مصعد من مكة وأنا منهبطة اليها أو أنا مصعدة وهو منهبط منها واعترض كيف يأتي قولها عمرتي التي فاتتني مع قوله ﷺ قد حللت من حجتك وعمرتك وكيف أقرها صلى الله عليه وسلم على ذلك وأجيب بأنها لما رأت صواحبها يأتين بعمرة ثم بحج وهي لم تأت إلا بحج أحبت أن تأتي بعمرة أخرى زائدة على الحج وان كانت للعمرة مندرجة فيه وأقرها صلى الله عليه وسلم تطييبا لخاطرها لانه صلى الله عليه وسلم كان معها إذا هويت الشيء الذي لا مخالفة فيه للشرع تابعها

عليه

من لا يستطيع إبلاغي فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر وفي رواية ثبت الله قدميه على الصراط
يوم القيامة وكان صلى الله عليه وسلم لا يخير في أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وكان لا يؤاخذ
أحدا بذنب أحد ولا يصدق أحدا على أحد رواه أبو داود عن الحسن البصري مرسلا ومن عفته صلى الله عليه وسلم ما رواه
البيهقي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ماهممت شيء مما كان أهل الجاهلية

عليه وبهذا استدل أئمتنا على جواز الاحرام بالعمرة قبل طواف الوداع وأمر صلى الله عليه وسلم
الناس أن لا ينصرفوا أي الى بلادهم حتى يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت أي الذي هو طواف الوداع
ورخص ﷺ في ترك المؤمنين ذلك للحائض التي قد طافت طواف الافاضة قبل حيضها
كصفية أم المؤمنين رضي الله عنها فانها حاضت بعد طواف الافاضة ليلة النفر من منى أي وقالت
ما أراني إلا حابستكم لانتظار طهري وطواف الوداع فقال لها صلى الله عليه وسلم أو ما كنت طفت
يوم النحر أو في لفظ ما كنت طفت طواف الافاضة يوم النحر قالت بلى قال لا بأس انفري معنا
(وفي رواية) قال يكفيك ذلك أي لانه هو طواف الركن الذي لابد لكل أحد منه بخلاف طواف
الوداع لا يجب على الحائض ولا يلزمها الصبر لطهرها لتأتي به ولا دم عليها في تركه قال الامام النووي
رحمه الله وهذا مذهبنا ومذهب العلماء كافة الا ما حكي عن بعض السلف وهو شاذ مردود ثم انه
صلى الله عليه وسلم دخل مكة في تلك الليلة وطاف طواف الوداع سحرا قبل صلاة الصبح ثم خرج
من الثنية السفلى ثنية كدى بضم الكاف والقصر وهو عند باب شبيكة متوجها الى المدينة أي التي خرج
منها لما فتح مكة كما تقدم وكان خروجه ﷺ من المسجد من باب الحزورة ويقال له باب
الحناطين وجاء عن جابر رضي الله عنه أن خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة كان عند غروب
الشمس فلم يصل حتى أتى سرف قال بعضهم لعل هذا كان في غير حجة الوداع فانه ﷺ طاف
بالبيت بعد صلاة الصبح فماذا أخره الى وقت الغروب هذا غريب جدا هذا كلامه وما روى
أنه ﷺ رجع بعد طواف الوداع الى المحصب غير محفوظ (أقول) هذا جمع به الامام
النووي رحمه الله بين الروايات المتقدمة عن عائشة حيث قال ووجه الجمع أنه صلى الله عليه وسلم بعث
عائشة مع أخيها بعد نزوله المحصب وواعدها أن يلحقه بعد اعتمارها ثم خرج هو ﷺ بعد
ذهابها فقصد البيت ليطوف طواف الوداع ثم رجع بعد فراغه من طواف الوداع فلقيها وهو
صادر وهي داخلة لطواف عمرتها ثم لما فرغت لحقته وهو في المحصب قال وأما قولها فأذن في أصحابه
فخرج ومر بالبيت وطاف فمتأول بأن في الكلام تقديما وتأخيرا والا فطوافه ﷺ كان بعد
خروجها الى العمرة وقبل رجوعها وانه فرغ قبل طوافها للعمرة هذا كلامه فليتأمل فكانت
مدة دخوله ﷺ الى مكة وخروجه منها عشرة أيام وهذا السياق يدل على أنه صلى الله
عليه وسلم لم يأت بعمرة بعد حجه وهو لا يناسب القول بأنه أحرم مفردا بالحج بل يدل للقول بأنه
أحرم قارنا أو نواهما بعد اطلاق الاحرام أو أدخل الحج على العمرة وفي كلام بعضهم لم يعتمر
ﷺ تلك السنة عمرة مفردة لا قبل الحج ولا بعده ولو جعل حجه مفردا لكان خلاف الافضل
أي لانه لم يقل أحد أن الحج وحده من غير اعتمار في سنته أفضل من القران وفي كلام بعض آخر أجمعوا
على أنه لم يعتمر بعد الحج فتعين أن يكون متمتعا تمتع قران وقد يطلق الافراد على الاتيان بأعمال الحج
فقط وان كان قد أحرم بهما معا كما ان القران قد يطلق على الاتيان بطوافين وسعيين فمن روى عنه
صلى الله عليه وسلم انه افرد الحج أراد به انه أتى بأعمال الحج ولم يفرد للعمرة أعمالا ولم أقف على انه

يعملونه غير مرتين يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ماهممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان معي يرعى لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا أي لعبا بالمعازف وهي الملاهي من الدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر فضرب على أذني أي أنامني الله فنمت فما أيقظني الا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى مثل ذلك أي مثل ما هممت في المرة الاولى فعصمني الله ثم لم أهم بعد ذلك بسوء قط وكان صلى الله عليه وسلم يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان مجلسه مجلس حكم وعلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير (وأما زهده
صلى الله عليه وسلم في الدنيا) فقد تقدم من الاخبار ما يكفي وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها
فأعرض عنها ولقد توفي ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وكان يقصد بذلك التشريع لأمته كيلا يرغبوا فيها فتشغلهم عن
الله تعالى وكان يقول في دعائه اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا وفسر القوت بما يمسك رمق الانسان والمراد قدر الكفاية وروى
مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعا حتى مضى لسبيله وفي رواية ما شبع من خبز

صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فى هذه الحجة التى هى حجة الوداع ولما طاف صلى الله عليه وسلم سبعا وقف فى الملتزم بين ركن الحجر وبين باب الكعبة ودعا الله وألزق جسده أى صدره الشريف ووجهه الملتزم أى ولما وصل صلى الله عليه وسلم إلى محل بين مكة والمدينة يقال له غدير خم بقرب رابغ جمع الصحابة وخطبهم خطبة بين فيها فضل على كرم الله وجهه وبراءة عرضه مما تكلم فيه بعض من كان معه بأرض اليمن بسبب ما كان صدر منه إليهم من المعدلة التى ظنها بعضهم جورا وبخلا والصواب كان معه كرم الله وجهه فى ذلك فقال صلى الله عليه وسلم أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب أى وفى لفظ فى الطبرانى فقال يا أيها الناس انه قد نبأنى اللطيف الخبير انه لم يعمر نبى إلا نصف عمر الذى يليه من قبله وانى لأظن أن يوشك أن أدعى فأجيب وانى مسئول وانكم مسئولون فما أنتم قائلون قالوا نشهد أنك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيرا فقال صلى الله عليه وسلم أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأن جنته حق وناره حق وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور قالوا بلى نشهد بذلك قال اللهم اشهد الحديث ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته أى فقال إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى ولن تفترقا حتى تردا على الحوض وقال فى حق على كرم الله وجهه لما كرر عليهم ألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثا وهم يجيبونه صلى الله عليه وسلم بالتصديق والاعتراف ورفع صلى الله عليه وسلم يد على كرم الله وجهه وقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره وأعن من أعانه واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار وهذا أقوى ما تمسكت به الشيعة والامامية والرافضة على أن عليا كرم الله وجهه أولى بالامامة من كل أحد وقالوا هذا نص صريح على خلافته سمعه ثلاثون صحابيا وشهدوا به قالوا فلعلى عليهم من الولاء ما كان له صلى الله عليه وسلم عليهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ألست أولى بكم وهذا حديث صحيح ورد بأسانيد صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح فى صحته كأبى داود وأبى حاتم الرازى وقول بعضهم ان زيادة اللهم وال من والاه الى آخره موضوعة مردود فقد ورد ذلك من طرق صحح الذهبى كثيرا منها وقد جاء أن عليا كرم الله وجهه قام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أنشد الله من ينشد يوم غدير خم إلا قام ولا يقوم رجل يقول أنبئت أو بلغنى إلا رجل سمعت أذناه ووعى قلبه فقام سبعة عشر صحابيا وفى رواية ثلاثون صحابيا وفى المعجم الكبير ستة عشر (وفى رواية) اثنا عشر فقال هاتوا ما سمعتم فذكروا الحديث ومن جملته من كنت مولاه فعلى مولاه وفى رواية فهذا مولاه وعن زيد بن أرقم رضى الله عنه وكنت ممن كتم فذهب الله ببصرى وكان على كرم الله وجهه دعا على من كتم قال بعضهم ولما شاع قوله ﷺ من كنت مولاه فعلى مولاه فى سائر الأمصار وطار فى جميع الأقطار بلغ الحرث بن النعمان الفهرى فقدم المدينة فأناخ راحلته عند باب المسجد فدخل والنبى صلى الله عليه وسلم جالس وحوله أصحابه فجاء حتى جثا بين يديه ثم

شعير يومين متتابعين ولو شاء لأعطاه ما لم يخطر ببال وفى رواية أخرى ماشبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقى الله وروى مسلم عن عائشة أيضا رضى الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا وفى رواية للبخارى عن جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها ما ترك صلى الله عليه وسلم إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها ولقد مات (٣٠٨) وما فى بيتى شىء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير فى رف لى فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى فيا ليتنى لم أكله وقال لى ابى عرض على ان يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب أجوع يوما فأصبر وأشبع يوما فأشكر فأما اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع إليك وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك وفى حديث آخر إن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال ان الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له أى لقلة معرفته بحقيقة الدنيا من سرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها ولمنافاتها للآخرة باعتبار درجاتها فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وفى رواية للبيهقى أنه صلى الله عليه وسلم قال يوما لجبريل ما أمسى لآل محمد كفة سويق ولا سفة دقيق فأتاه اسرافيل وقال ان الله تعالى سمع ما ذكرت فبعثنى إليك بمفاتيح الأرض وأمرنى أن أعرض عليك إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت وفى رواية للامام أحمد والله لو شئت لأجرى الله معى جبال الذهب والفضة وفى رواية لابن عساكر لو شئت لسارت معى جبال الذهب وفى أخرى للطبرانى لو سألت الله أن يجعل لى تهامة كلها ذهبا لفعل وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو

إلا التمر والماء وروى الترمذي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير وروى ابن ماجه والترمذي عن عائشة وأبي أمامة وابن عباس رضي الله عنهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وروى البخاري عن أنس رضي الله عنه قال ما أكل رسول الله ﷺ على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط والخوان (٣٠٩) ما يؤكل عليه كالكرسي على عادة المترفهين لئلا يحتاجوا إلى الانحناء حال أكلهم فالصحابة إنما كانوا يأكلون على السفر المبسوطة في الارض والسكرجة فارسي معرب وهو بضم الثلاثة وشد الراء إناء صغير يؤكل فيه القليل من الادم وأكثر ما يوضع فيه وأمثاله ما يعتاده المترفهون من احضار المخللات ونحوها من المهضمات والمرغبات في أطراف المأكولات والمرقق الرغيف الأبيض اللين الواسع والسميط بمعنى المسموط المشوي بجلده بعد إخراج ما فيه من القاذورات والنجاسات فان لم تخرج كان حراما وكذا حكم الرؤس والدجاج وإنما يحسن السمط في صغار الغنم وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت إنما كان فراشه صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه أدما أي جلدا مدبوغا وروى الترمذي عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت كان فراش النبي ﷺ في بيتي مسحا من شعر أبيض وقيل أسود شديد ثنيتين فينام عليه فثنيناه له ليلة بأربع طاقات فلما أصبح قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاءته أي لينته منعتني أي كمال حضوري في طاعتي أو شغلتني عن القيام لصلاتي وقراءتي ولم يسألهم ﷺ في ابتداء ليلته لاستغراقه في شهود نوره ووجود حضوره وروى الشيخان والترمذي أنه ﷺ كان ينام أحيانا على سرير مرمول أي منسوج بشريط مفتول من سعف حتى تؤثر خشونة

قال يا محمد إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا ذلك منك وإنك أمرتنا أن نصلي في اليوم والليلة خمس صلوات ونصوم شهر رمضان ونزكي أموالنا ونحج البيت فقبلنا ذلك منك ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك وفضلته وقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء عن الله أو منك فاحمرت عينا رسول الله ﷺ وقال والله الذي لا إله إلا هو إنه من الله وليس مني قالها ثلاثا فقام الحرث وهو يقول اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك وفي رواية اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فارسل علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فوالله ما بلغ باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء فوقع على رأسه فخرج من دبره فمات وأنزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع الآية وكان ذلك اليوم الثامن عشر من ذي الحجة وقد اتخذت الروافض هذا اليوم عيدا فكانت تضرب فيه الطبول ببغداد في حدود الأربعمائة في دولة بني بويه وما جاء من صام يوم ثامن عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهرا قال بعضهم قال الحافظ الذهبي هذا حديث منكر جدا أي بل كذب (فقد ثبت في الصحيح) ما معناه أن صيام شهر رمضان بعشرة أشهر فكيف يكون صيام يوم واحد يعدل ستين شهرا هذا باطل هذا كلامه فليتأمل وقد رد عليهم في ذلك بما بسطته في كتابي المسمى بالقول المطاع في الرد على أهل الابتداع أخصت فيه الصواعق للعلامة ابن حجر الهيتمي وذكرت أن الرد عليهم في ذلك من وجوه (أحدها) أن هؤلاء الشيعة والرافضة اتفقوا على اعتبار التواتر فيما يستدلون به على الامامة من الأحاديث وهذا الحديث مع كونه آحادا طعن في صحته جماعة من أئمة الحديث كأبي داود وأبي حاتم الرازي كما تقدم فهذا منهم مناقضة (ومن ثم قال) بعض أهل السنة يا سبحان الله من أمر الشيعة والرافضة إذا استدللنا عليهم بشيء من الأحاديث الصحيحة قالوا هذا خبر واحد لا يغني وإذا أرادوا أن يستدلوا على ما زعموا أتوا بأخبار باطلة كاذبة لا تصل إلى درجة الأحاديث الضعيفة التي هي أدنى مراتب الآحاد التي منها أنه قال لعلي أخي ووصيي وخليفتي في ديني بكسر الدال وخبر أنت سيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وخبر سلموا على علي بإمرة الناس فانها أحاديث كاذبة موضوعة مفتراة عليه عليه أفضل الصلاة والسلام (ثانيها) أن اسم المولى يطلق على عشرين معنى منها أنه السيد الذي ينبغي محبته ويجتنب بغضه ويؤيد إرادة ذلك أن سبب إيراد ذلك أن عليا كرم الله وجهه تكلم فيه بعض من كان معه باليمن من الصحابة وهو بريدة قدم هو وإياه عليه صلى الله عليه وسلم في تلك الحجة التي هي حجة الوداع وجعل يشكوه له صلى الله عليه وسلم لأنه حصل له منه جفوة فجعل يتغير وجه رسول الله ﷺ وقال يا بريدة لا تقع في علي فان عليا مني وأنا منه ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال نعم يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه فقال ذلك لبريدة خاصة ثم لما وصل صلى الله عليه وسلم إلى غدير خم أحب أن يقول ذلك للصحابة عموما أي فكما عليهم أن يحبوني فكذلك ينبغي أن يحبوا عليا وعلى تسليم أن المراد أنه أولى بالامامة فالمراد في المآل لا في الحال قطعا وإلا لكان هو الامام مع وجوده صلى الله عليه وسلم والمآل لم يعين

الشر يطوى جنبه لكونه يرقد عليه من غير حائل بينه وبينه وعن عائشة رضى الله عنها قالت لم يمتلىء جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى لأحد قط أى لأحد من أصحابه وزوجاته وكانت الفاقة أحب إليه من الغنى وإن كان ليظل جائعا طول ليله فلا يمنعه أى جوعه صيام يومه وهذا كله لكمال زهده وإقبال قلبه على ربه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الأرض وثمارها ورغد عيشها قالت عائشة رضى الله عنها ولقد

كنت أبكى له رحمة مما أرى به من الجوع وأمسح بطنه وأقول نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة مالى وللدنيا إخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فأجدنى أستحى ان ترفهت فى معيشتى أن يقصر بى غدا دونهم وما من شىء هو أحب إلى من اللحوق باخوانى وأخلائى قالت رضى الله عنها فما أقام أى فى الدنيا بعد أى بعد قوله ذلك إلا شهرا حتى توفى صلى الله عليه وسلم وفى رواية لابن أبى حاتم عن عائشة رضى الله عنها قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه وقال ياعائشة ان الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد ياعائشة إن الله لم يرض من أولى العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض منى إلا أن يكلفنى ما كلفهم فقال اصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وإنى والله لأصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة إلا بالله قال العلماء من قال مالى صدقة على أعقل الناس يعطى للزهاد لأن العاقل من طلق الدنيا كما قيل طلق الدنيا ثلاثا واطلب زوجا سواها ❊ انها زوجة سوء لاتبالى من أتاها ❊ أنت تعطيها مناها وهى تعطيك قفاها ❊ فاذا نالت مناها ❊ منك ولتك وراها ❊ روى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهم قال قال صلى الله عليه وسلم أن أهل الشبع فى الدنيا

له رقت فمن أين أنه عقب وفاته صلى الله عليه وسلم وجاز أن يكون بعد أن ينعقد له البيعة ويصير خليفة ويدل لذلك أنه كرم الله وجهه لم يحتج بذلك إلا بعد أن آلت إليه الخلافة ردا على من نازعه فيها كما تقدم فسكوته كرم الله وجهه عن الاحتجاج بذلك إلى أيام خلافته قاض على كل من له أدنى عقل وصلاح فهم بأنه لا نص فى ذلك على إمامته عقب وفاته صلى الله عليه وسلم (ثالثها) أنه تواتر النقل عن على كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص عند موته على خلافة أحد لا هو ولا غيره فقد قيل له كرم الله وجهه كما بأبى حدثنا فأنت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال لا والله لئن كنت أول من صدق به لا أكون أول من كذب عليه لو كان عندى من النبى صلى الله عليه وسلم عهد فى ذلك ما تركت القتال على ذلك ولو لم أجد إلا بردتى هذه (وفى رواية) ما تركت أخا بنى تيم وعدى يعنى أبا بكر وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما يثوبان على منبره صلى الله عليه وسلم ولقاتلتهما بيدى (رابعها) أنه لو كان هذا الحديث نصا على إمامته لم يسعه الامتناع من متابعة عمه العباس رضى الله تعالى عنه لما قال له العباس اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان هذا الأمر فينا علمنا وأيضا لو كان الحديث نصا لكان لما قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير واحتج عليهم أبو بكر رضى الله تعالى عنه بأن الأئمة من قريش قالوا له قد ورد النص بخلافة على كرم الله وجهه ولم يكن بين ذكر الحديث فى غدير خم وبين ذلك إلا نحو شهرين فاحتمال النسيان على على والعباس وعلى جميع الأنصار رضى الله تعالى عنهم من أبعد البعيد على أنه ورد أنه لما قيل لعلى ان الأنصار قالوا منا أمير ومنكم أمير قال كرم الله وجهه هلا ذكرت الأنصار قول النبى صلى الله عليه وسلم يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الأمر فيهم مع الوصاية بهم ودعوى الرافضة والشيعة أن الصحابة رضوان الله عليهم علموا هذا النص ولم يعملوا به عنادا غير مسموعة إذ هى ظاهرة البطلان لأن فى ذلك تضليلا لجميع الصحابة وهم رضى الله تعالى عنهم معصومون عن أن يجتمعوا على ضلالة ومن العجب العجيب أن بعض غلاة الرافضة يقول بتكفير الصحابة بسبب ذلك وأن عليا كرم الله وجهه كفر لأنه أعان الكفار على كفرهم وأمادعواهم أن عليا إنما ترك النزاع فى أمر الخلافة تقية وامتثالا لوصيته صلى الله عليه وسلم أن لا يوقع بعده فتنة ولا يسل سيفا فكذب وافتراء إذ كيف يجعله إماما على الأمة ويمنعه أن يسل سيفا على من امتنع من قبول الحق وكيف منع سل السيف على أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله تعالى عنهم مع قلة أتباعهم وكثرة أتباعه وسله على معاوية رضى الله تعالى عنه مع وجود من معه من الألوف ولما ساغ له أن يقول كما تقدم لو كان عندى من النبى صلى الله عليه وسلم عهد فى ذلك ما تركت أخا بنى تيم وعدى يثوبان على منبره صلى الله عليه وسلم ولما بين سبب تركه لمقاتلة أبى بكر وعمر وعثمان ومقاتلته لمعاوية بأن أبا بكر اختاره صلى الله عليه وسلم لديننا فبايعناه وولاها عمر فبايعناه وأعطيت ميثاقى لعثمان فلما مضوا بايعنى أهل الحرمين وأهل المصرين البصرة والكوفة فوثب فيها من ليس مثلى ولا قرابته كقرابتى ولا علمه كعلمى ولا سابقته كسابقتى وكنت أحق بها منه يعنى معاوية رضى الله تعالى عنه كما سيأتى ومن ثم لما

هم اهل الجوع غداً في الآخرة أي لان من كثر شبعه و رغب فيه ربما حصل ما يأكله من غير وجهه فيجازى بالجوع في الآخرة اما في المواقف أو في النار ان دخلها للتطهير لا بعد دخول الجنة إذ لا عذاب فيها والجوع عذاب و روى ابن ماجه والحاكم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال ان أكثر الناس شبعا في الدنيا أطولهم جوعا في الآخرة وذلك لان شأن المؤمن الكامل أن يشتد خوفه و يكثر فكره فيشفق على نفسه من استيفاء شهوته فيقل أكله كما ورد في حديث

لابي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من كثر تفكره قل مطعمه ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه أي لان كثرة المطعم تورث قسوة القلب وقال جمع من الصحابة منهم عمرو بن العاص رضي الله عنه البطنة تذهب الفطنة ومن قل طعامه قل شربه وخف نومه ومن خف منامه ظهرت بركة عمره أي لما يباشره من الطاعات في يقظته ومن امتلأ بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه ومن كثر نومه محقت بركة عمره ولا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاما فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه وصلح حال نفسه ومن امتلأ جوفه من الطعام ساء غذاء بدنه و بطرت نفسه وقسا قلبه ولا تنجع فيه موعظة ولا تدخله حكمة روى أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لم يمتلىء جوف النبي ﷺ شبعا قط كان إذا تغدى أي أكل في غدوة النهار و بكرته لم يتعش أي لم يأكل في المساء وإذا تعشى لم يتغد وكان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان أطعموه أكل أي ان قدموه له ليأكل أكل وما أطعموه قبله منهم وما سقوه أي من الاشربة لبن أو غيره و روى مثل هذا عن عائشة رضي الله عنها ثم ان ما استفيد من كراهة الشبع محمول على الشبع الذي يثقل المعدة و يثبط عن القيام بالعبادة و يفضي الى النوم والكسل والبطر والاشر وقد تنتهي كراهة الشبع الى التحريم بحسب

قيل للحسن المثنى بن الحسن السبط ان خبر من كنت مولاه فعلي مولاه نص في امامة علي كرم الله وجهه قال أما والله لو يعني النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الامارة والسلطان لافصح لهم ولقال لهم يا أيها الناس هذا وال بعدي والقائم عليكم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا والله لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد اليه في ذلك ثم تركه كان أعظم خطيئة (وقد سئل الامام النووي رحمه الله) هل يستفاد من قول النبي ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه انه كرم الله وجهه أولى بالامامة من أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فأجاب انه لا يدل على ذلك بل معنى ذلك عند العلماء الذين هم أهل هذا الشأن وعليهم الاعتماد في تحقيق ذلك من كنت ناصره ومواليه ومحبه ومصافيه فعلي كذلك وقد قيل في سبب ذلك ان أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما قال لعلي كرم الله وجهه لست مولاي وانما مولاي رسول الله ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ولما وصل ﷺ إلى ذي الحليفة بات بها أي لانه صلى الله عليه وسلم كان كره أن يدخل المدينة ليلا (ولما رأى المدينة) كبر ثلاث مرات وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم دخل عليه الصلاة والسلام المدينة نهاراً من طريق المعرس بفتح الراء المشددة

باب ذكر عمره صلى الله عليه وسلم

قد اعتمر ﷺ أي بعد الهجرة أربع عمر فقد قال بعضهم لا خلاف ان عمره صلى الله عليه وسلم لم تزد على أربع أي كلهن في ذي القعدة مخالفا للمشركين فانهم كانوا يكرهون العمرة في أشهر الحج و يقولون هي من أفجر الفجور أي كما تقدم وأول تلك الأربعة عمرة الحديبية أي وكانت في ذي القعدة التي صده فيها المشركون عن البيت وثانيها عمرته ﷺ من العام المقبل أي وهي عمرة القضاء وكانت في ذي القعدة كما تقدم وعن قتادة رضي الله تعالى عنه كان المشركون حجروا عليه صلى الله عليه وسلم حيث ردوه في الحديبية وكان في ذي القعدة فاقتص الله منهم وأدخله مكة في ذلك الشهر الذي هو ذو القعدة وأنزل الله الشهر الحرام بالشهر الحرام وثالثها عمرته ﷺ حين قسم غنائم حنين وكانت من الجعرانة وكانت في ذي القعدة ودخل ﷺ مكة ليلا فقضى عمرته ثم خرج من ليلته وأصبح بالجعرانة كبائت بها ومن ثم خفيت على الناس كما تقدم * ورابعها عمرته صلى الله عليه وسلم مع حجة الوداع أي التي دخلت في الحج بناء على انه أحرم قارنا أو التي أدخلها على الحج بناء على انه أحرم بالحج خصوصية له أو عينهما بعد أن أحرم مطلقا على ما تقدم فانه أحرم لخمس بقين من ذي القعدة (وقد قالت عائشة) رضي الله تعالى عنها اعتمر رسول الله ﷺ ثلاثا سوى التي قرنها بحجة الوداع (وأخرج البخاري ومسلم) انه ﷺ اعتمر أربع عمر كلها في ذي القعدة الا التي في حجته أي فانه لم يوقعها في ذي القعدة بل أوقعها في ذي الحجة تبعا للحج وأما

ما يترتب عليه من المفسدة روى البخاري ومسلم أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول لعروة بن الزبير لتحمله على التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في التقلل والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الأسودان التمر والماء وروى مسلم عنها رضي الله عنها لقد مات رسول الله صلى الله

عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين خصت الزيت لأنهم كانوا يأتدمون به كثيرا ومع ذلك لم يأكله في اليوم إلا مرة زهدا في الدنيا وعن أبي حازم سلمة بن دينار أنه سأل سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه هل رأيتم في زمان النبي صلى الله عليه وسلم النقي يعني الخبز الحواري قال لا قلت كنتم تنخلون الشعير قال لا ولكنا كنا ننفخه رواه البخاري وفي رواية هل أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي قال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي من حين ابتعثه الله حتى قبضه فقلت هل كان لكم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل فقال ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه قلت كيف كنتم تأكلون الشعير غير منخول قال كنا نطحنه وننفخه فيطير ما طار وما بقي ثريناه فأكلناه أي بللناه ولييناه ثم خبزناه فأكلناه وروى مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال خرج رسول الله ﷺ ذات يوم في عما ساعة لا يخرج فيها أحد ولا يلقاه فيها أحد فإذا هو بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قال كل منهما أخرجنا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده أخرجني الذي أخرجكما وهذا قاله تسلية وتأنيسا لهما فانطلقوا إلى منزل أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري رضي الله عنه وكان رجلا كثير النخل والشياه وإذا هو ليس في بيته فلما رأته امرأته النبي صلى

إحرامه بها وكان في ذي القعدة في خمس بقين منه كما تقدم (وأخرج أيضا) أن عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها وإنا لنسمع صوتها بالسواك تستن فقلت يا أبا عبد الرحمن اعتمر رسول الله ﷺ في رجب قال نعم فقلت لعائشة أي أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن قالت وما يقول قلت يقول اعتمر رسول الله ﷺ في رجب فقالت يغفر الله لأبي عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهدها وفي رواية إلا وهو معه وما اعتمر في رجب قط أي وإنما اعتمر في ذي القعدة ولكن روى الدارقطني رحمه الله عنها رضي الله تعالى عنها أنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة في رمضان فأفطر وصمت وقصر وأتممت (قال في الهدى) إنه غلط عليها وهو الأظهر فإنه صلى الله عليه وسلم ما اعتمر في رمضان قط أقول وزاد بعضهم أنه اعتمر أيضا عمرتين عمرة في رجب وعمرة في شوال فيكون اعتمر ستة إلا أن يقال يجوز أن يكون مستند القائل بأنه اعتمر في رجب قول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما المتقدم وقد تقدم رده وجاز أن يكون قوله اعتمر في شوال أي خرج للعمرة في شوال وهي العمرة التي كانت في ضمن حجة الوداع والله أعلم

﴿باب ذكر نبذ من معجزاته صلى الله عليه وسلم﴾

التي يمكن التحدي بها سواء تحدى بها بالفعل كالقرآن وتمني اليهود الموت أولا وتلك المعجزة اصطلاحا هي الحاصلة له ﷺ بعد البعثة إلى وفاته وأما الأمور الحاصلة له بين يدي أيام مولده وبعثته وقبل ذلك من الأمور الخارقة للعادة الغريبة الموهنة للكفر التي يعجز عن بلوغها قوى البشر ولا يقدر عليها إلا خالق القوى والقدر لأنها في الاصطلاح يقال لها إرهاصات وتأسيسات للرسالة ولا تسمى في الاصطلاح معجزات وهي إذا تليت على قلب المؤمن زادته إيمانا وإذا تفكر فيها ذو البصيرة واليقين زادته إيقانا فإن كل من أرسله الله عز وجل لم يخله من آية أيده بها مخالفة للعادات لكون ما يدعيه من الرسالة مخالفا لها ويستدل بتلك الآية على صدقه فيما يدعيه لأن اقترانها بدعواه الرسالة تصديق له فيها (وقد كانت للأنبياء) أي الرسل معجزات مختلفة أي وهو ﷺ أكثر الرسل معجزة وأعظمهم آية وأظهرهم برهانا أي فقد جاء ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما آمن عليه البشر أي آمنوا بسبب إظهاره وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله عز وجل إلي وهو القرآن لأنه الذي تحداهم به فأرجو أن أكون أكثرهم تبعا يوم القيامة أي فإنه لما غلب السحر في زمن موسى عليه الصلاة والسلام جاءهم بحسبه في معجزاته فألقى العصا وفلق البحر ولما غلب الطب في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام جاءهم بحسبه فأحيا الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص ولما غلبت الفصاحة وقول الشعر في زمن نبينا عليه الصلاة والسلام جاءهم القرآن وهذا السياق يدل على أن المعجزة خاصة بالرسل عليهم الصلاة والسلام ويوافق ذلك قول صاحب المواقف وشرحه وهي أي المعجزة بحسب الاصطلاح عبارة

الله عليه وسلم قالت مرحبا وأهلا وفى رواية مرحبا بنبي الله وبمن معه فقال لها رسول الله ﷺ أين فلان يعنى زوجها قالت ذهب يستعذب لنا الماء أى يستقى لنا ماء عذبا من بئر بعيده وكانت أكثر مياه المدينة مالحة فبينماهم على ذلك اذ جاء الأنصارى فوضع القربة ثم جاء يلتزم النبى صلى الله عليه وسلم و يفديه بأبيه وأمه وفى رواية فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحبيه فقال الحمد لله أى على هذه التى لم يظفر بها غيرى فى هذا اليوم ما أحد اليوم أكرم (٣١٣) أضيافا منى فانطلق بهم إلى بستانه فجاءهم بقنو فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية أى السكين ليذبح لهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم إياك والحلوب أى باعد نفسك عن ذات اللبن فلا تذبحها فذبح لهم فشوى نصف اللحم وطبخ نصفه وأتاهم به فلما وضع بين يديه صلى الله عليه وسلم أخذ من ذلك فجعله فى رغيف وقال للأنصارى أبلغ بهذا فاطمة رضى الله عنها فانها لم تصب مثله منذ أيام فذهب به اليها فأكلوا من الشاة ومن القنو وشربوا من ذلك الماء العذب فلما ان شبعوا و رووا قال صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وفى رواية أنه قال هذا والذى نفسى بيده من النعيم الذى تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد ثم انطلق أبو الهيثم يصنع لهم طعاما وهذه تدل على أنه قال لهم ذلك قبل أكلهم من الشاة وفى رواية فكبر ذلك على أصحابه أى كون هذا من النعيم الذى يسئلون عنه فقال إذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فقولوا باسم الله فاذا شبعتم فقولوا الحمد لله الذى أشبعنا وأنعم علينا وأفضل فان هذا كفاف فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله أنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة قال نعم الا من ثلاث كسرة يسد بها الرجل جوعته أو ثوب يستر به عورته أو جحر يدخل فيه من القر

عما قصد به اظهار صدق من ادعى أنه رسول الله لكنه قال فى شروط المعجزة الرابع أن يكون أى الأمر الخارق للعادة ظاهرا على يد مدعى النبوة ليعلم أنه تصديق له انتهى فيحتمل أنه أراد بالنبوة الرسالة و يحتمل أنه أراد بها ما يعم الرسالة للشخص نفسه لأن النبى غير الرسول مرسل لنفسه ودعواه النبوة متضمنة لدعواه الرسالة لنفسه فهو رسول إلى نفسه فتكون المعجزة عامة فى حق الرسول والنبى الذى ليس برسول ومما يؤيد هذا الثانى قول النسفى رحمه الله فى عقائده وأيدهم قال السعد رحمه الله أى الأنبياء بالمعجزات الناقضات للعادات (ثم قال) وقد روى بيان عددهم فى بعض الأحاديث قال السعد على ما روى أن النبى ﷺ سئل عن عدد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وفى رواية مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفا ويؤيده أيضا قول الامام السنوسى فى شرح عقيدته الكبرى أن معجزة النبى غير الرسول يجوز أن تتأخر بعد موته بخلاف معجزة الرسول فان فيها خلافا إلى آخر ما ذكر ومما يؤيد هذا الثانى أيضا ما نقله فى الخصائص الصغرى عن بعضهم وأقره فرض الله على الأنبياء اظهار المعجزات ليؤمنوا بها وفرض على الأولياء كتمان الكرامات لئلا يفتتنوا بها انتهى فقد قابل بين المعجزة والكرامة وفيه تصريح بأنه يجب على النبى غير الرسول اظهار المعجزة (وعن القرافى المالكى) رحمه الله أنه يجب على النبى أن يخبر بنبوته وذكر فى الأصل أن الغرض ذكر نبذة من معجزاته صلى الله عليه وسلم وإلا فمعجزاته ﷺ كالبحر المتدافق بالأمواج (وقد ذكر بعض العلماء) أن معجزاته صلى الله عليه وسلم لا تنحصر وفى كلام بعض آخر أنه ﷺ أعطى ثلاثة آلاف معجزة أى غير القرآن فان فيه ستين وقيل سبعين ألف معجزة تقريبا (قال فى الخصائص) قال الحليمى وليس فى شىء من معجزات غيره ما ينحو نحو اختراع الأجسام فان ذلك من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم خاصة هذا كلامه (وفيه) ان هذا معارض بقول الله تعالى حكاية عن عيسى عليه الصلاة والسلام انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير الآية والغرض ذكر تلك النبذة مجموعة وان كان أكثرها قد سبق لكنه مفرق أى وأنبه على ما تقدم بقولى أى كما تقدم وأسكت عن ذلك فيما لم يتقدم (فمن معجزاته) ﷺ وهو أعظمها القرآن أى لأنه تعالى أتى به مشتملا على أخبار الأمم السالفة وسير الأنبياء الماضية التى عرفها أهل الكتاب وهو صلى الله عليه وسلم أمى لا يقرأ ولا يكتب ولا عرف بمجالسة الكهان والأحبار لأنه ﷺ قد نشأ بين أظهرهم فى بلد ليس بها عالم يعرف أخبار القرون الماضية والأمم السالفة التى اشتمل عليها أى ومن كان من العرب يكتب و يقرأ أو يجالس الأحبار لم يدرك علم ما أخبر به القرآن خصوصا عن المغيبات المستقبلة الدالة على صدقه لوقوعها على ما أخبر به وقد أعجز الفصحاء البلغاء أى لحسن تأليفه والتئام كلماته بهرت العقول بلاغته وظهرت على كل قول فصاحته أحكمت آياته وفصلت كلماته فحارت فيه عقولهم وتبلدت فيه أحلامهم وهم رجال النظم والنثر وفرسان السجع والشعر وقد جاء على وصف مباين لأوصاف كلامهم النثر لأن نظمه لم يكن كنظم الرسائل والخطب ولا الاشعار واسجاع الكهان وقد تحداهم ودعاهم إلى

والجر وفى هذه القصة فوائد منها أن أنبياءهم دار أبي الهيثم رضي الله عنه لا ينافي شرفهم فقد استطعم قبلهم موسى والخضر عليهما
السلام لإرادة الله تسلية الخلق بهم وإن يستنوا بهم ففعلوا ذلك تشريعا للأمة وفي قول امرأة أبي الهيثم يستعذب لنا ماء دليل على أن
طلب الماء العذب لا بأس به وأنه لا ينافي الزهد وإن السبب لا ينافي التوكل إذ التوكل اعتماد القلب على الله وأن لا يكون للعبد وثوق
سوى ربه فالحركة الظاهرة لا تنافيه وقصده صلى الله عليه وسلم بيت الأنصاري رضي الله عنه من هذا

القبيل ومن زهده صلى الله عليه وسلم ما رواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ذات يوم إلى منزله فأخرج إليه فلق من خبز فقال ما من أدم أي هل عندكم شيء من الأدم آكل الخبز به قالوا لا إلا شيء من خل قال نعم الأدم الخل قال جابر فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من نبي الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن أبي الدنيا عن ابن بجير رضي الله عنه قال أصاب النبي صلى الله عليه وسلم الجوع يوما فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ثم قال ألا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين ألا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم وروى الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي طلحة زوج أمه رضي الله عنهما قال

شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع رسول الله عليه
صلى الله عليه وسلم عن بطنه حجرين وإنما رفع لهم ليعلمهم أن ليس عنده ما يستأثر به عليهم وتسلية لهم لا شكاية أن ما بهم من الجوع
أصابه فوقه حتى احتاج إلى حجرين وفي قصة جابر رضي الله عنه في حفر الخندق قام صلى الله عليه وسلم إلى الكدية وبطنه
معصوب بحجر وما أحسن قول البوصيري رحمه الله وشد من سغب أحشاءه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترف الأدم

معارضته والإتيان بأقصر سورة منه أي وهو دليل قاطع على أنه صلى الله عليه وسلم لم يقل لهم ذلك إلا وهو واثق مستيقن أنهم لا يستطيعون ذلك لكونه من عند الله إذ يستحيل أن يقول ﷺ ذلك وهو يعلم أنه الذي تولى نظمه ولم ينزل عليه من عند الله إذ لا يأمن أن يكون في قومه من يعارضه وهم أهل فصاحة وشعر وخطابة قد بلغوا الدرجة العليا في البلاغة وهو من جنس كلامهم فيصير كذابا ولو كان في استطاعة أحد منهم ذلك لما عدلوا عن ذلك إلى المحاربة التي فيها قتل صناديدهم ونهب أموالهم وسبي ذراريهم أي لأن النفوس إذا قرعت بمثل هذا استفرغت الوسع في المعارضة فهو ممتنع في نفسه عن المعارضة خلافا لمن قال إنما لم تقع المعارضة منهم لأن الله تعالى صرفهم عنها مع وجود قدرتهم عليها لأنه وإن كان صرفهم عنها فيه إعجاز لكن الإعجاز في الأول أكمل وأتم وهو اللائق بعظيم فضل القرآن (ومن ثم لما جاءه الوليد بن المغيرة) وكان المقدم في قريش بلاغة وفصاحة وكان يقال له ريحانة قريش كما تقدم وقال له صلى الله عليه وسلم اقرأ علي فقرأ صلى الله عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وقال له أعده فأعاد ذلك فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر وإنه ليعلو ولا يعلى عليه وفي رواية قرأ عليه حم تنزيل الكتاب من العزيز العليم غافر الذنب الآيات فانطلق حتى أتى منزل أهله بني مخزوم فقال والله كلام محمد ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إلى آخر ما تقدم ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش قد صبأ الوليد والله لتصبأن قريش كلها فقال أبو جهل لعنه الله أنا أكفيكموه فقعد على هيئة الحزين فمر به الوليد فقال ما لي أراك كئيبا قال وما يمنعني أن أحزن وهذه قريش قد جمعوا لك نفقة ليعينوك على أمرك وزعموا أنك إنما زينت قول محمد لتصيب من فضل طعامه فغضب الوليد وقال أوليس قد علمت قريش أني من أكثرهم مالا وولدا وهل يشبع محمد وأصحابه بالطعام فانطلق مع أبي جهل حتى أتى مجالس بني مخزوم فقال هل تزعمون أن محمدا كذاب فهل رأيتموه كذب قط قالوا اللهم لا قال فتزعمون أنه مجنون فهل رأيتموه خرف قط أي أتى بالخرافات من القول قالوا لا قال تزعمون أنه كاهن فهل سمعتموه يخبر بما يخبر به الكهنة قالوا لا فعند ذلك قالت له قريش فما هو يا أبا المغيرة فقال إن هذا إلا سحر يؤثر وقد سمع أعرابي رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد فقيل له في ذلك فقال سجدت لفصاحة هذا الكلام وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام أي ولما سمع الأصمعي من جارية خماسية أو سداسية فصاحة فعجب منها فقالت له أو تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه الآية فجمع فيها بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين ولما أراد بعضهم معارضة بعض سوره وقد أوتي من الفصاحة والبلاغة الحظ الأوفى فسمع صبيا في المكتب يقرأ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر رجع عن المعارضة ومحا ما كتبه وقال والله ما هذا من كلام البشر (قال بعضهم) ولم يتحد صلى الله

والكشح ما بين الخاصرة واقصر ضلع وانما حصل له الجوع فى بعض الاوقات ليحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى ان من رآه لا يظن به جوعا وانما يعرفه بعض الخواص كأبى طلحة بالصوت ونحوه لان جسمه صلى الله عليه وسلم كان يرى اشد نضارة وحسنا من أجسام المترفين المتلذذين بالنعم فى الدنيا وهذا المعنى هو الذى قصده البوصيرى رحمه الله بقوله مترف الادم أى حسن الجلد ناعمه وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر أنه شد من سغب أى جوع خاف أن يتوهم أن

جسمه الشريف يظهر فيه أثر الجوع وهو الضعف فاحترس ورفع ذلك الايهام بقوله مترف الأدم وحصول الجوع فى بعض الاوقات لا ينافى قوله صلى الله عليه وسلم حين سألوه عن مواصلته فى الصوم لست كأحدكم انى أبيت يطعمنى ربى و يسقينى لأن كلا منهما حصل له فى وقت فأحاديث الوصال تدل على أنه يستغنى عن الطعام والشراب فى بعض الاوقات وأن الله يعطيه قوة الآكل الشارب فيها وفى بعض الاوقات يحصل له شىء من الجوع حتى يظهر لبعض أصحابه ويكون حكمة ذلك حصول الاجر والثواب وليقتدوا به و يصبروا إذا حصل لهم شىء من ذلك فهو تشريع لهم ولمن بعدهم ليزهدوا فى الدنيا و يتقللوا منها وقيل ان عصب الحجر على البطن ليس لأجل الجوع بل لأن عادة العرب أو أهل المدينة أن يفعلوا ذلك إذا خلت أجوافهم وغارت بطونهم ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم تطييبا لقلوبهم بفعل ما يعتادون فعله وليعلموا أنه ليس عنده ما يستأثر به عليهم ومن زهده صلى الله عليه وسلم أنه أوتى مفاتيح خزائن الارض فاعرض عنها وفتح كثير من البلاد فى حياته ﷺ وجاءته أموالها فقسمها بين أصحابه وما استأثر بشىء منها ولا أمسك دينارا ولا درهما بل صرفها فى مصارفها وبالجملة فما من خلق كريم إلا واتصف ﷺ بأكمله وأعلاه وفى الشفاء عن على رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته

عليه وسلم بشىء من معجزاته إلا بالقرآن قال بعضهم كل جملة من القرآن معجزة وحفظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور وقارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل لا يزال مع تكريره وترديده غضا طريا تتزايد حلاوته وتتعاظم محبته وغيره من الكلام ولو بلغ الغاية يمل مع الترداد و يعادى إذا أعيد يؤنس به فى الخلوات و يستراح بتلاوته من شدائد الأزمات واشتمل على جميع ما اشتملت عليه جميع الكتب الالهية وزيادة (وقد قال بعض بطارقة الروم) لما أسلم لعمر رضى الله تعالى عنه ان آية ومن يطع الله ورسوله ويخش الله و يتقه جمعت جميع ما أنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام من احوال الدنيا والآخرة (قال الحليمى) فى منهاجه ومن عظم قدر القرآن أن الله خصه بأنه دعوة وحجة ولم يكن هذا النبى قط انما يكون لكل منهم دعوة ثم يكون له حجة غيرها وقد جمعها الله تعالى لرسوله ﷺ فى القرآن فهو دعوة وحجة دعوة بمعانيه وحجة بألفاظه وكفى الدعوة شرفا أن تكون حجتها معها وكفى حجتها شرفا أن لا تنفصل دعوتها عنها وجمع كل شىء أى خصوصا الاخبار بالمغيبات وتوجد على طبق ما خبر به والاخبار عن القرون السالفة كقصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام وقصة اهل الكهف وقصة ذى القرنين والأمم الماضية كقصص الانبياء مع أممهم وتيسيره للحفظ ولا تنقضى عجائبه ولا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء (ومنها شق صدره الشريف) ﷺ أى والتئامه من غير حصول أذى ضرر ولا مشقة مع تكرر ذلك اربعا أو خمسا كما تقدم (ومنها اخباره) ﷺ عن صفة بيت المقدس أى لما أخبر قريشا بأنه أسرى به الى بيت المقدس كما تقدم (ومنها اخباره ﷺ بموت النجاشى) يوم موته وصلاته عليه مع أصحابه فقال المنافقون انظروا هذا يصلى على علج نصرانى أى لم يره قط فأنزل الله تعالى وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم الآية (ومنها انشقاق القمر) كما تقدم (ومنها) أن الملأ من قريش لما تعاقدوا على قتله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وجاؤا الى منزله صلى الله عليه وسلم وقعدوا الى بابه يخرج عليهم وقد خفضوا أبصارهم وسقطت ذقونهم فى صدورهم وأقبل ﷺ حتى قام على رؤسهم فقبض قبضة من تراب والقبضة بضم القاف الشىء المقبوض وبفتحها المرة الواحدة وقال شاهت الوجوه اى قبحت وألقاها على رؤسهم فكل من أصابه شىء من ذلك قتل يوم بدر كما تقدم (ومنها أنه صلى الله عليه وسلم هزم القوم يوم حنين) بقبضة من تراب رمى بها فى وجوههم كما تقدم له فى بدر مثل ذلك (ومنها نسج العنكبوت) عليه صلى الله عليه وسلم فى الغار أى وعلى بعض أتباعه كما تقدم (ومنها ما وقع لسراقة) رضى الله تعالى عنه من غوص قوائم فرسه فى الارض الجلد كما تقدم فى خبر الهجرة (ومنها در الشاة) التى لم ينز الفحل عليها كما تقدم فى قصة شاة أم معبد وفى قصة أخرى عن أبى العالية قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم الى أبياته التسعة يطلب طعاما وعنده ناس من أصحابه فلم يجد فنظر إلى عناق فى الدار ما نتجت قط فمسح مكان ضرعها فدفقت بضرع مدلى بين رجليها فدعا بقعب فحلب فيه فبعث الى أبياته قعبا ثم قعبا ثم حلب فشرب وشربوا (ومنها دعوته صلى الله عليه وسلم) لعمر رضى الله تعالى عنه

أي طريقته المبنية على شريعته وحقيقته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة بالله كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والفقر فخري والزهد حرفتي واليقين قوت روحي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي رواية وثمرة فؤادي في ذكر ربي وغمي لأجل أمتي وشوقي الى ربي قال ملا علي القاري في شرحه (٣١٦) على الشفاء والمصنف ثبت ثقة حجة فحسن الظن به أنه ما رواها أي هذه الالفاظ الا عن بينة اه ﴿ومن معجزاته﴾ صلى الله عليه وسلم التي اختص بها امداده بالملائكة ورؤيه أصحابه لهم وقتالهم معه ومع أصحابه يوم بدر حتى هزموا المشركين وكانوا زهاء ألف والمسلمون ثلثمائة وثلاثة عشر حتى سمع بعض الحاضرين زجر الملائكة خيلها وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وكان يومئذ على دين قومه رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض وأرى النبي صلى الله عليه وسلم مرة جبريل لعمه حمزة رضي الله عنه فخر مغشيا عليه من عظمته وهيئته وحديثه رواه البيهقي وفي مسلم ان الملائكة كانت تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما وروى ابن سعد انها كانت تصافحه ﴿ومن دلائل نبوته﴾ صلى الله عليه وسلم ما تتابعت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعن الكهان على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما ولقنه سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش وما جاء عن علماء أهل الكتاب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته كما تقدم بسطه أول الكتاب في مواضعه قال كعب الاحبار نجد في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحامدون يحمدون الله تعالى في السراء والضراء وقال وهب بن منبه في الزبور يا داود سيأتي من بعدك نبي يسمى أحمد ومحمد أصادقا سيدا

أن يعز الله به الاسلام فكان كذلك كما تقدم (ومنها دعوته ﷺ) لعلي أن يذهب عنه الحر والبرد فلم يشك واحدا منهما وكان كرم الله وجهه يلبس ثياب الشتاء في الصيف وثياب الصيف في الشتاء ولا يتأثر كما تقدم (أي ومن ذلك ما حدث به بلال) رضي الله تعالى عنه قال أذنت في غداة باردة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فلم ير في المسجد أحدا فقال أين الناس فقلت حبسهم البرد فقال اللهم أذهب عنهم البرد قال فلقد رأيتهم يتروحون في الصلاة (ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم) لعلي كرم الله وجهه وقد أصابه مرض واشتد به وسمعه يقول اللهم إن كان أجلي قد حضر فأرحني وإن كان متأخرا فاشفني وان كان بلاء فصبرني فقال له النبي ﷺ كيف قلت فأعاد ذلك عليه فمسح صلى الله عليه وسلم بيده المباركة الشريفة ثم قال اللهم اشفه فما عاد ذلك المرض اليه (أي ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لحذيفة) رضي الله تعالى عنه في الخندق ليلة انهزام الأحزاب بأن الله يذهب عنه البرد فكان كأنه يمشي في حمام كما تقدم (ومنها أنه صلى الله عليه وسلم) تفل في عيني علي كرم الله وجهه وهو أرمد فعوفي من ساعته كما تقدم في خيبر (أي ومنها أنه ﷺ) بصق في نحر كلثوم بن الحصين وقد رمي فيه بسهم يوم أحد فبرأ كما تقدم (ومنها أنه صلى الله عليه وسلم) تفل على أثر سهم في وجه أبي قتادة في غزاة ذي قرد فما ضرب عليه ولا قاح كما تقدم ومنها صلى الله عليه وسلم تفل) على شجة عبد الله بن أنيس فلم تؤلمه كما تقدم (ومنها أنه ﷺ نفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع رضي الله تعالى عنه يوم خيبر فبرئت كما تقدم (أي ومنها أنه ﷺ نفث) على رجل ورأس زيد بن معاذ رضي الله تعالى عنه حين أصابهما السيف عند قتل كعب بن الأشرف فبرئا كما تقدم (ومنها أنه صلى الله عليه وسلم نفث على ساق علي بن الحكم يوم الخندق وقد انكسرت فبرأ مكانه ولم ينزل عن فرسه كما تقدم (ومنها أنه ﷺ) نفث على يد معوذ بن عفراء وقد قطعها عكرمة بن أبي جهل يوم بدر وجاء يحملها فألصقها رسول الله ﷺ فالتصقت كما تقدم (ومنها أن محمد بن حاطب) يحدث عن أمه أنها ولدته بأرض الحبشة وأنها خرجت به قالت حتى إذا كنت من المدينة على ليلة أو ليلتين طبخت لك طعاما ففني الحطب فذهبت أطلب فتناولت القدر فانكفأت على ذراعك فقدمت المدينة فأتيت بك رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله هذا محمد بن حاطب وهو أول من سمي بك أي بعد الاسلام قالت فتفل رسول الله ﷺ في فيك ومسح على ذراعك ودعا لك ثم تفل على يدك ثم قال اذهب البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما قالت فما قمت من عنده ﷺ حتى برئت يدك (ومنها أنه صلى الله عليه وسلم) نفث على عاتق خبيب وقد أصيبت يوم بدر بضربة على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانه فالتصق كما تقدم (ومنها رد عين قتادة بعد أن سالت على خده فكانت أحسن عينيه) كما تقدم (ومنها أن ضريرا) شكا اليه صلى الله عليه وسلم ذهاب بصره وأنه لا قائد له فقال له صلى الله عليه وسلم توضأ وصل ركعتين

لا أغضب عليه أبدا وقد غفرت له قبل أن يعصينى ما تقدم من ذنبه وما تأخر وامته مرحومة وأعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الأنبياء وافترضت عليهم الفرائض التى افترضت على الأنبياء والرسل حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء وروى البيهقى انه لما قدم الجارود بن العلاء وكان أسقفا للنصارى على النبى صلى الله عليه وسلم رآه وتحقق صفاته قال والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذى بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك فى الانجيل وبشر

بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لك أكرمك لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين مد يدك فانى أشهد أن لا اله الا الله وأنك محمد رسول الله (وفى دلائل النبوة) للبيهقى ان ثلاثة من اليهود أسلموا على يد النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر وأخبروا أن حبرا من يهود الشام يقال له ابن الهيبان قدم المدينة قبل بعثة النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين فأقام عند اليهود وكانوا يستسقون به فحضرته الوفاة فجاؤه فقال يامعشر يهود ماترونه اخرجنى من أرض الرخاء الى أرض البؤس قالوا أنت أعلم قال انما خرجت أتوقع مبعث نبى قد أظل زمانه ومهاجره هذه البلاد فاتبعوه ولا يسبقكم اليه أحد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبى ذراريهم ثم مات فلما فتحت خيبر قال أولئك النفر الثلاثة وكانوا شبانا أحداثا يامعشر يهود والله انه للذى كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ماهو به قالوا بلى ثم نزلوا وأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهليهم فى الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومما ذكر فى التوراة) من صفاته وصفات أمته قال موسى ربنا انى أجد فى التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتى قال تلك أمة محمد قال انى أجد فيها أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم امتى قال تلك امة محمد قال أجد أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرؤنها فاجعلهم أمتى قال تلك أمة محمد (وفى الزبور) ياداود يأتى

ولقنه دعاء فدعا به فأبصر لوقته أى (ومنها ان رجلا ابيضت عيناه) فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه فأبصر (قال بعضهم) رأيته وهو ابن ثمانين يدخل الخيط فى الابرة ومنها ان عتبة بن فرقد السلمى كان يشم منه رائحة الطيب ولا يمس طيبا لكونه صلى الله عليه وسلم نفث فى يده الشريفة ومر بها صلى الله عليه وسلم على جسده * قال بعض نساء عتبة كنا أربع نسوة مامنا امرأة الا وهى تجتهد فى الطيب لتكون أطيب من صاحبتها وما يمس عتبة الطيب واذا خرج الى الناس قالوا ما شممنا ريحا أطيب من ريح عتبة فقلن له يوما انا لنجتهد فى الطيب ولأنت أطيب ريحا منا فمم ذلك فقال أخذنى الشرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت اليه ذلك فأمرنى أن أتجرد فتجردت وقعدت بين يديه صلى الله عليه وسلم وألقيت ثوبى على فرجى فنفث صلى الله عليه وسلم فى يده الشريفة ودلك بها الأخرى ثم مسح ظهرى وبطنى بيديه فعبق هذا الطيب من يديه يومئذ والى ذلك أشار صاحب الأصل بقوله رحمه الله ورحمنا به

وعتبة لما مسه راح عاطرا * يضوع الشذا منه بأعطر مايحوى

* ومنها دعوته صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما بأن الله يعلمه التأويل والفقه فى الدين فعن ابن عباس رضى الله عنهما ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صدره وقال اللهم علمه الكتاب وفى لفظ الحكمة وعنه رضى الله عنه قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم الخلاء فوضعت له وضوأ فلما خرج قال من وضع هذا فأخبر فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وعن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس قال اللهم بارك فيه وانشر منه فكان كما دعا * ومنها دعاؤه ﷺ لجمل جابر رضى الله عنهما فصار سابقا بعد أن كان مسبوقا كما تقدم * ومنها دعاؤه ﷺ لانس بطول العمر وكثرة المال والولد فكان كما دعا فقد ذكرا نه عاش فوق المائة وأخبر عن نفسه أنه أكثر الأنصار مالا ولم يمت حتى رأى مائة ولد من صلبه وقد كان دفن مائة وعشرين من أولاده حين قدم الحجاج البصرة وولد له بعد ذلك أى ومنها دعاؤه ﷺ لأم أبى هريرة رضى الله عنهما بالاسلام فأسلمت فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال كنت أدعو أمى للاسلام وهى مشركة فدعوتها يوما فأسمعتنى فى رسول الله ﷺ ما أكره فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكى فقلت يارسول الله قد كنت أدعو أمى الى الاسلام وتأبى على فدعوتها اليوم فأسمعتنى فيك ما أكره فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة فقال رسول الله ﷺ اللهم اهد أم أبى هريرة للاسلام فخرجت مستبشرا بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم فلما جئت قصدت الى الباب فاذا هو مجاف أى مردود فسمعت أمى حس قدمى فقالت على رسلك ياأباهريرة وسمعت خضخضة الماء فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها وفتحت الباب ثم قالت ياأباهريرة أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته وأنا أبكى من الفرح فقلت يارسول الله أبشر فقد استجاب الله

بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا صدوقا سيدا امته مرحومة افترضت عليهم ان يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الأنبياء وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء وأمرتهم بالحج والجهاد يا داود انى فضلت محمدا وأمته على الأمم كلها أعطيتهم ستا لم أعطها غيرهم لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان وكل ذنب فعلوه عمدا إذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموه لآخرتهم طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافا مضاعفة ولهم في المذخور عندي أضعاف مضاعفة وأعطيتهم على المصائب إذا صبروا وقالوا إنا لله وإنا إليه

راجعون الصلاة والهدى والرحمة إلى جنات النعيم فان دعوني استجبت لهم فاما أن يروه عاجلا أو اصرف عنهم سوأ أو أدخره لهم في الآخرة (ومما أخبر الله به في القرآن) أنه مذكور في التوراة والانجيل من صفاته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ولو لم يكن هذا مكتوبا عندهم في التوراة لكان الاخبار به على خلاف الواقع من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول دعوته ﷺ لأن الكذب والبهتان

دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وقال خيرا * ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم في تمر حائط جابر رضي الله عنه بالبركة فأوفى منه ما عليه وهو ثلاثون وسقا سبب دين استدانه والده من يهودي وفضل بعد ذلك ثلاثة عشر وسقا * وفي رواية سبعة عشر وسقا أي مع قلة ما كان فيه من التمر حتى قال جابر رضي الله عنه كنت أود أن يؤدي الله دين والدي ولا أرجع إلى اخوتي بتمرة واحدة فان النخل في ذلك العام لم يحمل الا القليل وصار رسول الله ﷺ يكلم اليهود في أن ينظر إلى عام قابل وهو يأبى ويقول يا أبا القاسم لا أنظره فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف في النخيل ثم قال يا جابر جد أي اقطع واقض فأخذت في الجداد ووفيته ثلاثين وسقا وفضل سبعة عشر وسقا فجئته صلى الله عليه وسلم فأخبرته فضحك وقال أخبر بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذهبت فأخبرته فقال لقد علمت حين مشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليباركن فيها وفي لفظ آخر عن جابر توفي أبي وعليه دين فعرضت على غرمائه أن يأخذوا النخل بما عليه فأبوا ولم يروا أن فيه وفاء فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال اذا جذذته فوضعته في المربد فأعلمني فجددته فلما وضعته في المربد آذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء ومعه أبو بكر وعمر فجلس عليه ودعا بالبركة أي وهذا محمل رواية ودعا صلى الله عليه وسلم في تمر جابر بحذف حائط وقد يقال يجوز أن يكون ﷺ طاف في النخل أولا ودعا ثم لما قطع التمر ووضع في المربد جاء وجلس عليه ودعا فلا مخالفة ثم قال صلى الله عليه وسلم ادع غرماءك فأوفهم فما تركت أحداً له دين إلا قضيته وفضل مثله فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبشرته فقال اشهد أني رسول الله * ومنها استسقاؤه ﷺ وأمطرت السماء أسبوعا ثم شكى له من كثرة المطر فاستصحى لهم فانجاب السحاب كما تقدم * ومنها انه صلى الله عليه وسلم دعا على عتيبة بالتصغير ابن أبي لهب بأن يسلط عليه كلب فافترسه الأسد من بين القوم كما تقدم * أي والأسد مما يسمى كلبا لأنه يشبه الكلب في أنه إذا بال رفع رجله ومن ثم قيل ان كلب أهل الكهف كان أسدا وحكي انه كان رجلا يسمى بالكلب لملازمته للحراسة ويرده ما جاء ليس في الجنة من الدواب إلا كلب أهل الكهف وحمار العزير وناقة صالح وتقدم ذلك مع زيادة وأما عتبة مكبرا فقد أسلم يوم فتح مكة هو وأخوه معتب هذا هو المشهور * وبعضهم عكس فقال عتبة المكبر هو عقير الأسد وعتيبة المصغر هو الذي أسلم يوم الفتح * ومنها شهادة الشجرة له ﷺ بالرسالة في خبر الأعرابي الذي دعاه إلى الاسلام فقال هل من شاهد على ما تقول قال نعم هذه الشجرة ادعها فدعاها فأقبلت فاستشهدها فشهدت أنه كما قال ثلاثا ثم رجعت الى منبتها * ومنها أمره ﷺ للشجرتين اللتين كانتا بشاطىء الوادي أن يجتمعا ليستتر بهما عند قضاء الحاجة فاجتمعتا ثم افترقتا وذهبتا إلى محلهما كما تقدم في غزاة خيبر * ومنها أمره صلى الله عليه وسلم انسانا أن يتلطف إلى نخلات يقول لهن أمركن رسول الله ﷺ أن تجتمعن ليقضي حاجته بينكن فلما قضى حاجته أمره أن يأمرهن بالعود الى أماكنهن فعدن كما تقدم * ومنها مجيء الشجرة اليه صلى الله عليه وسلم

من أعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول مقاله فلما قال لهم هذا دل على ان ذلك النعت كان مذكورا في التوراة والانجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته لكن أهل الكتاب كما قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه والا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا أبناءهم وحرفوا ما وجدوه في التوراة والانجيل وبدلوه ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وفي

البخاري عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أي وكان عبد الله ممن قرأ التوراة قلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وفي رواية لابن اسحق ولا صخب بالاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنى أسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واعطي به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وأمم متفرقة وأجعل امته خير أمة أخرجت للناس واخرج ابن سعد عما هو مذكور في بعض الكتب المنزلة ان ابراهيم عليه السلام لما أمر باخراج هاجر حملها على البراق وكان لا يمر بأرض عذبة سهلة إلا قال انزل ههنا يا جبريل فيقول له لا حتى أتى مكة فقال جبريل انزل يا ابراهيم قال حيث لا ضرع ولا زرع قال نعم ههنا يخرج النبي الذي من ذرية ابنك الذي تتم به الكلمة العليا وفي التوراة مما هو مختار بعد الحذف والتحريف والتبديل ما ذكره ابن ظفر وابن قتيبة في اعلام النبوة تجلى الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران فسيناء هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام وساعير هو الجبل الذي كلم الله فيه عيسى فطهرت فيه نبوته وجبال فاران هي جبال بني هاشم التي بمكة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحنث في احدها وفيه فاتحة الوحي وهو حرا قال ابن قتيبة ولا اشكال في

وسلم لتظله وتسلم عليه وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم نام أي في الشمس فجاءت شجرة تشق الأرض حتى قامت عليه فلما استيقظ ذكر له ذلك فقال هي شجرة استأذنت ربها عز وجل في ان تسلم علي فأذن لها * ومنها حنين الجذع اليه ﷺ كما تقدم * ومنها تسبيح الحصا في كفه صلى الله عليه وسلم كما تقدم * أي ومنها تأمين أسكفة الباب وحوائط البيت على دعائه صلى الله عليه وسلم أمين أمين أمين كما تقدم * ومنها تسبيح الطعام بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم * ومنها اعلام الشاة المسمومة له صلى الله عليه وسلم بأنها مسمومة كما تقدم * ومنها شكوى البعير له صلى الله عليه وسلم قلة العلف وكثرة العمل كما تقدم * أي ومنها شكوى بعض الطيور له صلى الله عليه وسلم بسبب أخذ بيضه أو فراخه فقد جاء ان حمرة جاءت فوق رأسه فقال صلى الله عليه وسلم أيكم فجع هذه فقال رجل من القوم أنا أخذت بيضها فقال رده رده رحمة لها وفي لفظ من فجع هذه بفرخيها فقلنا نحن فقال ﷺ ردوهما إلى موضعهما ولا مانع من وجود البيض مع الفراخ * ومنها سجود البعير له صلى الله عليه وسلم الذي استصعب على أهله وصار كالكلب الكلب لا يقدر أحد أن يقرب اليه كما تقدم * ومنها سجود الغنم له ﷺ في بعض حوائط الانصار كما تقدم * ومنها تكليم الجمل له صلى الله عليه وسلم كما تقدم * ومنها تكليم الحمار له صلى الله عليه وسلم في خيبر وهو اليعفور كما تقدم * ومنها شهادة الجمل عنده ﷺ أنه لصاحبه الاعرابي دون من ادعاه ففي المعجم الكبير للطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ فبصرنا باعرابي أخذ بخطام بعيره حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم ونحن حوله فقال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليه النبي ﷺ السلام وجاء رجل آخر كأنه حرسي فقال الحرسي يارسول الله هذا الاعرابي سرق سرق البعير فرغا البعير ساعة وحن فأنصت له رسول الله ﷺ ساعة فسمع رغاءه وحنينه فلما هدأ البعير أقبل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال للرجل انصرف عنه فان البعير شهد عليك انك كاذب فانصرف وأقبل النبي ﷺ على الاعرابي فقال أي شيء قلت حين جئت لي قال قلت بأبي أنت وأمي يارسول الله اللهم صل على محمد حتى لا تبقى صلاة وبارك على محمد حتى لا تبقى بركة اللهم سلم على محمد حتى لا يبقى سلام اللهم وارحم محمدا حتى لا يبقى رحمة فقال رسول الله ﷺ ان الله عز وجل أبداها لي والبعير ينطق بعذرك وإن الملائكة قد سدوا الأفق * أي ومنها سؤال الظبية له صلى الله عليه وسلم ان يخلصها لترضع ولدها وتعود فخلصها وعادت وتلفظت بالشهادتين وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مر رسول الله ﷺ على ظبية مربوطة إلى خباء فقالت يارسول الله خلصني حتى أذهب فأرضع خشفي ثم أرجع فتربطني فقال لها صيد قوم وربيطة قوم ثم استحلفها أن ترجع فخلت له فخلها فمكثت قليلا ثم جاءت وقد نفضت ضرعها فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى خباء

هذا الان تجلي الله من سيناء انزاله التوراة على موسى عليه السلام بطور سيناء ويجب ان يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل وان يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال مكة وليس بين المسلمين وأهل الكتاب في ذلك اختلاف فان قال قائل منهم ان جبال فاران ليست بمكة قلنا له أليس في التوراة ان الله أسكن هاجر واسمعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن (٣٢٠) الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه كتابا بعد المسيح أوليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف فهل تعلمون دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه قال في المواهب وفي التوراة أيضا مما ذكره ابن ظفر في أنباء خطاب لموسى عليه السلام والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه ما نصه وسأقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم وأجعل كلامي في فمه ويقول لهم كل شيء أمرته وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فاني أنتقم منه وفي هذا الكلام أدلة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بني اسحق واخوتهم بنو اسمعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحق لكان من أنفسهم لا من اخوتهم ولقوله نبيا مثلك وقد قال في التوراة لا يقوم في بني اسرائيل أحد مثل موسى عليه السلام وفي ترجمة أخرى مثل موسى لا يقوم في بني اسرائيل أبدا فذهبت اليهود إلى أن هذا النبي الموعود به هو يوشع بن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفؤا لموسى عليه السلام بل كان خادما له في حياته ومؤكدا لدعوته بعد وفاته فتعين أن يكون المراد به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فانه كفء موسى لانه ماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام واجراء النسخ على الشرائع السالفة وقوله تعالى اجعل كلامي في فمه واضح في ان المقصود به سيدنا محمد ﷺ لان معناه أوحي اليه بكلامي فينطق به

أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فحلها وعن زيد بن أرقم نحو هذا وزاد فأنا والله رأيتها تسبح في البرية وتقول لا إله إلا الله محمد رسول الله وذكر بعضهم ان حديث الغزالة موضوع * أي ومنها شهادة الذئب له صلى الله عليه وسلم بالرسالة كما تقدم * ومنها شهادة الضب له ﷺ بالرسالة كما تقدم * ومنها أخباره صلى الله عليه وسلم عن مصارع المشركين ببدر فلم يعد أحد منهم مصرعه كما تقدم * ومنها اخباره ﷺ بأن طائفة من أمته يغزون البحر وأن أم حرام بالراء المهملة بنت ملحان منهم وكان كذلك كما تقدم * ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم لعثمان بن عفان رضي الله عنه بأنه تصيبه بلوى شديدة فأصابته وقتل فيها * ومنها قوله صلى الله عليه وسلم للانصار إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني والأثرة بضم الهمزة وسكون الثاء المثلثة أي يستأثر عليكم غيركم بأمور الدنيا فكان ما وقع في زمن معاوية في وقعة الجمل وصفين وفي زمن ولده يزيد في وقعة الحرة كما تقدم * ومنها اخباره صلى الله عليه وسلم بأنه لا يبقى أحد من أصحابه بعد المائة أي من الهجرة والذي ينبغي أن تكون المائة من حين وفاته صلى الله عليه وسلم لأن أبا الطفيل رضي الله عنه آخر من مات من الصحابة وكان موته بعد المائة من الوفاة وعن أبي الطفيل رضي الله عنه قال وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على رأسي وقال يعيش هذا الغلام قرنا فعاش مائة سنة * ومنها اخباره ﷺ بالمغيبات وهو باب واسع جدا فمن ذلك انه جيء اليه صلى الله عليه وسلم برجل سرق فقال اقتلوه فقيل له انه سرق فقال اقطعوه ثم أتي به بعد إلى أبي بكر رضي الله عنه وقد سرق فقطع ثم ثالثة ورابعة إلى ان قطعت قوائمه ثم جيء به إلى أبي بكر وقد سرق فقال له أبو بكر رضي الله عنه لا أجد لك شيئا إلا ما قضى به فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أمر بقتلك فانه كان أعلم بذلك ثم أمر بقتله * ومنها قوله ﷺ لقيس بن خرشة العبسي رضي الله عنه وقد قال له يا رسول الله أبايعك على ما جاء من الله وعلى أن أقول الحق فقال يا قيس عسى ان مر بك الدهر ان يليك ولاة لا تستطيع أن تقول معهم الحق فقال قيس لا والله لا أبايعك على شيء إلا وفيت به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لا يضرك شيء وكان قيس رضي الله عنه يعيب زيادا وابنه عبيد الله بن زياد ومن بعده فبلغ ذلك عبيد الله بن زياد فارسل اليه فقال له أنت الذي تفتري على الله وعلى رسوله فقال لا والله ولكن ان شئت أخبرتك بمن يفتري على الله وعلى رسوله قال ومن هو قال من ترك العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ قال ومن ذلك قال أنت وأبوك ومن أمركما قال وأنت الذي تزعم انك لا يضرك بشر قال نعم لتعلمن اليوم انك كاذب ائتوني بصاحب العذاب فمال قيس عند ذلك فمات * ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لزوجاته أيتكن تنبحها كلاب الحوأب وأيتكن صاحبة الجمل الادبب بالدال المهملة والفك لغة في الادب بالادغام وهو كثير الشعر يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت فكانت تلك عائشة رضي الله عنها فانه لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه كانت عائشة بمكة لانها خرجت إلى مكة وهو محاصر وكلمها مروان بن الحكم في عدم الخروج وقال لها لا تخرجي يا أماه فجاء اليها طلحة والزبير

على ما سمعه ولا أنزل صحفا ولا ألواحا لأنه أمي لا يحسن ان يقرأ المكتوب. وفي الانجيل عن عيسى عليه السلام انى أطلب الى ربي فارقليط يكون معكم الى الابد وفيه أيضا على لسانه فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي أي بالنبوة يعلمكم جميع الاشياء ويذكركم ماقلته واني قد أخبرتكم بهذا قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنوا به وفيه أيضا أقول لكم الآن حقا انطلاقي عنكم خير لكم فان لم أنطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم الفارقليط. وان انطلقت ارسلته اليكم فاذا جاء يفيد العالم ويؤنبهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة والبر وروح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه وفيه أيضا مما ذكره ابن ظفر بأن في الدر المنظم عن المسيح عليه السلام انه قال انا أطلب لكم من الله ان يعطيكم فارقليط. آخر يثبت معكم الى الأبد روح الحق الذي لن يطيق العالم ان يقتلوه وهذا تصريح بأن الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه وتكون شريعته باقية مخلدة أبدا فهل هذا إلا محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت النصارى في تفسير الفارقليط. وقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم على انه المخلص أفضى بنا الامر الى ان المخلص رسول يأتي بخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح في الانجيل انى جئت لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح هو الذى وصف نفسه بأنه مخلص العالم وهو الذى سأل الله ان يعطيكم فارقليط. آخر ففي مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم فارقليط أول حتى يأتي فارقليط. آخر وان نزلنا معهم على القول بأنه الحامد فأي لفظ أقرب الى أحمد ومحمد من هذا وفي بعض تراجم الانجيل ان الفارقليط هو رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو مصدق بالمسيح ويعلم الخلق كل شيء ويذكرهم وفي الانجيل الفارقليط اذا جاء وبخ العالم

والزبير رضي الله عنهما بعد ان بايعا عليا على كره واستأذنا عليا كرم الله وجهه في العمرة فأذن لهما فقدما مكة وخرجت بنو أمية من المدينة ولحقت بمكة فمن المبايعة لعلي خرج مروان وغيره من أهل المدينة وجاء الى عائشة رضي الله عنها يعلى بن أمية رضي الله عنه وكان عاملا لعثمان باليمن فلما بلغه حصار عثمان قدم لنصرته فسقط من على بعيره في أثناء الطريق فكسر فخذه وبلغه قتل عثمان فلا زالوا بعائشة حتى وافقت على الخروج الى العراق في طلب دم عثمان رضي الله عنه ودفع لها ذلك الجمل يعلى بن أمية اشتراه بمائتي دينار وأعان الزبير بأربعمائة ألف دينار وصار يقول من خرج في طلب دم عثمان فعلي جهازه فحمل سبعين رجلا من قريش وطلبت عائشة رضي الله عنها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن يكون معها فقال معاذ الله ان ادخل في الفتنة ويقال ان طلحة والزبير دعوا عبد الله بن عمر رضي الله عنهم الى الخروج معهم فقال لهم أما تخافون الله أيها القوم وتدعوا هذه الأباطيل عنكم وكيف أضرب في وجه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالسيف وقد عرفت فضله وسابقته ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكما بعتماه وسألتماه القيام بهذا الامر ثم نكثتما بعد ان جعل الله عليكما شهيدا وأنه ما بدل ولا غير والقاتل لعثمان رضي الله عنه أخو زعيمتكم ورئيستكم يعني عائشة وأخوها محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم فانه أخذ بلحيته وضربها حتى تقلقت أضراسه وضربه بالمشقص فلما كانت عائشة رضي الله عنها في أثناء الطريق سمعت كلابا تنبح وسألت عن ذلك المحل فقيل لها هذا الحوأب فارادت الرجوع لما تذكرت ماقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أي فانها صرخت وأناخت بعيرها وقالت والله أنا صاحبة الحوأب ردوني ردوني ردوني فعند ذلك يقال ان طلحة والزبير أحضرا خمسين رجلا شهدوا ان هذا ليس بماء الحوأب وان المخبر لها كذاب قال الشعبي وهي أول شهادة زور في الاسلام وقال لها الزبير رضي الله عنه ولعل الله أن يصلح بك بين الناس فلما بلغ عليا كرم الله وجهه توجه عائشة ومن ذكرها معها الى العراق توجه الى العراق بعد ان كان أراد الذهاب الى الشام وقام في الناس وقال ألا ان طلحة والزبير وأم المؤمنين قد تمالؤا على سخط امارتي واني خارج اليهم ثم جاءه الخبر ان ستين ألف شيخ تبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب على منبر دمشق ومعلق فيه أصابع زوجة عثمان فقال أمني يطلبون دم عثمان ولما أراد الخروج جاءه عبد الله بن سلام رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين لا تخرج منها أي المدينة فوالله لئن خرجت منها لا يرجع اليها سلطان المسلمين فسبوه وقالوا له يا ابن اليهودية مالك ولهذا الامر فقال لهم علي كرم الله وجهه دعوا الرجل فنعم الرجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان طلحة والزبير وأم المؤمنين وصلوا الى البصرة ووقع بينهم وبين أهل البصرة مقتلة كبيرة بعد ان افترقوا فرقتين إحداهما تقول صدقت وبرت يعني عائشة وجاءت بالمعروف وقالت الأخرى كذبت ثم انحازت الاخرى الى عسكر أم المؤمنين وقهروا أهل البصرة ونادى منادي الزبير وطلحة ألا من كان عنده احد ممن غزا المدينة فليأت به فجيء بهم كما يجاء بالكلاب وكانوا ستمائة فقتلوا فلما أولت منهم من أهل البصرة الاحرقوص بن زهير وكتب طلحة والزبير الى أهل الشام إنا خرجنا لوضع الحرب وإقامة كتاب الله وإقامة خيار أهل

على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به و يسوسهم هم بالحق و يخبرهم بالحوادث وفيه أيضا فاذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل مايسمع من الذى أرسله وهذا كما قال تعالى فى حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى قال ابن ظفر فمن ذا الذى وبخ العالم على كتم الحق وتحريف الكلم عن مواضعه و بيع الدين بالثمن البخس ومن ذا الذى انذر بالحوادث وأخبر بالغيوب الا محمد ﷺ ولله در أبى محمد الشقراطى حيث قال

توراة موسى أتت عنه فصدقها
انجيل عيسى بحق غير مفتعل
أخبار أحبار أهل الكتب قد وردت
عما رأوا ورووا فى الاعصر الاول

ويعجبنى قول العارف الربانى أبى عبد الله بن النعمان

هذا النبى محمد جاءت به
توراة موسى للانام تبشر
وكذاك انجيل المسيح موافق
ذكرا لاحمد معرب ومذكر

وفى الدلائل للبيهقى عن الحاكم بسند لا بأس به عن أبى امامة الباهلى عن هشام بن العاص الاموى قال بعثت انا ورجل آخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث وانه أرسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشىء كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح واستخرج حريره سوداء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء فاذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ير مثل طول عنقه يده واذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله تعالى قال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء فاذا فيها صورة بيضاء فاذا رجل أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح بابا آخر وأخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضاء فاذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتعرفون هذا قلنا نعم محمد رسول الله ونبينا

البصره وحالفا شرارهم ولم يفلت من قتلة أمير المؤمنين عثمان من أهل البصرة الا حرقوص بن زهير والله مقيده ان شاء الله وكتبوا لأهل الكوفة بمثله وكتبوا الى أهل اليمامة بمثل ذلك وكتبوا الى أهل المدينة بمثل ذلك ثم سار على كرم الله وجهه الى البصره ثم ارسل الى أهل الكوفة يستنفرهم اليه فنفروا اليه بعد أمور يطول ذكرها وكانوا سبعة آلاف والتقى الجيشان جيش على كرم الله وجهه وجيش عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها بعد ان كتب لطلحة والزبير أما بعد فقد علمتما أنى لم أرد البيعة حتى أكرهت عليها وأنتما ممن رضى ببيعتى وألزمنى اياها فان كنتما بايعتما طائعين فتوبا الى الله وارجعا عما أنتما عليه فانك ياطلحة شيخ المتأخرين وأنت يازبير فارس قريش لو دفعتما هذا الأمر قبل ان تدخلا فيه لكان أوسع لكما من خروجكما منه والسلام وكتب لعائشة رضى الله عنها أما بعد فانك قد خرجت من بيتك تزعمين أنك تريدين الاصلاح بين المسلمين وطلبت بزعمك دم عثمان وأنت بالأمس تؤلبين عليه فتقولين فى ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ اقتلوا نعثلا فقد كفر قتله الله واليوم تطلبين بثاره فاتقى الله وارجعى الى بيتك واسبلى عليك سترك قبل ان يفضحك الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولما قرؤا الكتابين عرفوا انه على الحق وعند ذلك خرج طلحة والزبير رضى الله عنهما على فرسين وخرج اليهما على كرم الله وجهه ودنا كل واحد من الآخر وقال لهما على لعمرى لقد أعددتما خيلا ورجالا وسلاحا فاتقيا الله ولا تكونا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ألم تكونا أخوى فى الله تحرمان دمى وأحرم دمكما فقال له طلحة رضى الله عنه ألبت الناس على عثمان فقال له على كرم الله وجهه انما خذلناه حتى قتل وسلط الله اليوم على اشرنا على عثمان مايكره ثم توافقوا على الصلح وقتل من كان له دخل فى قتل عثمان رضى الله عنه وبات الفريقان على ذلك وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة وباتوا يتشاورون ثم اتفقوا على انشاب الحرب ولما كان وقت الغلس ثاروا ووضعوا السلاح فثار الناس فخرج طلحة والزبير فى وجوه الناس وقالا ماهذا قالوا طرقنا جيش على فقالا علمنا ان عليا غير منفيه حتى يسفك الدماء و يستحل الحرمة فقام على كرم الله وجهه فى وجوه الناس وقال ماهذا قالوا طرقنا جيش عائشة فقال لقد علمت ان طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء و يستحلا الحرمة ونشبت الحرب فالبسوا هودج عائشة رضى الله عنها الدروع ووقفت على الجمل وصار كل من أخذ زمامه قتل وقتل طلحة رضى الله عنه جاءه سهم غرب يقال ارسله له مروان بن الحكم وهو كان فى جيش أم المؤمنين وفر الزبير رضى الله عنه لما قال له على كرم الله وجهه يازبير أتذكر لما قال لك رسول الله ﷺ انك تقاتلنى وانت ظالم لى فقال والله لو ذكرت ذلك ما قاتلتك ولا سرت سيرى هذا ولكن رجوعى عين العار فقال له على كرم الله وجهه ترجع بالعار ولا ترجع بالنار فتركه وذهب وصار الهودج مثل القنفذ من كثرة النشاب فعند ذلك عقروا الجمل ووقع الهودج على الارض وجعلت تقول عائشة رضى الله عنها يا بنى اتبعنه اتبعنه وعند ذلك قال على كرم الله وجهه لمحمد بن أبى بكر رضى الله عنهما انظر أختك هل أصابها شىء ولما جاءها وأدخل

قال والله انه لهو ثم قام قائما ثم جلس وقال انه لهو قلنا نعم انه كانه ينظر اليك فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال أما والله انه لآخر البيوت
ولكنى عجلته لكم لأنظر ما عندكما الحديث وفيه ذكر صور الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم عليهم السلام قال قلنا له
من أين لك هذه الصور فقال ان آدم عليه السلام سأل ربه ان يريه الانبياء من ولده فأنزل الله عليه صورهم وكانت فى خزانة آدم
عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين ووضعها عند دانيال (٣٢٣) عليه السلام وفى الزبور فى مزبور

أربعة وأربعين فاضت النعمة من شفتيك من اجل هذا باركك الله إلى الابد تقلد أيها الجبار السيف فان شرائعك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونه وجميع الامم يخبرون تحتك فهذا المزبور ينوه بمحمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التى فاضت من شفتيه هى القول الذى يقوله وهو الكتاب الذى أنزل عليه والسنة التى سنها وفى قوله تقلد أيها الجبار دلالة على انه النبى العربى اذ ليس يتقلد السيوف أمة من الأمم سوى العرب وكلهم يتقلدونها على عواتقهم وفى قوله فان شرائعك وسنتك نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه والجبار هو الذى يجبر الخلق بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا وعن وهب بن منبه قال قرأت فى بعض الكتب القديمة قال الله

تبارك وتعالى وعزتى وجلالى لأنزلن على جبال العرب نورا يملأ ما بين المشرق والمغرب ولأخرجن من ولد اسمعيل نبيا عربيا أميا
يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الارض كلهم يرضى بالله ربا وبه رسولا يكفرون بملل آبائهم ويفرون منها قال موسى سبحانك
وتقدست أسماؤك لقد كرمت هذا النبى وشرفته قال الله ياموسى انى أنتقم من عدوه فى الدنيا والآخره وأظهر دعوته على كل
دعوة وأذل من خالف شريعته بالعدل ربيته وللقسط أخرجته وعزتى لأستنقذن به أمما من النار فتحت الدنيا بابراهيم واختمها بمحمد

يده قالت من أنت قال ابن الخثعمية قالت محمد قال نعم قالت بابى أنت وأمى الحمد لله الذى عافاك وفى
رواية قال لها أخوك محمد البار فقالت بل مذمم العاق فضرب عليها فسطاطا فلما كان من آخر الليل
خرج بها وأدخلها البصرة وأنزلها فى دار صفية بنت الحرث أم طلحة الطلحات وبكت عائشة رضى
الله عنها بكاء كثيرا وقالت وددت انى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وقد قال على كرم الله وجهه مثل
ذلك لما رأى من كثرة القتلى فقد قيل ان القتلى بلغت عشرة آلاف وقيل ثلاثة عشر ألفا ثم ان عليا
كرم الله وجهه صلى على القتلى من الفريقين ثم دخل البصره على بغلته متوجها لعائشة رضى الله عنها
فلما دخل عليها سلم عليها وقعد عندها ثم جهزها بكل شئ ينبغى لها واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل
البصره المعروفات وأمرهن بلبس العمائم وتقليد السيوف ثم قال لهن لا تعلمنها بانكن نسوة
وتلثمن مثل الرجال وكن حولها من بعيد ولا تقربنها وقال لاخيها محمد تجهز معها وفى روايه جهز
معها أخاها عبد الرحمن فى جماعة من شيوخ الصحابة فلما كان يوم خروجها جاء اليها على كرم الله
وجهه ووقف الناس وخرجت فودعها وودعتهم وقالت يابنى والله ما كان بينى وبين على فى القدم الا
ما يكون بين المرأه وأحمائها وانه على معتبتى عليه عندى لمن الاخيار فقال على أيها الناس صدقت
والله وبرت ما كان بينى وبينها الا ذلك وانها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخره وذهب معها نحو سبعة
أميال ثم ذهبت الى مكة حتى حجت ثم رجعت إلى المدينة وعلمت عند وصولها إلى مكة ان هؤلاء
الرجال حولها نساء فلما كشفن عن وجوههن وعرفها الحال وشكرت وقالت والله لا يزداد ابن أبى
طالب إلا كرما وقيل إن كعب بن سعد أتى عائشة رضى الله تعالى عنها وقال لعل الله أن يصلح بك
والأولى الصلح والسكون والنظر فى قتلة عثمان بعد ذلك فوافقت وركبت هودجها وقد ألبسوه
الادراع ثم بعثوا جمالها وذهب إلى على كرم الله وجهه وقال له مثل ذلك فقال له قد أحسنت وأشرف
القوم على الصلح فخافت قتلة عثمان رضى الله عنه فاشار عليهم ابن السوداء الذى هو السبائى الذى
هو أصل الفتنة ان يفترقوا فرقتين تكون كل فرقة فى عسكر من العسكرين فاذا جاء وقت السحر
ضربت كل فرقة منهما إلى العسكر الذى فيه الفرقة الاخرى فنادت كل فرقة فى العسكر الذى هى فيه
غدرنا ففعلوا ذلك فنشبت الحرب وحصل ما تقدم * ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى الحسن
رضى الله عنه ان ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فصالح معاوية
رضى الله عنهما وحقن دماء الفئتين من المسلمين أى فان الحسن رضى الله عنه لما بويع له بالخلافة
يوم مات أبوه كان فى الخلافة سبعة أشهر وقيل ستة أشهر ولما سار الى قتال معاوية كان معه أكثر من
أربعين ألفا فلما سار عدا عليه شخص وضربه بخنجر فى فخذه ليقتله فقال الحسن قتلتم أبى بالامس
ووثبتم على اليوم تريدون قتلى زهدا فى العادلين ورغبة فى القاسطين لتعلمن نبأه بعد حين اى ويذكر
أنه بينما هو يصلى اذ وثب عليه شخص فطعنه بخنجر وهو ساجد ثم خطب الناس فقال يا أهل
العراق اتقوا الله فينا فانا أمراؤكم ونحن أهل البيت الذين قال الله فيهم إنما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فما زال يقولها حتى ما بقى أحد من أهل المسجد إلا وهو يبكى

صلى الله عليه وسلم ثمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله برىء نقله في المواهب عن ابن طاهر (ومن دلائل نبوته) صلى الله عليه وسلم خروج ورقة بن نوفل بن أسد فانه عرف نبوته عن الرهبان وقد أخبرته خديجة بنت خويلد رضى الله عنها بما رأته منه من اعلام النبوة وبما أخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب وانه رأى ملكين يظلانه فقال ان كان هذا حقا فمحمد نبي هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر (٣٢٤) وهذا زمانه ثم انه كان يستبطىء الامر حتى قال تذكر أم أتت العشية رائح *

وفي الصدر من اضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم
كأنك عنهم بعد يومين نازح
فاخبار صدق خبرت عن محمد
يخبرها عنه اذا غاب ناصح
وذاك الذي يعتام يا خير حرة
بغور وبالنجدين حيث الصحاصح
الى سوق بصرى
والركاب التي غدت
وهن من الاحمال قعص دوالح
يخبرنا عن كل خير بعلمه
وللحق أبواب لهن مفاتح
بأن ابن عبد الله أحمد مرسل
إلى كل من ضمت عليه الاباطح
وظني به ان سوف يبعث صادقا
كما بعث العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له
بهاء وميسور من الذكر واضح
وتتبعها حيا لؤى جماعة * شبابهم والاشيبون الجحاجح فان أبق حتى يدرك الناس دهره الشجعاء
* فانى به مستبشر الود فارح والا فانى يا خديجة فاعلمى عن أرضك في الارض العريضة سائح وهذه شواهد صدق بايمانه مع ما ذكره بعضهم من انه صحابى بل هو أول الصحابة بناء على أنه اجتمع به بعد الرسالة اذ صح أنه أتاه بعد مجيء جبريل عليه السلام اليه واخباره له عن ربه بانه رسول هذه الامة بعد انزال اقرأ باسم ربك الذي خلق عليه وبعد قول ورقة له أبشر فانا أشهد أنك

ثم كتب الى معاوية رضى الله عنهما بتسليم الامر أى بعد ان أرسل اليه معاوية رضى الله عنه رجلين يكلمانه في الاصلاح فان عمرو بن العاص لما رأى الكتائب مع الحسن أمثال الجبال قال لمعاوية انى لأرى هذه الكتائب لا تولى حتى تقتل أقرانها فخلع الحسن رضى الله عنه نفسه وسلم الامر الى معاوية تورعا وزهدا وقطعا للشر واطفاء لثائرة الفتنة وتصديقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله المتقدم وعض منه شيعته حتى قال له بعضهم يا عار المؤمنين سودت وجوه المؤمنين فقال العار خير من النار وقال له بعضهم السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال له لا تقل ذلك كرهت ان أقتلكم في طلب الملك وعند ذلك أى لما تم الصلح طلب منه معاوية رضى الله عنهما ان يتكلم بجمع من الناس ويعلمهم أنه سلم الامر الى معاوية فاجابه إلى ذلك وصعد المنبر وحمد الله الى أن قال في خطبته أيها الناس فان الله هدا كم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا الا ان أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور وان هذا الامر الذي اختلفت أنا ومعاوية فيه اما أن يكون أحق به مني أو يكون حقي فان كان حقي فقد تركته لله ولاصلاح أمة محمد صلى الله عليه وسلم وحقن دمائهم ثم التفت رضى الله عنه الى معاوية وقال وان أدرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين أى ثم انتقل من الكوفة إلى المدينة وأقام بها وكان من جملة ما اشترطه على معاوية رضى الله عنه أن يكون الامر شورى بين المسلمين بعده ولا يعهد الى أحد من بعده عهدا وقيل على أن يكون الامر للحسن بعده ولما سم الحسن اتهم بذلك زوجته بنت الاشعث بن قيس وان ذلك بدسيسة من يزيد ولد معاوية ووعدها ان يتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم حرصا على أن يكون الامر له فان معاوية عرض بذلك في حياة الحسن ولم يكشفه الا بعد موته ولما جاء الخبر لمعاوية بموته رضى الله عنه قال يا عجبا من الحسن بن على شرب شربة من عسل بماء رومة يعني بئر رومة فقضى نحبه وأتى ابن عباس رضى الله عنهما معاوية فقعد ولا يعلم الخبر فقال له معاوية هل عندك خبر المدينة قال لا فقال معاوية يا ابن عباس احتسب الحسن لا يحزنك الله ولا يسوءك فأظهر عدم التشويش وقال أما ما بقاك الله لي يا أمير المؤمنين فلا يحزنني الله ولا يسوءنى فاعطاه على تلك الكلمة ألف ألف وذكر بعضهم قال كنا عند الحسن رضى الله عنه ومعنا الحسين رضى الله عنه فقال الحسن لقد سقيت السم مرارا وما سقيته مثل هذه المرة ولقد لفظت طائفة من كبدى فقال له الحسين أى أخى ومن سقاك قال وما تريد أتريد أن تقتله قال نعم قال لئن كان الذي أظن فالله أشد نقمة ولئن كان غيره ما أحب ان يقتل بى بريئا ? وكان الحسن رضى الله عنه رجلا حليما لم يسمع منه كلمة فحش وكان مروان وهو وال على المدينة يسبه ويسب عليا كرم الله وجهه كل جمعة على المنبر فقيل له في ذلك* فقال لا أمحو عنه شيئا بان أسبه ولكن موعدى وموعده الله فان كان صادقا جازاه الله بصدقه وان كان كاذبا فالله أشد نقمة وأغلظ عليه رضى الله تعالى عنه مروان يوما وهو ساكت ثم امتخط مروان بيمينه فقال له الحسن رضى الله تعالى عنه أف لك أما علمت ان اليمين لها شرف فخجل مروان وبكى مروان في حمارته فقال له الحسين أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه فقال انى كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا وأشار الى الجبل ومن ثم لما وقع بين الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما بعض

الشحناء فتهاجرا ثم أقبل الحسن على الحسين فأكب على رأسه يقبله فقال له الحسين ان الذى منعنى من ابتدائك بهذا أنك أحق بالفضل منى وكرهت أن أنازعك ماأنت أحق به منى وقد تقدم ذلك ومن شعر الحسن رضى الله تعالى عنه

من ظن أن الناس يغنونه * فليس بالرحمن بالواثق

ومن ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم بقتل الأسود العنسى الكذاب أى الذى ادعى النبوة ليلة قتله بصنعاء وبمن قتله كما تقدم أى ومنها أخباره ﷺ بأن رجلا من أمته يتكلم بعد الموت فكان كذلك وهو زيد بن حارثة وتكلم غيره أيضا وعن ابن المسيب أن رجلا من الأنصار توفى فلما كفن أتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله ولعل المراد بالرجل جنس الرجل ومنها إخباره ﷺ بأن أمته تتخذ الخصيان وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يستوصوا بهم خيرا فقال سيكون قوم ينالهم الاخصاء (١) فاستوصوا بهم خيرا وهو يقتضى أن الخصاء لم يكن فى غير هذه الأمة ومن ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم بذهاب الأمانة والعلم والخشوع وعلم الفرائض أى قرب قيام الساعة ومن ذلك قوله ﷺ لثابت بن قيس تعيش حميدا وتقتل شهيدا فقتل رضى الله تعالى عنه يوم اليمامة فى قتال مسيلمة الكذاب لعنه الله وأخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات باب واسع منه الاخبار بالحوادث الكائنة بعده إلى آخر الزمان والاخبار عن أحوال يوم القيامة من القضاء والحشر والحساب والاخبار عن الجنة والنار وعن حذيفة رضى الله تعالى عنه لقد حدثنى رسول الله ﷺ بما يكون حتى تقوم الساعة وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح يوما وصعد المنبر فخطب حتى حضرت الظهر ونزل فصلى الظهر ثم صعد المنبر فخطب حتى حضرت العصر ثم نزل وصلى العصر ثم صعد المنبر فخطب حتى غربت الشمس فأخبر بما كان وبما هو كائن ومن ذلك أيضا قوله ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن فى جماعة من المهاجرين والأنصار يامعاذ انك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا ولعلك أن تمر بمسجدى غدا وقبرى وكان كذلك توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ باليمن ولم يقدم إلا فى خلافة أبى بكر رضى الله تعالى عنه ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم رحما وصهرا والمراد بالرحم أم إسمعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام جده صلى الله عليه وسلم فانها كانت قبطية والمراد بالصهر أم ولده إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأنها كانت قبطية كما علمت ومنها إجابة دعائه ﷺ غير ما تقدم فمن ذلك دعاؤه ﷺ لثعلبة بن حاطب الأنصارى أى غير البدرى لأن ذاك قتل بأحد وهذا تأخر إلى زمن عثمان رضى الله تعالى عنه كما سيأتى خلافا لمن وهم فى ذلك لأن من شهد بدرا لا يدخل النار وكثيرا مايقع الاشتراك فى الاسم واسم الأب كما قال بعض الصحابة وهو طلحة بن عبيد الله لئن مات محمد ﷺ لأتزوجن عائشة من بعده فأنزل الله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية ظن

تمحض سر وانما امتنع من امتنع منهم من الدخول فى الاسلام حسدا وعنادا واختيار الله البقاء على الشقاء وقد فرغ أسماعهم بأنه مذكور فى كتبهم وأن صفته عندهم كذا وصفة أصحابه كذا كقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار الى قوله ذلك مثلهم فى التوراة ثم قال ومثلهم فى الانجيل كزرع الآية وقد احتج عليهم صلى الله عليه وسلم بما انطوت عليه صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه ولهم أ لسنتهم ببيان أمره وتبيان ذكره ودعاهم إلى المباهلة فما منهم إلا من فزع عن معارضته وعن إبداء ما ألزمهم باظهاره من كتبهم كآية الرجم وغيرها ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره أهون عليهم من بذل النفوس وتخريب الديار وسد القتال (ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم)

ماسمع من أجواف الأصنام وماوجد من اسم النبى صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا فى الحجارة والقبور بالخط القديم وأكثر ذلك مشهور وتقدم جملة من ذلك أول هذا الكتاب وكان ذلك سدا لاسلام كثير ممن شاهده ﴿ ومن دلائل نبوته ﴾ صلى الله عليه وسلم ماظهر من خوارق العادات عند مولده وفى أيام رضاعه عند حليمة رضى الله عنها وماحكته أمه آمنة فى مدة حملها وعند ولادتها وما حكاه من حضر مولده من العجائب كما تقدم ذلك كله مبسوطا فى باب ذكر الخوارق التى ظهرت فى رضاعه وقبله وبعده

(١) قوله الاخصاء هكذا فى النسخ ولعله الخصاء فان فعله خصى اه مصححه

أيضا فارجع اليه ان شئت ﴿ ومن دلائل نبوته ﴾ صلى الله عليه وسلم أنه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نورا وكان لا يقع الذباب على جسده ولا ثيابه قال القاضي عياض قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا وبحسب هذا الباب لو تقصى أن يكون ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات عديدة ومعجزات نبينا (٣٢٦) أظهر من معجزات سائر الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وأنه لم يؤت نبي معجزة إلا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو ما هو أبلغ منها أما كثرتها فهذا القرآن وكله معجز وأقصر سورة منه معجزة وكل آية منه كذلك وقال بعضهم كل جملة منه معجزة وفي القرآن نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف والإعجاز من طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء معجزتان فتضاعف العدد ثم فيه وجوه إعجاز آخر من الإخبار بعلوم الغيب وقد يكون في السورة الواحدة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد وإن نظرت إلى بقية وجوه الإعجاز المتقدمة أوجب ذلك التضعيف إلى ما لا يكاد يحصى ولا يستقصى هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم إن الأخبار والأحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في أبواب خوارق العادات والإخبار بالمغيبات تبلغ نحو ذلك من التضعيف مع ما في معجزاته صلى الله عليه وسلم من الشهرة بها والوضوح وكانت معجزات الرسل على حسب حال أهل زمانهم فلما كان زمن موسى عليه السلام كان غاية علم أهله السحر فبعث الله إليهم موسى عليه السلام بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكان في زمن عيسى عليه السلام أوفر ما كانوا عليه الطب فجاءهم بأمر لا يقدرون عليه وأتاهم بما لم يحتسبوا من إحياء الموتى وإبراء

بعضهم أن المراد طلحة هذا أحد العشرة المبشرين بالجنة وحاشاه من ذلك وهو أجل مقاما من أن يصدر منه مثل ذلك ولما قال ثعلبة بن حاطب له يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له ﷺ ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة أما ترضى أن تكون مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سألت ربي أن يسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأوتين كل ذي حق حقه فقال النبي ﷺ اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فصارت تنمى كما ينمى الدود وضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها فكان يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك الجماعة فيما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الجماعة فيما سوى الجمعة فإنه كان يشهدها مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم ترك الجمعة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة فأخبروه بخبره فقال صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة قالها ثلاثا فلما نزل قوله تعالى خذ من أموالهم صدقة الآية بعث النبي صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة وكتب لهما فرائض الصدقة وأسنانها وقال لهما مرا بثعلبة فخرجا حتى أتيا ثعلبة وسألاه الصدقة وأقرآه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا إلي فانطلقا ثم مرا عليه فقال أرياني كتابكما فنظر فيه فقال ما هذه إلا أخية الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال قبل أن يكلماه يا ويح ثعلبة فلما أخبراه بالذي صنع ثعلبة أنزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله الآيات وكان عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فأرسل إليه أن الله قد أنزل فيك قرآنا وهو كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يقبل منه الصدقة فقال إن الله منعني أن أقبل صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هذا عملك وقد أمرتك فلم تطعني وأبى أن يقبل منه شيئا فأتى أبا بكر رضي الله تعالى عنه حين استخلف فسأله قبول صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا لا أقبلها ثم فعل كذلك مع عمر رضي الله تعالى عنه ثم مع عثمان رضي الله تعالى عنه وكل أبى أن يقبل صدقته ومات في خلافة عثمان ومن ذلك قوله ﷺ في رجل ارتد ولحق بالمشركين اللهم اجعله آية فعن أنس رضي الله تعالى عنه قال كان منا رجل من بني النجار قد قرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فارتد ولحق بأهل الكتاب وكان يقول ما يدري محمد إلا ما كتبت له فقال ﷺ اللهم اجعله آية فأماته الله فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم نبشوه وألقوه فحفروا له وأعمقوا ما استطاعوا فأصبح وقد لفظته الأرض فقالوا مثل الأول فحفروا وأعمقوا فلفظته الأرض في المرة الثالثة فعلموا أنه ليس من فعل الناس ومن ذلك قوله ﷺ لرجل يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع أي قال ذلك تكبرا وعنادا فقال له صلى الله عليه وسلم لا استطعت فلم يطق أن يرفعها إلى فيه بعد أي ومن ذلك المرأة التي خطبها صلى الله عليه وسلم فقال له أبوها إن

الاكمه والأبرص دون معالجة للطب وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانت بقدر علم أهل زمانهم ثم ان الله بعث سيدنا محمداً ﷺ وحمله معارف العرب وعلومها أربعة البلاغة المقرونة بالفصاحة والشعر والأخبار بأنساب العرب وأيامها ووقائعها والكهانة وهي مراولة الخبر عن الكائنات واظهارها وادعاء معرفة أسرارها فأنزل الله القرآن الخارق لهذه الأربعة بسبب مافيه من الفصاحة والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن السبك

الغريب والأسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم إلى طريقه ولا علموا في أساليب الاوزان منهجه ومن الأخبار عن الحوادث والاسرار والمخبآت التي كانت على وفق ما أخبر فأبطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشراً ثم اجتثها من أصلها برجم الشياطين بالشهب وجاء من الأخبار عن القرون السالفة وأنباء الأنبياء والأمم البائدة والحوادث الماضية مايعجز من تفرغ لهذا العلم بعضه ثم بقيت هذه المعجزة أعني القرآن بما فيه ثابتة إلى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لاتخفي وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه منضما إلى ما أخبر به من الغيوب فلايمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور ما أخبر به على وفق ما أخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان والمشاهدة زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة إلى عين اليقين منها إلي علم اليقين وان كان كل عندها حقا وجميع معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بانتقالهم ومعجزة نبينا ﷺ لاتبيد ولاتنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل والى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال مامن الأنبياء نبي الا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجوا اني أكثرهم تابعا يوم القيامة وقوله مامن الأنبياء نبي الأأعطى ما مثله آمن عليه البشر

بهابرصا ولم يكن بها برص وانما قال ذلك امتناعا من خطبته ﷺ فقال صلى الله عليه وسلم فلتكن كذلك فبرصت ومن ذلك ان فاطمة رضي الله تعالى عنها جاءت اليه ﷺ فنظر اليها وقد ذهب الدم من وجهها وغلبت الصفرة على وجهها من شدة الجوع فقال لها ﷺ أدن مني يافاطمة فدنت منه فرفع يده فوضعها على صدرها وفرج بين أصابعه وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد فذهبت الصفرة عنها حالا ولم تشك بعد ذلك جوعا ومن ذلك ما حدث به واثلة بن الأسقع قال حضر رمضان ونحن في أهل الصفة فصمنا فكنا اذا أفطرنا أتى كل رجل منا رجلا من أهل الصفة فأخذه فانطلق به فعشاه فأتت علينا ليلة فلم يأتنا أحد فأصبحنا صياما ثم أتت علينا الليلة القابلة فلم يأتنا أحد فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فأخبرناه بالذي كان من أمرنا فأرسل إلى كل امرأة من نسائه يسألها هل عندها شيء فما بقيت امرأة الا أرسلت تقسم ما أمسى في بيتها ما يأكل ذو كبد فقال لهم رسول الله ﷺ اجتمعوا فدعا رسول الله ﷺ وقال اللهم انى أسألك من فضلك ورحمتك فانهما بيدك لايملكها أحد غيرك فلم يكن الامستأذن يستأذن فاذا بشاة مصلية ورطب فأمر بها رسول الله ﷺ فوضعت بين أيدينا فأكلنا حتى شبعنا ومنها تساقط الأصنام التي حول الكعبة باشارته صلى الله عليه وسلم اليها أوطعنه فيها بقضيب كان في يده قائلا جاء الحق وزهق الباطل كما تقدم ومنها تكثير الطعام وقد وقع له ذلك في مواطن كثيرة فمن ذلك اطعام ألف من صاع شعير في حفر الخندق فشبعوا والطعام أكثر مما كان كما تقدم ومن ذلك اطعام أهل الخندق من تمر يسير كما تقدم ومن ذلك جمع مافضل من الازواد ودعاؤه ﷺ فيها بالبركة وقسمتها في العسكر فقامت بهم كما تقدم في الحديبية وسوك ومن ذلك دعاؤه ﷺ لابي هريرة في تمرات قد صفهن في يده وقال ادع لي فيهن بالبركة أي ودعاله صلى الله عليه وسلم بذلك قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه فأخرجت من ذلك التمر كذا وكذا وسقا في سبيل الله وكنا نأكل منه ونطعم حتى انقطع في زمن عثمان رضي الله تعالى عنه أي بانقطاع المزود الذي أمره ﷺ أن يكون به التمر والمزود وعاء من جلد يوضع فيه الزاد وقال له إذا أردت شيئا فادخل يدك ولا تكفأ فيكفأ عليك قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وكان لايفارق حقوي فلما قتل عثمان انقطع حقوي فسقط وفي رواية كان معلقا خلف رحلي فوقع في زمن عثمان أي في زمن محاصرته وقتله فذهب وفي رواية فلماقتل عثمان انتهب بيتي وانتهب المزود أي بعد سقوطه من حقوه فلايخالف ماسبق وقد جاء في بعض الروايات عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أتيت النبي ﷺ بتمرات فقلت يارسول الله ادع لي فيهن بالبركة فصفهن ثم دعا فيهن بالبركة وقال خذهن واجعل في مزودك ما أردت منهن أي إذا أردت أخذ شيء منهن ادخل يدك فيه فخذه ولا تنثره نثراً أي وفي لفظ غزونا مع رسول الله ﷺ فأصاب الناس مجاعة فقال النبي ﷺ ياأبا هريرة هل من شيء قلت نعم شيء من تمر في المزود فقال ائتني به فأتيته به

معناه ليس نبي منهم إلا أعطاه الله من المعجزات شيئاً الذي من شاهده إلى الإيمان به فخص كل نبي بما أثبت دعواه من خوارق العادة التي أعطاه مولانا في زمانه وبعد انقراضه اختفى شأنه ولم يبق سلطانه ولم يلمع برهانه كقلب العصا لموسى حية تسعى وإنما كان الذي أوتيت وحيا معجزاً في أعلى طبقات البلاغة وأقصى غايات الفصاحة كريم الفائدة عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الأمة وربما يعدون على

مرور الأزمنة ولما ترتب عليه قوله فأرجو أي بسبب بقائه وظهوره وصيانته أي أكثرهم تابعا وقيل المراد انه وحي وكلام لا يمكن فيه التخييل ولا التحيل فإن غير معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم قد قصد المعاندون إبطالها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وما أشبه ذلك مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للتحيل فيه عمل وكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر وخطيب أن يكون شاعراً أو خطيباً بضرب من الحيل والتمويه ثم ان عجز العرب عن معارضته من أكبر آياته وهو من جنس مقدورهم ورضوا بالبلاء والعناء والجلاء من أوطانهم والسبي والإذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد وذلك أبين آية وأظهر علامة وأبهر دلالة للعجز عن الإتيان بمثله والنكول عن معارضته فعجزهم عما هو من جنس مقدورهم أبلغ من لاهل خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها كقلب العصا حية ونحوه فإنه قد يسبق إلى بال المناظر مبادرة قبل التأمل ان ذلك من الاختصاص بمزيد المعرفة في ذلك الفن كما توهم فرعون حيث قال انه لكبيركم الذي علمكم السحر بخلاف ما لا يعرف انه معجز إلا بالتأمل والفكر فإنه حينئذ يتحقق الفهم ويضمحل الوهم ويتبين للقلب الحي ان قلب العصا حية ونحوه مما لا يدخل تحت طوق

فأدخل يده وأخرج قبضة فبسطها ثم قال لي ادع لي عشرة فدعوت عشرة فأكلوا حتى شبعوا فما زال يصنع ذلك حتى أطعم الجيش كلهم ثم قال صلى الله عليه وسلم خذ ما جئت به أدخل يدك فاقبض ولا تكبه قال فقبضت على أكثر ما جئت به ثم أكلت منه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة أبي بكر وأطعمت وحياة عمر وأطعمت وحياة عثمان وأطعمت فلما قتل عثمان انتهب مني ومن ذلك تكثير الطعام الذي وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصابعه فقد جاء انه صلى الله عليه وسلم دعا أهل الصفة لقصعة ثريد فأكلوا حتى لم يبق إلا اليسير في نواحيها فجمعه صلى الله عليه وسلم فصار لقمة فوضعها على أصابعه وقال لأبي هريرة رضي الله تعالى عنه أي لأنه كان من أهل الصفة كل بسم الله قال أبو هريرة فوالذي نفسي بيده ما زلت آكل منها حتى شبعت كما تقدم قيل وكان أصحاب الصفة حينئذ تسعين وقيل مائة ونيفا وقيل أربعمائة ومن ذلك تكثير الطعام الذي جاء به أنس رضي الله تعالى عنه للنبي صلى الله عليه وسلم فعنه رضي الله تعالى عنه قال تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله فصنعت أمي أم سليم حيسا فجعلته في تور فقالت يا أنس اذهب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا إليك أمي وهي تقرئك السلام وتقول لك ان هذا منا قليل قال فذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت له ان أمي تقرئك السلام وتقول لك ان هذا منا لك قليل فقال ضعه ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا وفلانا ومن لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت قيل لأنس كم كانوا قال زهاء ثلثمائة وقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أنس هات التور ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل انسان مما يليه فأكلوا حتى شبعوا كلهم ثم قال يا أنس ارفع فما أدري حين وضعت كان أكثر أو حين رفعت ومن ذلك تكثير الطعام الذي صنعه أبو أيوب الأنصاري فعنه رضي الله تعالى عنه قال صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله تعالى عنه طعاما قدر ما يكفيهما فأتيتهما به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فادع لي ثلاثين من أشراف الأنصار قال وشق ذلك علي ما عندي ما أزيده فقال اذهب فادع لي ثلاثين من أشراف الأنصار قال أبو أيوب رضي الله تعالى عنه فدعوتهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعموا فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا انه رسول الله قبل أن يخرجوا ثم قال اذهب فادع لي ستين من أشراف الأنصار فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا انه رسول الله قبل أن يخرجوا ثم قال اذهب فادع لي تسعين من الأنصار فدعوتهم فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا انه رسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرجوا فأكل من طعامي ذلك مائة وثمانون رجلا كلهم من الأنصار قال ومنها تكثير اللبن في القدح فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه انه اشتد به الجوع يوما قال فمر علي أبو بكر رضي الله تعالى عنه فقمت إليه وسألته عن آية من كتاب الله ليشبعني فمر ولم يفعل ثم مر علي عمر ففعلت معه وفعل معي كذلك ثم مر صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي ثم قال يا أبا هريرة وفي لفظ يا أبا هر قلت لبيك يا رسول الله قال الحق فتبعته صلى الله عليه وسلم إلى ان دخل بيته وأذن لي فدخلت فوجدت لبنا في قدح فقال صلى الله عليه وسلم أي

الذي اذ هو فعل الفاعل القوي القادر والتحدي للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يفعلوا مع توفر الدواعي على المعارضة أبلغ وأظهر من خرق العادة بغيره ولما دقت أنظار العرب وتوفرت عقولهم وكان لهم من الادراك ماليس لغيرهم جاءتهم الآيات المحتاجة لدقة النظر وحسن المعرفة بوجوه الاعجاز وأما غيرهم من القبط قوم فرعون وبني اسرائيل قوم موسى عليه السلام وغيرهم ماعدا العرب فانهم لم يكونوا بهذه الطريقة

بل كانوا على غاية من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون أنه ربهم فاستخف قومه فأطاعوه وأضل فرعون قومه وما هدى وجوز عليهم السامري ربوبية العجل فعبدوه بعد ايمانهم وعبدت طائفة من بني إسرائيل المسيح عيسى عليه السلام فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة للأبصار بقدر غلظ أفهامهم مالا يشكون فيه ومع هذا قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي أدنى بالذي هو خير والعرب مع جهلها بأمور الشريعة والديانة أكثرها يعترف بوجوب الصانع وانما كانت تشرك معه غيره ومنهم من آمن بالله وحده قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كزيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعده ومنهم من أدرك بعثته صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم بكتاب الله فهموا

حكمته لحدة فطنتهم وتبينوا بفضل ادراكهم لأول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا واكتسبوا إحسانا وإيقانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وبيمن همته وبركة متابعته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا أباءهم وأبناءهم في نصرته فجميع هذه الأشياء لم توجد في غير القرآن من بقية المعجزات ولم تكن لغير نبينا ﷺ ممن أوتي خوارق العادات وأما كونه لم يؤت أحد من الأنبياء شيئا من المعجزات الا وعند نبينا مثلها أو أبلغ منها فقد تصدى العلماء

لأهل بيته من أين هذا اللبن فقيل أهدي لك فقال يا أبا هريرة قلت لبيك يارسول الله صلى الله عليك وسلم قال ادع لي أهل الصفة فساءني ذلك فقلت ماهذا اللبن في أهل الصفة وما أظن أن ينالني من هذا اللبن شيء أي لأنهم كانوا أربعمائة على ما تقدم فدعوتهم فأقبلوا وأخذوا مجالسهم من البيت فقال ياأباهريرة قلت لبيك يارسول الله قال خذ فأعطهم فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى حتى لم يبق الا أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي اقعد فاشرب فشربت فقال لي اشرب فشربت فمازال يقول لي اشرب فاشرب حتى قلت لاوالذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا فأعطيته القدح فحمد الله عز وجل وسمى وشرب الفضلة اه أي وقد تقدم ذلك وفي لفظ حتى إذا لم يبق الا أنا وهو فأخذ القدح على يده ونظر الي وتبسم فقال ياأبا هريرة قلت لبيك يارسول الله قال بقيت أنا وأنت قلت صدقت يارسول الله قال اقعد فاشرب الحديث وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم لما قال لأبي هريرة ياأباهر قال انا أبو هريرة فقال ﷺ الذكر خير من الأنثى ولما وقع القتال بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما كان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يصلي خلف علي كرم الله وجهه ويحضر طعام معاوية وعند القتال يصعد على تل فقيل له في ذلك فقال الصلاة خلف علي أقوم وطعام معاوية أدسم والقعود على هذا التل أسلم ومن ذلك ما حدثت به بنت خباب بن الأرت رضي الله تعالى عنهما قالت خرج خباب في سرية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعهدنا وكان لنا عنز فكان يحلبها فيملأ حلابها جفنة لنا فلما جاء خباب عاد حلابها لما كان عليه أولا فقلت لأبي كان رسول الله ﷺ يحلبها فتمتلىء جفنتنا فلما حلبتها رجع حلابها ومن ذلك ما حدث به بعض الصحابة أنه قال كنا زهاء أربعمائة رجل فنزلنا في موضع ليس فيه ماء فشق ذلك على أصحابه ﷺ فجاءت شويهة لها قرنان فقامت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلبها فشرب حتى روي وسقى أصحابه حتى رووا ثم قال لي صلى الله عليه وسلم املكها الليلة وما أراك تملكها فأخذتها ووتدت لها وتدا ثم ربطتها بحبل ثم قمت في بعض الليل فلم أر الشاة ورأيت الحبل مطروحا فجئت إلى النبي ﷺ فأخبرته فقال ذهب بها الذي جاء بها ومنها أن امرأة كانت أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا في عكة فقبله وترك في العكة قليلا ونفخ فيه ودعا بالبركة فكان يأتيها بنوها يسألونها الأدم فتعمد إلى تلك العكة فتجد فيها سمنا فمازالت تقيم بها أدم بيتها بقية حياته صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان حتى كان من أمر علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما ما كان وفي رواية أنها عصرتها فأتت رسول الله ﷺ فقال لها أعصرتيها قالت نعم قال لو تركتيها مازال دائما ويحتمل أن الواقعة تعددت وعن أم سليم أم أنس رضي الله تعالى عنهما قالت كان لي شاة فجمعت من سمنها ماملأت به عكة وأرسلت بها إلى رسول الله ﷺ فقبلها وأمر ففرغوها وردوها فارغة وكنت غائبة عن المنزل فلما جئت رأيت العكة مملوءة سمنا قالت فقلت للتي أرسلتها معها كيف الخبر فأخبرتني الخبر فما صدقتها وذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته وقلت له

لبيان ذلك فقالوا انه صلى الله عليه وسلم أعطى ما أعطيه جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واختص بأشياء لم يعطها أحد غيره فمن ذلك أنه أوتي جوامع الكلم وكان نبيا وآدم بين الروح والجسد وغيره من الأنبياء لم يكن نبيا إلا في حال نبوته أي بعد بعثه وزمان رسالته ولما أعطي ﷺ هذه المنزلة علمنا أنه الممد لكل انسان كامل مبعوث فمنه أفاض الله على جميع من تقدمه من الأنبياء والمرسلين أحوالا كثيره زيادة على ما عندهم من الفضائل ويرحم الله الابوصيري حيث يقول

وكل آي أتى الرسل الكرام بها
فانما اتصلت من نوره بهم
فانه شمس فضل هم كواكبها
يظهرن أنوارها للناس في الظلم

يعني أن كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل واحد من نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي أوجده الله قبل وجوده في هذا العالم وما أحسن قوله فانما اتصلت من نوره بهم فانه يعطي أن نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل قائما به ولم ينقص منه شيء ولو قال فانما هي من نوره لتوهم أنه وزع عليهم وقد لا يبقى منه شيء وانما كانت آيات كل واحد من نوره صلى الله عليه وسلم لأنه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن أي تلك الكواكب أنوار تلك الشمس للناس في الظلم فالكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هي مستمدة من الشمس فهي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل وجوده عليه الصلاة والسلام كانوا يظهرون فضله بالصفات التي اشتملوا عليها وأوصلوها إلى أممهم فانها وصلت اليهم من نوره صلى الله عليه وسلم والحاصل أن جميع ما ظهر على أيدي الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين قبله ﷺ من الأنوار فانما هو من نوره الفائض الكثير الذي عم المشارق والمغارب ومدده الواسع من غير ان ينقص منه شيء فيكون ذلك كنور السراج اذا أوقد من نحو

يارسول الله وجهت اليك عكة سمن قال قد وصلت فقلت بالذي بعثك بالهدى ودين الحق لقد وجدتها مملوءة سمنا تقطر قال أفتعجبين أن أطعمك الله كما أطعمت نبيه ﷺ ادمي فكلي وأطعمي الحديث أي ومنها دعاؤه صلى الله عليه وسلم لفرس جعيل الأشجعي فعنه رضي الله تعالى عنه قال خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته وأنا على فرس عجفاء ضعيفة فكنت في آخر الناس فلحقني رسول الله ﷺ فقال سر ياصاحب الفرس فقلت يارسول الله عجفاء ضعيفة فرفع مخفقة كانت معه فضربها بها وقال اللهم بارك له فيها فلقد رأيتني ما أملك رأسها قدام القوم ولقد بعت من بطنها باثني عشر ألفا ومنها أن جليبيبا على وزن قنيديل الأنصاري وكان قصيرا دميما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوجه فقال يارسول الله اذا تجدني كاسدا فقال انك عند الله لست بكاسد فخطب له ﷺ جارية من أولاد الأنصار فكره أبو الجارية وأمها ذلك فسمعت الجارية بما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قلت وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم وقالت رضيت وسلمت لما رضي لي رسول الله ﷺ به فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اصبب الخير عليها صبا ولا تجعل عيشها كدا فكانت من أكثر الأنصار نفقة ومالا مع كونها أيما فانه رضي الله تعالى عنه قتل عنها في بعض غزواته معه صلى الله عليه وسلم بعد أن قتل سبعة من المشركين ووقف عليه ﷺ ودعا له وقال هذا مني وأنا منه وحمله صلى الله عليه وسلم على ساعديه ماله سرير غير ساعديه صلى الله عليه وسلم ثم حفر واله ووضعه في قبره ولم يغسله ولم يصل عليه ومنها نبع الماء من بين أصابعه الشريفة صلى الله عليه وسلم حتى شرب القوم وتوضؤا وهم ألف وأربعمائة قال وفي رواية ألف وخمسمائة وفي رواية فشربوا وسقوا وملؤا قربهم وكان في العسكر إثنا عشر ألف بعير والخيل إثنا عشر ألف فرس أي وهذه في غزوة تبوك وقد تكرر ذلك منه صلى الله عليه وسلم في عدة مواطن عظيمة تقدمت وتكررت الروايات بحسب تكرر الوقائع وهو أشرف المياه كما قاله السراج البلقيني ولم يسمع بمثل هذه المعجزة التي هي خروج الماء من بين الاصابع عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم وهي أبلغ من نبع الماء من الحجر الذي ضربه موسى عليه الصلاة والسلام لأن خروج الماء من الحجر معهود بخلاف خروجه من بين اللحم والدم والعظم والعصب اه كما تقدم ومنها أن الماء فار بغرز سهم من كنانته ﷺ في محله وقع له ذلك في الحديبية وفي تبوك فقد جاء أنه ورد في منصرفه من غزوة تبوك على ماء قليل لا يروي واحدا وشكوا اليه صلى الله عليه وسلم العطش فأخذ سهما من كنانته وأمر أن يغرز فيه ففار الماء وارتوى القوم وكانوا ثلاثين ألفا كما تقدم قال ومنها ماتقدم له ﷺ مع عمه أبي طالب بذي المجاز من ضربه ﷺ الأرض أو صخرة برجله حين عطش فخرج الماء كما تقدم ومنها ركوبه ﷺ الفحل الذي قطع الطريق على من يمر لما سافر صلى الله عليه وسلم مع عمه الزبير بن عبد المطلب إلى اليمن كما تقدم ومنها انقلاب الماء الملح عذبا ببركة ريقه الشريف فقد جاء أن قوما شكوا

شمعة فنورها لم ينقص منه شيء ونور السراج نشأ من نورها مع بقاء نورها بمحله وأول ما ظهر ذلك في آدم عليه السلام حيث جعله الله تعالى خليفة وأمده بالأسماء من مقام جوامع الكلم التي لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الأسماء كلها على الملائكة القائلين أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ثم توالت الخلفاء في الأرض أي تتابعت الرسل بعد آدم عليه السلام الى عيسى عليه السلام ولما أراد الله ابراز صورة جسم نبينا صلى الله عليه وسلم لاظهار منزلته وشرفه عند الله ظهر

اندراج كل نور في نوره وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الأنبياء ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة الا وقد أعطى صلى الله عليه وسلم مثلها فجمع فيه ما فرق فيهم فآدم عليه السلام أعطى ان الله خلقه بيده وأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شرح صدره فقد تولى الله شرح صدره وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوي قال تعالى ألم نشرح لك صدرك فتولى من آدم عليه السلام الخلق الوجودي ومن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق النبوي مع ان المقصود من خلق آدم خلق نبينا في صلبه فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المقصود وآدم الوسيلة والمقصود سابق على الوسيلة وأما سجود الملائكة لآدم فقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ان الملائكة أمروا بالسجود لآدم لأجل أن نور نبينا ﷺ كان في جبهته ظاهرا ولله در القائل

تجليت جل الله في وجه آدم * فصلى له الأملاك حين توسل

وفي المواهب عن الامام سهل بن محمد قال هذا التشريف الذي شرف الله به سيدنا محمدا ﷺ بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية أتم وأجمع من تشريف آدم عليه الصلاة والسلام بأمر الملائكة له بالسجود لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف لاستحالته في حقه سبحانه إذ السجود من صفات الأجسام فالتشريف الذي يصدر عنه تعالى وعن الملائكة والمؤمنين أبلغ

شكوا اليه صلى الله عليه وسلم ملوحة في ماء بئرهم فجاء صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه حتى وقف على ذلك البئر فتفل فيه فتفجر بالماء العذب المعين ومنها أنه كان باليمن ماء يقال له زعاق من شرب منه مات فلما بعث صلى الله عليه وسلم وجه اليه أيها الماء أسلم فقد أسلم الناس فكان بعد ذلك من شرب منه حم ولا يموت ومنها زوال القراع بمرور يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد جاء ان امرأة أتته بصبي لها أقرع فمسح صلى الله عليه وسلم رأسه فاستوى شعره وذهب داؤه ومنها احياء الموتى له صلى الله عليه وسلم وسماع كلامهم فمن ذلك أنه ﷺ دعا رجلا للاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيي لي بنتي فقال صلى الله عليه وسلم أرني قبرها فأراه قبرها فقال ﷺ يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال ﷺ أتحبين أن ترجعي الى الدنيا فقالت لا والله يارسول الله إني وجدت الله خيرا لي من أبوي ووجدت الآخرة خيرا من الدنيا ومنها ابراء الأبرص فقد روي ان امرأة معاوية بن عفراء كان بها برص فشكت ذلك الى رسول الله ﷺ فمسح عليه بعصا فأذهبه الله ومنها ابراء الرمد واللقوة والقرحة والسلعة والحرارة والدبيلة والاستسقاء فان ابن ملاعب الأسنة أصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة حثوة من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى انه قد هزئ به فأتاه بها وهو على شفا فشربها فشفاه الله وقد أشار الى ذلك صاحب الأصل بقوله

وبكف من تربة الأرض داوى * من تشكي من مؤلم استسقاء

ومنها ان أخت اسحق الغنوي هاجرت من مكة تريد المدينة هي وأخوها اسحق المذكور حتى اذا كانت في بعض الطريق قال لها أخوها اجلسي حتى أرجع الى مكة فآخذ نفقة أنسيتها قالت له إني أخشى عليك الفاسق أن يقتلك تعني زوجها فذهب أخوها إلى مكة وتركها فمر عليها راكب جاء من مكة فقال لها ما يقعدك ههنا قالت انتظر أخي قال لا أخ لك قد قتله زوجك بعد ما خرج من مكة قالت فقمت وأنا أسترجع وأبكي حتى دخلت المدينة فدخلت على رسول الله ﷺ وهو يتوضأ في بيت حفصة فأخبرته الخبر فأخذ ملء كفه ماء وضربني به فمن يومئذ لم ينزل من عيني دمعة وكانت تصيبني المصائب العظام غايته أن يغمر الدمع على مقلتي ولا يسيل على وجنتي ومنها ابراء الجراحة كما تقدم ومنها ابراء الكسر فقد مسح ﷺ على رجل ابن عتيك رضي الله تعالى عنه وقد انكسرت فكأنها لم تكسر قط كما تقدم ومنها ابراء الجنون أي ومنها ان امرأة جاءته ﷺ بابن لها لا يتكلم وقد بلغ أوان الكلام فأتي بماء فمضمض وغسل يديه ثم أعطاها ﷺ إياه وأمرها أن تسقيه وتمسه به ففعلت ذلك فبرئ وعقل عقلا يفضل عقول الناس ومنها ان بعض الصحابة نبتت في كفه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكا ذلك له ﷺ فما زال صلى الله عليه وسلم يطحنها بكفه الشريفة حتى زالت ولم يبق لها أثر ومنها انه ﷺ أعطى جذلا من الحطب فصار سيفا وقع ذلك لعكاشة بن محصن رضي الله تعالى عنه يوم بدر كما تقدم

من تشريف تختص به الملائكة وهو السجود وأما تعليم آدم الأسماء فقد روى الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي رافع والحاكم من حديث أم حبيبة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلت لي أمتي في الماء والطين وعلمت الأسماء كلها كما علم آدم الأسماء كلها بل هو صلى الله عليه وسلم علم الأسماء والمسميات وحقائقها وخواصها وأسرارها ومنافعها ومضرتها فذات العلوم وحقائقها له صلى الله عليه وسلم (٣٣٢) والذي لآدم من ذلك بالنسبة له صلى الله عليه وسلم الأسماء فقط ولله در الأبوصيري حيث يقول

لك ذات العلوم من عالم الغيـ ـب ومنها لآدم الأسماء

ولا ريب أن المسميات أعلى من الأسماء لأن الأسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهي المقصودة بالذات وإليه الإيماء بقوله لك ذات العلوم والأسماء مقصوده لغيرها وهو المسميات فهي دونها فحصل العالم بحسب وصل معلومه فنبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من آدم عليه السلام وأما ادريس عليه الصلاة والسلام فرفعه الله مكانا عليا وأعطى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع إلى مكان لم يرفع إليه غيره لا رسول ولا ملك وأما نوح عليه الصلاة والسلام فنجاه الله ومن آمن معه من الغرق وأعطى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم انه لم تهلك أمته بعذاب من السماء قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما وأعطي سيدنا محمد ﷺ فمن نظير ذلك وهو اطفاء نار الحرب عنه عليه الصلاة والسلام أي ابطال مكايد الكفار التي كانوا يوقدون بها الحرب وناهيك بنار حطبها السيوف وحرها الحتوف وموقدها الحسد ومطلبها الروح والجسد قال تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله فكم أرادوا أن يطفئوا النور بالنار وأبى الجبار إلا أن يتم نوره وأن يخمد شرورهم ويحفظ لمحمد ﷺ سروره وظهوره وفي المواهب انه صلى الله

ووقع ذلك لعبد الرحمن بن جحش أيضا يوم أحد كما تقدم أي ومنها انقلاب الماء لبنا وزبدا ومنها انه عرضت كدية بالخندق ولم يقدر أحد على إزالة شيء منها فضربها فصارت كثيبا كما تقدم أي ومن إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم ما روى عن النابغة الجعدي رضي الله تعالى عنه قال أنشدت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبياتا منها

فلا خير في حلم إذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له * حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي ﷺ أجدت لا يفضض الله فاك من هذه إشارة الى أسنانه قال النابغة رضي الله تعالى عنه ولقد أتت على نيف ومائة سنة وما ذهب لي سن قيل عاش مائة وثماني عشرة سنة وقيل مائة وثمانين سنة أي كما تقدم وفي لفظ كان من أحسن الناس ثغرا وكان إذا سقطت له سن نبتت له أخرى أي وعلى هذا الأخير فالمراد لا أخلى الله فاك من الأسنان ومن ذلك ان امرأة جاءت بابن لها صغير فقالت يا رسول الله ان ابني هذا جنونا وأنه يأخذه عند غدائنا وعشائنا فيفسد علينا فمسح رسول الله ﷺ رأسه ودعا له فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فشفي ومنها ابراء وجع الضرس فقد جاء ان بعض الصحابة شكا اليه صلى الله عليه وسلم وجع ضرسه فقال له ﷺ ادن مني فوالذي بعثني بالحق لأدعون لك بدعوة لا يدعو بها مؤمن مكروب إلا كشف الله عنه كربه فوضع رسول الله ﷺ يده على الخد الذي فيه الوجع وقال اللهم اذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المبارك المسكين عندك سبع مرات فشفاه الله تعالى قبل أن يبرح هذا ما يتعلق ببعض معجزاته صلى الله عليه وسلم التي يمكن التحدي بها والحمد لله وحده

﴿باب نبذه من خصائصه صلى الله عليه وسلم﴾

أي ما اختص به ﷺ عن سائر الناس من الأنبياء وغيرهم وما اختص به عن غير الأنبياء وفيما اختصت به أمته ﷺ عن سائر الناس من الأنبياء وغيرهم وفيما اشتركت فيه مع الأنبياء دون أممهم لا يخفى أن ذكر خصائصه ﷺ مندوب قال في الروضة ولا يبعد القول بوجوب ذلك ليعرف ولا يتأسى به جاهل في ذلك ثم لا يخفى أن الذي من خصائصه صلى الله عليه وسلم عن سائر الناس إما أن يكون اختص بوجوبه عليه لأن الله علم انه صلى الله عليه وسلم أقوم به وأصبر عليه من غيره ولأن ثواب الفرض أفضل من ثواب النفل غالبا (١) وقد جاء ما تقرب الى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه أو اختص بتحريمه عليه لأن الله علم أنه ﷺ اصبر على تركه ولم يرد فضل تركه أو اختص باباحته له تسهيلا عليه أو اختص باتصافه به لم يرد فضله وشرفه

(١) وجد في نسخة بعد قوله غالبا ومن غير الغالب ابراء المعسر فانه سنة وانظاره واجب وثواب الابراء أفضل والتطهير قبل الوقت سنة وبعد الوقت واجب والأول أفضل وابتداء السلام سنة ورده واجب والأول أفضل اه

عليه وسلم ليلة المعراج مر على بحر النار الذي دون سماء الدنيا مع سلامته منه وروى النسائي ان محمد بن حاطب رضي الله عنه قال كنت طفلا فانصبت القدر على واحترق جلدي كله فحملني أبي وفي رواية أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل عليه الصلاة والسلام في جلدي ومسح بيده على المحترق وقال اذهب البأس رب الناس فصرت صحيحا لا بأس بي ورواه الامام احمد أيضا والبخاري في تاريخه وقد خمدت نار فارس لنبينا صلى الله عليه وسلم وكان لها ألف عام لم تخمد

وروى ابن سعد عن عمرو بن ميمون قال أحرق المشركون عمار بن ياسر رضي الله عنهما بالنار فكان صلى الله عليه وسلم يمر به ويمر يده على رأسه فيقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم وروى أبو نعيم عن عباد ابن عبد الصمد قال أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فقال يا جارية هلمي المائدة نتغدى فأتت بها ثم قال هلمي المنديل فأتت بمنديل وسخ فقال أسجري التنور فاوقدته فامر بالمنديل فطرح فيه فخرج أبيض كأنه اللبن فقلنا ما هذا قال هذا منديل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح به وجهه فاذا اتسخ صنعنا به هكذا لأن النار لا تأكل شيئا مر على وجوه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وقد ألقي غير واحد من أمته صلى الله عليه وسلم في النار فلم تؤثر فيه روى ابن وهب عن ابن لهيعة ان الاسود العنسي لما ادعى النبوة وغلب على صنعاء أخذ ذؤيب بن كليب فالقاه في النار لتصديقه بالنبي ﷺ فلم تضره النار فذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه بالمدينة فقال عمر رضي الله عنه الحمد لله الذي جعل في أمتنا مثل ابراهيم الخليل وروى ابن عساكر ان الاسود بن قيس العنسي بعث الى أبي مسلم الخولاني فأتاه فقال أتشهد أني رسول الله قال ما أسمع قال أتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فاتى بنار عظيمة فالقاه فيها فلم تضره فقيل للاسود ان لم تنف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك فامره بالرحيل فقدم المدينة وقد قبض النبي صلى الله

فمن القسم الأول صلاة الضحى أي ما هو أقلها وهو ركعتان وركعتا الفجر وصلاة الوتر قال صلى الله عليه وسلم ثلاث على فرائض ولكم تطوع الوتر وركعتا الفجر وركعتا الضحى أي وفي الامتاع ان هذا الحديث ضعيف من جميع طرقه ومع ذلك ففي ثبوت خصوصية هذه الثلاثة برسول الله ﷺ نظر فان الذي ينبغي ولا يعدل عنه الى غيره ان لا تثبت خصوصيته الا بدليل صحيح وفي البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها ما سبح رسول الله ﷺ سبحة الضحى قط واني لأسبحها وفي الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها وهذا يدل بظاهره ويقتضي عدم الوجوب اذ لو كانت واجبة في حقه صلى الله عليه وسلم لكان مداومته عليها أشهر من أن تخفى هذا كلامه وفيه أنه صلى الله عليه وسلم لما صلى الضحى يوم الفتح في بيت أم هانىء واظب عليها الى أن مات وأنه ﷺ صلى ثمان ركعات وجاء في حديث مرسل كان صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين وأربعا وستا وثمانيا وهل المراد بالوتر أقله أو أكثره أو أدنى كماله والسواك قال في الامتاع وهل هو بالنسبة الى الصلاة المفروضة أو في كل الاحوال المؤكدة في حقنا أو فيما هو أعم من ذلك وغسل الجمعة والاضحية واستدل لوجوبهما بقوله تعالى ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي الى قوله وبذلك أمرت قال في الامتاع والامر على الوجوب هذا كلامه وفيه نظر لأن أمره للوجوب والندب والذي للوجوب انما هو صيغة أفعل قال في الامتاع ان الآمدي وابن الحاجب رحمهما الله عدا ركعتي الفجر من خصائصه صلى الله عليه وسلم ولا سلف لهما في ذلك الاحاديث ضعيف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما واعترض كون الوتر واجبا عليه ﷺ بانه صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين صلاه على البعير اذ لو كان واجبا لما صلاه على الراحلة وأجاب النووي رحمه الله بان جواز هذا الواجب على الراحلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وأجاب القرافي المالكي رحمه الله بان الوتر لم يكن واجبا عليه ﷺ إلا في الحضر ووافقه على ذلك من أئمتنا الحليمي والعز بن عبد السلام والعقيقة وانه صلى الله عليه وسلم يجب عليه أن يؤدي فرض الصلاة كاملة لا خلل فيها وانه يجب عليه ﷺ ان يصلي في كل يوم وليلة خمسين صلاة على وفق ما كان في ليلة الاسراء كذا في الخصائص الصغرى للسيوطي والمشاورة في أمر الدين والدنيا الذي في الاحكام من الامور الاجتهادية وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ما رأيت أحدا أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لما نزلت هذه الآية وشاورهم في الأمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله غنيان عنها ولكن جعلها الله رحمة في أمتي فمن شاورهم لم يعدم رشدا ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غيا وقد قيل الاستشارة حصن من الندامة ومصابرة العدو وان كثر وفي الحاوي للماوردي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا بارز رجلا لا ينفك عنه قبل قتله هذا كلامه ولم أقف على أنه ﷺ بارز أحدا وقضاء دين من مات معسرا من المسلمين واداء الجنايات والكفارات عن من لزمته وهو معسر وتخيير

عليه وسلم واستحلف أبو بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر الحمد لله الذي ابقاني حتى أراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من صنع به كما
صنع بابراهيم عليه الصلاة والسلام وامامًا أعطيه ابراهيم عليه السلام من مقام الخلة فقد أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد بمقام
المحبة ومما أعطيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام انفراده في الأرض بعبادة الله وتوحيده والانتصاب للاصنام بالكسر والقسر وقد
أعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (٣٣٤) كسرها بمحضر من أولى نصرها عام الفتح وهم أذلاء لا يستطيعون نصرها وكان
كسرها بقضيب ليس مما يكسر الا بقوة ربانية ومادة الهية احترازًا فيها بالانفاس عن الناس وما عول على المعول ولا عرض في القول بل قال جهرًا غير سر جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد دخل صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت رواه الشيخان وتقدم بسط ذلك ومما أعطيه الخليل عليه السلام بناء البيت الحرام الذي بوأه الله له ولا خفاء ان البيت جسد وروحه الحجر الاسود بل هو سويداء القلب بل جاء انه يمين الرب وذلك على التمثيل ولله المثل الاعلى روى الديلمي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله ومسحه كناية عن استلامه كما تستلم الايمان
بفتح الهمزة جمع يمين وهو العضو المخصوص عند عقد العهود والمعنى انه يستلم باليد كما يستلم رسول
من أراد عهدا أو يمينا بين صاحبه عند المعاهدة والحلف كما كانت عادتهم وقد أعطى الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ان
وضعه بيده كما تقدم قبيل باب ما جاء في شأنه عن أحبار اليهود وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة السلام من قلب العصا حية غير ناطقة
فقد أعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حنين الجذع وقدمت قصته مفصلة وكذا مشي الاشجار بين يديه وتكليمها له فان ذلك أعجب

شأنه صلى الله عليه وسلم بين الدنيا والآخرة أي بين زينة الدنيا ومفارقته وبين اختيار الآخرة
والبقاء في عصمته وان من اختارت الدنيا يفارقها ومن اختارت الآخرة يمسكها ولا يفارقها أي لأن
الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها
فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد
للمحسنات منكن أجرًا عظيما قيل اختلف سلف هذه الأمة في سبب نزول هذه الآية على تسعة أقوال
فقد قيل نزلت لما طلبن منه صلى الله عليه وسلم زيادة في النفقة فاعتزلهن شهرا ثم أمر بتخييرهن فيما
ذكر كما تقدم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال جاء أبو بكر رضي الله تعالى عنه يستأذن على النبي
صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لهم قال فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن
فأذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه أي فسألنه النفقة وهو واجم ساكت
لا يتكلم فقال عمر رضي الله تعالى عنه لأقولن شيئا أضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله لو رأيت فلانة يعني زوجته سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم
وقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر رضي الله تعالى عنه الى عائشة فوجأ عنقها وقام
عمر رضي الله تعالى عنه الى حفصة فوجأ عنقها وكل يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس
عنده ثم أقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يجتمع بهن شهرا وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه ذكر
ان بعض أصدقائه من الانصار جاء اليه ليلا ودق عليه بابه وناداه قال عمر فخرجت اليه فقال حدث أمر
عظيم فقلت ماذا أجاءت غسان لأنا كنا حدثنا أن غسان تنعل الخيل لغزونا فقال لا بل أعظم من
ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت كنت أظن هذا كائنا
حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ودخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري هو هذا معتزلا في هذه المشربة أي لأن نساءه صلى الله عليه وسلم
لما اجتمعن عليه في طلب النفقة أقسم ان لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن قال عمر
رضي الله تعالى عنه لأقولن من الكلام شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فأتيت غلاما له
أسود فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت
المسجد فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الي فقال قد
ذكرتك له فصمت فلما كان في المرة الرابعة وقال لي مثل ذلك وليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال
أدخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على رمل حصير
قد أثر في جنبه فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك قال فرفع رأسه الي وقال لا فقلت الله أكبر ثم قلت
كنا معاشر قريش بمكة نغلب على النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق
نساؤنا يتعلمن منهن فكلمت فلانة يعني زوجته فراجعتني فأنكرت عليها فقالت تنكر على
ان أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لتراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل
فقلت قد خاب من فعل ذلك وخسر أفتأمن احداهن ان يغضب الله عليها بغضب زوجها فتبسم

من العصا ولما أراد أبو جهل ان يرميه عليه الصلاة والسلام بالحجر رأى عند كتفيه صلى الله عليه وسلم ثعبانين فانصرف مرعوبا كما انصرف فرعون مرعوبا عند القاء العصا وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من اليد البيضاء النورانية من غير سوء أى برص فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم يزل نورا ينتقل فى أصلاب الآباء و بطون الامهات من لدن آدم الى ان انتقل الى عبدالله أبيه ثم منه الى أمه آمنة وكان نبينا طاهرا فى جباههم وتقدم تفصيل ذلك وأعطى النبي صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وقد صلى العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج رواه أبو نعيم والامام أحمد والطبرانى وأخرج البيهقى وصححه الحاكم عن أنس رضي الله عنه قال كان عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضى الله عنهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة فتحدثا عنده حتى ذهب من الليل ساعة فى ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا فى ضوئها اكراما لهما ببركة نبيهما صلى الله عليه وسلم حتى اذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ مقصده رواه البخارى وغيره وأخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى وأبو نعيم عن حمزة ابن عمرو الاسلمى رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلماء فأضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم أى ركابهم وما سقط من متاعهم وان أصابعى لتنير أى تضيء ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام أيضا انفلاق البحر وأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر فهو نظير انفلاق البحر بل أعظم فموسى تصرف فى عالم الارض بضرب به البحر بعصاه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وذهبت الى حفصة فقلت أتراجعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم وتهجره احدانا اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أتأمن احداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراجعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسأليه شيئا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كان جارتك أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك يعنى عائشة فتبسم أخرى فقلت أستأنس يا رسول الله قال نعم فجلست وقلت يا رسول الله قد أثر فى جنبك رمل هذا الحصير وفارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون فاستوى جالسا وقال أفى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت أستغفر الله يا رسول الله () فلما مضى تسع وعشرون يوما أنزل الله تعالى عليه أن يخير نساءه فى قوله تعالى يا أيها النبى قل لأزواجك الآية فنزل ودخل على عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت له يا رسول الله أقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وقد دخلت وقد مضى تسع وعشرون يوما أعدهن قال ان الشهر تسع وعشرون وفى رواية يكون هكذا وهكذا وهكذا يشير بأصابع يديه وفى الثالثة حبس ابهامه ثم قال يا عائشة انى ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك فقالت وما هو يا رسول الله فقرأ يا أيها النبى قل لازواجك الآية قالت أفى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفى رواية أفيك الله يا رسول الله أستشير أبوى بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت ثم قلت له لا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألنى امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يبعثنى متعنتا ولكن بعثنى معلما ميسرا ثم فعل أزواجه صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت عائشة رضى الله تعالى عنهن وقد ذكر الاقوال التسعة فى الامتاع وذكر فيه ان التخيير كان بعد فتح مكة لان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يقدم المدينة الا بعد الفتح مع أبيه العباس رضى الله تعالى عنهما وذكر أنه حضر الواقعة * ومن القسم الثانى تحريم أكل الصدقة واجبة أو مندوبة وكذا الكفارة والمنذورة والموقوف عليه الا على جهة عامة كالآبار الموقوفة على المسلمين ويشاركه فى الصدقة الواجبة آله دون صدقة التطوع على الجهة الخاصة دون الجهة العامة والصدقة الواجبة هى المعنية بقوله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لا تنبغى لآل محمد انما هى أوساخ الناس ولما سأله عمه العباس رضى الله تعالى عنه ان يستعمله على الصدقات قال صلى الله عليه وسلم ما كنت لاستعملك على غسالات ذنوب الناس ولما أخذ الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما تمرة من تمر الصدقة ووضعها فى فيه قال له النبى صلى الله عليه وسلم كخ كخ ارم بها أما علمت انا لا نأكل الصدقة وفى رواية إنا آل محمد لا نأكل الصدقة واختلف علماء السلف هل الانبياء عليهم الصلاة والسلام تشارك النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك فذهب الحسن رحمه الله تعالى الى ان الانبياء تشاركه فى ذلك وذهب سفيان بن عيينة الى اختصاصه بذلك دونهم وان يعطى شيئا لاجل أن يأخذ شيئا أكثر منه وان يتعلم الكتابة أو الشعر وانشاءه وروايته لا التمثل به وأنه اذا لبس لأمته للقتال لا يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه

فانفلق وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تصرف في عالم السماء لما سأل الله انشقاق القمر حين طلبوه منه والفرق بينهما واضح فاذا عرضت الآيتين على العقول حق العرض سمت آية السماء على آية الارض وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف تكون بحار الارض بالنسبة اليه كالقطرة فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء حتى جاوزه وهو أعظم من انفلاق

البحر لموسى عليه السلام لان بحار الارض قد يقع فيها زوال الماء في مواضع منها بحيث يمكن المشي في الارض التي تحتها والبحر الذي بين السماء والارض لا مقر له من الارض حتى يسلك فيه بل هو على صفة الله أعلم بها ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام اجابة دعائه في قوله رب شرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي الآية قال تعالى قد أوتيت سؤلك ياموسى وقال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم قال الله تعالى قد أجيبت دعوتكما وأعطي نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك أعني اجابة الدعاء مالا يحصر كما تقدم كثير من ذلك ومما اعطيه موسى عليه الصلاة والسلام تفجير الماء له من الحجارة كما قال تعالى واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وأعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان الماء تفجر من بين أصابعه وهذا أبلغ في المعجزة لان الحجر من جنس الارض التي ينبع الماء منها بل قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ولم تجر العادة بنبع الماء من اللحم بل لم يقع لغير المصطفى صلى الله عليه وسلم ورحم الله القائل وكل معجزة للرسل قد سلفت * وافى بأعجب منها عند اظهار فما العصا حية تسعى بأعجب من * شكوى البعير ولا من مشي أشجار ولا انفجار معين الماء من حجر * أشد من سلسل من كفه جار

وهذا الاخير مما شاركه فيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وخائنة الاعين وهي الايماء الى مباح من قتل أو ضرب على خلاف ما يظهر كما تقدم وامساك من كرهته ونكاح الكتابية قيل والتسري بها والراجح خلافه ونكاح الامة المسلمة لانه لا يخشى العنت أي الزنا ومن القسم الثالث القبلة في الصوم مع وجود الشهوة فقد كان صلى الله عليه وسلم يقبل عائشة رضى الله تعالى عنها وهو صائم ويمص لسانها ولعله صلى الله عليه وسلم لم يكن يبلع ريقها المختلط بريقه والخلوة بالاجنبية وانه صلى الله عليه وسلم اذا رغب في امرأة خلية كان له أن يدخل بها من غير لفظ نكاح أو هبة ومن غير ولي ولا شهود كما وقع له صلى الله عليه وسلم في زينب بنت جحش رضى الله تعالى عنها كما تقدم ومن غير رضاها وانه اذا رغب في امرأة متزوجة يجب على زوجها أن يطلقها له صلى الله عليه وسلم وانه اذا رغب في أمة وجب على سيدها ان يهبها له وله ان يزوج المرأة لمن يشاء بغير رضاها وله ان يتزوج في حال احرامه ومن ذلك نكاح ميمونة على ما تقدم وان يصطفي من الغنيمة ما شاء قبل القسمة من جارية أو غيرها ومن صفاياه صلى الله عليه وسلم صفية وذو الفقار كما تقدم وان يتزوج من غير مهر كما وقع لصفية رضى الله تعالى عنها وقد قال المحققون معنى ما في البخاري وغيره أنه صلى الله عليه وسلم جعل عتقها صداقها انه صلى الله عليه وسلم أعتقها بلا عوض وتزوجها بلا مهر فقول أنس رضي الله تعالى عنه امهرها نفسها معناه انه لما لم يصدقها شيئا كان العتق كأنه المهر وان لم يكن في الحقيقة كذلك وان يدخل مكة بغير احرام اتفاقا وان يقضي بعلمه ولو في حدود الله تعالى قال القرطبي في تفسيره أجمع العلماء على انه ليس لاحد أن يقضي بعلمه الا النبي صلى الله عليه وسلم قال الجلال السيوطي في الخصائص الصغرى وجمع له صلى الله عليه وسلم بين الحكم بالظاهر والباطن معا وجمعت له الشريعة والحقيقة ولم يكن للانبياء الا احداهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما الصلاة والسلام وقوله إني على علم لا ينبغي لك ان تعلمه وأنت على علم لا ينبغي لي ان أعلمه هذا كلامه وكتب عليه الشهاب القسطلاني رحمه الله هذه غفلة كبيرة وجراءة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ يلزم منه خلو بعض أهل العزم عليهم الصلاة والسلام من علم الحقيقة الذي لا يجوز خلو بعض آحاد الأولياء عنه واخلاء الخضر بل بقية بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن علم الشريعة وأعجب من ذلك انه بين له وجه الخطأ فأجاب بقوله مرادي الجمع بين الحكم والقضاء هذا كلامه (وأقول) ذكر السيوطي في كتابه الباهر في حكم النبي بالباطن والظاهر هل يقول مسلم ان الذي خص به نبينا صلى الله عليه وسلم أي عن سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام يورث نقصا في حق سائر الانبياء معاذ الله وكل مسلم يعتقد أن نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر الانبياء على الاطلاق وذلك لا يورث نقصا في حق أحد منهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا الاعتراض كان لا يحتاج الى جواب عنه لكن خشيت ان يسمعه جاهل فيؤديه ذلك الى انكار خصائص النبي صلى الله عليه وسلم التي فضل بها على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام توهما منه ان ذلك يورث نقصا فيهم فيقع والعياذ بالله في الكفر والزندقة هذا كلامه ومما حكم فيه بالظاهر والباطن معا قوله صلى الله عليه وسلم في ولد وليدة زمعة والد سودة أم المؤمنين رضى الله

تعالى

تعالى عنها لما اختصم فيه سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه وعبد بن زمعة فقال سعد يارسول الله هذا ابن أخي عهد إلي انه ابنه أنظر إلى شبهه به وقال عبد بن زمعة هذا أخي ولد على فراش أبي من وليدته فنظر رسول الله ﷺ إلى شبهه فرأى شبها بينا بعتبة ثم قال هو لك ياعبد الولد للفراش واحتجبي منه ياسوده بنت زمعة زاد في رواية فليس لك بأخ فقد جعله صلى الله عليه وسلم أخا لسوده عملا بظاهر الشرع ونفى اخوته عنها بمقتضى الباطن فقد حكم في هذه القصة بالظاهر والباطن معا وأما حكمه ﷺ بالباطن فقد جاء في أمور متكثرة من ذلك قتله الحرث بن سويد بقتله المجذر بن زياد غيلة من غير دعوى وارث ولا قيام بينة ولا قبل الدية كما تقدم ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل مات أخوه ان أخاك محبوس بدينه فاقض عنه فقال يارسول الله قد أديت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة وليس لها بينة قال أعطها فانها محقة ومن ذلك ان امرأة جاءت إلى أخرى وقالت لها فلانة تستعيرك حليك وهي كاذبة فاعارتها إياه فبعد مدة جاءت المرأة تطلب حليها فقالت لم أطلب حليك فجاءت المرأة التي أخذته وأنكرت أخذه فجاءت النبي ﷺ وأخبرته القصة فدعاها فقالت والذي بعثك بالحق ما استعرت منها شيئا فقال صلى الله عليه وسلم اذهبوا فخذوه من تحت فراشها فأخذوه وأمر بها فقطعت وان يقضي لنفسه ولولده وان يشهد لنفسه ولولده وأن يقبل الهدية ممن يريد الحكومة عنده وان يقضي في حال غضبه وان يقطع الأرض قبل أن يفتحها * ومما شاركه فيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في هذا القسم انه صلى الله عليه وسلم أن يصلي بعد نومه غير متمكن أي في النوم الذي تنام فيه عينه وقلبه بناء على انه ﷺ كان له نومان وحينئذ يكون قوله نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا المراد به غالبا إذ يبعد أن يكون بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس لهم إلا نوم واحد وله ﷺ نومان واباحة ترك اخراج زكاة المال لانه كبقية الأنبياء لا ملك لهم مع الله وما في أيديهم من المال وديعة لله عندهم يبذلونه في محله ويمنعونه في غير محله ولان الزكاة طهرة وهم مبرؤن من الدنس كذا في الخصائص الصغرى نقلا عن سيدي الشيخ تاج الدين بن عطاء الله وفيها بعد ذلك انه ﷺ اختص بان ماله باق بعد موته على ملكه ينفق منه على أهله في أحد الوجهين وصححه امام الحرمين والذي صححه النووي الوجه الآخر وهو خروجه عن ملكه لكنه صدقة على المسلمين لا يختص به الورثة وما قاله ابن عطاء الله بناه على مذهب امامه سيدنا مالك ومذهب الشافعي رحمه الله تعالى خلافه وفي الخصائص الصغرى قبل هذا وذكر مالك رضي الله تعالى عنه من خصائصه ﷺ أنه كان لا يملك الأموال إنما كان له التصرف وأخذ قدر كفايته وعند الشافعي رضي الله تعالى عنه وغيره انه يملك هذا كلام الخصائص * ومن القسم الرابع انه صلى الله عليه وسلم أول من أخذ عليه الميثاق يوم ألست بربكم وأنه أول من قال بلى أي وانه خص بالبسملة وفيه ما تقدم ان ذلك على وجه وان الأصح خلافه لما في القرآن في سورة النمل وفي المرفوع انزل علي آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم وجاء بسم الله فاتحة كل

ومما اعطيه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام الكلام وأعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو والتدلي والقرب المعنوي مع الرؤية التي منعها موسى عليه السلام وأما ما اعطيه هرون عليه الصلاة والسلام من فصاحة اللسان فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل وتقدم تفصيل ذلك وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام من شطر الحسن فقد اعطي نبينا صلى الله عليه وسلم

الحسن كله ومن تأمل ما تقدم في نعوته وشمائله صلى الله عليه وسلم تبين له التفضيل لنبينا صلى الله عليه وسلم على كل مشهور بالحسن في كل جيل وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام أيضا من تعبير الرؤيا فالذي نقل عنه من ذلك نزر يسير بالنسبة لما أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك لانه أعطي من ذلك ما لا يدخله الحصر ومن تصفح الاخبار وتتبع الآثار وجد من ذلك العجب العجاب وأما ما أعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد فكان في يده كالعجين والشمع يصرفه كيف شاء من غير احماء ولا طرق بآلة ولا قوة فأعطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر في يده وأورق ومسح صلى الله عليه وسلم شاة أم معبد الجرباء الهزيلة فدرت وقد تقدمت قصتها وأما ما أعطيه سليمان عليه الصلاة والسلام من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والملك فقد أعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وزيادة أما كلام الطير والوحش فنبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح في كفه الحصى حتى سمعه الحاضرون وتكليم الجماد أغرب من تكليم الحيوان وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم تفصيل ذلك وذلك أقوى في الاعجاز وأبلغ من احياء الانسان لانه جزء حيوان دون بقيته فهو معجزة لو كان متصلا بالبدن فكيف وقد أحياه الله وحده منفصلا عن بقيته مع موت

القبة فصار الجذع حيا قادرا على النطق ولم يكن حيوانه يتكلم وهو أبلغ من احياء الموتى لعيسى عليه السلام واحياء الطيور لابراهيم عليه السلام وكذلك كلمه الظبي والضب وشكا اليه البعير وتقدم كل ذلك مفصلا وروى ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فقال أيكم فجع هذا بولده فقال رجل أنا فقال اردده رواه أبو داود والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه وقصة كلام الذئب مشهورة وقد تقدمت وأما الريح التي سخرها الله لسليمان عليه السلام فكان غدوها شهرا ورواحها شهرا وكانت تحمله أينما أراد من أقطار الأرض فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم البراق الذي هو أسرع من الريح بل أسرع من البرق الخاطف فحمله من الفرش إلى العرش في ساعة زمانية وأقل مسافة ذلك سبعة آلاف سنة وتلك مسافة السموات واما إلى المستوى والرفرف فذلك مالا يعلمه إلا الله وهذا كله بناء على ان العروج إلى السموات كان على البراق والذى اختاره السيوطى ان العروج كان على المعراج الذى تعرج عليه أرواح بنى آدم والاسراء على البراق إنما كان لبيت المقدس وأيضا فالريح سخرت لسليمان عليه السلام لتحمله لنواحى الأرض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الأرض حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى إلى الارض ومن تسعى اليه الأرض وأما ما أعطيه من تسخير الشياطين فقد روى ان أبا الشياطين ألف ابليس اعترض سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة فأمكنه الله منه وربطه بسارية من سوارى المسجد وهذا أمكن ومما زاد به صلى الله عليه وسلم على سليمان إيمان الجن به صلى الله عليه وسلم فسليمان عليه السلام استخدمهم ولم يؤمنوا به والنبى ﷺ استسلمهم ولا شىء أعلى من الاسلام وأما عد الجن والطير من جنود سليمان عليه السلام فى قوله تعالى وحشر لسليمان

كتاب وفيه الانجيل من حملها وهو كتاب عيسى ابن مريم وهو بعد سليمان عليهما السلام وقد ورد مثل ذلك عند الكلام على أوائل البعث وبفاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة آمن الرسول إلى ختامها وآية الكرسى أعطيها من كنز تحت العرش وكذا الفاتحة والكوثر وقد جاء أربع نزلت من كنز تحت العرش لم ينزل منه شىء غيرهن أم الكتاب وآية الكرسى وخواتيم سورة البقرة والكوثر وذكر الجلال السيوطى رحمه الله فى الخصائص الصغرى ان مما خص به انه أعطى من كنز تحت العرش ولم يعط منه أحد غيره والسبع الطوال والمفصل وان دار هجرته التى هى المدينة آخر الديار خرابا وأن جميع ما فى الكون خلق لاجله وانه تعالى كتب اسمه على العرش وعلى كل سماء وما فيها كما تقدم وعلى بعض الاحجار وورق الأشجار وبعض الحيوانات كما تقدم قال بعضهم بل وعلى سائر ما فى الملكوت وذكر الملائكة له صلى الله عليه وسلم فى كل ساعة وذكر اسمه ﷺ فى الاذان فى عهد آدم والملكوت الاعلى كما تقدم ومما اختص به صلى الله عليه وسلم عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام أنه يحرم نكاح أزواجه ﷺ بعد موته حتى على الانبياء بخلاف زوجات الانبياء بعد موتهم لا يحرم نكاحهن على المؤمنين قال شيخنا الشمس الرملى والاقرب عدم حرمتهن على الاتقياء من أممهم وفيه انه إذا لم يحرمن على آحاد المؤمنين فعلى الاتقياء بطريق الأولى إلا أن يقال الفرق ممكن يدل عليه قوله والاقرب والاوجه انما يتوقف فيه على النقل وقيل ومن ذلك انه يجب على أزواجه صلى الله عليه وسلم من بعده الجلوس فى بيوتهن ويحرم عليهن الخروج منها ولو لحج أو عمرة والراجح خلاف ذلك فقد حججن مع عمر رضى الله تعالى عنه وعليهن الاسودة وزينب خرجن فى الهوادج عليهن الطيالسة الخضر وعثمان رضى الله تعالى عنه يسير أمامهن يقول لمن أراد أن يمر عليهن اليك اليك وعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه خلفهن يقول لمن أراد أن يمر عليهن مثل ذلك ولا ترى هوادجهن إلا مد البصر ولما ولى عثمان رضى الله تعالى عنه حج بهن أيضا الا سودة وزينب وانه يحرم أيضا رؤية أشخاصهن وجاز له صلى الله عليه وسلم فى الازر وسؤالهن مشافهة أى من غير حجاب ولا يجوز كشف وجوههن لشهادة بلا خلاف وان الله سبحانه وتعالى أخذ الميثاق على سائر النبيين آدم فمن بعده أن يؤمنوا به ﷺ وينصروه ان أدركوه وان يأخذوا العهد على أممهم بذلك كما تقدم وانه صلى الله عليه وسلم يحشر على البراق فقد جاء يبعث الانبياء عليهم الصلاة والسلام على الدواب ويبعث صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة رضى الله تعالى عنهم على ناقته العضباء والقصوى ويبعث بلال رضى الله تعالى عنه على ناقة من نوق الجنة وان فى كل يوم ينزل على قبره الشريف ﷺ سبعون ألف ملك يضربونه بأجنحتهم ويحفون به ويستغفرون له ويصلون عليه إلى أن يمسوا عرجوا وهبط سبعون ألف ملك كذلك حتى يصبحون لا يعودون إلى أن تقوم الساعة وانه شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم عند ابتداء الوحى وانه تكرر له ذلك خمس مرات على ما تقدم وان خاتم النبوة بظهره بازاء قلبه حيث يدخل الشيطان لغيره وخاتم الأنبياء كلهم عليهم الصلاة والسلام كان فى يمينهم كما تقدم وتقدم ما فيه وان له ﷺ

جنوده من الجن والانس والطير يخبر منه عدا الملائكة جبريل ومن معه في حمله أجناده باعتبار الجهاد في بدر العظمى وباعتبار تكثير السواد في غيرها لإرهاب العدو على طريقة الآحاد وتعشيش حمامة الغار وتوكيرها في الساعة الواحدة وحمايتهما له من عدوه اذ الغرض من استكثار الجند إنما هو الحماية من الأعداء وقد حصلت حمايته صلى الله عليه وسلم منهم بذلك التعشيش وأما ما أعطيه سليمان عليه السلام من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير بالاطلاب بين أن (٢٣٩) يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار

ألف اسم ونقل عن تفسير الفخر الرازي أن له صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف اسم وأنه صلى الله عليه وسلم تسمى من أسماء الله تعالى بنحو سبعين اسما وأنه صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام على الصورة التي خلق عليها مرتين كما تقدم وغيره من يره كذلك وأنه عليه الصلاة والسلام يحكم بالظاهر والباطن كما تقدم وأنه صلى الله عليه وسلم أحلت له مكة ساعة من نهار وأنه حرم ما بين لابتي المدينة كما تقدم وأنه لم ترعورته قط وان من رآها طمست عيناه كما تقدم وأنه إذا مشى في الشمس أو في القمر لا يكون له صلى الله عليه وسلم ظل لأنه كان نورا وأنه إذا وقع شيء من شعره في النار لا يحترق وان وطأه أثر في الصخر على ما تقدم وإنما الذباب لا يقع على ثيابه فضلا عن جسده الشريف ولا يمتص نحو البعوض والقمل دمه كما تقدم وهذا لا ينافي كون القمل يكون في ثوبه ومن ثم قد كان صلى الله عليه وسلم يفلي ثوبه وأن عرقه أطيب من ريح المسك كما تقدم وكان صلى الله عليه وسلم إذا ركب دابة لا تبول ولا تروث وهو راكبها ولو بني مسجده إلى صنعاء اليمن كان مسجده أي في المضاعفة خلافا لجمع منهم ابن حجر الهيتمي وقد قال الحافظ السيوطي نص العلماء على أن المسجدين أي المكي والمدني ولو وسعا لم تختلف أحكامهما الثابتة لهما وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال لو مد مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذي الحليفة لكان منه فهذا الأثر مصرح أن أحكام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابتة له فالزيادة لا تمنع استمرار الحكم وتقدم ما في ذلك وأنه يجب على أمته صلى الله عليه وسلم ان تصلي وتسلم عليه في التشهد الأخير وعند كل ما يذكر عند بعضهم وأن القمر شق له صلى الله عليه وسلم كما تقدم وأن الحجر والشجر سلما عليه صلى الله عليه وسلم وشهادة الشجر له صلى الله عليه وسلم بالنبوة وإجابتها دعوته وكلام الصبيان المراضع وشهادتهم له بالنبوة كما تقدم وأن الجذع اليابس حن اليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم وأنه صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة الانس والجن اجماعا معلوما من الدين بالضرورة فيكفر جاحد ذلك وقد يتوقف في كفر العامي بجحد رسالته صلى الله عليه وسلم للجن وعلى الملائكة ما هو الراجح كما تقدم قال بعضهم والقول بتفضيله مبني على تفضيل الملائكة على الأنبياء وهو قول مرجوح ذهب اليه المعتزلة والفلاسفة وجماعة من أهل السنة الاشاعرة واستدلوا بأمور كلها مردودة وتقدم عن البارزي رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم أرسل الى الحيوانات والجمادات لكن استدل له بشهادة الضب والشجر له بالرسالة صلى الله عليه وسلم وقد يتوقف في الاستدلال بذلك وتقدم عن الحافظ السيوطي رحمه الله أنه صلى الله عليه وسلم أرسل لنفسه وتقدم الفرق بين عموم رسالته عليه الصلاة والسلام وعموم رسالة نوح صلى الله عليه وسلم وأنه صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للبر والفاجر ورحمة للكفار بتأخير العذاب وعدم معاجلتهم العقوبة نحو الخسف والمسخ والغرق كسائر الأمم المكذبة كما تقدم وأن الله تعالى لم يخاطبه باسمه كما خاطب غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بل خاطبه صلى الله عليه وسلم بيا أيها النبي يا أيها الرسول يا أيها المدثر يا أيها المزمل وقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا زكريا يا يحيى يا عيسى وأن الله أقسم بحياته صلى الله

صلى الله عليه وسلم أن يكون نبيا عبدا ولله در القائل

يا خير عبد على كل الملوك ولي *

أي حصلت له الولاية عليهم وكفى بذلك شرفا وأما ما أعطيه عيسى عليه الصلاة والسلام من ابراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى باذن الله فقد أعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنه رد العين لقتادة رضي الله عنه إلى مكانها بعد ما سقطت وعادت أحسن ما كانت وروى أن امرأة معاذ بن عفراء رضي الله عنه كانت برصاء وشكت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بعصا وأذهب الله عنها البرص ولم يمسها بيده لأنها أجنبية وتقدم تسابيح الحصى في كفه وسلام الحجر عليه وحنين الجذع لفراقه وذلك أبلغ من تكليم الموتى لأن هذا من جنس ما لا يتكلم لحلول الحياة والادراك والعقل

في الحجر الذي كان يخاطبه صلى الله عليه وسلم أبلغ من حياة الحيوان لأنه كان محلا للحياة في وقت بخلاف الحجر لا حياة فيه قبل ذلك بالكلية قال أبو نعيم وبطير حلق الطين طير أجمل العسيب سيفا كما تقدم وفي دلائل النبوة للبيهقي قصة الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أرني قبرها فأراه اياه فأتاه وقال يا فلانة فقالت لبيك وسعديك وتقدمت القصة بتمامها والحاصل أن النبي صلى الله عليه وسلم شارك عيسى في إبراء الأكمه والأبرص واحياء الموتى وزاد

بتكليم الجماد له واحياء الجزء من الميت بعد انفصاله كما في كلام دراع الشاة المسمومة ولم يعهد مثله لغيره صلى الله عليه وسلم وأما نزول المائدة فكانت محنة لبنى اسرائيل لا نعمة ولذلك لعنوا بسببها لما كفروا بها وعلى تقدير الكرامة فهى اجابة دعوة لعيسى عليه السلام ونظير ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم اجابته حين خفت أزواد القوم فجمعها فكانت كربضة العنز ولاخفاء أنه طعام أقل من العشرة فدعا بالبركة فملأ الناس

أوعيتهم والطعام بحاله وهم زهاء ألف ونيف فهذه مائدة نزلت من السماء وطعام مبارك قال الله له كن فكان بدون تهديد ولا وعيد ولا تشديد ولا محنة ولا فتنة ولا سد باب التوبة بتقدير كفران النعمة بل كانت نعمة محضة وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رجل أهله ورأى ما بهم من الحاجة فخرج إلى البرية يلتمس شيئا فقالت امرأته اللهم ارزقنا ما نعجن ونخبز فاذا الجفنة ملأى خميرا والرحى تطحن والتنور مملوء شواء فجاء زوجها وسمع الرحى فقامت اليه لتفتح له الباب وقال ماذا كنت تطحنين فأخبرته وان رحاها لتدور وتصب دقيقا فلم يبق في البيت وعاء الا ملىء فرفع الرحى وكنس ما حولها فذكر ذلك لرسول الله ﷺ قال ما فعلت بالرحى قال رفعتها ونفضتها فقال ﷺ لو تركتموها ما زالت كما هي لكم في حياتكم وفي رواية لو تركتموها لدارت إلى يوم القيامة وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من أنه كان يعرف ما تخفيه الناس في بيوتهم كما قال تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أي بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد فقد أعطى نبينا ﷺ من ذلك ما لا يحصى وتقدم جملة من أخباره بالمغيبات وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من رفعه الى السماء وهو حي فقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة المعراج وزاد في الترقي لمزيد الدرجات وسماع المناجاة

وسلم قال تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وروى ابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ما حلف الله تعالى بحياة أحد إلا بحياة محمد صلى الله عليه وسلم وأقسم الله على رسالته بقوله يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين وأن اسرافيل عليه السلام أهبط اليه صلى الله عليه وسلم ولم يهبط إلى نبي قبله كما تقدم وأنه صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق على الله وأنه يحرم نكاح موطوآته صلى الله عليه وسلم من الزوجات والسراري إلا من باعه أو وهبه من السراري في حياته ان فرض ذلك وذهب الماوردي إلى تحريمها وفي كلام بعضهم وتحرم زوجاته صلى الله عليه وسلم على غيره ولو قبل الدخول ولو مختاره للفراق خلافا لما في الشرح الصغير للرافعي من حل المختاره للفراق وأنه يحرم التزوج على بناته صلى الله عليه وسلم وقيل على فاطمة خاصة رضي الله تعالى عنها وأما التسري عليهن فلم أقف على حكمه وما علل به منع التزوج عليهن حاصل في التسري إلا أن يفرق وأوتي صلى الله عليه وسلم قوة أربعين رجلا من أهل الجنة في الجماع وقوة الرجل من أهل الجنة كمائة من أهل الدنيا فيكون أعطي صلى الله عليه وسلم قوة أربعة آلاف رجل وسليمان صلوات الله وسلامه عليه أعطي قوة مائة رجل وقيل ألف رجل أي من رجال الدنيا وان فضلاته صلى الله عليه وسلم طاهرة كما تقدم وانه كان له صلى الله عليه وسلم أن يخص من شاء بما شاء من الأحكام كجعله شهادة خزيمة شهادة رجلين لأن النبي صلى الله عليه وسلم ابتاع فرسا من اعرابي فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم ليقضيه ثمن فرسه فأسرع النبي صلى الله عليه وسلم وتباطأ الاعرابي والفرس معه فساومه في الفرس رجال لا يعرفون أن النبي صلى الله عليه وسلم اشتراه بزيادة عما اشتراه به ﷺ فقال الاعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت مبتاعا لهذا الفرس فابتعه وإلا بعته فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقد سمع نداء الاعرابي أو ليس قد ابتعته منك فقال الاعرابي لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلى قد ابتعته منك فقال الاعرابي شاهدان يشهدان اني بعتك فلما سمع خزيمة رضي الله تعالى عنه ذلك قال أنا أشهد أنك بعته فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخزيمة كيف تشهد ولم تكن معنا فقال يارسول الله انا نصدقك بخبر السماء أفلا نصدقك بما تقول فجعل ﷺ شهادته رضي الله تعالى عنه في القضايا بشهادة رجلين ومنه أخذ جواز الشهادة له صلى الله عليه وسلم بما ادعاه وترخيصه ﷺ لأم عطية رضي الله تعالى عنها ولخولة بنت حكيم رضي الله تعالى عنها في النياحة لجماعة مخصوصين وترخيصه ﷺ لاسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها في عدم الاحداد لما قتل زوجها سيدنا جعفر بن أبي طالب حيث قال لها تسلي ثلاثا ثم اصنعي ما شئت وتجويز التضحية بالعناق لأبي بردة ولعقبة بن عامر رضي الله تعالى عنهما وزاد بعضهم ثلاثة آخرين وتزويجه ﷺ لشخص امرأة على سورة من القرآن وقال لا تكون لأحد غيرك مهرا ولعل المراد سورة مجهولة فلا يخالف ذلك ما عند أئمتنا من جواز ذلك على معين من السور القرآنية وتزويجه ﷺ أم سليم أبا طلحة رضي الله تعالى عنهما على اسلامه كما تقدم واعادة امرأة أبي ركانة اليه بعد أن طلقها ثلاثا من غير محلل وتخصيصه صلى الله عليه

وزيادة المحبة ورفعة المنزلة في الحضرة المقدسة بالمشاهدات فهذا تفصيل بعض ما أوتيه في نظير ما أوتيه الانبياء وبالجملة فقد خص الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من خصائص التكريم بما لم يعطه أحدا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتفصيل ذلك متعسر أو متعذر وروى الامام أحمد والبخاري وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود (٣٤١) وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل حيث كان زاد في رواية وكان من قبلي إنما يصلون في كنائسهم وفي روايه ولم يكن من الانبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه ونصرت بالرعب مسيره شهر زاد في رواية يقذف في قلوب أعدائي الرعب من مسيره شهر وهذه الخصوصية حاصلة له مطلقا حتى لو كان وحده بلا عسكر وأعطيت الشفاعة أي العظمى في اراحة الناس من هول الموقف وفي روايه وأعطيت الشفاعة فاخترتها لأمتي فهي لمن لا يشرك بالله شيئا وفي رواية فهي لكم ولمن يشهد أن لا إله إلا الله وعلى هذا المراد بالشفاعة الشفاعة الخاصة وليس المراد حصر خصائصه في هذه الخمس المذكورة لان العدد لا مفهوم له فلا ينافي ماورد من خصائصه صلى الله عليه وسلم بل جاء في بعض روايات الحديث المتقدم زيادة على الخمس فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وفي رواية وأعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وفي رواية وأعطيت مفاتيح الارض وجعلت أمتي خير الأمم وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأعطيت الكوثر وفي رواية وان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه والحاصل ان خصائصه صلى الله عليه وسلم كثيرة وكان كلما أعلمه الله بشيء منها أعلم أمته به وقد أوردت

وسلم نساء المهاجرين أن يرثن دور أزواجهن دون بقية الورثة وقد ألغز في ذلك بعضهم بقوله

سلم على مفتي الانام وقل له * هذا سؤال في الفرائض مبهم
قوم إذا ماتوا تحوز ديارهم * زوجاتهم ولغيرها لا تقسم
وبقية المال الذي قد خلفوا * يجري على أهل التوارث منهم

وأنه صلى الله عليه وسلم أول من ينشق عنه القبر فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر ثم أهل البقيع فيخرجون معي ثم انتظر أهل مكة أي وفي رواية وأنا أول من تنشق عنه الأرض فأكون أول من رفع رأسه فاذا أنا بموسى عليه الصلاة والسلام آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله وفيه ان الاستثناء إنما هو من نفخة الفزع التي هي النفخة الاولى التي يفزع بسببها أهل السموات والأرض وتمر الجبال مر السحاب وترتج الأرض بأهلها رجا فتكون كالسفينة في البحر تضربها الامواج المعنية بقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والمعنيه بقوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الآية قال صلى الله عليه وسلم والأموات يومئذ لا يعلمون شيء من ذلك قلنا يا رسول الله فمن استثنى الله في قوله الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الاحياء وهم احياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه وفيه ان هذا يقتضي ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يفزعون لانهم احياء ولم يذكرهم صلى الله عليه وسلم مع الشهداء والقياس قد يمنع لانه يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل وأنه أول من يكسى في الموقف أعظم الحلل من الجنة وأنه صلى الله عليه وسلم يقوم في المقام المحمود على يمين العرش وأنه الذي يشفع في فصل القضاء بين أهل الموقف وانه له صلى الله عليه وسلم شفاعات في ذلك اليوم وهي إحدى عشرة شفاعة ذكرها في مزيل الخفاء وانه صلى الله عليه وسلم صاحب لواء الحمد في ذلك اليوم آدم فمن دونه تحت لوائه صلى الله عليه وسلم وأنه خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام وإمامهم في ذلك اليوم كما تقدم وأول من يؤذن له في السجود وأول من ينظر الى الرب عز وجل وانه يسجد أولا فيقول له الرب جل جلاله ارفع رأسك يا محمد قل تسمع وسل تعط واشفع تشفع ثم ثانيا ثم ثالثا كذلك فيشفع وانه أول من يفيق من الصعقة وفيه ان نفخة الصعقة هي النفخة الثانية التي هي نفخة الموت لأهل السموات والأرض الا ان يقال المراد بالصعقة هنا نفخة رابعة اثبتها ابن حزم فقد قال الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله وأغرب ابن حزم رحمه الله تعالى فادعى ان النفخ في الصور يقع أربع مرات وعليه تكون هذه النفخة ليست هي المذكورة في القرآن وانها تكون في الموقف بعد النفخة الثالثة التي هي نفخة البعث التي بسببها يكون القيام من القبور الى المحشر المعنية بقوله تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وهذه النفخة الرابعة تسمى نفخة الصعق أيضا لان بها يحصل لجميع أهل السموات والأرض في ذلك الوقت غشي وهو شبيه بالموت ويكون أول من يفيق

خصائصه صلى الله عليه وسلم بالتآليف وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم (باب في وجوب طاعته ومحبته واتباع طريقته وسنته) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال تعالى وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا يعني من أطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق أحكام الله فهو في الحقيقة ما أطاع الا الله وذلك في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن أعماه الله عن الرشد وأضله عن الطريق فان أحدا لا يقدر على ارشاده وهذه الآية من أقوى الادلة على أن الرسول معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله تعالى لانه لو أخطأ في شيء منها لم يكن طاعته طاعة الله تعالى وقال تعالى ومن يطع الرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الآية وهذا عام في المطيعين لله من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم وعام في المعية في هذه الدار وإن فات فيها معية الابدان وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يارسول الله مالي وجع غير اني اذا لم أرك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة حتى ألقاك فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك لاني ان دخلت الجنة فأنت تكون في درجات النبيين فلا أراك فنزلت هذه الآية وروى أيضا عن عكرمة مرسلا قال أتى فتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ان لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيامة لا نراك فانك في الجنة في الدرجات العلا فأنزل الله هذه الآية فقال له رسول الله ﷺ أنت معي في الجنة والعبرة في الآية بعموم اللفظ لا بخصوص

من تلك الصعقة هو ﷺ وحينئذ يجد موسى عليه الصلاة والسلام آخذا بقائمة من قوائم العرش ويكون قوله أنا أول من تنشق عنه الارض فأكون أنا أول من رفع رأسه فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش من تخليط بعض الرواة وحينئذ لا يحتاج الى الجواب بأنه صلى الله عليه وسلم أخبر بقوله لا أدري قبل ان أعلمه الله تعالى بأنه أول من تنشق عنه الارض على الاطلاق وان موسى عليه الصلاة والسلام سبقه الى العرش لانه صلى الله عليه وسلم بعد خروجه من الارض ينتظر خروج أهل البقيع ومجيء أهل مكة فليتأمل ذلك وأول من يمر على الصراط وأول من يدخل الجنة ومعه فقراء المسلمين وان له الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة وقيل انه في الجنة لا يصل لاحد شيء الا بواسطته صلى الله عليه وسلم وانه لا يقرأ في الجنة الا كتابه ولا يتكلم في الجنة الا بلسانه ومما شارك فيه الانبياء في هذا القسم ان من دعاه صلى الله عليه وسلم في الصلاة تجب عليه الاجابة قولا وفعلا ولو كثر ولا تبطل صلاته بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم بخلاف غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانها تبطل ومنه أيضا العصمة من الذنب مطلقا كبيرا أو صغيرا عمدا أو سهوا وعدم التثاؤب والاحتلام لان كلا من الشيطان ولم ير أثر لقضاء حاجته صلى الله عليه وسلم بل كانت الأرض تبلعه ويشم من مكانه رائحة المسك قال وانه صلى الله عليه وسلم كان ينظر بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء واستشكل بما جاء انه صلى الله عليه وسلم لما أتى بأم سلمة رضي الله عنها دخل عليها في الظلمة فوطئ ﷺ على ابنتها زينب فمكث فلما كانت الليلة القابلة دخل ﷺ في ظلمة أيضا فقال انظروا زنائبكم لا أطأ عليها وزينب هذه ولدتها من أبي سلمة بالحبشة ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل وهي اذ ذاك طفلة فنضح ﷺ وجهها بالماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى عمرت وقاربت المائة سنة وكان صلى الله عليه وسلم ينظر من خلفه كما ينظر امامه أي وعن يمينه وعن شماله فقد جاء اني لانظر الى ما وراء ظهري كما انظر الى امامي وقيل كان له ﷺ بين كتفيه عينان كسم الخياط يبصر بهما لا تحجبهما الثياب وقيل كانت تنطبع صوره المحسوسات التي خلفه في حائط قبلته كما تنطبع الصور في المرآة وهذا يدل على ان ذلك خاص بالصلاة وهو ظاهر أكثر الروايات أي وكانت تلك الصلاة الى حائط فليتأمل وكان ﷺ يرى الثريا اثنى عشر نجما وغيره لا يزيد على تسعة ولو أمعن النظر واختصت هذه الأمة المحمدية بأمور لم يشاركها فيه من قبلهم من الامم وهي انها خير الامم وأكرم الخلق على الله قال تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وفي الحديث ان الله اختار أمتي على سائر الامم وان الله ينظر اليها في أول ليلة من رمضان وأعطيت الاجتهاد في الاحكام وأظهر الله ذكرها في الكتب القديمة كالتوراة والانجيل وأثنى عليها وأعطيت الصلوات الخمس أي جمعت لهم على ما تقدم وأعطيت صلاة العشاء فقد أخرج أبو داود والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه انه ﷺ قال انكم فضلتم بها أي بصلاة العشاء على سائر الامم ولم تصلها أمة قبلكم وفيه ما تقدم وأعطيت افتتاح الصلاة بالتكبير وأعطيت التأمين أي قول آمين عقب الدعاء

وقد

السبب وفي الآية الحث على الطاعة والترغيب فيها وهي عامة لجميع المكلفين وهو أن كل من أطاع الله وأطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عنده تعالى وليس المراد الطاعة في شيء واحد أو شيئين وإلا لدخل الفساق والكفار بل المراد الطاعة بفعل المأمورات وترك المنهيات حسب الاستطاعة وليس المراد أن الكل في درجة واحدة لأنه لا يجوز أن يسوى بين المفضول والفاضل بل المراد كونهم في الجنة مع التمكن من الرؤية والمشاهدة وإن بعد المكان لأن انجذاب إدراك شاهد بعضهم بعضا وإذا أرادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب والمعية والصحبة الحقيقية إنما هي بالروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب ولهذا كان النجاشي معه صلى الله عليه وسلم ومن أقرب الناس إليه وهو بين النصارى بأرض الحبشة وعبد الله بن أبي من أبعد الخلق عنه وهو معه في المدينة وذلك أن العبد إذا أراد بقلبه أمرا من طاعة أو معصية أو شخص من الأشخاص فهو بإرادته ومحبته معه لا يفارقه فالأرواح تكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية بعد عظيم قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فأنزل الله قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فجعل سبحانه وتعالى اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون تحقق شرطه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء محبة الله لهم الكائن بترك المتابعة لرسول الله ﷺ ولا يكفي في العبودية وجود أصل المحبة حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومتى كان عنده شيء أحب إليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله قال الله تعالى قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم

وقد جاء أعطيت آمين ولم يعط أحد ممن كان قبلكم إلا أن يكون الله أعطاها هرون فإن موسى كان يدعو ويؤمن هرون عليهما الصلاة والسلام وتقدم أن آمين عقب الفاتحة ليس من القرآن اتفاقا وأعطيت الاستنجاء بالحجر وأعطيت الأذان والاقامة والركوع في الصلاة وأما قوله تعالى لمريم واركعي مع الراكعين فالمراد بالركوع الخضوع كما تقدم ويلزمه أنها أعطيت في الرفع منه سمع الله لمن حمده وفي الاعتدال اللهم ربنا لك الحمد الى آخره وأعطيت تحريم الكلام في الصلاة دون الصوم عكس من قبلهم وأعطيت الجماعة في الصلاة وأعطيت الاصطفاف فيها كصفوف الملائكة وأعطيت صلاة العيدين والكسوفين والاستسقاء والوتر وأعطيت قصر الصلاة في السفر والجمع بين الصلاتين فيه على ما تقدم وفي المطر والمرض على قول اختاره جمع من العلماء ومنهم والدي رحمه الله وأعطيت صلاة الخوف وصلاة شدته وأعطيت شهر رمضان على ما تقدم وأعطيت فيه أمورا منها تصفيد الشياطين وقد سئل ما فائدة تصفيد الشياطين في رمضان مع وجود الفساد والشر وقتل الأنفس فيه وقد أجيب عنه بأربعة أجوبة حاصلها ان فائدة ذلك قلة الشر لا نفيه بالكلية وقد ذكرت ذلك في كتابي اسعاف الاخوان في شرح غاية الاحسان وهو كتاب ألفته في الصوم وما يتعلق به ومنها صلاة الملائكة عليهم حين يفطروا ومنها أن ريح فمهم بعد الزوال أطيب عند الله من ريح المسك وفيه أن هذا لا يختص بصوم رمضان ومنها أن الجنة تزين فيه من رأس الحول إلى رأس الحول وتفتح أبواب الجنة وتغلق أبواب النيران وتفتح أبواب السماء في أول ليلة منه ومنها انه يغفر لهم في آخر ليلة منه وأعطيت العقيقة عن الأنثى وأعطيت العدة في العمامة وأعطيت الوقف والوصية بالثلث عند الموت وأعطيت غفران الذنوب بالاستغفار وجعل الندم توبة وأعطيت صلاة الجمعة وأعطيت ساعة الاجابة في يومها وأعطيت ليلة القدر وأعطيت السحور وتعجيل الفطر وأعطيت الاسترجاع عند المصيبة وأعطيت الحوقلة أي لاحول ولا قوة إلا بالله وأعطيت رفع الآصار عنها ومنه وجوب القصاص في الخطأ والمؤاخذة بحديث النفس والنسيان وما وقع عليه الاكراه وأن إجماعها حجة لأنها لا تجتمع على ضلالة أي محرم وأعطيت ان اختلاف علمائها رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابا والمراد بعلماء الامة المجتهدون كما ان المراد ذلك بما رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ اختلاف أصحابي رحمة أي ويقاس بأصحابه غيرهم ممن بلغ رتبة الاجتهاد قال بعضهم وما ذكره بعض الأصوليين والفقهاء أنه ﷺ قال اختلاف أمتي رحمة لا يعرف من خرجه بعد البحث الشديد وإنما يعرف عن القاسم بن محمد بلفظ اختلاف أمة محمد رحمة قال الحافظ السيوطي ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل الينا وان الطاعون لهم رحمة وكان على من قبلهم عذابا وأعطيت الاسناد للحديث قال أبو حاتم الرازي رحمه الله لم يكن في أمة من الأمم منذ خلق الله آدم عليه الصلاة والسلام يحفظون آثار الرسل أي ويأخذها واحد عن الآخر الافي هذه الامة أي حتى ان الواحد منهم يكتب الحديث الواحد من ثلاثين طريقا أو أكثر وان فيها الاقطاب والانجاب والأوتاد ويقال لهم العمد والأبدال والأخيار والعصب فالأبدال بالشام

وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله أوقول احدمنهم على قول الله ورسوله ومرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله أوخوف احدمنهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه اومعاملة احد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه مما سواهما وإن قال بلسانه فهو

كذب منه واخبار بما ليس هو عليه وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون فجعل رجاء الاهتداء أثر الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو فى الضلالة وكل ماأتى به الرسول عليه الصلاة والسلام يجب علينا اتباعه فيه إلا ماخصه الدليل ثم ان محبته صلى الله عليه وسلم هى المنزلة التى يتنافس فيها المتنافسون واليها يشخص العاملون والى علمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهى قوت القلوب وغذاء الارواح وقرة العيون وهى الحياة التى من حرمها فهو من جملة الاموات والنور الذى من فقده فهو فى بحار الظلمات والشفاء الذى من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التى من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهى روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال التى متى دخلت منها فهى كالجسد الذى لاروح فيه تحمل أثقال السائرين الى بلدلم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها ابدا واصليها وتبوئهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولاهى داخليها وهى مطايا القوم سراهم فى ظهورها دائما الى الحبيب وطريقهم الاقوم الذى يبلغهم الى منازلهم الاولى من قريب تالله لقدذهب أهلها بشرف الدنيا

واختلفت الروايات فى عددهم فأكثر الروايات انهم أربعون رجلا وفى بعض الروايات أربعون رجلا وأربعون امرأة كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا وكلما ماتت امرأة أبدل الله مكانها امرأة فاذا جاء الامر قبضوا كلهم فعند ذلك تقوم الساعة وعن الفضل بن فضالة قال الابدال بالشام فى حمص خمسة وعشرون رجلا وفى دمشق ثلاثة عشر وفى بيسان اثنان وفى رواية عن حذيفة بن اليمانى الابدال بالشام ثلاثون رجلا على منهاج ابراهيم عليه الصلاة والسلام وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال أربعون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم عليه الصلاة والسلام يدفع الله بهم عن أهل الارض يقال لهم الابدال وعن الحسن البصرى رحمه الله لن تخلو الأرض من سبعين صديقا وهم الأبدال أربعون بالشام وثلاثون فى سائر الارض وعن معاذ ابن جبل رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو من الأبدال الذين بهم قوام الدنيا وأهلها الرضا بالقضاء والصبر عن محارم الله والغضب فى ذات الله وجاء فى وصف الأبدال أنهم لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولاصيام ولاصدقة ولكن بسخاء النفس وسلامة القلوب والنصيحة لأئمتهم وفى لفظ لجميع المسلمين وعن أبى سليمان الابدال بالشام والنجباء بمصر وفى لفظ الأبدال من الشام والنجباء من أهل مصر وفى رواية عن على كرم الله وجهه أيضا والنجباء بالكوفة والعصب باليمن والاخيار بالعراق وفى لفظ والعصب بالعراق وعن بعضهم النقباء ثلاثمائة وسبعون والبدلاء أربعون والاخيار سبعة والعمد أربعة والغوث أى الذى هو القطب واحد فمسكن النقباء الغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الابدال الشام والاخيار سائحون فى الارض والعمد فى زوايا الارض ومسكن الغوث مكة فاذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العمد فان أجيبوا وإلا ابتهل الغوث فلا تتم مسئلته حتى يجاب وجاء عن على كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن نبى قط إلا أعطى سبعة نجباء ووزراء ورفقاء وإنى أعطيت أربعة عشر حمزة وجعفر وأبو بكر وعمر وعلى والحسن والحسين وعبد الله بن مسعود وسلمان وعمار بن ياسر وحذيفة وأبو ذر والمقداد وبلال ومصعب وأسقط الترمذى حذيفة وأبا ذر والمقداد وانهم أى أمته صلى الله عليه وسلم يخرجون من قبورهم بلا ذنوب يمحصها الله عنهم باستغفار المؤمنين لهم وأنها أول من تنشق عنها الأرض وأنها فى الموقف تكون على مكان عال مشرف على الأمم وأنها أول من يحاسب وأنها أول من يدخل الجنة من الامم وأن لكل منها نورين كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وأنها تمر على الصراط كالبرق الخاطف وانها تشفع فى بعضها وان لها ماسعت وماسعى لها وانها اختصت عن الامم ماعدا الانبياء بوصف الاسلام على الراجح كما تقدم لأنه لم يوصف بالاسلام أحد من الأمم السالفة سوى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد شرفت بأن توصف بالوصف الذى توصف به الأنبياء تشريفا لها وتكريما فقدقال زيد بن أسلم أحد أئمة السلف العالمين بالقرآن والتفسير لم يذكر الله بالاسلام غير هذه الامة أى وما ورد مما يوهم خلاف ذلك مؤول وقد خصت هذه الامة بخصائص لم تكن لاحد سواها الا للانبياء فقط

فقط ثم من ذلك الوضوء فانه لم يكن أحد يتوضأ الا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه مرفوعا في التوراة والانجيل وصف هذه الامة أنهم يوضؤون أطرافهم وفي بعض الآثار افترضت عليهم أن يتطهروا في كل صلاة كما افترضت على الأنبياء لكن تقدم في الحديث أنه ﷺ توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به ثم توضأ مرتين مرتين وقال هذا وضوء الامم من قبلكم من توضأ مرة آتاه الله أجره مرتين ثم توضأ ثلاثا ثلاثا فقال هذا وضوئي ووضوء الأنبياء من قبلي ووضوء خليلي ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا الحديث كما ترى يقتضي مشاركة الأمم مع هذه الأمة في أصل الوضوء والاختصاص انما هو بالتثليث وتقدم الكلام على ذلك أي والغسل من الجنابة فمما أوحى الله الى داود عليه الصلاة والسلام في وصف هذه الأمة وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم وأن منها سبعين ألفا ومع كل واحد من هؤلاء السبعين ألفا سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب أي وباجلال الله تعالى توقير المشايخ منهم وأنهم إذا حضروا القتال في سبيل الله حضرتهم الملائكة لنصرة الدين وأن الملائكة تنزل عليهم في كل سنة ليلة القدر تسلم عليهم وأكل صدقاتهم في بطونهم واثابتهم عليها وتعجيل الثواب في الدنيا مع ادخاره في الآخرة كصلة الرحم فانها تزيد في العمر ويثاب عليها في الآخرة وما دعوا به استجيب لهم روى الترمذي رحمه الله أعطيت هذه الأمة مالم يعط أحد بقوله تعالى ادعوني استجب لكم وانما يقال هذا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وأوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام في وصف هذه الامة ان ادعوني أستجب لهم فاما أن يكون عاجلا واما ان أصرف عنهم سوأ واما ان ادخر لهم في الآخره ومخالطة الحائض سوى الوطء وما الحق به وهو مباشرة ما بين سرتها وركبتها وتقدم وصفهم في الكتب القديمة بما لا ينبغي اعادته هنا لطوله

باب ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم

ولد له صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله تعالى عنها قبل البعثة القاسم وهو أول أولاده صلى الله عليه وسلم وبه كان يكنى قيل عاش سنتين وقيل سنة ونصفا وقيل حتى مشى وقيل بلغ ركوب الدابة وقيل عاش سبع ليال وهو أول من مات من ولده قبل البعثة ثم ولدت قبل البعثة أيضا زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم رضي الله تعالى عنهن وقيل أول بناته صلى الله عليه وسلم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم رضي الله تعالى عنهن وقيل أكبر بناته صلى الله عليه وسلم رقية ثم زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة وقيل أول بناته صلى الله عليه وسلم زينب ثم رقية ثم أم كلثوم ثم فاطمة وبعض الناس ذكر رقية بعد فاطمة وبعد البعثة ولد له صلى الله عليه وسلم عبد الله ويسمى الطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر غير عبد الله المذكور ولدا في بطن واحدة قبل البعثة أي وقيل اللذان ولدا في بطن واحدة قبل البعثة الطاهر والمطهر وقيل ولد له أيضا قبل البعثة في بطن واحدة الطيب والمطيب وقيل ولد له قبل البعثة عبد مناف مات هؤلاء قبل البعثة وهم يرضعون وأما عبد الله الذي ولد له بعد بعثته

والآخرة إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة أن المرء مع من أحب فيا لها من نعمة على المحبين سابغة لقد سبق القوم للسعادة وهم على الفرش نائمون وقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون

من لي بمثل سيرك المذلل ✻ تمشي رويدا وتجي في الأول

أجابوا مؤذن الشوق إذ نادى بهم حي على الفلاح وذلوا أنفسهم في طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضا والسماح وواصلوا اليه السير بالادلاج والعدو والرواح ولقد حملوا عند الوصول سراهم وانما يحمد القوم السرى عند الصباح وقد وضعوا للمحبة رسوما باعتبار أسبابها وعلاماتها وثمراتها فمنها قول بعضهم المحبة موافقة الحبيب في المشهد والمغيب وقال آخر هي محو المحب لصفاته واثبات المحبوب لذاته وقال آخر هي استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال آخر هي استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وقال آخر هي معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال آخر ان تهب كلك لمن أحببت فلا تبقى لك منك شيئا وقال آخر أن تمحو من القلب ماسوى المحبوب وقال آخر غض طرف المحب عما سوى المحبوب وقال آخر هي ميلك الى الشيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه وقال آخر هي سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه وقال آخر هي الميل لحب الصور الجميلة أو لوجود احسان أو انعام وهذا تعريف ببيان أسماء المحبة فقد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فاذا كان الانسان يحب من منحه من دنياه مرة أو مرتين معروفا فانيا منقطعا أو استنقذه من هلكة أو مضرة لا تدوم فما بالك من منحه منحا لا تبيد أو لا تزول ووقاه من العذاب الأليم مالا يفنى ولا يحول واذا كان المرء يحب غيره لما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم

الجامع لمحاسن الأخلاق والكريم المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم ولقد أخرجنا الله به من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وخلصنا به من نار الجهل إلى جنات المعارف والإيقان فهو السبب في وصولنا للبقاء الأبدي في النعيم السرمدي فأي إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا من إحسانه إلينا فلا منة لأحد بعد الله كما له علينا ولا فضل لبشر كفضله لدينا فكيف نهض ببعض شكره أو نقوم من واجب حقه بمعشار عشره وقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة وأسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأزكى من محبتنا لأنفسنا وأولادنا وأهلنا وأموالنا والناس أجمعين بل لو كان في كل منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده وفي رواية عن أنس رضي الله عنه والناس أجمعين وفي رواية أخرى لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه قال القرطبي كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم إيمانا صحيحا لا يخلو حاله من وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة غير أنهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى ومنهم من إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق إلى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ورؤية موضع آثاره على جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم من محبته غير أن ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات وتفاوت المحبين في محبته صلى الله عليه وسلم بسبب استحضار ما وصل إليهم من جهته من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولا شك أن حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى أتم لأن هذا ثمرة المعرفة وهي فيهم

صلى الله عليه وسلم فكان آخر الأولاد من خديجة رضي الله تعالى عنها وبهذا يظهر التوقف في قول السهيلي رحمه الله كلهم ولدوا بعد النبوة وأجاب بعضهم بأن المراد بعد ظهور دلائل النبوة وفيه أن دلائل النبوة وجدت قبل تزوجه بخديجة رضي الله تعالى عنها وعند موت عبد الله هذا قال العاص ابن وائل والد عمرو بن العاصي وقيل أبو لهب قد انقطع ولده أي لا ولد له ذكر لأن ما عدا الذكر عند العرب لا يذكرونه فأنزل الله تعالى ان شانئك هو الأبتر أقول في مسلم عن أنس رضي الله تعالى عنه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله فقال أنزل علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الأبتر ولا يخفى أن هذا يقتضي أن السورة المذكورة مدنية ثم رأيت الإمام النووي رجح ذلك المذكور وقد يقال يجوز أن يكون ان شانئك هو الأبتر نزل بمكة وما عداه نزل بالمدينة وقد يعبر عن معظم السورة بالسورة ثم رأيته في الاتقان ذكر ان مما نزل دفعة واحدة سورا منها الفاتحة والاخلاص والكوثر ثم رأيت الإمام الرافعي رحمه الله قال فهم فاهمون من الحديث ان السورة نزلت في تلك الاغفاءة وقالوا من الوحي ما كان يأتيه في النوم لأن رؤيا الأنبياء وحي وهذا غير صحيح لكن الأشبه أن يقال القرآن كله نزل يقظة وكان صلى الله عليه وسلم خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة عليه في اليقظة أي قبل ذلك وفيه أن قوله آنفا ينافيه قال أو يحمل الاغفاء على الحالة التي كانت تعتريه عند نزول الوحي ثم رأيت الجلال السيوطي في الاتقان بطرفي جواب الرافعي الأول بما ذكرته واستحسن الجواب الثاني وفي المواهب أن العاصي بن وائل اجتمع هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم في باب من أبواب المسجد فتحدثا وصناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاصي المسجد قالوا له من ذا الذي كنت تتحدث معه قال ذاك الأبتر يعني النبي ﷺ وقد كان توفي أولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة رضي الله تعالى عنها أي الذكور فرد الله سبحانه وتعالى عليه وتولى جوابه بقوله ان شانئك هو الأبتر أي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير أي ان مبغضك هو الأبتر أي المقطوع عن كل خير أي المقطوع رحمه بينه وبين ولده لأن الاسلام حجزهم عنه فلا توارث بينهم فلا يقال العاص وأبو لهب لهما أولاد ذكور فالأول له عمرو وهشام رضي الله تعالى عنهما والثاني له عتبة ومعتب رضي الله تعالى عنهما قيل وكان بين كل ولدين لخديجة سنة وكانت رضي الله تعالى عنها تعق عن الغلام شاتين وعن الجارية شاة وكانت تسترضع لهم وذكر ابن عباس رضي الله تعالى عنهما غيره في قوله تعالى يهب لمن يشاء إناثا كلوط عليه الصلاة والسلام كان له إناث ولم يكن له ذكور ويهب لمن يشاء الذكور كإبراهيم عليه الصلاة والسلام فإنه لم يكن له بنت أو يزوجهم ذكرانا وإناثا كنبينا صلى الله عليه وسلم ويجعل من يشاء عقيما كيحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فإنهما لم يولد لهما ولد وأما زينب رضي الله تعالى عنها فتزوجها ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة شقيقتها وهو العاصي بن الربيع كما تقدم وذكر بعضهم بدل هالة هند قال وهالة صحابية وهند لا أعرف لها اسلاما ويحتمل أن يكون أحدهما اسما والآخر لقبا فهما واحدة وفي سنة ثمان من الهجرة

أثم روى ابن إسحق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد فأخبروها بذلك فقالت ما فعل رسول الله ﷺ قالوا هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظره فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعني صغيرة ورواه البيهقي في الدلائل وفي بعض روايات هذا الحديث لما كثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امرأة من الأنصار فاستقبلت بأخيها وابنها وزوجها وأبيها قتلى لا تدري بأيهم استقبلت وكلما مرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا أخوك وأبوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون أمامك حتى ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذا سلمت من عطب وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه ما كان أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ (ولما أخرج) أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان ابن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد والله ما أحب أن محمدا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وإني لجالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا من الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا وفي المواهب أن عبد الله بن زيد الأنصاري رضي الله عنه كان يعمل في جنة له فأتاه ابنه فأخبره أن النبي ﷺ توفي فقال اللهم اذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد أحدا فكف بصره وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار وقال

الهجرة أي من ذي الحجة ولدت له صلى الله عليه وسلم مارية القبطية رضي الله تعالى عنها وكان ﷺ معجبا بها لأنها كانت بيضاء جميلة ولده إبراهيم وعق عنه ﷺ بكبشين يوم سابعه وحلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة على المساكين وأمر بشعره فدفن في الأرض أي وغارت نساؤه ﷺ ورضي عنهن من ذلك ولا كعائشة رضي الله تعالى عنها حتى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها انظري إلى شبهه فقالت ما أرى شيئا فقال ألا ترين إلى بياضه ولحمه وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله ﷺ أي وكانت قبل ذلك مولاة عمته صلى الله عليه وسلم صفية رضي الله تعالى عنها وهبتها له صلى الله عليه وسلم وسلمى زوجة أبي رافع رضي الله تعالى عنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان لعمه العباس رضي الله تعالى عنه قبل ذلك وهبه له ﷺ واسمه إبراهيم وكان قبطيا وقيل غير ذلك أعتقه صلى الله عليه وسلم لما أخبره بإسلام العباس وزوجه مولاته سلمى المذكورة وقيل كان مولى لسعيد بن العاص وورثه بنوه وهم ثمانية فأعتقوه كلهم إلا ولده خالد فإنه لم يعتق نصيبه منه فكلمه صلى الله عليه وسلم أن يعتق نصيبه أو يبيعه أو يهبه منه فوهبه منه صلى الله عليه وسلم فأعتقه قيل بعد أن سأله ﷺ أبو رافع في ذلك وبقي عقبه من أشراف المدينة وكان ولده عبد الله كاتبا وخازنا لعلي كرم الله وجهه أيام خلافته فخرجت إلى زوجها أبي رافع فأخبرته أن مارية قد ولدت غلاما فجاء أبو رافع إلى رسول الله ﷺ فبشره فوهب له عبدا وروى أبو رافع رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه واغتسل عند كل واحدة منهن غسلا قال أبو رافع فقلت يا رسول الله لو جعلته غسلا واحدا قال هذا أزكى وأطيب وسمى صلى الله عليه وسلم ابنه يومئذ أي يوم ولادته وقيل سماه سابع ولادته ودفعه لأم بردة خولة بنت المنذر بن زيد الأنصاري زوجة البراء بن أوس لترضعه وأعطاها قطعة نخل فكانت ترضعه في بني مازن وترجع به إلى المدينة وكان ﷺ ينطلق إليها فيدخل البيت ويأخذه فيقبله ثم يرجع ولما احتضر جاء صلى الله عليه وسلم فوجده في حجر أمه فأخذه صلى الله عليه وسلم في حجره وقال يا إبراهيم إنا لن نغني عنك من الله شيئا ثم ذرفت عيناه ﷺ وقال إنا بك يا إبراهيم لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ونهانا عن الصياح أي وفي لفظ تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ولولا أنه وعد صادق وموعود جامع فإن الآخر منا يتبع الأول لوجدنا عليك يا إبراهيم وجدا شديدا ما وجدناه أي وفي لفظ ولولا أنه أمر حق ووعد صدق وأنها سبيل مأتية لحزنا عليك حزنا شديدا أشد من هذا وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون وفي لفظ وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون وعن سيرين لما نزل بإبراهيم الموت صرت كلما صحت أنا وأختي نهانا ﷺ عن الصياح أي ولما بكى ﷺ قال له أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما أنت أحق من علم لله حقه قال تدمع العين وقال له ﷺ عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه أو لم تكن نهيت عن البكاء قال لا ولكني نهيت عن صوتين أحمقين وآخرين صوت عند مصيبة وخمش وجوه وشق جيوب ورنة شيطان وصوت عند نغمة لهو وهذه رحمة ومن

صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا فعلق ذوق الايمان بالرضا بالله ربا الخ وعلق
وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم إلا به وهو كونه سبحانه هو ورسوله أحب الأشياء إلى العبد ومعنى حلاوة الايمان
استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات فى الدين ويؤثر ذلك على أغراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وفى قوله
عليه الصلاة والسلام حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المؤمن فى الايمان بشىء حلو وأثبت له لازم

لا يرحم لا يرحم وذكر أنه لما مات كان صلى الله عليه وسلم مستقبلا للجبل فقال يا جبل لو كان بك مثل ما بى لهدك ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون وصرخ أسامة رضى الله تعالى عنه فنهاه رسول الله ﷺ وقال له رأيتك تبكى فقال له صلى الله عليه وسلم البكاء من الرحمة والصراخ من الشيطان ولما مات ولد سليمان بن عبد الملك التفت إلى ولى عهده عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه وقال له إنى أجد فى كبدى جمرة لا يطفئها إلا عبرة فقال له عمر رضى الله تعالى عنه اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك بالصبر والتفت إلى وزيره رجاء فقال له رجاء اقضها يا أمير المؤمنين فما بذلك من بأس فقد دمعت عينا رسول الله ﷺ على ابنه ابراهيم فأرسل سليمان عينيه فبكى حتى قضى أربا ثم أقبل عليهما فقال لو لم أنزف هذه العبرة لانصدعت كبدى ثم لم يبك بعدها ولذلك قيل

فى افاضة الكئيب لدمعته * ما يذهب من لوعته
وفى إرساله لعبرته * ما يعينه على سلوته

ومات سنة عشر من الهجرة واختلف فى سنه فقيل سنة وعشرة أشهر وستة أيام وقيل ثمانية عشر شهرا مات عند ظئره أم بردة وغسلته وحملته بين يديها على سرير وفى رواية غسله الفضل بن العباس رضى الله تعالى عنهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم على سرير وفى كلام ابن الاثير رحمه الله قيل ان الفضل بن العباس رضى الله تعالى عنهما غسل إبراهيم ونزل فى قبره هو وأسامة بن زيد وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفير القبر قال الزبير ورش على قبره ماء وعلم على قبره بعلامة وهو أول قبر رش عليه الماء وفيه أنه رش على قبر عثمان بن مظعون بالماء وهو سابق على سيدنا إبراهيم كما تقدم وصلى عليه ﷺ وكبر أربعا أى وقيل لم يصل عليه أى لم تقع الصلاة عليه من أحد وفى كلام النووى رحمه الله القول بالصلاة عليه هو قول جمهور العلماء وهو الصحيح وما جاء عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنه لم يصل عليه قال ابن عبد البر رحمه الله انه غلط وقد أجمع جماهير العلماء على الصلاة على الأطفال إذا استهلوا عملا مستفيضا عن السلف والخلف وقال الامام أحمد رحمه الله فى خبر عائشة رضى الله تعالى عنها أنه خبر منكر جدا أى وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم الطفل يصلى عليه وجاء صلوا على أطفالكم فانه من أفراطكم وقد جاء فى المرفوع إذا استهل المولود صلى عليه وورث وورث وجاء أحق ما صليتم على أطفالكم ومن المقرر أنه إذا تعارض الاثبات والنفى قدم الاثبات على النفى ولما كسفت الشمس فى ذلك اليوم قال قائل كسفت لموت إبراهيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكسف لموت أحد ولا لحياته وفى لفظ ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده فلا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته الحديث ودفن بالبقيع وقال الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون رضى الله عنه ولقنه صلى الله عليه وسلم قال الامام السبكى وهو غريب وقد احتج به بعض أئمتنا على استحباب تلقين الطفل وفى التتمة للمتولى من أئمتنا والأصل فى التلقين ماروى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما دفن إبراهيم قال قل الله ربى ورسول الله أبى والاسلام دينى فقيل له يا رسول الله أنت تلقنه فمن يلقننا

ذلك وقال العارف بالله ابن أبى جمرة اختلف فى الحلاوة المذكورة هل هى محسوسة أو معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء وحملها قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولوه وهم الصوفية ويشهد إلى ما ذهبوا اليه أحوال الصحابة والسلف الصالح وأهل المعاملات مع الله فانه حكى عنهم أنهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال رضى الله عنه حين صنع به ما صنع فى الرمضاء إكراها على الكفر وهو يقول أحد أحد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك أيضا عند موته أهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الأحبة محمدا وصحبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء وهى حلاوة الايمان ومنه حديث الصحابى الذى سرق فرسه بليل وهو فى الصلاة فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له فى ذلك فقال ما كنت فيه ألذ من ذلك وما ذاك إلا للحلاوة الايمان التى وجدها محسوسة فى وقته ذلك وأمثال ذلك كثير قال العارف بالله تعالى تاج الدين بن عطاء الله إن القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعانى كما تتنعم النفوس بملذوذات الأطعمة وإنما ذاق طعم الايمان من رضى بالله ربا لأنه لما رضى بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه وألقى قياده إليه فتوجد لذة العيش وراحة التفويض والمرضى بالله ربا كان له الرضا من الله

وأوجده الله حلاوة ذلك ليعلم مامن الله به عليه وليعرف احسان الله عليه ولماسبقت لهذا العبد العناية عوفى قلبه من المرض فأدرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا معناه ان من رضى بما رضى به المولى فقد رضى بالاسلام دينا ولازم لمن رضى بمحمد نبيا أن يكون له وليا وان يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه وهذا فى الدنيا وخروجا عنها وصفحا عمن جنى عليه وعفوا عمن أساء اليه إلى غير ذلك من تحقيق المتابعة (٣٤٩) قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا

وبغضاً فمن رضى بالله استسلم له ومن رضى بالاسلام عمل له ومن رضى بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها إذ محال أن يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا أو يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبياً وتلازم ذلك بين الاخفاء به ومحبة الله على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التى تبعث على امتثال الأوامر والانتهاء عن المعاصى على حسب الاستطاعة فمن وقع فى معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره فى محبة الله تعالى حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال فى المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسل فى الرجاء فيقدم على المعصية والندب أن يواظب على النوافل ويجتنب الشبهات والمتصف بذلك فى عموم الأوقات والأحوال نادر وفى

البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى انه قال ما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضته عليه وفى رواية بشىء أحب إلى من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه وما ترددت فى شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره

يلقننا فأنزل الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة أى وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما دفن ولده ابراهيم وقف على قبره فقال يا بنى ان القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب إنا لله وإنا اليه راجعون يا بنى قل الله ربى والاسلام دينى ورسول الله أبى فبكت الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم عمر رضى الله عنه بكى حتى ارتفع صوته فالتفت اليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال ما يبكيك يا عمر فقال يارسول الله هذا ولدك وما بلغ الحلم ولا جرى عليه القلم ويحتاج إلى تلقين مثلك يلقنه التوحيد فى مثل هذا الوقت فما حال عمر وقد بلغ الحلم وجرى عليه القلم وليس له ملقن مثلك فبكى النبى صلى الله عليه وسلم وبكت الصحابة معه ونزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة يريد بذلك وقت الموت أى عند وجود الفتانين وعند السؤال فى القبر فتلا النبى ﷺ الآية فطابت الأنفس وسكنت القلوب وشكروا الله وفيه أن هذا يقتضى أنه صلى الله عليه وسلم لم يلقن أحدا قبل ولده ابراهيم وهذا الحديث استند اليه من يقول بأن الأطفال يسئلون فى القبر فيسن تلقينهم وذهب جمع إلى أنهم لا يسئلون وان السؤال خاص بالمكلف وبه أفتى الحافظ ابن حجر رحمه الله فقال والذى يظهر اختصاص السؤال بمن يكون مكلفا ويوافقه قول النووى رحمه الله فى الروضة وشرح المهذب التلقين انما هو فى حق الميت المكلف أما الصبى ونحوه فلا يلقن قال الزركشى وهو مبنى على ان غير المكلف لا يسئل فى قبره وذكر القرطبى رحمه الله ان الذى يقتضيه ظواهر الأخبار ان الأطفال يسئلون وان العقل يكمل لهم وذكر ان الأحاديث مصرحة بسؤال الكافر أى من هذه الأمة ويخالفه قولهم حكمة السؤال تمييز المؤمن من المنافق الذى كان يظهر الاسلام فى الدنيا وأما الكافر الجاحد فلا يسئل قال الفاكهانى ان الملائكة لا يسئلون قال بعضهم ووجهه ظاهر فان الملائكة انما يموتون عند النفخة الأولى أى فلم يبق منهم من يقع منه السؤال وأما عذاب القبر فعام للمسلم والكافر والمنافق فعلم الفرق بين فتنة القبر وعذابه وهو ان الفتنة تكون بامتحان الميت بالسؤال وأما العذاب فعام يكون ناشئا عن عدم جواز السؤال ويكون عن غير ذلك وقد اختص نبينا صلى الله عليه وسلم بسؤال أمته عنه بخلاف بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وما ذاك الا ان الأنبياء قبل نبينا كان الواحد منهم إذا أتى أمته وأبوا عليه اعتزلهم وعوجلوا بالعذاب وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فبعث رحمة بتأخير العذاب ولما أعطاه الله السيف دخل فى دينه قوم مخافة من السيف فقيض الله تعالى فتان القبر ليستخرجا بالسؤال ما كان فى نفس الميت فيثبت الله المسلم ويزل المنافق وفى بعض الآثار تكرر السؤال فى المجلس الواحد ثلاث مرات وفى بعضها ان المؤمن يسئل سبعة أيام والمنافق أربعين يوما أى قد يقع ذلك وفى بعض الآثار ان فتانى القبر أربعة منكر ونكير وناكور وسيدهم رومان وفى بعضها ثلاثة أنكر ونكير ورومان وقيل أربعة منكر ونكير يكونان للمنافق ومبشر وبشير للمؤمن ونقل الحافظ السيوطى عن شيخه الجلال البلقينى رحمهما الله ان السؤال يكون بالسريانية واستغربه وقال لم أره لغيره وفى كلام الحافظ السيوطى لم يثبت فى التلقين حديث صحيح

الموت وأكره مساءته وفي الحديث دلالة على أن العبد إذا أدى الفرائض ودام على اتيان النوافل من صلاة وصوم وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى وقد استشكل قوله كنت سمعه الخ بأنه كيف يكون البارى جل وعلا سمع العبد وبصره الخ وأجيب بأجوبة منها أنه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره فى ايثار أمرى فهو يحب خدمتي ويؤثر طاعتى كما يحب هذه الجوارح ومنها أن المعنى ان كليته (٣٥٠) مشغولة بى فلا يصغى بسمعه الا لى بما يرضيني ولا يرى ببصره الا ما أمرته به ومنها ان المعنى كنت له فى النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله فى المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف أى كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك ومنها ان المعنى كنت مسموعه كقولهم فلان أملى بمعنى مأمولى والمعنى انه لا يسمع الا ذكرى ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابى ولا يأنس الا بمناجاتى ولا ينظر الا فى عجائب ملكوتى ولا يمد يده الا فيما فيه رضاى ولا يمشى برجله الا لما فيه رحمتى وبالجملة فالكلام كناية عن نصرة العبد وتأييده واعانته حتى كأنه سبحانه تنزل عنده منزلة الآلات التى يستعين بها ويدخل فى ذلك سرعة اجابته فى الدعاء ونجحه فى الطلب قال أبو عثمان الحيرى معناه أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه فى الاستماع وعينه فى النظر ويده فى اللمس ورجله فى المشى والمراد بالحديث حصر أسباب محبته فى أمرين أداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب   فلما لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله واذا صار محبوبا لله أوجبت محبة الله له محبة أخرى فوق المحبة الأولى فتغلب هذه المحبة قلبه ولا يفكر ولا يهتم بغير محبوبه وتملك عليه روحه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه ما لكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبة الصادق فى محبته الذى قد اجتمعت قوى قلبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب

حسن بل حديثه ضعيف باتفاق جمهور المحدثين ولهذا ذهب جمهور الأمة إلى أن التلقين بدعة وآخر من أفتى بذلك العز بن عبد السلام وانما استحسنه ابن الصلاح وتبعه النووى نظراً إلى ان الحديث الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال وحينئذ فقول الامام السبكى حديث تلقين النبى صلى الله عليه وسلم لابنه ليس له أصل أى صحيح أو حسن وقال صلى الله عليه وسلم فى حق ابراهيم ان له ظئرا تتم رضاعه وفى رواية ان له ظئرين يكملان رضاعه فى الجنة وقال لو عاش لوضعت الجزية عن كل قبطى وفى لفظ لاعتقت القبط وما استرق قبطى قط وفى لفظ مارق له خال قال بعضهم معناه لو عاش ورآه أخواله القبط لاسلموا فرحا به وتكرمة له فوضعت الجزية عنهم لانها لا توضع على مسلم ومعنى الثانى إذا أسلموا وهم أحرار لم يجر عليهم الرق لان الحر المسلم لا يجرى عليه الرق * وذكر ان الحسن بن على رضى الله عنهما كلم معاوية فى أن يضع الخراج عن أهل بلد مارية وهى حفنة بالحاء المهملة واسكان الفاء وبالنون قرية من قرى الصعيد ففعل معاوية ذلك رعاية لحرمتهم أى وقال النووى رحمه الله وأما ما روى عن بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم لكان نبيا فباطل وجسارة على الكلام فى المغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم الزلات قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وهو عجيب مع وروده عن ثلاثة من الصحابة وكأنه لم يظهر له وجه تأويله وهو ان القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع أى وكان اللائق به أن يكون نبيا وان لم يكن ذلك ثم رأيت الجلال السيوطى رحمه الله نقل عن الاستاذ أبى بكر بن فورك وأقره انه صلى الله عليه وسلم لما دفن ولده ابراهيم وقف على قبره وقال يا بنى ان القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب إنا لله وانا اليه راجعون وكنى به صلى الله عليه وسلم فقد جاءه جبريل عليه السلام قال له السلام عليك يا أبا ابراهيم ان الله قد وهب لك غلاما من أم ولدك مارية وأمرك أن تسميه ابراهيم فبارك الله لك فيه وجعله قرة عين لك فى الدنيا والآخرة زاد الحافظ الدمياطى رحمه الله فاطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك (أقول) وسبب اطمئنانه صلى الله عليه وسلم بذلك ان مابورا كان يأوى اليها ويأتى اليها بالماء والحطب فاتهمت به وقال المأبون علج يدخل على علجة فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فبعث عليا كرم الله وجهه ليقتله فقال له على كرم الله وجهه يا رسول الله أقتله أو أرى فيه رأيى فقال بل ترى رأيك فيه فلما رأى السيف بيد على كرم الله وجهه انكشف وفى لفظ فاذا هو فى ركى يتبرد فقال على كرم الله وجهه اخرج فناوله يده فأخرجه فاذا هو مجبوب أى ممسوح فكف عنه على كرم الله وجهه ورجع إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال أصبت إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب أى وتكون هذه القضية متقدمة على قول جبريل عليه السلام المذكور والمراد مزيد الاطمئنان وفى كلام بعضهم ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل على مارية رضى الله عنها وهى حامل بولده ابراهيم فوجد عندها من ذكر فوقع فى نفسه شىء فخرج صلى الله عليه وسلم وهو متغير اللون فلقيه عمر رضى الله عنه فعرف الغيظ فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فأخبره فأخذ عمر السيف ثم دخل على مارية رضى الله عنها وهو عندها فأهوى اليه بالسيف فلما رأى ذلك كشف عن نفسه فاذا هو مجبوب

ان سمع سمع بحبيبه وان أبصر أبصر به وان نظر نظر به وان مشى مشى به فهو قلبه ونفسه وأنيسه وصاحبه فالباء في قوله في يسمع الخ للمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الأخبار عنها والعلم بها فالمسئلة حالية لا علمية محضة ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه أي كما وافقني في مرادي بامتثال أمري والتقرب إلى محابي فأنا أوافقه في رغبته وقوي أمر هذه الموافقة حتى اقتضى تردد الرب

ولما رآه عمر رضي الله عنه رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ألا أخبرك يا عمر ان جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أن الله برأها وبرأه مما وقع في نفسي وبشرني أن في بطنها غلاما مني وأنه أشبه الخلق بي وأمرني أن أسميه ابراهيم وكناني بأبي ابراهيم ولولا اني أكره أن أحول كنيتي التي تكنيت بها لتكنيت بأبي ابراهيم والله أعلم أي وفي النور أني لا أعرف في الصحابة خصيا الا هذا وشخصا آخر يقال له سندر رآه مولاه يقبل جارية له فخصاه وجدعه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه سيده وفي كلام بعضهم عد ابن منده وأبو نعيم مابورا في الصحابة وقد غلطا في ذلك فانه لم يسلم ومازال نصرانيا ومنه أي بسببه فتح المسلمون مصر في خلافة عمر رضي الله عنه

﴿ باب ذكر أعمامه وعماته صلى الله عليه وسلم ﴾

أعمامه صلى الله عليه وسلم اثنا عشر وهم الحرث وهو أكبر أولاد جده عبد المطلب وبه كان يكنى وشقيقه قثم وقد هلك صغيرا وأبو طالب والزبير وعبد الكعبة وهؤلاء الثلاثة أشقاء لعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الحرث لا شقيق له وحمزة وشقيقاه المقوم بفتح الواو وكسرها مشدده وجحل بتقديم الجيم على الحاء واسمه المغيره والجحل السقاء الضخم أي وقيل بتقديم الحاء مفتوحة على الجيم وهو في الأصل الخلخال والعباس وشقيقه ضرار وقد تقدم أن أم العباس رضي الله عنه أول من كست الكعبة الحرير وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب وقيل نوفل ولقب بالغيداق لكثرة جوده أي لأنه كان أجود قريش وأكثرها طعاما ومالا وذكر بعضهم في أعمامه العوام وعماته صلى الله عليه وسلم ست وهن أم حكيم وعاتكة وبرة وأروى وأميمة وهؤلاء الخمسة أشقاء لعبد الله والده صلى الله عليه وسلم وصفية أي وهي شقيقة حمزة ولم يسلم من أعمامه صلى الله عليه وسلم الذين أدركوا البعثة الا حمزة والعباس وحكى اسلام أبي طالب وقد تقدم ما فيه ولم يسلم من عماته اللاتي أدركن البعثة من غير خلاف الا صفية أي وهي أم الزبير بن العوام أسلمت وهاجرت أي وماتت في خلافة عمر رضي الله عنه قيل وأسلمت عاتكة التي هي صاحبة الرؤيا يوم بدر وقيل وأروى قال بعضهم والمشهور أن عاتكة لم تسلم

﴿ باب ذكر أزواجه وسراريه صلى الله عليه وسلم ﴾

لا يخفى أن أزواجه صلى الله عليه وسلم المدخول بهن اثنا عشر امرأة خديجة رضي الله عنها وهي أول نسائه صلى الله عليه وسلم وكانت قبله تحت أبي هالة بن زرارة التيمي وقيل كانت تحت عتيق بن عائذ المخزومي أولا ثم تحت أبي هالة كما تقدم وجاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب أي ليس فيه رفع صوت ولا تعب أي من درة مجوفة فقد جاء أنها قالت له يا رسول الله هل في الجنة قصب فقال انه من لؤلؤ مجبى بالجيم وبالموحدة مشدده أي مجوف وجوزيت رضي الله عنها بهذا البيت لأنها أول من بنى بيتا في الاسلام بتزوجها برسول الله صلى الله

سبحانه في اماتته لأنه يكره الموت والرب يكره ما يكره عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضي أن لا يميته ولكن مصلحته في اماتته فانه ما أماته الا ليحييه وما أمرضه إلا ليصلحه ولم يخرجه من الجنة في صلب أبيه إلا ليعيده اليها على أحسن أحواله فهذا هو الحبيب في الحقيقة لا سواه والقصد بقوله وما ترددت الخ بيان عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمأنت به قلوبهم واستأنسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففي القلب طاقة لا يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات ولن يصل العبد إلى هذه المنزلة العلية والرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدي اليه بطريق توصله اليه ويحرق ظلمات الطبع بأشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فيقبل عليها بكليته ويدأب في تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطوة يكرهها الله ولا بخطرة فيصفو لذلك قلبه بذكر الله ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه إلى فضاء الخلوة بربه وذكره فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق في ذلك رزق محبة الرسول واستولت

روحانيته على قلبه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم امامه واستاذه ومعلمه وشيخه كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع مبادي أموره وكيفية نزول الوحي اليه ويعرف صفاته واخلاقه وآدابه ومعاشرته لأهله وأصحابه إلى غير ذلك مما منحه الله حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه فاذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث إذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت عليه وماذا أريد بها أوحظه (٣٥٢) المختص به منها من الصفات والأخلاق والأفعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من الأمراض ﴿ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات﴾ أعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقه والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف على ما حد لنا من شريعته قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد لربه عز وجل وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم محبة الله تعالى إياه قال الشاعر

تعصى الاله وأنت تظهر حبه
هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته
ان المحب لمن يحب مطيع

وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه بنعمه الظاهرة والباطنة فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن أعظم منة الله على عبده منته عليه بتأهيله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم واصل هذا نور يقذفه الله في قلب العبد فاذا دام ذلك النور أشرقت له ذاته فرأى ما أهلت له نفسه من الكمالات والمحاسن فتعلوا همته وتقوى عزيمته وتنقشع عنه ظلمات نفسه وطبعه لأن النور والظلمة لا يجتمعان الا ويطرح أحدهما الآخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس إلى الحبيب الأول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى *

عليه وسلم كما جاء من كسى مسلما على عرى كساه الله من حلل الجنة ومن سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق جزاء وفاقا وعن عائشة رضي الله عنها ماغرت على أحد ماغرت على خديجة رضي الله عنها ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت له صلى الله عليه وسلم يوما وقد مدح خديجة رضي الله عنها ماتذكر من عجوز حمراء الشدقين قد بدلك الله خيرا منها فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله ما أبدلني الله خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس وواستني بمالها حين حرمني الناس ورزقت منها الولد وحرمته من غيرها واتفق له صلى الله عليه وسلم أنه أرسل لحما لامرأة تناوله صلى الله عليه وسلم ودفعه لآخر يدفعه لها فقالت له عائشة رضي الله عنها لم تحرز يدك(١) فقال إن خديجة أوصتني بها فقالت عائشة لكأنما ليس في الأرض امرأة الا خديجة فقام رسول صلى الله عليه وسلم مغضبا فلبث ماشاء الله ثم رجع فاذا أم رومان أم عائشة رضي الله عنها فقالت يارسول الله مالك ولعائشة انها حديثة السن وأنت أحق من يتجاوز عنها فأخذ شدق عائشة رضي الله عنها وقال ألست القائلة كأنما ليس على وجه الأرض امرأة الا خديجة والله لقد آمنت بي اذ كفر بي قومك ورزقت منها الولد وحرمتموه ثم سوده بنت زمعة أي وأمها من بني النجار لأنها بنت أخي سلمى بن عبد المطلب(٢) كما تقدم ثم أم عبد الله عائشة رضي الله عنها بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما اكتنت بابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم باذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فصار يقال لها أم عبد الله كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة هو عبد الله وأنت أم عبد الله قالت فمازلت أكنى به أي وكان يدعوها أما لأنه رضي الله عنه تربى في حجرها ويقال انها أتت منه صلى الله عليه وسلم بسقط أي وسمى عبد الله قال الحافظ الدمياطي ولم يثبت كما تقدم وتزوجها صلى الله عليه وسلم بمكة في شوال وهي بنت سبع سنين وبنى صلى الله عليه وسلم بها وهي بنت تسع سنين أي في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة على الصحيح كما تقدم وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها أريتك في النوم مرتين أرى ملكا يحملك في سرقة أي شقة حرير فيقول هذه امرأتك فاكشف فأراك فأقول ان كان من عند الله يمضه وقبض صلى الله عليه وسلم عنها وهي بنت ثمان عشرة ولم يتزوج بكرا غيرها وقبض صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجرها ودفن في بيتها كما سيأتي وماتت وقد قاربت سبعا وستين سنة في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه بالبقيع وقيل سعيد بن زيد ودفنت به ليلا وذلك في زمن ولاية مروان بن الحكم على المدينة في خلافة معاوية وكان مروان استخلف أبا هريرة رضي الله عنه لما ذهب إلى العمرة في تلك السنة ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وهي شقيقة عبد الله بن عمر وأسن منه وأمها زينب أخت عثمان بن مظعون وكانت قبله صلى الله عليه وسلم تحت خنيس بن حذافة رضي الله عنه فتوفي عنها

---

(١) قوله لم تحرز يدك هكذا في بعض النسخ وفي بعضها لم تحرت بذلك وليحرر

(٢) قوله لأنها بنت أخي سلمى بن عبد المطلب الذي في الزرقاني على المواهب بنت أخي سلمى بنت عمرو بن زيد أم عبد المطلب وهي ظاهرة

ما الحب إلا للحبيب الأول   كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لأول منزل   و بحسب هذا الاتباع توجد المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الأمر إلا بهما فليس الشأن أن تحب الله بل الشأن ان يحبك الله ولا يحبك إلا إذا اتبعت حبيبه ظاهرا أو باطنا وصدقته خبرا وأطعته أمرا وأجبته دعوة وآثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق بمحبته وعن طاعة غيره بطاعته قال المحاسبي علامة المحبة لله اتباع مرضاة الله والتمسك بسنة رسول الله (٣٥٣) صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه واسرعت الجوارح إلى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان في القلب كما يدخل حب الماء الشديد البرد في اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد العطش فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعة غذاء لقلبه وسرورا له وقرة عين في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد في الأوراد والأذكار وبقية الأعمال كلفة روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة قال ابن عطاء من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه وقال أبو اسحق الرقي وكان من اقران الجنيد علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لا يظهر على أحد شيء من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام فان ادعى علما لدنيا أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا بموافقته لما جاء الرسول به من ربه تعالى وإلا فهو من الشيطان والنفس فاتباع هذا الرسول

عنها بجراحة أصابته ببدر وقيل بأحد وهو خطأ لما سيأتي من ان تزوجه صلى الله عليه وسلم لها في شعبان على رأس ثلاثين شهرا من الهجرة قبل أحد بشهرين أو قول وكانت ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبني البيت وماتت بالمدينة في شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله أيضا أبو هريرة رضي الله عنه وقد بلغت ثلاثا وستين سنة وقيل ماتت لما بويع معاوية سنة إحدى وأربعين والله أعلم وطلقها صلى الله عليه وسلم وقيل في سبب طلاقها انه صلى الله عليه وسلم كان في بيتها فاستأذنت في زيارة أبيها وقيل في زيارة عائشة لأنهما كانتا متصادقتين أي بينهما المصافاة فأذن لها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مارية وأدخلها بيت حفصة وواقعها فرجعت حفصة فأبصرت مارية مع النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها فلم تدخل حتى خرجت مارية ثم دخلت وقالت له اني رأيت من كان معك في البيت وغضبت وبكت أي وقالت يارسول الله لقد جئت إلى شيء ما جئت به إلى أحد من نسائك في يومي وفي بيتي وعلى فراشي فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهها الغيرة قال لها أسكتي وهي حرام علي ابتغي بذلك رضاك (وفي رواية) اما ترضين ان أحرمها على نفسي ولا أقربها أبدا قالت بلى وحلف ان لا يقربها أي قال انها حرام (وفي رواية) قد حرمتها علي ومع ذلك اخبرك ان أباك الخليفة من بعد أبي بكر فاكتمي علي (وفي رواية) قال لها لا تخبري بما أسررت اليك فأخبرت بذلك عائشة رضي الله عنهما فقالت قد أراحنا الله من مارية فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمها على نفسه وقصت عليها القصة وقيل خلا صلى الله عليه وسلم بمارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي قد حرمت مارية على نفسي فأخبرت بذلك عائشة وكانتا متصادقتين بينهما المصافاة كما تقدم وطلقها وأنزل الله تعالى عند تحريم مارية قوله يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك إلى قوله قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أي أوجب عليكم كفارة ككفارة أيمانكم لأن الكفارة تحل ما عقدته اليمين لان هذا ليس من الايمان أي وأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ان حفصة قد نبأت عائشة بما أسره اليها من أمر مارية وأمر الخلافة فلما أخبر صلى الله عليه وسلم عائشة ببعض ما أسرته لها وهو أمر مارية وأعرض عما أسره اليها من أمر الخلافة خوفا أن ينتشر ذلك في الناس قالت عائشة من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ومن ثم كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول والله إن خلافة أبي بكر وعمر لفي كتاب الله ثم يقرأ هذه الآية ولما أفشت حفصة رضي الله عنها سره صلى الله عليه وسلم طلقها كما تقدم فجاءه جبريل عليه السلام يأمره بمراجعتها لانها صوامة قوامة وانها إحدى زوجاته صلى الله عليه وسلم في الجنة (وفي رواية) تأتي راجعها رحمة لعمر وقيل هم صلى الله عليه وسلم بتطليقها ولم يفعل فقد جاء عن عمار بن ياسر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أراد أن يطلقها فقال له جبريل عليه السلام انها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة وعليه فيراد بالمراجعة المصالحة والرضا عنها كما سيأتي قال في الينبوع وهذا هو المشهور فسيأتي ما يدل على صحته أي والذي سيأتي قول عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم لما اعتزل نساءه

يارسول الله اطلقتهن قال لا وفيه ان هذا كان عند طلبهن منه صلى الله عليه وسلم لنفقة وهذه الواقعة غير تلك وقيل في سبب نزول الآية غير ذلك وفي البخاري في سبب نزول الآية عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على ايتنا دخل عليها فلتقل له صلى الله عليه وسلم أكلت مغافير أي أجد منك ريح مغافير فدخل على حفصة رضي الله عنها فقالت له ذلك فقال لها لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب ابنة جحش ولن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا أي لانه ﷺ لا يحب أن يظهر منه ريح كريهة لأن المغافير صمغ العوسج من شجر الثمام كريه الريح وعن عمر رضي الله عنه ان امرأته راجعته في شيء فأنكر عليها مراجعتها فقالت له عجبا لك يا ابن الخطاب ما تريد أن تراجع وان ابنتك لتراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يظل يومه غضبان فقام عمر رضي الله عنه فدخل على حفصة رضي الله عنها فقال لها يا بنية انك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان فقالت له حفصة والله انا لنراجعه فقلت تعلمين اني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ يا بنية لا تغرنك هذه التي أعجبها حسنها وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها يريد عائشة قال ثم دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها فقالت يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فأخذتني والله أخذا كسرتني عن بعض ما كنت أجد فخرجت من عندها فأنا في منزلي جاءني صاحب لي من الأنصار وأخبرني ان رسول الله ﷺ اعتزل نساءه فقلت رغم انف حفصة وعائشة فأخذت ثوبي وجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو في مشربة له يرقى اليها بعجلة وهو جذع يرقى عليه رسول الله ﷺ إلى المشربة وينحدر منها عليه وغلام له أسود يقال له رباح على رأس العجلة فقلت له قل له هذا عمر بن الخطاب فأذن لي أي عند أن يقال له يا رباح استأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وفي كل مرة ينظر رباح إلى المشربة ولا يرد له جوابا وفي الثالثة رفع له عمر رضي الله عنه صوته فأومأ اليه ان ارق قال فدخلت على رسول الله ﷺ فقصصت عليه القصة فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم ويأتي ان هذا كان عند اجتماعهن عليه في النفقة لا لاجل معاتبة الله اياه بسبب الحديث الذي أفشته حفصة ويحتمل انه لاجتماع الأمرين (وفي رواية) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم أزل حريصا على أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج رسول الله ﷺ اللتين قال الله تعالى فيهما ان تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما فقال واعجبا لك يا ابن عباس هما عائشة وحفصة أي فان الله خاطبهما قوله ان تتوبا إلى الله أي فهو خير لكما فقد صغت قلوبكما أي مالتا عما يجب عليكما من طاعة رسول الله ﷺ وابتغاء مرضاته ثم استقبل الحديث قال كنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة على الأنصار اذا قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نسائهم فصخبت على امرأتي فراجعتني فأنكرت ان تراجعني فقلت ولم تنكران أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وان احداهن لتهجره اليوم حتى الليل فأفزعني ذلك منهن فدخلت على حفصة فقلت لها أتغاضب إحداكن النبي ﷺ اليوم حتى الليل قالت نعم فقلت قد خبت وخسرت أفتأمنين ان يغضب الله لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فتهلكي لا تستكثري النبي صلى الله عليه وسلم ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسليني ما بدا لك ولا يغرنك ان كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد عائشة فأخبرت ان النبي صلى الله عليه وسلم طلق نساءه فقلت قد خابت

ولذة الأرواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامات محبته ان يرضى مدعيها بما شرعه الله حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضى قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا مما قضاه ولم يسلم له قال العارف بالله تاج الدين ابن عطاء الله الشاذلي رضي الله عنه وأذاقنا حلاوة مشربه في هذه الآية دلالة على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مؤمن في كليهما فاحكام التكليف الأوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العبد وأحكام التعريف هو ما أورده عليك من فهم المراد فتبين لك من هذا أنه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا بأمرين الامتثال لأمره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج في نفسه حتى أقسم على ذلك

حفصة

حفصة وخسرت وقد كنت أظن هذا وقد خلت على حفصة فإذا هي تبكي فقلت ما يبكيك ألم أكن حذرتك هذا أطلقكن النبي صلى الله عليه وسلم قالت لا أدري ها هو معتزل في المشربة أي الغرفة فإنه صلى الله عليه وسلم لما عاتبه الله سبحانه بسبب الحديث الذي أفشته حفصة على عائشة حلف لا يدخل على نسائه شهراً فصار ﷺ يتغدى ويتعشى وحده في تلك المشربة فجئت المشربة فقلت لغلام أسود استأذن لعمر فدخل الغلام فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع فقال كلمته وذكرتك له فصمت فانصرفت ثم غلبني ما أجد فجئت فقلت للغلام استأذن لعمر فدخل ثم رجع الي فقال ذكرتك له فصمت فرجعت ثم غلبني ما أجد فجئت الغلام ثم قلت استأذن لعمر فدخل ثم رجع إلي فقال ذكرتك له فصمت فلما وليت منصرفا إذا الغلام يدعوني فقال قد أذن لك النبي ﷺ فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت له وأنا قائم يا رسول الله أطلقت نساءك فرفع بصره الي فقال لا فقلت الله أكبر كنا معاشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة فإذا قوم تغلبهم نساؤهم فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قلت يا رسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك ان كانت جارتك أوضأ منك وأحب الى رسول الله ﷺ فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم تبسمة أخرى فجلست حين رأيته صلى الله عليه وسلم تبسم (وفي رواية) ان عمر رضي الله عنه لما بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم طلق حفصة حثا على رأسه التراب وقال ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها فنزل جبريل على النبي ﷺ من الغد وقال ان الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر وقد يراد بالمراجعة المصالحة والرضا فلا ينافي ما تقدم انه لم يطلقها وانما أراد ذلك ويدل له ما جاء عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنه ﷺ أراد ان يطلقها فقال له جبريل عليه السلام انها صوامة قوامة وانها زوجتك في الجنة ومن هذا وما يأتي يعلم أنه صلى الله عليه وسلم آلى من نسائه وأما الظهار فلم يظاهر أبدا خلافا لمن زعمه أي وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب اعتزاله ﷺ لنسائه في المشربة انه شجر بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين حفصة أمر فقال لها اجعلي بيني وبينك رجلا قالت نعم قال فأبوك إذا فأرسلت الى عمر فجاء فلما دخل عليهما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم تكلمي فقالت بل أنت يا رسول الله تكلم ولا تقل الا حقا فرفع عمر رضي الله عنه يده فوجأها في وجهها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كف يا عمر فقال عمر يا عدوة الله النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول الا الحق والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتي فقام النبي صلى الله عليه وسلم فصعد الى الغرفة فمكث فيها شهرا لا يعرف شيئا من نسائه ونزلت آية التخيير ويقال لا مانع من اجتماع هذا السبب مع ما تقدم ويروى ان سبب نزول آية التخيير ان نساءه صلى الله عليه وسلم اجتمعن عليه وسألنه النفقة ولم يكن عنده شيء فآلى ان لا يجتمع بهن شهرا وصعد المشربة الحديث وعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال جاء أبو بكر يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه ليؤذن لهم قال فأذن لأبي بكر رضي الله عنه فدخل ثم أقبل عمر ماشيا فأذن له فدخل فوجد النبي صلى الله عليه وسلم حوله نساؤه أي قد سألنه النفقة وهو واجم ساكت لا يتكلم فقال عمر رضي الله عنه لأقولن شيئا أضحك به النبي ﷺ فقال يا رسول الله لو رأيت فلانة يعني زوجته سألتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألنني النفقة فقام أبو بكر رضي الله عنه الى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر رضي الله عنه الى حفصة فوجأ عنقها وكل يقول تسألن رسول الله ﷺ

بالربوبية الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل ولا الرب انما قال ولا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وفي ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد في المقسم به علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة والنصرة سواء كان الحق عليها أو لها وفي ذلك اظهار لعنايته برسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه وأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لأمره ولم يقبل منهم الايمان حتى يذعنوا لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم ثم إنه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر بل اشترط ان لا يوجد الحرج في نفوسهم من أحكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم موافقا لما في أهوائهم أو مخالفا لها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فيه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه مفوضة له في نقضه وإبرامه وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في سائر الاحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته

ماليس عنده ثم أقسم رسول الله ﷺ ان لا يجتمع بهن شهرا (وفي رواية) أخرى عن عمر رضي الله عنه أنه ذكر أن بعض أصدقائه من الأنصار جاء اليه ليلا فدق عليه بابه وناداه قال عمر فخرجت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ماذا أجاءت غسان لانا كنا حدثنا ان غسان تنعل الخيل لغزونا فقال لا بل أمر أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله ﷺ نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت كنت أظن هذا كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ودخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله ﷺ قالت لا أدري هو هذا معتزلا في هذه المشربة أي لأن نساءه ﷺ لما اجتمعن عليه ﷺ في طلب النفقة أقسم أن لا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن قال عمر رضي الله عنه لأقولن من الكلام شيئا أضحك به النبي ﷺ فأتيت غلاما له ﷺ أسود فقلت له استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج وقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المسجد فجلست قليلا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت فلما كان في المرة الرابعة وقال لي مثل ذلك وليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال أدخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر في جنبه فقلت أطلقت يارسول الله نساءك قال ورفع رأسه الى وقال لا فقلت الله أكبر ثم قلت كنا معاشر قريش بمكة نغلب على النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن منهن فكلمت فلانة يعني زوجته فراجعتني فأنكرت عليها وقالت تنكر إن راجعتك فوالله لقد رأيت أزواج النبي ﷺ يراجعنه وتهجره احداهن اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك وخسر أتأمن إحداهن ان يغضب الله عليها الغضب زوجها رسول الله ﷺ فذهبت الى حفصة فقلت أتراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم وتهجره احدانا اليوم الى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أتأمن احداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ لا تراجعين رسول الله ﷺ ولا تسألينه شيئا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك إن كانت جارتك أحب الى رسول الله ﷺ منك يعني عائشة رضي الله تعالى عنها فتبسم أخرى فقلت استأنس يارسول الله قال نعم فجلست وقلت يارسول الله قد أثر في جنبك رمل هذا الحصير وفارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوى ﷺ جالسا وقال أفي شك أنت ياابن الخطاب أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت أستغفر الله يارسول الله فلما مضى تسع وعشرون يوما أنزل الله تعالى عليه ان يخير نساءه في قوله تعالى يا أيها النبي قل لأزواجك الآية فنزل ودخل على عائشة رضي الله تعالى عنها وقالت له يارسول الله أقسمت إن لم تدخل علينا شهرا وقد دخلت وقد مضى تسع وعشرون يوما أعددهن فقال ﷺ ان الشهر تسع وعشرون وفي رواية يكون هكذا وهكذا وهكذا يشير بأصابع يديه وفي الثالثة حبس ابهامه ثم قال ﷺ ياعائشة اني ذاكر لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلي وفي رواية اني أعرض عليك أمرا وأحب أن لا تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك قالت وما هو يارسول الله فقرأ على يا أيها النبي قل لأزواجك الآية قلت أفي هذا استأمر أبوي فاني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفي رواية أفيك يارسول الله استشير أبوي بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت رضي الله تعالى عنها ثم قلت له لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت لك فقال صلى الله عليه وسلم لا تسألني امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يبعثني متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا ثم فعل بقية أزواجه صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلت عائشة رضي الله تعالى عنهن ثم زينب بنت خزيمة رضي الله تعالى عنها وهي أخت ميمونة لأمها كانت تدعى أي في الجاهلية أم المساكين

حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببت ولا تبقى لك منك شيئا فمن آثر هذا النبي الكريم على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ومن كان معه بلا اختيار طهرت له خبايا حقائق أسرار أنسه ﴿ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم﴾ نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه في الجود والايثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وآثر ذلك على أعراض الدنيا ﴿ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم﴾ التسلي عن المصائب ولا يجد من مسها ما يجده غيره حتى كأنه اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب أعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته والذوق والوجود شاهد بذلك وكرب المحبة ممزوجة بالحلاوة فاذا فقد تلك الحلاوة اشتاق الى تلك الكرب كما قيل

تشكى المحبون المصائب ليتني * تحملت بما يلقون من بينهم وحدي

لرأفتها وإحسانها اليهم أي كما سمي صلى الله عليه وسلم جعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أبي المساكين لحبه لهم وجلوسه عندهم وتحدثه معهم واحسانه اليهم رضي الله تعالى عنه كانت قبله تحت الطفيل بن الحرث فطلقها فتزوجها أخوه عبيدة بن الحرث فقتل يوم بدر شهيدا فخطبها صلى الله عليه وسلم فجعلت أمرها اليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا أي وذلك على رأس أحد وثلاثين شهرا من الهجرة قبل أحد بشهر وفي لفظ ان عبيدة بن الحرث قتل عنها يوم أحد فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ انها كانت تحت عبد الله بن جحش قتل عنها يوم أحد فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المواهب وهو أصح وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب فعمدت أم سليم الى تمر وسمن وإقط فصنعت حيسا فجعلته في تور فقالت يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمي وهي تقرئك السلام فقال صلى الله عليه وسلم ادع لي فلانا وفلانا ورجالا سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص بأهله قيل لأنس ما عددهم قال كانوا ثلثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده الشريفة على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم اذكروا الله وليأكل كل رجل مما يليه فأكلوا حتى شبعوا كلهم ثم قال صلى الله عليه وسلم لي يا أنس ارفع فرفعت فما أدري حين وضعت كانت أكثر أو حين رفعت ومكثت عنده صلى الله عليه وسلم ثمانية أشهر وقيل شهران أو ثلاثة ثم توفيت وصلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنت بالبقيع وقد بلغت ثلاثين سنة أو نحوها ولم يمت من أزواجه صلى الله عليه وسلم في حياته الا هي وخديجة رضي الله تعالى عنهما ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعد زينب هذه أم سلمة واسمها هند وكانت قبله صلى الله عليه وسلم عند أبي سلمة رضي الله تعالى عنه عبد الله بن عبد الاسد ابن عمته صلى الله عليه وسلم برة بنت عبد المطلب وأخوه ﷺ من الرضاعة وكانت هي وهو أول من هاجر الى الحبشة على ما تقدم ولما مات أبو سلمة رضي الله تعالى عنه قال لها رسول الله ﷺ سلي الله ان يؤجرك في مصيبتك ويخلفك خيرا فقالت ومن يكن خيرا من أبي سلمة ولما اعتدت أم سلمة رضي الله تعالى عنها أرسل ﷺ يخطبها مع حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه أي وكان خطبها أبو بكر رضي الله تعالى عنه فأبت وخطبها عمر فأبت ولما جاءها حاطب قالت مرحبا برسول الله ﷺ تقول له اني امرأة مسنة واني أم أيتام أي لانها رضي الله تعالى عنها كان معها أربع بنات برة وسلمة وعمرة ودرة واني شديدة الغيرة فأرسل ﷺ يقول لها أما قولك اني امرأة مسنة فأنا أسن منك ولا يعاب على المرأة ان تتزوج أسن منها وأما قولك اني أم أيتام فان كلهم على الله وعلى رسوله وأما قولك اني شديدة الغيرة فاني أدعو الله ان يذهب ذلك عنك أي وفيه انهم قالوا يا رسول الله ألا تتزوج من نساء الانصار قال ان فيهن غيرة شديدة وفي لفظ انها قالت زيادة على ما تقدم ليس لي ههنا أحد من أوليائي فيزوجني فأتاها رسول الله ﷺ فقال لها أما ما ذكرت من غيرتك فاني أدعو الله ان يذهبها عنك وأما ما ذكرت من صبيتك فان الله سيكفيهم وأما ما ذكرت من أوليائك فليس أحد من أوليائك يكرهني فقالت لابنها زوج رسول الله ﷺ فزوجه أي على متاع منه رحى وجفنة وفراش حشوه ليف وقيمة ذلك المتاع عشرة دراهم وقيل أربعون درهما قالت فتزوجني رسول الله ﷺ وأدخلني بيت زينب أم المساكين رضي الله تعالى عنها بعد ان ماتت فاذا جرة فيها شيء من شعير واذا رحى وبرمة وقدر وكعب أي ظرف الأدم فأخذت ذلك الشعير فطحنته ثم عصدته في البرمة وأخذت الكعب فأدمته فكان ذلك

كثرة ذكره وكثرة الصلاة عليه فمن أحب شيئا أكثر من ذكره قال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ذكر المحبوب على عدد الانفاس وقال آخر للحب ثلاث علامات أن يكون كلامه ذكرا لمحبوبه وصمته فكرا فيه وعمله طاعة له (وقال المحاسبي) علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون وقد أجمع الحكماء على ان من أحب شيئا أكثر من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشيء ألذ من الذكر المحبوب فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات وانقطعت أوهامهم عن عارض دواعي الشهوات ورقت الى معادن الذخائر وبغية الطلبات وربما تزايد وجد المحب وهاج الحنين وباح الأنين وتحركت المواجيد وتغير اللون وفتر البدن واقشعر الجلد وربما صاح وربما بكى وربما شهق وربما تعظيمه عند ذكره

طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أهله ليلة عرسه وماتت أم سلمة رضي الله تعالى عنها في ولاية يزيد بن معاوية وكان عمرها أربعا وثمانين سنة ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وقيل سعيد بن زيد وغلط قائله وذكر بعضهم ان تزوج ولدها لها رضي الله تعالى عنهما انما كان بالعصوبة لانه كان ابن ابن عمها ثم تزوج صلى الله عليه وسلم بعد أم سلمة رضي الله تعالى عنها زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم زينب أي خشي أن يقال خرج من عند برة وهي بنت عمته صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب وكانت قبله صلى الله عليه وسلم عند مولاه زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما ثم طلقها فلما انقضت عدتها زوجه الله إياها أي لأنه صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة يخطبها له ﷺ قال زيد فذهبت اليها فجعلت ظهري الى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك فقالت ما كنت لاحدث شيئا حتى أوآمر ربي عز وجل فانزل الله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير اذن فكانت رضي الله تعالى عنها تفتخر بذلك على نسائه صلى الله عليه وسلم وتقول ان الله أنكحني اياه من فوق سبع سموات وهذا يرد ما قيل ان أخاها أبا أحمد بن جحش زوجها منه صلى الله عليه وسلم قال في النور يمكن تأويل تزويج أخيها إياها وقد ذكر مقاتل رحمه الله ان زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما لما أراد ان يتزوج زينب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله أخطب علي قال له من قال زينب بنت جحش قال لا أراها تفعل انها أكرم من ذلك نفسا فقال يا رسول الله اذا كلمتها أنت وقلت زيد أكرم الناس علي فعلت فقال صلى الله عليه وسلم انها امرأة لسناء فذهب زيد رضي الله تعالى عنه الى علي كرم الله وجهه فحمله على ان يكلم له النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق معه إلى النبي صلى الله الله عليه وسلم فكلمه فقال اني فاعل ذلك ومرسلك يا علي الى أهلها فتكلمهم ففعل ثم عاد بامره (١) بكراهتها وكراهة أخيها لذلك فأرسل اليهم النبي صلى الله عليه وسلم يقول قد رضيته لكم وأقضي أن تنكحوه فأنكحوه وساق لهم عشرة دنانير وستين درهما ودرعا وخمارا وملحفة وازارا وخمسين مدا من الطعام وعشرة أمداد من التمر أعطاه ذلك كله رسول الله ﷺ وأولم عليها وأطعم المساكين خبزا ولحما أي وتزوجها ﷺ هلال ذي القعدة سنة أربع من الهجرة على الصحيح وهي بنت خمس وثلاثين سنة وقيل نزلت في ذلك اليوم آية الحجاب فانه ﷺ لما دعا القوم وطعموا تهيأ ﷺ للقيام فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام وقام من قام وقعد ثلاثة نفر فجاء النبي ﷺ ليدخل فاذا القوم جلوس فلم يدخل فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية وتكلم في ذلك المنافقون وقالوا محمد حرم نساء الاولاد وقد تزوج امرأة ابنه أي لان زيد بن حارثة كان يقال له زيد بن محمد أي لانه ﷺ كان تبناه كما تقدم فانزل الله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وأنزل ادعوهم لآبائهم فمن حينئذ كان يقال له رضي الله تعالى عنه زيد بن حارثة كما تقدم وهي أول نسائه ﷺ لحوقا به ماتت رضي الله تعالى عنها بالمدينة سنة عشرين ودفنت بالبقيع ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أي فان عمر رضي الله تعالى عنه أرسل الى زينب رضي الله تعالى عنها بالذي لها من العطاء فسترته بثوب وأمرت بتفرقته فكان خمسة وثمانين درهما ثم قالت اللهم لا تدركني عاما لعمر بعد عامي هذا فماتت وهي أول من جعل على نعشها قبة أي بعد فاطمة رضي الله تعالى عنها فلا يخالف ما سبق مما ظاهره انه فعل لها ذلك وفي كلام بعضهم ان زينب هذه أول من حمل على نعش

واظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه فكل من أحب شيئا خضع له كما كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم اذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقا أو تهيبا وتوقيرا قال بعض السلف واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ من هيبته واجلاله بما كان يأخذ به لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به وكان أيوب السختياني رحمه الله اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه وكان جعفر بن محمد رضي الله عنه كثير المزح والدعابة فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وكان عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى لونه كأنه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينه دموع وكان الزهري اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم يتغير وكأنك ما عرفته ولا عرفك وكان صفوان بن حكيم من المتعبدين المجتهدين

وقيل

---

(١) عاد بأمره في بعض النسخ بامره بمثناه تحتية وفي بعض بموحدة وكلاهما لعله محرف عن بخبره اه

فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه ﴿ ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ﴾ كثرة الشوق الى لقائه إذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه قال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وعن معروف الكرخي رضي الله عنه المحبة الشوق لمشاهدة الصفات أو مشاهدة أسرار الصفات فيرى بلوغ النوال ولو بمشاهده الرسول ولهذا كانت الصحابة اذا اشتد بهم الشوق وأزعجتهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفعوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه والتبرك به صلى الله عليه وسلم وعن عبيده بن خالد بن معدان ما كان خالد يأوى الى فراش إلا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك فالقلب إذا ذاق طعم المحبة اشتاق وتأججت نيران الحب والطلب فيه ويجد صبره عن محبوبه من أعظم كبائره كما قيل

الصبر يحمد في المواطن كلها

إلا عليك فانه لا يحمد

وعن زيد بن أسلم قال خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز

وقيل أول من حمل على نعش فاطمة رضي الله تعالى عنها وكانت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول في حقها هي التي كانت تساويني في المنزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما رأيت امرأة قط خيراً في الدين وأتقى لله وأصدق في حديث وأوصل للرحم وأعظم صدقة من زينب رضي الله تعالى عنها وقال صلى الله عليه وسلم في حقها إنها الأواهة فقال رجل يا رسول الله ما الأواه قال الخاشع المتضرع وهي أول نسائه صلى الله عليه وسلم لحوقا به كما تقدم وقال له ﷺ بعض نسائه أينا أسرع بك لحوقا قال أطولكن يدا فأخذن قصبة يذرعنها وفي لفظ عن عائشة رضي الله تعالى عنها فكنا اذا اجتمعنا في بيت إحدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا في الجدار نتطاول فكانت سوده رضي الله تعالى عنها أطولهن فلما ماتت زينب رضي الله تعالى عنها أي وكانت امرأة قصيره علموا أن المراد طول اليد بالصدقة لانها كانت تعمل وتتصدق لا الجارحة وما في البخاري من أنها سودة قال ابن الجوزي غلط من بعض الرواة والعجب من البخاري رحمه الله كيف لم ينبه عليه ولا علم بفساد ذلك الخطأ فانه قال لحوق سوده به ﷺ من اعلام النبوه وكل ذلك وهم وانما هي زينب فانها كانت أطولهن يداً بالعطاء وجمع الطيبي رحمه الله بأنه يمكن أن يقال إن سوده رضي الله تعالى عنها أول نسائه صلى الله عليه وسلم موتا التي اجتمعن عند موته وكانت زينب رضي الله تعالى عنها غائبة وفيه أن في رواية أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعن عنده لم يغادر منهن واحدة أي فقد قال له بعضهن وفي لفظ قلن له أينا أسرع لحوقا بك يا رسول الله وقد قال الامام النووي أجمع أهل السير على أن زينب رضي الله تعالى عنها أول من مات من أزواجه صلى الله عليه وسلم بعده ثم جويريه رضي الله تعالى عنها بنت الحرث من بني المصطلق سبيت في غزوة بني المصطلق ووقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها على تسع أواق فأدى عليه الصلاة والسلام عنها ذلك وتزوجها وقيل جاء أبوها فافتداها ثم نكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقيل إنها كانت بملك اليمين فأعتقها ﷺ وتزوجها وكان اسمها بره فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية أي لما تقدم وكانت قبل رسول الله ﷺ عند مسافع بن صفوان وتقدم عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنها قالت كانت جويرية عليها ملاحة وحلاوة لا يكاد يراها أحد إلا وقعت بنفسه وكانت بنت عشرين سنة أي وتوفيت في المدينة سنة ست وخمسين وصلى عليها مروان ابن الحكم وهو والي المدينة يومئذ وقد بلغت سبعين سنة وقيل خمسا وستين سنة ثم ريحانة بنت زيد من بني النضير وقيل من بني قريظة وكانت قبل رسول الله ﷺ عند رجل من بني قريظة يقال له الحكم قال الحافظ الدمياطي رحمه الله ولذلك ينسبها بعض الرواة الى بني قريظة وكانت جميلة وسيمة وقعت في سبي بني قريظة فكانت صفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فخيرها رسول الله ﷺ بين الاسلام ودينها فاختارت الاسلام فأعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا وقيل كانت موطوءة له ﷺ بملك اليمين أي فقد ذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم خيرها بين أن يعتقها ويتزوجها وبين أن تكون في ملكه وعليه فتكون من السراري لا من الزوجات قال الحافظ الدمياطي والأول أنها زوجة أثبت عند أهل العلم وقال العراقي ان الثاني أي كونها سرية أضبط ودخل بها ﷺ بعد أن حاضت حيضة أي وذلك في بيت أم المنذر سلمى بنت قيس النجارية سنة ست من الهجرة وغارت عليه صلى الله عليه وسلم غيرة شديدة فطلقها فأكثرت البكاء فراجعها صلى الله عليه وسلم وهذا مؤيد للقول بأنها كانت زوجة قيل ماتت مرجعه ﷺ من حجة الوداع ودفنها بالبقيع ثم أم حبيبة رضي الله عنها وهي رملة بنت أبي سفيان بن حرب رضي الله تعالى عنهما وهي بنت عمة عثمان بن عفان هاجرت

مع زوجها عبيدالله بن جحش الى أرض الحبشة الهجرة الثانية فولدت له حبيبة وبها كانت تكنى وهى ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فى حجره رضى الله تعالى عنها وتنصر عبيدالله بن جحش هناك وثبتت هى على الاسلام رضى الله تعالى عنها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى رحمه الله فزوجه صلى الله عليه وسلم إياها وأصدقها النجاشى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار أى والذى تولى عقد النكاح خالد بن سعيد بن العاصى على الأصح وكلته فى ذلك وهو ابن عم أبيها وقيل الذى تولى عقد النكاح عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه وقيل كان الصداق أربعة آلاف درهم وجهزها النجاشى من عنده وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة فى سنة سبع وقيل تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعليه يحمل مافى كلام العامرى أن النبى ﷺ جدد نكاح أم حبيبة رضى الله تعالى عنها بنت أبى سفيان رضى الله تعالى عنه تطييبا لخاطره ثم صفية رضى الله تعالى عنها بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير قتل مع بنى قريظة كما تقدم وكانت عند سلام بن مشكم ثم خلف عليها كنانة بن أبى الحقيق وقتل عنها يوم خيبر وتقدمت قصة قتله فى خيبر ولم تلد لأحد منهما واصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها لانه لما جمع سبى خيبر جاءه دحية الكلبى رضى الله تعالى عنه فقال يارسول الله أعطنى جارية من السبى فقال اذهب فخذ جارية فأخذ صفية رضى الله تعالى عنها فقيل يارسول الله إنها سيدة بنى قريظة والنضير لا تصلح إلا لك فقال النبى ﷺ خذ جارية من السبى غيرها فحجبها وجهزتها له أم سليم رضى الله تعالى عنها وأهدتها له من الليل وكان عمرها لم يبلغ سبع عشرة سنة فأولم صلى الله عليه وسلم عليها بتمر وسويق وفى لفظ لما أصبح صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده شىء فليجىء به وبسط نطعاً فجعل الرجل يأتى بالاقط وجعل الرجل يأتى بالتمر وجعل الرجل يأتى بالسمن فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس قال كانت صفية عاقلة فاضلة ودخل عليها ﷺ يوما وهى تبكى فقال لها فى ذلك فقالت بلغنى أن عائشة وحفصة ينالان منى ويقولان نحن خير من صفية نحن بنات عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولى لهن كيف تكن خيراً منى وأبى هرون وعمى موسى عليهما الصلاة والسلام وزوجى محمد صلى الله عليه وسلم أى فهى بنت نبى وزوج نبى ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أثراً فى وجهها فسألها عن ذلك فقالت رأيت كأن القمر وقع فى حجرى فذكرت ذلك لأبى وتقدم فى رواية أنها ذكرت ذلك لزوجها كنانة فضرب وجهى ضربة أثرت فى هذا الأثر وقال انك لتمدين عنقك الى أن تكونى عند ملك العرب ولامانع من تعدد الواقعة فقد قال فى النور لعلهما فعلابها ذلك وتقدم فى رواية أنها رأت الشمس وقعت على صدرها وتقدم أنه يجوز تعدد الرؤيا أو أنها رأت الشمس والقمر فى وقت واحد وفى زمن خلافة عمر رضى الله عنه أتت جارية لها الى عمر رضى الله عنه فقالت له يا أمير المؤمنين إن صفية تحب السبت وتصل اليهود فسألها عمر رضى الله عنه فقالت أما السبت فانى لا أحبه منذ أبدلنى الله به الجمعة وأما اليهود فان لى فيهم رحما فانا أصلها ثم قالت للجارية ماحملك على ماصنعت قالت الشيطان قالت اذهبى فأنت حرة قال الحافظ الدمياطى رحمه الله ماتت فى رمضان سنة خمسين وقيل سنة اثنتين وخمسين ودفنت بالبقيع وخلفت ماقيمته مائة ألف درهم من أرض وعرض وأوصت لابن أختها بثلثها وكان يهوديا وذكر الرافعى رحمه الله عن إمامنا الشافعى رضى الله عنه أنها أوصت لأخيها وكان يهوديا بثلاثين ألفا أى وهذا لا يعارض ماذكر لانه يجوز أن يكون من روى عنه إمامنا لم يعتبر مازاد على الثلاثين الذى هو تتمة الثلث وهو ثلاثة وثلث لأن ثلث المائة ثلاثة وثلاثون

وثلث

ياليت شعرى والمنايا أطوار
هل تجمعنى وحبيبى الدار
تعنى النبى صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكى ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات وقال لها أعيدى على قولك فأعادته بصوت حزين فبكى وقال عمر لاتنسيه يرحمك الله فقالت وعمر فاغفرله ياغفار (ويحكى) أنه رؤيت امرأة بعد موتها وقد كانت مسرفة على نفسها فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفرلى قيل بماذا قالت بحبى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشهوتى النظر اليه فنوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحيى أن نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه
﴿ ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ﴾ حب القرآن الذى أتى به وتخلق به واذا أردت أن تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم فانظر محبة القرآن من قلبك فانه من المعلوم أن من أحب محبوبا كان كلامه وحديثه أحب شىء اليه وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال لوطهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله تعالى وكيف يشبع

وثلث أو ان القائل أوصت شلثها تجوز وأطلق على الثلاثين ثلثاثم ميمونة رضي الله عنها بنت الحرث وكان اسمها برة فسماها صلى الله عليه وسلم ميمونة زوجها له ﷺ عمه العباس رضي الله عنه وهي خالة ابنه عبدالله بن عباس واختها اسماء بنت عميس وسلمى بنت عميس وزينب بنت خزيمة أم المؤمنين وخالة خالد بن الوليد رضي الله عنه وكانت في الجاهلية عند مسعود بن عمرو ففارقها فخلف عليها أبو رهم فتوفي عنها فتزوجها صلى الله عليه وسلم وهو محرم أي كما عليه جمهور علماء المدينة في عمرة القضاء وفي الهدى يشبه أنه صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو محرم خلافا لابن عباس ووهمه في ذلك قال لأن السفير بينهما في النكاح وهو أبو رافع أعلم بالقصة وهو رجل بالغ وابن عباس كان سنه نحو عشر سنين قال ولا يخفى ان مثل هذا الترجيح موجب للتقديم وكان ذلك سنة سبع وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا وبنى بها بسرف بعد أن أحل على ما تقدم وماتت سنة احدى وخمسين على الأصح وبلغت ثمانين سنة ودفنت بسرف الذي هو محل الدخول بها والحاصل ان جملة من خطبه ﷺ من النساء ثلاثون امرأة منهن من لم يعقد عليه ومنهن من عقد عليه وهذا القسم أيضا منه من دخل به ومنه من لم يدخل به وفي لفظ جملة من عقد عليه ثلاث وعشرون امرأة والذي دخل به منهن اثنتا عشره فمن غير المدخول بها غزية وهي أم شريك العامرية وهذه قبل دخوله بها طلقها ولم يراجعها وهناك أم شريك السلمية أخرى وهي خولة أو خويلة ولم يدخل بها وهناك أم شريك ثالثة وهي الغفارية وأم شريك رابعة وهي الانصارية واختلف في الواهبة نفسها فقيل ميمونة وقيل أم شريك غزية وقيل أم شريك خولة التي لم يدخل بها ورجح القول الثاني الحصني حيث اقتصر عليه في كتاب المؤمنات فقال ومنهن أم شريك واسمها غزية وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ فلم يقبلها على ماقاله الأكثرون فلم تتزوج حتى مات عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضي الله عنهما وقع في قلب أم شريك الاسلام وهي بمكة فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرا فتدعوهن للاسلام وترغبهن فيه حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكنا سنسيرك اليهم قالت فحملوني على بعير ليس تحتي شيء ثم تركوني ثلاثا لا يطعموني ولا يسقوني وكانوا إذا نزلوا منزلا أوقفوني في الشمس واستظلوا فبينما هم قد نزلوا منزلا وأوقفوني في الشمس إذا أنا بأبرد شيء على صدري فتناولته فاذا هو دلو من ماء فشربت قليلا ثم نزع مني ورفع ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع ثم عاد ثم رفع مرارا فشربت منه حتى رويت ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء على ثيابي فقالوا انحللت فأخذت سقاءنا فشربت منه فقلت لا والله ولكنه كان من الأمر كذا وكذا فقالوا لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا فلما نظروا إلى اسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك واقبلت الى النبي صلى الله عليه وسلم فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها قال وفي ذلك ان من صدق في حسن الاعتماد على الله وقطع طمعه عما سواه جاءته الفتوحات من الغيب هذا كلامه وقد كان ﷺ ارجأ من نسائه خمسا سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة وميمونة وآوى اليه أربعا عائشة وزينب وأم سلمة وحفصة وهؤلاء التسعة مات عنهن ﷺ وقد نظمهن بعضهم فقال

توفي رسول الله عن تسع نسوة * اليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية * وحفصة تتلوهن هند وزينب
جويرية مع رملة ثم سودة * ثلاث وست ذكرهن مهذب

ومن جملة التي لم يدخل به النبي ﷺ التي ماتت من الفرح لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم تزوج بها وهي عزأخت دحية الكلبي رضي الله عنهما التي ماتت قبل دخوله بها ومن جملتهن

على قال أقرأ عليك وعليك أنزل قال فاني أحب ان أسمعه من غيري فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع رأسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكا رواه البخاري وهذا يجده من استنار قلبه ورق عند سماع الكتاب العزيز قال تعالى واذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال صاحب عوارف المعارف أذاقنا الله حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لأنه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار فاذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين بكى وأدمع لأن الحرارة والبرودة إذا اصطدمتا عند المام السماع بالقلب ظهر أثر ذلك في الجسد واقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون

سوده القرشية التى خطبها صلى الله عليه وسلم فاعتذرت ببنيها وكانوا خمسة وقيل ستة فقال لها خيرا ومن حملتهن التى تعوذت منه صلى الله عليه وسلم فقالت أعوذ بالله منك فقال لها لقد عذت بمعاذ وقد اعاذك الله منى وفى لفظ عذت بعظيم وفى لفظ عائذ الله وفى كلام بعضهم ان نساء النبى ﷺ خفن ان تغلبهن عليه لجمالها فقلن لها انه صلى الله عليه وسلم يعجبه إذا دنا منك ان تقولى له أعوذ بالله منك فلما دنا منها قالت أعوذ بالله منك وفى رواية قلن لها ان أردت ان تحظى عنده فتعوذى بالله منه فلما دخل عليها قالت له أعوذ بالله منك فصرف صلى الله عليه وسلم وجهه عنها وقال ما تقدم وطلقها وأمر اسامة رضى الله عنه فمتعها بثلاثة أثواب وفى لفظ أتى أبو أسيد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجونية أى اسماء بنت النعمان بن أبى الجون الكندية ولما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها فقالت تعال أنت وفى رواية فقال هبى نفسك فقالت تهب الملكة نفسها للسوقة فأهوى ﷺ بيده اليها لتسكت فقالت أعوذ بالله منك قال عذت بمعاذ فخرج فقال يا أبا أسيد اكسها رازقيين وألحقها بأهلها وهذا هو المشهور وروى هذا الخبر عن أسيد بن أبى أسيد قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امرأة يتزوجها بالجون أى من بنى الجون فجئت بها فأنزلتها الشعب فى أجم ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله جئتك بأهلك فأتاها ﷺ وأهوى اليها ليقبلها فقالت أعوذ بالله منك الحديث ومن حملتهن التى احتارت الدنيا وقيل التى كانت تلتقط البعر هى المستعيذة منه ومن حملتهن قتيلة بضم القاف وفتح التاء المثناة فوق بنت قيس أخت الاشعث بن قيس الكندى زوجه إياها أخوها وهى بحضرموت ومات صلى الله عليه وسلم قبل قدومها عليه وأوصى صلى الله عليه وسلم بأن تخير فان شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من امهات المؤمنين وإن شاءت الفراق فتنكح من شاءت فاختارت الفراق فتزوجها عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه بحضرموت فبلغ ذلك أبا بكر رضى الله عنه فقال هممت ان احرق عليها بيتها فقال له عمر رضى الله عنه ماهى من أمهات المؤمنين مادخل بها صلى الله عليه وسلم ولاضرب عليها الحجاب وقال ﷺ ما تزوجت شيئا من نسائى ولا زوجت شيئا من بناتى الابوحى جاءنى به جبريل عليه السلام من ربى عز وجل أى وعنه ﷺ ان خديجة رضى الله عنها تزوجها قبل نزول الوحى أى وقد ألف فى أزواجه ﷺ الحافظ الدمياطى جزأ فليطلب وكذا ألف فيهن الشمس الشامي وأما سراريه ﷺ فأربع مارية القبطية أم ولده سيدنا ابراهيم وريحانة على ماتقدم وجارية وهبتها له ﷺ زينب بنت جحش رضى الله عنها وأخرى اسمها رليحة القرطية

﴿ باب ذكر المشاهير من خدمه صلى الله عليه وسلم من الأحرار ﴾

من الرجال أنس بن مالك الأنصارى رضى الله عنه كان من أخص خدامه ﷺ خدمه من حين قدم المدينة إلى وفاته ﷺ عشر سنين كما تقدم فعن أنس رضى الله عنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أخذ أبو طلحة يعنى زوج أمه بيدى فانطلق بى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان انسا غلام كيس فليخدمك فخدمته ﷺ فى السفر والحضر وتقدم فى بعض الروايات ان ابتداء خدمته له ﷺ كان عند خروجه صلى الله عليه وسلم الى خيبر ومات وقد جاوز المائة وعبدالله بن مسعود رضى الله تعالى عنه كان صاحب سواكه ونعله صلى الله عليه وسلم إذا قام صلى الله عليه وسلم ألبسه إياهما فاذا جلس جعلهما فى ذراعيه حتى يقوم وكان رضى الله تعالى عنه يمشى بالعصا أمامه صلى الله عليه وسلم حتى يدخل الحجرة

ربهم وتارة يعظم وقعه ويرتفع أثره نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة يصل أثره الى الروح فتموج منه الروح موجا تكاد يضيق منه فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الأحوال وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ربما يمر بآية من ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب أنه مريض وكان الصحابة رضى الله عنهم إذا اجتمعوا يقولون لأبى موسى رضى الله عنه ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون فكانوا يجدون فى السماع القرآنى من الوجد واللذة والحلاوة والسرور أضعاف مايجد أهل السماع الشيطانى فاذا رأيت الرجل ذوقه وطربه ونشأته فى سماع الأبيات دون سماع الآيات وفى سماع الالحان دون سماع القرآن فتقرأ عليه الختمة وهو جامد كالحجر وإذا أنشد بين يديه شيء من الشعر يميل كالنشوان فاعلم ان هذا من أقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله أدام الله لنا حلاوة محبته ولا سلك بنا غير سبيل سنته ورحمته ﴿ ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ﴾ محبة سنته وقراءة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان فى قلبه إذا سمع كلمة من كلام الله تعالى

أي ومعيقيب الرومي رضي الله تعالى عنه كان صاحب خاتمه صلى الله عليه وسلم وعقبة بن عامر الجهني رضي الله تعالى عنه كان صاحب بغلته صلى الله عليه وسلم يقودها في الأسفار وكان عالما بكتاب الله عز وجل وبالفرائض فصيحا شاعرا مفوها ويأتي أنه ولي مصر لمعاوية رضي الله تعالى عنهما وتوفي بها وصرف عنها بمسلمة بن مخلد رضي الله تعالى عنه وأسقع بن شريك صاحب راحلته صلى الله عليه وسلم كان رضي الله تعالى عنه يرحل ناقته صلى الله عليه وسلم وعنه أنه صلى الله عليه وسلم قال له ذات يوم يا أسقع قم فارحل فقال يا رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء فسكت صلى الله عليه وسلم وجاءه جبريل عليه السلام بآية التيمم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا أسقع فتيمم فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين فقمت وتيممت ثم رحلت له ثم سار صلى الله عليه وسلم حتى مر بماء فقال لي يا أسقع أمس هذا جلدك وتقدم أن سبب نزول آية التيمم ضياع عقد عائشة رضي الله تعالى عنها في بعض الغزوات وبلال مؤذنه صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله تعالى عنه على نفقاته وهو مولى أبي بكر رضي الله تعالى عنه أي لأنه الذي اشتراه وهو يعذب في الله وأعتقه كما تقدم ومن النساء أمة الله بنت رزينة وخولة ومارية أم الرباب ومارية جدة المثنى بن صالح وقيل التي قبلها

﴿باب ذكر المشاهير من مواليه صلى الله عليه وسلم الذين أعتقهم﴾

فمن الرجال زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما كما تقدم أن خديجة رضي الله تعالى عنها وهبته له صلى الله عليه وسلم قبل النبوة فتبناه صلى الله عليه وسلم وكان يقال له ابن محمد ولما نزل ادعوهم لآبائهم أي وقوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم الآية قيل له زيد بن حارثة كما تقدم وكان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه أسامة وأخو أسامة لأمه أيمن بن أم أيمن بركة الحبشية رضي الله تعالى عنهم وأبو رافع كان قبطيا وكان للعباس رضي الله تعالى عنهما فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم ولما أسلم العباس وبشر أبو رافع رضي الله تعالى عنه النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام العباس أعتقه وشقران كان حبشيا وقيل فارسيا وكان لعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم وثوبان وأنجشة اشتراه صلى الله عليه وسلم منصرفه من الحديبية واعتقه وكان رضي الله تعالى عنه يحدو بالنساء فقال له صلى الله عليه وسلم وقد حدا بهن رويدا رويدا يا أنجشة رفقا بالقوارير يعني النساء لأن الحداء إذا سمعته الإبل أسرعت في المشي فتزعج الراكب والنساء يضعفن من شدة الحركة وشبههن صلى الله عليه وسلم في ضعفهن بالقوارير وهي الأواني من الزجاج ورباح كان أسود ويسار كان نوبيا على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي قتله العرنيون وقد تقدم أن هذا غير يسار الذي كان دليلا لسرية غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة وسفينة وكان أسود وكان لأم سلمة رضي الله تعالى عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقته واشترطت عليه أن يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عاش وكان اسمه مهران وقيل رومان وقيل غير ذلك وإنما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لأنه حمل أمتعة للصحابة رضي الله تعالى عنهم ثقلت عليهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم احمل فإنما أنت سفينة قال رضي الله تعالى عنه ولو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين إلى أن عد سبعة ما ثقل علي وقيل لأنه انكسرت به السفينة في البحر فركب لوحا من ألواحها فنجا وذكر أن البحر ألقاه على أجمة فيها سبع فأقبل نحوه فقال له يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء إلي وضربني بمنكبيه ثم مشى أمامي حتى أقامني على الطريق ثم همهم وضربني بذنبه فرأيت أنه يودعني وقيل إنما وقع له ذلك لما أضل الجيش الذي كان فيه بأرض الروم وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه أي

او من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسر منها روحه وقلبه ونفسه وتعمه تلك الكاملة حتى تصير كل شعره منه سمعا وكل ذره بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول

لي حبيب خياله نصب عيني وسره في ضمائري مدفون
إن تذكرته فكلي قلوب أو تأملته فكلي عيون

فحينئذ يستنير قلبه ويطهر سره وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين ويرتوي بري عطف محبوبه الذي لا شيء أروى لقلبه من عطفه عليه ولا شيء أشد للهيبة وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب أهل النار باحتجاب ربهم عنهم أشد عليهم من العذاب الجسماني كما أن نعيم أهل الجنة رؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه وإقباله أعظم من النعيم الجسماني لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب

(ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم)

أن يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف وقد يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة إدراك المحبوب عليه الصلاة والسلام فإذا كانت المحبة قوية وإدراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بإدراكه تابعة لقوة هذين الأمرين فصور في نفسك حال فقير معدم

لأنه صلى الله عليه وسلم هو الذي أدى عنه نجوم كتابته وفي كونه كان رقيقا ما تقدم أي والخصي الذي أهداه له المقوقس الذي هو مأبور المتقدم ذكره وآخر يقال له سندر وفي كلام بعضهم أعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه أربعين رقبة ومن النساء أم أيمن وأميمة وسيرين التي أهديت له ﷺ مع مارية أي وتقدم أنها أختها وذكر بعضهم أن سيرين هذه وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه وتقدم أن المقوقس أهدى معهما قنسر وأنها أخت مارية وسيرين فهن الثلاثة أخوات وتقدم أنه أهدى اليه صلى الله عليه وسلم رابعة

﴿ باب ذكر المشاهير من كتابه صلى الله عليه وسلم ﴾

وقد ذكر بعضهم أن كتابه صلى الله عليه وسلم كانوا ستة وعشرين كاتبا على ما ثبت عن جماعة من ثقات العلماء وفي السيرة للعراقي أنهم كانوا اثنين وأربعين منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وهو أول من كتب له صلى الله عليه وسلم من قريش بمكة ثم ارتد وصار يقول كنت أصرف محمدا حيث أريد كان يملي علي عزيز حكيم فأقول أو عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي لفظ كان يقول اكتب كذا فأقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ونزل فيه ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أي ثم لما كان يوم الفتح وأمر صلى الله عليه وسلم بقتله فر الى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه لأنه كان أخاه من الرضاعة أرضعت أمه عثمان فغيبه عثمان رضي الله تعالى عنه ثم جاء به بعد ما اطمأن الناس واستأمن له رسول الله ﷺ فصمت رسول الله ﷺ طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال النبي ﷺ لمن حوله ما صمت عنه الا لتقتلوه الى آخر ما تقدم ثم أسلم وحسن اسلامه ودعا الله تعالى ان يختم عمره بالصلاة فمات ساجدا في صلاة الصبح وقيل بعد التسليمة الأولى وقيل الثانية وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعامر بن فهيرة رضي الله تعالى عنهم أي وعبد الله بن الأرقم وكان يكتب الرسائل للملوك وغيرهم قال عمر في حقه ما رأيت أخشى لله منه وأبي بن كعب رضي الله تعالى عنه وهو أول من كتب له صلى الله عليه وسلم من الأنصار بالمدينة كان في أغلب أحواله يكتب الوحي وهو أحد الفقهاء الذين كانوا يكتبون في عهده عليه الصلاة والسلام وثابت بن قيس بن شماس وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان أي وأخوه يزيد قال بعضهم كان معاوية وزيد ابن ثابت رضي الله تعالى عنهما ملازمين للكتابة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوحي وغيره لا عمل لهما غير ذلك قال زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم بالسريانية قال اني لا آمن يهود على كتابي فما مر بي نصف شهر حتى تعلمت وحذقت فيه فكنت أكتب له صلى الله عليه وسلم اليهم وأقرأ له كتبهم والمغيرة بن شعبة والزبير بن العوام وخالد بن الوليد والعلاء بن الحضرمي وعمرو بن العاصي وعبد الله بن رواحة أي ومحمد بن مسلمة وعبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول

﴿ باب يذكر فيه حراسه صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه قوله تعالى والله يعصمك من الناس ﴾

سعد بن معاذ حرسه ﷺ ليلة يوم بدر أي الليلة التي صبيحتها ذلك اليوم وفي ذلك اليوم لم يحرسه صلى الله عليه وسلم الا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه شاهرا سيفه حين نام بالعريش وفي كلام بعضهم أن سعد بن معاذ رضي الله عنه كان مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه في العريش يحرسانه ﷺ في بدر ومحمد بن مسلمة رضي الله تعالى عنه حرسه صلى الله عليه وسلم يوم أحد والزبير بن العوام رضي الله تعالى عنه حرسه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق والمغيرة بن شعبة رضي الله

عاشق للدنيا أشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه آمنا مطمئنا كيف يكون سكره من الفرح أو من غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتى أضر به العدم وقدم عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب أضعافه ومما يقوى هذه اللذة سماع الأصوات الحسنة المطربة بالاشادات بالصفات النبوية إذ صادفت محلا قابلا فلا تسأل عن سكرة السامع وسبب ذلك اجتماع لذة الالحان ولذة الاشجان فتسكر الروح سكرا عجيبا ألذ وأطيب من سكر الشراب وفي الحديث ان داود عليه السلام يقوم يوم القيامة عند ساق العرش ويمجد الله فاذا سمع أهل الجنة صوته انغمرت لذة نعيمهم في لذة السماع وأعظم من ذلك إذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم التي تغنيهم عن الجنة ونعيمها فأمرهم حينئذ لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة وهذه صفة لا تلج كل اذن وصيب لا تحيي به كل أرض وعين لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومائدة لا يجلس عليها طفيلي والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم ﴾ محبة أصحابه وأهل بيته وذريته وقرابته وذلك ان الله تعالى لما اصطفى

تعالى عنه حرسه يوم الحديبية وأبو أيوب الأنصارى رضى الله تعالى عنه حرسه صلى الله عليه وسلم ليلة بنى بصفية ببعض طرق خيبر وبلال وسعد بن أبى وقاص وذكوان بن عبد قيس رضى الله تعالى عنهم حرسوه صلى الله عليه وسلم بوادى القرى أى وحرسه صلى الله عليه وسلم ابن أبى مرثد الغنوى فى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعة حنين حيث قال صلى الله عليه وسلم ألا رجل يحرسنا الليلة فقال أنا يارسول الله فدعا له صلى الله عليه وسلم وبعد نزول الآية وهى والله يعصمك من الناس ترك الحرس

﴿ باب يذكر فيه من ولى السوق فى زمنه صلى الله عليه وسلم ﴾

وتصدق هذه الولاية الآن بالحسبة ومتوليها بالمحتسب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل سعد بن سعيد بن العاصى بعد الفتح على سوق مكة واستعمل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على سوق المدينة

﴿ باب يذكر فيه من كان يضحكه صلى الله عليه وسلم ﴾

منهم نعيمان كان صلى الله عليه وسلم إذا نظر الى نعيمان لا يتمالك نفسه أن يضحك لأنه كان مزاحا وتقدم عنه ويأتى أيضا ماوقع بينه وبين سليط أوسويبط ومنهم الذى كان يحده فى الخمر واسمه عبد الله ويلقب بالحمار

﴿ باب يذكر فيه أمناء رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

منهم عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه كان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه وكذا أبو أسد بن أسيد الساعدى كان أمينه صلى الله عليه وسلم على نسائه وهو آخر من مات من أهل بدر رضى الله تعالى عنهم وكان ممن أبصر الملائكة يوم بدر وكف بصره وبلال المؤذن رضى الله تعالى عنه كان أمينه صلى الله عليه وسلم على نفقاته ومعيقيب كان أمينه صلى الله عليه وسلم على خاتمه الشريف

﴿ باب يذكر فيه شعراؤه صلى الله عليه وسلم ﴾

الذين كانوا يناضلون عنه بشعرهم ويهجون كفار قريش حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك رضى الله تعالى عنهم أجمعين

﴿ باب يذكر فيه من كان يضرب الأعناق بين يديه صلى الله عليه وسلم ﴾

وهم على كرم الله وجهه والزبير والمقداد ومحمد بن مسلمة رضى الله تعالى عنهم وعاصم بن ثابت أى والضحاك بن سفيان رضى الله تعالى عنه ولعل المراد من كان يتكرر منه ذلك فلا ينافى ما تقدم فى قصة الحرث بن سويد أنه قال لعويمر بن ساعدة رضى الله تعالى عنه اضرب عنقه

﴿ باب يذكر فيه مؤذنوه صلى الله عليه وسلم ﴾

وهم بلال وابن أم مكتوم رضى الله تعالى عنهما بالمدينة وسعد القرظ مولى عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنهما بقباء وقيل له القرظ لاتجاره فيه ومن قال القرظى فقد أخطأ وأبو محذورة رضى الله تعالى عنه بمكة أى وأذن بين يديه ﷺ زياد بن الحرث الصدائى كما تقدم وقد يقال مراد الأصل من تكرر أذانه فلا يرد هذا وكذا لا يرد عبد العزيز بن الأصم فانه أذن أيضا بين يديه صلى الله عليه وسلم مرة واحدة

نسبة ورفع قدر من أطاعه وكان معه نصرة وصحبة ألزم الله مودة قرباه كافة بريته وفرض المحبة لأهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى قل لاأسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى وقال تعالى إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الآية نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم بحسب سياق الآيات التى قبلها والتى بعدها ولكنها دالة على ذلك فمن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم جاء ومعه على وفاطمة وحسن وحسين آخذ كل منهما بيده حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءه ثم تلا هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى وأهل بيتى أحق رواه الامام أحمد عن واثلة بن الأسقع زاد فى رواية قال واثلة وأنا يارسول الله من أهلك قال وأنت من أهلى قال واثلة وانها من أرجى ما أرتجى وروى الامام أحمد أيضا عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى بيتها إذ جاءت فاطمة رضى الله

﴿ باب يذكر فيه العشرة المبشرون بالجنة رضي الله عنهم ﴾

وهم الخلفاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله تعالى عنهم أجمعين وقد نظم ذلك بعضهم في بيت فقال

لقد بشرت بعد النبي محمد * بجنة عدن زمرة سعداء
سعيد وسعد والزبير وعامر * وطلحة والزهري والخلفاء

أي وربما أسقط بعضهم أبا عبيدة عامر بن الجراح وذكر بدله عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه وهو غريب جدا

﴿ باب يذكر فيه حواريوه صلى الله عليه وسلم ﴾

بالحاء المهملة أي أنصاره الذين اشتهروا بهذا الوصف وهم الخلفاء الأربعة وحمزة وجعفر وأبو عبيدة وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة والزبير وهو أكثرهم شهرة بهذا الوصف بل هو المراد عند إطلاق حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ باب يذكر فيه سلاحه صلى الله عليه وسلم ﴾

كان له صلى الله عليه وسلم من السيوف تسعة ومن الدروع سبعة ومن القسي ستة ومن الأتراس ثلاثة ومن الرماح اثنان ومن الحراب ثلاثة ومن الخوذ اثنان وأما السيوف فسيف يقال له مأثور بهمزة ساكنة ثم تاء مثلثة ورثه صلى الله عليه وسلم من أبيه وقدم به المدينة أي ويقال إنه من عمل الجن وسيف يقال له العضب أي القاطع أرسل به إليه سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه عند توجهه صلى الله عليه وسلم إلى بدر وسيف يقال له ذو الفقار كان في وسطه مثل فقرات الظهر غنمه صلى الله عليه وسلم يوم بدر كان للعاص بن وائل قتل يوم بدر كافرا وكانت قائمته وقبيعته بفتح القاف وكسر الموحدة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم عين مهملة مفتوحة وحلقته بإسكان اللام وفتحها وعلاقته بكسر العين فضة وكان لا يفارقه صلى الله عليه وسلم في حرب من الحروب ويقال إن أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة وسيف يقال له الصمصامة بفتح الصاد المهملة وإسكان الميم كان مشهورا عند العرب وهو سيف عمرو بن معد يكرب أهداه صلى الله عليه وسلم لخالد بن سعد بن العاص حيث استعمله صلى الله عليه وسلم على اليمن وسيف يقال له القلعي بفتح اللام نسبة إلى برج القلعة موضع بالبادية وسيف يقال له الحتف بفتح الحاء المهملة ثم مثناة تحت ساكنة وهو الموت وهذه الثلاثة من سلاح بني قينقاع مثلث النون وسيف يقال له الرسوب بفتح الراء وضم السين المهملة ثم واو ساكنة ثم موحدة أي يرسب ويستقر في الضريبة وهو أحد السيوف التسعة التي أهدتها بلقيس لسليمان عليه الصلاة والسلام وسيف يقال له المخذم بكسر الميم ثم خاء ساكنة ثم دال معجمة مفتوحة القاطع وهما كانا معلقين على صنم طيء الذي يقال له الفلس وسيف يقال له القضيب من قضب الشيء قطعه فعيل بمعنى فاعل أي قاطع وأما الدروع فدرع يقال لها ذات الفضول بضم الفاء وبالضاد المعجمة لطولها أرسل بها إليه صلى الله عليه وسلم سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه حين سار إلى بدر أي وكانت من حديد وهي التي رهنها صلى الله عليه وسلم عند أبي الشحم اليهودي على ثلاثين صاعا من الشعير وكان الدين إلى سنة ودرع يقال لها ذات الوشاح بكسر الواو وبالشين المعجمة مخففة وفي آخره حاء مهملة ودرع يقال لها ذات الحواشي ودرع يقال لها السعدية بالعين والسعد موضع يصنع به الدروع قال في النور والذي أحفظه في هذه الدرع السغدية بضم السين المهملة وبالغين المعجمة الساكنة ثم دال مهملة مفتوحة

فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وتحته كساء قالت وأنا في الحجرة أصلي فأنزل الله عز وجل هذه الآية إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فأومأ بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي أي خاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة رضي الله عنها فأدخلت رأسي من البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله قال إنك إلى خير إنك إلى خير وروى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه قال أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي عز وجل فأجيبه وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به وحث عليه ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي ثلاث مرات فقيل لزيد من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته قال بلى إن نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده قيل

مفتوحة ودرع يقال لها الفضة و يقال لها السعدية بالعين المهملة مفتوحة وهما من دروع بني قينقاع يقال انهما درعا داود عليه الصلاة والسلام التي لبسها لقتال جالوت كما تقدم ودرع يقال لها البتراء بفتح الموحدة ثم مثناة فوق ساكنة ممدودة قيل لها ذلك لقصرها ودرع يقال لها الخرنق بالخاء المعجمة مكسورة ثم راء ساكنة ثم نون مكسورة ثم قاف قيل لها ذلك لنعومتها وأما القسي فقوس يقال لها البيضاء من شوحط وهو من شجر الجبال يتخذ منه القسي وهو من سلاح بني قينقاع وقوس يقال لها الروحاء وقوس يقال لها الصفراء من نبع وهو شجر يتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام كسرت يوم أحد وقوس يقال لها الزوراء و يقال لها الكتوم لانخفاض صوتها إذا رمى عنها قيل وهي التي اندقت سيتها يوم أحد أي وقوس يقال لها السداد وأما الأتراس فترس يقال لها الزلوق لأن السلاح يزلق عنه وترس يقال لها فتق بضم الفاء وفتح التاء المثناة فوق وبالقاف وترس يقال لها تمثال عقاب أو كبش فوضع صلى الله عليه وسلم يده الشريفة عليه فذهب وأما الرماح فرمح يقال له المثنى ورمح يقال لها المثوى بضم الميم وإسكان الثاء المثلثة وكسر الواو من الثوى وهو الاقامة لأن المطعون به يقيم موضعه ولا ينتقل أي وثلاث رماح أصابها من سلاح بني قينقاع يقال لأحدها المثنى بضم الميم و إسكان الثاء المثلثة ثم نون مفتوحة وفي الاصل المنثى بتقديم النون على الثاء وأما الحراب فحربة يقال لها النبعة وحربة يقال لها البيضاء وحربة صغيرة تشبه العكاز يقال لها العنزة قال جاء بها الزبير رضي الله تعالى عنه من أرض الحبشة أعطاها له النجاشي رحمه الله وقاتل بها بين يدي النجاشي عدوا للنجاشي وظهر النجاشي على ذلك العدو وشهد بها الزبير رضي الله تعالى عنه بدرا وأحدا وخيبر ثم أخذها منه صلى الله عليه وسلم منصرفه من خيبر فكانت تحمل بين يديه صلى الله عليه وسلم يوم العيد يحملها بلال رضي الله تعالى عنه فتركز بين يديه صلى الله عليه وسلم ويصلي اليها وكذا كان يصلي اليها في أسفاره أي وكان صلى الله عليه وسلم يمشي بها وهي في يده ورابعة يقال لها المهر وخامسة يقال لها الثمر وكان له صلى الله عليه وسلم محجن طوله قدر ذراع أو أكثر بيسير يمشي به ويعلق بين يديه على بعيره يسمى الدقن كان له رأس معقفة كالصولجان وكان له صلى الله عليه وسلم قضيب من شوحط يسمى الممشوق قيل وهذا القضيب هو الذي كانت تتداوله الخلفاء اه أي وكان له صلى الله عليه وسلم مخصرة بكسر الميم وإسكان الخاء المعجمة وفتح الصاد وهي ما يمسكه بيده من عصى أو مقرعة تسمى العرجون و يقال لها العسيب وأما الخود جمع خوذة وهي ما يجعل على الرأس من الزرد مثل القلنسوة فخوذة يقال لها الموشح بالميم وبالشين المعجمة مشددة مفتوحة والحاء المهملة وخوذة يقال لها السبوغ بالسين المهملة وبالغين المعجمة أو ذات السبوغ

﴿ باب يذكر فيه خيله و بغاله وحمره صلى الله عليه وسلم ﴾

كان له ﷺ سبعة أفراس وكان له بغال ست وكان له من الحمر اثنان وكان له من الابل المعدة للركوب ثلاثة فأما أفراسه ﷺ ففرس يقال له السكب شبه بسكب الماء وانصبابه لشدة جريه وهي أول فرس ملكه ﷺ اشتراه من اعرابي بعشرة أواق وكان اسمه عند الاعرابي الضرس أي بفتح الضاد وكسر الراء وبالسين المهملة الصعب السيء الخلق وكان أغر أي له غرة وهي بياض في وجهه محجلا طلق اليمين كميتا أي بين السواد والحمرة وقال ابن الاثير كان اسود أدهم وفرس يقال له المرتجز أي سمي به لحسن صهيله مأخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر وكان أبيض وهو الذي شهد له فيه خزيمة بأنه ﷺ اشتراه من صاحبه بعد أن أنكر بيعه

ومن هم قال هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس قيل كل هؤلاء تحرم عليهم الصدقة قال نعم والثقلان تثنية ثقل بالتحريك كما في القاموس وهو كل شيء نفيس مصون ومراد زيد بن أرقم أن لا يقتصر على الأزواج فقط بل هن مع آله ولا يشك من تدبر القرآن أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في الآية الكريمة أعني انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت لأن سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا كله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وروى الامام احمد أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اني أوشك ان أدعى فأجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي وان اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما وعترة الرجل أهله ورهطه أي أقاربه وروى البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال أيها الناس ارقبوا محمدا في أهل بيته أي احفظوهم ولا تؤذوهم وروى البخاري أيضا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي ان أصل من قرابتي وروى الترمذي أنه صلى الله

له وقال له أنت بمن يشهد لك فجعل شهادة خزيمة شهادتين بعد أن قال له صلى الله عليه وسلم كيف شهدت ولم تحضر فقال لتصديقي إياك يارسول الله وإن قولك كالمعاينة فقال له صلى الله عليه وسلم أنت ذو الشهادتين وسمي ذا الشهادتين ثم قال صلى الله عليه وسلم من شهد له خزيمة أو شهد عليه فهو حسبه لكن جاء أنه صلى الله عليه وسلم رد الفرس على الأعرابي وقال لابارك الله لك فيها فأصبحت من الغد شائلة رجلها وفرس يقال لها اللحيف(١) بالحاء المهملة واللام المضمومة فعيل بمعنى فاعل لأنه كان يلحف الأرض بذنبه لطوله أي يغطيها وقيل لأنه كان يلتحف معرفته وقيل هو بضم اللام مصغرا وقيل بالخاء المعجمة مع فتح اللام وهو الأكثر وهذا الفرس أهداه له صلى الله عليه وسلم فروة بن عمرو من أرض البلقاء بالشام وفرس يقال له اللزاز أي أهداه له المقوقس كما تقدم مأخوذ من قولهم لاززته أي لاصقته فكان يلحق بالمطلوب لسرعته وقيل غير ذلك وفرس يقال له الطرف أي بكسر الطاء المهملة وسكون الراء وبالفاء الكريم الجيد من الخيل وفرس يقال له الورد وهو بين الكميت والأشقر أهداه له صلى الله عليه وسلم تميم الداري رضي الله تعالى عنه وأهداه صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله تعالى عنه وفرس يقال له سبحة أي بفتح السين وإسكان الموحدة وفتح الحاء المهملة أي سريع الجري هذا هو المشهور وعد بعضهم في خيله صلى الله عليه وسلم غير ذلك فأوصل جملتها إلى خمسة عشر بل إلى عشرين وقد ذكر الحافظ الدمياطي أسماء الخمسة عشر في سيرته وقال فيها وقد ذكرناها وشرحناها في كتابنا كتاب الخيل وكان سرجه صلى الله عليه وسلم دفتان من ليف قال لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل وجاء أنه صلى الله عليه وسلم مسح وجه فرسه ومنخريه وعينيه بكم قميصه فقيل له يارسول الله تمسح بكم قميصك فقال صلى الله عليه وسلم إن جبريل عاتبني في الخيل وفي رواية في الفرس أي في امتهانها وفي رواية في سياستها وقال الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها فخذوا بنواصيها وادعوا بالبركة اهـ أي وقد ذكر أنه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قام إلى فرسه الطرف فعلق عليه شعيره وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح ظهره بردائه فقيل له يارسول الله تمسح ظهره بردائك فقال نعم ومايدريك لعل جبريل عليه السلام أمرني بذلك وعن بعضهم قال دخلت على تميم الداري رضي الله تعالى عنه وهو أمير بيت المقدس فوجدته ينقي لفرسه شعيرا فقلت أيها الأمير ما كان لهذا غيرك فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من نقى لفرسه شعيرا ثم جاء به حتى يعلقه عليه كتب الله له بكل شعيرة حسنة وكان صلى الله عليه وسلم يضمر الخيل للسباق ويأمر بإضمارها بالحشيش اليابس شيئا بعد شيء ويأمر بسقيها غدوة وعشيا ويأمر أن يقودها كل يوم مرتين ويؤخذ منها من الجري الشوط والشوطان وأما بغاله صلى الله عليه وسلم فبغلة شهباء يقال لها دلدل أهداها له المقوقس كما تقدم والدلدل في الأصل القنفذ وقيل ذكر القنافذ وقيل عظيمها وهذه أول بغلة ركبت في الإسلام وفي لفظ رؤيت في الإسلام وكان ﷺ يركبها في المدينة وفي الأسفار وعاشت حتى ذهبت أسنانها فكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل عليها علي كرم الله وجهه الخوارج بعد أن ركبها عثمان رضي الله عنه وركبها بعد علي ابنه الحسن ثم الحسين رضي الله تعالى عنهما ثم محمد بن الحنفية رحمه الله وسئل ابن الصلاح رحمه الله هل كانت أنثى أو ذكرا والتاء للوحدة فأجاب بالأول قال بعضهم وأجمع أهل الحديث على أنها كانت ذكرا ورماها رجل بسهم فقتلها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ بعثني إلى زوجته أم سلمة فأتيته بصوف وليف ثم فتلت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لدلدل رسنا وعذارا ثم دخل البيت فأخرج عباءة فثناها

ثم

(١) قوله المضمومة لعله المفتوحة اهـ

عليه وسلم قال أحبوا الله لما يغذوكم به وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي وقال صلى الله عليه وسلم من أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم وروى الإمام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم من أبغض أهل البيت فهو منافق وروى ابن سعد عنه صلى الله عليه وسلم من صنع إلى أحد من أهل بيتي معروفا فعجز عن مكافأته في الدنيا فأنا المكافئ له يوم القيامة ولله در القائل

يا آل بيت رسول الله حبكمو
فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكمو
من لم يصل عليكم لا صلاة له

ولقد أحسن القائل

رأيت ولائي آل طه فريضة
على رغم أهل البعد يورثني القربا
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى
بتبليغه إلا المودة في القربى

وروى الترمذي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال في حسن وحسين اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وروى الترمذي من أحبني وأحب [illegible] الحسن والحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة

ثم رفعها على ظهرها ثم سمى وركب ثم أردفني خلفه وبغلة يقال لها فضة أهداها له عمرو بن عمرو الجذامي كما تقدم ووهبها ﷺ لأبي بكر رضي الله تعالى عنه أي وأوصلها بعضهم إلى سبعة وفي مزيل الخفاء وفي سيرة مغلطاي كان له صلى الله عليه وسلم من البغال دلدل وفضة والتي أهداها له ابن العلماء أي بفتح العين المهملة واسكان اللام وبالمد في غزوة تبوك والايلية وبغلة أهداها له كسرى وأخرى من دومة الجندل وأخرى من عند النجاشي هذا كلامه وعقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه كان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقود به في الأسفار وتوفي بمصر ودفن بقرافتها وقبره معروف بها وكان واليها من قبل معاوية بعد عتبة بن أبي سفيان ثم صرف عنها بمسلمة ابن مخلد وعن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال قدت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته مدة من الليل فقال أنخ فأنخت ونزل عن راحلته ثم قال اركب فقلت سبحان الله أعلى مركبك يارسول الله وعلى راحلتك فأمرني فقال اركب فقلت له مثل ذلك ورددت ذلك مرارا حتى خفت أن أعصى رسول الله ﷺ فركبت راحلته ذكره في الامتاع وأما حمره صلى الله عليه وسلم فحمار يقال له يعفور وحمار يقال له عفير بالعين المهملة وقيل بالمعجمة وغلط قائله وكان أشهب ومات في حجة الوداع والأول أهداه له فروة بن عمرو الجذامي وقيل المقوقس والثاني أهداه له المقوقس وقيل فروة بن عمرو كذا في سيرة الحافظ الدمياطي رحمه الله والعفرة هي الغبرة أي وأوصل بعضهم حمره ﷺ إلى أربعة وتقدم أن يعفورا وجده صلى الله عليه وسلم في خيبر وأنه يوم مات النبي صلى الله عليه وسلم طرح نفسه في بئر جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات وتقدمت قصته وما فيها وأما إبله صلى الله عليه وسلم التي كان يركبها فناقة يقال لها القصواء وناقة يقال لها الجدعاء وناقة يقال لها العضباء وهي التي كانت لا تسبق فسبقت فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله ﷺ ان حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وفي رواية ان الناس لم يرفعوا شيئا من الدنيا الا وضعه الله عز وجل ويقال إن هذه العضباء لم تأكل بعد وفاة رسول الله ﷺ ولم تشرب حتى ماتت وقيل ان التي كانت لا تسبق ثم سبقت هي القصواء وكانت العضباء يسبق بها صاحبها الذي كانت عنده الحاج ومن ثم قيل لها سابقة الحاج وقيل ان هذه الثلاثة اسم لناقة واحدة وهو المفهوم من الأصل وهو موافق في ذلك لابن الجوزي رحمه الله حيث قال ان القصواء هي العضباء وهي الجدعاء وقيل القصواء واحدة والعضباء والجدعاء واحدة وفي كلام بعضهم وأما البقر فلم ينقل أنه ﷺ ملك شيئا منها أي للقنية ولا ينافي أنه ﷺ ضحى عن نسائه بالبقر وأما غنمه صلى الله عليه وسلم فقيل مائة وقيل سبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن رضي الله عنها وجاء اتخذوا الغنم فانها بركة وكان له ﷺ شياه يختص بشرب لبنها وماتت له ﷺ شاة فقال ما فعلتم باهابها قالوا انها ميتة قال دباغها طهورها واقتنى ﷺ الديك الأبيض وكان يبيت معه في البيت وقال الديك الأبيض صديقي وصديق صديقي وعدو عدوي والله يحرس دار صاحبه وعشرا عن يمينها وعشرا عن يسارها وعشرا من بين يديها وعشرا من خلفها وقد جاء اتخذوا الديك الأبيض فان دارا فيها ديك أبيض لا يقربها شيطان ولا ساحر ولا الدويرات حولها واتخذوا هذا الحمام المقاصيص في بيوتكم فانها تلهي الجن عن صبيانكم وفي العرائس ان آدم قال يارب شغلت بطلب الرزق لا أعرف ساعات التسبيح من أيام الدنيا فأهبط الله ديكا وأسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذه آدم عليه السلام من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح ممن في السماء سبح في الأرض فيسبح آدم بتسبيحه

و روى الامام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم من آذى عليا فقد آذاني وأخرج الذهبي عنه صلى الله عليه وسلم من أحب عليا فقد أحبني وقال صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب مني وأنا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب العباس فقد سبني وروى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله وأخرج البغوي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن أبي طالب اني أحبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت أعلم به من حب عمي لك وروى الدارقطني أنه صلى الله عليه وسلم قال أبو سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب خير أهلي أو من خير أهلي وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا أهل البيت أحد الا أدخله الله النار وأما أصحابه رضوان الله عليهم فمحبتهم من محبته صلى الله عليه وسلم وتوقيرهم من توقيره وبرهم من بره فالمؤمن الكامل هو الذي يحبهم ويوقرهم ويقتدي بأقوالهم وأفعالهم ويحسن الثناء عليهم ويمسك عما حصل من الاختلاف بينهم ويعادي من يعاديهم ولا يلتفت إلى أخبار المؤرخين وجهلة الرواة ولا إلى ما يحكيه

﴿ باب يذكر فيه صفته صلى الله عليه وسلم الظاهرة وإن شاركه فيها غيره ﴾

قال قد خلق الله تعالى أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سليمة من العيب حتى صلحت لحلول الأنفس الكاملة وهم في ذلك متفاوتون ونبينا صلى الله عليه وسلم أصح الأنبياء مزاجا وأكملهم جسدا وعن أنس رضي الله عنه ما بعث الله نبيا إلا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبينا صلى الله عليه وسلم أحسنهم وجها وصوتا انتهى وكانت صفاته صلى الله عليه وسلم الظاهرة لا تدرك حقائقها وإلى هذا يشير صاحب الهمزية رحمه الله تعالى بقوله

إنما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

وتقدم بعض صفته صلى الله عليه وسلم في خبر أم معبد رضي الله عنها ووصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان ضخم الهامة أي الرأس ووصف صلى الله عليه وسلم بأنه كان فخما مفخما أي عظيما في الصدور والعيون يتلألأ وجهه كالقمر ليلة البدر قال كان في وجهه تدوير ليس بالمطهم ولا المكلثم وعن أبي هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وفي رواية تجري من وجهه وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يقم صلى الله عليه وسلم مع شمس قط إلا غلب ضوءه ضوء الشمس ولم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوءه ضوء السراج انتهى أقصر من المشذب بضم الميم وفتح الشين والذال المعجمتين مشددة ثم موحدة على وزن معظم البائن الطويل في نحافة وأطول من المربوع قال وعن علي كرم الله وجهه لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد وكان ربعة القوم والممغط المتناهي في الطول والمتردد المجتمع الخلق أي القصير جدا لم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب إلى الطول إلا طاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فارقه رسول الله صلى الله عليه وسلم نسب للربعة أي لا طويل ولا قصير عظيم الهامة أي وفي رواية ضخم الرأس رجل الشعر إذا انفرقت عقيصته وفي لفظ عقيقته وهي الشعر المعقوص فرق أي إذا انفرقت من ذات نفسها فرقها أي أبقاها مفروقة وإلا تركها معقوصة أي تركها على حالها لم يفرقها لم يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفرة قال أي جعله وفرة وحاصل الأحاديث أن شعره ﷺ وصف بأنه جمة ووصف بأنه وفرة ووصف بأنه لمة وفسرت اللمة بالشعر الذي ينزل على شحمة الأذن والجمة الذي ينزل على المنكبين قال بعضهم كان شعره صلى الله عليه وسلم يقصر ويطول بحسب الأوقات فإذا غفل عن تقصيره وصل إلى منكبيه وإذا قصره تارة ينزل عن شحمة أذنه وتارة لا ينزل عنها وجاء في وصف شعره صلى الله عليه وسلم ليس بجعد قطط أي بالغ في الجعودة ولا رجل سبط أي بالغ في السبوطة ولا ينافي ما جاء عن علي كرم الله وجهه كان شعر رسول الله ﷺ سبطا وعن أم هانئ رضي الله عنها كان له صلى الله عليه وسلم أربع غدائر أي ضفائر تخرج أذنه اليمنى من بين ضفيرتين وأذنه اليسرى كذلك قال ابن القيم رحمه الله لم يحلق صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف إلا أربع مرات انتهى أزهر اللون أي أبيض مشرب بحمرة أي وهي المراد بالسمرة وفي رواية كان أسمر ومن ثم جاء في رواية كان بياضه ﷺ إلى سمرة لأن العرب قد تطلق على من كان كذلك أي بياضه إلى حمرة أسمر ومن ثم جاء ليس بالأبيض الأمهق أي شديد البياض الذي لا يخالطه حمرة كلون الجص وعن علي كرم الله وجهه ليس أبيض شديد الوضح وفي رواية شديد البياض ولا معارضة لأنه محمول على ما كان من جسده تحت الثياب ومن ثم جاء أنور المتجرد وهو ما كشف عنه الثوب من البدن وقيل المراد بالأمهق الأخضر فقد قيل إن المهق خضرة الماء ولا بالآدم أي شديد الأدمة واسع الجبين أي وفي رواية مفاض الجبين أي واسعه وفي رواية كان جبين رسول الله ﷺ صلتا أي أملس وفي رواية كان رسول الله صلى

الله

الرافضة والمبتدعة مما يقدح في أحد منهم بل ينبغي له أن يلتمس لما كان بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويحمله على أصوب المخارج لأنهم أهل لذلك ولا يذكر أحدا منهم بسوء لأن الله قد أثنى عليهم في كثير من الآيات قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الخ السورة وعن الإمام مالك قال بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين واستنبط الإمام مالك من قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لأنهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر ووافقه على ذلك جماعة من السلف وقال تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وقال تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان

الله عليه وسلم أجلى الجبين كأنه السراج المتوقد يتلألأ أزج الحاجبين سوابغ من غير قرن أي بين حاجبيه فرجة وهو البلج أي والقرن بالتحريك اتصال شعر الحاجبين وورد مقرون الحاجبين أي شعرهما متصل بالآخر لا حاجز بينهما ولا منافاة لأن ذلك يجوز أن يكون بحسب الرائي لأن الفرجة التي كانت بين حاجبيه يسيرة لا تتبين إلا لمن دقق النظر بينهما عرق يدره الغضب أي إذا غضب امتلأ ذلك العرق دما فيظهر ويرتفع أقنى العرنين أي سائله مرتفع وسطه أي وفي وسطه احديداب وفي رواية دقيق العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم أي مرتفعا أدعج العينين أي شديد سواد العينين وفي كلام بعضهم الدعج سواد العين ويقال له الأشهل وهو من في سواد عينيه حمرة وقد جاء أشهل العينين وأشكل العينين أي في بياض عينيه صلى الله عليه وسلم حمرة وكانت في الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم كما تقدم أي وفي رواية أكحل العينين أي واسعهما أهدب الأشفار أي طويل هدب شعر العينين أي وعن أبي هريرة رضي الله عنه أكحل العينين والكحل سواد هدب العين خلقة وعن جابر رضي الله عنه إذا نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت أكحل أي في عينيه كحل وليس بالكحل سهل الخدين أي وفي رواية أسيل الخدين أي ليس في خديه نتوء وارتفاع ضليع الفم أي واسعه أشنب أي في ريقه برد وعذوبة مفلج الأسنان أي مفرق ما بين الثنايا كما في رواية أفلج الثنيتين لأن الفلج تباعد ما بين الثنايا والرباعيات وفي رواية براق الثنايا كان إذا تكلم رؤي كالنور يخرج من بين ثناياه يفتر عن مثل حب الغمام أي إذا ضحك بانت أسنانه كالبرد وعن أبي هريرة رضي الله عنه حسن الثغر وعن أنس رضي الله عنه شممت العطر كله فلم أشم نكهة أطيب من نكهته صلى الله عليه وسلم كث اللحية أي كثير شعرها وفي رواية كان رسول الله ﷺ كثيف اللحية وكان يسرحها بالماء وكان له صلى الله عليه وسلم مشط من العاج وهو الذبل وقيل شيء يتخذ من ظهر السلحفاة البحرية ويقال لعظم الفيل عاج أيضا أي وليس مرادا هنا أي وكان له مقراض أي مقص يقص به أطراف شاربه وفي المشكاة عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال من لم يأخذ من شاربه فليس منا أي وكان ﷺ يأخذ بالمقراض من عرض لحيته وطولها وقد لا ينافي ذلك ما جاء أمرني ربي بإعفاء لحيتي وقص شاربي وقال من الفطرة قص الأظفار والشارب وحلق العانة وكان ﷺ يكثر دهن رأسه حتى كأن ثيابه ثياب زيات أو دهان أي وفي لفظ كان رسول الله ﷺ يكثر القنع حتى يرى حاشية ثوبه كأنه ثوب زيات أو دهان وليس في شعر رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وعن أنس رضي الله عنه أن شيب لحيته ﷺ كان في عنفقته وصدغيه متفرقا قال الحافظ ابن حجر رحمه الله عرف من مجموع الروايات أن الذي شاب في عنفقته ﷺ أكثر مما شاب في غيرها وقال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود وأخواتها فقال له أبو بكر رضي الله عنه ما أخواتها يا رسول الله قال الواقعة والقارعة وسأل سائل وإذا الشمس كورت واقتربت الساعة وفي رواية شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت واقتربت الساعة وقال صلى الله عليه وسلم من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة ولعل شيبه ﷺ لم يخضب وقيل كان يخضب بالحناء والكتم وقال ﷺ أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم ونهى ﷺ عن الخضاب بالسواد وقد تقدم ضليع الفم أي واسعه وهو مما تمدح به العرب وتذم بصغر الفم خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة دقيق المسربة بضم الميم وإسكان السين ثم راء مضمومة وهو الخيط الشعر الذي بين الصدر والسرة كأن عنقه جيد دمية هي صورة تتخذ من العاج في صفاء الفضة أي وعن علي كرم الله وجهه كأن عنقه

عنهم وقد وعدهم الله مغفرة وأجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة وقال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا روى عبد بن حميد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وروى الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر ورواه الحاكم أيضا عن ابن مسعود رضي الله عنه وروى البزار وأبو يعلى عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به وقال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وروى مسلم وغيره لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم مثل

أريق فضة معتدل الخلق بادنا متماسكا أي ذو لحم متماسك يمسك بعضه بعضا ليس مسترخي اللحم سواء البطن والصدر أي مستويهما عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس وهي رؤس العظام أي ملتقى كل عظمين كالمرفقين والمنكبين والركبتين موصول ما بين اللبة بفتح اللام وتشديد الموحدة المفتوحة هو المنحر والسرة بشعر يجري كالخيط وهو المعبر عنه فيما سبق بدقيق المسربة عاري الثديين والبطن وما سوى ذلك أشعر الذراعين والمناكب وأعالي الصدر طويل الزندين أي عظيم الذراعين رحب الراحة أي واسعها قال أنس رضي الله عنه ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله ﷺ سائل الأصابع أي طويلها شثن الكفين والقدمين أي يميلان الى الغلظ وذلك ممدوح في الرجال مذموم في النساء أي وكانت سبابة يديه صلى الله عليه وسلم أطول من الوسطى قال ابن دحية رحمه الله وهذا باطل بيقين ولم يقله أحد من ثقات المسلمين أي وإنما كان ذلك في أصابع قدميه ﷺ وهو في ذلك كغيره من الناس وفي رواية منهوس بالمهملة والمعجمة العقب أي قليل لحم القدمين سبط العظام أي ممتدها لا نتوء فيها وفي رواية سبط العصب وهو كل عظم فيه مخ خمصان الاخمصين ينبو عنهما الماء أي يتجافى أخمص القدم وهو وسطه أي شديد التجافي عن الارض مسيح القدمين أي أملسهما وهذا يوافق ما جاء في رواية إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له أخمص اذا زال زال تقلعا أي يرفع رجله بقوة ويخطو تكفيا أي يتمايل الى قدامه وقيل يمينا وشمالا كالمختال ولا يدوم إلا من تكلفه لا من كان ذلك جبلة له ويمشي هونا أي برفق ووقار دون عجلة ذريع المشية أي واسعها إذا مشى كأنما ينحط من صبب أي وذكر في سفر السعادة أن هذه المشية مشية أصحاب الهمم العلية ومن قلبه حي وان هذا النوع من المشي يسمى مشي الهوينا المذكور في قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وهو أعدل أنواع المشي لان الماشي إما متماوت بالمشي كالخشبة أو طائش ينزعج وهذان النوعان في غاية القبح لأن الاول يدل على الخمول وموت القلب والثاني يدل على خفة الدماغ وقلة العقل ثم قال وأنواع المشي عشرة هذه الثلاثة منها وذكر باقيها وكان صلى الله عليه وسلم إذا التفت التفت جميعا أي بسائر جسده ولا يلوي عنقه كما يفعله أهل الخفة والطيش يفتح الكلام بأشداقه ويختمه بأشداقه لا يقال قد ذم ﷺ المتشدقين لانا نقول المراد بهم من يكثر الكلام من غير احتياط ولا احتراز ومن يلوي أشداقه استهزاء بالناس وكان صلى الله عليه وسلم يتكلم بجوامع الكلم أي بالكلام القليل الالفاظ الكثير المعاني فصلا لا فضول فيه ولا تقصير قال ﷺ أعطيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام إختصارا قال ومن تلك الكلمات لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما ترى له ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها خير الأمور أوسطها السعيد من وعظ بغيره انتهى اذا أشار أشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث قارب يده اليمنى من اليسرى فضرب بابهام اليمنى راحة اليسرى أي وربما يسبح عند التعجب وربما حرك رأسه وعض شفته وربما ضرب بيده على فخذه وربما نكت الارض بعود واذا غضب أعرض بوجهه أي وكان صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمر وجهه الشريف وكان اذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته وفي رواية اذا اشتد غمه مسح بيده على رأسه ولحيته وتنفس الصعداء أي تنفس طويلا وقال حسبي الله ونعم الوكيل جل أي معظم ضحكه التبسم وكون معظم ضحكه ذلك لا ينافي أنه ﷺ ضحك غير مامرة حتى بدت نواجذه وكان ﷺ اذا جرى به الضحك وضع يده على فيه قال وكان أكثر أحواله صلى الله عليه وسلم يمشي منتعلا وربما مشى ﷺ حافيا وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل من هدية أهديت اليه حتى يأكل منها صاحبها أي بعد أن أهديت اليه ﷺ الشاة

أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وروى أبو نعيم عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه اذا ذكر أصحابي فأمسكوا وروى الديلمي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم الخير وروى الطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد أبغضني قال الامام مالك رضي الله عنه وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال أيوب السختياني رحمه الله من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن أبغض

المسمومة وكان صلى الله عليه وسلم يأكل بثلاث أصابع ويلعقهن اذا فرغ يلعق الوسطى ثم التي يليها ثم الابهام وقال ان لعق الاصابع بركة وكان صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بلعق الصحفة ويقول انكم لا تدرون فى أى طعامكم البركة اه ونحن نوضح بعض هذه الصفات الظاهرة بعبارة واضحة قريبة للافهام فنقول كان صلى الله عليه وسلم عظيما معظما فى الصدور والعيون كبير الرأس لان كبر الرأس يدل على كثرة العقل غالبا ووجهه كالقمر ليلة البدر لون جسده الذى ليس تحت الثياب أبيض مشرب بحمرة طويل الحاجبين مع دقة ما بينهما خال من الشعر وهو البلج وضده القرن وهو ان يتصل شعر أحدهما بالآخر بين حاجبيه عرق اذا غضب انتفخ طويل الانف مع حدب فى وسطه ودقة فى طرفه ليس فى حدبه ارتفاع لان العرب تذم به فى عينيه شكلة وهى بياض وحمرة شديد سواد العين مع اتساعها الفم لان سعة الفم تدل على الفصاحة بين ثناياه والرباعيات فرجة ويقال لها الفلج كثير شعر اللحية شبه قليل عنقه كالابريق الفضة اذا مشى مال الى امامه

﴿ باب يذكر فيه صفته صلى الله عليه وسلم الباطنة وان شاركه فيها غيره ﴾

كان صلى الله عليه وسلم سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح أى كثير المزاح ولا ينافى ماروى كان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه قال وقد جاء انى لأمزح ولا أقول الا حقا لكن جاء عن عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ مزاحا وكان يقول ان الله تعالى لا يؤاخذ المزاح الصادق فى مزاحه وجاء عن بعض الصحابة رضى الله عنهم ما رأيت أحداً أكثر مزاحا من رسول الله ﷺ وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت فى النبى صلى الله عليه وسلم دعابة وعن بعض السلف كان للنبى صلى الله عليه وسلم مهابة فكان يبسط الناس بالدعابة قال ﷺ لعمته صفية لا يدخل الجنة عجوز فبكت فقال لها وهو يضحك الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا وهن العجائز الرمص أى والعروب المتحببة لزوجها التى تقول وتفعل ما تهيج به شهوته اياها واترابا كأنهن ولدن فى يوم واحد لأنهن يكن بنات ثلاث وثلاثين سنة وجاءه صلى الله عليه وسلم رجل وطلب ان يحمله على بعير فقال انى حاملك على ولد الناقة فقال يارسول الله ما اصنع بولد الناقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل تلد الابل الا النوق وقد أتى ازيهر وفى لفظ زاهر وكان يهدى للنبى ﷺ الهدية من البادية فكان كلما قدم من البادية يأتى معه بطرف وهدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيجهزه رسول الله ﷺ اذا أراد ان يخرج وكان صلى الله عليه وسلم يقول زاهر باديتنا ونحن حاضروه وفى لفظ لكل حاضر بادية وبادية آل محمد زاهر وكان صلى الله عليه وسلم يحبه جاءه يوما وهو يبيع متاعه فى السوق وكان رجلا دميما فاحتضنه من خلفه فقال أرسلنى من هذا فلما عرف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم صار يمكن ظهره من صدره الشريف عليه الصلاة والسلام وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يشترى العبد فقال يارسول الله تجدنى كاسدا فقال رسول الله ﷺ ولكن عند الله لست بكاسد أو قال أنت عند الله غال ويجوز ان يكون ﷺ جمع بين هذين اللفظين وكل روى ماسمع منهما وعن عائشة رضى الله عنها قالت خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم فقال ﷺ للناس تقدموا فتقدموا ثم قال لى تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقته فسكت حتى اذا حملت اللحم وكنا فى سفرة أخرى قال صلى الله عليه وسلم للناس تقدموا فتقدموا ثم قال لى تعالى حتى أسابقك فسابقته فسبقنى فجعل صلى الله عليه وسلم يضحك ويقول هذه بتلك

احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وروى الطبرانى عن سهل بن يوسف بن سهل بن أخى كعب بن مالك عن أبيه عن جده قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انى راض عن أبى بكر فاعرفوا له ذلك أيها الناس انى راض عن عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية احفظونى فى أصحابى وأصهارى واختانى لا يطالبكم أحد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب فى القيامة غدا وقوله اصهارى هم آباء زوجاته كأبى بكر وعمر وأبى سفيان رضى الله عنهم وقوله واختانى هم أزواج بناته كعثمان وعلى وأبى العاص بن الربيع رضى الله عنه وروى أبو نعيم عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم احفظونى فى أصحابى واصهارى فانه من حفظنى فيهم حفظه الله فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه وروى سعيد بن منصور عن النبى ﷺ من حفظنى فى أصحابى كنت له حافظا يوم القيامة وروى الطبرانى

وعن أنس رضي الله عنه قال دخل صلى الله عليه وسلم على أمي فوجد أخي أبا عمير حزينا فقال يا أم سليم ما بال أبي عمير حزينا فقالت يا رسول الله مات نغيره تعني طيرا كان يلعب به فقال ﷺ أبا عمير ما فعل النغير وكان كلما رآه قال له ذلك وعن عائشة رضي الله عنها قالت أتيت النبي ﷺ بخزيرة طبختها فقلت لسودة والنبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينها كلي فأبت فقلت لها كلي كلي أو لألطخن وجهك فأبت فوضعت يدي فيها فطليت وجهها فضحك صلى الله عليه وسلم وأرخى يده لسودة وقال الطخي وجهها فلطخت وجهي فضحك النبي صلى الله عليه وسلم أي وقال صلى الله عليه وسلم يوما لعائشة ما أكثر بياض عينيك انتهى وكان صلى الله عليه وسلم يتغافل عما لا يشتهي قد ترك نفسه من ثلاث الرياء والاكثار ومالا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته وكان صلى الله عليه وسلم يقابل السيئة بالحسنة ولا يذم ذواقا ولا يمدحه والذواق الشيء يقال ما ذقت ذواقا أي شيئا من طعام أو شراب وعن عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما عن رجل من العرب قال زحمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفي رجلي نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفحني نفحة بسوط في يده وقال بسم الله أوجعتني قال فبت لنفسي لائما أقول أوجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أصبحنا اذا رجل يقول أين فلان فانطلقت وأنا متخوف فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انك وطئت بنعلك على رجلي بالامس فأوجعتني فنفحتك بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها لما نزل قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال له جبريل عليه السلام أي بعد أن سأله صلى الله عليه وسلم في ذلك ان ربك عز وجل يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وفي الحديث لا ينال عبد صريح الايمان حتى يكون كذلك وفي الحديث ان ذلك أفضل أهل الدنيا والآخرة وكان صلى الله عليه وسلم لا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق والمسئلة لا يقطع على أحد حديثه ولا يتكلم في غير حاجة يعظم النعمة وان دقت لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وانما يغضب اذا تعرض للحق شيء فعند غضبه لذلك لا يثنيه شيء عن الانتصار له ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويتفقد أصحابه ويسأل عنهم فان كان غائبا دعا له وان كان شاهدا زاره وان كان مريضا عاده ويسأل الناس عما الناس فيه أفضل الناس عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة لا يجلس ولا يقوم الا عن ذكر واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو نادمه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول عنده الناس في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء لا ترفع فيه الاصوات ولا يتنازعون عنده الحديث اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير أي على غاية من السكون والوقار لأن الطير لا تكاد تقع الا على ساكن واذا تكلم عنده أحد أنصتوا له حتى يفرغ من حديثه أي لا يقطع بعضهم على بعض حديثه يضحك مما يضحكون ويعجب مما يعجبون فقد ذكر أن أبا بكر رضي الله عنه خرج تاجرا الى بصرى ومعه نعيمان ابن عمرو الانصاري وسويبط بن حرملة وكلاهما بدري وكان سويبط على زاد أبي بكر فجاءه نعيمان وقال له اطعمني فقال لا حتى يأتي أبو بكر وكان نعيمان رجلا مضحاكا مزاحا فيه دعابة وله أخبار ظريفة في دعابته فقال لسويبط لأغيظنك وذهب الى ناس وفي رواية فمروا بقوم فقال لهم نعيمان تشترون مني عبدا لي قالوا نعم قال انه عبد له كلام وهو قائل لكم لست بعبد أنا رجل حر فان كان اذا قال لكم هذه تركتموه فلا تشتروه ولا تفسدوا علي عبدي قالوا لا بل نشتريه ولا ننظر في قوله فاشتروه منه بعشرة قلائص

من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني الا من بعد وروى عن كعب الاحبار ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة يوم القيامة قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه فنسأل الله دوام محبتهم والتوفيق لطريقهم والفوز بشفاعتهم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ باب في ذكر وفاته ﴾

صلى الله عليه وسلم وهذا الباب مضمونه يكسب المدامع من الاجفان ويجلب الفجائع لاثاره الاحزان ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوي الايمان ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبي من الانبياء حتى يخير وقد عرف الله النبي صلى الله عليه وسلم اقتراب أجله بنزول سورة اذا جاء نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك الذي دعوتهم اليه أفواجا فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ وما عندنا لك خير من الدنيا فاستعد للنقلة الينا وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وسلم

فاقبل

فاقبل بها يسوقها وأقبل بالقوم حتى عقلها ثم قال دونكم هو هذا فجاء القوم له وقالوا له قد اشتريناك فقال هو كاذب أنا رجل حر وفي رواية أنهم وضعوا عمامته في عنقه فقال لهم انه يتهزأ واست بعبده فقالوا له قد أخبرنا بخبرك فطرحوا الحبل في عنقه وذهبوا به ولم يسمعوا كلامه فجاء أبو بكر رضي الله عنه فأخبره خبره فذهب هو وأصحابه واتبعوا القوم وأخبروهم انه يمزح وردوا عليهم القلائص وردوا سليطا منهم فلما قدموا على رسول الله ﷺ اخبروه الخبر فضحك من ذلك رسول الله ﷺ حولا كاملا لأن سفر أبي بكر رضي الله عنه كان قبل وفاته ﷺ بعام ووقع لنعيمان هذا أنه مر بمخرمة بن نوفل رضي الله عنه وقد كف بصره وهو يقول ألا رجل يقودني حتى أبول فأخذ بيده نعيمان فلما بلغ مؤخر المسجد قال له ههنا فبال فصاح الناس به فقال من قادني قيل نعيمان فقال لله علي أن أضربه بعصاي هذه فبلغ نعيمان فأتاه فقال له هل لك في نعيمان قال نعم قال قم فقام معه فأتى به عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو إذ ذاك أمير المؤمنين وهو يصلي فقال دونك الرجل فجمع يديه في العصا ثم ضربه فقال الناس أمير المؤمنين فقال من قادني فقيل نعيمان قال لا أعود إلى نعيمان أبدا وجاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فدخل المسجد وأناخ راحلته بفنائه فقال بعض الصحابة لنعيمان لو نحرتها فأكلناها فانا قد قرمنا إلى اللحم ويغرم رسول الله ﷺ حقها فنحرها نعيمان فخرج الاعرابي ورأى راحلته فصاح واعقراه يا محمد فخرج النبي ﷺ فقال من فعل هذا قالوا نعيمان فاتبعه النبي صلى الله عليه وسلم يسأل عنه فوجده في دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب قد اختفى في خندق وجعل عليه الجريد فأشار اليه رجل ورفع صوته ما رأيته يارسول الله وأشار بأصبعه حيث هو فأخرجه رسول الله ﷺ وقد تغير وجهه بالتراب فقال له ما حملك على ما صنعت قال الذين دلوك علي يارسول الله هم الذين أمروني فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عن وجهه التراب ويضحك ثم غرم ﷺ ثمنها وكان رضي الله عنه إذا دخل المدينة طرفة اشتراها في ذمته ثم جاء بها الى النبي ﷺ ويقول يارسول الله هذه هدية فاذا جاء صاحبها يطلب ثمنها جاء به الى النبي ﷺ وقال له اعط هذا ثمن ما جئت به اليك فيقول له رسول الله ﷺ أو لم تهده لي فيقول يارسول الله لم يكن عندي ثمنه وأحببت ان يكون لك فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه وكان ﷺ دائم البشر ضحوك السن أي أكثر أحواله ذلك حسبما رآه هذا الخبر ولا ينافي أنه ﷺ كان متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة فانه بحسب ما كان عند ذلك الخبر وفي كلام ابن القيم رحمه الله قد صانه الله عن الحزن في الدنيا وأسبابها ونهاه عن الحزن على الكفار وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فمن أين يأتيه الحزن بل كان دائم البشر ضحوك السن كذا قال وفي كلام الامام أبي العباس بن تيمية رحمه الله ليس المراد الحزن الذي هو الالم على فوات مطلوب أو حصول مكروه فان ذلك منهي عنه وإنما المراد به الاهتمام واليقظة لما يستقبله من الأمور وهذا مشترك بين القلب والعين وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت خلقه القرآن أي ما ذكره القرآن وانك لعلى خلق عظيم وانه تأدب بآدابه وتخلق بمحاسنه وقد قال ﷺ بعثت لأتمم مكارم الاخلاق ومحاسن الافعال قال وذكر في عوارف المعارف ان في قول عائشة رضي الله عنها خلقه القرآن سرا غامضا حيث عدلت إلى ذلك عن قولها كان متخلقا بأخلاق الله ستر للحال بلطف المقال استحياء من سبحات ذي الجلال اه أي وكان ﷺ متصفا بما فيه من الاجتهاد في طاعة الله والخضوع له والانقياد لأمره والشدة على أعدائه والتواضع لأوليائه ومواساة عباده وارادة الخير لهم والحرص على كمالهم والاحتمال لاذاهم

لجبريل نعيت الى نفسي فقال له جبريل وللآخرة خير لك من الاولى وروى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ماعنده فاختار ماعنده فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين ان يؤتيه من زهرة الدنيا ماشاء وبين ماعند الله وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال وكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر رضي الله عنه فلو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن اخوة الاسلام لايبقى في المسجد خوخة الاسدت الا خوخة أبي بكر رضي الله عنه ومازال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب أجله في آخر عمره حتى مرض وكان مرضه في أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما وكان ابتداء مرضه يوم السبت وقيل الاثنين وقيل الأربعاء في بيت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها وقيل في بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها وكان ينتقل في بيوت زوجاته

والقيام بمصالحهم وارشادهم الى ما يجمع لهم خيرى الدنيا والآخرة مع التعفف عن أموالهم الى غير ذلك من الاخلاق الفاضلة والصفات الكاملة التى اتصف بها صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وكان ﷺ أشد الناس خشية وخوفا من الله أى ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يقول انا أتقاكم لله واخوفكم منه وعن عائشة رضى الله عنها قالت أتانى رسول الله ﷺ ليلة فدخل معى فى لحافى ثم قال ذرينى أتعبد لربى فقام ﷺ فتوضأ ثم قام فصلى فبكى حتى سال دمعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاءه بلال رضى الله عنه فآذنه بالصلاة فقلت يارسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل وقد أنزل الله تعالى على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الى قوله سبحانك فقنا عذاب النار * وكان ﷺ يقول أواه من عذاب الله قبل ان لا ينفع أواه أى وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال أول من صنعت له النوره ودخل الحمام سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فلما دخله وجد حره وغمه قال أواه من عذاب الله أواه أواه قبل أن لا يكون أواه أى وفى سفر السعادة لم يدخل ﷺ الحمام أبدا والحمام الموجودة الآن بمكة شرفها الله تعالى المشهورة بحمام النبى ﷺ لعلها بنيت فى موضع اغتسل فيه صلى الله عليه وسلم مرة هذا كلامه وأرسل ﷺ وصيفة فأبطأت عليه فقال لها لولا خوف القصاص لأوجعتك بهذا السواك وما ضرب ﷺ بيده الشريفة امرأة ولا خادما من أهله قال وعن خادمه أنس رضى الله عنه ماأمرنى رسول الله ﷺ بأمر فتوانيت عنه أو ماصنعته فلامنى ولا لامنى أحد من أهله ﷺ الا قال دعوه وفى لفظ خدمته فى السفر والحضر عشر سنين والله ما قال لى فى شىء صنعته لم صنعت هذا هكذا ولا لشىء لم أصنعه لم تصنع هذا هكذا وهذا يدل على أنه رضى الله عنه خدمه ﷺ عند قدومه المدينة وتقدم ان فى بعض الروايات ما يدل على ان ابتداء خدمة أنس له ﷺ فى فتح خيبر وتقدم ما فيه ووصف صلى الله عليه وسلم فى الكتب القديمة بان حلمه ﷺ يسبق غضبه ولا تزيده شدة الجهل عليه الاحلما وقد تقدم قصته صلى الله عليه وسلم مع اليهودى الذى طلب منه وفاء ما اقترض منه ﷺ قبل حلول الأجل ونظيرها وعن عائشة رضى الله عنها أنه ﷺ لم يكن فحاشا استأذن على النبى صلى الله عليه وسلم رجل فلما رآه ﷺ قال بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة فلما جلس تطلق النبى ﷺ فى وجهه وانبسط اليه فلما انطلق الرجل قالت له عائشة رضى الله عنها يارسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا ثم تطلقت فى وجهه وانبسطت اليه فقال صلى الله عليه وسلم ياعائشة متى عهدتنى فحاشا ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره قال ابن بطال رحمه الله ان هذا الرجل هو عيينة بن حصن لأنه كان يقال له الاحمق المطاع وهو ﷺ إنما تطلق فى وجهه تألفا له ليسلم قومه لأنه كان المطاع فيهم واما ذمه ﷺ له فلأنه يعلم ما يقع منه بعد فانه ارتد في زمن الصديق رضى الله عنه وحارب ثم رجع وأسلم أى وقد قيل ان سبب نزول قوله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا الآية ان عيينة هذا قال للنبى ﷺ وقد قال له أسلم قال على ان تبنى لى مقصورة فى مسجدك هذا أكون أنا وقومى فيها وتكون أنت معى ومن تأمل سيرته ﷺ مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والأيتام والارامل والضعفاء والمساكين علم أنه ﷺ بلغ الغاية فى التواضع ورقة القلب ولين الجانب * وعن أنس رضى الله عنه أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم

عنها وأذن له فخرج يهادى بين العباس بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما حتى دخل بيت عائشة رضى الله عنها وفى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت لما دخل بيتى واشتد وجعه قال اهرقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى اعهد الى الناس فأجلسناه فى مخضب لحفصة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه الماء من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن الحديث وفيه أنه قال ماأزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر وهذا أوان انقطاع ابهرى من ذلك السم واصابه صلى الله عليه وسلم حمى شديدة روى ابن ماجه والحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كانت عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب من يضع يده عليه من فوقها فقيل له فى ذلك فقال إنا معاشر الأنبياء كذلك يشدد علينا البلاء وتضاعف لنا الأجور وعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوعك أى يحم وعكا شديدا فقلت يارسول الله انك توعك

فى حاجة يوما فقلت والله لا أذهب وفى نفسى أنى أذهب فخرجت على صبيان يلعبون فى السوق و إذا رسول الله ﷺ قد قبض ثيابى من ورائى فنظرت اليه صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فقال يا أنيس اذهب حيث أمرتك فقلت نعم أنا أذهب يارسول الله انتهى * وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وأرجح الناس علما وأعظم الناس عفوا وأسخى الناس كفا * وكان صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة وقال ﷺ يوما لأصحابه وقد اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه الشريف فوقف ثم قال اعطونى ردائى لو كان لى عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم * وفى رواية لو أن لى مثل جبال تهامة ذهبا لقسمته بينكم ثم لا تجدونى كذوبا ولا بخيلا ولا جبانا كما تقدم * وكان ﷺ أشجع الناس قلبا وأشد بأسا وأشد الناس حياء وكان أشد حياء من البنت البكر فى خدرها أى بيتها وسترها وكان إذا فرح غض طرفه و إذا أخذه العطاس وضع يده أوثوبه على فيه وخفض صوته وربما غطى وجهه بيده أو ثوبه * وكان يحب الفأل الحسن و يغير الاسم القبيح بالحسن كما تقدم وربما غير الحسن بالقبيح كما تقدم وكان يقول لأصحابه إذا أرسلتم لى رسولا فليكن حسن الاسم حسن الوجه من ذلك أن شخصا كان سادنا أى خادما لصنم وكان يسمى غاوى بن ظالم فبينما هو عند صنمه إذ أقبل ثعلبان الى الصنم ورفع كل واحد منهما رجله و بال على رأس ذلك الصنم فلما رأى ذلك كسر ذلك الصنم وأنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وأتى رسول الله ﷺ فقال له كيف اسمك فقال غاوى بن ظالم فقال صلى الله عليه وسلم له بل أنت راشد بن عبدربه * ومن هذا السياق يعلم أن الثعلبان بفتح الثاء المثلثة مثنى ثعلب لا بضمها ذكر الثعالب كما قيل * ومن تغيير الاسم القبيح بالحسن ما وقع له ﷺ فى غزوة ذى قرد أنه مر على ماء فسأل عنه فقيل له هذا اسمه بيسان وهو مالح فقال لا بل اسمه نعمان وهو طيب فانقلب عذبا واشتراه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه ثم تصدق به فلما جاء اليه ﷺ وأخبره بذلك قال له رسول الله ﷺ ما أنت يا طلحة إلا فياض فسمى طلحة الفياض * وكان ﷺ يشاور أصحابه فى الأمر قالت عائشة رضى الله عنها ما رأيت رجلا أكثر مشاورة للرجال من رسول الله ﷺ * وكان صلى الله عليه وسلم إذا حلف قال لا ومقلب القلوب وربما قال فى يمينه واستغفر الله و إذا اجتهد فى اليمين قال لا والذى نفس أبى القاسم بيده وربما قال والذى نفس محمد بيده وربما قال فى يمينه لا واستغفر الله والذى نفسى بيده * وكان ﷺ أكثر الناس اغضاء عن العورات وكان إذا كره شيئا عرف فى وجهه ولم يشافه أحدا بمكروه حتى إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول أو يفعل كذا بل يقول ما بال أقوام يقولون أو يفعلون كذا لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو و يصفح أوسع الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة ما دعاه أحد من أصحابه أو أهل بيته إلا قال لبيك يخالط أصحابه و يحادثهم ويداعب أى يمازح صبيانهم ويجلسهم فى حجره الشريف أى فقد كان ﷺ يصف أولاد عمه العباس عبد الله وعبيد الله وغيرهما رضي الله عنهم و يقول من سبق إلى فله كذا فيستبقون اليه فيقعدون على صدره الشريف فيقبلهم و يلتزمهم ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين و يعود المرضى فى أقصى المدينة و يشهد الجنائز ويقبل عذر المعتذر ما وضع أحد فمه فى أذنه إلا استمر صاغيا له حتى يفرغ من حديثه ويذهب وما أخذ أحد بيده فيرسل يده ﷺ منه حتى يكون الآخذ هو الذى يرسلها وكان ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام و يبدأ أصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه يكرم من

عن عائشة رضى الله عنها قالت دعا النبى ﷺ فاطمة رضى الله عنها فى شكواه الذى قبض فيه فسارها بشىء فبكت ثم دعاها فسارها بشىء فضحكت فسألناها بعد ذلك عن ذلك فقالت سارنى النبى ﷺ أنه يقبض فى وجعه الذى توفى فيه فبكيت ثم سارنى فأخبرنى أنى أول أهل بيته يتبعه فضحكت ولما اشتد به ﷺ مرضه وتعذر عليه الخروج للصلاة قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت له عائشة رضى الله عنها يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لا يسمع الناس من البكاء قال مروا أبا بكر فليصل بالناس فعاودته مثل مقالها فقال إنكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس وفى بعض روايات الحديث ان عائشة رضى الله عنها قالت لقد راجعته وما حملنى على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع فى قلبى أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا وجملة الصلوات التى صلى فيها الصديق بالناس سبع عشرة صلاة فكان فى تقديم الصديق رضى الله عنه للصلاة إشارة الى أنه

 الخليفة بعده ﷺ فقالوا إن النبى ﷺ رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ولما رأت

يدخل عليه وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها ان أبى ويدعو أصحابه بأحب أسمائهم ويكنيهم ولا يجلس اليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد إلى صلاته وطعن في الحديث الذي ورد بذلك واذا سمع بكاء الصغير وهو يصلي تجوز فيها أي خففها أكثر الناس شفقة على خلق الله تعالى وأرأفهم بهم وأرحمهم بهم * قال تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ومن ثم رغب ﷺ الى الله تعالى أن يجعل سبه ولعنه لأحد من المسلمين رحمة له أي اذا كان لا يستحق ذلك السب في باطن الامر ويستحقه في ظاهر الامر * أي وقال ﷺ من لا يرحم لا يرحم أوصل الناس للرحم وأقومهم بالوفاء وحسن العهد * وكان ﷺ يقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار أي وربما ركبه عريانا ويردف خلفه وعن أنس رضي الله عنه رأيته صلى الله عليه وسلم يوما على حمار خطامه ليف أي وقد جاء أن ركوب الحمار براءة من الكبر * وكان يجلس على الارض وكان يشرب قائما وقاعدا وينتعل قائما وقاعدا ويصلي منتعلا وحافيا وفي لفظ كان أكثر صلاته ﷺ في نعليه وكان يحب التيامن في شأنه كله في طهوره وترجله وتنعله وكان يحب السواك حتى لقد أحفى لثته وكان يكتحل بالاثمد عند النوم ثلاثا في كل عين وفي لفظ ثلاثا في اليمنى ومرتين في اليسرى * وقال ﷺ عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر وانه من خير أكحالكم وكان يعود المساكين ويجلس بين أصحابه وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث عليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم وقال اللهم اجعله حجا مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة كما تقدم وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة كما تقدم وكان يفلي ثوبه أي وإن كان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن القمل لا يؤذيه ويحلب شاته ويخصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم نفسه ويعلف ناضحه وهو الجمل الذي يستقى عليه الماء ويقم البيت * قال وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل عمل البيت وأكثر ما يعمل الخياطة ما يرى فارغا قط في بيته إما يخصف نعلا لرجل مسكين أو يخيط ثوبا لأرملة انتهى ويأكل مع الخادم ويحمل بضاعته من السوق ويحب الطيب ويأمر به وكان يتطيب بالمسك والغالية ويتبخر بالعود والعنبر والكافور ويأمر أصحابه بالمشي أمامه ويقول خلوا ظهري للملائكة زاهدا في الدنيا ما ترك درهما ولا دينارا توفي ودرعه مرهونة وتقدم انها كانت مرهونة عند يهودي وتقدم انه أبو الشحم على نفقة عياله وتقدم ان ذلك كان ثلاثين صاعا من شعير وكان الاجل سنة * وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ما شبع ثلاثة أيام تباعا من خبز البر حتى فارق الدنيا وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ بطنه * وفي رواية ما شبع يومين من خبز الشعير أي ومعلوم ان ذلك انما هو لتتأسى به أمته في الاعراض عن الدنيا قالت عائشة رضي الله عنها قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب اجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي اجوع فيه فأضرع اليك وادعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك * قال صلى الله عليه وسلم مالي وللدنيا إنما أنا في الدنيا كرجل سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة حتى مال الفيء وتركها ولم يرجع اليها وقال صلى الله عليه وسلم ما أبالي بما رددت به عني الجوع ولم ينتخل له صلى الله عليه وسلم دقيق الشعير قال وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت والذي بعث محمدا بالحق ما رأى منخلا ولا أكل خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى ان قبض فقيل لها كيف كنتم تصنعون بالشعير قالت كنا نقول أف أف انتهى أي فيطير ما طار وما بقي عجناه ولا خبز له صلى الله عليه وسلم مرقق ولا أكل النقي من الخبز وعن أنس رضي الله عنه قال جاءت فاطمة رضي

وأعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فأعلمه بمثل ذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل رضي الله عنهما والعباس أمامهم والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس في أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس انه بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث اليه فأخلد فيكم إلا اني لاحق بربي وأنكم لاحقون بي فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وان الأمور تجري باذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالأنصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم

الله عنها بكسرة خبز إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الكسرة يافاطمة قالت قرص خبزته فلم
تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال صلى الله عليه وسلم اما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ
ثلاثة أيام أى فانه صلى الله عليه وسلم كان يبيت الليالى المتتابعة طاويا ولا أكل على خوان قط انما
كان يأكل على السفرة وربما وضع صلى الله عليه وسلم طعامه على الأرض أى وحطب صلى الله عليه
وسلم يوما فقال والله ما أمسى فى بيت محمد صاع من طعام وانها لتسعة أبيات قال الحسن والله ما قالها
استقلالا لرزق الله ولكن أراد صلى الله عليه وسلم أن تتأسى به أمته وعن أبى هريرة رضى الله عنه
كان يمر هلال ثم هلال لا يوقد فى بيت من بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار لا لخبز ولا لطبخ
فقيل له بأى شىء كانوا يعيشون يا أبا هريرة فقال الأسودين الماء والتمر * وعن ابن عباس رضى الله
عنهما قال والله لقد كان يأتى على آل محمد صلى الله عليه وسلم الليالى ما يجدون فيها عشاء وعن عائشة
رضى الله تعالى عنها أهدى لنا أبو بكر شاة قالت انى لأقطعها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلمة
البيت فقال لها قائل أما كان لكم سراج فقالت لو كان لنا ما يسرج به أكلناه * وكان صلى الله عليه
وسلم لا يجمع فى بطنه بين طعامين ان أكل لحما لم يزد عليه وان أكل تمرا لم يزد عليه وان أكل خبزا لم
يزد عليه ولم يكن له صلى الله عليه وسلم الا ثوب واحد من قطن قصير الكمين كمه الى الرسغ وطوقه مطلق
من غير أزرار أى وفى لفظ كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم قطنا قصير الطول قصير الكمين
كمه الى الرسغ * وكان له صلى الله عليه وسلم جبة ضيقة الكمين وكان له رداء طوله أربعة أذرع
وعرضه ذراعان وشبر من نسج عمان * وكان له صلى الله عليه وسلم بردة يمانية طولها ستة أذرع
فى عرض ثلاثة أذرع وشبر كان يلبسها فى يوم الجمعة والعيدين ثم يطويان * وكان له صلى الله عليه
وسلم رداء أخضر طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر تداولته الخلفاء * وكان له صلى الله عليه
وسلم عمامة تسمى السحاب كساها على بن أبى طالب كرم الله وجهه فكان ربما طلع عليه على كرم الله
وجهه فيقول صلى الله عليه وسلم أتاكم على فى السحاب يعنى عمامته التى وهبها له صلى الله عليه وسلم
* وكان إذا اعتم يرخى عمامته بين كتفيه وكان يلبس القلنسوة اللاطئة أى اللاصقة بالرأس وذات
الآذان كان يلبسها فى الحروب والقلانس الطوال انما حدثت فى أيام الخليفة المنصور وكان ﷺ
يقول فرق ما بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس أى فانه صلى الله عليه وسلم كان يلبس القلانس
تحت العمائم ويلبس القلانس بغير عمائم ويلبس العمائم بغير قلانس وكان له صلى الله عليه وسلم
عمامة سوداء دخل يوم فتح مكة لابسها وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كان للنبى
ﷺ عمامة سوداء يلبسها فى العيدين ويرخيها خلفه وجاء أن جبريل عليه السلام كانت
عمامته يوم غرق فرعون سوداء ومقدار عمامته الشريفة صلى الله عليه وسلم لم يثبت فى حديث قال
بعض الحفاظ والظاهر انها كانت نحو العشرة أذرع أو فوقها بيسير وكانت له صلى الله عليه وسلم
خرقة اذا توضأ تمسح بها هذا وفى سفر السعادة لم يكن ﷺ ينشف أعضاءه بعد الوضوء
بمنديل ولا بمنشفة وان أحضر واله شيئا من ذلك أبعده والحديث المروى عن عائشة رضى الله عنها
كانت له ﷺ نشافة ينشف بها بعد الوضوء وحديث معاذ رضى الله عنه فى معناه كلاهما ضعيف
وقال تنشيف الأعضاء من الوضوء لم يصح فيه حديث * وكانت له صلى الله عليه وسلم ملحفة
مورسة اذا أراد أن يدور على نسائه رشها بالماء أى لتظهر رائحتها * وكان يصبغ قميصه ورداءه
وعمامته بالزعفران أى وفى لفظ كان يصبغ ثيابه كلها بالزعفران حتى العمامة * وعن أبى هريرة رضى
الله عنه قال خرج علينا رسول الله ﷺ وعليه قميص أصفر ورداء أصفر وعمامة صفراء وعن

ان تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم فى الثمار ألم يوسعوا لكم فى الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولى
أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وانى فرط لكم وأنتم لاحقون بى ألا فان موعدكم الحوض ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغى وفى رواية للبخارى عن أنس رضى الله عنه فى ذكر هذه القصة قال مر أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقالا ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبى صلى الله عليه وسلم منا فدخل أحدهما على النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وقد عصب رأسه بحاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالأنصار فانهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وقوله كرشى وعيبتى أراد انهم بطانته وموضع سره وأمانته والذين يعتمد عليهم فى أموره وقيل أراد
الكرش الجماعة أى جماعتى وصحابتى وفى المواهب عن الواحدى بسند وصله الى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال نعى رسول الله

ابن أبي أوفى رضي الله عنه كان أحب الصبغ إلى رسول الله ﷺ الصفرة قال الحافظ الدمياطي رحمه الله ويعارض هذه الأحاديث ما روي في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزعفر وفي لفظ نهى عن أن يتزعفر الرجل أي وقد يقال على تقدير صحة تلك الأحاديث فهي منسوخة أو كان ذلك من خصوصياته صلى الله عليه وسلم * وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم اشترى السراويل واختلف هل لبسها وقيل نعم ففي الأوسط للطبراني ومسند أبي يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس إلى بزاز فاشترى سراويل بأربعة دراهم وكان لأهل السوق وزان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أوزن وأرجح وأخذ رسول الله ﷺ السراويل فذهبت لأحمله عنه فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله إلا أن يكون ضعيفا يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم قلت يا رسول الله إنك لتلبس السراويل قال أجل في السفر والحضر وبالليل وبالنهار فإني أمرت بالستر فلم أجد شيئا أستر منه ومخرجه هو وشيخه ضعيفان وكان ﷺ يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين وفي لفظ آخر اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة أتتني الدنيا خضرة حلوة ورفعت إلي رأسها وتزينت لي فقلت إني لا أريدك لا حاجة لي فيك ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء انتهى وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء قال وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الفاقة أحب إلي من اليسار وعن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أرثي له ﷺ من الجوع وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنع عنك الجوع فيقول يا عائشة إن إخواني من أولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرمهم وأجزل ثوابهم أخشى إن ترفهت في معيشتي أن يقصر بي دونهم فأصبر أياما يسيرة أحب إلي من أن ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء أحب إلي من اللحوق بإخواني قال وقال ﷺ يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل والله لأصبرن جهدي ولا قوة إلا بالله انتهى * وكان ﷺ يقول لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وكان صلى الله عليه وسلم على غاية من الإعراض عن الدنيا وكان يصلي على الحصير وعلى الفروة المدبوغة وربما نام على الحصير فأثرت في جسده الشريف وكان ينام على شيء من أدم محشو ليفا فقيل له في ذلك فقال ما لي وللدنيا وعن عائشة رضي الله عنها دخلت امرأة من الأنصار فرأت ذلك الأدم وفي لفظ رأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية فانطلقت فبعثت إليه بفراش حشوه صوف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا فقلت يا رسول الله فلانة الأنصارية دخلت علي فرأت فراشك فذهبت فبعثت هذا فقال رديه فلم أرده وأعجبني أن يكون في بيتي حتى قال ذلك ثلاث مرات فقال والله يا عائشة لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة وعنها رضي الله عنها أنها كانت تفرش تلك العباءة مثنية طاقين ففي بعض الليالي ربعتها فنام صلى الله عليه وسلم عليها ثم قال يا عائشة ما لفراشي الليلة ليس كما يكون قلت يا رسول الله ربعتها قال فأعيديه كما كان * وكان صلى الله عليه وسلم إذا استجد ثوبا قال اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له وكان يقول لأصحابه كلهم رضي الله عنهم إذا لبس أحدكم ثوبا فليقل الحمد لله الذي كساني

ما

الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا في بيت عائشة رضي الله عنها فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله أوصيكم بتقوى الله واستخلفه عليكم وأحذركم الله إني لكم نذير مبين أن لا تعلوا على الله في بلاده وعباده فإنه قال لي ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال أليس في جهنم مثوى للمتكبرين قلنا يا رسول الله متى أجلك قال دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى جنة المأوى قلنا يا رسول الله من يغسلك قال رجال من أهل بيتي الأدنى فالأدنى قلنا يا رسول الله فيم نكفنك قال في ثيابي هذه وإن شئتم في ثياب مصر أو حلة يمنية قلنا يا رسول الله من يصلي عليك قال إذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري هذا على شفير قبري ثم اخرجوا عني ساعة فإن أول من يصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ثم ادخلوا علي أفواجا أفواجا فصلوا علي وسلموا تسليما وليبدأ بالصلاة علي رجال أهل بيتي ثم نساؤهم ثم أنتم واقرأوا السلام على من غاب من أصحابي ومن تبعني على ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة قلنا

ما أواري به عورتي وأتحمل به في حياتي قال وكان أرجح الناس عقلا والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي ﷺ وجزء في سائر الناس وعن وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا أنه ﷺ أرجح الناس وأفضلهم رأيا وفي رواية وجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انتهائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة بين رمال الدنيا ومما يتفرع على العقل اقتناء الفضائل واجتناب الرذائل واصابة الرأي وجودة الفطنة وحسن السياسة والتدبير وقد بلغ من ذلك ﷺ الغاية التي لم يبلغها بشر سواه ومما يكاد يقضي منه العجب حسن تدبيره ﷺ للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة كيف ساسهم واحتمل جفاهم وصبر على أذاهم الى ان انقادوا اليه ﷺ واجتمعوا عليه واختاروه على أنفسهم وقاتلوا دونه أهلهم وآباءهم وأبناءهم وهجروا في رضاه أوطانهم انتهى والله أعلم

﴿ باب يذكر فيه مدة مرضه وما وقع فيه ووفاته صلى الله عليه وسلم التي هي مصيبة الاولين والآخرين من المسلمين ﴾

ذكر أنه ﷺ خرج الى البقيع من جوف الليل فاستغفر لهم فعن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله ﷺ قال له في جوف الليل اني قد أمرت ان أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي قال فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه لو تعلمون ما نجاكم الله منه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الأولى قال ثم أقبل علي وقال يا أبا مويهبة هل علمت اني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة وخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي فاخترت لقاء ربي والجنة أي وفي رواية ان أبا مويهبة قال له بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الأرض والخلد فيها ثم الجنة قال لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي والجنة ثم رجع ﷺ الى أهله فلما أصبح ابتدئ بوجعه من يومه ذلك أي ابتداء الصداع أي وفي رواية ذهب بعد ذلك الى قتلى أحد وصلى عليهم فرجع معصوب الرأس وكان ذلك بدء الوجع الذي مات فيه وفي رواية رجع من جنازة بالبقيع قالت عائشة رضي الله عنها لما رجع من البقيع وجدني وأنا أجد صداعا في رأسي وأنا أقول وارأساه فقال صلى الله عليه وسلم بل أنا وارأساه قال لو كان ذلك وأنا حي فاستغفر لك وأدعو لك وأكفنك وادفنك وفي لفظ وما يضرك لو مت قبلي فقمت عليك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك فقلت واثكلاه والله انك لتحب موتي فلو كان ذلك لظللت يومك معرسا ببعض أزواجك قالت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال النبي ﷺ بل أنا وارأساه لقد هممت ان أرسل الى أبيك وأخيك فاقض أمري وأعهد عهدي فلا يطمع في الدنيا طامع وفي لفظ ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون وفي رواية انها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه ادعي لي أباك أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فاني أخاف أن يتمنى متمن أو يقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر وفي رواية لما ثقل رسول الله ﷺ قال لعبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف عليه فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم قال أبى الله والمؤمنون ان يختلف عليك يا أبا بكر قال ابن كثير رحمه الله وقد خطب رسول الله ﷺ خطبة بين فيها فضل الصديق رضي الله عنه من بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولعل خطبته صلى الله عليه وسلم هذه كانت عوضا عما أراد ﷺ أن يكتبه في

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده في الجنة ثم يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذي غشي عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الأعلى فقلت إذا لا يختارنا فعرفت انه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح وفي رواية انها أصغت اليه قبل ان يموت وهو مستند الى ظهره وهو يقول اللهم اغفر لي وارحمني والحقني بالرفيق الأعلى وروى عبد الرزاق عن طاوس رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال خيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي وبين التعجيل فاخترت التعجيل وروى ابن حبان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أسأل الله الرفيق الأعلى الاسعد مع جبريل وميكائيل واسرافيل وظاهره ان الرفيق الأعلى المكان الذي تحصل فيه المرافقة مع المذكورين وقال ابن الاثير أراد جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين وقيل المراد به الله تعالى يقال الله رفيق

بعباده من الرفق والرحمة والرأفة وقيل المراد به حضرة القدس قال في المواهب لما

زيادة الترقى ولذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل يوم لا أزداد فيه قربا من الله فلا بورك لى فى طلوع شمسه وكلما فارق مقاما واتصل بما هو أعلى منه لمح الاول بعين النقص وسار على ظهر المحبة وبعثت المطية لقطع هذه المراحل والمقامات والاحوال والسفر الى حضرة ذى الجلال الذى كل شىء هالك الا وجهه قال السهيلى الحكمة فى اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منه الرخصة لغيره انه لا يشترط أن يكون الذكر باللسان لان بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر قال الحافظ ابن رجب وقد يروى ما يدل على انه قبض ثم رأى مقعده فى الجنة ثم ردت اليه نفسه ثم خير فى المسند عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبى الا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه فيخير فكنت قد حفظت ذلك فانى لمسندته الى صدرى

الكتاب وفى رواية لما اجتمع عنده ﷺ رجال فقال صلى الله عليه وسلم هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده فقال بعضهم أى وهو سيدنا عمر رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن أى وانما قال ذلك رضى الله عنه تخفيفا على رسول الله ﷺ فارتفعت أصواتهم فامرهم بالخروج من عنده وجاء ان العباس رضى الله عنه قال لعلى كرم الله وجهه لأرى رسول الله ﷺ يصح من مرضه هذا فانى أعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت أى وفى رواية خرج على بن ابى طالب كرم الله وجهه من عند رسول الله ﷺ وهو فى مرضه الذى مات فيه فقال الناس يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ فقال أصبح بحمد الله بارئا فاخذ بيده عمه العباس رضى الله عنهما وقال له والله أنت بعد ثلاث عبد العصا وانى لأرى رسول الله ﷺ من وجعه هذا بعد ثلاث الا ميتا فانى رأيت فى وجهه ما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب عند الموت فاذهب بنا الى رسول الله ﷺ فنسأله فيمن هذا الأمر فان كان فينا علمنا ذلك وان كان فى غيرنا كلمناه فاوصى بنا فقال على كرم الله وجهه والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله عنها وصار ﷺ يدور على نسائه واشتد به المرض عند ميمونة رضى الله عنها وقيل فى بيت زينب رضى الله عنها وقيل فى بيت ريحانة رضى الله عنها قالت عائشة رضى الله عنها ودعا ﷺ نساءه واستأذنهن ان يمرض فى بيتى فاذن له وفى رواية صار يقول وهو فى بيت ميمونة أين أنا غدا أين أنا غدا يريد يوم عائشة رضى الله عنها وفى البخارى يقول أين أنا اليوم أين أنا غدا استبطاء ليوم عائشة رضى الله عنها فاذن له أزواجه ان يكون حيث شاء وكان فى بيت عائشة وفى رواية عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى النساء فى مرضه فاجتمعن وقال انى لا أستطيع أن أدور بينكن فان رأيتن ان تأذن لى فاكون فى بيت عائشة فعلتن فاذن له قالت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين رجلين من أهله معتمدا عليهما الفضل بن العباس ورجل آخر وفى رواية بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر وفى رواية بين اسامة ورجل آخر عاصبا رأسه الشريف تخط قدماه الأرض حتى دخل بيتى قال ابن عباس رضى الله عنهما الرجل الذى لم تسمه على بن أبى طالب كرم الله وجهه أى فانه كان بينها وبين على ما يقع بين الاحماء وقد صرحت بذلك لما أرادت أن تتوجه من البصرة بعد انقضاء وقعة الجمل وخرج الناس ومن جملتهم على كرم الله وجهه لتوديعها حيث قالت والله ما كان بينى وبين على فى القديم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها فقال على أيها الناس صدقت والله وبرت ما كان بيننا وبينها الا ذلك وانها الزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة وقد تقدم ذلك ثم غمر رسول الله ﷺ واشتد به وجعه فقال هريقوا على من سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج الى الناس واعهد اليهم فاقعدناه ﷺ فى مخضب لحفصة من نحاس ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول حسبكم حسبكم وفى لفظ حتى طفق يشير الينا بيده أن قد فعلتن أى وصب المياه المذكوره له دخل فى دفع السم أى فانه ﷺ صار يقول لعائشة يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلته بخيبر فهذا أوان انقطاع أبهرى من ذلك السم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه الشريف حتى جلس على المنبر ثم كان أول ما تكلم به أن صلى على أصحاب احد أى دعا لهم فأكثر الصلاة عليهم واستغفر لهم ثم قال ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله ففهمها أبو بكر رضى الله تعالى عنه وعرف أن نفسه يريد أى فبكى أبو بكر () فقال بل نفديك بانفسنا وأبنائنا فقال على رسلك يا أبا بكر أى وفى رواية قال يا أبا بكر لا تبك أيها الناس ان أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر وهذا حديث صحيح جاء عن

فنظرت اليه حين ارتفع ونظر فقلت إذا والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى فى الجنة مع الذين أنعم الله

عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وفي صحيح ابن حبان عن عائشة رضي
الله عنها قالت أغمي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجري فجعلت أمسحه وأدعو له بالشفاء فلما أفاق قال أسأل الله الرفيق الأعلى مع جبريل وميكائيل واسرافيل ولما احتضر صلى الله عليه وسلم واشتد به الأمر قالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعني على سكرات الموت وفي رواية وجعل يقول لا إله إلا الله ان للموت لسكرات قال العلماء وكانت تلك السكرات من شدة الوجع لرفعة منزلته ولتقتدي به أمته في الصبر وروى الحافظ ابن رجب أنه عليه الصلاة والسلام قال اللهم إنك تأخذ الروح من بين القصب والعصب والأنامل فأعني عليه وهونه علي والقصب عظام اليدين والرجلين ونحوها قالت عائشة رضي الله عنها ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضي الله عنها واكرب أبتاه فقال لها لا كرب على أبيك بعد اليوم والمراد بالكرب ما كان يجده من شدة الموت (وفي البخاري) من حديث أنس رضي الله عنه ان المسلمين بينما هم

صمة عشر صحابيا ولكثرة طرقه عد من المتواتر وفي أخرى أن أعظم الناس علي مالا في صحبته وذات يده أبو بكر وفي أخرى فاني لا أعلم امرأ أفضل عندي يدا في الصحابة من أبي بكر وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ ما من نبي يموت حتى يخير بين الدنيا والآخرة أي وفي الحديث حياتي خير لكم ومماتي خير لكم تعرض علي أعمالكم فان رأيت شرا استغفرت لكم أي وهذا بيان للثاني لاستغناء الأول عن البيان ومعلوم ان خيرا وشرا هنا ليسا أفعل تفضيل الذي يوصل بمن حتى يلزم التناقض بل المراد ان ذلك فضيلة ثم قال ﷺ انظروا هذه الأبواب اللاصقة في المسجد أي وفي لفظ هذه الأبواب الشوارع في المسجد فسدوها الا باب أبي بكر أي وفي لفظ الا ما كان من باب أبي بكر فاني وجدت عليه نورا وفي لفظ سدوا عني كل خوخة في هذا المسجد الا خوخة أبي بكر فان المراد بالأبواب الخوخ فاني لا أعلم ان أحدا كان أفضل في الصحبة عندي يدا منه أي وفي لفظ أبو بكر صاحبي ومؤنسي في الغار سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر وفي لفظ لا تؤذوني في صاحبي ولولا ان الله سماه صاحبا لاتخذته خليلا ألا فسدوا كل خوخة الا خوخة ابن أبي قحافة أي وجاء في الحديث لكل نبي خليل من أمته وان خليلي أبو بكر وان الله اتخذ صاحبكم خليلا وفي رواية وان خليلي عثمان بن عفان وجاء لكل نبي خليل وخليلي سعد بن معاذ وفي أسباب النزول للثعالبي عن أبي امامة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وانه لم يكن نبي الا وله خليل ألا وان خليلي أبو بكر وفي رواية الجامع الصغير ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا وان خليلي أبو بكر وفي رواية الجامع الصغير خليلي من هذه الأمة أويس القرني ولعل هذا كان قبل أن يقول صلى الله عليه وسلم في مرض موته قبل موته بخمسة أيام اني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فان الله قد اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر خليلا لكن خلة الاسلام أفضل وفي رواية ولكن أخوة الاسلام ومودته وفي رواية لكن أخي وصاحبي وجمع بأن الأول أي اثبات الخلة لغير الله محمول على نوع منها ونفيها عن غير الله محمول على كمالها ثم لا يخفى ان قوله صلى الله عليه وسلم ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا يدل على ان مقام الخلة أرقى من مقام المحبة وان المحبة والخلة ليسا سواء خلافا لمن زعم ذلك أي ولا مانع ان يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل ولا حاجة الى ما تكلفه بعضهم مما يدل على ان مقام المحبة أفضل من مقام الخلة أي الذي يدل عليه ما جاء الا قائل قولا غير فخر ابراهيم خليل الله وموسى صفي الله وأنا حبيب الله وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة وعند ذلك أي اغلاق الأبواب قال الناس أغلق أبوابنا وترك باب خليله فقال النبي ﷺ قد بلغني الذي قلتم في باب أبي بكر واني أرى على باب أبي بكر نورا وأرى على أبوابكم ظلمة لقد قلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وأمسكتم الأموال وجاد لي بماله وخذلتموني وواساني أي ولعل قولهم وترك باب خليله لا ينافي ما تقدم من عدم اتخاذه خليلا وروي انه صلى الله عليه وسلم لما أمر بسد الأبواب الا باب أبي بكر قال عمر يا رسول الله دعني أفتح كوة أنظر اليك حيث تخرج الى الصلاة فقال رسول الله ﷺ لا وقال العباس بن عبد المطلب يا رسول الله ما بالك فتحت أبواب رجال في المسجد يعني أبا بكر وما لك سددت أبواب رجال في المسجد فقال يا عباس ما فتحت عن أمري ولا سددت عن أمري وفي لفظ ما أنا سددتها ولكن الله سدها وجاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله ﷺ أمر بسد الأبواب الا باب علي قال الترمذي حديث غريب وقال ابن الجوزي هو موضوع وضعه الرافضة ليقابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر وجمع بعضهم بأن قصة علي متقدمة على هذا الوقت وأن الناس كان لكل بيت بابان باب يفتح للمسجد وباب يفتح خارجه

عائشــة رضى الله عنها فنظر اليهـم وهم فى صفوف الصلاه ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر رضى الله عنه على عقبه ليصل الصف وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة قال أنس وهم المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار اليهم بيده صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجره وأرخى الستر زاد فى رواية فتوفى من يومه وفى رواية لم يخرج الينا صلى الله عليه وسلم ثلاثا فأقيمت الصلاه فذهب أبو بكر يتقدم فقام نبى الله صـلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا قط كان أعجب الينا من وجـه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا فأومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر أن يتقدم وأرخى الحجاب وروى مسلم ان أبا بكر رضى الله عنـه كان يصلى لهم فى وجع النبى صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيـه حتى كان يوم الاثنين وهم فى صفوف الصلاه كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر الينا وهو قائم كأن

الا بيت على كرم الله وجهه فانه لم يكن له الا باب من المسجد وليس له باب من خارج فأمر صلى الله عليه وسلم بسد الأبواب أى التى تفتح للمسجد أى بتضييقها وصيرورتها خوخا الا باب على كرم الله وجهه فان عليا لم يكن له الا باب واحد ليس له طريق غيره كما تقدم فلم يأمر صلى الله عليه وسلم بجعله خوخة ثم بعد ذلك أمر صلى الله عليه وسلم بسد الخوخ الا خوخة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وقول بعضهم حتى خوخة على كرم الله وجهه فيه نظر لما علمت ان عليا كرم الله وجهه لم يكن له إلا باب واحد فالباب فى قصة أبى بكر رضى الله تعالى عنه ليس المراد به حقيقته بل الخوخة وفى قصة على كرم الله وجهه المراد به حقيقته أقول ومما يدل على تقدم قصة على كرم الله وجهه ما روى عنه قال أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر أن سد بابك قال سمعا وطاعة فسد بابه ثم أرسل إلى عمر ثم أرسل إلى العباس بمثل ذلك ففعلا وأمرت الناس ففعلوا وامتنع حمزه فقلت يارسول الله قد فعلوا الا حمزة فقال صلى الله عليه وسلم قل لحمزه فليحول بابه فقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تحول بابك فحوله وعند ذلك قالوا يارسول الله سددت أبوابنا كلها الا باب على فقال ما أنا سددت أبوابكم ولكن الله سدها وفى رواية ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب على ولكن الله فتح باب على وسد أبوابكم وجاء انه صلى الله عليه وسلم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فانى أمرت بسد هذه الابواب غير باب على فقال فيكم قائلكم وانى والله ماسددت شيئا ولا فتحته ولكنى أمرت بشىء فاتبعته انما أنا عبد مأمور ماأمرت به فعلت ان أتبع إلا ما يوحى إلى ومعلوم ان حمزه رضى الله تعالى عنه قتل يوم أحد فقصة على كرم الله وجهه متقدمة جدا على قصة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وعلى كون المراد بسد الابواب تضييقها وجعلها خوخا يشكل ما جاء أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسد الابواب كلها غير باب على فقال العباس يارسول الله قدر ما أدخل أنا وحدى وأخرج قال ما أمرت بشىء من ذلك فسدها كلها غير باب على فعلى تقدير صحة ذلك يحتاج إلى الجواب عنه وعلى هذا الجمع يلزم أن يكون باب على كرم الله وجهه استمر مفتوحا فى المسجد مع خوخة أبى بكر رضى الله تعالى عنه لما علم أنه لم يكن لعلى باب آخر من غير المسجد وحينئذ قد يتوقف فى قول بعضهم فى سد الخوخ الا خوخة أبى بكر اشارة إلى استخلاف أبى بكر لانه يحتاج إلى المسجد كثيرا دون غيره لكن فى تاريخ ابن كثير رحمه الله وهذا أى سد جميع الأبواب الشارعة الى المسجد الا باب على لا ينافى ما ثبت فى صحيح البخارى من أمره صلى الله عليه وسلم فى مرض الموت بسد الابواب الشارعة إلى المسجد الا باب أبى بكر لأن فى حال حياته صلى الله عليه وسلم كانت فاطمة رضى الله تعالى عنها تحتاج الى المرور من بيتها إلى بيت أبيها صلى الله عليه وسلم فأبقى صلى الله عليه وسلم باب على كرم الله وجهه لذلك رفقا بها وأما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فزالت هذه العلة فاحتيج إلى فتح باب الصديق رضى الله تعالى عنه لأجل خروجه الى المسجد ليصلى بالمسلمين لانه الخليفة بعده عليه الصلاة والسلام هذا كلامه وهو يفيد أن باب على كرم الله وجهه سد مع سد الخوخ ولم يبق الى خوخة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وجعل لبيت على كرم الله وجهه باب من الخارج وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى ياعلى لا يحل لأحد جنب مكث فى المسجد غيرى وغيرك وعن أم سلمة رضى الله تعالى عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه حتى انتهى الى صرحة المسجد فنادى بأعلى صوته انه لا يحل المسجد لجنب ولا لحائض الا لمحمد وأزواجه وعلى وفاطمة بنت محمد الا هل بينت لكم ان لا تضلوا قال الحافظ ابن كثير وهذا أى الثانى اسناده غريب وفيه ضعف هذا كلامه والمراد المكث فى المسجد لا المرور به والاستطراق منه فان ذلك لكل أحد ثم رأيت الحافظ السيوطى رحمه الله أشار الى ذلك وذكر ان مثل على كرم الله وجهه فى ذلك ولداه الحسن والحسين حيث قال وكذا على بن أبى طالب والحسن والحسين اختصوا

بحوار المكث فى المسجد مع الجنابة والله أعلم ثم قال صلى الله عليه وسلم يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيرا فإنهم كانوا عيبتى التى أويت إليهم فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أنه ﷺ قال فى خطبته هذه أيها الناس من أحس من نفسه شيئا فليقم ادع الله له فقام إليه رجل فقال يارسول الله إنى لمنافق وإنى لكذوب وإنى لنؤم فقال له عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ويحك أيها الرجل لقد سترك الله لو سترت على نفسك فقال رسول الله ﷺ يا ابن الخطاب فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة اللهم ارزقه صدقا وإيمانا واذهب عنه النوم إذا شاء قال ابن كثير فى إسناده ومتنه غرابة شديدة وأمر ﷺ فى مرضه أبا بكر أن يصلى بالناس قال وكانت تلك الصلاة صلاة العشاء وقد أذن بلال فقال ضعوا لى ماء فى المخضب أى وهو شبه الاجانة من نحاس فاغتسل فيه أى وهذا مع ما سبق يدل على أنه ﷺ كان له مخضب من حجر ومخضب من نحاس ثم أراد صلى الله عليه وسلم أن يذهب فأغمى عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس قلنا لا هم ينتظرونك أى وعند ذلك قال ضعوا لى ماء فى المخضب فاغتسل ثم أراد أن يذهب فأغمى عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس قلنا لا هم ينتظرونك يارسول الله قال ضعوا لى ماء فى المخضب فاغتسل ثم اراد أن يذهب فأغمى عليه ثم أفاق فقال أصلى الناس قلنا لا هم ينتظرونك يارسول الله والناس ملمومة فى المسجد ينتظرون النبى ﷺ لصلاة العشاء الآخرة فأرسل إلى أبى بكر رضى الله تعالى عنه بأن يصلى بالناس فأتاه الرسول فقال له ان رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلى بالناس فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه لعمر ياعمر صل بالناس فقال له عمر رضى الله تعالى عنه أنت أحق بذلك وفى رواية أن بلالا رضى الله تعالى عنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فقال الصلاة يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لا أستطيع الصلاة خارجا ومر عمر بن الخطاب فليصل بالناس فخرج بلال رضى الله تعالى عنه وهو يبكى فقال له المسلمون ماوراءك يا بلال فقال ان رسول الله ﷺ لا يستطيع الصلاة خارجا فبكوا بكاء شديدا وقال لعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصلى بالناس فقال عمر رضى الله تعالى عنه ما كنت لأتقدم بين يدى أبى بكر أبدا فادخل على نبى الله ﷺ فأخبره أن أبا بكر على الباب فدخل عليه ﷺ بلال رضى الله تعالى عنه فأخبره بذلك فقال نعم ما رأى مر أبا بكر فليصل بالناس فخرج إلى أبى بكر فأمره أن يصلى بالناس فصلى بالناس وفى رواية فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فقلت إن أبا بكر رجل أسيف أى رقيق القلب إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فقال صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فليصل بالناس فعاودته فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقلت لحفصة قولى له ان أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس ففعلت حفصة فقال رسول الله ﷺ لحفصة مه إنكن صواحب يوسف عليه الصلاة والسلام وفى لفظ انكن لأنتن صواحب يوسف عليه الصلاة والسلام فقالت حفصة رضى الله تعالى عنها لعائشة ما كنت لأصيب منك خيرا مروا أبا بكر فليصل بالناس أى مثل صاحبة يوسف عليه الصلاة والسلام وهى زليخا أظهرت خلاف ما تبطن أظهرت للنساء اللاتى جمعتهن أنها تريد اكرامهن بالضيافة وإنما قصدها أن ينظرن لحسن يوسف عليه الصلاة والسلام فيعذرنها فى حبه والنبى ﷺ فهم عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها تظهر كراهة ذلك مع محبتها له باطنا هكذا يقتضيه ظاهر اللفظ والمنقول عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها إنما قصدت بذلك خوف أن يتشاءم الناس أبا بكر فيكرهونه حيث قام مقامه صلى الله عليه وسلم فقد جاء عنها رضى الله تعالى عنها أنها قالت ما حملنى على كثرة مراجعتى له صلى الله

(وروى البيهقى) عن جعفر بن محمد عن أبيه قال لما بقى من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال يا محمد ان الله قد أرسلنى اليك إكراما لك وتفضيلا لك وخاصة يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك قال أجدنى ياجبريل مغموما وأجدنى ياجبريل مكروبا ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال له مثل ذلك ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمى قبلك ولا يستأذن على آدمى بعدك قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله ان الله عز وجل أرسلنى إليك وأمرنى أن أطيعك فى كل ما تأمرنى به ان أمرتنى أن أقبض روحك قبضتها وان أمرتنى أن أتركها تركتها فقال جبريل يا محمد ان الله قد اشتاق إلى لقائك قال صلى الله عليه وسلم فامض ياملك الموت إلى ما أمرت به فقال جبريل يارسول الله هذا آخر موطئى من الأرض إنما كنت حاجتى من الدنيا فقبض روحه ولما توفى صلى الله عليه وسلم سمعوا صوتا

عليه وسلم إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا ولا كنت أرى أنه يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس منه وفي رواية أن الأنصار رضي الله تعالى عنهم لما رأوا رسول الله ﷺ يزداد وجعا طافوا بالمسجد وأشفقوا من موته صلى الله عليه وسلم فدخل عليه الفضل رضي الله تعالى عنه فأخبره بذلك ثم دخل عليه علي كرم الله وجهه فأخبره بذلك ثم دخل عليه العباس رضي الله تعالى عنه فأخبره بذلك فخرج النبي ﷺ متوكئا على علي والفضل والعباس أمامه والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث إليه فأخلد فيكم ألا وإني لاحق بربي وإنكم لاحقون به فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا وأوصي المهاجرين فيما بينهم خيرا فإن الله يقول والعصر إن الإنسان لفي خسر السورة وإن الأمور تجري بإذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالأنصار خيرا فإنهم الذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ألم يشاطروكم في الثمار ألم يوسعوا لكم في الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا فإني فرط لكم وأنتم لاحقون بي ألا وإن موعدكم الحوض ألا فمن أحب أن يرده علي غدا فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي يا أيها الناس إن الذنوب تغير النعم فإذا بر الناس برتهم أئمتهم وإذا فجر الناس عقوا أئمتهم وفي الحديث حياتي خير لكم ومماتي خير لكم وقد أشار ﷺ إلى خيرية الموت بأنه فرط فخير صفة لا أفعل تفضيل حتى يشكل بأنه يقتضي أن حياتي خير لكم من مماتي ومماتي خير لكم من حياتي كما مر ثم لا زال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يصلي بالناس سبع عشرة صلاة وصلى النبي ﷺ مؤتما به ركعة ثانية من صلاة الصبح ثم قضى الركعة الثانية أي أتى بها منفردا وقال ﷺ لم يقبض نبي حتى يؤمه رجل من قومه أي وقد قال ذلك صلى الله عليه وسلم لما صلى خلف عبد الرحمن بن عوف كما تقدم في تبوك قال وفي رواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خفة أي وأبو بكر في الصلاة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر فلما رآه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ذهب ليتأخر فأومأ إليه أن لا يتأخر وأمرهما فأجلساه إلى جنب أبي بكر عن يساره وفي رواية عن يمينه وأنه صلى الله عليه وسلم دفع في ظهر أبي بكر وقال صل بالناس أي ومنعه من التأخر فجعل أبو بكر رضي الله تعالى عنه يصلي قائما كبقية الصحابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعدا انتهى وهذا صريح في أنه صلى الله عليه وسلم صلى مقتديا بأبي بكر رضي الله تعالى عنه وحينئذ لا يحسن التفريع على ذلك بما جاء في لفظ فكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه يصلي وهو قائم بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ يأتم بصلاة النبي ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر وفي لفظ يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقتدون بصلاة أبي بكر وهذا يدل على أن الصحابة رضي الله تعالى عنهم صلوا خلف أبي بكر وأبو بكر يصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم وصار يسمع الصحابة التكبير وقد بوب البخاري على ذلك باب من أسمع الناس تكبير الإمام وقال بعد ذلك الرجل يأتم بالإمام ويأتم الناس بالمأموم فإن منعه ﷺ أبا بكر رضي الله تعالى عنه من التأخر مع صلاته على يسار أبي بكر أو على يمينه يدل على أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه لم يقتد بالنبي صلى الله عليه وسلم بل استمر إماما إذ لا يجوز عندنا أن يقتدي أبو بكر بالنبي ﷺ مع تقدم أبي بكر عليه صلى الله عليه وسلم في الموقف وحينئذ

من ناحية البيت السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإنما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وقال علي رضي الله عنه أتدرون من هذا هو الخضر عليه السلام ورواه أيضا غير البيهقي كالحاكم في المستدرك وابن أبي الدنيا ولفظه عن أنس رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل كثير شعر المنكبين في إزار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على أصحابه فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت الحديث وفيه ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال أبو بكر رضي الله عنه لعل هذا الخضر جاء يعزينا قالت عائشة رضي الله عنها توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري والسحر موضع القلادة من الصدر والمراد أنه صلى الله

يخالف ذلك قول فقهائنا أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم اقتدوا برسول الله ﷺ بعد اقتدائهم بأبى بكر وجعلوه دليلا على جواز الصلاة بامامين على التعاقب إذ لا يحسن ذلك إلا أن يكون أبو بكر رضى الله تعالى عنه تأخر ونوى الاقتداء به ﷺ إلا أن يقال يجوز أن تكون صلاته ﷺ خلف أبى بكر تكررت فى مرة منعه ﷺ من التأخر واقتدى به وفى مرة تأخر أبو بكر رضى الله تعالى عنه عن موقفه واقتدى بالنبى ﷺ واقتدى الناس بالنبى بعد اقتدائهم بأبى بكر وصار أبو بكر يسمع الناس التكبير ولا ينافى ذلك قول البخارى الرجل يأتم بالامام ويأتم الناس بالمأموم لجواز أن يكون المراد يقتدون ويتبعون تكبير المأموم ثم رأيت الترمذى رحمه الله تعالى صرح بتعدد صلاته ﷺ خلف أبى بكر رضى الله تعالى عنه حيث قال ثبت أنه ﷺ صلى خلف أبى بكر مقتديا به فى مرضه الذى مات فيه ثلاث مرات ولا ينكر هذا إلا جاهل لا علم له بالرواية هذا كلامه وبه يرد قول البيهقى رحمه الله والذى دلت عليه الروايات أن النبى ﷺ صلى خلفه فى تلك الأيام التى كان يصلى بالناس فيها مرة وصلى أبو بكر رضى الله تعالى عنه خلفه ﷺ مرة وقال ﷺ فى مرضه ذلك يوما لعبد الله بن زمعة بن الاسود من الناس فليصلوا أى صلاة الصبح وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه غائبا فقدم عبد الله عمر رضى الله تعالى عنه يصلى بالناس فلما سمع رسول الله ﷺ صوته أخرج رأسه الشريف حتى أطلعه للناس من حجرته ثم قال ﷺ لا لا لا ثلاث مرات ليصل بهم ابن أبى قحافة فانتقضت الصفوف وانصرف عمر رضى الله تعالى عنه أى من الصلاة فما برح القوم حتى طلع ابن أبى قحافة فتقدم وصلى بالناس الصبح وفى رواية أنه ﷺ لما سمع صوت عمر رضى الله تعالى عنه قال أليس هذا صوت عمر فقالوا بلى يا رسول الله فقال يأبى الله ذلك والمؤمنون وفى لفظ يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر قال ذلك ثلاثا قال فى السيرة الهشامية فبعث ﷺ الى أبى بكر فجاء بعد أن صلى عمر رضى الله تعالى عنه تلك الصلاة فصلى بالناس وقد يقال المراد بصلى عمر تلك الصلاة نوى تلك الصلاة ودخل فيها فلا يخالف ما تقدم من انتقاض الصفوف وانصراف عمر رضى الله تعالى عنه من الصلاة وقال عمر رضى الله تعالى عنه لعبد الله بن زمعة ويحك ماذا صنعت يا ابن زمعة والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بهذا فقال عبد الله بن زمعة رضى الله تعالى عنه ما أمرنى رسول الله ﷺ بذلك ولكن حيث لم أر أبا بكر ورأيتك أحق من حضر بالصلاة وفى آخر يوم أخرج رسول الله ﷺ رأسه من الستارة والناس خلف أبى بكر فأراد الناس أن يتحرجوا فأشار اليهم ﷺ أن امكثوا وتبسم رسول الله ﷺ لما رأى من هيئة المسلمين فى صلاتهم سرورا منه ﷺ بذلك يوم الاثنين يوم موته ﷺ ثم ألقى الستارة وفى السيرة الهشامية لما كان يوم الاثنين قبض الله تبارك وتعالى فيه رسول الله ﷺ وخرج الى الناس وهم يصلون الصبح فرفع الستر وفتح الباب فخرج رسول الله ﷺ فقام على باب عائشة رضى الله تعالى عنها فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فرحا به فأشار اليهم أن اثبتوا على صلاتكم ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله ﷺ قد أفاق من وجعه فرجع أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى أهله بالسنح وفيها فى رواية أنه لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله ﷺ عاصبا رأسه الى صلاة الصبح وأبو بكر يصلى بالناس فلما خرج رسول الله ﷺ فرح الناس فعرف أبو بكر رضى الله تعالى عنه أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله ﷺ فنكص عن مصلاه فدفع رسول الله ﷺ فى ظهره وقال صل بالناس وجلس رسول الله ﷺ الى جنبه على يمين أبى بكر

مسترضع عند حليمة الله أكبر وآخر كلمة تكلم بها الرفيق الأعلى وفى رواية جلال ربى الرفيع ويمكن أنه تكلم بهما ولما توفى صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر رضى الله عنه غائبا بالسنح يعنى العالية وهى منازل بنى الحرث ابن الخزرج عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد الخزرجى رضى الله عنهما وكان عليه الصلاة والسلام قد أذن له فى الذهاب اليها فسل عمر بن الخطاب رضى الله عنه سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال إنما أرسل اليه كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله إنى لأرجو أن يقطع أيدى رجال وأرجلهم فاقبل أبو بكر رضى الله عنه من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عائشة رضى الله عنها فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثا يقبله ويبكى ويقول توفى والذى نفسى بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حيا وميتا بأبى أنت وأمى لا يجمع الله عليك موتتين وأشار بذلك الى الرد على من يزعم أنه سيجىء فيقطع أيدى رجال لانه لو صح ذلك لزم أن يموت موتة أخرى وأخبر بأنه أكرم على الله أن يجمع عليه موتتين

رضي الله تعالى عنه وصلى قاعدا فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس رافعا صوته حتى خرج من باب المسجد يقول أيها الناس سعرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم إني والله ما تمسكون علي بشيء اني لم أحل إلا ما أحل القرآن ولم أحرم إلا ماحرم القرآن ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه قال له أبو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله قد أراك أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحب واليوم يوم بنت خارجة أفآتيها قال نعم ثم دخل صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر رضي الله تعالى عنه الى أهله بالسنح فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحى من ذلك اليوم فليتأمل الجمع بين هذه الروايات وقد أمر ﷺ أبا بكر رضي الله تعالى عنه أن يصلي بالناس قبل مرضه فانه ﷺ خرج الى قباء بعد أن صلى الظهر وقد وقع بين طائفتين من بني عمرو ابن عوف تشاجر حتى تراموا بالحجارة ليصلح بينهم فقال ﷺ لبلال رضي الله تعالى عنه إن حضرت صلاة العصر ولم آتك فمر أبا بكر فليصل بالناس فلما حضرت صلاة العصر أذن بلال ثم أقام ثم أمر أبا بكر رضي الله تعالى عنه فتقدم وصلى بالناس فجاء رسول الله ﷺ يشق الناس حتى قام خلف أبي بكر فصفح الناس أي صفقوا فلما كثر ذلك التفت أبو بكر رضي الله تعالى عنه فرأى رسول الله ﷺ خلفه فأراد التأخر فأومأ اليه ﷺ أن يكون على حاله وتقدم رسول الله ﷺ فصلى بالناس فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال يا أبا بكر ما يمنعك إذ أومأت اليك أن لا تكون ثبت فقال أبو بكر يارسول الله لم يكن لابن أبي قحافة أن يؤم رسول الله ﷺ فقال للناس إذا نابكم في صلاتكم شيء فلتسبح الرجال ولتصفق النساء وهذا استدل به القاضي عياض رحمه الله على أنه لايجوز لأحد أن يؤمه ﷺ لانه لايصلح للتقدم بين يديه ﷺ في الصلاة ولا في غيرها لا لعذر ولا لغيره وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون أحد شافعا له ﷺ وقد قال ﷺ أئمتكم شفعاؤكم وحينئذ يحتاج للجواب عن صلاته ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه ركعة وسيأتي الجواب عن ذلك ولعل هذه المرة كانت في اليوم الذي توفي فيه ﷺ فقد جاء أنه ﷺ صلى بالناس الغداة ورأى المسلمون أنه صلى الله عليه وسلم قد برىء ففرحوا فرحا شديدا ثم جلس صلى الله عليه وسلم في مصلاه يحدثهم حتى أضحى ثم قام صلى الله عليه وسلم الى بيته فلم يتفرق الناس من مجلسهم حتى سمعوا صياح الناس وهب يقلب الماء ظنا أنه غشي عليه وابتدر المسلمون الباب فسبقهم العباس رضي الله تعالى عنه فدخل وأغلق الباب دونهم فلم يلبث أن خرج اليهم فنعى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ياعباس ما أدركت منه صلى الله عليه وسلم فقال أدركته وهو يقول جلال ربي الرفيع قد بلغت ثم قضى فكان هذا آخر شيء تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأيته في الامتاع نقل هذا القول الذي قدمته عن البيهقي وذكر في رواية أخرى لم يزل أبو بكر رضي الله تعالى عنه يصلي بالناس حتى كانت ليلة الاثنين فأقلع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوعك وأصبح مفيقا فعمد الى صلاة الصبح يتوكأ على الفضل وعلى غلام له يدعى ثوبان ورسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما [illegible] شهد الناس مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه ركعة من صلاة الصبح وقام ليأتي بالركعة الأخرى فجاء اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ينفرجون له حتى قام الى جنب أبي بكر رضي الله تعالى عنه فاستأخر أبو بكر رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه فقدمه في مصلاه

وقيل انه أراد لايجمع الله عليك موت نفسك وموت شريعتك وعن عائشة رضي الله عنها أن عمر رضي الله عنه قام يقول والله مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبو بكر رضي الله عنه وكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبله وقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لايذيقك الله موتتين أبدا ثم خرج وقال أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر رضي الله عنه جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال ألا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال تعالى إنك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ونشج الناس يبكون رواه البخاري يقال نشج الباكي اذا غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب وعن سالم ابن عبيد الأشجعي رضي الله عنه قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخذ بقائم سيفه وقال لاأسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ضربته بسيفي هذا قال فقال الناس يا سالم اطلب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجت الى المسجد فاذا بأبي بكر رضي الله عنه

وجلس صلى الله عليه وسلم فلما فرغ أبو بكر رضي الله تعالى عنه من صلاته أتم رسول الله صلى الله عليه وسلم الركعة الاخيرة ثم انصرف الى جذع من جذوع المسجد فجلس الى ذلك الجذع واجتمع اليه المسلمون يسلمون عليه و يدعون له بالعافية ثم قام صلى الله عليه وسلم فدخل بيت عائشة ودخل ابو بكر رضي الله تعالى عنه على عائشة رضي الله تعالى عنها وقال الحمد لله قد أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم معافى وأرجو أن يكون الله عزوجل قد شفاه ثم ركب رضي الله تعالى عنه فلحق باهله بالسنح وانقلبت كل امرأة من نسائه صلى الله عليه وسلم الى بيتها فلما دخل صلى الله عليه وسلم اشتد عليه الوعك ورجع اليه من كان ذهب من نسائه وأخذ في الموت فصار يغمى عليه ثم يفيق و يشخص بصره الى السماء فيقول في الرفيق الاعلى الاله وكان عنده صلى الله عليه وسلم وقد اشتد به الامر قدح فيه ماء وفي لفظ بدل قدح علباء وفي لفظ ركوة فيها ماء فلما اشتد عليه صلى الله عليه وسلم الامر صار يدخل يده الشريفة في القدح ثم يمسح وجهه الشريف بالماء و يقول اللهم أعني على سكرات الموت أي غمراته وعن فاطمة رضي الله تعالى عنها صار صلى الله عليه وسلم لما يغشاه الكرب وتقول وا كرب ابتاه يقول لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على ابيك كرب بعد اليوم أقول وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال وا كرباه وقال لا اله الا الله ان للموت لسكرات اللهم اعني على سكرة الموت وفي رواية اللهم اعني على كرب الموت والحكمة في ذلك أي فيما شوهد من شدة مالقي من الكرب عند الموت تسلية أمته صلى الله عليه وسلم اذا وقع لأحد منهم شيء من ذلك عند الموت ومن ثم قالت عائشة رضي الله عنها لا اكره شدة الموت لأحد أبدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لا أزال اغبط المؤمن بشدة الموت بعد شدته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحصل لمن شاهده من أهله وغيرهم من المسلمين الثواب لما يلحقهم من المشقة عليه كما قيل بمثل ذلك في حكمة مايشاهد من حال الاطفال عند الموت من الكرب الشديد ثم رأيت الاستاذ الاعظم الشيخ محمد البكري رحمه الله ونفعنا به سئل عن ذلك فأجاب بأجوبة منها هذا الذي ذكرته ومنها ان مزاجه الشريف كان أعدل الامزجة فاحساسه صلى الله عليه وسلم بالألم أكثر من غيره ومن ثم قال ﷺ اني لاوعك كما يوعك رجلان منكم ولان تشبث الحياة الانسانية ببدنه الشريف أقوى من تشبثها ببدن غيره لأن أصل الموجودات كلها أي كما تقدم أي وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت مارأيت الوجع على احد أشد منه على رسول الله ﷺ وقال صلى الله عليه وسلم في مرضه ليس أحد أشد بلاء من الأنبياء كان النبي من انبياء الله يسلط عليه القمل حتى يقتله وكان النبي ﷺ ليعرى حتى مايجد ثوبا يواري به عورته الا العباءة يدرعها وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وقال صلى الله عليه وسلم ما يبرح البلاء على العبد حتى يدعه يمشي على الارض ليس عليه خطيئة وقال ليس من عبد مسلم يصيبه أذى فما سواه الا حط عنه خطاياه كما تحط الشجرة ورقها وفي لفظ لا يصيب المؤمن شكة من شوكة فما فوقها الا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة وعن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم جعل يشتكي و يتقلب على فراشه وكان يعوذ بهذه الكلمات اذا اشتكى أحد من الناس اذهب الباس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما فلما ثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه أخذت بيده اليمنى وجعلت أمسحه بها وأعوذه بتلك الكلمات فانتزع ﷺ يده الشريفة من يدي وقال اللهم اغفر لي واجعلني في الرفيق الاعلى مرتين وفي رواية لم يشتك ﷺ شكوى الا سأل الله العافية حتى كان مرضه الذي مات فيه فانه لم يكن يدعو بالشفاء وطفق ﷺ يقول يانفس مالك تلوذين كل ملاذ أي

فلما رأيته اجهشت بالبكاء وقال ياسالم أمات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا فأقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فوضع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشى الريح ثم سجاه والتفت الينا وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وقال انك ميت وانهم ميتون ياأيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال عمر والله لكأني لم أتل هذه الآية قط وروى الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت سجيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال واغشياه ثم قاما فقال المغيرة ياعمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفني الله المنافقين ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله ﷺ وفي

وعن عائشة رضى الله عنها دخل على عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما ومعه سواك يستن به أى من عسيب النخل وكان أحب السواك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جريد الاراك وهو قضيب يلتوى من الاراكة حتى يبلغ التراب فيبقى فى ظلها فهو ألين من فرعها فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفت انه يريده لانه كان يحب السواك فقلت آخذه لك فأشار برأسه أن نعم فتناولته فقضمته ثم مضغته وفى رواية فتناولته و ناولته اياه فاشتد عليه فقلت أليّنه لك فأشار برأسه ان نعم فلينته فأعطيته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستن به وهو مستند الى صدرى وكانت رضى الله عنها تقول ان من نعم الله على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وهو فى بيتى و بين سحرى ونحرى أى والسحر الرئة وفى رواية بين حاقنتى وذاقنتى وان الله جمع بين ريقى وريقه عند موته وفى رواية جمع الله بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة وجاء انهم لدّوه صلى الله عليه وسلم فى هذا المرض أى سقوه اللدود من أحد جانبى فمه وجعل يشير اليهم وهو صلى الله عليه وسلم مغمى عليه أن لا يفعلوا به وهم يظنون ان الحامل له على ذلك كراهة المريض للدواء فلما أفاق قال ألم أنهكم ان تلدونى لا يبقى أحد فى البيت الا لدّ وأنا انظر الا العباس فانه لم يشهدكم وهذا رد عليهم فانه قد جاء انهم قالوا ان عمك العباس أمرنا بذلك ولم يكن له فى ذلك رأى انما قالوا ذلك تعللا وخوفا منه صلى الله عليه وسلم قالوا وتخوفنا ان يكون ذات الجنب فان الخاصرة أى وهو عرق فى الكلية اذا تحرك وجع صاحبه كانت تأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ذلك اليوم فأغمى عليه حتى ظنوا انه قد هلك فلدوه أى لدته أسماء بنت عميس رضى الله عنها فلما أفاق وأراد ان يلدّ من فى البيت لدّ جميع من فى البيت حتى ميمونة رضى الله عنها وكانت صائمة هذا وفى رواية انه لما اشتد عليه صلى الله عليه وسلم المرض دخل عليه عمه العباس رضى الله عنه وقد أغمى عليه فقال لأرواح النبى صلى الله عليه وسلم لو لددتنه قلن انا لا نجترئ على ذلك وأخذ العباس يلدّه فأفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من لدّنى فقد اقسمت ليلدن الا ان يكون العباس فانكم لددتمونى وأنا صائم قلن فان العباس هو قد لدك وقالت له اسماء بنت عميس رضى الله عنها انما فعلنا ذلك ظننا ان بك يا رسول الله ذات الجنب فقال لها ان ذلك لداء ما كان الله ليعذبنى به وفى رواية أنا أكرم على الله من أن يعذبنى بها وفى أخرى انها من الشيطان وما كان الله ليسلطها على قال بعضهم وهذا يدل على أنها من سيئ الاسقام التى استعاذ صلى الله عليه وسلم منها بقوله اللهم انى أعوذ بك من الجنون والجذام وسيئ الاسقام وفى السيرة الهشامية لما أغمى عليه صلى الله عليه وسلم اجتمع عليه نساء من نسائه منهم أم سلمة وميمونة ومن نساء المؤمنين منهم أسماء بنت عميس وعنده صلى الله عليه وسلم العباس عمه واجمعوا على ان يلدوه فلدوه فلما أفاق صلى الله عليه وسلم قال من صنع هذا بى قالوا يا رسول الله عمك فقال عمه العباس رضى الله عنه حسبنا يا رسول الله ان يكون بك ذات الجنب فقال ان ذلك داء ما كان الله ليعذبنى به لا يبقى فى البيت أحد الا لدّ الا عمى فلدوا حتى ميمونة وكانت رضى الله تعالى عنها صائمة عقوبة لهم بما صنعوا واعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه هذا أربعين نفسا وكانت عنده صلى الله عليه وسلم سبعة دنانير او ستة فأمر عائشة رضى الله عنها ان تتصدق بها بعد ان وضعها صلى الله عليه وسلم فى كفه وقال ما ظن محمد بربه ان لو لقى الله وهذه عنده فتصدقت بها وفى رواية أمرها بارسالها الى على كرم الله وجهه ليتصدق بها فبعثت بها اليه فتصدق بها بعد ان وضعها فى كفه وقد كان العباس رضى الله عنه قبل ذلك بيسير رأى أن القمر قد رفع من الارض الى السماء فقصها على النبى صلى الله عليه وسلم وقال له هو ابن أخيك وجاءه صلى الله عليه سلم جبريل عليه السلام صحبة ملك الموت وقال له يا أحمد ان الله قد اشتاق اليك قال فاقبض يا ملك الموت كما أمرت فتوفى

رواية للبخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان أبا بكر رضى الله عنه خرج وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فاقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال أبو بكر رضى الله عنه اما بعد من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال والله لكأن الناس لم يعلموا ان الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس كلهم فما سمع بشر من الناس الا يتلوها وروى ابن أبى شيبة عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان أبا بكر مر بعمر رضى الله عنهما وهو يقول ما مات رسول الله ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين قال وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم فقال أيها الرجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ألم تسمع الله تعالى يقول انك ميت وانهم ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ثم أتى المنبر الحديث وروى الطبرانى ان العباس رضى الله عنه لما سمع عمر رضى الله عنه يقول من قال ان محمدا قد مات ضربته بسيفى قال له هل عندكم عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك قال لا قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى لفظ أتاه جبريل عليه السلام وقال يامحمد إن الله أرسلنى اليك تكريما لك وتشريفا يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك قال أجدنى ياجبريل مغموما وأجدنى ياجبريل مكروبا ثم جاءه اليوم الثانى والثالث وقال له ذلك ورد عليه صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك وجاء معه فى اليوم الثالث ملك الموت وقال له جبريل عليه السلام هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على أحد قبلك ولا يستأذن على آدمى بعدك أتأذن له فأذن له فدخل فسلم عليه ثم قال يامحمد إن الله أرسلنى إليك فان أمرتنى أن أقبض روحك قبضت وان أمرتنى أن أترك تركت قال أوتفعل قال نعم وبذلك أمرت فنظر النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام فقال له يامحمد إن الله قد اشتاق الى لقائك أى وفى رواية أتاه جبريل عليه السلام فقال يامحمد ان الله يقرئك السلام ورحمة الله ويقول لك ان شئت شفيتك وكفيتك وان شئت توفيتك وغفرت لك قال ذلك إلى ربى يصنع بى مايشاء وفى رواية الخلد فى الدنيا ثم فى الجنة أحب اليك أم لقاء ربك ثم الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاء ربى ثم الجنة أى وجاءه جبريل عليه السلام قال هذا آخر وطئى بالأرض وفى لفظ آخر عهدى بالأرض بعدك ولن أهبط إلى الأرض لأحد بعدك قال الحافظ السيوطى رحمه الله وهو حديث ضعيف جدا ولو صح لم يكن فيه معارضة أى لما ورد انه ينزل ليلة القدر مع الملائكة يصلون على كل قائم وقاعد يذكر الله لأنه يحمل على انه آخر نزوله بالوحى وفيه انه ذكر ان حديث يوحى الله إلى عيسى عليه السلام أى بعد قتله الدجال صريح فى أنه يوحى اليه بعد النزول والظاهر ان الجائى اليه عليه السلام بالوحى جبريل عليه السلام بل هو الذى يقطع به ولا يتردد فيه لأن ذلك وظيفته لأنه السفير بين الله ورسله عليهم الصلاة والسلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لملك الموت امض لما أمرت به فقبض روحه الشريفة وعند اشتداد الأمر به صلى الله عليه وسلم أرسلت عائشة رضى الله عنها خلف أبى بكر رضى الله تعالى عنه أى لأنه كما تقدم لما رأى رسول الله ﷺ مفيقا وقال له قدر دالله لك علينا عقولنا وقد أصبحت بنعمة من الله وفضل فقال له أبو بكر يارسول الله اليوم يوم بنت خارجة يعنى زوجته وكانت بالسنح قال له ائت أهلك فقام أبو بكر وذهب وأرسلت حفصة خلف عمر وأرسلت فاطمة خلف على كرم الله وجهه فلم يجىء أحد منهم حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى صدر عائشة وذلك يوم الاثنين حين زاغت الشمس لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول هكذا ذكر بعضهم وقال السهيلى لا يصح أن يكون وفاته يوم الاثنين الا فى ثالث عشرة أو رابع عشرة لاجماع المسلمين على ان وقفة عرفة كانت يوم الجمعة وهو تاسع ذى الحجة وكان المحرم إما بالجمعة وإما بالسبت فان كان السبت فيكون أول صفر اما الأحد أو الاثنين وعلى هذا لا يكون الثانى عشر من شهر ربيع الاول بوجه وقال الكلبى انه توفى فى الثانى من شهر ربيع الأول قال الطبرى وهذا القول وان كان خلاف الجمهور فلا يبعد ان كانت الثلاثة أشهر التى قبلها كلها تسعة وعشرين يوما وفيما قاله نظر لمنافاته لقول أنس بن مالك فيما حكاه البيهقى والواقدى وقال الخوارزمى توفى اول شهر ربيع الأول وفى رواية ان سالم بن عبيد ذهب وراء الصديق الى السنح فأعلمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يخالف ما قبله لانه لا يجوز أن يكون ذلك ذهب إلى الصديق بعد الرسول الذى أرسلته له عائشة رضى الله عنها قبل موته صلى الله عليه وسلم وآخر ما تكلم به عليه الصلاة والسلام الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل رسول الله ﷺ يترغرع بها فى صدره ولا يفيض بها لسانه وآخر ما عهد به رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك بجزيرة العرب دينان وكانت مدة شكواه صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ليلة وقيل أربع عشرة ليلة وقيل اثنتى عشرة ليلة وقيل عشرا وقيل ثمانية وقالت فاطمة رضى الله عنها لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

رضى الله عنهما وفى المواهب لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من أقعد ولم يطق القيام ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ومنهم من أضنى وكان عمر رضى الله عنه ممن خبل وكان عثمان رضى الله عنه ممن أخرس وكان لا يستطيع أن يتكلم وكان على رضى الله عنه ممن أقعد فلم يستطع أن يتحرك وأضنى عبدالله بن أنيس فمات كمدا وكان أثبتهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه جاء وعيناه تهملان وزوراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع ودخل على النبى صلى الله عليه وسلم فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك مالم ينقطع للأنبياء قبلك فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو أن موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يامحمد عند ربك ولنكن على بالك وفى رواية قبل جبهته وقال واصفياه واخليلاه وفى رواية فجعل يقبله ويبكى ويقول بأبى أنت وأمى طبت حيا

وميتا ثم خرج الى الناس الحديث قال القرطبى وهذا أدل دليل على كمال شجاعة الصديق رضى الله عنه لان الشجاعة هى ثبوت

وأبتاه أجاب داعيا دعاه يا أبتاه الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه قال ابن كثير رحمه الله وهذا لا يعد نياحة بل هو من ذكر فضائل الحق عليه عليه أفضل الصلاة والسلام قال وانما قلنا ذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النياحة وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت من سفاهة رأيي وحداثة سني اني أخذت وسادة فوسدتها رأسه الشريف من حجري ثم قمت مع النساء أبكي وألتدم والالتدام ضرب الخد باليد عند المصيبة وسمعوا قائلا ولا يرون شخصه يقال انه الخضر عليه السلام أي قال علي كرم الله وجهه أتدرون من هذا هذا الخضر عليه السلام وفي اسناده متروك يقول السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا عن كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال ابن كثير رحمه الله هذا الحديث مرسل وفي اسناده ضعف وسجي صلى الله عليه وسلم بثوب حبرة أي بالاضافة برد من برود اليمن ولم أقف على ان ثيابه صلى الله عليه وسلم التي كانت عليه قبل الموت نزعت عنه ثم سجي الا أن كلام فقهائنا يشعر بذلك حيث جعلوا ذلك دليلا لنزع ثياب الميت وستره بثوب وعند ذلك دهش الناس وطاشت عقولهم واختلفت أحوالهم فأما عمر رضي الله تعالى عنه فخبل وأما عثمان رضي الله تعالى عنه فأخرس وأما علي كرم الله وجهه فأقعد وجاء أبو بكر وعيناه تهملان فقبل النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وتكلم كلاما بليغا سكن به نفوس المسلمين وثبت جأشهم أي فان عمر رضي الله تعالى عنه صار في ناحية المسجد يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يموت رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي ناس من المنافقين كثير وأرجلهم وصار رضي الله عنه يتوعد من قال انه مات بالقتل أو القطع ونقل عنه رضي الله عنه انه قال إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ مات ولكن ما مات ولكن ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ابن عمران عليه السلام ثم رجع إلى قومه بعد أربعين ليلة بعد أن قيل قد مات والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى بن عمران عليه السلام فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ولا زال رضي الله عنه يتوعد المنافقين حتى ازبد شدقاه فقام أبو بكر رضي الله عنه وصعد المنبر وقال كلاما بليغا ثم قال أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين وقال عمر رضي الله عنه هذه الآية في القرآن وفي لفظ فكأني لم أسمع بها في كتاب الله تعالى قبل الآن لما نزل بنا ثم قال إنا لله وإنا إليه راجعون صلوات الله وسلامه على رسوله صلى الله عليه وسلم وعند الله نحتسب رسوله قال يعني أبا بكر رضي الله تعالى عنه وقال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم انك ميت وانهم ميتون وقال تعالى كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون وقال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال تعالى كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فلما بويع أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة كما سيأتي اقبلوا على جهاز رسول الله ﷺ واختلفوا هل يغسل في ثيابه أو يجرد منها كما تجرد الموتى فألقى الله عليهم النوم وسمعوا من ناحية البيت قائلا يقول لا تغسلوه فانه كان طاهرا فقال أهل البيت صدق فلا تغسلوه فقال العباس رضي الله عنه لا ندع سنة لصوت لا ندري ما هو فغشيهم النعاس ثانية فناداهم ان غسلوه وعليه ثيابه أي وزاد في رواية فان ذلك ابليس وأنا الخضر وفي رواية لا تنزعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه قال الذهبي حديث منكر فقاموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه وفي لفظ وعليه قميص ومحول مفتوح يصبون عليه الماء ويدلكونه والقميص دون

القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت النبي صلى الله عليه وسلم وظهرت عنده شجاعة الصديق وعلمه رضي الله عنه وذكر الوائلي أبو عبد في كتاب الابانة عن أنس رضي الله عنه انه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين بويع أبو بكر رضي الله عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوى على منبره عليه الصلاة والسلام تشهد ثم قال أما بعد فاني قلت لكم أمس مقالة وانها لم تكن كما قلت واني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد عهده الى رسول الله ﷺ ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا ويكون آخرنا موتا فاختار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الذي عنده على الذي عندكم وهذا الكتاب الذي هدى الله رسوله به فخذوا به تهتدوا والمقالة التي قالها ثم رجع عنها هي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت ولن يموت حتى يقطع أيدي وأرجل أناس من المنافقين وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه ولكونه خشي الفتنة وظهور المنافقين فلما شاهد قوة يقين الصديق الأكبر وتفوهه بقول الله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون وخرج الناس يتلونها

أيديهم على والعباس وكذا ولد العباس الفضل وقثم وكان العباس وابناه الفضل وقثم يقلبونه مع علي وفي لفظ غسله علي والفضل محتضنه والعباس يصب الماء وجعل الفضل رضي الله عنه يقول أرحني قطعت وتيني وأسامة وشقران مولاه وفي لفظ وصالح مولاه صلى الله عليه وسلم يصبان الماء ولف علي كرم الله وجهه على يده خرقة وأدخلها تحت القميص يغسل بها جسده الشريف وعن علي كرم الله وجهه ذهبت ألتمس منه ما يلتمس من الميت أي ما يخرج من بطن الميت فلم أر شيئا وكان صلى الله عليه وسلم طيبا حيا وميتا وما تناولت منه ﷺ عضوا الا كأنما يقلبه معي ثلاثون رجلا أي ويحتاج الى الجمع بين هذا وما تقدم عن الفضل رضي الله عنه قيل وتغسيل علي كرم الله وجهه له ﷺ كان بوصية منه صلى الله عليه وسلم له فعن علي كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى أن لا يغسله أحد غيري وقال لا يرى أحد عورتي الا طمست عيناه غيرك أي على فرض وقوع ذلك ولا ينافي ما تقدم وادعى الذهبي ان هذا الحديث منكر وفي رواية وكان الفضل وأسامة رضي الله عنهما يناولان الماء من وراء الستر وأعينهما معصوبة وفي لفظ كان العباس وأسامة يناولان الماء من وراء الستر أي لأن العباس رضي الله عنه نصب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلة أي خيمة رفيعة من ثياب يمانية في جوف البيت وأدخل عليا فيها زاد بعضهم والفضل وأبا سفيان بن الحرث ابن عمه ﷺ ونصب الكلة دليل لقول فقهائنا رحمهم الله والأكمل وضع الميت عند الغسل بموضع خال من الناس مستور عنهم لا يدخله الا الغاسل ومن يعينه والذي رواه ابن ماجه رحمه الله انه تولى غسله صلى الله عليه وسلم علي والفضل وأسامة ابن زيد يناول الماء والعباس واقف أي لا يغسل ولا يناول الماء أي ويحتاج للجمع بين هذه الروايات وقيل ان العباس لم يشاهد غسله ﷺ وعن علي رضي الله عنه لما غسلت النبي ﷺ اجتمع ماء في حقويه فرفعته بلساني وازدردته فأورثني ذلك قوة حفظي ويروى انه كرم الله وجهه رأى في عينه ﷺ قذاة فأدخل لسانه وأخرجها منها وعن عائشة رضي الله عنها لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسل رسول الله ﷺ إلا نساؤه أي لو ظهر لها قولها المذكور وقت غسله ﷺ ما غسله صلى الله عليه وسلم الا نساؤه وغسل ثلاث غسلات واحدة بالماء القراح وواحدة بالماء والسدر أي والغسلة التي كانت بالماء القراح كانت قبل الغسلة التي بالسدر وهي المزيلة وواحدة بالماء مع الكافور أي وهذه هي المجزئة في الغسل هذا (وفي كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله) وغسل ﷺ في المرة الأولى بالماء القراح وفي الثانية بالماء والسدر وفي الثالثة بالماء والكافور وفي لفظ فغسلوه بالماء القراح وطيبوه بالكافور في مواضع سجوده ومفاصله وغسل من ماء بئر غرس وهي بئر بقباء قال ﷺ نعم البئر بئر غرس هي من عيون الجنة وماؤها أطيب المياه وكان ﷺ يشرب منها ويؤتى له بالماء منها وعند ابن ماجه رحمه الله أنه ﷺ قال لعلي كرم الله وجهه إذا أنا مت فاغسلني بسبع قرب من بئري بئر غرس (وكفن صلى الله عليه وسلم) ثلاثة أثواب سحولية أي بيض من القطن من عمل سحولة قرية من قرى اليمن وفي رواية الشيخين عنها كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة قيل ازار ورداء ولفافة وقوله ليس فيها قميص ولا عمامة أي لم يكن في كفنه ﷺ ذلك كما فسر بذلك إمامنا الشافعي رحمه الله وجمهور العلماء قال بعضهم وهو الصواب الذي يقتضيه ظاهر الحديث وما قيل ان معناه ان القميص والعمامة زائدان على الأثواب الثلاثة ليس في محله لأنه لم يثبت أنه ﷺ كفن في قميص وعمامة وهذا يدل على انه نزع عنه ﷺ القميص الذي غسل فيه قبل تكفينه في

في سكك المدينة كأنها لم تنزل قط الا ذلك اليوم رجع عن مقالته المذكورة وروى البخاري ان فاطمة رضي الله عنها لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه من الى جبريل ننعاه زاد في رواية رواها الطبري يا أبتاه من ربه ما أدناه وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فما ضحكت تلك المدة وحق لها ذلك وأخرج أبو نعيم عن علي رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا الى السماء والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السماء ينادي وامحمداه وهذه مصيبة أصيبها المسلمون لم يصابوا قط بمثلها كل مصيبة تهون عندها روى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه أيها الناس ان أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عند المصيبة التي تصيبه بغيري فان أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي قال ابن الجوزي كان الرجل من أهل المدينة إذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه وقال يا عبد الله اتق الله فان في رسول الله أسوة حسنة ورحم الله القائل

الأثواب الثلاثة وقيل كفن فى ذلك الثوب بعد عصره وفيه أنه لا يخلو عن الرطوبة وهى تفسد الأكفان ويؤيد كونه صلى الله عليه وسلم كفن فى ذلك الثوب ما جاء فى رواية كفن صلى الله عليه وسلم فى ثوبه الذى مات فيه وحلة نجرانية والحلة ثوب فوق ثوب قال ابن كثير وهذا غريب جداً وفى كلام بعضهم أنه حديث ضعيف لا يصح الاحتجاج به وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم كفن فى الأثواب الثلاثة المتقدمة وزيادة برد حبرة أحمر وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت أتى بالبرد ولفوه فيه ولكنهم ردوه أى ثم نزع عنه صلى الله عليه وسلم ولم يكفنوه فيه وفى رواية ثوبين وبرد أحمر وهذا يخالف ما عليه أئمتنا ان من كفن فى ثلاثة أثواب يجب أن تكون لفائف يستر كل منها جميع البدن وفى رواية كفن فى سبعة أثواب وبعد تكفينه صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الثلاثاء وضع على سرير وفى لفظ ثم أدرج صلى الله عليه وسلم فى أكفانه وجمروه عوداً وندا ثم احتملوه حتى وضعوه على سرير وسجوه وذكر انه كان عند على كرم الله وجهه مسك وقال انه من فضل حنوط رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى عليه صلى الله عليه وسلم الناس أفذاذاً لم يؤمهم أحد وفى لفظ لما أدرج صلى الله عليه وسلم فى أكفانه وضع على سريره ثم وضع على شفير حفرته ثم صار الناس يدخلون عليه رفقاء رفقاء لا يؤمهم أحد (وذكر) انه دخل عليه صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار بقدر ما يسع البيت فقالا السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته وسلم المهاجرون والأنصار كما سلم أبو بكر وعمر رضى الله عنهم ثم صفوا صفوفا لا يؤمهم أحد وكان أبو بكر وعمر فى الصف الأول الذى حيال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا اللهم إنا نشهد انه صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أنزل اليه ونصح لأمته وجاهد فى سبيل الله حتى أعز الله دينه وتمت كلمته فاجعلنا الهنا ممن يتبع القول الذى أنزل معه واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به فانه كان بالمؤمنين رؤفا رحيما لا نبتغى بالايمان به بدلا ولا نشترى به ثمنا أبداً فيقول الناس آمين آمين وهذا يدل على ان المراد بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الدعاء لا الصلاة على الجنازة المعروفة عندهم والصحيح ان هذا الدعاء كان ضمن الصلاة المعروفة التى بأربع تكبيرات فقد جاء ان أبا بكر رضى الله عنه دخل عليه صلى الله عليه وسلم فكبر أربع تكبيرات ثم دخل عمر رضى الله عنه فكبر أربعا ثم دخل عثمان رضى الله عنه فكبر أربعا ثم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهما ثم تتابع الناس ارسالا يكبرون عليه أى وعلى هذا فما خصوا الدعاء الذكر لانه الذى يليق به صلى الله عليه وسلم ومن ثم استشاروا كيف يدعون له فأشير بمثل ذلك قال وقال ابن كثير رحمه الله وهذا الأمر أى صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم فرادى من غير امام يؤمهم مجمع عليه ولا يقال لان المسلمين لم يكن لهم حينئذ امام لانهم لم يشرعوا فى تجهيزه عليه الصلاة والسلام الا بعد تمام البيعة لابى بكر رضى الله عنه لانه لما تحقق موته صلى الله عليه وسلم اجتمع غالب المهاجرين على أبى بكر وعمر وانضم اليهم من الأنصار أسيد بن حضير فى بنى عبد الأشهل ومن معه من الأوس وتخلف على والزبير أى ومن كان معهما من المهاجرين كالعباس وطلحة بن عبيد الله والمقداد وجمع من بنى هاشم فى بيت فاطمة رضى الله تعالى عنها وتخلف الأنصار بأجمعهم واجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة أى وفى دار سعد بن عبادة وكان سعد مريضا مزملا بثيابه بينهم أى اجتمعوا أولا ثم تفرق عنهم أسيد بن حضير رضى الله عنه ومن معه من الأوس فلا يخالف ذلك ما تقدم من انضمام أسيد بن حضير رضى الله عنه ومن معه من المهاجرين رضى الله عنهم مع أبى بكر رضى الله عنه ولا يخالف ذلك ما فى بعض الروايات عن عمر رضى الله عنه وتخلف الأنصار عنا بأجمعهم فى سقيفة بنى ساعدة واجتمع المهاجرون الى أبى بكر رضى الله عنه إلا عليا والزبير ومن معهما تخلفوا فى بيت فاطمة رضى الله عنها فقال عمر رضى الله عنه لابى بكر رضى الله عنه انطلق بنا الى اخواننا من الأنصار أى فانه

وإذا أتتك مصيبة تشجى بها
واذكر مصابك بالنبى محمد
وقال آخر
تذكرت لما فرق الدهر بيننا
فعزيت نفسى بالنبى محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا
فمن لم يمت فى يومه مات فى غد

كادت الجمادات تتصدع من ألم مفارقته صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب المؤمنين ولما فقده الجذع الذى كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح وكان الحسن البصرى إذا حدث بهذا الحديث بكى ويقول هذه خشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم أحق ان تشتاقوا اليه (وروى) ان بلالا رضى الله عنه كان يؤذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقبل دفنه فاذا قال أشهد أن محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب ولما دفن صلى الله عليه وسلم ترك بلال الاذان ما أمر عيش من فارق الأحباب * خصوصا من كانت رؤيته حياة الألباب

أتاهم آت فقال ان هذا الحي من الأنصار مع سعد بن عبادة رضي الله عنه في سقيفة بني ساعدة قد انحازوا اليه فان كان لكم بأمر الناس حاجة فادركوا الناس قبل أن يتفاقم أمرهم أي وعن عمر رضي الله عنه بينا نحن في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رجل ينادي من وراء الجدار أن اخرج الي يا ابن الخطاب فقلت اليك عني فانا عنك متشاغل يعني بأمر رسول الله ﷺ فقال انه قد حدث أمر ان الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة فأدركهم قبل أن يحدثوا امرا يكون فيه حرب قال فانطلقنا نؤمهم أي نقصدهم حتى رأينا رجلين صالحين أي وهما عويمر بن ساعده ومعن بن عدي وهما من الأوس قالا أين تريدون فقلت نريد اخواننا من الأنصار فقالا لا عليكم أن تقربوهم واقضوا أمركم يامعشر المهاجرين بينكم فقلت والله لنأتينهم فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعده فاذا هم مجتمعون واذا بين أظهرهم رجل مزمل فقلت من هذا قالوا سعد بن عباده فقلت ماله قالوا انه وجع فلما جلسنا قام خطيبهم فاثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الاسلام وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة منكم أي دب قوم بالاستعلاء والترفع علينا تريدون أن تختزلونا من أهلنا أي تنحونا عنه تستبدون به دوننا فلما سكت أردت أن أتكلم وقد كنت زورت مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر فقال أبو بكر رضي الله عنه على رسلك ياعمر فكرهت أن أغضبه وكنت أرى منه بعض الحده فسكت وكان أعلم مني والله ماترك من كلمة أعجبتني في تزويري الا قالها في بديهته وأفضل فقال أما بعد فما ذكرتم من خير فأنتم له أهل ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش هم أوسط العرب نسبا ودارا يعني مكة ولدتنا العرب كلها فليست منها قبيلة إلا لقريش منها ولادة ودار وكنا معاشر المهاجرين أول الناس إسلاما ونحن عشيرته ﷺ وأقاربه وذوو رحمه فنحن أهل النبوة وأهل الخلافة ولم يترك شيئا أنزل في الكتاب أيديهم إلا قاله ولا شيئا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن الأنصار إلا ذكره ومنه لو سلكت الناس واديا وسلكت الأنصار واديا لسلكت وادي الأنصار وقال لقد علمت ياسعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الأمر فقال سعد له رضي الله تعالى عنه صدقت فقال أي الصديق رضي الله عنه نحن الامراء وأنتم الوزراء أي وفي رواية أنه أي الصديق رضي الله عنه قال لهم أنتم الذين آمنوا ونحن الصادقون إنما أمركم الله أن تكونوا معنا فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين والصادقون هم المهاجرون قال الله تعالى للفقراء المهاجرين الى قوله أولئك هم الصادقون وفي رواية إن أبا بكر رضي الله عنه احتج على الانصار بخبر الائمة من قريش وهو حديث صحيح ورد عن نحو أربعين صحابيا وأنتم يامعشر الانصار إخواننا في كتاب الله وشركاؤنا في الدين وأنتم أحق بالرضا بقضاء الله وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أيهما شئتم وأخذ بيدي وبيد أبي عبيده بن الجراح فلم أكره ماقال غيرها وكان والله ان أقدم فتضرب عنقي ولا يقربني ذلك من اثم أحب الي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر فقال كل من عمر وأبي عبيده لا ينبغي لاحد أن يكون فوقك يا أبا بكر أي وفي لفظ بل نبايعك وأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من عمر رضي الله عنه كان بعد ان أتى أبا عبيده وقال إنك أمين هذه الامة على لسان رسول الله ﷺ فقال ما رأيت لك ضعف رأي قبلها منذ أسلمت أما تأتي فيكم الصديق وثاني اثنين وفي رواية أن أبا بكر رضي الله عنه قال لعمر ابسط يدك لابايعك فقال له أنت أفضل مني فأجابه أنت أقوى مني ثم كرر ذلك فقال له فأين قوتي مع فضلك واعترض قول أبي بكر المذكور بانه كيف يقول ذلك مع علمه بأنه أحق بالخلافة وكيف يقدم أبا عبيدة على عمر مع أنه أفضل منه وأجيب بانه رضي الله عنه قال ذلك لانه استحى أن يقول رضيت لكم نفسي مع علمه بأن كلا من عمر وأبي عبيده لا يقبل وأن أبا بكر رضي الله عنه كان

حين زاغت الشمس في الوقت الذي دخل فيه المدينة حين هجرته صلى الله عليه وسلم وكانت يوم الاثنين بلا خلاف وكان دفنه يوم الثلاثاء وقيل ليلة الأربعاء وقيل يوم الأربعاء ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراثي كثيره منها قولها

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا
وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما
ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده
ولكني أخشى من الهجر آتيا
كان على قلبي لذكر محمد
على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمي وخالتي
وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
ولو أذن رب الناس أبقى نبينا
سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية
وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أيتمته وتركته
يبكي ويدعو جده اليوم نائيا

ورثاه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال

يرى جواز تولية المفضول على من هو أفضل منه وهو الحق عند أهل السنة لأنه قد يكون أقدر من الأفضل على القيام بمصالح الدين وأعرف بتدبير الأمر وما فيه انتظام حال الرعية وعند قول أبي بكر رضي الله عنه ما ذكر قال قائل من الأنصار أي وهو الحباب بحاء مهملة مضمومة وموحدة رضي الله عنه ابن المنذر أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب بالجيم والجذيل تصغير الجذل وهو عود ينصب للإبل الجرباء فتحتك به ليزول جربها والمحكك الذي كثر به الاحتكاك حتى صار أملس والعذيق تصغير العذق بفتح العين وهو النخلة والمرجب المسند الرجبة وهي خشبة ذات شعبتين يسند بها النخلة إذا كثر حملها أي أنا ذو الرأي والتدبير الذي يستشفى به في الحوادث لاسيما هذه الحادثة منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش وتتابعت خطباؤهم على ذلك وقالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استعمل الرجل منكم قرن معه رجلا منا فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان منا ومنكم فقام زيد بن ثابت رضي الله عنه وقال للأنصار أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وكنا نحن أنصاره فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ثم أخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه وقال هذا صاحبكم وقال الحباب بن المنذر رضي الله عنه يا معشر الأنصار لا تسمعوا مقالة هذا وذهب قريش بنصيبكم من هذا الأمر فإن أبوا عليكم فأجلوهم من بلادكم فأنتم أحق به منهم أما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة فقال له عمر رضي الله عنه إذا يقتلك الله فقال بل إياك تقتل وقال بشير بن سعد أبو النعمان بن بشير رضي الله عنهما يا معشر الأنصار إنا كنا أول من سبق إلى هذا الدين وجهاد المشركين ما قصدنا إلا رضا الله ورسوله ولا ينبغي لنا أن نستطيل على الناس ولا نطلب عرض الدنيا وإن قريشا أولى بهذا الأمر فلا تنازعهم فقال له الحباب أنفست على ابن عمك يعني سعد بن عبادة فقال لا والله ولكني كرهت أن أنازع قوما حقا جعله الله لهم وفي رواية قال عمر رضي الله عنه يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر يؤم الناس وأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر وفي لفظ أن يقيمه عن مقامه الذي أقامه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الأنصار نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر رضي الله عنه وفي لفظ قالوا نستغفر الله لا تطيب أنفسنا ولعل المراد قال معظمهم فلا يخالف ذلك ما جاء عن عمر رضي الله عنه ولما كثر اللغط وعلت الأصوات حتى خشيت الاختلاف وقلت سيفان في غمد واحد لا يكونان وفي رواية هيهات لا يجتمع فحلان في مغرس فقلت أبسط يدك يا أبا بكر وكذا قال له من الأنصار زيد بن ثابت وأسيد بن حضير وبشير بن سعد رضي الله عنهم فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار أي حتى سعد بن عبادة رضي الله عنه خلافا لمن قال إن سعد بن عبادة أبى أن يبايع أبا بكر حتى لقي الله أي فإنه رضي الله تعالى عنه توجه إلى الشام ومات بها قال الحافظ ابن حجر رحمه الله والعذر له في ذلك أنه رضي الله عنه تأول أن للأنصار في الخلافة استحقاقا فبنى على ذلك وهو معذور وإن لم يكن ما اعتقده من ذلك حقا هذا كلامه ولا ينافيه ما جاء عن عمر رضي الله عنه وثبنا على سعد بن عبادة فقال قائل منهم قتلتم سعد بن عبادة أي فعلتم معه من الإعراض والإذلال ما يقتله فقلت قتل الله سعد بن عبادة فإنه صاحب فتنة نعم ينافيه ما حكاه ابن عبد البر أن سعد بن عبادة رضي الله عنه أبى أن يبايع أبا بكر حتى لقي الله قال بعضهم ويضعفه ما جاء في بعض الروايات أن أبا بكر رضي الله عنه لما قال لسعد لقد علمت يا سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الأمر قال له سعد صدقت نحن الوزراء وأنتم الأمراء وبه يظهر التوقف فيما تقدم عن ابن حجر رحمه الله هذا وفي كلام سبط ابن الجوزي رحمه الله فأنكروا على سعد أمره وكادوا يطؤن سعدا فقال ناس من أصحابه اتقوا سعدا لا تطؤه فقال عمر رضي الله عنه اقتلوا سعدا قتله الله ثم قام عمر رضي الله عنه على رأس سعد وقال قد هممت أن أطأك حتى تندر عيونك فأخذ

قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت
عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها
تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا
يروح به ويغدو جبرائيل
وذاك أحق ما سالت عليه
نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا
بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا
علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر
وان لم تجزعي ذاك السبيل
وقبر أبيك سيد كل قبر
وفيه سيد الناس الرسول
ورثاه الصديق رضي الله عنه بقوله
ودعنا الوحي اذ وليت عنا
فودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينا
تضمنه القراطيس الكرام
ورثاه الصديق رضي الله عنه أيضا بقوله
لما رأيت نبينا متجندلا
ضاقت علي بعرضهن الدور

قيس بن سعد رضى الله عنهما بلحية عمر رضى الله عنه وقال والله لو خفصت منه شعرة مارجعت وفيك جارحة فقال أبو بكر مهلا ياعمر الرفق الرفق ماهنا أبلغ فقال سعد أما والله لو كان لى قوة على النهوض لاحمعتك بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع فلما عاد أبو بكر وعمر رضى الله عنهما الى محلهما ارسلا له بايع فقد بايع الناس فقال لا والله حتى أرميكم بما فى كنانتى من نبل وأخضب من دمائكم سنان رمحى وأضربكم بسيفى ماملكته يداى والله لو اجتمع لكم الجن والانس لما بايعتكم فلما عاد الرسول وأخبرهم بما قال قال له عمر لاندعه حتى يبايع فقال له قيس بن سعد دعه فقد لح فاتركوه فتركوه وكان سعد رضى الله عنه لايحضر معهم ولا يصلى فى المسجد ولا يسلم على من لقى منهم فلم يزل مجانبا لهم حتى إذا كان بعرفة يقف ناحية عنهم فلما ولى عمر رضى الله عنه الخلافة لقيه فى بعض طرق المدينة فقال له ايه ياسعد فقال له ايه ياعمر فقال له عمر أنت صاحب المقالة قال نعم أنا ذاك وقد أفضى الله اليك هذا الأمر كان والله صاحبك خيرا لنا وأحب الينا من جوارك وقد أصبحت كارها لجوارك فقال له عمر رضى الله عنه انه من كره جوار جاره تحول عنه فقال له سعد انى متحول الى جوار من هو خير من جوارك فخرج رضى الله عنه الى الشام واستمر بها الى ان مات فى السنة الخامسة عشر من الهجرة وذكر الطبرى رحمه الله ان سعدا رضى الله عنه بايع مكرها وهو وهم هذا كلام سبط ابن الجوزى رحمه الله قال عمر رضى الله عنه وانما بايعت أبا بكر خشية ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة ان يحدثوا بعدنا بيعة فاما ان نبايعهم على مالا نرضى وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد وذلك كان فى يوم موته صلى الله عليه وسلم الذى هو يوم الاثنين فلما كان الغد كانت البيعة العامة صعد أبو بكر رضى الله عنه المنبر وقام عمر رضى الله عنه بين يدى أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين اذهما فى الغار فقوموا فبايعوه فبايعوه فبايع الناس أبا بكر رضى الله عنه بيعة عامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر رضى الله عنه فقال فى خطبته بعد ان حمد الله وأثنى عليه أيها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فاعينونى وان أسأت فقومونى الصدق امانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى حتى ارتج عليه حقه ان شاء الله والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لايدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا أشيعت الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم فقوموا الى صلاتكم رحمكم الله وشنع العارف بعض الرافضة على قول الصديق رضى الله عنه وقومونى بانه كيف تجوز امامة من يستعين بالرعية على تقويمه مع أن الرعية تحتاج اليه ورد بان هذا من أكبر الدلائل على فضله لقوله الآخر اطيعونى ما أطعت الله فان عصيته فلا طاعة لى عليكم لان كل أحد ماعدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تجوز عليه المعصية ولما بويع بالخلافة أصبح رضى الله تعالى عنه على ساعده قماش وهو ذاهب به إلى السوق فقال له عمر أين تريد قال السوق قال تصنع هذا وقد وليت أمر المسلمين قال فمن أين أطعم عيالى فقال انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانطلقا اليه فقال افرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم أى فى سعة النفقة ولا أوكسهم وكسوة الشتاء والصيف واذا أبليت شيئا رددته وأخذت غيره ففرض له كل يوم نصف شاة وفى رواية جعل له ألفين فقال زيدونى فان لى عيالا وقد شغلت عن التجارة فزادوه خمسمائة وهو رضى الله تعالى عنه اول من جمع القرآن وسماه مصحفا واتخذ بيت المال وسماه من جعل ذلك من أوليات عمر رضى الله تعالى عنه ولما تخلف على والزبير ومن معهما كالعباس وطلحة بن عبيد الله والمقداد وجمع من بنى هاشم فى بيت فاطمة كما تقدم عن المبايعة استمروا على ذلك مدة لانهم رضى الله عنهم وجدوا فى أنفسهم حيث لم يكونوا فى المشورة اى فى سقيفة بنى ساعدة مع ان لهم فيها حقا وقد اشار سيدنا عمر

اعيق ويحك إن حبك قد نوى * فالصبر عنك لما بعيت يسير
ياليتنى من قبل يهلك صاحبى * غيبت فى جدث على صحور
فلتحدثن بدائع من بعده * يعيى بهن جوانح وصدور

ورثاه حسان رضى الله عنه بمراثى كثيرة منها قوله

كنت السواد لناظرى * فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفاته صلى الله عليه وسلم بقول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ورجع إلى قومه قال وهو يبكى بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك ان جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك فى أولهم فقال تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبى انت وامى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان اهل النار يودون ان يكونوا أطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون

رضى الله عنه الى ان بيعة أبى بكر رضى الله تعالى عنه كانت فلتة أى بغتة لاعن استعداد لها ولكن وقى الله شرها أى لم يقع فيها مخالفة ولا منازعة ولذلك لما اجتمعوا أى على والزبير والعباس وطلحة ابن عبيد الله ومن تخلف عن المبايعة منهم بابى بكر رضى الله عنه قام خطيبا وقال والله ما كنت حريصا على الامارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولا سألتها الله فى سر ولا علانية ولكنى أشفقت من الفتنة أى لو أخرت الى اجتماعكم وقد روى ان شخصا قال لأبى بكر رضى الله عنه ما حملك على أن تلى أمر الناس وقد نهيتنى ان أتأمر على اثنين فقال لم أجد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة وقال مافى الامارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما مالى به من طاقة فقال على والزبير رضى الله عنهما ما غضبنا الالا نا أخرنا عن المشورة وانا نرى أبا بكر أحق الناس بها انه لصاحب الغار وانا لنعرف شرفه وخيره ولذا أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة من بين الناس وهو حى ولم يكن أخرهم رضى الله عنهم للقدح فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ومن ثم قال إمامنا الشافعى رضى الله عنه أجمع الناس على خلافة أبى بكر رضى الله عنه لانهم لم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبى بكر فولوه رقابهم أى فالامة أجمعت على حقيقة امامة أبى بكر رضى الله عنه وهذا أى اجتماع على كرم الله وجهه بابى بكر رضى الله عنهما كان بعد ما أرسل اليه على كرم الله وجهه فى الاجتماع به واجتمع به كما سيأتى لكن سيأتى ان ذلك كان بعد موت فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها وسياق غير واحد يدل على أن اجتماع على والزبير وما يعتهما أبا بكر رضى الله عنه كان قبل موت فاطمة رضى الله عنها وهو ما صححه ابن حبان وغيره ويؤيده ماحكاه بعضهم ان الصديق رضى الله عنه خرج يوم الجمعة فقال اجمعوا إلى المهاجرين والانصار فاجتمعوا ثم أرسل الى على بن أبى طالب كرم الله وجهه والنفر الذين كانوا تخلفوا معه فقال له ما خلفك ياعلى عن أمر الناس فقال خلفنى عظيم الفتنة ورأيتكم استقليتم برأيكم فاعتذر اليه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بخوف الفتنة لو اخر ثم أشرف على الناس وقال أيها الناس هذا على بن أبى طالب لا بيعة لى فى عنقه وهو بالخيار من أمره الاوأنتم بالخيار جميعا فى بيعتكم فان رأيتم لها غيرى فأنا اول من يبايعه فلما سمع ذلك على كرم الله وجهه زال ما كان قد داخله فقال أجل لا نرى لها غيرك امدد يدك فبايعه هو والنفر الذين كانوا معه وان هذا دليل على ان عليا كرم الله وجهه بايع ابا بكر بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثة ايام وفى كلام المسعودى لم يبايع أبا بكر أحد من بنى هاشم حتى ماتت فاطمة رضى الله عنها وقال رجل للزهرى لم يبايع على كرم الله وجهه أبا بكر ستة أشهر فقال لا والله ولا أحد من بنى هاشم حتى بايعه على كرم الله وجهه فليتأمل الجمع على تقدير الصحة وقد جمع بعضهم بأن عليا كرم الله وجهه بايع أولا ثم انقطع عن أبى بكر لما وقع بينه وبين فاطمة ما وقع أى ويدل لهذا الجمع ان فى رواية ان أبا بكر رضى الله تعالى عنه لما صعد المنبر ونظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير رضى الله عنه فدعا به فجاء فقال قلت ابن عمة رسول الله وحواريه اردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب ياخليفة رسول الله وقام فبايعه ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير عليا كرم الله وجهه فدعا به فجاء فقال قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته اردت ان تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فبايعه ويبعد هذا الجمع ما فى البخارى عن عائشة رضى الله عنها فلما توفيت فاطمة رضى الله عنها التمس أى على كرم الله وجهه مصالحة أبى بكر رضى الله عنه ولم يكن بايع تلك الأشهر فارسل الى أبى بكر الحديث والسبب الذى اقتضى الوقوع بين فاطمة وأبى بكر رضى الله عنهما ان فاطمة رضى الله عنها جاءت الى أبى بكر تطلب ارثها مما أعطاه الأنصار له صلى الله عليه وسلم من ارضهم وما اوصى به اليه صلى الله عليه وسلم وهو وصية مخيريق عند اسلامه وهى سبعة حوائط

سنيه وطول عمره وقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا القليل وأخرج ابن عساكر عن أبى ذؤيب الهذلى رضى الله عنه قال بلغنا ان النبى صلى الله عليه وسلم عليل فاوجس أهل الحى خيفة وبت ليلة طويلة حتى اذا كان قرب السحر نمت فهتف بى هاتف يقول

خطب اجل اناخ بالاسلام بين النخيل ومقعد الآطام
قبض النبى محمد فعيوننا تذرى الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومى فزعا فنظرت الى السماء فلم أر إلا سعد الذابح فعلمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قبض أو هو ميت اى قريب الموت فقدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا أهلوا بالاحرام فقلت مه فقيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عجيب ما اتفق انهم حين أرادوا غسل النبى صلى الله عليه وسلم قالوا لاندرى أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا ودقنه فى صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لايدرون من هو

في بني النضير قال سبط ابن الجوزي وهو أول وقف كان في الاسلام ومما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من أرض بني النضير وفدك ونصيبه صلى الله عليه وسلم من خيبر وهما حصنان من حصونها الوطيح والسلالم فانه صلى الله عليه وسلم أخذهما صلحا كما تقدم وحصته ﷺ مما افتتح منها عنوة وهو الخمس فان ذلك كله كان للنبي ﷺ خاصة فكان صلى الله عليه وسلم ينفق من ذلك على أهل بيته سنة وما بقي جعله في الكراع أي الخيل والسلاح في سبيل الله فربما احتاج صلى الله عليه وسلم الى شيء ينفقه قبل فراغ السنة فيقترض ولهذا توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عند اليهودي على آصع من شعير وافتكها أبو بكر وتلك الدرع كانت ذات الفضول التي اهداها له ﷺ سعد بن عبادة لما توجه الى بدر كما تقدم ولم يشبع هو ولا أهل بيته ثلاثة أيام تباعا أي متتابعة كما تقدم وقال لها أبو بكر رضي الله عنه لست بالذي أقسم من ذلك شيئا ولست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به فيها إلا عملته واني أخشى ان تركت أمره أو شيئا من أمره ان أزيغ وفي رواية قال لها قد سمعت رسول الله ﷺ يقول انما هي طعمة أطعمنيها الله فاذا مت عادت على المسلمين فان اتهمتيني فسلي المسلمين يخبروك بذلك وقال لها قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركناه صدقة ولكن أعول من كان رسول الله ﷺ يعوله وأنفق على من كان ينفق عليه وقوله صدقة هو بالرفع كما هو الرواية أي الذي تركناه فهو صدقة وقد منع بذلك عائشة وبقية أزواجه ﷺ لما حثن اليه يطلبن ثمنهن وزعمت الرافضة ان الصديق رضي الله تعالى عنه كان ظالما لفاطمة رضي الله عنها بمنعه اياها من مخلف والدها وانه لا دليل له في هذا الخبر الذي رواه لان فيه احتجاجا بخبر الواحد مع معارضته لآية المواريث ورد بأنه انما حكم بما سمعه من رسول الله ﷺ وهو عنده قطعي فساوى آية المواريث من قطعية المتن وكان مخصصا لآية المواريث وذكر عن الرافضة انهم زعموا ان صدقة بالنصب وان ما نافية ويرده صدر الحديث انا معاشر الانبياء لا نورث وأما رواية نحن معاشر الانبياء فلم تجيء في كتاب من كتب الحديث كما قاله غير واحد ومن رواه بذلك رواه بالمعنى لانا نحن وانا معناهما واحد ولا يعارض ذلك قوله تعالى وورث سليمان داود وقوله تعالى حكاية عن زكريا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث اذ المراد وراثة العلم والحكمة وفي لفظ انها رضي الله عنها قالت له من يرثك قال أهلي وولدي فقالت فما لي لا أرث أبي فقال لها سمعت رسول الله ﷺ يقول لا نورث فغضبت رضي الله عنها من أبي بكر رضي الله عنه وهجرته الى ان ماتت أي فانها عاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر على ما تقدم ومعنى هجرانها لأبي بكر رضي الله تعالى عنه انها لم تطلب منه حاجة ولم تضطر الى لقائه اذ لم ينقل انها رضي الله عنها لقيته ولم تسلم عليه ولا كلمته وروى ابن سعد ان أبا بكر رضي الله عنه جاء الى بيت علي لما مرضت فاطمة فاستأذن عليها فقال علي كرم الله وجهه هذا أبو بكر على الباب يستأذن فان شئت أن تأذني له فأذني قالت وذاك أحب اليك قال نعم فأذنت له رضي الله عنه فدخل واعتذر اليها ورضيت عنه وأن أبا بكر رضي الله عنه صلى عليها وقال الواقدي وثبت عندنا أن عليا كرم الله وجهه دفنها رضي الله عنها ليلا وصلى عليها ومعه العباس والفضل رضي الله عنهم ولم يعلموا بها أحداً قال بعضهم وكأنها تأولت قوله ﷺ لا نورث وحملت ذلك على الاموال أي الدراهم والدنانير كما جاء في بعض الروايات لا تقسم ورثتي دينارا ولا درهما بخلاف الاراضي ولعل طلب ارثها من فدك كان منها بعد ان ادعت رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاها فدكا وقال لها هل لك بينة فشهد لها علي كرم الله وجهه وأم أيمن فقال لها رضي الله عنه أبرجل وامرأة تستحقيها واعترض عليه الرافضة بأن فاطمة معصومة بنص انما يريد الله ليذهب

أغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا أي انتبهوا من النوم فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلائل النبوة بسند جيد وغسله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان العباس وابنه الفضل رضي الله عنهما يعينانه في تقليب جسمه الشريف وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبون الماء وأعينهم كلهم معصوبة حتى لا ينظروا جسده الشريف وهو يغسل خيفة ان يبدو ما لم يؤذن في النظر اليه وقوله وأعينهم كلهم معصوبة أي الا عليا رضي الله عنه فكان يقول وهو يغسله بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وروى ان عليا رضي الله عنه نودي وهو يغسله أن ارفع طرفك نحو السماء خوفا ان يديم النظر اليه وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه قال غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت أي من الفضلات الخارجة فلم أر شيئا كان طيبا حيا وميتا وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط وعن جعفر الصادق رضي الله عنه قال كان الماء يستنقع أي يجتمع في جفون النبي صلى الله عليه وسلم فكان علي رضي الله عنه يحسوه أي يشربه وكفنوه صلى الله

عليه وسلم فى ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة واختلف فى معنى هذا الحديث وقال الجمهور ليس فى الكفن قميص ولا عمامة أصلا وقال آخرون منهم الامام أبو حنيفة رضى الله عنه معناه كفن فى ثلاثة أثواب غير القميص والعمامة ثم لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم وضع على سريره فى بيته ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم ارسالا أى جماعات متتابعين يصلون عليه ولم يؤم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد وفى رواية ان أول من صلى عليه الملائكة أفواجا ثم أهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم النساء واختلفوا فى موضع دفنه فقال أناس عند المنبر وقال أناس بالبقيع فقال أبو بكر رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما مات نبى قط الا يدفن حيث تقبض روحه وقال على وأنا أيضا سمعته رواه الترمذى وابن ماجه وفى رواية الموطأ ما دفن نبى قط الا فى مكانه الذى توفى فيه فحفر له صلى الله عليه وسلم فى المكان الذى توفى فيه وكان المباشر للحفر أبو طلحة زيد بن سهل الانصارى رضى الله عنه حفر لحدا فى موضع فراشه حيث قبض صلى الله عليه وسلم واختلف الناس فيمن أدخله قبره وأصح ماروى انه نزل فى قبره عمه العباس وعلى

تقدم

عنكم الرجس أهل البيت وخبر فاطمة بضعة منى فدعواها صادقة لعصمتها وأيضا شهد لها بذلك الحسن والحسين وأم كلثوم رضى الله عنهم ورد عليهم بان من جملة أهل البيت أزواجه صلى الله عليه وسلم وليسن بمعصومات اتفاقا فكذلك بقية أهل البيت وأما كونها بضعة منه فمجاز قطعا وانها كبضعة فيما يرجع للحجر والشفقة واما زعم انه شهد لها الحسن والحسين وأم كلثوم فباطل لم ينقل عن أحد ممن يعتمد عليه على أن شهادة الفرع للاصل غير مقبولة وفى كلام سبط ابن الجوزى رحمه الله انه رضى الله عنه كتب لها بذلك ودخل عليه عمر رضى الله عنه فقال ما هذا فقال كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها فقال مماذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى ثم أخذ عمر الكتاب فشقه وقد جاء ان بعد موت فاطمة رضى الله تعالى عنها أى وذلك بعد ستة أشهر من موته صلى الله عليه وسلم الا ليالى على ما تقدم ارسل على كرم الله وجهه وقد اجتمع على وبنو هاشم الى أبى بكر وقالوا ائتنا ولا يأت معك أحد كراهة ان يحضر عمر رضى الله عنه لما علموا من شدته فخافوا ان يحضر لأبى بكر رضى الله عنه فيتكلم بكلام يوحش قلوبهم على أبى بكر رضى الله عنه فقال عمر رضى الله عنه لأبى بكر لا والله لا تدخل عليهم وحدك قال ذلك خوفا عليه ان يغلظوا عليه فى المعاتبة وربما كان ذلك سببا لتغير قلبه فيترتب عليه مالا ينبغى فقال أبو بكر رضى الله عنه وما يفعلون بى والله لآتينهم أى فدخل عليهم أبو بكر رضى الله عنه وحده فقال له على كرم الله وجهه انا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله اليك أى لا نحسدك عليه ولكنك استبددت علينا بالامر أى لم تشاورنا فيه وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لنا نصيبا أى فى المشاورة ففاضت عينا أبى بكر رضى الله عنه وقال والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من قرابتى فقال له على كرم الله وجهه موعدك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر رضى الله عنه الظهر أى وقد حضر عنده على كرم الله وجهه رقى المنبر بكسر القاف فتشهد وذكر شأن على كرم الله وجهه وعذره فى تخلفه عن البيعة ثم إن عليا رضى الله عنه بايعه أى بعد ان عظم أبا بكر رضى الله تعالى عنه وذكر فضيلته وسابقته وذكر انه لم يحمله على الذى صنع نفاسة حق على أبى بكر وأقبل الناس على على كرم الله وجهه وقالوا أصبت وأحسنت وقد علمت الجمع بين من قال بايع بعد ثلاثة أيام من موته صلى الله عليه وسلم ومن قال لم يبايع الا بعد موت فاطمة رضى الله عنها بعد ستة اشهر وهو انه بايع أولا ثم انقطع عن أبى بكر رضى الله عنه لما وقع بينه وبين فاطمة ما وقع ثم بايعه مبايعة أخرى فتوهم من ذلك بعض من لا يعرف باطن الامر أن تخلفه انما هو لعدم رضاه ببيعته واطلق ذلك من أطلقه ومن ثم اظهر على كرم الله وجهه مبايعته لأبى بكر ثانيا بعد ثبوتها على المنبر لازالة هذه الشبهة وبهذا يعلم ما وقع فى صحيح مسلم عن أبى سعيد من تأخر بيعة على هو وغيره من بنى هاشم الى موت فاطمة ومن ثم حكم بعضهم عليه بالضعف ومما يؤيد الضعف ما جاء ان عليا وأبا بكر رضى الله عنهما جاآ لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته بستة أيام فقال على كرم الله وجهه تقدم ياخليفة رسول الله فقال أبو بكر رضى الله عنهما ما كنت لأتقدم رجلا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه على منى بمنزلتى من ربى وصلاة أبى بكر رضى الله عنه بالناس لم تختص بالمرض فقد جاء أنه وقع قتال بين بنى عمرو بن عوف فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم فقال يابلال ان حضرت الصلاة ولم آت مر أبا بكر فليصل بالناس فلما حضرت صلاة العصر أقام بلال الصلاة ثم أمر أبا بكر فصلى كما تقدم وفى شرح مسلم للامام النووى رحمه الله وتأخر على كرم الله وجهه أى ومن تأخر معه عن البيعة لأبى بكر ليس قادحا فيها لان العلماء اتفقوا على انه لا يشترط لصحتها مبايعة كل أهل العقد والحل بل مبايعة من تيسر منهم وتأخره كان للعذر أى الذى

تقدم وكان عذر أبي بكر وعمر وبقية الصحابة واضح لأنهم رأوا أن المبادرة بالبيعة من أعظم مصالح المسلمين لأن تأخرها بما لزم عليه اختلاف فينشأ عنه مفاسد كثيرة كما أفصح به أبو بكر رضي الله عنه فيما تقدم وجاء كما تقدم أنه قيل لعلي كرم الله وجهه هل عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخلافة فحدث الثقات الموثوق به والمأمون على ما حدثت فقال لا والله إن كنت أول من صدق به لا أكون أول من كذب عليه لو كان عندي من النبي صلى الله عليه وسلم عهد في ذلك ما تركت القتال على ذلك ولو لم أجد إلا بردتي هذه وما تركت أخا بني تيم وعمر بن الخطاب يثوبان على منبره صلى الله عليه وسلم ولقاتلتهما بيدي ولكن النبي ﷺ لم يمت فجأة بل مكث في مرضه أياما وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني فلما مات رسول الله ﷺ اخترنا لدنيانا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا فبايعناه وكان لذلك أهلا لم يختلف عليه منا اثنان فلما قبض تولاها عمر رضي الله عنه بما يعنه وأقام فيها لم يختلف عليه منا اثنان وأعطيت ميثاقي لعثمان رضي الله عنه فلما قضوا بايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين أي الكوفة والبصرة فوثب فيها من ليس مثلي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي وكنت أحق بها منه يعني معاوية فهو رأي رأيته وفي لفظ لكن شيء رأيناه من قبل أنفسنا فهذا تصريح منه كرم الله وجهه بأنه ﷺ لم ينص على إمامته وأما قوله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم عند مرجعه من حجة الوداع بعد أن جمع الصحابة وكرر عليهم ألست أولى بكم من أنفسكم ثلاثا وهم يجيبونه بالتصديق والاعتراف ثم رفع يد علي كرم الله وجهه وقال من كنت مولاه فعلي مولاه الحديث فتقدم الكلام عليه وأن ذلك لا يدل على الخلافة وأما قال سيدنا عمر رضي الله عنه إن بيعة أبي بكر رضي الله عنه كانت فلتة أي من غير استعداد ولا مشورة كما تقدم ردا على من نقله عنه أنه قال إذا مات عمر بايعت فلانا والله ما كانت بيعة أبي بكر بمشورة فالبيعة لا تتوقف على ذلك فغضب فلما رجع من آخر حجة حجها المدينة قال على المنبر قد بلغني أن فلانا قال والله لو مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا إن بيعة أبي بكر كانت فلتة من غير مشورة فلا يغترن امرؤ أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة نعم وإنها كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر فمن بايع رجلا من غير مشورة المسلمين فإنه لا بيعة له ولا الذي بايعه ولما ثقل المرض على الصديق رضي الله عنه دعا عبد الرحمن فقال أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال أنت أعلم به مني فقال الصديق وإن فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من رأيك فيه ثم دعا عثمان بن عفان رضي الله عنه فقال أخبرني عن عمر فقال أنت أخبر به ثم دعا عليا كرم الله وجهه وقال له مثل ذلك ثم قال علي كرم الله وجهه اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله ودعا جماعة من الأنصار فيهم أسيد بن حضير وسألهم فقال اللهم أعلمه يرضى للرضا ويسخط للسخط الذي يسر خير من الذي يعلن ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه وبعد ذلك دعا عثمان رضي الله عنه وقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وأول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب أني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا فإن عدل وذلك ظني فيه وعلمي به وإن بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم أمر بالكتاب فختم ثم دعا عمر خاليا وأوصاه بالمسلمين وقبل أن يظهر الصديق رضي الله عنه هذا الأمر أطلع على الناس من كوة وقال أيها الناس إني قد عهدت عهدا أفترضون به فقال الناس رضينا يا خليفة رسول الله فقام علي كرم الله وجهه وقال لا نرضى إلا أن يكون عمر قال فإنه عمر قال وكانت صلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم كصلاتهم على

والفصل وقثم ابنا عباس رضي الله عنهم ويقال دخل معهم أوس ابن خولي رضي الله عنه وكان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس رضي الله عنهما لأنه تأخر في القبر حتى خرجوا قبله وروي أنه بني في قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها صلى الله عليه وسلم فرشها شقران رضي الله عنه وقال والله لا يلبسها

غيره أي بتكبيرات أربع لا بمجرد الدعاء من غير تكبيرات اه وهو يخالف ما تقدم المفيد ان صلاتهم إنما كانت مجرد الدعاء لا الصلاة المعهودة وقد يقال لا مخالفة وانما نصوا على الدعاء لكونه مخالفا للدعاء المعروف في صلاة الجنازة على غيره صلى الله عليه وسلم وفي شرح مسلم عن القاضي عياض واختلف هل صلى عليه صلى الله عليه وسلم فقيل لم يصل عليه أحد أصلا وانما كان الناس يدخلون ارسالا يدعون و يتضرعون والصحيح الذي عليه الجمهور أنهم صلوا عليه أفرادا فكان يدخل عليه فوج يصلون فرادى ثم يخرجون ثم يدخل فوج آخر فيصلون كذلك وعن ابن الماجشون صلى عليه صلى الله عليه وسلم اثنان وسبعون صلاة كحمزة رضي الله عنه قيل له من أين لك هذا قال من الصندوق الذي تركه مالك رحمه الله تعالى بخطه عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما فصلى عليه الرجال الاحرار أولا ثم النساء الاحرار ثم الصبيان ثم العبيد ثم الاماء واختلفوا في الموضع الذي يدفن فيه فمن قائل يدفن في البقيع ومن قائل ينقل ويدفن عند إبراهيم الخليل فقال أبو بكر رضي الله عنه ادفنوه في الموضع الذي قبض فيه فان الله لم يقبض روحه الا في مكان طيب أي وفي رواية أنه رضي الله عنه قال ان عندي في هذا خبرا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدفن نبي الاحيث قبض وفي لفظ لا يقبض الله روح نبي الا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه وعن أبي بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقبض النبي الا في أحب الامكنة اليه قال بعضهم ولا شك أن أحبها أي الامكنة اليه أحبها الى ربه تعالى فان حبه ﷺ تابع لحب ربه جل وعلا وفي الحديث ما مات نبي الا دفن حيث قبض فحول فراشه وحفر له ودفن في ذلك الموضع الذي توفاه الله فيه واختلفوا هل يجعل له صلى الله عليه وسلم لحد أو يجعل له شق وكان في المدينة شخصان أحدهما يصنع اللحد والآخر يصنع الشق والأول هو أبو طلحة زيد بن سهل والثاني أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وفي لفظ كان أبو عبيدة يحفر حينئذ لأهل مكة وكان أبو طلحة زيد بن سهل يحفر لأهل المدينة وكان يلحد فقال عمر رضي الله عنه ترسلوا لهما وكل من حضر منهما تركناه فأرسلوا خلفهما ارجلين وقال عمر رضي الله عنه اللهم خر لرسولك وقيل المرسل والقائل ما ذكر العباس رضي الله عنه فسبق أبو طلحة رضي الله عنه فصنع له ﷺ لحدا وأطبق عليه تسع لبنات ثم أهيل التراب وقد جاء في الحديث ألحدوا ولا تشقوا فان اللحد لنا والشق لغيرنا وقد روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه قال في مرض موته ألحدوا الى لحدا وانصبوا على اللبن نصبا كما صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم وسل ﷺ من قبل رأسه كما رواه البيهقي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما أي وضع سريره ﷺ عند مؤخر القبر وكان رأسه الشريف عند المحل الذي يكون فيه رجلاه فلما أدخل القبر سل من قبل رأسه ودخل قبره العباس وعلي والفضل وقثم وشقران واقتصر ابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما على الثلاثة الأول وفرش شقران في اللحد تحته صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء (وفي رواية) بيضاء كان يجعلها على رحله إذا سافر لأن الأرض كانت ندية وقال والله لا يلبسها أحد بعدك فدفنت مع رسول الله ﷺ وقيل أخرجت أي عملا بوصيته صلى الله عليه وسلم فقد روى البيهقي عن أبي موسى رضي الله عنه أنه ﷺ أوصى ان لا تتبعوني بصارخة ولا مجمرة ولا تجعلوا بيني و بين الأرض شيئا لكن في رواية الجامع الصغير افرشوا لي قطيفتي في لحدي فان الأرض لم تسلط على أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكان دفنه صلى الله عليه وسلم ليلة الأربعاء وعن أم سلمة رضي الله عنها كنا مجتمعين نبكي تلك الليلة لم ننم فسمعنا صوت المساحي فصحنا وصاح أهل المسجد فارتجت المدينة صيحة واحدة فأذن بلال بالفجر فلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى وانتحب فزادنا حزنا فيا لها من مصيبة ما أصابنا

أحد بعدك وهذا الفرش خصوصية له أما غيره فالجمهور على كراهية الفرش في القبر ولما دفن صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة رضي الله عنها أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشأت تقول

ماذا على من شم تربة أحمد
أن لا يشم مدى الزمان غواليا

بعدها من مصيبة إلاهات اذا ذكرنا مصيبتنا به ﷺ وعن فاطمة رضي الله عنها لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لأنس يا أنس كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وفى لفظ أطابت نفوسكم أن دفنتم رسول الله ﷺ فى التراب ورجعتم (وفى رواية) أنها قالت لعلى كرم الله وجهه يا أبا الحسن دفنتم رسول الله ﷺ قال نعم قالت كيف طابت قلوبكم أن تحثوا التراب عليه كان نبى الرحمة قال نعم ولكن لا راد لأمر الله وقد جاء أن الانسان يدفن فى التربة التى خلق منها وهو يدل على أنه ﷺ وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما خلقوا من تربة واحدة لأنهم دفنوا ثلاثتهم فى تربة واحدة وقد روى أن أبا بكر رضى الله عنه لما حضرته الوفاة قال لمن حضره اذا أنا مت وفرغتم من جهازى فاحملونى حتى تقفوا بباب البيت الذى فيه قبر النبى ﷺ فقفوا بالباب وقولوا السلام عليك يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن فان أذن لكم بأن فتح الباب وكان الباب مغلقا بقفل فادخلونى وادفنونى وان لم يفتح الباب فأخرجونى إلى البقيع وادفنونى به فلما وقفوا على الباب وقالوا ما ذكر سقط القفل وانفتح الباب وسمع هاتف من داخل البيت أدخلوا الحبيب إلى الحبيب فان الحبيب إلى الحبيب مشتاق ولما احتضر عمر رضى الله عنه قال لابنه عبد الله رضى الله عنه يا عبد الله ائت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وقل لها إن عمر يقرئك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فانى لست اليوم بأمير المؤمنين وقل يستأذن أن تدفنيه مع صاحبيه فان أذنت فادفنونى وان أبت فردونى إلى مقابر المسلمين فأتاها عبد الله وهو يبكى فقال إن عمر يستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت لقد كنت ادخرت ذلك المكان لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما رجع عبد الله إلى أبيه وأقبل عليه قال عمر اقعدونى ثم قال لعبد الله ما وراءك قال قد أذنت لك قال الله أكبر ما شىء أهم إلى من ذلك المضجع وقد ذكر أن الحسن رضى الله عنه لما سقى السم ورأى كبده تقطع أرسل إلى عائشة رضى الله عنها أن يدفن عند جده ﷺ فأذنت له فلما مات منع من ذلك مروان وبنو أمية فدفن بالبقيع ويذكر أنه رضى الله عنه قال لأخيه الحسين رضى الله عنه قال كنت بعثت إلى عائشة اذا مت أن تأذن لى أن أدفن فى بيتها مع رسول الله ﷺ فقالت نعم ولا أدرى لعلها كان ذلك منها حياء فاذا أنا مت فاطلب ذلك منها فان طابت نفسها فادفنى فى بيتها وما أظن القوم الا سيمنعونك فان فعلوا فلا تراجعهم فى ذلك وادفنى فى بقيع الغرقد فان لى فيمن فيه أسوة فلما مات الحسن رضى الله عنه جاء الحسين رضى الله عنه إلى عائشة رضى الله عنها وطلب منها ذلك فقالت نعم وكرامة فبلغ ذلك مروان فقال كذب وكذبت والله لا يدفن هناك أبدا منعوا عثمان من دفنه هناك ويريدون دفن حسن فبلغ ذلك الحسين رضى الله عنه فلبس الحديد هو ومن معه وكذلك مروان لبس الحديد هو ومن معه فبلغ ذلك أبا هريرة رضى الله عنه فانطلق إلى الحسين وناشده الله وقال له أليس أخوك قد قال لك ما قال فلم يزل به حتى رضى بدفنه بالبقيع فدفن بجانب أمه رضى الله عنها ولم يشهد جنازته أحد من بنى أمية إلا سعيد بن العاص لأنه كان أميرا على المدينة فدفعه الحسين فصلى عليه اماما وقال هى السنة قال ابن كثير رحمه الله والذى نص عليه غير واحد من الأئمة سلفا وخلفا أنه ﷺ توفى يوم الاثنين قبل أن ينتصف النهار ودفن يوم الثلاثاء قبل وقت الضحى والقول بأنه مكث ثلاثة أيام لا يدفن غريب والصحيح أنه ﷺ مكث بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء وبعض ليلة الأربعاء وكان السبب فى تأخره صلى الله عليه وسلم ما علمت من اشتغالهم ببيعة أبى بكر رضى الله عنه حتى تمت وقيل لعدم اتفاقهم على موته ﷺ وكان آخر من طلع من قبره الشريف قثم بن العباس رضى الله عنهما وقيل المغيرة بن شعبة رضى الله عنه لأنه

صبت على مصائب لو أنها
صبت على الأيام عدن لياليا

وقالت رضى الله عنها ترثيه
أغبر آفاق السماء وكورت
شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبى كئيبة
أسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها
وليبكه مضر وكل يمان
ورش قبره صلى الله عليه وسلم بلال بقربة بدأ من

ألقى خاتمه فى القبر الشريف وقال لعلى يا أبا الحسن خاتمى وانما طرحته عمداً لأمس رسول الله ﷺ وأكون آخر الناس عهدا به قال أنزل فخذه وقيل ألقى الفأس فى القبر وقال الفأس الفأس فنزل وأخذها ويقال إن عليا كرم الله وجهه لما قال له المغيرة ذلك نزل وناوله الخاتم أى أو الفأس أو أمر من نزل وناوله ذلك وقال له انما فعلت ذلك لتقول أنا آخر الناس برسول الله ﷺ عهدا واعترض بأن المغيرة رضى الله عنه لم يكن حاضر الدفن وقد روى أن جماعة من العراق قدموا على على كرم الله وجهه فقالوا يا أبا الحسن جئناك لنسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه وقال لهم أظن أن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان آخر الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أجل عن هذا جئنا نسألك قال كان آخر الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن العباس رضى الله عنهما وقام الاجماع على أن هذا الموضع الذى ضم أعضاءه الشريفة صلى الله عليه وسلم أفضل بقاع الأرض حتى موضع الكعبة الشريفة قال بعضهم وأفضل من بقاع السماء أيضا حتى من العرش وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ما نفضنا الأيدى من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنكرنا ولو ساقال بعضهم وأظلمت الدنيا حتى لم ينظر بعضنا إلى بعض وكان أحدنا يبسط يده فلا يراها وقال رسول الله ﷺ أنا فرط لأمتى لن يصابوا بمثلى وفى مسلم أنه ﷺ قال إن الله سبحانه وتعالى اذا أراد بأمة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها فيالله من خطب جل عن الخطوب ومصاب علم دمع العيون كيف يصوب وطارق هجم هجوم الليل وحادث هد كل القوى والحيل ولشدة أسف حماره عليه صلى الله عليه وسلم الذى كان يركبه ألقى نفسه فى حفيرة فمات كما تقدم وترك ناقته صلى الله عليه وسلم الأكل والشرب حتى ماتت وأنشد الحافظ الدمياطى عن غيره

الا يا ضريحا ضم نفس زكية ✻ عليك سلام الله فى القرب والبعد
عليك سلام الله ماهبت الصبا ✻ وما ناح قمرى على البان والرند
وما سجعت ورق وغنت حمامة ✻ وما اشتاق ذو وجد إلى ساكنى نجد
ومالى سوى حبى لهم آل أحمد ✻ امرع من شوقى على ناركم جندى

﴿ باب بيان ماوقع من الحوادث من عام ولادته ﷺ إلى زمن وفاته ﷺ على سبيل الاجمال و بيان زمن ولادته عاما ويوما وشهراً ومكانا ﴾

اعلم أن الأكثر على أنه صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل وحكى بعضهم الاجماع عليه قال وكل قول خالفه فهو وهم وقيل بعد الفيل بخمسين يوما وقيل بزيادة خمسة أيام وقيل بشهر وقيل بأربعين يوما وقيل بشهرين وعشرة أيام وقيل بعشر بن سنة وقيل بعشر سنين وقيل بخمس عشرة سنة وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فى شهر ربيع الأول لعشر خلون منه وقيل لليلتين وقيل لثمان خلت واختاره الحميدى تبعا لشيخه ابن حزم وحكى القضاعى رحمه الله عن عيون المعارف اجماع أهل التاريخ عليه وقيل لاثنتى عشرة ليلة وهو المشهور وقيل لسبع عشرة وقيل لثمان بقين منه وذلك فى النهار عند طلوع الفجر وقيل ولد ليلا وعليه عمل أهل مكة فى زيارة موضع مولده الشريف صلى الله عليه وسلم وكونه فى شهر ربيع الأول هو قول الجمهور من العلماء وحكى ابن الجوزى رحمه الله الاتفاق عليه وقيل فى صفر وقيل فى ربيع الآخر وقيل فى رجب وقيل فى شهر رمضان واختلف فى مكان ولادته صلى الله عليه وسلم فقيل بمكة وعليه قيل بالدار التى كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج وقيل بالشعب شعب بنى هاشم وذلك المحل يزار الآن وقيل بالردم وقيل ولد صلى الله عليه وسلم بعسفان و بالسنة

قبل رأسه وحمل عليه من حصباء العرصة حمرا و بيضا ورفع قبره عن الأرض قدر شبر ولما قبض صلى الله عليه وسلم تزينت الجنان ليوم قدوم روحه المقدسة وأظلمت الدنيا قال أنس رضى الله عنه ما رأيت يوما كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أظلم من يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية لما كان اليوم

الثالثة من مولده صلى الله عليه وسلم شق صدره الشريف عند ظئره حليمة رضى الله عنها وقيل كان في الرابعة وفيها ولد أبو بكر الصديق رضى الله عنه وفي السنة السادسة من مولده ﷺ كانت وفاة أمه آمنة ودفنت بالابواء وقيل بشعب أبي ذئب بالحجون محل مقابر أهل مكة وقيل في دار رائعة بالمعلاة وفيها ولد عثمان بن عفان رضى الله عنه وفي السنة السابعة من مولده صلى الله عليه وسلم استقل بكفالته جده عبد المطلب وفيها أصابه ﷺ رمد شديد وفيها استسقى عبد المطلب وهو صلى الله عليه وسلم معه بسبب رؤيا رآها وفيها خرج عبد المطلب لتهنئة سيف بن ذي يزن الحميري بالملك وفي السنة الثامنة من مولده ﷺ كانت وفاة جده عبد المطلب وكفالة عمه أبي طالب له صلى الله عليه وسلم وفي هذه السنة مات حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الجود والكرم ومات كسرى أنوشروان وفي السنة التاسعة من مولده ﷺ قيل سافر به عمه أبو طالب الى بصرى من أرض الشام وهي مدينة حوران وفي السنة العاشرة من مولده ﷺ كانت حرب الفجار الأولى وفي السنة العاشرة وقيل الحادية عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كان شق صدره الشريف وفي السنة الثانية عشرة من مولده ﷺ كان حرب الفجار الثانية وكان سفر عمه أبي طالب به ﷺ إلى بصرى من أرض الشام على ما عليه الأكثر وفي السنة الثالثة عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفي السنة الرابعة عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كانت حرب الفجار الثالثة وقيل كان عمره ﷺ عشرين سنة وفي السنة السابعة عشرة من مولده صلى الله عليه وسلم كان سفر عمه الزبير بن عبد المطلب والعباس ابني عبد المطلب لليمن للتجارة وصحبهما النبي ﷺ وفي السنة الخامسة والعشرين من مولده ﷺ كان سفره صلى الله عليه وسلم إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة رضى الله عنها وتزوج صلى الله عليه وسلم خديجة وفي سنة ثلاثين من مولده ﷺ ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الكعبة وفي سنة أربع وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم ولد معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه ومعاذ بن جبل رضى الله عنه وفي خمس وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم هدمت قريش الكعبة وبنتها وفي سنة سبع وثلاثين رأى ﷺ الضوء والنور وكان ﷺ يسمع الأصوات وفي السنة الأولى من النبوة كان نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم في اليقظة بعد أن مكث صلى الله عليه وسلم ستة أشهر يوحى اليه في المنام وفي السنة الثالثة من النبوة قيل توفي ورقة بن نوفل وفي السنة الرابعة من النبوة كان اظهار الدعوة وفي السنة الخامسة من النبوة ولدت عائشة رضى الله عنها وقيل ولدت في الرابعة وفي السنة الخامسة كانت الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة وفيها ماتت سمية أم عمار بن ياسر رضى الله عنهم وهي أول شهيدة في الاسلام وفي السنة السادسة من النبوة أسلم حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وعمر بن الخطاب رضى الله عنه وقيل أسلما رضى الله عنهما في سنة خمس وكان اسلام حمزة رضى الله عنه قبل اسلام عمر رضى الله عنه بثلاثة أيام وفي السنة السابعة من النبوة تقاسمت قريش وتعاهدت على معاداة بني هاشم وبني المطلب وقيل كان ذلك في السادسة وقيل في الخامسة وقيل في الثامنة وذلك في خيف بني كنانة بالابطح ويسمى محصبا وهو بأعلى مكة شرفها الله عند المقابر وفي السنة التاسعة من النبوة كان انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم وفي السنة العاشرة من النبوة مات أبو طالب وماتت خديجة رضى الله عنها وكان ﷺ يسمى ذلك العام عام الحزن وفيها جاءه ﷺ جن نصيبين وأسلموا وفيها تزوج صلى الله عليه وسلم سودة رضى الله عنها بنت زمعة ودخل عليها في مكة وفيها عقد ﷺ عقده على

الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء ولما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا أيدينا من التراب وانا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا يريد انهم وجدوها تغيرت عما عهدوه في حياته من الالفة والصفاء والرقة لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأييد (ومن آياته) صلى الله عليه وسلم بعد موته ما ذكر من حزن حماره

عائشة رضى الله عنها ولم يدخل صلى الله عليه وسلم عليها الا فى المدينة وفى السنة الحادية عشره من النبوه كان ابتداء اسلام الانصار رضى الله عنهم وفى السنة الثانية عشره من النبوه كان الاسراء والمعراج وفيها وقعت بيعة العقبة الأولى وفى السنة الثالثة عشره من النبوه كانت بيعة العقبة الثانية التى هي الكبرى و بعضهم يسميها العقبة الثالثة ويسمى اسلام الأنصار عقبة مع انه لامبايعة فيه وفى هذه السنة أراد أبو بكر رضى الله عنه أن يهاجر للحبشة فلما بلغ برك الغماد رده ربيعة بن الدغنة سيد القاره وفى السنة الرابعة عشره من النبوة وهى السنة الأولى من الهجرة إلى المدينة وكانت الهجره فيها فى صفر أو فى عره ربيع الأول وفيها كان بناء المسجد ومساكنه صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء والمؤاخاة بين المهاجرين والانصار رضى الله عنهم قيل وكان ابتداء خدمة أنس رضى الله عنه له صلى الله عليه وسلم فقد جاء انه ﷺ لما قدم المدينة صارت الأنصار يبعثون اليه صلى الله عليه وسلم بالهدايا رجالهم ونساؤهم وكانت أم أنس رضى الله عنهما لاشىء لها تهديه له صلى الله عليه وسلم وكانت تتأسف فأخذت يوما بيد أنس رضى الله عنه وقالت يارسول الله هذا يخدمك وجاء ان زوجها أباطلحة رضى الله عنه جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله ان أنسا غلام كيس فليخدمك وجمع بأن أمه جاءت به أولا ثم جاء به أبو طلحة ثانيا لانه وليه وعصبته قال فى الخميس وهذا غير مجيئه به لخدمته ﷺ فى غزوة خيبر وفيها كما فى الأصل وقيل فى السنة الثانية زيد فى صلاة الحضر ركعتان وتركت صلاة الفجر وصلاة المغرب لانها وتر النهار وأقرت صلاة السفر وتركت على الفريضة الأولى كذا قيل وفى هذه السنة مات من مشركى مكة الوليد بن المغيرة ولما احتضر جزع فقال له أبو جهل لعنه الله ياعم ماجزعك فقال والله مابى من جزع من الموت ولكن أخاف أن يظهر دين ابن أبى كبشة بمكة فقال أبو سفيان رضى الله عنه لاتخف انى ضامن أن لا يظهر وفيها مات العاص بن وائل وفيها مات أسعد بن زراره رضى الله عنه وفيها ابتدئت الغزوات وكان فيها غزوة الابواء وغزوة ودان كما فى الأصل وفى هذه السنة بنى صلى الله عليه وسلم بعائشة رضى الله عنها وفيها شرع الأذان وفيها صلى صلى الله عليه وسلم الجمعة فى طريقه حيث ارتحل ﷺ من قباء إلى المدينة وهى أول جمعة صلاها وأول خطبة خطبها فى الاسلام وفيها أسلم عبد الله بن سلام رضى الله عنه وكان فيها بعث عمه حمزه رضى الله عنه يعترض عيرا لقريش وبعث ابن عمه عبيده بن الحرث رضى الله عنه إلى بطن رابغ وبعث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه إلى الخرار يعترض عيرا لقريش وفى السنة الخامسة عشرة من النبوه والثانية من الهجره تزوج على كرم الله وجهه بفاطمة رضى الله عنها وتكنيته بأبى تراب وغزوة بواط وغزوة العشيره وسرية عبد الله بن جحش رضى الله عنه إلى بطن نخلة وتحويل القبلة وتجديد بناء مسجد قباء وفرض رمضان وغزوة بدر الكبرى ووفاة رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها وقتل عصماء وفرض زكاة الفطر وشروع صلاة عيده وفرض زكاة الأموال وغزوة قرقرة الكدر وسرية سالم بن عمير رضى الله عنه وغزوة بنى قينقاع وغزوة السويق وموت عثمان بن مظعون رضى الله عنه والتضحية وصلاة عيدها وفى السنة السادسة عشرة من النبوة والثالثة من الهجرة سرية محمد بن مسلمة رضى الله عنه لقتل كعب بن الأشرف لعنه الله وتزوج عثمان رضى الله عنه أم كلثوم رضى الله عنها وغزوة غطفان وغزوة بحران وسرية زيد بن حارثة رضى الله عنهما إلى قردة وتزوج حفصة رضى الله عنها وتزوج زينب بنت خزيمة رضى الله عنها وولادة الحسن وغزوة أحد وغزوة حمراء الأسد وعلوق فاطمة بالحسين رضى الله عنهما وفى السنة السابعة عشرة من النبوة والرابعة من الهجرة سرية أبى سلمة رضى الله عنه إلى قطن ووفاته وسرية عبد الله بن أنيس رضى الله عنه إلى عرنة لقتل سنان بن خالد

يعمور عليه حتى تردى أى ألقى نفسه فى بئر وكذا ناقته فانها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت (ومن ذلك) ظهور ما أخبر به كائن بعد موته مما لانهاية له ولا عد يحصيه وقد تقدم فى المعجزات كثير من ذلك روى مسلم عن أبى موسى رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله إذا أراد بأمة خيرا قبض نبيها قبلها وجعله لها فرطا وسلفا بين يديها وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها

وسرية القراء رضي الله عنهم الى بئر معونة وقصة الرجيع وسرية عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه الى مكة لقتل أبي سفيان رضي الله عنه وغزوة بني النضير ووفاة زينب بنت خزيمة وغزوة ذات الرقاع وصلاة الخوف وولادة الحسين رضي الله عنه وغزوة بدر الصغرى وتزوج أم سلمة رضي الله عنها وتحريم الخمر عند بعضهم وفي السنة الثامنة عشرة من النبوة والخامسة من الهجرة غزوة دومة الجندل وغزوة المريسيع ونزول آية التيمم وتزوج جويرية رضي الله عنها وقصة الافك وغزوة الخندق وغزوة بني قريظة وقصة أولاد جابر رضي الله عنهم وتزوج زينب بنت جحش رضي الله عنها ونزول آية الحجاب وفرض الحج وفي السنة التاسعة عشرة من النبوة والسادسة من الهجرة سرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه الى القرطاء وقصة ثمامة وغزوة بني لحيان وغزوة الغابة وسرية عكاشة رضي الله عنه الى الغمر وسرية محمد بن مسلمة رضي الله عنه الى ذي القصة وسرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الى مصارع أصحاب محمد بن مسلمة رضي الله عنهم وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى بني سليم بالجموم وسرية زيد ابن حارثة رضي الله عنهما الى العيص وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى الطرف وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى وادي القرى وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى أم قرفة وسرية عبد الله ابن عتيك رضي الله عنه لقتل أبي رافع وسرية عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الى أسير بن رزام اليهودي بخيبر وسرية زيد بن حارثة رضي الله عنهما الى حسمى وغزوة الحديبية ونزول حكم الظهار وتحريم الخمر وتزوجه ﷺ أم حبيبة رضي الله عنها وفي السنة العشرين من النبوة والسابعة من الهجرة كان اتخاذ الخاتم وارسال الرسل الى الملوك ووقوع السحر به ﷺ وغزوة خيبر وفتح وادي القرى والدخول بأم حبيبة رضي الله عنها وسرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى طائفة من هوازن وعمرة القضاء وتزوج ميمونة رضي الله عنها وسرية ابن أبي العوجاء رضي الله عنه الى بني سليم وفي السنة الحادية والعشرين من النبوة والثامنة من الهجرة كان اسلام خالد بن الوليد رضي الله عنه وعمرو بن العاص رضي الله عنه وعثمان بن طلحة رضي الله عنه وسرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه الى بني الملوح وسريته الى مصاب أصحاب بشير بن سعد رضي الله عنه بفدك واتخاذ المنبر الشريف وسرية شجاع بن وهب رضي الله عنه الى بني عامر وسرية كعب بن عمير الغفاري الى ذات أطلاح وسرية مؤتة وسرية عمرو بن العاص رضي الله عنه الى ذات السلاسل وسرية أبي عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه الى سيف البحر وسرية أبي قتادة رضي الله عنه الى بطن أضم وسرية عبد الله ابن أبي حدرد رضي الله عنه الى الغابة وغزوة فتح مكة شرفها الله تعالى وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه الى العزى بنخلة وسرية عمرو بن العاص رضي الله عنه الى سواع صنم هذيل وسرية سعد بن زيد الأشهلي رضي الله عنه الى مناة صنم للأوس وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه الى بني جذيمة وغزوة حنين وسرية أبي عامر رضي الله عنه الى أوطاس وسرية الطفيل الى ذي الكفين وغزوة الطائف وولادة ولده ابراهيم ﷺ وقدوم أول الوفود عليه ﷺ وهو وفد هوازن ووفاة زينب بنت رسول الله ﷺ ورضي عنها وفي السنة الثانية والعشرين من النبوة وهي التاسعة من الهجرة بعث عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم وبعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط الى بني المصطلق وسرية قطبة بن عامر رضي الله عنه الى خثعم وسرية الضحاك الكلابي رضي الله عنه الي بني كلاب وسرية علقمة بن محرز رضي الله عنه الى أهل الحبشة وبعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الى الفلس وبعث عكاشة بن محصن رضي الله عنه الى الجباب وإسلام كعب بن زهير وهجره ﷺ لنسائه وغزوة تبوك وسرية خالد بن الوليد رضي الله عنه من تبوك الى أكيدر وارسال كتابه من تبوك الى هرقل وهدم مسجد الضرار وقصة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم وقصة اللعان

حتى وأهلكها وهو ينظر وأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره أي كما وقع لأمة نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وانما كان قبض النبي قبل أمته خيراً لأنهم اذا قبضوا قبله انقطعت أعمالهم واذا أراد الله بهم خيراً جعل خيرهم مستمرا بمقامهم محافظين على ما أمروا به من العبادات وحسن المعاملات نسلا بعد نسل وعقبا بعد عقب هذا ما يسره الله من سيرة

واسلام ثقيف ورجم الغامدية ووفاة النجاشي ووفاة أم كلثوم رضي الله عنها وموت عبد الله بن أبي ابن سلول وحج أبي بكر الصديق رضي الله عنه وفي السنة الثالثة والعشرين من النبوة وهي العاشرة من الهجرة قدوم عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه و بعث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ومعاذ بن جبل رضي الله عنه الى اليمن و بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه الى بني الحرث بن كعب بنجران و بعث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الى اليمن و بعث جرير بن عبد الله البجلي الى تخريب ذي الخلصة و بعث جرير بن عبد الله أيضا رضي الله عنه الى ذي الكلاع و بعث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه الى أهل نجران وقصة ذبيل وتميم الداري ووفاة ولده ابراهيم ﷺ وخروجه ﷺ للحج وفي السنة الرابعة والعشرين من النبوة وهي الحادية عشرة من الهجرة قدوم وفد النخع وسرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما الى ابني وقصة الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب وسجاح وطليحة وماوقع في ابتداء مرضه ﷺ ومدة مرضه ووقت مرضه صلى الله عليه وسلم وموته وغسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله أعلم اللهم أعنا على شكرك وذكرك وحسن عبادتك اللهم افتح أقفال قلوبنا بذكرك وأتمم علينا نعمتك من فضلك واجعلنا من عبادك الصالحين اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا اللهم ألهمنا رشدنا وأعذنا من شرور أنفسنا اللهم ارزقنا نفسا مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك اللهم إنا مقصرون في طلب رضاك فأعنا عليه بحولك وقوتك والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد واختم لنا بخير واصلح لنا شأننا كله وافعل ذلك بأحبابنا وأحبابنا وسائر المسلمين واستغفر الله من قول بلا عمل وأستغفره من كل خطأ وزلل وأسأله علما نافعا ورزقا واسعا وقلبا خاشعا وعملا متقبلا وشفاء من كل داء وأن يجعل ذلك حجة لنا ولا يجعله حجة علينا انه جواد كريم رءوف رحيم لطيف خبير والحمد لله وحده اللهم صل على من لا نبي بعده عبدك ورسولك سيدنا محمد الذات المكملة والرحمة المنزلة من عندك اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من خدام سنته آمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

النبي صلى الله عليه وسلم ونسأل الله أن يجعلنا من التابعين له المتمسكين بشريعته المقتدين لآثاره المقتدين به وأن يحشرنا في زمرته وزمرة أصحابه وأهل بيته وأن يمنحنا من المدد المحمدي ما منحه عباده الصالحين وأن يمتعنا بلذة النظر الى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تم

﴿ يقول مصححه الفقير اليه تعالى عبد الغني سعيد الحسيني ﴾

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وأنزل أشرف كتبه اليه زيادة لقربه ووصله وأكمل تشريفه لديه بقوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وسابق الأولين وعلى أهل بيته الطاهرين وأصحابه المنتجبين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين ﴿ وبعد ﴾ فقد تم بحمد خالق البريه طبع السيرة الحلبيه محلاة الهوامش البهيه بكتاب السيره النبويه وهو كتاب جليل الوضع كثير النفع بمطالعته تقر النواظر وبسماعه ترتاح الخواطر وبافتنائه تحصل البركات وتكثر الخيرات وكان ذلك الطبع الزاهي الزاهر والوضع الباهي الباهر بمطبعة محمد أفندي علي صبيح وأولاده الكائنة بميدان الأزهر الشريف وفاح مسك الختام وتم سلك النظام في غرة شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٣٥٤ هجرية على صاحبها افضل الصلاة وأزكى التحية